الاستقصا لأشعار سلاطين وأمرا دول المغرب الأقصى

منتخبات من أشعار نظمها بعض السلاطين والأمراء،
ومنتخبات من أشعار نظمها في مدحهم الشعراء.



إعداد:
احمد مراد



الاستقصا لأشعار سلاطين وأُمرا دول المغرب الأقصى

الاستقصا لأشعار سلاطين وأُمَرا دول المغرب الأقصى

منتخبات من أشعار نظمها بعض السلاطين والأمراء، ومنتخبات من أشعار نظمها في مدحهم الشعراء.

إعداد:

أحمد مراد

المؤلف: أحمد مراد

الطبعة الأولى: 2021

الإيداع القانوني: 2021MO3710

ردمك: 978-9920-750-45-5

مطبعة وراقة بلال - فاس / المغرب

الهاتف / الفاكس: 05.35.61.86.03

العنوان: رقم 204 شارع المدينة المنورة حي الأمل / النرجس - فاس

إهداء

- إلى الذين حباهم الله بروح التضحية والعطاء وسخرهم لخدمة هذا الوطن العزيز.

مقدمة

لا أدري هل الكُتاب يفعلون مثلي ؟ !

فهذه هي تجربتي الثانية في مجال التأليف وللمرة الثانية على التوالي تكون المقدمة هي آخر شيء تخطه أصابعي، بحيث يصعب علي تسميتها بالمقدمة... فرغم الجهد الذي بذلناه ورغم الوقت الطويل الذي قضيناه في البحث، إلا أن المقدمة تبقى الأمر الأصعب بالنسبة لي، الشيء الذي يجعلني أتركها في الختام. وحتى ندخل في صلب الموضوع فلابد من الإشارة لسبب جمعنا لهذا الكتاب.

عندما كنت طالبا في السنة الأولى من الجامعة كنت أطالع بعض كتب التاريخ وذلك لحبنا لهذا العلم وفضولنا لمعرفة تاريخ مغربنا العزيز، فكان من الكتب التي استوقفتني في هذا المجال هو كتاب "الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" لمؤلفه المؤرخ الشيخ أحمد بن خالد الناصري. حيث أعجبت بالكتاب أيما إعجاب وذلك لضمه لجل تاريخ المغرب ابتداء من الدول الأولى التي حكمته، وختاما بتاريخ دولة السلطان العلوي المولى الحسن الأول والذي كان مؤرخنا الناصري قد عاصر دولته. والأمر الآخر الذي استوقفني في هذا الكتاب بالإضافة إلى أخبار التاريخ الغني لبلادنا هو إدراج المؤرخ لبعض القصائد الشعرية التي نظمها الشعراء في مدح بعض السلاطين والأمراء بل وإدراجه لبعض الأبيات التي نظمها بعض السلاطين والأمراء أنفسهم مما أثار إعجابي وجعلني أبحث في باقي كتب التاريخ والدواوين عن هذه القصائد ومحاولة جمعها وعزلها في كتاب واحد ابتداء من عصر الدولة الإدريسية إلى عصر الدولة العلوية الشريفة، ومن هنا بدأت رحلة بحثنا وتنقيبنا عن القصائد وتتبع المصادر والمراجع وكان للأنترنيت دورا هاما في مساعدتنا في بحثنا وإتاحته لنا جل الكتب التي عليها الإعتماد وذلك عن طريق مكتبته الالكترونية، ولولا فضل الله وتسخيره لهذا الأنترنيت لما كنا سنجمع هذا الكتاب.

تقريبا فمنذ منتصـف سـنة 2016 وأنا أبحث عن القصـائد، فكنت أبحث في مؤلفات مؤرخي كل دولة من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصـى وكنت أبحث في الدواوين لعلي أجد ما يعين رغم ظروف الدراسـة أيام الجامعة ورغم ظروف العمل بعد تخرجي منها، حيث كنت أسـعى في طلب الرزق صـباحا وأعود للدار بعد صلاة المغرب فأخصص ساعة ونصف للبحث وإن لم تكن كافية وأخلد بعدها لنوم عميق. وإلى اليوم فأنا أتسائل مع نفسي كيف كان المؤرخون والمؤلفون يعملون في ما مضـى؟ ! فمنهم من ترك العديد من المجلدات رغم عدم تفرغه لهذا الميدان؛ حيث كان أغلبهم يجمع بين السياسة والعلم ومشاغل أخرى...

أوقفت عملية البحث عن القصائد المذكورة تقريبا أواخر سـنة 2019، إذ كنت سـاعتها قد جمعت ما اسـتطعت جمعه، لكن الأمر الذي زاد بعض العناء وأخر نشري لهذا الكتاب هو عملية الرقمنة (الكتابة على لوحة مفاتيح الحاسوب). ورغم كل هذا ورغم الإرهاق الذي ينتابني بعد يوم طويل من العمل فقد واظبت على سـاعة ونصـف من الزمن والتي كنت أخصـصـها كل ليلة تقريبا حتى أكملت هذا الكتاب بمعية القدير الوهاب، فقمت برقمنة ما اسـتطعت رقمنته واسـتعنت بالماسح الضوئي فيما يخص توثيق جل القصائد من المؤلفات وعليه فأنا ألتمس العذر ممن سـتلقي الرياح بين يديه هذا الكتاب وذلك إن لاحظ أو رأى أي تقصـير أو نقص فيما يخص طريقة إدراجنا للقصـائد كونها جاءت أحيانا مائلة في الصـفحات، وليعلم القارئ الكريم أن مرادنا الأول من هذا العمل هو توثيق القصـائد التي نُظمت في مدح السـلاطين والأمراء من جهة وتوثيق القصـائد التي نظمها السـلاطين والأمراء أنفسـهم من جهة أخرى وتوثيق المصادر والمراجع أيضا وذلك في كل دولة من الدول التي حكمت المغرب الأقصـى كما سـبق وأن أشـرنا. ولعل أحسـن ما يمكننا إدراجه هنا هو قول الأديب أبو البقاء الرندي: {لكل شـيء إذا ما تم نقصان}. هذا والله المستعان.

* **

مازلت أذكر ولا أدري كيف عادت بي الذاكرة الآن وأنا أخط هذه السطور وذلك لأيام طفولتي حين سألني والدي عن ماذا أريد أن أصبح في المستقبل؟ فكنت قد أجبته كحال جميع الأطفال الأبرياء الذين يرون الأمور ببساطة وفي المتناول. أريد أن أصبح وزيرا. فكانت ردة فعل أبي هي النظرات، فلم يجبني والى الآن لا أدري أكان يشفق على حالي كونه كان يرى الأمر صعب المنال أم كان يقول في نفسه {لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا}. لا أدري الجواب لكن الأهم وبعد كل هذه السنوات التي مرت هو أنني عرفت أن الرياح لم تلقي بنا في الوزارة بل في شركة نعمل بها في الإدارة ولعل قارئ هذه السطور يتسائل عن سبب إدراجي لهذه القصة الشخصية التي هو في غنى عنها ! السبب هو أنني عندما بدأت مطالعة بعض كتب التاريخ أصبحت أشعر وكأنني أعيش الوزارة مع الوزراء وأعرف أخبار الأمراء وأعاصر كل دولة وأعيش كل حدث تاريخي خصوصا عند حديث المؤرخين عن مجالس السلاطين. وكأنني أسمع تلك القصائد التي يمدحهم بها الشعراء. ومن هنا تتضح لنا أهمية الكتاب فهو كما ينسب للكاتب مارك توين قوله: {الكتب هي لمن يريدون التواجد في مكان آخر} وحتى لا نطيل الحديث، فأنا أجدد اعتذاري عن أي تقصير في هذا السفر القصير.

ونقف هنا ونترك هذا الكتاب مفتوحا لضم أشعار ملوك وأمراء دولتنا العلية في المستقبل ونسأل الله العظيم أن يبقيها على الدوام رافعة لراية الرقي والإزدهار في مغربنا العزيز[1]. ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير.

أحمد مراد

أنفا، 25 يوليوز 2021

1- استوحينا هذه السطور الأخيرة من خاتمة كتاب أمراؤنا الشعراء للعلامة عبد الله كنون وهو كتاب من 71 صفحة، جمع فيه مؤلفه بعض القصائد التي نظمها بعض الأمراء، من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصى.

القسم الأول:

الدولة الإدريسية

الباب الأول:

الحكام والسلاطين

الأدارسة

الإمام إدريس بن عبد الله

ومن الأشعار التي تنسب للمولى إدريس بن عبد الله [1]:

غرَّبتُ كي أغرِبَ في ثورة   أشفي بها كلَّ فتًى ثائرِ

لا خيرَ في العيش لمن يغتَدي   في الأرض جاراً لامرىء جائر

والأرضُ ما وَسَّعَها رَبُّها   إلاَّ لتبدو هِمّةُ السائر

لا بُلّغَتْ لي مهجةٌ سُؤلها   إن لم أوفّ الكيل للغادر

ومن الشعر الذي وقفنا عليه لبعض شعراء الوقت كانوا قد أنشدوه عندما أفلت المولى إدريس من وقعة فخ[2]:

فلأبكينَّ على الحسينِ بعـ   ـولةٍ وعلى الحسن

وعلى ابن عاتكةَ الذي   تركوه ليس بذي كَفَن

تركوا بفخ غدوةً   في غير منزلة الوطن

كانوا كراماً قتلوا   لا طائشين ولا جبن

غسلوا المذلةَ بعهدهم   غسلَ الثياب من الدرن

هُديَ العبادُ بجدهم   فلهم على الناس المنن

وللإشارة فإن عاتكة المذكورة في البيت الثاني هي والدة المولى إدريس رضي الله عنه. و أخويه سليمان و عيسى.

ومما وقفنا عليه أيضا، شعر لرجل من أولياء بني العباس يذكر قتل إدريس بن عبد الله[3] :

أتظن يا إدريس أنك مُفْلِتٌ كيدَ الخليفة أو يقيك فرارُ
فليدركنّك أو تحلّ ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهار

إن السيوف إذا انتضاها سُخطه طالت وتقصر دونها الأعمار
ملك كأن الموت يتبع أمره حتى يقال تطيعه الأقدار

وفي رثاء المولى ادريس الأكبر قال ابنه إدريس[4] :

روحي الفداء لمن جاءت منيته يرمي بها بلدٌ ناءٍ إلى بلدِ
فاخْتُلِسَتْ نفسه منه مخاتلةً حتى تخلّى من الأموال والولد
أهدى إليه المنايا ذو قرابته بغير جرمٍ سوى البغضاءِ والحسد
لئن ظفرتم بيومٍ قتلنَا غَلَباً إنا لنرجو من الرحمٰن فوزَ غد
حتى يزيل أقلّ الحق أكثره ويشرب الكاسَ ساقينا يداً بيد

ومن أزجال سيدي عبد القادر العلمي المتوفى عام 1266، زجل في مدح المولى ادريس الأكبر[5] :

بوجودك يا سراج محفل أهل اليقين
سعد الغرب بعد كان في برج نحيس
انتصرت ملّة النبي وتشهر الدين
والحق استقام منهجو بعد التنكيس

ومنها:

وقطع سيف الهدى رقاب المرتدين

بالقهر ولا بقى رهيب ولا قسيس

نبنات مساجد العبادة للمبين

وفنون العلم بالتلاوة والتدريس

بوجودك يا سيدنا مولاي ادريس

ومن قول الشاعر ابن زاكور عندما أشرف على مقام الإمام المولى إدريس الأكبر بزرهون[6] :

هذا هِلالُ المغربِ	هذَا مُجَلِّي الغَيْهَب
هذا الذى أَنْوَارُه	تَفُوقُ كلَّ كَوْكَب
هذا الذى مَن أَمَّهُ	لا يختشي مِن نُوَب
هذا الذى من زَارَهُ	لَيس يرَى مِن تَعَب
هذا رَفيعُ الرُّتَب	هذا عظيمُ المَنْصِب
هذا عريقُ الحَسَب	هذا شريفُ النَّسَب
هذا الرضى إِدْريسُ نَجْ	لُ (الكامل) المهذَّب
شَمْسُ الهُدى ابن حسن	ابنْ حسَن المُنتخَبِ
ابن عليٍّ والبَتُو	ل خير أُمٍّ وَأَب
بنْت الرَّسُول المصطفَى	المُجْتَبىَ المُقَرَّب
محمَّد أَزْكى الورَى	مِنْ عجَمٍ أَو عرب
صلَّى عليه اللهُ ما	لاحَ ضِيَاءُ الشُّهُب
وآلِـــه وصَحْبه	مِن كُلِّ لَيْثٍ مِحْرَب

الإمام إدريس بن إدريس

ومن شعر المولى ادريس بن ادريس يخاطب بهلول بن عبد الواحد و قد مال الى ابراهيم ابن الاغلب عامل الرشيد على افريقية [7] :

أَبُهلونُ قد شَمَّمتَ نفسَكَ خُطَّةً   تبدَّلتَ مِنها عَولَةً برَشَاد

أَضلَّكَ ابراهيمُ عن بُعْدِ داره   فأَصْبَحْتَ مُنْقاداً بغَيْرِ قِيَاد

كأنَّكَ لم تسمَعْ بمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبٍ   غَدَا آخِذاً بالسَّيْفِ كُلَّ بِلاد

ومِن دُونِ ما منَّتْكَ نفسُكَ خالِياً   ومَنَّاكَ إبرَاهِمُ شَوْكُ قَتَاد

ومن شعر المولى ادريس بن ادريس عندما كتب الى ابراهيم بن الاغلب يدعوه الى طاعته أو الكف عن ناحيته، و يذكره قرابته من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و في اسفل كتابه هذه الأبيات[8] :

أُذَكِّرُ إبراهيمَ حقَّ محمدٍ   وعترتِهِ والحقُّ خيرُ مَقُولِ

وأدعوه للأمر الذى فيه رشدُه   وما هو لولا رأيه بجهولِ

فإن آثر الدنيا فإن أمامه   زلازلُ يومٍ للعقابِ طويلِ

وللمولى إدريس بن ادريس يتشوق أهل بيته[9] :

لو مال صبري بصبر الناس كلهمُ — لضَلَّ في رَوْعتي أو ضَلَّ في جَزَعي

وما أُرِيعُ إلى يأسٍ ليُسْلِيَني — إلا [... ...] يأسٌ إلى طمعِ

وكيف يَصْبِر مَطْوِيٌّ هضائمُه — على وساوسِ همٍّ غيرِ منقطعِ

إذا الهمومُ توافتْ بعد هجعتِه — كرَّتْ عليه بكأسٍ مُرّةِ الجُرَعِ

بانَ الأحبةُ واستبدلْتُ بعدهمُ — همًّا مقيماً وشملاً غيرَ مجتمعِ

كأنني حينَ يُجْرِي الهمُّ ذكرَهمُ — على ضميريَ مخبولٌ من الفزعِ

تأوي همومي إذا حرَّكْتُ ذكرَهُمُ — إلى جوانحِ جسمٍ دائمِ الولعِ

ومما يُذكر عن المولى ادريس بن ادريس أنه قاله في حال قتاله لمن عانده[10] :

أليس أبونا هـاشمٌ شدَّ أزره — وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نملُّ الحربَ حتى تملنا — ولا نشتكي مما يؤول الى النكب

ولكننـا أهلُ الحفائـظِ والنهـا — إذا طارَ أرواحُ الكماة من الرعب

و مما قاله الشاعر الصوفي سي عبد الرحمن المجذوب من كلام جاء فيه ذكر مولاي إدريس، قوله[11] :

من عند النبي جيت رقّاص ۞ مولاى ادريس يعطي البشارة

مضمون فاس من كل بـاس ۞ لو يدور به جـنـاس النصارة

ومما قيل في سيف المولى إدريس بن إدريس الذي بصومعة جامع القرويين بمدينة فاس [12] :

قول الأستاذ محمد المدعو بمنديل بن آجروم:

شاموا بفاس سيفَ ادريسهم فوق المنار لا لأمر مخوف
بل أشعروا بقول خير الورى جنتكم تحتَ ظلال السيوف

وقال محمد بن عبد الرحمان رحمه الله تعالى :

بسيف منار بفاس غدتْ محاسنُها دانياتِ القطوف
فيا زاجرَ الغمِّ عفو الاله وجنته تحتَ ظلِّ السيوف

وقال أيضاً رحمه الله :

وما خص ادريس المنار بسيفه لغمٍّ ، ولكنْ كيْ يعمَّ نداؤه
مشيراً أجيبوا داعيَ الله تأمنوا ومَن لمْ يجبْ داعيه هذا جزاؤه !

وقال الأديبُ المجيد أحمدُ الدباغ :

سيفُ ادريس بالمنار بفاس ليس للغمِّ ، لا ولا للمخافه
إنما كان وضعه السيفَ فيها مُعلماً أنها مقرُّ الخلافه

وقال الأمير اسماعيل بن فرج بن الأحمر:

وما السيفُ في رأس المنار لذلة بفاس ، ولكن أمره أيما أمر
رآها ابنُ ادريسِ مقرَّ خلافة فجرده عزماً لأملاكها الغُر

وقال الفقيه العدل ادريس ابن رشيد :

سلَّ إدريسُ بالمنار حساماً منبئاً ذاك عن شديد العقاب
داعياً للصلاة إن لم تجيبوا فحقيقُ الجزاءِ ضربُ الرقاب

و قال الفقيه عبد الغفار:

نكرت ولم أكن للذكر نـاس	عجائبَ سيف إدريسٍ بفـاس
فلم يكُ بالمنار سُدًى ، ولكن	ليدفعَ عن حماها كلَّ بـاس

وقال أبو الفضل ابن باشر رحمه الله :

قل لمَنْ أنكرَ الحسامَ بفـاس	وادعى الغمَّ قولَ ذي تجريح
سيفُ ادريس في المنار شهيرٌ	شهرة الدين بالأذانِ الصحيـح

وقال محمد بن علي الفخار المشهور بالحباك:

شهرة المشرفيِّ فوق المنـار	عزةٌ للـورى وديـن النبـيِّ
سيفُ ادريس مُخمدٌ للأعـادي	وانتصارُ الملوك في المشرفيِّ

وقال عبيد الواحد الزيتوني :

مَن يحسد الناس في فاس يقول لهم	بسيف إدريس غم الناس في فاس
تعساً لقائلهم ، بل سيفُه شرفٌ	علا كما قد علا إدريسُ في الناس

وقال الأديب سعيد بن ابراهيم الكغاد عُرف بشهبون :

لإدريس سيفٌ أظهرَ الدينَ والهدى	بأفـق منـار لـلأذان تشيَّـدا
فمَن ظنَّ أن الذلَّ أورثَنا به	فهلْ ذل إلا ظالمُ ضلَّ واعتدى

وقال المؤرخ علي الجزنائي:

سيفُ إدريسَ منتضى بالمنار	لا لغـمِّ النفـوس والأغيـار
إنمـا جعلُـه هنـاك ليبقـى	خالداً ذكره مـدى الأعصار

و من مستعملات موسيقى الآلة، بروله من ميزان قدام نوبة عراق العجم يذكر فيها اسم المولى إدريس بن إدريس و مطلعها "بميات ألف كيس" و نذكر منها[13] :

بِينْ ادْرَارْ انفِيسْ   حَاجْبُو والغُرَّة تَضْوِي   كَالهلالْ السَّاطَعْ بَكْمَالُو

بخيولي والعِيسْ   والذهَب والياقون وما يماتلو   والجَوْهَرْ وَامْثَالُوا

أَمُولايْ ادْرِيسْ   بَنْ ادْرِيسْ بَنْ عَبْدَ الله   يَالبَدْر الساطَع في كْمَالُو

ومن قول ابن زاكور في مدح المولى إدريس بن إدريس باني مدينة فاس،هذه القصيدة[14] :

كم ذا تُقَرطِسُنى بسُمْر نبالِها   سُودُ الخُطوبِ وتعْتَدى بشِمالِها

هذا على أَنِّى لَجأْتُ إلى حِمَى   من قد حمَى من كان عُرِضَ نصالِها

مولاى إدريس بن إدريس بْنِ مَن   ذَلَّتْ له الآسادُ فى أَغْيَالِها

(عبد الإله الكَامِل) بن المُرتَضَى   (حسَن المُثَنَّى) ذى اللُّها بِذَّالها

نَجْل الذى حازَ المفَاخِر كُلَّها   (حسَنِ) البَتُول أَخى العُلا وهلالها

سبْط الرَّسُول الهاشِمِيِّ مُحمَّــدٍ   خيْر الورَى المُختَار مِن أَقْيالِها

صلَّى عليهِ اللهُ ما صَابَ الحيا   واهْتَاجت الأَرواحُ فى آصَالِها

وعلى جميع الآلِ والأَصحاب مَن   سلكُوا الهُدى وتوقَّلُوا بجِبَالِها

وفي مكان وفاة المولى إدريس بن إدريس قال أحد الشعراء[15] :

منـــازل أال الله أال رسولـــــه   فأحبب بهم أهلا وأحبب بها مغنـــا

مدينة ادريس بن ادريس التـــي   بها قبره ثــاو ومنبره مبنــــا

محمد بن الامام ادريس بن ادريس

ومما كتب به القاسم معتذرا عن توقفه عما أمره به أخاه محمد بن ادريس وذلك عندما أمره بحرب عيسى الذي كان قد نبذ طاعته، هذه الأبيات [16] :

سأتْركُ للرّاغِبِ الغَرْبَ نَهْباً   وإن كنتُ في الغَرْبِ قَيْلاً ونَدْبا

وأسمُو الى الشَّرق في هِمَّة   يعِزُّ بها رُتَباً مَن أحبَّا

وأترُكُ عيسى على رأيِه   يُعالِجُ في الغَرْبِ همًّا وكَرْبا

ولوْ كان قلْبي على قلْبِه   لَكُنتُ له في القَرابة قَلْبا

وإن أحدثَ الدهرُ من رَيْبِه   شِقاقاً علينْا وأحدثَ حَرْبا

فإني أرَى البُعدَ سِتْراً لنا   يُجدِّدُ شوْقاً لَدَيْنا وحُبَّا

ولم نَجْنِ قطْعاً لأرحامِنا   نُلاقِي به آخِرَ الدهر عَتْبا

وتَبقَى العَداوَةُ في عَقْبِنا   وأكْرِمْ به حين نُعْقِب عَقْبا

وأوْفَقُ من ذاكَ جَوْبُ الفَلاةِ   وقَطْعُ المَخَارِم نُقْباً فَنُقْبا

الحسن بن محمد بن القاسم الحجام

كان الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس يلقب بالحجام، و عرف بذلك لأنه كانت بينه و بين عمه أحمد بن القاسم حرب حمل فيها الحسن على فارس من جند عمه فطعنه في المحاجم، فقال له عمه أحمد انما ابن أخي حجام فلزمه ذالك الاسم فعرف به و مما وجدناه من شعر لأحدهم في ذلك يقول[17] :

وسميت حجاما ولست بحاجم   ولكن لطعن في مكان المحاجم

الأمراء الأدارسة

أحمد بن القاسم بن ادريس

وفي الأمير أحمد بن القاسم قال بكر بن حماد[18] :

إن السماحة والمروءة والندى　　جمعوا لأحمد بن القاسم

وإذا تفاخرت القبائل و انتمت　　فأفخر بفضل محمد وبفاطم

وبجعفر الطيار في درج العلا　　وعلى العضب الحسام الصارم

لأني لمشتاق إليك و إنما　　يسموا العقاب إذا سمى بقوادم

فأبعث إليّ بمركب أسمو به　　على أكون عليك أول قادم

وأعلك أنك لن تنال محبة　　إلا بعض ملابس ودراهم

عيسى بن ابراهيم بن القاسم

وهذه قصيدة لأحمد بن فتح التيهرتي، جاء فيها مدح عيسى بن ابراهيم ابن القاسم والقصيدة كالتالي[19] :

ما حاز كل الحسن الا قينة　　بصرية فى حمرة وبياض

الخمر فى لحظاتها والورد فى　　وجناتها هيفاء غير مفاض

فى شكل مرجي ونسك مهاجر　　وعفاف سنى وسمت اباض

تاهرت انت خلية وبرية　　عوضت منك ببصرة فاعتاضى

لا عذر للحمراء فى كلفى بها　　أو تستفيض بأبحر وحياض

ما عذرها والبحر عيسى ربها　　ملك الملوك ورايض الرواض

عبيد الله بن يحيى بن ادريس

ومما ذكره صاحب البيان المغرب قوله[20]:

« وفي سنة 319، هذه المؤرخة، افتتح الناصر لدين الله الأموي مدينة سبتة بالعدوة على بحر الزقاق من بر العدوة، التي هي نظام باب المغربين و مفتاح باب المشرقين، وهي على ما قيل مجمع البحرين قاعدة البر والبحر واللؤلؤ الحالة من الدنيا بين السحر والنحر. و في فتحها يقول عبيد الله بن يحيى بن إدريس يخاطب الناصر:

بسيفك دانت عنـــوة وأقـــرت — بصائر كانت برهـــة قد تولت
وما قربت أهواؤها اذ تقربت — ولا حليت بالـــزى لمـــا تحلت
ولكـــن أزالت راسيات عقودها — عزائم لو ترمى بها العصم زلت
ودولـــة منصـــور اللواء مؤيد — تدال بحمد الله من شر دولـــة
فهذا أوان النصر منهـــا وهذه — بشائره تـــروى الانام بسبتة

ابراهيم بن ادريس الحسني

وكان يعرف بإبراهيم المؤبل. كان أديبا شاعرا وأصله من المغرب، و سكن قرطبة. ومما وجدناه من شعره، قوله يخاطب المروانية بقرطبة، لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام المؤيد و استبداده بالأمر دونه[21] :

فيما أرى عجبٌ لمن يتعجبُ جلَّت مصيبتُنا وضاق المذهبُ
إنى لأُكْذِبُ مقلتى فيما أرى حتى أقولَ غلِطتُ فيما أحسِبُ
أيكونُ حيًّا من أميةَ واحدٌ ويسوس هذا الملكَ هذا الأحدب ؟
تمشى عساكرُهم حوالَىْ هودجٍ أعواده فيهن قردٌ أشهب
أبَنى أميةَ أين أقمارُ الدجى منكم ، وما لوجوهها تتغيب ؟

ومما وقفنا عليه أيضا من شعره قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رزين صاحب القلاع و يهجو في درجها غيره، أولها[22] :

للبَين فى تعذيب نفسىَ مذهبُ ولنائبات الدهر عندى مطلبُ
أما ديونُ الحادثاتِ فإنها تأتى لوقتٍ صادق لا تكذبُ
والبين مُغرًى كيدُه بأولى النُّهى طبعاً تَطَبَّع ، والطبيعة أغلبُ

ومنها :

أيقنتُ أنى للرزايا مطعَمٌ ودمى لوافدة المكاره مشربُ
فأنا من الآفات عِرضٌ سالمٌ وجوانحٌ تُكوَى وعقلٌ يذهبُ

القسم الثاني:

الدولة المرابطية

أو الدولة الصنهاجية اللمتونية

الباب الأول:

الأمراء المرابطون الذين حكموا المغرب

المرابط أبو بكر بن عمر اللمتوني

ومما وجدناه من شعر جاء ذكر الأمير أبي بكر بن عمر فيه، ما في أرجوزة الملزوزي، عند ذكره لأول من قام من المرابطين في المغرب و هذا نص الأرجوزة[23] :

أول من فى الغرب منهم قد أمـر ❀ هـو أبو بكر الرضـا نجل عمـر
أقـام فـى مغربنـا أعـوامـاً ❀ وأمـره وعـزه استقـامـا
كانت لـه مـع العـدا حـروب ❀ قـد مسهم بحرهـا لغـوب
وكـان ذا زهـد وعقـل وورع ❀ متبعـاً للمصطفـى ومـا شـرع
فجاءه مـن ارضـه يومـاً خبـر ❀ أزعجـه لأهلـه لمـا ظهـر
أن بنـي عمـك فـى الصحـراء ❀ قـد أظهروا الحرب مـع الأعداء
فحملتـه نحـوهـم حميـه ❀ كانت لـه فـى نفسـه الأبيـه
فجـدد السيـر وخـلا المغربـا ❀ وأهلـه فيـه وأم السببـا
وأمـره مـع الـذى قـد قدمـا ❀ أشهـر فى الدنيـا من أن ينظمـا

أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

وهذا الأديب الملزوزي يذكر في أرجوزته الشهيرة سبب تملك يوسف بن تاشفين بعد أبي بكر بن عمر[24] :

لما مضى ابن عمر للصحرا ❀ وترك الملك معا والأمرا
قدم يوسف على بلاده ❀ حتى يعود بعد من جلاده
فقدموا ليوسف بن تاشفين ❀ وبيته من عامة المرابطين
فساس يوسف الأمور بعده ❀ لما رأى انبعاثه وبعده
فجاد بالأموال للجنود ❀ وعاد بالساقات والبنود
وامرأة ابن عمر تعينه ❀ فى رأيه وملكه تزينه
وكان قد طلقها فردها ❀ من بعده يوسف يبغى سعدها
فكلما جرت عليه شده ❀ وجدها لكشفها معده
حتى اذا ابن عمر قضا الوطر ❀ وجاء يبغى ملكه لما ظهر
بات حزيناً يوسف من أمره ❀ وخاف أن يزيله بقهره
قالت له امرأته ما شأنكا ❀ مكتئباً لا ترتضى مكانكا ؟
قال لها : ان أبا بكر أتى ❀ والشيخ لا يدركه مكر الفتى
قالت له ان شئت بقيا الملك ❀ ونظمه من حينه فى سلك
فأظهر الغلظة فى مكانكا ❀ واحذر بأن تزول عن امكانكا
فانه اذا رأى منك الجزع ❀ كان له فيك وفى الملك طمع
وان بدت منك القوا والنجده ❀ والخيل والأبطال مستعده
فكان ما قالت له خليلته ❀ وهو لعمرى سعده وحيلته
فسلم الملك له ابن عمر ❀ ولم يفز منه بغير النظر
وصار عن مراكش مجدا ❀ ويمم الصحراء مستبدا

وقال الملزوزي كذلك في سبب جواز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الأول إلى الأندلس:

لما استقام ملكه ليوسف ❀ ونال فى المغرب مالم يوصف

واشتهرت فرسانه بالنجده ❀ فى كل أرض وبحسن العده

وكانت الروم بتلك العدوه ❀ فى كثرة وعدة وقوه

ويحسبون أن من فى الأرض ❀ دونهم بطولها والعرض

قد أظهروا الطغيان للأنام ❀ وأكثروا الجور على الاسلام

وكان ألفونشو اللعين مجتهد ❀ فى جزية تعطا من أرض المعتمد

وكان يعطيها له ابن عباد ❀ فى كل عام اذا رأى منه الفساد

وكان فى تلك الأمور يعذر ❀ لأنه من غربنا لا ينصر

يدعو فلا تغيثه القبائل ❀ ولا تجوز نحوه القنابل

قد ضعف الطالب والمطلوب ❀ وكاد نجم للهدا يغيب

وذكر أيضا في أرجوزته ما جعل أمير المسلمين يجتاز الأندلس. حيث قال:

فكتب الفونشو الى ابن تاشفين ❀ مستهزئاً أن انصر المستضعفين

فما بأرض المسلمين غيركا ❀ لم لا يكون للجهاد سيركا ؟

عليك نصر الدين فرض واجب ❀ اذ عندك الجنود والكتائب

وأنت تدعا بأمير المسلمين ❀ وقامع الكفار ثم المعتدين

وحضه حضاً على الجهاد ❀ كأنه داع الى الرشاد

وكان من جملة ما قد كتبا ❀ وأظهر الهزء به واللعبا :

وجه لنا مراوحاً للذبان ❀ فقد أقمنا فى الحصار أزمان

وابعث لنا ان لم تصل مراكبا ❀ ناق بها فى أرضك الكتائبا

فهيج ألفونشو اللعين وجده ❀ فجد فى قصد اللقاء جهده

حتى اذا ما حل فى أندلس ❀ بجيشه كالصبح اثر الغلس

واجتمعت كتائب الاسلام ❀ وأقبلت عصائب الأصنام

وكان ما كان من الزلاقه ❀ وأبصر الكفر بها محاقه

وذاق ألفونشو اللعين ما طلب ❀ وعاد كل جيشه الى السلب

ونصر الله حماة الدين ❀ وفاز بالأجر ابن تاشفين

ولم يقصر فى الحروب المعتمد ❀ فانه على الاله معتمد

ولم يقصر فى برور يوسف ❀ فى المرة الأولى ولم يستنكف

فجاز يوسف لأرض الغرب ❀ وحزبه المنصور خير حزب

ونجل عباد له ينادى ❀ لحينه هلم للجهاد

وفي جوازه الثاني إلى الأندلس، قال في الأرجوزة:

فعاد أيضاً للجهاد ورجع ❀ واستلب الكفار أيضاً وقمع

وكان قد بدت من ابن عباد ❀ أشياء تدعو كلها للانتقاد

فبعضها لايط اذا ناداه ❀ لحضره بالكيد مع سواه

لم تصف فيه نية للمعتمد ❀ وكلهم يلومه وينتقد

وأمرهم وحالهم مشهور ❀ وأمر ربى قدر مقدور

فخلف ابن تاشفين قائداً ❀ لحصره وجاز عنه قاصدا

فصار يوسف أمير العدوتين ❀ بعد ابن عباد وملك الملتين

ونال فى دنياه ما قد طلبا ❀ وملك السوس وحاز المغربا
فحوصرت اشبيلية الغراء ❀ وحل بالمعتمد البلاء
فحمل المعتمد المذكور ❀ لأرض أغمات له ثبور
ويوسف مناه تستقيم ❀ والسعد فى أرجائه مقيم
حتى دهاه ما دها الملوكا ❀ وجمع الغنى والصعلوكا
فمات حتف أنفه وصارا ❀ لفعله لم يتخذ أنصارا
فهذه عوائد الأيام ❀ بكل ذى ملك على الدوام
فى عام خمسمئة قد ماتا ❀ وما لقى فى ملكه آفاتا
مئة عام كان أقصى عمره ❀ ولم يزل فى حزمه وصبره

ولأبي الحسن بن الجد رحمه الله، قصيدة يمدح بها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[25] :

في كلّ يوم غريبٌ فيه مُعتَبَرُ ... نلقاه أو يتلقّانا به خَبَرُ
أرى الملوكَ أصابَتْهم بأندَلُسٍ ... دوائرُ السوء لا تُبقي ولا تَذَرُ
قد كنتُ أنظُرُها والشمسُ طالِعةٌ ... أو صحّ للقومِ في أمثالِها النّظَرُ
ناموا وأسرى لهم تحتَ الدُّجى قَدَرٌ ... هوى بأنجمِهم خسْفاً وما شَعَرُوا
وكيف يشعر من في كفّه قَدَحٌ ... يحدو به مُلْهِياهُ الناي والوَتَرُ
صمّتْ مسامعُه من غير نغمته ... مما تمرُّ به الآيات والسوَرُ
تلقاه كالفحل معبوداً بمجلسه ... له خوار ولكن حشوه خوَرُ
من حوله كلُّ مغترٍّ وما علموا ... انّ الذي زخرفَتْ دُنياهُمُ غرَرُ

فقل لمن نام : أصبحتَ انتَبهْ فلقد مضى بك الليلُ نحباً وانقضى السحَرُ
وانظر إلى الصبح سَيفاً في يدي ملك في الله من جنده التأييدُ والظفَرُ
يرعى الرعايا بطرف ساهرٍ يقظٍ كما رعاها بطرف ساهرٍ عُمَرُ
رِدُوا مواردَ قد أوردتمُ حَنَقاً بها الأنامَ ولكن ما لكم صدَرُ
كأنني بكُمُ قد صِرتمُ سمراً وما لكم في الورى عينٌ ولا أثَرُ
أماتكم قبل موت سوءُ فعلكم وكيف بالذكر أن لم تحسن السيَرُ

ومما أمر به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أن يكتب على ظهر كتابه إلى الأذفنش : جوابك يا أذفنش ما تراه لا ما تسمعه، إن شاء الله، و أردف الكتاب ببيت أبي الطيب المتنبي[26] :

ولا كتب الا المشرفية والقنا
ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومما قاله المعتمد بن عباد في أمير المسلمين عند جهاده في عدوة الأندلس[27] :

غزو عليك مبارك في طيه الفتح القريب
لله سيفك انه سخط على دين الصليب
لابد من يوم يكو ن له أخا يوم القليب

وهذا صاحب الذخيرة ، يذكر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أرجوزته، حيث قال[28] :

فإذا أرادَ اللهُ نَصْرَ الدّينِ استصرخَ النّاسُ ابنَ تاشفينِ
فجاءهُم كالصُبحِ في إثر غسق مُستدركاً لما تبقّى من رَمَقْ
وافى أبو يعقوبَ كالعُقابِ فجرّدَ السيفَ من القِرابِ

وواصلَ السَيرَ إلى الزّلاقَه وساقَهُ ليومِها ما ساقَه

لله دَرُّ مثلها مِن وَقعَهْ قامَتْ بنصرِ الدّينِ يومَ الجُمعه

وثُلَّ للشركِ هناكَ عَرشُهُ لم يُغنِ عنه يومَهَ أذفنشُهُ

فوجَبَ الخلعُ لذي الخلاعَه وصَرّحوا ليوسفٍ بالطّاعَه

واتصَلَ الأمرُ على نِظامِ وامتدَّ ظلُّ اللهِ للإسلامِ

وانصرفَتْ على العَدوّ الكَرّهْ ورَجعَ الجَمعُ كأوّلِ مرّه

فتلكَ خيلُ اللهِ في العَدُوّ تَعيثُ في الرّواحِ والغُدوّ

ثمّ ولي عليٌّ بنُ يوسفٍ مُهتدياً حُكمَ أبيهِ يقتفي

ومن الأشعار التي قيلت في المعتمد بن عباد و قد ذكروا فيها أمير المسلمين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين، هذه القصيدة لأبي عبد الله بن عبادة[29] :

وقالوا كفُّهُ جُرِحَتْ فقلنا أعاديه تواقعها الجراحُ

وما أثرُ الجراحة ما رأيتم فترهبها المناصلُ والرماحُ

ولكن فاض سيلُ البأسِ منها ففيها من مجاريهِ انسياح

وقد صحَّتْ وسحَّت بالأماني وفاض الجودُ منها والسماح

رأى منه أبو يعقوب فيها عُقَاباً لا يُهاضُ لها جناح

فقال له لك القِدْحُ المعلّى إذا ضُرِبَتْ بمشهدك القِداحُ

وهذه قصيدة لأبي محمد عبد الجليل بن وهبون، يذكر فيها وقعة الزلاقة ويمدح بها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، منها[30] :

فثار إلى الطعان حليفُ صدقٍ | تثورُ به الحفيظةُ والذِّمامُ
نُمي في حميرٍ ونَمَتْكَ لخمٌ | وتلك وشائجٌ فيها التحام
فيوسفُ يوسفٌ إذ أنت منهِ | كيامن . لا وهى لكما نظام
نهجتَ لسيله نهجاً فوافى | وفي آذيّهِ الطامي عرامُ
فَهيْلَ به كثيبُ الكفر هيلاً | وكلُّ رُفَيْعَةٍ منه ركام
وصاروا فوق ظهر الأرضِ أرضاً | كأنَّ وِهَادَهَا منهم اكام
عديدٌ لا يشارفُهُ حسابٌ | ولا يحوي جماعَتَهُ زمام
تألفتِ الوحوشُ عليه شتّى | فما نقصَ الشّرابُ ولا الطعام
فان ينجُ اللعينُ فلا كَحُرٍّ | ولكنْ مثلما ينجو اللئام

و له قصيدة أخرى يمدحه فيها أيضا[31]:

أتُنْكِرُ العُجْمُ أنَّ العُرْبَ سادتها | وتشهدُ البيضُ والخطيَّةُ السُّمُرُ
لما تعارض دونَ الشكرِ كفرهُمُ | عادتْ بوادرَ فيهم تلكمُ البِدَرُ
وهبَّ عن كلِّ دينارٍ لهم بَطَلُ | كخالصِ التِّبْرِ مسبوكٌ ومختبر
فليقبلوها ألوفاً من أسُودٍ وغىً | تزكوعلى السَّبْكِ لا جُبْنٌ ولاخَوَر
ولْيَرْقُبوا من أميرِ المسلمينَ ومن | مؤيّدِ الدين ليلاً ما له سَحَر
لم يهشموا الثغرَ إذ عاشتْ أكفّهُمُ | لو يعقلون ولكنْ تلكمُ الثغر
وليس ما غيَّروا إلاّ لأنْفُسِهِمْ | كأنّما نبهوا إذ نامتِ الغِيَرُ

و مما كتب به أبا الحكم عمرو بن مذحج للوزير أبي العلاء بن زهر، قصيدة ذكر فيها لقائه بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين[32]:

قدمتَ علينا والزمانُ جديدُ وما زلت تُبدي في النّدى وتعيدُ
وعيشِ العلا لولا مراتبُكَ العُلى لما اخضرَّ في أفْقِ المكارم عود
فيا ناهضاً والجدُّ والجَدُّ صحبهُ بحيثُ كبا للمنخرين حسود
لقيتَ أميرَ المسلمين وظلُّهُ عليك بما تهوى لديه يزيد
فقمْ بالمعالي واستقلَّ بملكها فأنت بملك العالمين قعيد
ولوحوا بني زهر فانَّ وجوهكم نجوم بأفلاكِ العلا وسعود

هذا أبو الحسن بن الجد رحمه الله، يمدح أمير المسلمين بقصيدة[33] :

في كلّ يومٍ غريبٌ فيه مُعْتَبَرُ نلقاهُ أو يتلقّانا به خَبَرُ
أرى الملوكَ أصابَتْهُمْ بأندلسٍ دوائرُ السَّوْء لا تُبقي ولا تَذَرُ
قد كنتُ أنظرها والشمسُ طالعةٌ لو صحَّ للقوم في أمثالها النظر
ناموا وأسرى لهم تحت الدّجى قَدَرٌ هوى بأنجمهم خَسْفاً وما شعروا
وكيف يشعرُ من في كفّه قَدَحٌ تحدو به مُذْهلاتُ الناي والوتر
صمّتْ مسامعُهُ عن غيرِ نغمتهِ فما تمرُّ به الآيات والسُّوَر
تلقاه كالعجْلِ معبوداً بمجلسهِ له خُوارٌ ولكنْ حَشْوه خَوَر
وحوله كلُّ مغترٍ وما علموا أنَّ الذي زَخْرَفَتْ دنياهمُ غَرَرُ
فقلْ لمن نام أصحتَ. انتبه، فلقد مضى لكَ الليل بُحتّاً وانقضى السحر
وانظر إلى الصبْحِ سيفاً في يدي مَلكٍ في الله من جُنْدِهِ التأييد والظفر
يرعى الرعايا بطرفٍ ساهرٍ يقظٍ كما رعاها بطَرْفٍ ساهرٍ عمر
ردوا موارد قد أوردتم حنقاً بها الأنامَ ولكن ما لكم صدر
كأنني بكمُ قد صرتم سَمَراً وما لكمْ في الورى عَيْنٌ ولا أثر
أماتكم قبل موتٍ سوء فعلكمُ وكيف بالذكر إذ لم تَحْسُنِ السِّير

وهذا الشاعر ابن حمديس يقول قصيدة طويلة في وقعة الزلاقة و يذكر فيها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين و جنده، منها[34] :

نقمت على من آسفوك بيوسف ... وما زلت ممن خالف الحق ناقما

وآذنت عُمّار القفار بحربهم ... فيا قرب ما شقوا إليك الحضارما

بنو الحرب غنتهم لبان ثُديّها ... ولم يستطيبوا منه إلا العلاقما

يحثّون للهيجاء جُردًا سلاهبا ... ويُنضون فى البيداء بزلا صلادما

إذا طعنوا بالسمهرية خلتهم ... ضراغم تُغرى بالقلوب أراقما

وإن كرّ منهم ذو لثام مصمم ... غدا لفم الهيجاء بالسيف لاثما

حَلُمّم مراجيحًا، وجُدتم أكارمًا ... وسُدتم بهاليلاً، وصُلتم ضراغما

سكنتم قلوب العارفين محبة ... كما سكن الزهرُ الزكىّ الكمائما

نذرت نذوراً فاقتضانى قضاءها ... إيابُك من يوم العَروبة سالما

ولما وجدتُ الوفر أعوز راحتى ... سجدت لربى ثم أصبحت صائما

وله قصيدة أخرى في الوقعة المذكورة و يذكر كذلك أمير المسلمين[35] :

خلعت على بُنيّات الكروم ... محاسن ما خلعن على الرسوم

فيابن الصيد من لخم، ولخمٌ ... بدور مطالع الحسب الصميم

إذا جادوا فأنواء العطايا ... وإن حلُموا فأطوادُ الحلوم

وأحرَم فى يمينك مشرفىّ ... أدمتَ ببذله صَون الحريم

ومـــعـتـــرك تلقى الفُـنش فـيـــه غــريمًـــا مــهلكًا نفس الــغــريم

تســـتـــر بالظلام وفـــرّ خـــوفـــا كـــروع شق ســـامـــعـــتى ظـليم

وضــاق بيــوسف ذى البـأس بؤسى فـــمـــرّز عنـده حُلو النـعـــيم

وقـد نهـشتـه حـيـات العـوالى سلـوا ليـل السـليـم عن الـسـليـم

ولـما أن أتاك بـقــــوم عـــــاد أتيتَ بصــرصـر الـريح العـقــيم

وقـد صـــرّمت نار الحـرب حـــتى حكت زفــراتُهـا قـطع الجـحـــيم

وثار بركـض شُــزيهــا قَـــتـــام خلعن به إلصـريم على الضـريم

وهذا قول الفقيه الكاتب محمد بن حامد في أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[36] :

ملك له شرف العـــلا من حميـــر وان انتموا صنهاجـــة فهم هـــــم

لمـــا حووا أحواز كـــل فضيلـــة غلـــب الحيـــاء عليهـــم فتلثمـــوا

وفي مدح يوسف بن تاشفين قال نابغة الزجل ابن قزمان[37] :

مثل ابن تشفين يقال أمير والخلافة من بعد عادت تسير

بارك الله في هـــــاذا الأيام

تجي أعوام إذا مضت أعوام

ويجعلهم سلاطين الإسلام

ونصرهم كما هُ نعم النصير

ذا هُ سلطان كما يقال سلطان

إن يحكم بالسنة والقـــــــــرآن

وذ كا لس نفس عليه شيطان

ينتلف عنـده الذكا   ويحيـــير

ما في علمي وما سعت نقــول

ندر إنك نصرت دين الرسول

وربطت وكان بعد محــــــلول

حتى لس كان بقي لُ غيريســــــــير

و في رثاء أمير المسلمين ابن تاشفين، قال الشاعر أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره[38] :

ملك الملوك وما تركتَ لعامل   عملا من التقوى يُشارَك فيه
يا يوسف ما أنت إلا يوسف   والكلُّ يعقوب بما يطــويه
إسمع أمير المؤمنين وناصر الـــــدين الذى بنفوسنا نُفَــــديه
جوزيت خيرا عن رعيتك التى   لم ترض فيها غير ما يُرضيه
أما مساعيك الكرام فإنهـــــا   خرجت عن التَّكييف والتَّشبيه
فى كل عام غزوةٌ مبرورة   تُرْدى عديد الروم أو تُفنيه
تصل الجهاد إلى الجهاد موفَّقا   حَتَم القضاءُ بكل ما تقضيه
ويجيءُ ما دبَّرته كمجيئـه   فكأنَّ كلَّ مُغَيَّب تدريــه
متواضعا لله مظهــرُ ديــنه   فى كل ما تبديه أو تخــفيه
ولقد ملكت بحقِّك الدنيا وكم   ملَك الملوكُ الأَمرَ بالتَّمويــه

لو رامت الأيام أن تحصى الذى فَعَلت سيوفُك لم تكد تُحصيه

إنا لمفجوعون منك بواحد جُمعت خُصال الخير أجمع فيه

وإذا سمعت حمامة فى أيكة تبكى الهديل فإنها ترثيه

وميضٌ قد استرعى رعيّة أُمة فأقام فيهم حقّ مُسْترعيه

وإذا هِزَبْر الغاب صرَى شِبله فى الغاب كان الشّبل شِبْه أبيه

وإذا علىٌّ كان وارث ملكه فالسهم يُلقى فى يَدَى باريه

الأمير أبي الحسن علي بن يوسف

ومما ذكره الشاعر الملزوزي في أرجوزته قوله في بعض أخبار الأمير علي بن يوسف[39] :

فقيل لابن يوسف على ❀ هذا الذى ندعوه بالمهدى

صاحب هذا الدرهم المركن ❀ ملكك ان بويع لم يؤمن

ان أنت لم تصنع له كبولا ❀ يكون فيها ، فاستمع طبولا

وما لما شاء الاله دافع ❀ فانه لا شك فاعلم واقع

ثم نفاه فأتى المقابرا ❀ فصار فيه للقبور عامرا

قال له على قد نهيتكا ❀ عن بلدى فلم هنا رأيتكا ؟

ومما ذكره صاحب الحلل قوله في جواز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة ست و تسعين و أربعمائة، برسم التجول في الأندلس، والنظر في مصالحها، و كان معه إبناه الأميران. أبو طاهر تميم، و أبو الحسن علي ، المتولى بعده ، و كان أبو الحسن علي أصغر سنا، فقال فيه أحد الشعراء الأندلسيين كلاما نبه فيه على مجده و شرفه[40] :

وان كان فى الاسنان يحسب ثانيا
على فى العلياء يحسب أولا

كذلكم الايدى سواء بنانها
وتختص فيهن الخناصر بالحلا

وللأديب الشاعر أبو العباس التطيلي، قصيدة في مدح الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، منها [41]:

كَمْ مُقْلةٍ ذهبتْ فى الغَىِّ مَذهَبها بنَظــرةٍ هى شَانٌ أوْلهَــا شَانُ
رَهنُ بأضغاثِ أحلام إذَا هَجعت ورُبّمـا حَلُـمت والمرءُ يَقظـانُ
فانظر بعَقلكَ إنّ العَيـنَ كاذبـةٌ واسمعْ بسَمعك إنّ السَّمـعَ خَوَّانُ
ولا تَقُـلْ كلُّ ذى عيـنٍ له نَظَـر إنّ الرُّعـاةَ ترى ما لا ترى الضأن
دَعِ الغِنَى لرجالٍ يُنصتون لــه إنّ الغِنــى لفضُولِ الهَـمِّ مِيـزانُ
واخلَع لَبُوسَكَ مِن شُحٍّ ومن أمَـلٍ لا يقطعُ السَّيفُ إلاّ وهـو عُريانُ
وصاحب لم أزلْ منهُ على خَطـرٍ كأنّنى عِلْـمُ غَيبٍ وهـوَ حسَّانُ
أغْـراه حَظٌّ .تَوخّـاه وأخطَـأنى أما دَرىَ أنَّ بعض الرِّزقِ حِرمانُ
وغَـرّه أنْ رآه قد تقدَّمنـى كما تَقـدَّم باسمِ اللهِ عُنـوانُ

وله أيضا يمدحه بقصيدة طويلة، أولها:

طَليعـةُ جيشِكَ الـرّوحُ الأميـنُ وظـلُّ لِوَائِك الفَتـحُ المُبيـنُ
وهِـزّةُ رُمحكَ الظَّفـرُ المُـوَاتى ورَونقُ سَيـفكَ الحَـقُّ اليَقيـنُ
وبَـعضُ رِضاكَ للآمالِ دُنْيـا وشُكـرُ قِراكَ للآمالِ ديـنُ

وله هذه أيضا في مدحه[42] :

حنــانيــك للعــلا حصن حصين وذكرك للمنى دنيــا ودين
تشـوفت الملــوك هــوى وذعراً إلى ملــك يــدان ولا يــدين
إلى متهلــل القسمــات طلــق كــأن سنــا الصبــاح لــه جبين
جـواد بــالــديــار ومــا حوتــه ولــو أنّ الــرمــان بهــا ضنين

تعــز بـــه الركـــائب والقـــوافي	إذا كـــانت بـــأقـــوامٍ تهـــون
أبـــا حسن ومـــولى كــل حسن	دعـــــاءً لا يميـــــل ولا يمين
أدرت على البسيطـــة كـــأسَ طيبٍ	تعـــاطتْـــه السهـولـــة والحـــزون
طليعـــة حيشـــك الظفر المـــواتي	وظـــل لـــوائـــك الفتـــح المبين
وليُّ العهـــد لي بهـــواك عهـــد	كـــأنَّ مـــدائحي منـــه يمين !

وللتطيلي أيضا في مدحه[43] :

يا على العـــلاء فى كل يوم	وما أنت الملك بالســـائس
يا ربيع البـلاد يا غيمـة العـا	لم من بين مؤتـل ومـوال .
يا قريع الأيام عن كل مجـــد	يا سليل الأذواء والأقيـــال
لك من تاشـــفين أو من أبى	يعقوب ذكرى مكارم وفعال

وأخرى في نفس الغرض المذكور[44] :

اركَـــبْ إذا دارَت رَحاهـــا وانـــزِلِ	وقُـــل إذا صَـــمَّ صـــداها وافعَـــلِ
واقـتصَّ واسـتوفِ وهـب فاحتفِـلِ	وابلُغْ بـأدنى الـسَّعي أقـصى الأمـلِ
في عُمُـــرِ الـــشِّعر وسَـــيْرِ المثَـــلِ	ورُتبـة الوُسـطى مـن العِقـد العَـلي
وجهُـك بالإحـسان والحُـسن مَـلِي	وأنـــت للـــدّنيا ولِلـــدِّين وَلي
نِيطـت بـكَ الآمـالُ فـاقطَعْ وصِـلِ	وهـــذه الـــدّنيا فـــوَلِّ واعـــزِلِ

وهذه قصيدة أخرى للشاعر أبو العباس التطيلي أيضا، في مدح محمد بن عيسى الحضرمي، جاء فيها ذكر الأمير علي بن يوسف، و هذه أبيات من القصيدة[45] :

سلِ الدينَ والدنيا هل ابتهجا به كما انجاب من ضوءِ النهارِ ضباب
نضاه أميرُ المسلمين مهنّداً له الحلمُ متْنٌ والمضاءُ ذباب

و مما ذكره صاحب المطرب، من قصيد في مدح الأمير علي بن يوسف، لبعض أهل بلاده حسب ذكره[46] :

أراكَ ملأت الخافقَين مهابةً لها ما تُليح الشّهبُ في الخفَقانِ
وتُغضي العيونُ عن سنَاكَ كأنّها تُقابِلُ منك الشّمس في اللّمعان

وهذا الشاعر أبو بكر بن سهل اليكي الذي خاطب الأمير علي بن يوسف في شأن بني معيشة، و كانوا قد ظهرت منهم حركة ببادیس[47] :

عليٌّ حَمَى المُلْك من ساسة وما أنتَ للمُلْكِ بالسّائِسِ
منَ السُّوس أصبحت تخشى النفاق وقد جاءك النحسُ من بادِس

وقوله[48] :

تسمّعْ أمير المسلمين لنَبْأَةٍ تُصَمُّ لها الآذانُ في كل مَشْهَدِ
بمُرْسيَة قاضٍ تجاوزَ حَدَّهُ وأخطأ وَجْهَ الرُّشْدِ في كلِّ مَقْصِدِ
يطالبه الأيتامُ في جُلِّ مالِهم ويطلبه في حقِّه كلُّ مَسْجِدِ
فما بيَّضَتْ كفَّاكَ بالعدْل لم تزل تُسَوِّدُه بالجَوْر كفُّ ابن أسْوَدِ

وهذا الشاعر أبو بكر بن سوار يذكر الأمير علي، في قصيدة نظمها في القاضي أبي الحسن بن القاسم، عند انصرافه من حضرة أمير المسلمين[49] :

مضيتَ بوجهِ السَّعْدِ وهو طليقُ ... وأبْتَ بثوب النجح وهو يروقُ

لقيتَ أميرَ المسلمين مقرَّباً ... كما يتلاقى شائق ومشوق

رآكَ وللإسلام نُصْحُكَ كُلُّهُ ... وعهدُكَ في ذاتِ الإله وثيق

تلقَّاكَ بالبشر الذي أنت أهْلُهُ ... فقالوا : أب حانٍ عليه شفيق

وهذا الفقيه الأديب محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي، يمدح الأمير علي بن يوسف بقوله[50] :

رحـــلوا الركايب موهناً ... فأذاع عُرْفُهم السّنـــــا

والحلي قـد أغرى بهم ... لمـا ترنّم مُعلنـــــا

كم حنّ حـــول حِماهم ... من كل خطّار القَنـــا

وهذه نونية الشاعر الأعمى التطيلي والتي يشيد فيها بما حققه الأمير علي بن يوسف عند جوازه الثاني للأندلس[51] :

نمى **طلبيرة** الـدنيـا حـديثـا ... لـه في كـل قـاصيـة شجـون

وكيف رأت طليطلـة العـوالي ... بحيث (تغيث) بـاسمـك أو تعين

نسقت حبـالهـا بحبـال مـوت ... تـدور بهـا رحى الحرب الطحـون

سيشكر سيفـك الإسـلامَ عنهـا ... وإن أبت الغـلاصم والشئـون

لأمر مـا رددتَ الخيـل عنهم ... وقـد جعلت محـاينهم تحين

وأسـوتـك الرسـول وإن يشكُـوا ... **فعنـد** جهينـة الخبر اليقين !

وهـادن أهـل مكـة عن حِمـاهـا ... وقـد تكفي عن الحرب الهُـدُون

فـإن **تُحرز طليطلـة** الليـالي ... فسيفـك يـا عليُّ بهـا ضمين !

أبـا يعقـوب أنت نـدى وبـأس ... وإبراهيم أنت وتـاشفين !!

أبـا حسن وغـبـة كـل حسن ... وفعلـك لا يضم إليـه سين !!

ومما قاله أيضا في الأمير المذكور[52] :

بين سمر القنـــــــا وبيض الصـــــــال طُرُق المهتـــــــــدين والضُّـــــــلال
فـــــإلى الأمن والأمـــــانـــــة أوفى غمراتِ الأوجـــــــال والآجـــــــال

☆ ☆ ☆

لـــــك ملـــــك الملـــوك في البر والبحـ ـــر وأثنـــــاء الحـــل والترحـــــال !
أنت قـــــدت الجيـــــاد مثـــل بنـــات العصم أو مثـــل أمّهـــات الرّئـــــال
قـــــد جبت العـــــدا ذلـــولاً وصعبـــاً واشتريتَ العـــلا رخيصـــا وغـــالي
وبلغت المـــــــدى وزدت عليــــــه لا تبـــــالي، وقـــل من لا يبـــالي !
إمرة المسلمين أيسر شـــــأنيـــــك إذا خطـــــــــــةٌ ثنت عطف والي
ومحـــل السمـــاك أدنى مكـــانيـــك وإن كـــان عـــاليـــا كـــل عـــالي
وجهـــاد العـــدو أولى زمـــانيـــك بطيب الغــــــدو والآصـــــــال
أو جســـوا منـــك خميـــة، وتُهـــاب النبـــل قبـــل استـــدادهـــا بـــالنصـــال
لهجـــوا من عـــلاء شـــأنـــك بـــاسمٍ ســـوف يجري لهم بـــأبرح فـــال
يـــوم يغشى ديـــارهم قبلـــك الرعب على نخـــوة بهـــا واختيـــال

لما تغلب العدو على ميورقة كتب العالم عبد الحق بن عطية رسالة بديعة وختمها بقصيدة يذكر فيها أمير المسلمين و لعله علي بن يوسف بن تاشفين ومنها[53] :

ونحو أمير المسلمين تطامحت نواظر آمال وأيدي رغائب
من الناسِ تُستدْعَى حفيظةُ عدله لصدمةِ جَوْرٍ في مَيُورَقَ ناصب
مقيمٍ فإن لم يرغم السعد أنفه ألَمَّ فوافى جانباً بعد جانب
لقتلٍ وسبيٍ واصطلامٍ شريعةٍ لقد عظمت في القوم سُوءُ المصائب
أليس جديراً أن يُشَيِّعَ ذكرهم بأنّةِ قلبٍ في المدامع ذائب
لنا الله والملك الذي ترتجى به من الزمن المِذْنَابِ رجعة الكتائب
هو الغوثُ فاعطفه علينا بنظرةٍ من الحزم تحثو في وجوه النوائب
أليس الذي لم ينجب الدهرُ مثله أغرّ صباحِ الدين صَدْقُ المضارب

ومما ذكره صاحب الإحاطة، ما كُتب به لأمير المسلمين علي، وكان سبب عزل ونكبة والي غرناطة محمد بن ياسر العنسي والذي كان يكنى أبا بكر، و هذا قوله[54]:

{... و لذلك ما سعى به المخزومي الأعمى، و قد سها عن رسم تفقده، فكتب إلى علي بن يوسف في شأنه بما كان سبب عزله و نكبته:

إليك أمير المؤمنين نصيحة يجوز بها البحر المُجَعجع شاعر

بغرناطة ولّيت فى الناس عاملاً ولكن بما تَحْويه منه المآزر

وأنت ما تَخفى عليك خَفِيَّةٌ فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر

وما لإلآه العرش تفنيه حَمْدةُ وزينبُ والكأس الذى هو داير

...}

وللأمير أبي بكر ابن تافلويت في سيف هزه الأمير علي، ارتجالا[55] :

هزَزْتَ حُساما فشبَّهتُه غَديراً من الماء لكن جَمَد

فلمَّا بدا لِيَ إفرنده لَهيباً من النار لكن خَمَد

فلولا الجُمُود ولولا الخُمُود لَسَال لَدَى الهزّ أو لاتَّقد

الأمير أبي المعز تاشفين بن علي

و قد ذكر الشاعر الملزوزي في أرجوزته المذكورة، خبر الأمير تاشفين بن علي بن يوسف، حيث قال[56] :

ثم تولى تاشفين بن علي ❀ وملكه من بعدهم لم يكمل
تنكرت عليهم الأيام ❀ كأنما ضياؤها ظلام
لما انقضت لتاشفين المده ❀ لم يغنه مال وحسن عده
ورجع التدمير فى التدبير ❀ والمال بالتبذير كالتقصير
ولم يزل نجل على تاشفين ❀ فى اشرق ذا خوف من الموحدين
يحكم فى وهران مع تلمسان ❀ وملكهم عفت عليه الأزمان
وملكت مراكش وغيرها ❀ وصار شراً لذويه خيرها

وهذا الكاتب الأديب أبو الأصبغ بن أرقم، يمدح الأمير تاشفين بن علي في قصيدة طويلة مطلعها[57] :

أيا أيّها الملكُ الأعظمُ ❀ أضاءَ بكَ الزمنُ المظلمُ
وزيّنه منك تلك العلا ❀ كما ازدانَ بالغُرَّةِ الأدهم
أدال الشقاءَ لنا بالنعيم ❀ فينعمُ مَنْ كان لا ينعم
وأقبلَ مستعتباً مثلما ❀ تَنَصَّلَ من جُرْمِهِ المجرم
فنشكرُ نعمى أتانا بها ❀ ولا بدّ أن يُشْكَرَ المنعم
نهضتَ وحولك لمتونة ❀ كما حفَّ بالقمرِ الأنجم

ومما ذكره صاحب البيان المغرب قوله[58] :

{... توفي صاحب بلنسية محمد بن يوسف يدر وتولاها ينتان بن علي اللمتوني – أصغر أبناء علي بن يوسف – فقرن الله بذلك... وظهر بالروم و سيق رأس زعيمهم غشتون إلى غرناطة في شهر جمادى الآخرة، فنصب على ذروة رمح و طيف به الأسواق و السكك و شهر بضرب الطبول، و أغذ به البشير إلى أمير المسلمين علي بن يوسف و هو بمراكش؛ فأنشد الأمير تاشفين أبو بكر محمد بن يوسف شعرا ارتجالا، و هو:

بِسَعْدِكَ شبَّتْ في الأعادي لظى الحربِ　　فجاءك ما تَهوى من الشرقِ والغربِ

وقد كنتَ بشَّرْتَ الأميرَ بأنّها　　بَعيدُ مسَرّاتٍ تجيءُ على قُربِ

فقد أنجَزَ الرّحمنُ بالنّصرِ وعدَهُ　　وسهَّلَ أمرًا كان في غابةِ الصّعبِ

فخَيلُك قد ألقَت بإيلانَ بَرْكَها　　وأمضتْ على غشْتُونَ بالطّعنِ والضّربِ

وجاءك منها رأسُ غشْتُونَ مُخبِرًا　　على جسَدٍ للرُّمح كفًّا على...

صوتًا احر المسى في لسانِه...　　ولكنه في الحال من أفصح العُربِ

وما هذه من تلك أعظمُ نعمةً　　ولكنّه تِربٌ أُضيف إلى تِربِ

....　　على البرى وقرب إلى الحبِّ

وقيل في ذلك:

يا تاشَفينُ وقطبُ الحربِ عاطشةٌ　　وليس إلا دمُ الأعداءِ يُرويها

قد راسلَتْكَ ملوكُ الرّوم صاغرةً　　في السِّلم إذ كادت الهيجاءُ تُفنِّيها

فخيلُها الكُمْتُ مُلقَى البِيد وادعةٌ　　وكُمْتُك الخيلُ تعدو في مغانيها

تَخشى عقابَك في أقصى منازِلِها وتطلُبُ العفوَ من أعلى صياصيها

إذا أتَتْ رُسْلُها جاءتك مُقبلةً والسيفُ من غِمدِه سرًّا يُناجيها

تخافُ بحرَ نَداك الغمْرَ يُغرِقُها وتتّقي الشَّزْرَ من مَرآكَ يَعشيها

لا تَسمعُ القولَ إلّا أن يُحرِّكَها ولا ترى الشخصَ إلا أنْ يُناديها

تملَّكَ الرُّعبُ منها كلَّ جارحةٍ فما لأعضائها فعلٌ يُواتيها

فاهنَأْ فإنّ بلادَ الله أجمعَها إليك تكفُلُ مَن فيها وتَكفيها

{...

ومما قاله الشعراء عندما صدرالأمير تاشفين بن علي إلى غرناطة ظاهرا وظافرا[59] :

ركبتْ رَدْعَها جيوشُ الضلالِ وسَرَتْ من رماحِها بذُبالِ

مُلقياتٍ دروعَها لا لوقتٍ فيه تقض... الجلود وغشى الصلالِ

حثّ في إثْرِها الأميرُ بعُقْبا نِ جِيادٍ هوَتْ بأُسْدِ رجالِ

ومنها:

أنت يا تاشَفينُ والله واقٍ لكَ نفْسُ العُلى وشخصُ الكمالِ

ليس آمالُ مَن على الأرضِ إلّا أن تُرى أنت غايةَ الأعمالِ

وهنيئًا بأنْ نهَضْتَ وأقبلـ ـتَ حميدَ النّهوض والإقبالِ

ومنها:

رُبَّ أشياءَ ليس يُبلَغُ منها كُنْهُ ما في النفوس بالأقوالِ

غيرَ أنّ الكلامَ أنْ جَلَّ قَدْرًا ... وعاينت فوقَه بالفِعالِ

ومما أنشده الشعراء في تهنئة الأمير تاشفين بن علي في غزوه، ووصفهم للهزيمة التي ألحقها بالروم، هذه القصيدة[60] :

أمّا وبيضُ الهندِ عنك خصومُ / فالرومُ تبذُل ما ظُباك تَرومُ

تمضي سيوفُك في العِدى ويرُدُّها / عن نفسِه حيث الكلامُ رحيمُ

دارٌ جعلتَ بيوتَها قُطبًا لها / أبدًا على قِمم الملوكِ تحومُ

وكأنّها الفُرسانُ قد عرِقت بها / فطفَت وغاصَت أرؤسٌ وجسومُ

جاسَتْ خلال ديارِهمْ وحُماتُها / في كلِّ واد بالفرارِ تَهيمُ

لله يا يومَ العروبة إنه / يومٌ على الدِّين الكريم كريمُ

فتحٌ عظيمُ القَدْر يُمنٌ بِشرُهُ / فتحٌ يقِلُّ لقدره التعظيمُ

يستفتح البلدان سَعْدُك طالعًا / من بعدِ إقليم عنا إقليمُ

خضَعت ملوكُ الروم في بلدانِها / لأغرَّ قام بتاجِه التعميمُ

... الكتائب بعدَ سيرٍ والتي / فَنِيت بصارم تاشَفينَ الرّومُ

هذي سماءُ المُلك الجمه / .... النفاق ......

وأنت أميرَ المسلمين .... / ....

ولما استقر الأمير تاشفين بقرطبة أنشده الشعراء، فقال فيه الفقيه أبو بكر يحيى بن يوسف الأنصاري قصيدة طويلة يمدحه و يعظمه ومنها[61] :

يا أيها الملأ الذى يتقنع / من منكم البطل الهمام الاروع

ومن الذى غدر العدو به دجى / فانفض كل وهو لا يتزعزع

تمضي الفــوارس والطعان يصدهــا
عنـــه ، ويدعوهـــا الوفـــاء ، فترجـــع
والليل من وقع السنابك بينهم
صبــح عــلى هـــام الكمـــاة ملمـــع
عـــن أربعين ثنـــت أعنتهـــا دجـــى
ألفـــان ، ألـــف حاســـر ، ومقنـــع
لولا رجـــال كالجبـــال تعرضـــت
ما كـــان هـــذا السيـــل ممـــا يـــردع
يتقحمـــون علـــى الرمـــاح كأنهـــم
ابـــل عطـــاش والأسنـــة مكـــرع
ومن الدجى لم على قمم الربى
وذؤابـــة بـــين الظبـــا تتقطـــع
فثبـــت والاقـــدام تزلـــق والـــردى
حـــول الســـرادق والأسنـــة تقـــرع
لا يعظمـــن عـــلى الامـــير فانهـــا
خـــدع الحروب وكل حـــرب تخـــدع

ومنها:

أو مـــا ليوســـف جـــده مـــن علـــى
كـــل وفضـــل سابـــق لا يدفـــع ؟
أو ما لوالـــده علـــي نعمـــة
وبكـــل جيـــد ربقـــة لا تخلـــع
أبطأتـــم عن تاشفـــين ولـــم يـــزل
احسانـــه لجميعكـــم يتســـرع
خاف العدا ، لكـــن عليكـــم مشفـــق
فهجعتـــم ، وجفونـــه لا تهجـــع

وبحلول عيد الفطر، أنشد الشعراء قصائد للأمير تاشفين بن علي، منهم الفقيه أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف، حيث قال من قصيدة[62] :

عرَفتُ والليلُ مُزوَرٌّ على الأُفُقِ خَفيَّ مَسْراكِ في الظَّلماءِ والغَسَقِ
يا بانةً كلّما افترَّ الصّباحُ لنا ألقى النّسيمُ عليها نفْسَ مُعتبِقِ

ومنها:

لا تعدِلنْ تاشَفينَ... ملكًا طِعانُه وعطاياه على نَسَقِ
يا أكرمَ الناس عفوًا عندَ مقدرةٍ وأجملَ الناس في خَلْق وفي خُلُقِ
قد نافَسَ العيدُ أعيادًا لك اطّردت على الفتوح اطّرادَ الخيل في الطَّلَقِ
فاهنَأْ بعيدِك من أعيادِ ذي ظَفَرٍ له نظائرُ تأتي بعدُ في نَسَقِ
لا زال مُلكُك يعلو كعبُهُ أبدًا هامَ الملوكِ كما تعلو على السُّوَقِ

وهذا الكاتب الشاعر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ويعرف بابن الصيرفي، والذي كان قد أنشد الأمير تاشفين في هلاك ألفونسو ملك أراجون [63] :

أَشكو الغَليل بحيث المشْرب الخضر حسبي وإلاَّ فورِدٌ ماله صدْرُ
تجهَّمت لي وجوه الصبر مُنْكرة ولاحظتني عيونٌ حشوها حَذَر
إني لأَجْزَع من ذاك الوعيد وفي ملقى الأَسنَّة منَّا مَعْشَرٌ صبر
فلَّت سلاحي الليالي أَيُّ ظالمة ولو أَعادَتْ شبابي كنتُ أنتصر
مُشَيِّعا كنت ما استصحبتُ من أمل كما يُشَيِّع سهمُ النَّازع الوَتِر
فها أنا وعزيز في نامِسَة تسود في عينه الأَوْضاح والغُرَر

ومنها:

وبين أجفانه نهيف الأمير أبي ... محمد تاشفين أو هو القدر
سيف به ثل عرش الروم واطادت ... قواعد الملك واستولى به الظفر
وأدرك الدين بالثار المنيم على ... رغم وجاءت صروف الدهر تعتذر
منى تنال وأيام مفضضة ... مذهبات العشايا ليلها سحر
وفي الذؤابة من صنهاجة ملك ... أغر أبلج يستسقى به المطر
مؤيد من أمير المسلمين له هوى ... ورأى ومن سير له سير
أنحى على الجور يمحو رسم أحرفه ... حتى استجار بأحداق المها الحور
يا تاشفين أما تنفك بادرة ... من راحتيك المنايا الحمر تبتدر

وهي قصيدة طويلة، وهذه أخرى له في مدح الأمير تاشفين بن علي أيضا، و الإشادة بأعماله الحربية و وقائعه المظفرة في عدوة الأندلس[64] :

يا أيها الملك الذى يتقنع ... من منكم البطل الهمام الأروع
ومن الذى غدر العدو به دجى ... فانفض كل وهو لا يتزعزع
تمضى الفوارس والطعان يصدها ... عنه ويزجرها الوفاء فترجع
والليل من وضح الترايك والظبا ... صبح على هام الكماة ممنع
عن أربعين ثنت أعنتها دجى ... ألفان ألف حاسر ومقنع
لولا رجال كالجبال تعرضت ... ما كان ذاك السيل مما يردع
يتقحمون على الرماح كأنهم ... إبل عطاش والأسنة تكرع

ومنها:

لولا ثبوتك تاشفين لغادرت ... أخرى الليالى وهَيْبَةٌ لا تُرقَع

فثبتَّ والأَقدام تزْلق والردَّى ... حول السُّرادق والأَسِنَّة تقرع

لا تعظُمَنَّ على الأَمير فإنها ... خِدَع الحروب وكل حرب تَخْدع

ولكل يوم حَنْكة وتمرُّس ... وتجارب فى مثل نفسك تَنْجع

يا أَشجع الشجعان ليلة أَمْسِه ... اليوم أَنت على التجارب أَشجع

أهديك من أَدب الوَغا حِكَما بها ... كانت ملوك الحرب مثلك تُولع

لا أَنَّنى أدرى بها لكنها ... ذكرى تخُصُّ المؤمنين وتَنْفع

اختر من الخلق المضاعفة التى ... وصَّى بها صُنْع السَّوابغ تُبَّع

والهند وانى الرفيق فإنه ... أمضى على حلْق الدلاص وأقطع

ومن الرواجل ما إذا زعزعته ... أعطاك هزَّة معطفيه الأَشجع

ومن الجياد الجُرْد كل مُضَمَّر ... تُشْجى بأَرْبُعه الرياح الأَربع

والصَّمَّة البطل الذى لا يلتوى ... منه الصَّليب ولا يلين الأَخْدَع

ومنها:

أبطأْتم عن تاشفين ولم يزل ... إحسانه لجميعكم يتسرَّع

رُدَّت مكارمه لكم وتوطَّأت ... أكنافُه إن الكريم سُمَيْدع

خاف العِدى لكن عليكم مُشْفِقا ... فهجعتم وجفونه لا تَهْجع

ومن العجايب أنه مع سنِّه ... أَدْرَى وأشهر فى الخطوب وأَضْلع

ولقد عفا والعفو منه سجيَّةٌ ... ولسطوةٍ لو شاءَ فيكم مَوْضع

يا تاشفين أقم لجيشك عُذْره ... فالليل والقَدَر الذى لا يُدفع

وهي أيضا قصيدة طويلة، ومما مُدح به الأمير تاشفين بن علي، ما ذكره صاحب الإحاطة، فمن ذلك[65] :

أما وبيضُ الهند عنك خصوم فالرّوم تبذل ما ظباك تَرُومُ

تمضى سيوفُك فى العدا ويردها عن نفسه حيث الكلام وخيم

الباب الثاني:

باقي الأمراء المرابطين

أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين

وهذا الشاعرابن خفاجة، يمدح الأمير ابراهيم ويذكر محاصرته لحصن المؤريلة، ويهنئه بتقلده ولاية اشبيلية[66] :

أَرَأيُـكَ أَمْضـى أَمْ حُسـامُـكَ يَقْطَـعُ، ومَـرْآكَ أَبْهـى أَم حَـدِيثُـك يُسْمَـعُ؟
وكـلّ لـه، في جانـبِ المُلـكِ، مَسْلَـكٌ كـريـمٌ، ومِـنْ نَفـسِ الإمـارَةِ مَـوقِـعُ
لكَ الخيرُ ما أَهْداك، والسَّهمُ صائبٌ يَطِيشُ، ومـا أَعْداكَ، والخيـلُ تَمـزعُ
ولا غيـرَ أَطـرافِ الأسِنَّـةِ مِقْـوَلٌ يُبِيـنُ، ولا غيـرَ الفَـرائِـصِ مِسْمَـع
وما الوَشيُ، حُسناً، غيرَ بِيضٍ محاسنٍ لَبِسـتَ علـى عِطْفَـي عُـلاكَ، وتَخلَـعُ
ولا النَّجـمُ، نـأيـاً، ذُروَةَ معْقِـلٍ، تَـذُودُ العِـدى عـن جـانبَيـه، وتَمْنَـعُ
تَفُـوتُ رجـاءَ المُـرتَجِيـنَ وُعـودُه، ويَـدنُـو بـه سَعـدُ الأميـرِ، فيَطْمَـعُ
أَحَطْـتَ بـه حَصـرَ الإحـاطَـةِ مُضْعِفـاً، تُـزَلـزِلُ مِـن أركـانِـه وتُضَعْضِـعُ

ومنها:

فمَـن مِثـلُ إبـراهِيـمَ، والصُّبـحُ أَبلَـجٌ؛ ومَـن مِثـلُ إبـراهِيـمَ، والحـقُّ أصـدعُ؟
إمـامٌ تَـدانَـى رَأفـةً، وسَمـا بـه، إلى المجدِ، بَيتٌ، طاولَ النَّجم، أَرْوعُ
تَجَلَّـى، ومـن بَطْحـاءَ مكَّـةَ حَنَّـةٌ إليـه، ولِلْبَيـتِ الحَـرامِ تَطَلُّـعُ
تـرى لقُـرَيـشٍ فيـه بَـرقَ مَخيلـةٍ يَلُـوحُ، وعِـرْقـاً للخِـلافـةِ يَنـزَعُ
أَمـا وأيـادٍ أَنْطَقَتْنِـي بِحَمْـدِه، وقـد طَـوَّقتْنِي ، والحمـامـةُ تَسجَعُ
لئِـن هُـزَّ مـن أرجـاءِ حِمـصَ، مَسَـرَّةً، حـديـثٌ بمَلْقـاهُ إليهـا يُـرَجَّـعُ

ومما قاله أيضا في الأمير ابراهيم، يمجد مكارمه ويعدد مناقبه[67] :

سجَعْـتُ، وقـد غنَّـى الحَمـامُ فـرَجَّعـا، وما كنـتُ، لَـولا أَنْ يُغَنِّـي، لأسْجعـا

وأَنْـدُبَ عَهـداً بـالمُشقَّـرِ سـالِفـاً، وَظِـلَّ غمـامٍ، للصِّبـا، قـد تقشَّعـا

ولـم أَدرِ مـا نَبكِـي: أَرَسْـمَ شَبيبـةٍ عفا، أَمْ مَصِيفاً، مِن سُلَيْمَى، ومَرْبَعا

وَأَوْجَـعُ تَـوديـعِ الأحِبَّـةِ فُـرقَـةً، شَبـابٌ علـى رُغْـمِ الأحبَّـةِ ودَّعـا

ومـا كـانَ أَشْهـى ذلـك اللَّيـلَ مَـرقَـداً؛ وأَنْـدى مُحيًّـا ذلـك الصبـحِ مَطْلِعـا

ومنها:

ولمَّـا انتْحـى ذكْـرَ الأمِيـرِ استَخَفَّـه، فخَفَّـضَ مـن لَحـنِ الصَّهيـلِ، وَرفَّعـا

حنينـاً، إلـى المَلْـكِ الأغَـرِّ، مُـردَّداً، وشَجْواً، على المَسرى القصِيِّ، مُرجُعا

ففـي حُـبِّ إبـراهِيـمَ أعـربَ صـاهِـلاً؛ وفـي نصـرِ إبـراهِيـمَ كَـرَّ تَشَيُّعـا

مَلِيـكٌ تَبـاهـى الحَمْـدُ وَشْيـاً مُـذَهَّبـاً بـه، وتَـراءَى المَجـدُ تـاجـاً مُـرَصَّعـاً

غَشِيـتُ بـه أَنْـدى مـن المُـزنِ راحَـةً، وأَطْيَـبَ أَفْيـاءً، وأَمْـرَعَ مَـرْبَعـا

طَمـى الجُـودُ فـي يُمنـاهُ بَحـراً، ورُبَّمـا تَـدَفَّـقَ فـي أرجـائِهـا فتَـدَفَّعـا

وأَعْـدى نَـداهُ الغَيـثَ، فـانهـلَّ واكِفـاً؛ وَحسبُـكَ مِـن سُقيـاهُ أَنْ سَجَمـا مَعـا

فـرُبَّ حَـديـثٍ، عـن عُـلاهُ، سَمِعتُـه، ومـا طـائِـرُ البُشْـرى بـأحسَـنَ مسمَعـا

ولقاضي شاطبة أبو الحسن طاهر بن نيفون في مدح الأمير إبراهيم بن يوسف، هذين البيتين[68] :

أَيا ملكاً أَولانىَ العزَّ والغِنَى وصيَّرنى بعد الخمول مُكَرَّمَا

وأبصرنى فى الأرض مُلْقًى مذَلَّلاً فرفَّعنى بالعزِّ والجاه للسَّمَا

وهذا أبو عامر بن عقيد و هو كاتب الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، يكتب إليه شعرا، بعد أن رفع عنه إليه أنه يفشي سره[69] :

أتأخُذُني بذنبٍ ثم تَنْسَى من الحسنات ألفاً ثم ألفا

وتتركني لأسياف الأعادي وليس يهزّ قولي منك عِطْفا

كأنك ما ثنيتَ إليَّ لحظاً كأنك ما مَدَدْت إليَّ كفًّا

جعلتَ أبي على رجلي وما إنْ له ذَنْبٌ يهانُ بِه ويُجْفَى

تميم بن يوسف بن تاشفين

وللأديب البليغ أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم، قصيدة في تميم بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ومطلعها[70] :

على المُرْهَفَات البيضِ والسُّمرِ المُلْدِ تدور رَحَى المَلْكِ المتوَّج بالمَجْدِ

ومنها :

بلُقيا تميمٍ تمَّ لي كلُّ مطلب ونلت المُنى تفترّ سافرة الخَدِّ

وهذه قصيدة الأديب أبا إسحاق بن خفاجة الطويلة و التي مدح فيها الأمير تميم، منها [71] :

عليه يمينٌ أن تفيضَ يمينُهُ وألا يغضَّ الجفنَ جفْناً على وترِ
ووجهٌ وضيءٌ شفَّ عنه لِثامُهُ كما شفَّ رقراقُ الغمامِ عن البدرِ
سرى بين نُوّارٍ لِزُرْقِ أسنّةٍ حِدادٍ وأوراقٍ لراياته خُضرِ
فهزّتْ إليه عطفها كلُّ رايةٍ تهزُّ عليه الغُصنَ في الورقِ النضرِ
وحنَّ إليه كلُّ وَرْدٍ محجّلٍ كأنَّ لُجيناً سال منه على تبرِ
يجولُ فتجري في عِنانٍ به الصَّبا ويزخَرُ في لبدٍ به البحرُ في البرِّ
وأشهبَ وضّاحٍ تحمّلَ رُقعة من الحُسنِ لم تعثرْ بها العينُ في بشرِ
تخُطُّ سطور الضّربِ يوماً بها الظّبا ويُعجِمُها وخزُ المُثقفةِ السُّمرِ
وتدرجُ منهُ السّلمُ ما ينشرُ الوغى فطوراً إلى طيٍّ وطوراً إلى نَشرِ
وأدْهمَ لولا أنّه راق صُورةً لما عرّفتهُ العينُ من ليلةِ الهجرِ
طويلُ سبيبِ العرفِ والعُنقِ والشَّوى قصيرُ عسيبِ الذَّيلِ والأذنِ والظّهرِ

تميمة بنت يوسف بن تاشفين

ومما ذكره صاحب النبوغ قوله: { كانت الأميرة تميمة بنت يوسف بن تاشفين بارعة الحسن، تامة الأدب، فرآها يوما كاتبٌ لها وكانت قد أمرت بمحاسبته وبرزت لذلك، فبُهت. ولما نظرت إليه عرفت ما دهاه، وفطنت لما عراه، فأومأت الى نفسها وأنشدته[72] :

هِيَ الشمسُ مسكنُها في السماءِ فعزِّ الفُؤادَ عزاءً جميـــلا
فلَن تستطيعَ اليهـــا الصُّعُودَ ولن تستطيعَ اليـــك النُّزولا

...}

زينب بنت علي بن يوسف

وللكاتب أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن المواعيني قصيدة يمدح بها زينب بنت علي و مطلعها[73] :

طابتِ الصهباءُ فى أفواهِهمْ حيث أبْدَوْا من ثُغُورٍ حَبَبَا

أبو بكر بن تافلويت

ومما وجدناه من شعره، ما قاله إرتجالا في الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، لما هز سيفه[74] :

هزَزْتَ حُسامــا فشبَّهْتُــه غَديراً من المـاء لكن جَمَـد

فلمَّا بـــدا لِيَ إفْرنـــدُهُ لَهيباً من النـــار لكن خَمَد

فــلولا الْجمُود ولولا الْخمُود لَسَالَ لَدَى الهزّ أَو لاتَّقَـــد

ومما ذُكر، أن أبا بكر بن باجة الفيلسوف الشاعر والموسيقي الشهير كان منقطعا الى الأمير أبي بكر بن تافلويت المسوفي الصنهاجي صهر الأمير علي بن يوسف، ومما جرى له معه أنه حضر يوما بمجلسه فألقى على بعض قيناته موشحته[75] :

جَرِّرِ الذَّيلَ أيَّما جَرِّ ... وصِلِ الشُّكرَ مِنكَ بالشُّكرِ

وختمها بقوله :

عقَدَ اللهُ رايةَ النَّصرِ ... لأميرِ العُلا أبي بَكرِ

وهذا الأديب أبو إسحاق بن خفاجة، يمدح الأمير ابن تافلويت بقصيدة طويلة منها[76] :

سمحَ الخيالُ على النَّوى بمزارِ ... والصُّبحُ يمسحُ عن جبينِ نهارِ

فرفعتُ من ناري لضيفٍ طارقٍ ... يَعشو إليها من خيالٍ طارِ

ركبَ الدُّجى أخشِن بها من مركبٍ ... وطوى السُّرى أحسن به من سارِ

وأناخ حيث دموعُ عينِي منهلٌ ... يُروِي وحيث حَشايَ موقدُ نارِ

وسقى فأروَى غُلّةً مِنْ ناهِلٍ ... أورَى بجانحتيهِ زَندَ أوارِ

يَلوي الضُّلوعَ من الولوعِ لخطرةٍ ... مِنْ شيمِ برقٍ أوْ شَميمِ عرارِ

واللَّيلُ قد نَضحَ النَّدى سِربالَهُ ... فانهلَّ دَمعُ الطَّلِّ فوق صِدارِ

مترقّبٌ رُسُلَ الرِّياحِ عشيَّةً ... بِمتساقِطِ الأنواءِ والأنوارِ

ومُجرٌ ذَيلِ غمامةٍ لبِستْ به ... وَشْيَ الحَبابِ معاطفُ الأنهارِ

وله أيضا في مدحه، وسؤاله لحاجة[77] :

أآليتَ إلاَّ أن تسيرَ مع الفضلِ ... وأزمعتَ إلاَّ أن تَصم عن العذْلِ

فنُبتَ منابَ البدرِ في ليلةِ السُّرى ... وقُمتَ مقامَ الوَبلِ في البلدِ المحلِ

وأضرمتَ نارَ الطّعنِ في ثغرِ العدا ... وأجرَيتَ ماءَ النصرِ في صفحةِ النصلِ

فحييتْ أبا يحيى ذُرَاكَ غمامَةٌ صقيلَةُ ثغرِ البرْقِ وارِفَةُ الظّلّ
تُجرّرُ أذيالَ الرّبابِ على الرُبى ويمشي بها واني النّسيمِ على رِسل
فطل عُمْرَ الدنيا وطأ قممَ العدا وخيّمْ مع العليا وَحُزْ قَصَبَ الحصل
ومنّ بها أندى نسيماً من الصّبا [لديّ] وأحلى موقعاً من جنى النحل
ولا تحتقِرْها من نوالِكَ برّةً فللطلّ معنىً ليس للمطرِ الوبل

وفي رثاء الأمير بن تافلويت قال الحكيم أبو بكر بن الصائغ[78] :

سـلام وإلمـام ووسميٌّ مُزْنَةٍ على الجدَث الثانى الذى لا ازوزه
أحقٌّ أبو بكر تقضّي فلا ترى تردُّ جماهير الوفود ستوره
لئن أنِسَت تلك اللحود بلحْده لقد أوْحَشَت أقصاره وقصورُه

ومن ذلك قوله :

أيها الملك المُفَدّى لعَمْـرى نعى المجدُ ناعيك يوم قنافنُحْنا
كما تقارعتَ والخطوبَ إلى أن غادرتك الخطوبُ فى التُّرب وَهْنا
غير أنى إذا ذكرتك والدهـر أخال اليقين فى ذاك ظَنّا
وسألنا متى اللقـاء فقيل الحشـر قلنا صبراً إليـه وحُزْنا

وهذا الفيلسوف ابن باجة، يرثي الأمير ابن تافلويت أيضا، بقصيدة[79] :

يا صَدىً بالثغرِ جاوَرَهُ رِمَمٌ بُورِكتَ من رِمَمِ
صَبّحَتكَ الخيلُ غاديَةً وأثارَتكَ فلم تَرِمِ
قد طوى ذا الدّهرُ غُرّتَهُ عنك فالبس حُلّةَ الكَرَمِ

وعارض هذه القصيدة، الشاعر الأديب ابن خفاجة: حيث قال:

يا صدًى بالثّغْرِ مُرْتَهَناً بمَمَرّ الرِّيحِ والدِّيَمِ
لا أرَى إلاَّ أخَا كَمَدٍ باكِياً منك أخا كَرَمِ
كم بصَدرِي فيك من حُرَقٍ وَبِكَفّي لك من نِعَمِ
لا لَعَمرُ المجدِ والكَرَمِ ومزارِ البيتِ والحَرَمِ
لا سَلوْتُ الدّهرَ عن مَلِكٍ طَلْقِ وَجهِ العُرْفِ والكرَمِ
هذه نُعماهُ مِلءُ يَدي ونثا حُسناهُ مِلءُ فَمي

عبد الله بن مزدلي

وللوزير الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية، قصيدة في الأمير عبد الله بن مزدلي، وقد خرج في إحدى غزواته فوثق بظفره، و كريم صدره[80] :

ضَاءَتْ بِنُورِ إِيَابِكَ الأيَّامُ واعْتَزَّ تَحْتَ لِوَائِكَ الإسْلاَمُ
أمَّا الجَمِيعُ ففي أعَمِّ مَسَرَّةٍ لمَّا انْجلَى بِظُهُورِكَ الإظْلامُ
/بادَرْتَ أجْرَكَ في الصِّيامِ مُجاهِداً ما ضَاعَ عِنْدَكَ للثُّغُورِ ذِمَامُ
وصَمَدْتَ مُعْتَزِماً، وسَعْدُكَ مُنْهَضٌ نَحْوَ الْعِدَى، ودليلُكَ الإقْدامُ
كَمْ صَدْمَةٍ لَكَ فيهمُ مَشْهُورَةٍ غَصَّ العِرَاقُ بِذِكْرِهَا والشَّامُ

فِي مَـأْزَقٍ فيـه الأَسِنَّـةُ والـظُّبَى بَـرْقٌ، ونَقْعُ الْعـادِيـاتِ غَمَـامُ
والضَّـرْبُ قَدْ صَبَغَ النُّصُولَ كأنَّها تَجْـرِي على مَاءِ الْحَـدِيدِ ضِـرَامُ
والـطَّعْنُ يَنْبَعِثُ النَّجيـعَ كـأنَّمـا يَنْشَقُّ عَنْ زَهْـرِ الشَّقيـقِ كِمَـامُ
فـاهْنـأْ مَـزِيَّـةَ ظَـافِـرٍ مُتَـأَيِّـدٍ جَفَّتْ بِـرِفْعَـةِ شَـأْنِـهِ الأَقْـلامُ
وإليـك وُدِّي واخْتصـاصي سـابِقٌ يَـجْـلُوهُ مِـنْ دُرِّ الْـكَـلامِ نِـظَامُ
إنِّي وإنْ خُلِّفْتُ عَنْـكَ فَلَمْ يَـزَلْ مـنِّـي إلَـيْـكَ تَـحِـيَّـةٌ وسَـلاَمُ

وهذا الناظم أبو عامر بن أرقم، يمدح الأمير عبد الله بن مزدلي بقصيدة منها[81] :

سريتَ والليلُ من مَسراك في وهلٍ مُبرَّأَ العزمِ من أينٍ ومن كسَلٍ
وسرتَ في جحفلٍ يهدي فوارسَهُ سناكَ تحت الدجى والعارض الهطل
هوت أعاديك من سارٍ يؤرّقُـــهُ ركضُ الجواد وحملُ اللأمة الفضل
إذ الملوكُ نيامٌ في مضاجعهــــم مستحسنون بهاءَ الحليِ والحلل
لله صَوْمُكَ من أيام فطرهمُ وما توخّيتَ من وجهٍ ومن عمل
نحرتَ فيه الكماةَ الصّيدَ محتسباً وحسبُ غيرك نحر الشاءِ والابل
إذا صريرُ المدارى هزَّهم طرباً ألهاكَ عنه صرير البيض والأسل
وإن ثنتهمْ عن الإقدامِ عاذلـــةٌ مضيتَ قدماً ولم تأذنْ إلى العذل
كم ضمَّ ذا العيدُ مِنْ لاهٍ به غزلٍ وأنت تنشدُ أهلَ اللهو والغزل :
« في الخيل والخافقات البيض لي شغل ليس الصبابةُ والصهباءُ من شغلي »

و للإشارة فقد مدح الشعراء من قبل كذلك، والد الأمير عبد الله بن مزدلي و الذي قال فيه أبو عامر بن أرقم[82] :

أنـت الأمـير الـذى للمجـد همتـه وللمســالك يحميهــا وللــدول
لمـــزدلى لـــواء كـــان يرفعـــه مناسب كالضحا والشمس فى الحمـل
يــا أيهــا الملـك المرهــب صــولته وارتجى غوثـه فـى الحـادث الجلـل

الزبير الملثم صاحب قرطبة

كان الزبير أميرا للمرابطين على قرطبة، و كان الشاعر أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري، المشهور بالأبيض، ولعا بهجاء الزبير. فمن ذلك قوله[83] :

عكفَ الزبيرُ على الضلالةِ جاهدًا ووزيرُه المشهورُ كَلْبُ النَّارِ
مازال يأْخُذُ سَجْدَةً في سجدةٍ بين الكئوسِ وَنَغْمَةِ الأَوْتَارِ
فإذا اعتراهُ السَّهْوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صوتُ القِيَانِ ورَنَّةُ المِزْمَارِ

وقوله:

قالوا الزبيرُ مبرّص فأجبتهمْ لا تُنْكِروهُ ، فَدَاوُهُ مِنْ عِنْدِهِ
رَضَعَتْ مباعِرُهُ . . فأكثرتْ حتى بَدا رشحٌ . . . بِجِلْدِهِ

أبو بكر سير

وهذا قول الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور الإشبيلي في الأمير أبي بكر سير والذي هو من أمراء المرابطين، و كتب إليه في غزاة غزاها[84] :

سرْ حيثُ سرتَ يحلُّهُ النوّارُ وأراك فيه مرادكَ المقدارُ
وإذا ارتحلتَ فشيّعتْكَ سلامةٌ وغمامـــةٌ لا ديمـــةٌ مِدْرارُ
تنفي الهجيرَ بظلّها وتنيم بالـ رشّ القتامَ وكيف شئت تُدارُ
وقضى الإله بأن تعودَ مظفّراً وقضت بسيفك نحبَها الكفّارُ

القسم الثالث:

الدولة الموحدية

الباب الأول:

حكام وخلفاء وسلاطين

الدولة الموحدية

الحاكم المهدي بن تومرت

ومن الشعر الذي ينسب إلى المهدي بن تومرت[85] :

أَخـذتَ بأَعضادِهِم اذ نَأَوْا وخلَّفَــك القَوْم اذ وَدَّعوا
فَكَمْ أَنتَ تنهَى ولا تنتْهِي وَتُسْمِعُ وَعظــاً ولا تسْمَعُ
فيـا حجَر السَّنِّ حتى متى تَسُنُّ الحدِيــدَ ولا تقطَعُ

ومما ذكر أن المهدي بن تومرت كان يتفرس النجابة في عبد المؤمن بن علي و ينشد إذا أبصره[86] :

تجمعت فيك أشياء خصصت بها فكلنا بـك مســرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مـانحة والصدر متسع والوجه منبسط

وفي قول ابن الخطيب إشارة على ما كان يخص به المهدي، عبد المؤمن بن علي[87] :

وخلـف الأمـر لـعبـد الـمـؤمـن فـانـقـادت الـدنـيـا لـه فـي رسـن
حــبـاه بـيـن الـقـوم بـالإمـارة إذ وضــحــت لـه فـيـه الأمـارة

وهذا قول ميمون الخطابي في ادعاء ابن تومرت للمهدوية[88] :

وَجد النُّبوءَةَ حُلَّةً مَطْوِيَّةً لا يستطيعُ الخلقُ نَسْجَ مثالها
فأَسرَّ حسْواً في اَرْتِغَاءِ يبتغي بِمُحاله نَسْجاً على مِنْوالها

وفي حق ابن تومرت أنشد صاحب المغرب[89] :

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

ومما ذكره أيضا قوله فيما كان ينشده ابن تومرت :

تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

وكان يتمثل بقول أبي الطيب المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وبقوله أيضا:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وهذا شاعر الخلافة الجراوي يذكر المهدي من قصيدة [90]:

وهل هو الأمر اناس تهافتوا فراشا على أسيافكم وهي نيران
عصوا دعوة المهدي وهي سفينة فأغرقهم طغيانهم وهو طوفان

وهذا الشاعر الملزوزي يذكر المهدي بن تومرت وكيف جاء بالتوحيد، حيث قال[91] :

حتى أتى المهدى بالتوحيد ❀ لأرضه فى طالع سعيد
فى عام عشرة أتى المهدى ❀ لغربنا وأمره خفى
جاء من الشرق الى المصامده ❀ مشمراً ومخفياً مكايده

ومما قاله صاحب القرطاس أن بعض المؤرخين لأيامهم، ذكروا أن المهدي بن تومرت رأى في منامه قبيل وفاته بيسير كأن رجلا وقف بباب بيته فأنشده هذا البيت[92] :

كأني بهاذا البيت قد باد أهلـه — وقـد درست أعلامه ومنازلـه

فأجابه المهدي :

كذالك أمور الناس يبلا جديدها — وكـل فتا حقا ستبلا محاسنه

فأجابه الرجل :

تـزود مـن الدنيا فانك راحـل — وانك مسؤول فما أنت قائلـه ؟

فأجابه المهدي :

اقـول بـان الله حـق شهدته — وذاك مقال ليس تحصا فضائله

فأجابه الرجل :

فـخـذ عـدة للموت انـك ميت — وقد أزف الأمر الذي أنت نازلـه

فأجابه المهدي :

متى ذاك خبرني هديت فانني — سأفـعـل مـا قـد قلته وأعاجله

فأجابه الرجل :

تبيت ثـلاثـا بعد عشريـن ليلة — الى منتها شهر فما أنت كـامله

ومما ذكره صاحب البيان المغرب قوله[93] :

{... فلما أكمل غرضه – حركة الخليفة يوسف إلى بلاد السوس لقطع المنافقين عن المعدن – أقلع بمحلاته عنه و سلك على مسالك المهدي و زار قبره و قبر أبيه عبد المؤمن و أظهر اللإيحاش إليهما و أسكب عبراته عليهما، و أمر وفود الأندلس أن يسيروا من مراكش إلى زيارتهما.

قال أبو مروان عبد الملك في تاريخه: و كنت في وفد إشبيلية، فزرت القبرين المكرمين بتينمل مع أبي بكر بن زهر و أبي الوليد بن رشد، و أمر طلبة الحضر أن يرثوهما و يذكروا غر فضائلهما و مآثرهما، فقال الناس في ذلك و أطنبوا، فحباهم عليه بالعطاء الكثير، فمن ذلك قول أبي مروان بن خالد:

مَجَـاري عيـونِ المـسلمينَ تَـسيلُ ... دمًـا ونَجِيعًـا والـدموعُ هَـمُولُ

ألم تَـرَ أنّ الـدّهرَ قـد عـمَّ صَرْفُـهُ ... ففـي كـلِّ دار أنّـةٌ وعَويـلُ

وإنْ طـال في الـدُّنيا مقـامٌ لإمـرئ ... فـلا بـدَّ يومًـا أن يكـونَ رحيـلُ

فيا رَوْضةَ الـمَهْديِّ حَلّ بكِ الـهُدى ... وسِرٌّ مـعَ الأيـام لـيسَ يَـحُولُ

أحقًّـا أمـيرُ المـؤمنينَ إمامُنـا ... مَـحَا القمـرَ الـدِّينيَّ منـه أُفـولُ

أحقًّـا مـضَى المنـصورُ واختـار ربَّـهُ ... فلـيس مـدى الأيـام منـه قُفـولُ

مـضَى بعـدَ مـا أحيـا الأنـامَ بـهَدْيِهِ ... وقـام بـأمرِ الله وهْـو كفيـلُ

وطهَّـر ديـنَ الله مـن دَنَـسٍ بـهِ ... وأظهَـر هَـدْيًا جـاء فيـه رسـولُ

{...

الخليفة عبد المؤمن بن علي

وفي هدية ابن حماد للخليفة عبد المؤمن والتي كانت عبارة عن شبل صغير كان قد صاده وأدخله على الخليفة في مجلسه، فأمر بحله من عقاله، فمشى الشبل بين الناس يخترق الصفوف، حتى وصل بين يدي الخليفة، فربض وسكن لا يتحرك من موضعه، وكان قد أهداه أيضا ذلك اليوم زرزور يتكلم بأنواع الكلام، فارتجل الكاتب أبو علي الأشيري أبياتا وهي[94]:

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد — ورأى شبه أبيه فقصد

ودعا الطائر بالنصر لكم — فقضى حقكم لما وفد

أنطق الخالق مخلوقه — بالشهادات فكل له قد شهد

أنك القائم بالامر له — بعدما طال على الناس الامد

و لما جاز الخليفة عبد المؤمن الى الأندلس وأقام بجبل الفتح، أتته وفود الأندلس من كل جهة و مكان، واحتفل شعراء الأندلس في القصائد، وخطباؤها في الخطب، حيث أنشده من وفد غرناطة الوزير أبو جعفر بن سعيد العنسي، فقال[95]:

تَكَلَّمْ فقد أَصْغَى إلى قولك الدهرُ — وما لسواك اليوم نَهْيٌ ولا أَمْرُ

ورُمْ كلَّ ما قد شِئْتَه فهو كائنٌ — وحاوِلْ فلا بَرٌّ يفوت ولا بَحْرُ

وحَسْبُك هذا البحر فَألاً فإنه — يُقَبِّلُ تُرْباً داسَه جيشُك الغَمْرُ

وما صوتُه إلاّ سلامٌ مُرَدَّدٌ عليـك وعن بِشْرٍ بقُرْبك [اليوم] يَفْتَرُّ

يجيش لكي يلقى أمامك من غدا ... يعاند أمراً لا يقوم له أمر

أطلّ على أرض الجزيرة سعدها ... وجدّد فيها ذلك الخبر الخبر

فما طارقٌ إلا لذلك مطــرقٌ ... ولابن نصير لم يكن ذلك النصر

هما مهّداها كي تحلّ بأفقها ... كما حلّ عند التمّ بالهالة البــدر

ومن قول أبو بكر بن المنخل الشلبي مهنئا ومادحا له[96] :

فتحتمْ بلادَ الشرق فاعتمدُوا الغـرْبَا ... فـإن نسيمَ النصر بـالفتح قـد هبّـا

أصَـرتم إليه الخيــلَ وهي أجــادلٌ ... فسالتْ بكم بحراً وطارتْ بكم ركبا

ودسْتُم بهـا هـامـاتِ كـلّ مضلّل ... ولم تتـركُـوا عجمـاً هناك ولا عُـرْبا

رميتُم بهـا مثـلَ السُّهـام فـأصبحتْ ... كُمـاتُهم صـرعى وأمـوالُهم نهْبـا

اتـوكم يجـرون الحَـديـدَ سـوابغـاً ... كـأنهم البحرُ الغَمــالط قـد عبّـا

وظنـوا ـ وفي الـظن الجهـالـةُ ـ أنّهُمْ ... يفلُّون من أجنادك الصـارم العضبـا

فـلمـا تـلاقيتم وبيُّنَـت الـوغـى ... تــولـوا وقــد طــارتْ قلوبُهم رُعْبـا

أضلّتهـم البـيضُ الصــوارم والـقَنَـا ... فكـانت لهم رفعاً وكـانوا لهـا نَصْبا!

وقـادتْهُم تلك السيـوفُ إلى الـرَّدَى ... ومـا غادرتْ سهْـلَ القِيادِ ولا صَعْبـا!

ورامــوا فِـراراً والـرمــاحُ تنــوشُهُم ... فمـا قَـطَعُـوا فجّـاً ولا سَلَكُـوا شعبـا

وخَــرُّوا جميعـاً هــامـدين كـأنَّهُمْ ... نـدامى تساقـوا بينهم أكؤسَ الصُّهبـا

تَغَشْتَهُمْ سُــودُ المنايـا فـأصبحت ... مفـارقُهم تغشى الجنـادِلَ والتُّــرْبـا!

وهبّت عليهمْ ريحُ بـأسِـكَ حَـرْجَفـاً ... فمــا تـركتْ نَبْعــاً عليهم ولا قضْبَـا

لقـد حكّمت فيهِمْ ظُبَى الهِنْـدِ رأيهـا ... تقتّلُهُم ضَــرْبـاً وتُــوسـرهم سِــرْبَـا

وكـانـوا لكم جُنْـداً فصـارُوا غنيمَــة ... كــذلـك من يُـزهي بـآرائـه عُجْبَـا

ومن شعر أبو محمد عبد الله الجياني يهنأ الخليفة عبد المؤمن بشعر أوله[97] :

أضاءت لنا الايام واتصل النجح
كأن وجوه الدهر مسودة كلح

فأجابه الخليفة عبد المؤمن بقوله :

هو الفتح لا يجلو غرائبه الشرح
أصاب بني التجسيم من باسه ترح
أتتنا به البشرى على حين غفلة
بمهلك قوم كان موعدها الصبح

وهذا الشاعر ابن حبوس يمدح الخليفة عبد المؤمن بقصيدته الشهيرة والتي يقول فيها[98]:

بَلَغَ الزَّمانُ بِهَدْيِكُمْ ما أَمَّلا وَتَعَلَّمَتْ أَيّامُهُ أَنْ تَعْدِلا
وَبِحَسْبِهِ أَنْ كانَ شَيْئاً قابِلاً وَجَدَ الهِدايَةَ صُورَةً فَتَشَكَّلا
فَلأَنْتُمُ الحَقُّ الذي لا يُمْتَرى فِيهِ ولَيْسَ بِجائِزٍ أَنْ يُجْهَلا
وَلأَنْتُمُ سِرُّ الإِلاهِ وَأَمْرُكُمْ مَلأَ العَوالِمَ مُجْمَلاً ومُفَصَّلا
عُزِلَتْ وُلاةُ الحُسْنِ عَنْ إِدْراكِهِ فَهُوَ المُنَزَّهُ حَسْبُهُ أَنْ يُعْقَلا
كاثَرْتُمُ زُهْرَ النُّجُومِ أَسِنَّةً وَأَدَرْتُمُ فَلَكاً عَلَيْها القَسْطَلا
وَمَنَعْتُمُ الرِّيحَ الهُبُوبَ لِأَنَّكُمْ أَرْسَيْتُمُ الحَلَقَ المُضاعَفَ أَجْبُلا
صَدَتْ تَمَشِّي القَهْقَرى وَلَوَ انَّها خاضَتْ رِماحَكُمُ لَمادَتْ مُنْخُلا
إِنْ رَنَّتِ الرِّيحُ الخَفُوقُ إِزاءَها تَرَكَ القَضِيبُ قَوامَهُ وَتَمَيَّلا
شَرِبَ النَّشاطَ سُلافَةً حَتّى انْثَنى وَلَوَ انَّها حَرُمَتْ عَلَيْهِ تَأَوَّلا

وأنشده في ذلك اليوم الشاعر الأصم المرواني حيث قال[99] :

ما لِلـعَـدا جُـنَّـةٌ أوقَى مـن الـهـربِ

فقال عبد المُؤمِن رافعاً صونه: إلى أين إلى أين؟ فقال الشاعر:

أيـن الـمـفـرُ وخَـيْـلُ الـلّـه فـي الطَّـلـبِ!

وأيـنَ يَـذْهَـبُ مَـنْ فـي رأسِ شَـاهـقـةٍ وَقَـدْ رَمَـتْـه سَـمـاءُ الـلّـه بـالـشُّـهُـبِ

حَـدِّثْ عـنِ الـرومِ فـي أقـطـارِ أنـدلـسٍ والبَـحْـرُ قَـدْ مَـلأ العِـبْـرَيـنِ بـالعَـربِ

فلما أتم القصيدة قال عبد المُؤمِن: بمثل هذا تُمْدَحُ الخلفاء!

وهي قصيدة طويلة ذكرها صاحب المن بالإمامة، وأنشده كذلك رجل من أهل إشبيلية يعرف ب "إبن السيد"، و يلقب ب "اللص" حيث قال[100]:

غَمِّضْ عَنِ الشمسِ واسْتَقْصِر مَدَى زُحَلٍ وَانْظُرْ إلى الجبلِ الرّاسي على جَبَلِ

أنّـى أسـتَـقـرُ بـه، أنّـى اسـتـقـلُ بـه أنّـى رأى شَـخْـصَـه الـعـالـي فـلـم يَـزُلِ

فقال له عبد المُؤمِن: لقد ثقّلتَنا يا رجُل! فأمر به فأُجلس.

ولم يزد صاحب المعجب على هذين البيتين، حيث اكتفى بهما وهي قصيدة مذكورة أبياتها كاملة عند صاحب المن بالإمامة ومنها:

غـمِّضْ عن الـشَّمْسِ واسـتَقْـصِـر مَـدَى زُحَـل

وانـظُرْ إلى الـجَبَـل الـرَّاسِـي عـلى الـجَـبَـل؟

أنّى استـقـرَّ لـهُ أنّى اسْـتَقَـلَّ بِـهِ أنَّى رأى شخصَه العَالِي وَلَمْ يَـزل

إنّي أطاقَ لـه حَمْلاً وقد عَجَـزَتْ عنه الصُّـدُورُ، وفيها كـلُّ مُحْتَمِـل

وَمـنْ تَكُـنْ رُحُبُ الأذهَـانِ ضيّقـةً عن حَمْلِه لم يَسعْهُ أرْحب السُّهُـل!

لكِنْ رَأى جـارَه ذا الـلُّج يـحمِـلُه فكـانَ ما كـان بَين العَجْزِ والفشَـل

لِيَهْـن أنـدَلُـسـاً أن زَارَهـا مَـلِكٌ أحْيى وأنـشَـر فيـهـا ميّتَ الأمَـل

وَمنْ تَكُـن عـادةُ الإحيـاءِ عـادتـهُ هـانَتْ على راحَتَيْـه جمْلَةُ الـعِلَل!

خلِيفـةُ اللهِ مَا جَـاء الـزَّمَـانُ بِـه إلّا لـيـرفُـوَّ مـا فِيـه مِنَ الـخَـلَل

تغنَـى بعَـزْمـتِـه الأقـدَارُ مُجْـلِيَـةً عَنْ حَادِث جَللٍ في الحادِث الجَلل

وأنشده في ذلك اليوم الوزير الكاتب محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي في قصيدة طويلة مطلعها[101] :

لَوْ جِئتَ نارَ الهدَى من جَانِبِ الطُّورِ قَبَسْتَ ما شئتَ من عِلْمٍ ومن نُورِ

مـن كـلِّ زَهـراءَ لـم تَـرْفـعْ ذُؤابـتَـهـا لـيـلاً لِسـارٍ ولـم تُـشْـبِـبْ لِـمَقـرُورِ

ومنها:

يا دارُ دارَ أميرِ المؤمنين بِسَفْحِ الطّـ ـوْدِ طَوْدِ الهُدَى، بُورِكْتِ في الدُّورِ

ذات الـعِـمَـادَيـن مِـنْ عِـزٍّ وَمَـمْـلَـكَـةٍ علـى الأسَـاسَيْـنِ مِنْ قُدْسٍ وَتَطْهِيرِ

ما كـانَ بـانيـك بِـالـواني الكَـرامةِ عَنْ قَصْرٍ على مَجْمَعِ البَحْرينِ مَقْصُورِ

مَـواطـىءُ مِـنْ نـبـيٍّ طـالَـمَـا وُصِـلَـتْ فيـهـا الـخُطَا بيـنَ تَسْبِيـحٍ وَتَـكْبـيرِ

حَيْـثُ اسـتـقـلَّـتْ بـه نَـعـلاه بُـورِكَـتـا فَـطـيِّـبـتْ كُـلّ مَـوْطُـوءٍ وَمَـعْـبُـورِ

وَحَيْـثُ قَـامَـتْ قَـنـاةُ الـديـن تَرْفُـلُ في لِـواءِ نـصـرٍ عـلـى الـبَـرْيْـنِ مَـنْـشُـورِ

فـي كـفِّ مُـنْـشَـمِـرِ الـبُـرْدَيـنِ ذي وَرَعٍ على التُّقَى وَصَفاءِ النفس مَفْطُورِ

يـلـقـاكَ فـي حالِ غَـيْـبٍ مِـنْ سَـريـرتِـه بِعَـالَـم الـقُـدْسِ مَـشْـهُـودٍ وَمَـحْـضُـورِ

تَـسـنَّـمَ الـفُـلْـكَ مِـنْ سـخـطِ الـمـرار وَقَـدْ تـؤدِينَ يـا خـير أفـلاك الـعلا سِـيري

فَـسِـرْنَ يَـحـمِـلْـنَ أمـرَ الـلّـه مِـنْ مَـلِـكٍ بـالـلّـه مُـسْـتَـنْـصِـرٍ فـي الـلّـه مَـنْـصُـورِ

يُـومِـي لـه بِـسُـجُـودٍ كـلُّ مُـحْـرِكـةٍ مـنـهـا، ويُـولِـيه حَـمْـداً كـلّ تَـصْـرِيـرِ

وللشاعر نفسه في مدح الخليفة عبد المؤمن[102] :

إذا كان الذي يَعْرُوْ مُهِمّاً
فأيسرُ ما تضيقُ به الصدورُ
فيا لكِ صِحَّةً جَلَبَتْ حياةً
تعيشُ بها المنابرُ والثغورُ
ويا لكِ نعمةً رُمْناً مَداها
فما وَصَلَ اللسانُ ولا الضَّميرُ
عَجَزْنا أَنْ نَقُومَ لها بِشُكْرٍ
على أَنَّ الشَّكُوْرَ لها كثيرُ
وكيف [به] وباعُ القولِ فيها
وإن طالتْ مسافَتُهُ قَصِيرُ

ومنها:

وَحُكْمٌ تحته أَمْرٌ مُطَاعٌ
يُحَطُّ به عن الجيشِ الأَمير
وتدبيرٌ يبيتُ على التَّمادي
من الرأيِ المُصِيْبِ له سَمِير
وهيجاءٌ تَخَطَّفْتُمْ ذَوِيْها
كما تَتَخَطَّفُ الحَجَلَ الصُّقور
بخيلٍ مُدْرِكاتٍ ما أَرادَتْ
إذا اشتدَّتْ فليسَ لها فُتُور
مُصَرَّفَةٌ بِحُكْمِكُمُ فَطَوْراً
تَخُبُّ بكمْ وآونةً تَطير
وكمْ بيداءَ قد جاوَزْتُمُوْها
فلاذَ بظلِّكمْ فيها الهَجِيرُ
فجئتمْ والغديرُ بها سَرابٌ
وَزُلْتُمْ والسَّرابُ بها غدير

ومنها:

تَشَبَّهَتِ الملـــوكُ بـــه وَحـــاشا
وذلـك مِنْهُـــمُ غَـــيٌّ وَزُوْرُ
وقـد يقـعُ التَّفـاضُـــلُ في السَّجـايا
وَيُـهْـجَى الشَّوْكُ إنْ لُمِسَ الحرير
فِـدىً لكَ مِنْهـــمُ أَعـــلاقُ صِدْقٍ
فـــإنَّـكَ أَنتَ وَاحِـدُهـا الخطير
إلى الجوزاءِ فـــآرَقَ وَدَعْ أُنـــاساً
مَـراقِيْهِـــمْ عَـريشٌ أَوْ سَريـر
وبعـدُ ، فـــزار حَضْرَتَـكُـمْ سَلامٌ
ولكـنْ مثـــلُ مـــا نَفَـحَ العَبـير
سلامٌ تَحْـتَـــــهُ شَوْقٌ وَحُـبٌّ
يَـخُـصُّكُـمُ بـه عَبْـدٌ شكـور

وللرصافي أيضا من قصيدة يصف إجازة الخليفة البحر[103] :

خفضتـــمُ للمعـالي نحـو أنـدلسٍ
أعنَّـةَ السابِحَيْـنِ : الفلكِ والفرسِ
واخجلـةَ البحـر إن لم يحـــلُ مشربُهُ
وإن غـدا عنبريَّ اللـونِ والنفس

وأنشده كذلك الشيخ أبو عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة بجبل الفتح بقصيدة طويلة منها [104] :

إلى جَبـل قـدْ كـان للفَتـح منْـزِلاً ... ولاذَ بـهِ بـالفتـح مُـوسى وطارق

سمـا بـأميـر المؤمنين إلى العُـلا ... مخـافـةً أن تَسمـو إليـه العـوائق

إذا أمَّ أرضـاً لـلنـزول تـضـوَّعـت ... منـابتُهـا مسكـاً لمَن هُـوَ نـاشِق

وإن طـالَتِ البيدَاءُ قصَّـر بُعـدَهـا ... حـديثُ الأمـاني والـرجـاءِ المـرافقُ

تكـادُ الـرُّبى تنحطُّ عنـدَ لقـائِـه ... وتُسْـرِع نهضـاً للِّقـاء السَّمـالِقُ

فلَوْ شـاء لم يرْكَب جـواداً بجَحْفَـل ... ولا حَـملتْـه فـي السفـار الأيَـانِق

لـهُ شـرفٌ يسمُـو بـه فتخـالُـهُ ... لـذاك بَعيـداً وهْـو بـالقـرب لاصِقُ

ومنها:

رِجَـالٌ ولكن في الحُـرُوب ضَـراغِمٌ ... وخَيْـلٌ ولكِن في السِّبَـاق شَـوائِق

قـدِ انتخِبُـوا من نخبـة العُـرْب كلِّهـا ... شبـابٌ وخَلْقٌ كـامـل وخَـلائِق!

إذا عطشتْ في الحرب افئـدةُ العِدَى ... وَقـد فـرغـوا للصَّبـر وهـو مُفَارِقُ

سَقَوْهم بعَضْبِ السَّيف عضباً كـأنَّما ... لَـهُ من مُرُوق المُـرْهَفات أمـارق

وأسْمَـرَ في كفيـه أسْـمَـرُ نـافـذٌ ... وأبيضَ فـي كـفَّيْـه أبيضُ فـالقُ

ومنها:

بسَعْدِك يفري السَّيفُ ما عزَّ قـطْعه ... وينفـذُ حـد السَّهْم مـا هُوَ راشق

لَـوْلاك لم يَقْطَع حسـامُ لضَـارِب ... ولا فَـتقَ الـخـطـيُّ مـا هُـوَ فـاتِق

ملكتَ قلوبَ النَّـاس حبّـاً ورهبـة ... فـدَانَ بـكَ الصِّنفـان بـرٌّ وَفـاسِق

فَـلا ذُو يَـدٍ إلاَّ لأمْـرِك نـاصِـرٌ ... ولا ذُو فَـم إلاَّ لِشُـكـرك نـاطِقُ

إذا هَـمَّ أمـراً لم يـلحُ بـحقيـقـة ... وغـابَ دليـلٌ لـلتفـهُّـم صَـادِق

بَدا من ضِياء العَقْل هذْي يدُلُّه ... عَليْـه ومن نُـور البَصيـرةِ سَـابِق

ومَن جَعَـل التَّقـوى سِـراجـاً لقلْبِـه ... أضـاء ولم تُحْجَبْ لـدَيْـه الحقـائِقُ

ومن الشعر الذي ذكر صاحب المعجب، وأن الخليفة عبد المؤمن قاله و أمر به أن يكتب أسفل رسالته التي كان قد أرسلها يستنفر بها العرب من بني هلال للغزو بجزيرة الأندلس، هذه الأبيات[105]:

أقيمُوا إلى العلياءِ هُوجَ الرَّواجلِ ... وقُودُوا إلى الهيجاءِ جُرْدَ الصَّواهِلِ
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمةَ ثائرٍ ... وشُدُّوا على الأعداء شَدَّةَ صَائلِ
فَمَا العِزُّ إلا ظَهرُ أجْردَ سابحٍ ... يَفُوتُ الصَّبا في شَدْهِ المتواصل
وأبيضَ مأثورٍ كأنَّ فِرِنْدَهُ ... على الماءِ مَنْسوجٌ وَلَيْسَ بسائلِ
بني العمِّ مِنْ عُلْيا هِلَالِ بن عامرٍ ... وما جَمَعتْ مِنْ باسلٍ وابنِ باسلِ
تَعالَوْا فقد شُدَّتْ إلى الغَزْوِ نِيَّةٌ ... عَواقبُها مَنْصُورةٌ بالأوائلِ
هي الغزوةُ الغَرّاءُ والموعِدُ الذي ... تَنجَّزَ مِنْ بَعْدِ المدَى المتطاوِلِ
بها تُفتحُ الدُّنيا، بها تُبلَغُ المُنى ... بها يُنصَفُ التحقيقُ مِنْ كلِّ باطلِ
أهبْنا بِكم للخيرِ واللهُ حَسْبُنا ... وَحَسْبُكمو واللهُ أعدلُ عادلِ
فما هَمُّنا إلا صلاحُ جَميعِكُمْ ... وَتَسْرِيحُكم في ظلِّ أخضرَ هاطلِ
وَتَسْويغُكم نُعمَى تَرِفُّ ظِلالُها ... عَلَيْكُم بخيرٍ عَاجلٍ غَيْرِ آجلِ
فَلا تَتَوانَوْا فَالبِدارُ غنيمةٌ ... وللمُدْلج الساري صفاءُ المناهل

ومما ذكرره صاحب المعجب قوله[106]: { وأخبرني السيد حقيقة والماجد خلقا وخليقة أبو زكريا يحى ابن الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن الإمام أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي أنه رأى على ظهر كتاب الحماسة بخط الخليفة عبد المؤمن هذين البيتين وقال لي رحمه الله : لا أدري هما له أو لغيره:

وحَكِّمِ السَّيْفَ لا تَعْبأْ بِعاقبةٍ ... وَخلِّها سِيرةً تَبْقَى على الحِقَبِ
فما تُنالُ بِغَيْرِ السيفِ مَنْزِلةٌ ... ولا تُرَدُّ صُدُورُ الخيلِ بالكُتُبِ

...}

وقال فيه المهدي بن تومرت حيث كان يتفرس فيه النجابة وينشد إذا أبصره[107] :

تكاملَتْ فيك أوصافٌ خُصِصتَ بها   فكلنا بك مسرورٌ ومغتبطُ
السنُّ ضاحكةٌ والكفُّ مانحة   والنفسُ واسعةٌ والوجهُ منبسطُ

ومما أنشد به الخليفة عبد المؤمن قول الفقيه محمد بن أبي العباس التيفاشي :

ما هَزّ عِطفَيْهِ بين البيض والأسَلِ   مثل الخليفة عبدِ المؤمن بن علي

و مما ذكره صاحب شذرات الذهب، أن الخليفة عبد المؤمن، سأل أصحابه مسألة ألقاها عليهم فقالوا : لا علم لنا إلا ما علمتنا – و ذلك تشبها بجواب الملائكة المكرمين لله عز وجل في الآية المذكورة من سورة البقرة – فلم ينكر ذلك عليهم، فكتب بعض الزهاد هذين البيتين ووضعهما تحت سجادته وهما[108] :

يَا ذَا الذي قَهَرَ الأنام بسيفه   مَاذَا يَضُرُّك أن تَكُونَ إلَها
إلفِظْ بها فِيما لَفَظْتَ فإنَّهُ   لم يبقَ شيء أن تَقول سِوَاهَا

فلما رآها الخليفة وجم وعظم أمرهما، وعلم أن ذلك بكونه لم ينكر على أصحابه قولهم : لا علم لنا إلا ما علمتنا.

ومن شعر الخليفة عبد المؤمن و قد كثر الثوار عليه[109] :

لا تحفلنَّ بما قَالوا ومَا فَعَلوا   إن كُنْتَ تَسمو إلى العَليا من الرُّتبِ
وجَرِّد السيفَ فِيما أَنْتَ طَالبهُ   فَمَا تردُّ صدور الخيل بالكتبِ

وفي نكبة الوزير أحمد بن عطية، كتب الى الخليفة عبد المؤمن من سجنه، يستعطفه و يطلب عفوه بهذه الرسالة[110] :

عطفا علي أمير المومنين فقد ... بان ألعزاء لفرط الهم والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج ... ورحمة منكم أنجا من السفن
وصادفتنا سهام البين عن غرض ... وعطفة منكم اوقا من الجنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه ... بمن أجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعا على ثقة ... بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن ... والطرف ينهض بعد الركض فيسنن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم ... من دون من بها كلا ولا ثمن
ونحن من بعض من أحييت مكارمكم ... كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر ... لم يألفوا النوح فى فرع ولا فنن
قد اوجدتهم أياد منك سالفة ... والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

ومما كتب به من السجن كذلك[111]:

أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا؟ ... فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا في ليل من السخط حائر ... ولا اهتدي حتى أرى للرضا صبحا!

ومما قيل، أن الخليفة عبد المؤمن خرج يوما مع وزيره أحمد بن عطية متنزها الى بعض بساتين له بمراكش، فمر في طريقه بشارع من شوارع المدينة، فإذا بطاق في دار عليه شباك خشب قد قابله منه وجه جارية كأنه الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه، فنظر اليها عبد المؤمن فأعجبه حسنها، وحلت من قلبه كل المحل، فقال ارتجالا[112] :

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فقال ابن عطية :

حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المومن :

كأنما لحظها في قلب عاشقها

فقال ابن عطية :

سيف المؤيد عبد المومن بن علي

فطرب عبد المؤمن واستحسن اجازة وزيره، فخلع عليه وأمر له بمال جزيل.

ومما قالته الأديبة الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية الغرناطية في عبد المؤمن ارتجالا بين يديه[113] :

ياسيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده

امنن على بطرس ... يكون للدهر عدة

تخط يمناك فيه ... الحمد لله وحده

وهذه الأديبة أسماء العامرية الإشبيلية، كتبت إلى الخليفة عبد المؤمن رسالة تسأله في حاجة لها . وفي آخرها قصيدة أولها :

عرفنا النصر والفتح المبينا ... لسيدنا امير المومنينا

اذا كان الحديث عن المعالي ... رأيت حديثكم فيها شجونا

ومنها: رويتم علمه فعلمتموه ... وصنتم عهده فغدا مصونا

وفي الرسالة التي كتبها الوزير أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل تخليداً لحادثة عظيمة، هي دخول المصحف العثماني إلى المغرب، في أيام الخليفة عبد المؤمن بن علي، نجد قصيدة من بين الرسالة في ذكر المصحف العثماني ومدح الخليفة عبد المؤمن، كتبها ابن طفيل، وذكرها صاحب النفح . ولا ندري أناظمها ابن طفيل نفسه أم ابن رشيد الذي ذكره صاحب مجاني الأدب في حدائق العرب ونسبها إليه وهذا مطلع القصيدة[114] :

دَرَارِيُّ مِنْ نورِ الهُدى تَتَوَقَّدُ مَطالِعُها فَوْقَ المجرَّةِ أَسْعُدُ
وأنهارُ جود كُلَّما أمسك الحَيا يمدُّ بها طامي الغَوارب مُزْبِدُ

ومنها:

مواقعُ أمرِ الله في كلِّ حالةٍ يَكادُ لها رأسُ الثرى يَتَمَيَّدُ
أهابَ بأقْصَى الخافقَيْنِ فنظّمتْ وهَيَّبَ جمعَ المخفقينَ فبُدِّدُوا
وأضْفَى على الدُّنيا ملابسَ رحمةٍ نُضارتُها في كلِّ حين تجدَّدُ
وأخضَلَ أرجاء الرُّبى فكأنّما عليها من النَّبْتِ النضير زَبَرْجَدُ
فمن طَرَبٍ ما أصبح البرقُ باسماً ومن فَرَحٍ ما أضحت المُزْنُ تُرْعَدُ
وغَنّى على أفنان كل أراكةٍ غذاها حَيَا النُّعْمى حَمامٌ مُغَرِّدُ
وكَبَّرَ ذو نطقٍ وسَبَّح صامتٌ وكاد بهِ المعدومُ يحيا ويُوجَدُ
وأبرز للأذهان ما كان غائباً فسِيّانِ فيها مُطْلَقٌ ومُقَيَّدُ
سلامٌ على المَهْدِيِّ ، أمّا قَضاؤه فَحَتْمٌ ، وأمّا أمْرُهُ فمؤكَّدُ
إمام الوَرَى عمَّ البسيطةَ عدلُه على حين وَجْهُ الأرض بالجور أرْبَدُ
بَصيرٌ رأي الدُّنيا بعَيْنٍ جَلِيّةٍ فلَمْ يُغْنِهِ إلا المقامُ المُمَجَّدُ
ولمّا مَضى والأمْرُ للهِ وَحْدَهُ وبُلِّغَ مأمولٌ وأُنْجِزَ مَوْعِدُ
تَرَدّى أميرُ المؤمنين رداءهُ وقام بأمر الله والناسُ هُجَّدُ

ومنها:

بمُصْحَفِ عُثْمانَ الشهيدِ وجمعه تَبَيّنَ أنّ الحقّ بالحقّ يُعْضَدُ
تحامَتْهُ أيْدي الروم بعدَ انتسافهِ وقَدْ كادَ لولا سَعْدُهُ يتَبَدَّدُ
فَما هوَ إلاّ أن تمرّسَ صارخٌ بدعوته العَلْيا فصينَ المبدَّدُ
وجاء وليُّ الثأر يرغبُ نَصْرَهُ فلبّاهُ مِنْهُ عَزْمُهُ المتجرِّدُ
رأى أثرَ المسفوحِ في صَفَحاته فقام لأخذِ الثأر مِنْهُ مؤيّدُ
وشبّهه بالبَدْرِ وقتَ خُسُوفِهِ فللّه تَشْبيهٌ لَهُ الشرعُ يَشْهَدُ
زمان ارتفاع العلم كانَ خسوفه وقَدْ عادَ بالمهديّ والعَوْدُ أحمدُ
أتَتْكَ أميرَ المؤمنينَ ألوكَةٌ من الحرم الأقصى لأمرك تَمْهَدُ

ومما أنشده أبو جعفر بن سعيد بين يدي الخليفة عبد المؤمن، وقد كان والده عبد الملك بن سعيد يذكره عند الخليفة، فتم تشريفه بالحضور الى مقامه وأنشده[115] :

عليك أحالَني داعي النجاحِ ونَحوَكَ حَثّني حادي الفلاحِ
وكنتُ كساهرٍ ليلاً طويلاً ترنّحَ حينَ بُشّرَ بالصباحِ
وذي جهلٍ تَغَلْغَلَ في قفارٍ شكا ظمأ فدلّ على القَراحِ
دعانا نحو وجهكَ طيبُ ذكرٍ ويُذْكَر للرياضِ شَذا الرياحِ

وله في أبيه و قد سجنه الخليفة عبد المؤمن[116]:

مولايَ إن يحبسْكَ خيرُ خليفةٍ فبِذاكَ فخرُكَ واعتلاءُ الشانِ
فالجفنُ يحبس نورَهُ من غبطةٍ والمرهَفاتُ تصانُ في الأجْفانِ

فابشرْ فنزعُ الدُّرِّ من أصدافه يُعليـــه للأسلاكِ والتيجـــانِ
ولئن غدا مَنْ ظَلَّ دونك مطلقاً إنَّ القذى مُلْقًى عن الأجفانِ
والعينَ تحبسُ دائماً أجْفانُها وهدايَـــةُ الإنْسانِ بالإنسانِ
والطرسُ يختمُ ما حواه نفاسةً ويهانُ ما يبدو من العنوانِ
فاهنأ به لكنْ مَليّاً مكثُهُ سجنـــاً لغيرِ مذلّـــةٍ وهوانِ
فلتعلُوَنْ رغمَ الأعادي بعده بذرى الخليفةِ في ذرى كيوانِ

وممن مدح الخليفة عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح، أخيل بن ادريس الرندي بقصيدة[117] :

ما الفخرُ إلاّ فخرُ عبدِ المؤمنِ أثنى عليهِ كلُّ عبدٍ مؤمنِ
أمّا ابنُ سَعْدٍ فهو أوّلُ مارقٍ يا ليته بأبيه سَعْدٍ يَكْتَني
ما قدرُ مُرسيةٍ وحكمك نافذٌ إن شئتَ من عدنٍ لأرضِ المعدنِ

فلما أكملها قال له الخليفة: أجدت، فقال ارتجالا:

من لي أميرَ المؤمنين بموقفي هذا وقولك لي أجدتَ ولم تَنِ
فلقد مدحتك خائفاً أن لا يفي لَسَني بما يُعْيي جميعَ الألسنِ

وفي مدحه أيضا، قال القاسم بن عبد الرحمن بن مسعدة الأوسي[118] :

حنانيك مَـدْعُوّاً ولبّيك داعيا فكلٌّ بما ترضاهُ أصبحَ راضيا
طلعتَ على أرجائنا بعد فتْرةٍ وقد بلَغَتْ منّا النفوسُ التراقيا
وقد كثُرتْ منّا سيوفٌ لدى العُلا ومن سيفك المنصورِ نبغي التقاضيا
وغيرك نادَيْنا زماناً فلم يجبْ وعزمك لم يحتجْ علاه مناديا

وهذه قصيدة ابن حبوس في الوزير بن عطية يذمه بعد نكبته، و يمدح الخليفة عبد المؤمن[119] :

أنـدلـسـيّ لـيـس مـن بَـزبـرِ
يـخـتـلـس الـمـلـكَ مـن الـبَـزبـر
لا تُـسْـلِـمُ الـبـربـرُ مـا شـيّـدَتْ
بـالـمَـلِـك الـقَـيْـسـيّ مـن مَـفْـخَـر

وله كذلك يمدح الخليفة عبد المؤمن و قد حل بالرباط[120] :

أَلاَ أيُّهذا البحرُ جاوَرَك البحرُ وخيَّم في أرجائك النفع والضرُّ
وجاشَ على أمْواهِك العقلُ والِحجا وفاضَ على أعطافِك النهيُ والأَمر
وسال عليك البَرُّ خيلاً كُماتُها اذا حاولت غزْواً فقد وجب النَّصر
لعلك يُطغِيك اشتراكٌ سمعتَه فذلك بحرٌ لا يُشاكِلُه بحر

فأنتَ خديمُ الشمس والبدْرِ عُنوةً وتخدُمه في أَمره الشمسُ والبدر
ويحْوِيكَ شطرُ الأَرضِ تعمُر بعضَه وفي صدْره الأَفلاكُ والبَحر والبَر
وقد وَسِعَ الأَيام جوداً ونَجْدةً وليس لما تأتي به عنده قَـدْر
وما لك مِن معنىً تُشارِكُه به سوى خُدَعٍ في النطق زَخْرَفَها الشِّعر
وما لكَ من شيءٍ يُشير الى التي تَفُوهُ بها الا السَّلاَطَةُ والهَذْر
وليس اشتراكُ اللفظ يُوجِبُ مَدْحةً
ولكِنَّه إن وافَقَ الخَبَرَ الخُبْرُ

وفي قصيدة أخرى يمدحه بها لما فتح مدينة بجاية وهي الناصرية[121]:

مَن القومُ بالغَرْب تُصْغِي الى حـــديثِهِمُ أُذُنُ المشْرق
جرَوْا والمنايَا الى غـــايةٍ فلم يَسْبِقوهـــا ولم تَسْبقِ
بِأَيْدِيهمُ النـــارُ مشبوبـــةً فمهما تُصِبْ باطـــلًا تُحْرق
يقـــودُهُمُ مَلِـــكٌ أَرْوَعٌ تفـــرَّد بالسُّؤْدَدِ المُطْلَق
تخـــيَّره اللهُ مـــن آدمٍ فمَا زالَ مُنحـــدِراً يرْتَقي
الى النـاصرية سِرْنا معـــاً ولمـــا تفتْنـــا ولم تَلْحق
إلى بَرْزَةٍ في ذُرَى أَرْعَـــنٍ تَجِـــلُّ عن السُّورِ والخَندق
يعوذُون منّـــا بِمـــوْلَاهُمُ ومـــولاهُمُ عـــاذَ بالزَّوْرَق
وأَكْسَبَهُ خوفُـــه رِقَّـــةً فلو خاضَ في البحر لم يَغْرق

وفي وضع مدينة المهدية ببرج الأسد يقول الشاعر ابن حبوس الفاسي في الخليفة عبد المؤمن[122] :

بـطالـع الأسـد اختطَّ البـنـاء بهـا لـكـنـك الأسـد الـدامي الأظـافـر
بـاب حـديـد وأبـراج ثـمـانـيـة تـسخـر العـقـل فيـه أي تـسخـير

ومما ينسب للخليفة عبد المؤمن قوله[123] :

وَلمَّـا قضيْنَا بـالمشـارقِ أمـرَنَـا وَتـم مـراد الله فـي كـلِّ مـطلبِ
وأشرقتِ الشمسُ المنيرة موهناً وأصبـح وجـهُ الحق غيـرَ محجَّبِ
وطُهِّـر هذا السّقـعُ من كـلِ كـافرٍ وعـادَ بهـا الإسـلامُ بعـدَ تـغيُّـب
وكسـرتِ الصُّلبـانُ في كـلِّ بيعـةٍ ونـادى منادي الحق في كـلِّ مـرقبِ

أشـرنـا بـأعنـاق المـطيِّ إليكُـمُ فـطارَ بهـا شـأْوُ السُّـرور بمغـرب

فـأبْشِـر أبـا حفص بنصـرٍ مؤزَّرٍ كفيـلٍ بمـا تبغيـه في كـلِّ مـذْهَب

ولا بـدَّ من يـومٍ أغـرَّ محجَّـلٍ يُسيـل دمـاءَ الكفـر في كـل مـذْنَب

وتُشفى صـدورُ المـؤمنين بغـزوةٍ تكـون على حكم الحُسام المدرَّب

ويغزُو بلاد الـروم جيشٌ عرمـرمٌ تُخُيِّـرَ من قيسٍ وأبنـاء يعْـرُب

تصـول بـه من عصبـة الحق مَعْشَرٌ نخيـلة مـا أبقـاه ميـر مجـرِّب

فيـدمغ بـالصمصـام كـلَّ مُجَـاهِـرٍ ويقـطع بـالبـرهـان كـلَّ مشغِّب

فـطوبى لأهل الغـرب ماذا يـرونـه من النَّصـر والفتـح المبينِ المقـرَّب

وهذا الشاعر أحمد الأشبيلي المعروف باللص يهنئ الخليفة عبد المؤمن بهزيمة العرب المذكورين وهذه أبيات من القصيدة[124] :

صعِّـد بفكـرِكَ بَعْـدَهـا أوْ صـوِّب مـا دُونَ أمْـرِ اللهِ مِـنْ مـتـرقَّـبِ

الشَّمْسُ تحجبُ في الطُّلوع وبَعـدَه واذا تـطلع نـورُهـا لـم تُـحْـجَب

هـذي الخـلافـة لا خـلافـة بعـدهـا جـاءت على الهدي القـويم الأوجب

احْنَى على مَن حَاد من صَرْف الرَّدَى! أحنى على مَن هادَ من عَطْف الأب!

اضْحَى بـه السِّـرحـان رَاعِيَ ثُـلَّةٍ أمْنـاً وبـات الصَّقْـرُ ضَيْفَ الثَّعْلَب!

عصفتْ بـأقْصَى الشَّـرق منه عـزمـةٌ حنَّت لشـرْواهَـا بـأقْصَى المَغـرِب!

يـا طيِّبهـا معنىً وطيبَ حـديثِهـا والنَّفسُ يلهَـجُ بـالحـدِيثِ الطيِّب!

فـأتتْ على شِيَعِ الضَّـلالَ كمـا أتَى ضَـوْءُ الصَّباحِ على سَـواد الغَيْهَب

ومضَتْ على حـدِّ الحُسَـام أعَـارِبٌ نَكَثـوا عُهُـوداً أُبْـرِمَتْ في يَعْـرُب

لـمـا حَـذَاهم لـلجهـاد مُـشَمِّـرٌ ذهَبُـوا من التـأويـل أخْبَثَ مـذْهَبِ

فـكـأنمـا ألقِى الـكتـابُ إليـهم «أنَّ الـجِهـاد عـليهـم لم يُـكتَـب!»

ورأوا غـمـامـاً لم يشـكُّـوا ضـلةً في أنَّ مـسـراهـا لـبـرق خُـلَّبِ

غـطَّى على أبْصَـارهم قـدرُ الـرَّدَى فَـاستَنْـزَرُوهـا وهي مَـلءُ السَّبْسَبِ

والـمَـرْءُ يـطمـعَ مـا دَنَـتْ مِنْـهُ ويُؤْيِسُـه بعَـيـدُ المـطلب!

ولـربَّمـا حسبَ الفتى أطمـاعَـه بـالتُّرب وهي منـوطة بـالكَـوْكَب!

ومما طرح بمجلس الخليفة عبد المؤمن من أبيات مكيدة في وزيره ابن عطية، نسبها صاحب الإحاطة لمروان بن عبد العزيز[125] :

قـل لـلإمـام أطـال الله مـدتـه	قولاً تبين لذي لب حقائقه
إن الزراجين قوم قد وترتهم	وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه
ولـلـوزيـر إلـى آرائـهـم مـيـل	فذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم في إطفاء نارهم	فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كهم	فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم	والحق أبلج لا تخفى طرائقه

ومما قاله كذلك الشاعر ابن حربون، قصيدة يمدح الخليفة بها و يهنئه بفتح بجاية ويذكر وقعته في العرب[126] :

إلى هـــذه كـــان انتهـــاء المطالـــبِ	فـسَقْيًا ورَعْيًـا بعـدَها للرَّكائـبِ
فيــا نعمــةً كانــت مـــن الله نقمـــةً	على كلِّ مُـزْورٍّ عـن الحـقِّ ناكـبِ
جـــلا الـــسعدُ	.... والترائـــبِ
وصَيَّرْن بِيضَ الهندِ حُمـرًا كـأنّما	سَفَرْنَ إلينـا عـن خـدودِ الكواعـبِ
وقـائعُ غـارَتْ في الـبلاد وأنجَـدتْ	فمَــدَّ يــدًا للــسِّلم كـــلُّ مُحـــاربِ
فـــأيقَنَ مُرتـــابٌ وآمَـــنَ كـــافرٌ	وثابَـتْ إلى العـاصي بـصيرةُ تائـبِ
فكيف يُطيقُ النـاسُ شُـكرَ جَنابِكمْ	وأعمارُهمْ من بعض تلك المواهـبِ

وفي وصول البيعات من كل الجهات للخليفة عبد المؤمن، أنشده الشعراء مهنئين له بهذه البيعة السعيدة، إذ قال الشاعر إسماعيل بن محمد الشواش[127] :

أجــابَ بــه داعــي الحيــاة مُثوِّبــا فبـادَرَه واسـتنجَدَ الـريحَ مَرْكبـا

إمـامُ هُـدًى يـدعو إلى الحـقِّ معلنًـا فيا فوزَ من لبَّـى ويـا ويـلَ مـن أبَـى

خليفــةُ مهــديِّ الــورى وأمينُــهُ تــولّاه في المحيــا ووالاه مُعقِبــا

حــواهُ أمــينٌ للإمامــة حــافظٌ وأدى حقــوقَ الله فيــه وأوجَبــا

وأنجَــزَه في الفــتح صــادقَ وعــدِه فمكَّنَــه في الأرض شرقًــا ومغربــا

لقد رَضِيَتْ فيـك الخلافـةُ مُرتـضًى لها أوجَبَـت فيـك الدِّيانـةُ مُجتبـى

وبالأمن والإيـمان والفـوز والرِّضـا ولايـةُ عهـد تُطلـعُ الـسَّعدَ كوكبـا

ونوجِيتَ بالسعدِ الذي قُدِّرتْ له فأمـضَيْتَ أمـرًا كـان أولى وأوْجَبـا

هو الـمَلِكُ الميمونُ في مطلع الرِّضـا أنــار وفي حُجْــر المعــالي تَرَتَّبــا

فأُنـشئ مـن صَـفْو الحيـاةِ وسرِّهـا وبـوِّئ مـن مَغْنـاك غَـيْلًا مؤشَّـبا

ويكفيه فخرًا يضمَنُ الفضلَ والنُّهى بـأنْ كـان منـكَ ابنًـا وكنـتَ لـه أبـا

ولما انتصر الخليفة عبد المؤمن بالأندلس واستقامت بذلك الأمور للموحدين، مدح الشاعر أبو العباس الجراوي الخليفة بقوله[128] :

أعلَيْــتَ ديــنَ الواحــدِ القهّــارِ بالـمَــشْرَفيّة والقَنــا الخَطّــارِ

ورأى بــكَ الإســلامُ قُــرَّة عينِــهِ وغــدَتْ بــك الغَــرّاءُ دارَ قــرارِ

وسلَكْتَ مـن طُـرُق الهدايـة لاحبًـا طُــوبى لــمَن يمـشي عـلى الآثـارِ

وجـرَت معـاليكُمْ إلى الأمَـدِ الـذي بعُــدت مــسافتُه عــلى الأســفارِ

وقَفـتْ عـلى مـا قـد أردتَ سـعادةً وقَفَــت عليهــا خدمــةُ الأقــدارِ

لا تُــخلِقُ الأيــامُ جِــدّةَ مُلكِكــمْ أبــدًا ولا تَــبلى عــلى الأعــصارِ

لا غَــرْوَ أنْ كنــتَ الأخــيرَ زمانَــهُ فالفــضلُ للآصــالِ والأســحارِ

وافَيْــتَ أندَلُــسًا فــأُمِّنَ خــائفٌ وسَــمَا لأخْــذ الثــأرِ ربُّ الثــارِ

وحَلَلْتمُ جبلَ الهُدى فحللتُمُ منهُ عُقودَ عزائم الكفّارِ
جبلُ الهُدى والفتحُ والنّصرُ الذي سبَقَتْ بشائرُهُ إلى الأمصارِ
لو بَدَّلوا أقدامَهمْ بقوادمٍ طاروا عن الأوطانِ كلَّ مطارِ
لو راءَ موسى ما فعلتَ وطارقٌ زَرِيَا بما لهما من الآثارِ
أتممْتَ ما قد أمَّلوهُ ففاتَهمْ من نَصْر دينِ الواحدِ القهارِ
بعرابِ خيل فوقَهنّ أعاربٌ من كلِّ مُقتحِم على الأخطارِ
أكرِمْ بهِنَّ قبائلًا إقلالُها في الحربِ يُغنيها عنِ الإكثارِ
وانظُرْ إذا اصطُفَّت كتائبُها إلى ما تَحمَدُ الكُتّابُ في الأسطارِ
لو أنّها نَصَرت عليًّا لم تَرِدْ خيلُ ابن حَرْب ساحةَ الأنبارِ
هم أظهَروهُ معَ النبيِّ وواجِبٌ أن يُتْبِعوا الإظهارَ بالإظهارِ
ملِكَ الملوكِ لقد أنِفتَ إلى العُلى ونظَرتَ من فوقٍ إلى الأقدارِ
أنتَ السّبيلُ إلى النّجاة فكلُّنا لولاك كان على شَفيرِ هارِ
وجرَيْتَ في نَصْرِ الإلهِ إلى مدًى يكبو وراءك فيه كلُّ مُجارِ
قد ضاق ذَرْعُ الكفرِ منك وأهلُهُ بموفَّق الإيرادِ والإصدارِ

ومنها:

متأهِّبٌ للأمرِ قبلَ أوانِهِ مُطلِّعٌ على.......... رارِ
متحمِّلٌ أعباءَ كُلِّ عظيمةٍ .... بالنَّفْع والإضرارِ
مُلئتْ بهِ الدّنيا صفاءً بعدَما مُلئتْ من الأقذارِ والأكدارِ
أخليفةَ المَهْديِّ دُمتَ مؤيَّدًا باللهِ منتقمًا من الكفّارِ
ترمي شياطينَ الأعادي في الوَغَى برُجوم خيل من سماءِ غُبارِ
رَوَّعتَ كلَّ مُروَّع وحفِظتَ كُلَّ مضيَّع وحمَيْت كلَّ ذِمارِ

ومن قول الجراوي أيضا يمدح الخليفة عبد المؤمن و يذكر إفريقية حين كان بها على المهدية :

كانت مـحَلَّ أُناس قبلَنا فخَلَوْا ... عنهـا وآثـارُهمْ فيهـا مُقـيماتُ

تـالله لـو عَلِمـتْ مقـدارَ وارثِهـا ... هبَّـت إليـك رُباهـا والقَـراراتُ

قالوا العَطِيّاتُ أحياها فقلتُ لهـمْ ... بـل لم تكـنْ قبـلَ أنْ كـان العَطِيّاتُ

أمـا سَـمعتُمْ جَريـرًا عـن هُنَيْدتِـهِ ... يُثني يَـرى أنهـا في الجُـودِ غايـاتُ

وأين مِن حبسه الآلافَ مـن ذهـبٍ ... هُنَيـدةٌ مـن سـواه أو هُنَيْـداتُ

وإنّ مـن قَـيْس عَـيْلانٍ أرُومتُـهُ ... وقـيسُ عَـيْلانَ أمـلاكٌ وسـاداتُ

ومن يكـنْ مـن أمـيرِ المؤمنينَ فقـد ... قامـت عـلى فضلهِ منـه الشّهاداتُ

اهنَـأْ إمـامَ الهُـدى فالعـدلُ مُنبسِطٌ ... والـدِّينُ منـتظمٌ والكفـرُ أشـتاتُ

أعيَـتْ مـآثرُكمْ مـن أن تُنـالَ وكـم ... شُـنَّت عليهـا مـن الأقـوالِ غـاراتُ

وكم أرادت وُلاةُ الشِّعر تَـحصُرُها ... فأخفَقَـت دونَهـا مـنهمْ إراداتُ

هـذي أُبَيَّـاتُ عبـد مُـخلِص لكـمُ ... مَـحْضَ اعتقادٍ ومـا تُغنـي الأُبَيّـاتُ

الأمـرُ أعظـمُ مقـدارًا وأرفـعُ مِـن ... أنْ قـد تُـحيطُ بـه منّـا مقامـاتُ

دمـتُمْ ودام لكـمْ إسـعادُ سـعدِكمْ ... ما دامت الأرضُ والسبعُ السّماواتُ

ومن قوله أيضا رحمه الله في فتح المهدية ومدح الخليفة كذلك:

لـمَن الخُيـولُ كـأنّهن سُـيولُ ... غُـصَّت بهـنَّ سَباسـبٌ وهجـولُ

طُوِيت لها الدّنيا فأبعَـدُ مـا انتحَـتْ ... دانٍ وأبطـأُ سـيرِها تعجيـلُ

يَغزو أديـمَ الأرض مـن صَهَلانِـها ... مثـلُ اسـمِها حتـى تكـادُ تـزولُ

فصَهيلُها مَـحْضُ الثنـاءِ وإن يكـنْ ... لا يَفهَـمُ المـستمتعونَ صـهيلُ

تُثنـي عـلى الملِـكِ الـذي أيّامُـهُ سَـتْرٌ عـلى هـذا الـورى مـسدولُ

عـمَّ البـسيطةَ مُلكُـهُ فكأنّـهُ سَـيْلٌ عـلى كـلِّ الـبلاد يَـسيلُ

جَهِـلَ النّـصارى أنـه الملِـكُ الـذي يـرِثُ الـبلادَ وعُـذرُهمْ مقبـولُ

أهـلُ الجَهالـة هـمْ فكيـفَ ألـومُهمْ وعلِمـتُ أنّ الطبـعَ لـيس يَـحُولُ

لم ينزِلـوا طَوْعًـا ولا كُرهًـا ولـ ـكنْ وراءَ الـصّين منـهُ مَهُـولُ

ودَرَتْ نفوسُـهمُ بأنـك ظـافرٌ فأتـت تُقـدِّمُ [مـا] إليـه تَـؤولُ

فعفَـوْتَ عفـوَ القـادرينَ تكرُّمًـا عـنهمْ وعفـوُ القـادرينَ جميـلُ

شَـكرَ الـبلادُ مـعَ العبـاد خليفـةً هـو بـالبلادِ وبالعبـاد كفيـلُ

لـو تنطِـقُ الـمَهْديّتانِ لَقالَتـا في الـشّكر مـالا يُـدرِكُ التحـصيلُ

بـالأمسِ يمـلأُ سـمعَها ناقوسُـهمْ واليـومَ يمـلأُ سـمعَها التهليـلُ

وهذا الكاتب أبو عمران موسى يكتب قصيدة طويلة بلسان الخليفة عبد المؤمن في استدعاء عرب افريقية. وهذا مطلع القصيدة[129] :

أسُـلَيْمُ دعـوةَ ذي إخـاءٍ مُرشـدِ هـادٍ إلى الحـقِّ المبـين الـمُـسعدِ

ومُـذكِّرٍ مـا كـان أسـلافٌ لكـمْ فَـضَلوا بـه أفعـالَ كـلِّ مـسدَّدِ

بجهـادِ أعـداء الإلـه ونَـصْرِهمْ لرسـول ربِّهـمُ النبـيِّ محمـدِ

وتعرَّفـوا أنّـا علـيكمْ صُـبَّرٌ حتـى يعـودَ جـوابُ هـذا المنشدِ

ومما ذكره صاحب زاد المسافر قوله[130] :{أنشد سيدنا الإمام أمير المسلمين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله عنهم قول السلمي هذا و قد طرب في مجلس ابن سعد و هناك حسن الزامر و شيعته:

أَدِرْ كُؤُوسَ المُدامِ وَالزَّرِّ   فَقَدْ ظَفِرْنَا بِدَوْلَةِ العِزِّ
وَمَتِّعِ الكَفَّ مِنْ مَفَاحِسَنٍ   فَإِنَّهُ فِي لِيَانَةِ الخَزِّ
وَصَاحِبٍ إِنْ طَلَبْتُ أَخْدَعَهُ   لَمْ يَكُ فِي بَذْلِهِ بِمُعْتَزِّ
أَنْحَى عَلَى أَخْدَعِي فَأَطْرَبَنِي   وَهَزَّ عِطْفَيَّ أَيَّمَا هَزِّ
أَلزَّرُّ بَزُّ القَفَا وَحِلْيَتُهُ   فَاخْلَعْ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ البَزِّ

{...

وهذا الشاعر عبد الله بن أبي العباس يمدح الخليفة عبد المؤمن بقصيدة[131]:

طَاوِعْ فَطَوْعُ يَمِينِكَ المَقْدُورُ   وَاسْلَمْ فَأَنْتَ النَّاصِرُ المَنْصُورُ
وَاضْرِبْ بِسَيْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ العِدَى   إِنَّ القَضَاءَ حِسَابُكَ المَسْطُورُ
وَرَدَتْ لَكُمْ بُشْرَى النَّبِيِّ فَصَرَّحَتْ   أَعْجَازُ تَصْدِيقٍ بِهِ وَصُدُورُ
وَأَعَدْتُمُ الدِّينَ الحَنِيفَ لِبَدْئِهِ   فَكَأَنَّ خَيْرَكُمُ لَهُ تَصْدِيرُ
سَائِلْ عَنِ الأَعْرَابِ مَعْرِفَةَ الظُّبَا   يُخْبِرْكَ مِنْهَا شَاهِدٌ وَخَبِيرُ
جَلَبُوا الجِيَادَ الجُرْدَ كَيْ تَحْمِيهُمُ   فَغَدَتْ بِهِمْ لِلْحَيْنِ وَهْيَ قُبُورُ
أَهْدَيْتُمُ سُمْرَ الرِّمَاحِ رِسَالَةً   وَأَتَاهُمُ بِالْمُرْهَفَاتِ نَذِيرُ
فَكَأَنَّ هَامَهُمُ غُمُودٌ لِلظُّبَا   عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلِلسِّهَامِ ضَمِيرُ

ومنها:

وَكَأَنَّهُ فَوْقَ العَوَالِي خَاطِبٌ   يُومِي لِمَصْرَعِهِ بِهَا وَيُشِيرُ
وَكَأَنَّ مَسْعُوداً عَلَى ضِدِّ اسْمِهِ   وَضِبَارُهُ فِي قِدِّهِ مَجْبُورُ
مَنْ لاَ تُدَانِيهِ النُّجُومُ جَلاَلَةً   مَنْ لاَ يُحِيطُ بِوَصْفِهِ التَّعْبِيرُ
مَنْ لاَ تُوَازِيهِ الجِبَالُ سَكِينَةً   أَضْحَى شَبَامُ دُونَهَا وَثَبِيرُ
مَلِكٌ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ لِمَلِيكِهِ   يَرْتَدُّ عَنْهَا الطَّرْفُ وَهْوَ حَسِيرُ
وَإِذَا أَدَارَ بِكَفِّهِ سُمْرَ القَنَا   هَشَّتْ إِلَيْهِ مِنَ العِدَاةِ نُحُورُ
هُوَ حُجَّةُ اللهِ الَّتِي بِبَيَانِهَا   نَطَقَ الكِتَابُ وَأَنْبَأَ التَّفْسِيرُ
فَاهْنَأْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا   أَيْدِي القَضَاءِ بِمَا تَشَاءُ تَدُورُ

وهذا شاعر الخلافة المهدوية ابن حبوس يذكر احتفال الخليفة عبد المؤمن بالمصحف العثماني عند نقله من قرطبة إلى مراكش، والصنيع العظيم الذي فعل بتزيينه وتحليته وصيانته[132]:

سيشكرُ المصحفُ إكبابَكم
عليه إذ أوْجَده الفقْدُ
أذكرتُمُ الأيامَ ما أغفلت
من بِرّه إذ قَدُم العهْدُ
مُصحف ذي النورين عثمانَ ما
كان لكم عن صونه بُدّ
أوسعتم الدنيا اطّراحاً وما
كان لكم إلا به وَجْد
يحنو عليه العطف منكم ولا
يُغبّه الإشفاقُ والودّ
صَبابةٌ منكم بله لم تكن
تُثِيرها جُمْلٌ ولا دَعْدُ
أحببتُمُ المولى فأحببتُم
ما خطّهُ من وَحْيِه العبْدُ
ألبستُموه حِلْيَةً لم يكن
يسمحُ للكفّ بها الزّندُ
لم تُدركِ الأعرابُ ما كُنهُها
ولا ادّعت إدراكَها السّغْدُ
لأسْفَرت سَفْرتُكم هذه
عن واضحاتٍ نُجْحها نَقْدُ
تكفّل السعدُ بمقصودكم
وبانتِ الوجْهةُ والقَصدُ
عنايةُ الله بكم جمّةٌ
لكم عليها الشكرُ والحمدُ

وفي قصر الخليفة عبد المؤمن بالأندلس، أنشد أبا جعفر بن سعيد فيه أبياتا، وقد مر به بعدما رحل عند الخليفة[133] :

قصر الخليفة لا أخليت من كرم وإن خلوت من الأعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته والغيل يخلو وتبقى هيبة الأسد

الخليفة أبو يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن

ومن الوافدين من أهل الجزائر رجل من أعمال بجاية، وفد على أمير المؤمنين أبي يعقوب وهو بتينمل، فقام على قبر ابن تومرت بمحضر من الموحدين وأنشده قصيدة أولها [134] :

سَلامٌ على قَبْرِ الإمامِ المُمَجَّدِ ... سُلالةِ خَيْرِ العالمينَ مُحمَّدِ
وَمُشْبِهِهِ في خَلْقِهِ ثم في اسْمِهِ ... وفي اسْمِ أبيهِ والقَضاءِ المُسدَّدِ
وَمُحْيي عُلومِ الدينِ بَعْدَ مَماتِها ... وَمُظْهِرِ أسرارِ الكتابِ المُسدَّدِ
أتتنا بهِ البُشْرَى بأنْ يَمْلأ الدُّنا ... بِقسْطٍ وَعَدْلٍ في الأنامِ مُخلَّدِ
ويَفْتَتِحُ الأمصارَ شَرْقاً ومَغْرِباً ... وَيملِكُ عُرْباً مِنْ مُغيرٍ وَمُنْجِدِ
فَمِنْ وَصْفِهِ: أقنَى وأجْلَى وأنه ... عَلاماتُه خَمسٌ تَبِينُ لِمُهتدي:
زمانٌ، واسمٌ، والمكانُ، ونسبةٌ ... وفعلٌ له في عِصْمةٍ وتأيُّدِ
وَيلبثُ سَبعاً أو فَتِسْعاً يَعِيشُها ... كذا جاء في نصٍّ من النقلِ مُسْنَدِ
فَقدْ عاشَ تِسعاً مثلَ قولِ نبيِّنا ... فَذَلِكمُ المهديُّ باللهِ يَهْتَدي
وَتتبعهُ لِلنصرِ طائفةُ الهُدَى ... فَأكْرِمْ بهم إخوانَ ذي الصِّدْقِ أحمدِ
هي الثُّلةُ المذكور في الذكرِ أمْرها ... وَطائفةُ المهديِّ بالحق تَهْتدي
وَيَقْدُمُها المنصورُ والناصرُ الذي ... له النصرُ حزبٌ إذ يروحُ ويغتدي
هُو المُنْتقَى مِنْ قَيْسِ عَيلانَ مَفْخراً ... ومِنْ مُرَّةٍ أهلِ الجلالِ المُوطَّدِ
خَليفةُ مَهْديِّ الإلهِ وَسيفُهُ ... ومَنْ قَدْ غدا بالعلم والحلم مُرْتَدي
بِهِمْ يَقمَعُ اللهُ الجبابرةَ الأولى ... يَصُدُّون عن حُكْمٍ مِنَ الحقِّ مُرشِدِ
ويَقطعُ أيامَ الجبابرةِ التي ... أبادتْ مِنَ الإسلامِ كلَّ مُشيَّدِ
فَيغْزونَ أعرابَ الجزيرة عَنْوةً ... وَيَغْرُون منها فارساً وكأنْ قَدِ
وَيَفْتَتِحُون الرومَ فَتْحَ غَنيمةٍ ... وَيَقْتَسِمونَ المالَ بالتُّرسِ عَنْ يَدِ

وَيَغدُون للدّجّالِ يَغزُونَهُ ضُحَى ... يُذيقُونه حَدَّ الحُسام المُهنّدِ
وَيَقتُلُهُ في بابِ لُدٍّ وَتَنجَلي ... شُكوكٌ أمالتْ قلبَ مَنْ لم يُوحّدِ
وَينزلُ عِيسَى فِيهُم وأميرُهم ... إمامٌ فَيدعُوهمْ لِمحرابِ مَسْجدِ
يُصلّي بهم ذاك الأميرُ صَلاتهُمْ ... بتَقديم عيسَى المُصْطَفى عَنْ تَعمُّدِ
فَيمْسَحُ بالكَفَّيْنِ مِنْهُ وَجُوهَهُمْ ... وَيُخبِرهُم حَقّاً بِعزٍّ مُجَدَّدِ
وَما إنْ يَزالُ الأمرُ فيهِ وَفِيهِمُ ... إلى آخرِ الدّهرِ الطّويلِ المُسَرْمَدِ
فأبلغْ أميرَ المُؤمنين تَحيّةً ... علَى النّأي منّي والوِدادِ المُؤكّدِ
عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ ما ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا صَدَر الوُرّاد عَنْ وِرْدِ مَوْرِدِ

ومما ذكر أن الخليفة يوسف كان قد عتب على أخيه الحسن فكتب إليه الحسن بهذه الأبيات[135] :

اذا نحن اذنبنا فعفوك نطلب ... وان نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانيك قد عودتنا منك رحمة ... وأنت لنا فى كل حالاتنا الأب
ولم نتعود قبل حالة ذلة ... ولا حذرا مما يقول المحبب

وهذا القاضي أبو حفص عمر السلمي يمدح الخليفة يوسف[136] :

اللهُ حسبُك والسبعُ الحواميم ... تغزو بها سبعةٌ وهى الأقاليمُ
سبعُ المَثانى التى لله قمتَ بها ... عليك من نصرها نصٌ وتقديم
وأنت بالسور السبع الطّوال على ... كل الورَى حاكم بالله محكوم
والدّهر سَبْعَته وسبعة جمعات ... جواد مالك والمنصور مخدوم
وسبعةُ الشُّهب لم تَحْفِل بها ثقةً ... بوعد ربّكَ هَيهَاتَ التناجيمُ
تسمو بنفس على السَّبْع الشّداد سمتْ ... فينا ونَمَّ لها زُلْفَى وتكريم
أنوار عدلك فى الآفاق داعية ... هل فى البسيطة ظَلّام ومظلوم

أعلى بك الله أعلاما هدَيتَ بها فأنت فيهنّ إكمال وتتميم
عليك أهلُ الهدى والحقُّ متفق وحبل من فارق الإجماع مصروم

ومنها أيضا .

فؤاده بضياء العلم منشرح ووجهه بجمال النور موسوم
وكفُّهُ بَطْنُها بالخير منهمر وظهرُها لعهود الله مَلثوم
العلم قيمته والحلم شيمته طابت أرومته والنفس والخِيم
لطالبي العلم ما شاءوا بخدمته غِنًى وعز وإرشاد وتعليم
سُحب العلوم عليهم من سماحته تَهْمِي ففي بحرها هُمْ شرعٌ هِيمُ
العَيْنُ من نظَرٍ والأذن من خَبَرٍ لا تشبعان وباغي العلم منهوم
يُغْضِي أناةً وحلما عالما وله في موضع الحق إقدامٌ وتصميم

ومدحه كذلك مهنئا له ببيعته الثانية[137] :

ألا هكذا تُبْنَى العُلا والمآثر وتسمو إلى الأمر الكبير الأكابرُ
تؤمُّ لبيعات الرِّضا مطلعَ الهدَى وحيث الهدايا تعتلي والأوامرُ

وله فيه قصيدة أخرى[138] :

يَزَعُ الإلهُ بسطوة السلطان
مَن لم يَزَعْه واعظُ القرآن
أخَوَان إمّا حكمةٌ أو مُرهَفٌ
هَذِي يَمانِيَّةٌ وذاك يَمَان

شُـدُّوا الـيَـراعـةَ بـالـحُـسـام فـإنـه
بُـرهـانُ مَـن يَـعْـمَـى عـن الـبُـرهـان
يـهـدِي الـبـرِيَّـةَ مُـمْـسِـياً أو مُـصْـبِـحاً
فـكـأنـمـا فـي وجـهِـهِ الـقَـمـران

ومما أنشده الشاعر ابن مجبر للخليفة يوسف بن عبد المؤمن يهنئه بفتح[139] :

إنَّ خيرَ الفتوح ما جاء عَفْواً مثل ما يخطبُ الخطيبُ ارتجالا

وهذا أبو جعفر الوقشي البلنسي نزيل مالقة، يمدح الخليفة يوسف أيضا[140] :

أبتْ غير ماء بالنخيل وُرُودا وهامت به عذبَ الجِمامِ بَرُودا
وقالت لحاديها أتَمَّ زيادةٌ على العشر في وِرْدي له فأزيدا
غلبتكِ ما هذا القنوع وما أنا عهدتكِ لا تثنين عنه وريدا
أنوناً إذا ما كنتِ منهُ قريبةً وضبّاً إذا ما كان عنكِ بعيدا
رِدي حضرة الملك الظليل رواقُهُ لعمري ففيها تحمدين ورودا
بحيثُ إمام الدين يوسع فضْله جميعَ البرايا مبدئاً ومُعِيدا
أعاد إليها الأنسَ بَعد شروده وأحيا لَنا ما كان منهُ أبيدا
ولَيّنَ أيام الزمـان بعـدله وكانت حديداً في الخطوب حديدا
فلا ليلة إلا يروقك حسنها ولا يومَ إلاّ عاد يفضل عيدا

وهذا شاعر الخلافة أبي العباس الجراوي يمدح الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمناسبة فتح[141] :

بسيفِك صال الدِّينُ في الشّرق والغربِ   ودارت على الأعـداءِ دائـرةُ الحـربِ
وأذعَـــنَ نـــاءٍ واســـتقام مُعانـــدٌ   ولان قيـــادًا كـــلُّ ممتنـــع صَـــعْبِ

وله أيضا يهنئه بهذا الفتح[142] :

عن أَمرِكُم يتصرَّفُ الثقلانِ   وبِنَصْرِكُمْ يتعـــاقَبُ المَلَوان
وبما يسُوءُ عدوَّكُمْ ويسرُّكُم   تتحرَّكُ الأَفـلاكُ في الدَّوَرَان
جاَهدتمُ في الله حقَّ جِهاده   ونهضتُمْ بِحِمايـــة الإِيمان
وتركتمْ أرضَ العِدا وقلوبُهم   في غاية الرَّجفانِ والخَفَقان
وغزاهمُ الدينُ الحنيفيُّ الذي   كُتِبَ الظهورُ له على الأَديان
كَتَب الإِلهُ لكم فُتوحاً في العِدا   هذا لَها وسِواه كالعُنْوانِ
هذا مقامُ المصطفى يا فَوْزَ من   حازَ النِّيابة فيه عن حَسَّانِ
مَن يعْرِفِ الرحمَن حقاً يعْتَرِفْ   بحقُوقِه لخليفـــة الرَّحمان

وله يهنئه بإبلاله من مرض[143] :

سَتَمْلِكُ أَرضَ مصرٍ والعِراقَا   وتجري نحوَكَ الأُمم اسْتِباقـا
اذا لم يتَّفِقْ رأْيٌ ورأْيٌ   أفادا في محبَّتك اتفاقـا
صفا لكَ كلُّ قلبٍ غيرُ صافٍ   وزَحْزَح عن ضمائره النِّفاقـا
وحقُّكُمُ ، وحقُّكُم عظيم   لقد حسُنَ الزمانُ بِكُم وراَقا
وقد بلغ الوجودُ بكم مُناه   وقد أَمِنَتْ عصا الدين انْشِقاقا

أَميرَ المؤْمنين ومَن عليـــه سَنا الإسلام يأْتلِقُ ائتِلاقـا
ويا ملكاً أَحسَّت كل أرض الى أَرض أقام بها اشْتياقـا
يحنُّ اليـك يومٌ غيرُ آتٍ ويشكُو الذاهِبُ الماضي الفِراقا
شكوتَ فأَيُّ قلب غيرُ شاكٍ وأيُّ العيْشِ لم يَمْرُرْ مَذاقا
ولولا عَطفَةُ الإبلال كنّـا بنارِ الوَجد نحترِقُ احترا قا

وله يهنئه بعيد[144] :

شمِلَت ببقائكمُ النعـــمُ وسمَت برجائكمُ الهِمم
وهَمَتْ دِيَمٌ من راحتِكمْ هيهـــاتَ تُساجِلُها الديَمُ
وعنَت لعزائمكم عـــرَبٌ تشقَى بصَوارِمهـــا العَجم
أُسْد تنقـــادُ الأُسْدُ لها بُهَم تنقادُ لهـــا البُهَم
حُمِدت شِيَمُ الأَيام بكم ولكم ذُمَّت منهـــا الشيَم
بهَرتْ أَنوارُ خِلافَتِكم وسماءُ العلم بهـــا عَلَم
فرأى مَن ليس لـــه بَصرٌ ووَعى مَن كان به صَمَم
وأناف المجدُ على زُحَـل وأتى بغرائبـــه الكرَم
أَعيَى البلغـــاءَ مقامُكمُ ولو ان مَقالَهـــمُ حِكَم
أَلعيـــدُ أحقُّ بتَهْنِئَة فله بِكُمُ فخْرٌ عَمَم
دمتُمْ والكلُّ يلوذُ بكُمْ مِن صَرْف الدَّهر ويَعْتَصِم

وهذا الخليفة يوسف يستنجد بأبيه الخليفة عبد المؤمن لما كان أميرا واليا على إشبيلية، و يستعجله في القدوم، ويذكر حال الفتنة، وبعث بهذا الشعر والذي كان قد أمر الكاتب أبو العباس ابن السيد المالقي بنظمه في الأمر المذكور[145] :

هُــو الأمــرُ أمــر الله لــيس لــه ردُّ   يـؤيـدهُ أيـدٌ ويـسـمـو بـه جَـد
وقــد وضــحــت آيــاتُــه وأبــاتــه   وقــد أفحمتْ رُغْبــاً بــه أنسنٌ لُــد
ومــا اشتبهت مُذ حُمَّ إلا لــزائــغ   عـقـيـدتُـه كـفـرٌ وإقــراره جحــدُ
فمَن يبغ فيهـا الغيَّ بعد اجتـلائِـه   فــإن حسام الهِنْـد فيه لَـهُ رُشْـد
وهــذي ريــاحُ ريحــه عصفتْ بِهِمْ   فعـادُوا كعــادٍ حين جلَّلها الرمْـدُ
ولم يُنْجِهم حصْنٌ حصينٌ إذا انزووا   ولم يُغنِهم ذاكَ العـديــدُ ولا العَــدُّ
ولم يَجِدُوا النَّصْر العتيدَ بـزَعْمِهِمْ   من اللاَّت بل رُدُّوا حديثاً كمـا أُردوا
وكـانت سبيـلُ الرُّشْدِ واضحـةً لهُم   فمــا منهُم فيهــا وسيمٌ ولا وَخْــدُ
ولا سَـلَكُـوا فيهــا سلوكَ مُـعــذّر   ولا انتضَحَت فيها الشكـائمُ واللّبْدُ
ولكنهُم مــالُــوا إلى الكفْــر ميلَةً   فصــالتْ بِهِمْ منكُمْ يَدٌ ولهــا الأيْدُ
إليكُم أميــرَ المؤمنين تــوجَّهَتْ   بنـا الرَّغبَـات الجمُّ يحثُّها جهْــدُ
لـعــلَّ عيــانــاً منكُمُ لعبيــدِكُم   وقـربـاً لكم منهُمْ يُدالُ بهِ البُعْــدُ!
فقد عضَّهُم نابٌ من الكُفْرِ معْضِلٌ   وكــانُــوا بكمُ دَهْــراً وأنيــابُــهُ دُرْدُ!
بكُمْ يعصـم الله العليّ جميعَهم   بكم تعظُم الآمالُ بَلْ يكثرُ الرِّفْدُ
بكم يعتلي الإسْلامُ شرقـاً ومغربـاً   فلله فيهــا دائبــاً وَلَــكَ الحَمْــدُ!

وهذا الشاعر أبو الوليد اسماعيل بن عمر المعروف بالشواش الشبلي، يصف انتصار الخليفة يوسف بقصيدة[146] :

عَــزماتُ منصــور العزائم غــالب   ضمنتْ فتُــوح مشــارقٍ ومغــارِب
يــا سعــدَ دين الله أفلح حــزبُــه   وهَــوَتْ عِـداه في عَــذابٍ واصِبِ
أولى لأشيــاع الغَــوايـة والــرَّدى   ووراءَ نــارِ الحقِّ أنجـحُ طــالِب

يمْضِي لأمْر الله غير معرِّجٍ — متوجّهاً بالنّصر ضرْبة لازب

عادَات مخترم العُداة مظفّرٍ — مغتال كل مُعَانِدٍ ومحارِبِ

امنت كتائبُهُ مَكيدات العِدَى — واسْتصحَبَتْ للنّصر الزَم صاحبِ

واستنجدَتْ بنجاحِه وَبِيُمْنِه — فقطعْن عرض البيدِ غيْر لواغِبِ

بسوابقٍ كبوارقٍ، ومواكِبٍ — كَكَواكبٍ، وجنائبٍ كخبائبِ

كاثرْن أعداد الحَصَى وتضاءلَتْ — منها فِساحُ أجارعٍ وأخاشِبِ

طلعَتْ على الأعْداء سحْباً للرّدَى — سالَتْ دَماً بأباطحٍ ومَذانبِ

تلكَ المَخايلُ أغْدَقَت وكافَةً — فحَذارِ من زَجل الرّواعدِ صَائبِ

تلك السُّيول تغولُ من تَسْطُو بِهِ — فاطلُبْ أماناً من هزبرٍ غاضِبِ

خُلُجٌ من البَحْرِ الطّموح هوتْ بهِم — جيّاشةً بزواجرٍ وغَوَارب

يوم العروبة أغْربت فتكاتُه — في الكُفْر عن فتْحٍ مبينٍ راتب

وتيقّن الأعْداءُ أن جِماهُم — من بَعْدِ هذا اليوم نهبُ النّاهب!

ما بَعْدَها إلا مقادَةُ صاغِرٍ — يلقى يداً، أو تَوْبَةً من تائِب

من لم تبصّرْهُ بصيرةُ مهتَدٍ — فليهْدِه للرُّشْد عقْل تَجارِبِ

الحقُّ عند إمامٍ حق مجْتَبَى — يهْدي الأنام إلى الطّريق اللّاحِب

وله فيه يهنئه بعيد الفطر[147] :

بأمرِكَ أسْمع الدّاعي المُهيب — وَسعْدِك يُسّرَ الفَتْحُ القَريب

وملكُكَ مهّد الدُّنيا فقرّتْ — وقَدْ قلِقَتْ بمضجَعِها الجُنُوب

وهذبك ملْك الأهواء طوْعاً — فحنّت أنفسٌ وصبَتْ قُلُوب

وَعدْ لك ألف الأشتات حتّى — تَوادُّ الذيبُ والرُّشأ الرَّبيب!

وحلمُك أرْجَحَ الشُّمَّ الرّواسِي — فمنْهُ في شَوامِخِها رُسُوب

وروحُك وارتياحُك للمعَالي / تمايَلَ عنهُما الغُصْنُ الرَّطيب
وربْعُك للعُفَاة إذا الَمُّوا / كصَدْرِك، إنَّه أبداً رحيب!
تفادتْ من سماحَتِك العَطَايَا / وعَاذَتْ من بسَالِتك الحُرُوب
قتلتَ صُروفَها قَسْراً فمنْهَا / عَلى شَفَق الدُّجَا عَلَقٌ صبيب
وخافتْ مِنْك قاصِيةُ الذَّرارِي / فيَلزَمُ قلبَها ذَاك الوجيبُ
وُجودُك في الوَرَى شيءٌ عجِيبٌ / يُرجِّمُ ظنَّه فيه اللَّبيبُ
ومَا فِي أمْرِك الصِّدقِ امترَاءٌ / ولاكِنِّي بخُلْقِك أسْتَرِيب!
أميرَ المُؤمنينَ جزَتْك عنَّا / جوازي الخَيْرِ ما جَنبَتْ جَنُوب
ألا للهِ منك إمام صِدْقٍ / تقَدَّس لا يُلِيمُ ولا يَحُوب
إمَام الدِّين والدُّنيا بجِدٍّ / وَجدَ لا يَمِيلُ ولا يَخِيب
بِهِ زُعبتْ رعايلها، وكانَتْ / سُدىً وأريحَ سارحُها الغَريب
وصحَّ به الزمانُ فكلُّ دَاءٍ / عَياءٍ عالهُ منْهُ طَبِيب
ودَلَّ الحَائرين عَلَى ندَاهُ / فكُلُّ مضلَّةٍ لقَمٌ رَكُوب
وعمَّ فذُو التَّباعُد والتَّدانِي / سَواءٌ والحزُونة والسُّهُوب
مفيدٌ أو مبيدٌ مسْتَمِرٌّ / لحالَيْه كُسُوبٌ أو نُهُوب
تُنافِسُ جودَه السُّحْبُ الغَوادي / فيبدُو فَوْقَ أوجُهها قُطُوب
ويحْسُد نورَه بدرُ الدَّياجي / فتَعرُوه الضَّمانَةُ والشُّحُوب
وكيْفَ وبيْنهم قُرْبَى تُراعَى / وكلُّهم حليفٌ أو نَسِيب
امينَ الله قد وفَّيتَ عَدْلاً / وفضلاً، والإلاهُ هو المُثيب
وقد وَهَب الرِّضا لَكُم، وايٌّ / أراه إلى إرادتكم يُجيب

وبمناسبة البيعة للخليفة يوسف بن عبد المؤمن. تقدم الشعراء بقصائدهم للتهنئة ، ومن هؤلاء :

أبو الوليد بن عمر الشواش الشلبي، حيث أنشد[148] :

عَهْـدٌ أنـارَ بـه الهُـدَى والـدِّين … واستُـظهـر التـأييـدُ والتّمكين
بُشرى الخلافـة إذْ تقلَّد عهدَهـا … البـرُّ التـقيُّ الـطاهـرُ الـمَيْمُـون
نجلُ الإمام ونشأةُ الخُلق الرضَى … يَـبـدُو عـليـه هـديُـه ويـبـيـن
النـاصرُ المنصـورُ أوضَح نهجـهُ … في الصـالحاتِ فنجْحُـه مضمُـون
يُـنْـمَـى إلـيـه ولادةً وسـيـادةً … وكـذاك تنمي لـلأصُـول غُصُـون
بـالمنبت الـزاكي تـأصَّـل واعتلَى … وسقـاه صَـوبُ الفضـل هَتُـون

ومنها:

لم يغْـدُه الـرأيُ السَّـديدُ وهـدْيُه … بجميـع أحْـوال الصَّـلاح ضمِين
خِـذْنُ التُّقَي وسَلِيل أنْـوار الهُـدَى … أدَّتْـه عـن خَيْـر الـطُّهُـور بُـطُون
جَـازَ العُـلاَ ، فكمَـالُه وخـلالـه … تُـتْـلَى لَـهـنَّ مُـعـادةً يـاسيـن !
اسعد وليّ العَهْد واصعَد سامياً … والله ربُّـك نـاصِـرٌ ومُـعِـيـن
واستخلص العِلْقَ الثَّمِين فـانتُمُ … عِـلْقٌ نـفـيسٌ لـلعـلاءِ ثَـمِيـن !
وتهنـأوا الحظُّ الجَسِيمَ ، ففضلُكُـم … بـوفـور خَيْـرات الإلاه قَـمِين !
الأمـرُ أمـرُ الله وهـو مـؤيِّـدٌ … والـحبْـلُ حبْـلُ الله وهـو مَتِيـن
يـرعـاك مَن يُـرعِيك عهـد عِبادةٍ … ويقـول لـلأشيـاء كـن فتَكُـون !

وأنشد أبو بكر المنخل الشلبي[149] :

تَهْنَ الخلافةُ أن جلوتَ صباحَها … ومـددْتَ من نُـور الهُـدى أوضَـاحهـا
وعقـدتَ عقدَك في الـوفاءِ وعَهْـدَهـا … ووصلتَ راحَـك في العَـلاءِ وراحَهـا
ووفـرتَ من حُسْنِ السِّياسـةِ حـظُّهـا … فحميتَ جـانِبَهـا ورِشْتَ جَنَـاحهـا
صـدَقَتْ أميـرُ المؤمنيـن فِـراسَـةٌ … لاحَـتْ كضـوء الصُّبْحِ حين ألاحَهـا
ولاكـنَّهـا عـيـنُ الـيَـقـين بـأنَّـهـا … قـد أوقَدَتْ بكَ للهُـدَى مصبـاحَهـا
لم تَحْـوِهـا حتّى حَـوَيْتَ فَضـائِـلاً … شُـدَّتْ إليكَ بِـطاقَها وِشَـاحَهـا

إنْ كـانتْ النّعْمـاء كن سحـابهـا	أو كـانت الهيجـاء كنّ سـلاحهـا
إنْ أهْلكَ الأعـداءَ رِيْـحُ عَـذابِها	بعثَـتْ لأحيـاء العُفـاة ربـاحَـهـا
شـردتْ زمانـاً عن أكُفّ معاشِـرٍ	نسيَتْ لـديكَ شرُودَها وجماحَها
قـامَتْ وقـد حَمـدَتْ إليك مقـامَها	وزكَتْ فلم تـطلُب إليكَ سَـراحَها
قـامَتْ خَـلائِقُـكَ الكِرامُ بـوصفِها	طـورَ المدِيح فـأفْحَمَتْ مُـدّاحَها
ردَّتْ على الخُـطَباءِ والشُّعـراءِ في	حَـوْزِكِ الكلام فعـطَّلتْ أمداحَهـا
فـالبسْ محاسِنَهـا وجر ذُيـولهـا	فـالله قـدَّرهـا لـكُم وأتـاحَـهـا
سُنّتَ الـزَّمـانَ وأهلَهُ بشـمـائِـلٍ	ضمنَتْ لغايات الأمـور صَلاحَهـا

ومنها:

فعَلى سيـوفكَ أنْ تُبيـد كمـاتَهـا	وعلى جُيوشـكَ أن تـروّح سـاحَهـا
أشكـو اليـكَ مـن الليّـالي إنّهـا	قـد أبـرَحَتْ بـظَلامَتي أبـراحَهـا
كـم رُمتُ أن ألـقـاكُمْ وتـصـدُّني	نُـوَبٌ تنيـخُ بسـاحتي أتْـراحها
وتَضيق نفْـسي ثـم أجـري ذكـركُم	فتـظلّ تَستـذْني إلـي نجـاحَـهـا
إن كـان دَهـري يَبْتغي إفْسـادَهـا	بجمَيـل رأيك قَدْ أسوْتَ جراحَها
فلِقَتْ رِكـابي من مُعـاوَدة السُّـرى	وحمـدنَ رأيي حين كنتَ صباحَهَـا
وصلتْ إلى ملِك الهُـدى فـأعـادَها	ممَّـا شكَتْـه من السُّـرى وأراحَهـا
والَيْكَهـا قـد بيّنتْ عـن طـاعـةٍ	قصـرتْ عليكُم محضَها وصُـراحَها
وشـدَتْ بـذكـركُم الجميلِ فعطَّلت	زَهـرُ الحـدائِقِ وردَهـا وصبـاحَهـا

وهذا الشاعر أبو عمر بن حربون، ينشد الخليفة أبو يعقوب يوسف مهنئا بحسن بلائه في معركة السبيكة حيث قال من قصيدة مطلعها[150] :

لكم بعْدَ حمدِ الله تُهدى المحامِدُ ... وفي وصْف علياكُم تُصَاغُ القلائِد

فإن لكم حقّاً عَلَى كلِّ مُسْلِمٍ ... ربَّتما تقضِي الحقوقَ القصائدُ !

إليكم سَرَى من شِلب ركبٌ كأنهم ... مَطارد أو هُمْ للخُطُوب طرائِدُ

سرَوْا فوقَ أعناقِ الشّدائدِ نحْوَكُم ... وفي طَلَبِ العَلْيا تَهُونُ الشّدائد

لعمر عُلاكم إنّها لمليئَةٌ ... بِمَا ضمِنتْ عنْها العِتَاقُ الجَلاَعد

أتتْه بما أبقتْه منها ، ومنْهُمُ ... صروفُ الليَّالي والسُّرىَ والفَدافِدُ

تجُوبُ بهِم جلبابَ كلِّ دُجُنَّةٍ ... تَكَادُ تضلُّ القصدَ فيهَا الفَراقِدُ

ومنها:

ويكتَسِبُ الرّعديدُ منْه بَسَالَةً ... وتَعْرِفُ مِن جَدْوَى يدَيْه الرَّواعِد

فما يَدْفَعُ المَوهُوب إلا بيُمْنِهِ ... ولا تُقتَنَى إلا لدَيْه الفَرائِدُ

فَيَرْجع عنْه جاهِلٌ وهْوَ عَالِمٌ ... ويرْجِعُ عنْهُ مُعْدِمٌ وهْوَ واجِدُ

لَهُ راحةٌ لو أنَّ للمُزْن جودَها ... لما سَارَ يَبْغي الخَصْبَ في الأرْضِ رَائِدُ

وطبْع تمنّى الرّافِدَان لَو أنّهُ ... يمدُّهُما مِنْهُ مُعِينٌ ورافِدُ

إليه انتَهَى النُّور المُبِين الّذي به ... تبصّر ضلِيلٌ واذْعَنَ مَارِد

هُو المُصطَفى من صَفْوةٍ بَعْدَ صفوة ... وطيبُ الفُروع أن تَطِيب المَحَاتِد

سَلِيلُ الإمَامِ المجْتَبَى وشبيهُه ... فإن حَلَّ مولودٌ فقد حَلَّ والد !

وعند وصول السيد أبي حفص بن عبد المؤمن أخ الخليفة يوسف إلى مراكش عائدا إليها من جبل الفتح، أنشد الشعراء أشعارهم بالتهاني والمدائح للخليفة يوسف، فقال الشاعر أبا الوليد الشواش الشلبي مهنئا في ذلك المجلس[151] :

وضَحَتْ بأنوارِ الهُدَى قَسماتُه وأبانَتِ الهَدْيَ القَويمَ سِمَاتُه
مَلِكُ المُلوكِ مؤيَّدٌ لكنَّه غَلَبَتْ عَلَيْه مِنَ التُّقى مَلكاتُه
دَانتْ لَهُ الدُّنيا وكافَّةُ أهْلِهَا فَعَفَا وعَفَّ وسامَحَتْ عطفاتُه
أبْدَى لَنَا بشبابِهِ وَمَنابِه عجبَاً وظاهرَ حسنَه حسناتُه

فرعٌ من الدَّوْحِ الأَلَفِّ تسامقَتْ
أفنانُه وتقابَلَتْ شعَبَاتُه

سَامَى وطَاوَلَ في سماواتِ العُلَى صَعداً وعاجَلَ غرسَه ثمراتُه
غرٌّ لبِيبٌ والعُلُوم لِذَاتِه والمعلوات كَرائماً ذَايَاتُه
كثرتْ فَضَائلهُ فكاثَرتِ الحَصَى عَدَّاً ، وقَدْ قَلَّت بِه سَنَواتُه
ومضَتْ ببرقِ غُيُومِه صَفَحَاتُه ومضَتْ مضاءَ صِفاحِه عَزَماتُه
وأفادَهُ دَهْراً مُفِيداً مُنْعِماً وُصِلَتْ بِبَاهِرِ خَيْرِه خَيْراتُه
نجْلُ الخليفةِ يقتدي برشَادِهِ وسَدَادِهِ وتَبِينُ فِيه سِمَاتُه

وقال أبو عمر بن حربون مهنئا ومادحا للخليفة والسيد[152] :

بِأيمنِ طائرٍ كان الإيابُ وأنجح مطلب بَلَغ الطُّلابُ
وكانتْ وجهَةٌ كَرُمت مَنابَاً فقد شُكِرَ التوجُّه والمئَابُ
إذا قضَت مشاربَكم جميعاً فما في سعْدِ طالِعها ارتِيابُ
دلفتُم بالأسودِ الى بلادِ ثَوتْ حِجَجاً تعِيثُ بها الذِّئابُ
أشبُهُها غداةَ حَلَلْتُمُوها بلاد الجذب حلَّ بها السَّحابُ !
فلولاكُمْ لقَدْ أضْحَتْ مواتاً يُسَنُّ على تَرائبِها التُّرابُ !
فقد ألقى عَصا العِمران نيها وقوَّض رحْلَه عنْها الخَرابُ
جَمعْتم من بَني قَيْسٍ شُعوباً تَسِيلُ بها المَحَاني والشِّعابُ
تجانَسَ جيْشُهُم لفظاً ومَعْنىً فهُم عَرَبٌ وخَيْلُهُم عِرابُ

تعاهَدْتُم مواطِنَ خيرِ أرْضٍ ... مكرَّمَةٍ تشدُّ لَهَا الرِّكابُ
هو الجَبلُ الذي للفَتح فيه ... مخايلُ ما لصادِقِها كِذابُ
به من نُور سيِّدنا أبيكُم ... شعاعٌ ما يزال لَه التِهابُ
وشطْرَ المَغْرب الأقصى ثنيْتُم ... أعِنَّتها كما زَخَرَ العُبابُ
وليس سموّكم كحبابِ ماءٍ ... ولكن مثل ما يسْمو الحبابُ
أتتْكُم كتبُهم مستصرخات ... فطيِّر من كتائِبكم جوابُ
يخطُّ من الصُّفوف به سُطورٌ ... فيصغرُ رقعةٌ عنه اليَبابُ
فكم من مارِدٍ عاجَلتُموه ... كما ينقَضُّ في الجوِّ الشِّهابُ
خَبَيْتُم غاربَ الكفرانِ منه ... بأمر لا يطيرُ لَهُ غُرابُ
وَلِيُّ العَهدِ أُنجِحَتِ المساعي ... بيُمنِكم وأصحبتِ الصِّعابُ
وأُحْكِمَتِ الأمور بما تَواصتْ ... به الألبابُ والحُسْبُ اللبابُ
نُصِرتم من أبي حفْص أخيكم ... بماضي الحدِّ تَعرفه الرِّقابُ
وقبلكُم اصطفى مُوسى أخاه ... فشأنُهما وشأنكُما عُجابُ!
سَرى عنكم ببَحْر مكفهِرٍّ ... يُصبُّ على العصاةِ به العَذابُ
تسير الشمسُ شيِّقةً إليه ... كأنَّ الطير بينهُما حِجابُ
تضمَّن رزْقها فترى عُقاباً ... من الرَّايات تتبعها عُقابُ
إذا رَكع الوَشيجُ على الهَوادي ... فقد سجَدَت له الشُّمُّ الهِضابُ
عليه من سَراة بَني عَليٍّ ... عَليٌّ لا يُضافُ اليه عَابُ
كَسُوب الحمد مِتلافٌ وَهُوبٌ ... كمثل البَحْر يُرجى أو يُهابُ
كأنَّ النَّاس من خَطإٍ وأنتمُ ... - أدام الله أمركم - صوابٌ!

وقال كذلك الكاتب أبو عبد الله الشاطبي في التهنئة[153] :

سلامٌ كعَرْف الرُّوض غبَّ قِطَاره ... تَحِية مشتاقِ الفُؤاد مُطاره
وبُشْرَى كما انشقَّ الدُّجى عن صَباحه ... ولاحَ هِلالُ الفِطر بعد سِرَاره
بقر بعين الملك مِقدَم سادةٍ ... يُسرُّ بمرآهم مَحَلُّ قَراره
لتَهن أبَا يعقوب غبطةُ أوبةٍ ... بصنْويه وافتْه لحين انتظاره

ومنها:

أميـرَان سَـلّ الملك سيفيْـه مِنْهُمـا ... عَلَى ثقـةٍ يـرجُـوهُمـا لانْتِصَـاره

بحيثُ أبُـو حَفْص وعُثمنَ بغْـدَةٌ ... تـلقّـاهُمـا لـلبِشْـرِ حِيـنَ بِـدَاره

عَمِيـدَاً سَنَـاءٍ بَـلْ شِهـابَـا سِيَـادَةٍ ... ومُلْكٍ أبُـو يَعْقُـوبَ قُـطبُ مَـدارِهِ

يُباحُ اخْتِيالُ الحُسْنِ مِن زهْـو خيلِهم ... ولـيسَ بِنُـكْـرٍ مُسْبَـلٍ عـن ازَارِه

ومَـا يرْهب الأعـداء مِنْ حُسْنِ منـظرٍ ... فمِنْ خُلُقِ الإيمَـانِ تَـرْكُ اختصـاره

لقَـدْ صَـدِيتْ من نَـاصـر الأمـر مُقْلَةٌ ... لعُثمـانَ تَشْكُـو منْـه شحْط مـزارِه

فَنَـادَتْ أبَـا حَفْصٍ أخَـاه لعَـزْمَـةٍ ... كمِثْلِ اليَمَـاني حَدُّ غـربُ غِـراره

يُـواصِـل ادْلاج السُّـرى من ظـلامِـه ... بتـأويبِ سَيْـرٍ في سَـرَابِ نَـهـاره

وَجـاءا ، كما سـوَّى جناحَيْـه طـائِرٌ ... إلى مُجْتَنَـى الآمَـال قَصـدَ مَـطَاره

بحيثُ استقـرَّ العِلْمُ والحِلْمُ والهُدى ... وحـلَّ بـه لـلدِّيـن حـامـي ذمـاره

بِـهِ السَّعـد ممتَـدٌّ وهَـديُ خـلافَـةٍ ... هِيَ الـلاَّحِبُ الهـادي بضَـوءِ منـاره

قـدِ اعتاضَـهُ الـرَّحمٰن للخَلْق رحمَـةً ... وأجْـرى لـه الأقـدارَ وفْق اختِيـاره

حكتْ بيعـةَ الرضْـوان بيعتُـه التي ... بِهَـا غُـزِي الإلحـادُ في عُقْـرِ داره

ألستَ تَـرى في النـاكِثين وقَـائِعـاً ... يمينُ الـرَّدى فيهـا كمِثْـل يَسَـاره

تُـنَسِّي هِـلالاً حَـرْب ؟ نِسَـاره ... ويَنْسَى ابنُ مُـرّ ؟ وقْع يـوم جِفـاره

خَصَائِدُ سَيْف الحقّ صَرْعى بشاهق ... بـه امِـن الـمُـغْـتَـرُّ وَقْـع جِـذارِه

وفي وقعة الحصار التي شنها ابن مردنيش وحلفاؤه النصارى على بلدة شقر، بعث أبو بكر المخزومي رسالة استصراخ واستنصار إلى الخليفة يوسف، و منها هذه القصيدة في المعنى[154] :

تداركْ أميرَ المؤمنين دماءنا ... فإنك للإسلام والدين ناصرُ

ووجِّه إلى استنقاذنا بكتيبةٍ ... يهابُ الردى منها العدوُّ المحاصرُ

تنفسُ من ضيق الخناق بقُطرنا	فتُدرِكُ آمالٌ وتُرعَى أوامرُ
إذا ما انكفَى بالخزي وارتد خائباً	فطامحه عن نيلها متقاصرُ
فليت ابن سعدٍ إذ تألفَ مانعَتْ	فلم تتمخضْ عن قُواهُ العناصرُ
ستُذهب أنوارُ الخلافةِ ظلمَهُ	وتلفِظُهُ بعد الخيول القامرُ
ويهدم ما قد أسس الكفرُ عندَه	كريمُ السّنَا تثْنِي عليه الخناصرُ
فهذا الذى يبنى المساجدَ أمرُه	وأمرُ ابنِ سعدٍ أن تُشادَ المعاصرُ
وذا المَلْكُ آياتُ المثانى تهزُّهُ	وذاك بأصوات المثانى البناصرُ
بقيتَ أميرَ المؤمنين مخلّداً	وكلُّ الورى عن كُنهِ وَصفِكَ قاصرُ

ومما بعث به السيد أبو حفص إلى أخيه الخليفة يوسف في الرسالة، هذه القصيدة وهي من إنشاء الكاتب عبد الملك بن عياش و التي يهنئه فيها بالإنتصار على ابن مردنيش . وهذه أبيات من القصيدة[155]:

لَقَدْ بَلَغَتْ جِيادُكُم مَداها	ونالتْ ما أرادَتْ مِن عِداها
وها هي فاسْئَلوا الإصْباحَ عنها	بحَمْدِ الله قد حَمَدَتْ سُراها
تَعُدُّ رِضاكُم عِزّاً وَجاهاً	فما تشكو على حالٍ وجَاها
تهيمُ بحُبِّ طاعَتِكُم فتطوي	بِساطَ القَفر حتى قدْ طَواها
كأنَّ قَطا المفاوِزِ حين سارَتْ	تَعَلَّمَتِ الهِدايةَ من قَطاها
لقدْ شنَّتْ بأرْضِ الشَّرْق حتى	أباحَتْ بعدَ مَنعتِها حِماها
أتيحَ بها لِتدمير دَمارٌ	فَذُلٌّ على ترائِبها رُباها

ولمّا لم تَلُذْ بالعفو منكم … تعاوَرَها الرَّدى حتى عفاها
الا لله أيُّ مَقام هَوْلٍ … تحُلُّ الرَّاسِيات له حُباها
إذا سَمِع القَنا عنهُ حديثاً … تثنى أعطافَهُ طَرَباً وتاها
تراكَمَت القَساطِلُ فيهِ حتى … جَلَت أنوار سَعْدِكُم دُجاها
ذَرَتْهُم فيه ريح النَّصر طِحْناً … غداة أدارَتِ الهَيْجاء رَحاها
فقد نَهَلتْ سيوفكم وعَلَّت … فما تشكو الصَّدا أبداً ظُباها
فإن ينجُ اللَّعينُ لغير مَنْجى … لقد فغَرَتْ شعوبُ عليه فاها
تكتّم في غِمارٍ أو غُبارٍ … وعَينُ الحرب لم تطْحَر قذاها
وَوَلّى يقطعُ البَطحاءَ شَرّاً … على شَوْهاءَ ما ونَيَتْ شَواها
ولو فاتَتْ وَميض البَرْق عَدْواً … لخَطّاها ولمْ يحْمَد خُطاها
وبَاتَ يُصارعُ الظَّلماءَ وَهْناً … ويحْسُدُ مِنْ كَواكبها سُهاها
رَماهُم أمرُكم ببني حُروبٍ … إذا انتُدبوا لَها حَشُّوا لظاها

وكتب إليه متشوقا بشعر من إنشاء الشاعر ابن حربون[156] :

عَلِّلوا العِيسَ باقترابِ الدِّيارِ … وانظروا هَلْ بَدَا لَها من مَنار
وارْفَعُوا للمدَى بأيدي المَطايا … لمّةَ الليلِ عن جَبين النَّهار
واستَطيلوا على طِوال اللَّيالي … واشتكُوها الى اللّيالي القِصار !
لا تَقولُوا من بَعْدِها بغَليل … قَدْ دنَوتُم من المِياه الغِزارِ
هذه كعبةُ العُلَى فأهِلُّوا … واقرِنوا بين حجّةٍ واعْتِمار
هَذِه حضرةُ الإمام فحُطُّوا … وأنيخُوا مِنها بِدار قَرار
في جَنابٍ تُمْسي السَّحاب وتُضْحي … سَاحِباتٍ عَلَيه فَضْلَ الإزار
فبِهَا أسْفَر الصَّباحُ عَلَيْكُم … ووُقِيتُم وعْثاءَ هَذا السَّفار
فاشْكُروا للركابِ أنْ جمعَتْكُم … بالأمير الأجَلِّ فَرْعِ نِزارِ
بمليكٍ عِنْد المليكِ مكينٍ … قَدْ كساهُ ثوبَ التُّقى والفَخارِ
نَصَر الله دينَه مِنْ لَدُنْكُم … بجُيُوشٍ جاسَتْ خِلال الدِّيار

ولما انصرف الخليفة يوسف من فتح جبال غمارة غالبا منصورا إلى حضرة مراكش، أنشده الشعراء يهنئونه باستيلائه على أعدائه، فقال الشاعر ابن حربون في قصيدة طويلة منها[157] :

بَلَجت بِكُم حُجَجُ، الكِتاب المنزلِ
ونُصِرتُم نصْر النبي المُرْسَل
وجلوتُم غمراتِ كلَّ دَجُنَّةٍ لو أنَّ صُبْحاً رَاقها لم تَنْجَل
وجنبتُم هُوجَ الرّياحِ جَنَائِبا وسَرَيْتُمْ إذْ نامَ لِيْلُ الهواجل
وسَخَبْتُم - واللهُ يشْكُر سَعْيَكُم -
في عرْصةِ الأعداء ذيل الجَحْفل

منها:

فتَبرَّأتْ تِلك المَعاقِلُ مِنْهُمْ
والعَقْلُ لَوْ رُزِقوه - امنعُ مَعْقِل
ما غرَّهُم بخَليفةِ الله الَّذِي مَا لإمْرىءٍ عَنْ أمْرِه من مَعْدل
ضَرَبَ الشقاءُ وجوهَهُم بضَلالةٍ تاهَتْ بِهِم في حَوز لَيْلٍ أليل
واستعجَلُوا أمْر الالاهِ فجاءَهُم والوَيْلُ كلَّ الويل للمستعجل
عَجَباً لَهَا من فتنةٍ قَدْ سوَّلت لمُطوَّقاتِ الأيْكِ صيدَ الأجْدَل
بَطِشَتْ بهم كفُّ الرَّدَى لَمَّا أبَوا أن يقبَلُوا عفْوَ الصَّفُوح المُفضِل
وغَدَا غويُّهم برأسٍ مُنيفةٍ يَهْوي الى دَرَكَ الجَحِيمَ الأسفَلَ

ومنها:

قرَّتْ بِهِ عَيْنُ الخِلافَةِ إذْ رأتَ
قسْطاً سَهَا بِيَدِ الإمَام الأعْدَل
إن الخليفةَ إن تأخَّر عَصْرُه فقَدِ احْتَوَى خلق الزُّمان الأول

شَرْخُ الشّبابِ ودَوْلَةٌ قَدْ أقبلتْ ... يا حسنَه من مُقبلٍ في مُقبلِ
مُلْك تسحُّ على الورَى بَركاتُه ... فتعمُّ سائلَها ومَنْ لمْ يَسْألِ
أنّى تُساجِله البُحُور، وإنّها ... في فَيْضِ جَدْوَاه كمِثْلِ الجَدْوَلِ
هنّئت مولانَا أبا يَعقُوب مَا ... خولت من فَتْحٍ اغرُّ محجَّل
قلّدت جِيدَ المُلْك منه تَميمَةً ... ما إن يَبيت لَها بلَيْلِ الأوْجَلِ
قَدْ جاءتِ الدُّنيا إلَيْك بوَفْرِها ... واستقبَلَتْكَ بوجْهِهَا المتهَلِّلِ
والحضْرة العَلْيَاء يَرْقبُ طرفُهَا ... منكم سَنَى البَدْرِ المُنِيرِ الأكْمَلِ
حَصِر اللّسانُ وتَاه في أوْصَافِكُم ... فإليكُموها عِذْرة المتحَمِّلِ

وله فيه قصيدة أخرى يمدحه و يهنئه، منها هذه الأبيات[158] :

وجَدَ النّسِيمُ ثناءكمْ فتعطَّرَا ... ورأى الوشيحُ مضاءكم فتأطّرا
وتبسمتْ أيامُكُم عَنْ انعُمٍ ... سمِعَ الغَمَام بذِكْرها فاسْتَعْبَرا
وجَرَى لَهَا مُلك السَّعادةِ بالَّتِي ... جَثَمت على كِسْرَى وفلَّتْ قَيْصرا
سلطان وضاحُ الجَبِين متوَّجٌ ... بتقى نقيّ الجنْب أشْعَثَ أغْبَرا
والدّينُ والدُّنيا معاً قد ردّيَا ... بردائِه الفاروقَ والإسكَنْدَرَا
جَمَعَ الإلاه بِهِ الوَرَى فِي وَاحِدٍ ... فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَاذَا قَدَّرَا
وأَتَى بِهِ الزَّمَنُ الأخِيرُ مُقَدّماً ... فَكَأنَّما الفَلَكُ المُدَارُ تَقَهْقَرَا
ملكٌ تضَعْضَعَتِ الهِضَابُ لبَأسِه ... وغَدَا لهُ الزَّمَن العَنُود مسخَّراً
فالطَّودُ لَيْسَ ثباتُه عن جِبْلَةٍ ... لكن لهيئتِه أزَمَّ ووقَّرا
لإمامِ عدلٍ بالعبادةِ ناشيءٍ ... لم يصْبُ مُذْ عَقَدت يَداه المِئْزَرا
فالماءُ لو القى طهارةَ ثَوْبِهِ ... في مُزْنَةٍ لغَدَا بها متطهِّراً
يَجْلُو الظَّلامَ بنُور غرَّتِه الَّتي ... فضحَتْ أشِعَّتُها الصَّباحَ الأنَورا
ضلَّت مَسَاعي معْشرٍ لم يَنصِبُوا ... فيهم لدعوتِه العليةِ مِنْبَرا
لما دَعَاهُ الدّينُ دعوةَ مُرهَقٍ ... لَبَّاه منصورَ اللواء مظفَّرا
فاليكَ عن صنهاجةٍ ما قَدْرُها ... في مُلك مَن يَغْزُو المسيحَ الأعْورَا

وبمناسبة غزوة الجبل والتي كان قد انتصر فيها السيد أبو حفص بن عبد المؤمن على المنافقين المرتدين، أمر السيد المذكور الشاعر ابن حربون بأن يصنع قصيدة شعر على لسانه يتشوق فيها إلى أخيه الخليفة يوسف، فقال[159] :

سلامٌ أيها المَلِك الهُمَامُ ... على نَادِيك دَامَ له السَّلامُ
ولا زالتْ لكَ الأيامُ سِلْماً ... وصبّ عَلَى أعادِيك السِّلامُ
فأنتَ إمام هَذا الخَلْقِ طُرّاً ... مَتَى مَا زال لا زال الإمَام
بكُم تتكشَّفُ الغَمَّاءُ عَنْهُم ... وَيَنْقَعُ غلة الأرض الغَمَام
فلولاكُم لَكَان الدَّهْر ألْوَى ... جموعاً لا يُنَهْنِهُه لِجَامَ
ولَوْلاَ دولةٌ أيّدْتُمُوها ... لما عُرِفَ الحَلال وَلاَ الحَرام
ولا هَطَلتْ عَلَى الأرض الغَوادِي ... ولا سَجَعت على الدوح الحَمَام
سهِرتَ اللّيْلَ في طَلَبِ المَعَالي ... ونام بِيُمْنِ دَعْوتك الأنَام
يعُودُ بذكْرك الرعديدُ شَهْماً ... ويمضي باسْمِك السَّيْف الكَهَام
ويكسِبُ حمدُك الأفواه طيباً ... فتحسده الأراكة والبَشَام
أرَى حجج الأعادي داحِضات ... وقد أدلَى بحجّتك الحُسام
ادلتُم كلَّ جبَّار عَنِيدٍ ... فقد ذهَب التخمُّطُ والعُرَام
ولِيّ الله أنجحتِ المَسَاعي ... بسَعْدِكم وقرطستِ السّهامَ
وحكّمتِ الأمُورُ عَلَى رِضَاكُم ... وتَمَّ لكم على الزَّمَنِ احْتِكَام
وسِيمَ الخَسْفُ كلُّ أخِي عِنَادٍ ... ودان لأمركم حَامٌ وسَامُ
فقد بسَمتْ ثغُورٌ عن ثُغُورٍ ... وحُقَّ لَهَا بدَعْوتك ابْتِسَام
جلونَاهَا وُجُوهاً نَيِّرَاتٍ ... وقد غطّى سَنَى الشَّمْسِ القَتَام
وخَاصَمْنا بألْسِنةِ العَوالِي ... فكان الفَلْجُ وانْقَطَعَ الخِصَامُ
فَنَحْنُ لِمَن يُوالِيكم شهادٌ ... ونَحْن لمَن يُعاديكم سِمَام
سَل الجَبَل المكرَّم حيثُ ضَاهَتْ ... عبابَ البَحْر أنعمُك الجِسَامُ
تلقّتنا بأشواقٍ إليكُم ... مشاهِدُه المُقدَّسَةُ العِظَام
تطلع نحوكم حبّاً وودّاً ... كَما يَتَطلّعُ البَلدُ الحَرَام
جنبناها بيُمنِكُم كِراماً ... على صَهَواتِها عربٌ كِرَام
إذا انْتَاشُوا رماحَهم تدَلّى ... أحمُّ النّقْع وانحطَّ الجِمَام

أُبَـاةَ الـضَّيْـم إن أمِـرُوا بـأمْـرٍ — فكـلُّ عَـزِيـز كفـر مُسْتَـضـام
إذَا قَـادتْـهُـم أبْـنَـاءُ قَيـسٍ — فـلا لـخُـمٌ تُـعَـدُّ ولا جُـذَامُ
لَـهَـامِيـمُ الـعَـطَايَـا لَـمْ يَـزالُوا — يُـلَفُّ عَـلَيهم الـجَيْشُ الـلُّهَـام
ألا لله مـنـهُـم كـلُّ ذِمْـرٍ — يـقبِّـل سيفَـه الـموتُ الـزُّؤامُ
يَـهشُّ الـى لِـقَـاء الـقِـرْنِ حَـتـى — كـأنَّ الـطَّعْنَ بيـنَـهُـمَـا ذِمَـامُ
يـضمُّ الـى العشيـرةِ كـلُّ خَيْـر — كَـمـا نـجَّى عشِيـرتَـه ضِمَـام
قَـفَـلْنَـا شـبُّقيـن الـى سَنَـاكُـم — تَبَـارى في الـسمـوم بنـا الـسَّمَـام
إذا الـصنّيـر عمَّـم كـلَّ هَضْـبٍ — ومـال بـأنـفِـه مِـنْـه رَغَـامُ
حثثنـاهـا يجُـوبُ بنـا المَـوامِـي — لِكَـي يُشْفَـى بِقُـرْبِـكُـم الأوَامُ
ولـم نَـذْكُـرْك في الـظُّلمَـاء إلاَّ — تَـكشَّـفَ عِـنْـدَ ذكـرِكُـم الـظَّلامُ
يَـطُولُ بنَـا الـزَّمـانُ فكـلُّ يَـوْمٍ — يـمُـرُّ ولا نَـرَاكـم فـهْـوَ عَـام !
تـبسَّـمُ عـنكُـم هَـذِي الـلَّيَـالـي — كمـا ابتسمتْ عَنِ الـزَّهْـر الكمَـامُ

وقال ابن حربون مادحا حين دعي الخليفة يوسف بأمير المؤمنين، وصحت الاسمية له من الموحدين[160] :

جـاءتْـكَ تسْحَبُ ذيْلَهَـا للموعِـدِ — زهـراءُ طـالعـةً بسَعْـدِ الأسْعَـدِ
فـاصدَعْ أميـرَ المُؤمنين بـدَعْـوةٍ — لم تَتْـرُكْ صَنَماً بسَمْـعِ الجَلْمَـد
يهني الخـلافـةَ أن لبستَ رداءهـا — وقعدْتَ منها اليَوْمَ أشْرَفَ مَقعَـدِ
ومن ارتقَى في سُلَّمِ التُّقْـوَى رأى — زُهْـرَ الكَوَاكِبِ بالحَضِيضِ الأوْهَـدِ
ألقَتْ أزِمَّتَهـا إلى مَنْ هَمُّـه — في مُرهَفٍ أو مُصْحَفٍ أو مَسْجِد!
علقتْـه مَيْمُـون النَّقِيـةِ زاهِـداً — لَمْ يَشْتغِـل بـيَدٍ ولا هُـو مِن دَدِ !
أنـظر الـيـه فـإنَّ رؤيـةَ وجْـهـهِ — تجْلُوا الصَّدى عَنْ قلب كلّ موحِّد
مـا نـام قيـام السَّمـوات العُلَى — عَـنْ شـأن قـوَّامٍ لـه متـهـجِّـد
الـحقُّ حقُّـكَ مـا لَـهُ مِنْ دَافِـعٍ — واستَشْهـد البيض الصَّـوارمَ تَشْهَـد
لقـد اضْـطَلعتَ بحَمْـلِ أعبَـاء الَّتي — حَـدت الأنـامَ على الـطريقِ الأرْشَـد
إنَّ الـذِي قَـدْ قمتَ تَنْصُـرُ دِينَـهُ — أعْـطاكَ ميـراثَ النَّبي مُحَمَّـد !
لم تُصْبِـك الـدُّنيـا غَـدَاة تبـرَّجَتْ — وغَـطتْ بـالفـةِ الغَـزَال الأغْيَـدَ

ومنها:

لله مشْهَدُ بَيعَةٍ بويعتَها | فالدِّينُ والدُّنيا بذاك المَشْهَد
في حَيْثُ تَرْتَدُّ العُيُونُ مهابةً | عن سَاطِعٍ من نُورِكَ المتوقِّدِ
لا تثبُتُ الأبْصَار فيكَ لِمُلْتَقى | لألاءِ أنْوَار الهُدَى والسُّؤدَدِ
وكأنَهم إذ بَايَعُوك تَمَسَّحُوا | بالقِبْلَةِ البَيْضاء ذَاتِ الأسْوَدِ
وكأنَما وقفوا بحيثُ تَرُوعُهُم | رَجَفاتُ ملتطِم الغَوَارب مُزبِد
وكأنما وَلِجُوا وليجةَ ضَيْغَم | قَانِي الشَواعِدِ بالنَجيعِ مُوَرَّد
هَابُوا، فلولا رَحمةٌ أدْنَتْهُمْ | لم يَسْتطِيعُوا لَثْم هاتيك اليَدِ!
لتَبادَرُوا أمّ العطاء كأنَهم | عُصَب الظَّماء تزاحمت بالمَوردِ
إن وقَفُوا فلرهبةٍ وسَكِينَةٍ | أو أوْجَعُوا فلرغبة وتوَدُّدِ
أليوم نامَ الدينُ ملءَ جُفُونِهِ | عن حَزْم يقظانِ الجُفُون مُسَهَّدِ
وقَاد الحاظِ العَزيمة صَارم | والشَمسُ ناظرةٌ بعَيْن الأرمَدِ

ولما صنع الصناع سنان رمح بسنانين اثنين، متصلين في سعة السيف، كل واحد منهما للخليفة يوسف، أعجب بذلك وأمر بالقول في وصفه فقال أبو عمر بن حربون يصفه :

طَبَع الإمام من الأسنَة لَهْذَماً | لم يعهَدوه في أسنَة مَعْضَب
رمحٌ تمثّل للأعادي شَكْلُه | رَأسَي شُجَاع أو زُبانا عَقْرَب
إن هزَّت الهيجاءُ رَوْقَي ذَابِلِ | يَوماً تلقَّاهُ العدوُّ بأغضَبِ
مَاذَانِ إلا ناظرانِ تَشَوَّفا | نحْوَ الجِهَادِ تشوُّف المُتوَثِّب
أو مَسْمَعان تَحَسَّسَا من نَبأةٍ | أوْفَى لها سَعْدُ السُّعود بمَرقَبِ
أو كَوكَبان قَضَى على لُقْيَاهُما | بالسَّعْد من هو كافرٌ بالكوكب
فدَعوا القُران فإنّه متأثرٌ | عن سِرِّ هَذَا النَيِّر المتشعِّب

هَا إنّها بعْضُ العَلامَات الّتي … قد أطْلَعُوا أنوارَها بالمَغْرِبِ

نَبَأٌ عظِيم في الوَرَى وإثارةٌ … من عِلمَ مَن جَاءت به بُشْرى النّبِي

هُوَ ذَاكَ بعْض مفاتِحِ المَلَكُو … ت في كف تُنُوب عن الغَمَام الصيِّب

للملكِ فيهِ سَريرةٌ سيُذِيعُها … بِلسانِ كلِّ مثقَّف ومشطَّب

إنَّ الخلافَةَ لم تَبِن أسْرَارُها … إلا لِهَذا النَّجلِ او هَذا الأب

نُورٌ أرَاد اللّهُ ألاّ يَنْجَلي … إلاَّ بغُرَّةِ طيِّبٍ عَنْ طيِّبِ

لَولاهُم لَغَدا الوَرَى في حَيْرةٍ

تَرمي بِهِم مِن غَيهَبٍ في غَيْهَبِ

والآن قَدْ بان الصَّباح لناظِرٍ … وإن تبيَّن عاقِلٌ لَم يَرْتَب

وأمر الخليفة يوسف أن يكتب الصناع في سيفه (لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين).

فكتب ذلك فيه وقال في مجلسه الكريم للشيخ الفقيه أبي محمد المالقي : أخرج الى طلبة الحضر وأمرهم أن يضمن هذا المكتوب في بيتين من الشعر فخرج أبو محمد المالقي وقال للطلبة ذلك واستعجلهم فيه[161] .

فقال ابن حربون مرتجلا على لسان السيف :

أنَا إن جُردتُ يَوماً … كنتُ بالنَّصْر قمينا

لأمير المؤمنين … بْنِ أبي المؤمنين

فاستحسن الخليفة يوسف ذلك و أحسن إليه و أجزل العطاء لديه.

وهذه قصيدة ابن حربون المدحية الطويلة في تهنئة الخليفة يوسف بفتح، منها[162] :

بسعدك أضْحى الدِّين جدلانَ باسِما … وباسْمك أمْسَى الشركُ للشّرك هادِما

الا إنَّها فيما وُعِدت لآيةٌ … يَدِين بهَا من كان بالله عالِمَا

براهين صدقٍ ما تزالُ ولم تَزَلْ … تُنَبِّتُ يَقْظاناً وتُوقظُ نائِمَا

أَلَـيْسَ مـن الآيـاتِ أن بِـتَّ وادعـاً
وقـيْـصَـرُ قـد أمْـسـى لأمـرك خَـادِمـا؟
وَمَا هُوَ إلاَّ أنْ دَعا بِشِعَارِكم فجدَّد مَن قَد كان قِرْناً مُقاوِما!
بِـخُلْقِكُـم الـمَيْمُـونِ أدْرَك ثـارَهُ فـإنْ لم يَجِئْكُم مُسْلِماً فمُسـالِمَـا!
وأيَّـدَهُ الـمقـدارُ فِـيهَـا بـآيَـةٍ تُـرسِّمُ لـلأمْـرِ العَزِيـز مَراسِمَـا!
كَمَا وَقَمُوا كِسْرَى بفَضْلِ محمَّـدٍ وكـانَ لَهُم مِن قَبْلِ ذلِـكَ واقِمـا
فشُكْراً بَني إِسْحَاقَ لِلمَلِكِ الَّـذِي شفيتُم بـهِ تلك الظمـاءَ الحَـوَائِمـا
بِيُمْـنِ أميـرِ الـمُـؤمِـنِيـن رفعْـتُـمُ لعـزِّكُم تِلْكَ الذُّرَى والـدَّعـائِمـا
وكـيـف رأى ابـنُ الـرنـكِ مـركـبَ بَـغْـيِـهِ
إذا اغْـتَـاضَ من دُهْـمِ الـجِـيَـاد الأداهِـمَـا!
وان يـتـسـنَّـمْـهـا محـارم عـزَّةٍ فهَـا هُـوَ قـدْ لاقَى عَلَيْهَـا المَحَـارِمَـا
لَـقَـدْ رَامَ مِـنْـهَـا سُهـدةً مَـا اسْـتَـسَـاغَـهَـا
ولا لاكَـهَـا حَـتَّـى اسْـتَـحَـالـتْ عَـلاقِـمَـا
وَبَـادَرَهَـا لِـلحِيـنِ وثْبَـةَ هَـاجِـمٍ فصـادَفَ وثَـابـاً لمَبْنَـاهُ هَـاجِمَـا!
فَـسَـعْـدُكَ مَـوْلانَـا حَـمِـدْنَـا، ولَـمْ تَـكُـن
لـتحـمـدَ هـذي الـعـربُ تِـلْكَ الاعـاجِـمَـا!
وكَـمْ مِـنْ عَـدُوٍ ردَّهُ يُـمْـنُ أمْـرِكُـمْ
عَـلَى عَـقِـبَـيْـهِ صَـاغِـرَ الـقَـدْرِ رَاغِـمَـا!

وعندما حل الوزير أحمد بن عبد الرحمن الوقشي بمراكش في عيد الفطر السعيد، تقدم بقصيدة تهنئة للخليفة وهي[163] :

تَحِـنُّ إلَـيـكـم وافـداتُ المـواسـم فتهـدي إلى كـفـيكـم ثـغـرَ بـاسِـم
ومنهـنَّ عـيـدُ الـفـطر جـاء مسلماً عليْـكَ فحيَّى منـك افضـلَ طـاعـم
ومن قبـله وافى الـصـيـامُ بشـهـره عـلى خـيْرِ اواب وافْـضَـلِ صـائـم
إلى أن يقول:
تـقبلت أخـلاق الـكـهـولـة نـاشِئـاً فلم تـدْرِ يـومـاً مـا مَنـاط التَمـائـم
ولـو لم تـشـأ وطْءَ الـتُّـراب بـاخمص لسـرت عـلى هَـام المُلوك الخَضـارِم!

وقد أورد صاحب المسند الصحيح أبياتا أخرى لهذه القصيدة، يذكر فيها المصحف العثماني الذي أمر الخليفة بتحليته، منها[164] :

ومصحف عثمان بن عفـان أهملت بملوك الورى من حقـه كل لازم
فأشفقت من جهل الجميع بشـأنه وقبلته صـونا لـه بـن عـالـم
فأصبـح ذو النوريـن كاسم وليه وخـير لـه فى بـدئه والخـواتم
فليت أبا عمـرو يعـاين شكـله فيشـكر أفعـال الحفي المكـارم

ولما فتح الخليفة يوسف مدينة قفصة رحل عنها إلى تونس وخاطب أهل حضرة مراكش وأهل الأندلس وبعث مع الرسالة بقصيدة كتبها العالم أبو بكر ابن طفيل بلسان الخليفة وهذا مطلعها[165] :

أقِيمُـوا صـدورَ الـخَيْـلِ نَـحْـوَ الـمَـغـارب
لـغـزْوِ الأعـادي واقْـتِـنَـاء الـرَّغَـائِـب
وأذكـوا الـمَـذاكِي الـعـاديـاتِ على الـعِـدَى
فـقـد عـرضَـت لـلحـربِ جُـرْدُ الـسَّـلاهـب
فـلا تُقتنى الآمـالُ إلاَّ مِـنَ القَـنَـا ولا تُكتَب العَلْيـا بغَـيـر الكـتَـائِب
ولا يَـبْـلغُ الـغـايـاتِ إلاَّ مـصمِّـمٌ على الهَوْلِ ركَّابٌ ظهـورَ المصاعب
يَـرَى غـمْـرةَ الـهَـيْـجَـاء أعْـذَبَ مَـشْـرَب
وان أعـرضَـتْ زُرقًـا جِـمَـام الـمَـشَـارِب
ويـأنَفُ إلاَّ مكسَبـاً مِـن حُـسـامـه ويُعْـرِضُ عزّاً عن جَميـع المَكـاسِب
ألا فـابْـعَثُـوهـا هِـمَّـةً عـرَبـيَّـةً تَحُفُّ بـأطْـرافِ القَنـا والقَـوَاضِب

وممن أنشد الخليفة يوسف وتشرف بالدخول إلى حضرته بعد توسط له؛ الشاعر أبو الحكم بن رضى البلنسي حيث قدم قصيدة يقول فيها صاحب المن بالإمامة أنه

ذكر فيها ما تقدم من الفتوح، ولوح بحاجته وشوقه إلى بلده أكثر التلويح وأضاف كذلك بأنها طويلة و ليست في الغرض مقولة، وهذا مطلعها[166] :

مُسامِري وخَبيرُ القَوم مَسؤولُ ... حدِّث فقولُك مَسْموعٌ ومقبُولُ

حدِّثْ فانكَ قدْ اسْمعتَنا حَسنَا ... وعطِّرَ الافقَ ذاك القَال والقِيلُ

ألستَ عن سِيَر المَهْدِيّ تُخْبِرُنا ... ومَن عنِ اللهِ نَبِّي عَنْهُ جِبْريلُ!

وعَنْ حَوَاريّهِ الأسْنَى وصفوتِه ... وسيفه حِينَ سيف الدِّين مَفْلُول

وعن بَنِيه مصابيح الهُدَى ظَهَرَتْ ... في كُلِّ داجِيةٍ مِنْهُم قَنادِيلُ

وسُقْ حَديثَ أبي يَعْقُوبَ مِنْ طُرقٍ ... فَفي سياقتِه المأمُول والسُّولُ

اعادَ وَالقَوْمُ قَدْ مَلُّوا السُّرى فهُمْ ... مِنَ الدُّرُوبِ على أكْوارِهِم مِيل

ومنها:

فخلتُهُم مِن عِقَالٍ أنْشِطوا طَرَباً ... والنَّفْسُ تَبْعَثُها هَذِي التَّعالِيلُ

وخلتُ أنَّ الحَيَا لما أعادَهُما ... فالماءُ مطَّردٌ والزَّهْرُ مَطْلُولُ

مَلكٌ تودُّ مُلوكُ الأرْضِ لو غَنِيَتْ ... وحظُّها مِنْهُ في يُمْناهُ تَقْبِيلُ

قادَ الجُيُوشَ يغصُّ المَشْرِقَانِ بِها ... والمَغرِبانِ كما غصَّتْ خَلالِيلُ

مِنْ كُلِّ مُعْتَقِل سَمْراءَ لَهْذَمُها ... أووجهُهُ في ظَلامِ الخَطْبِ قِنْدِيل !

او مُرْتَدٍ لِحُسامٍ مثلِه ذَرِبٍ ... وغايَةُ السَّيْفِ مسْنُونٌ ومَصْقولُ

او مُختَبٍ فوق مِثْل النَّهْي سابغةٍ ... وعضدُه تَحْتَ ثِنْيِ الدّرعِ مَحْلُول

أو راكبٍ فوْقَ مَتْنِ الماءِ مُرْتفقٍ ... كأنَّهُ قَيْصَرٌ والقِلْعُ إكْليلُ

فالبرُّ كالبَحْرِ إذْ تُشْتَنُّ ادرُعُها ... والبَحْرُ كالبَرِّ إذ يَصْطَفُّ اسْطول

ولما دخل الخليفة يوسف إلى إشبيلية وكما عبر عن ذلك صاحب المن بالإمامة حيث قال واصفا دخوله على الهيئة الحافلة من السرور والتبريز العظيم الكريم، الذي لم ير الناس مثله في الأندلس في الحديث ولا في القديم وذكره لقول الشاعر ابن السيد مادحا ومهنئا للخليفة وذاكرا لحال ابن مردنيش، وواصفا بروز الناس إليه يوم وصوله، وهذه أبيات من القصيدة[167] :

السَّعْدُ يقدُم والعزائمُ تصدُقُ … والنَّصْرُ بينهما يخبُّ ويعْنَق
وأمامَها ملكٌ أغرُّ يحفُّهُ … جَيْشٌ تغصُّ به البلاد وتشْرقُ
مَلأ البسيطةَ مِنْهُ بحْرٌ زاخِرٌ … في لجُتَيْهِ كلُّ بحْرٍ يغْرَق
وجلا رياضاً للنَّواظِرِ أطْلَعَتْ … فيها الدِّمَاءُ أزاهراً لا تعْبَق
راع المَمَالِك فاتَّقَتْ بمُلُوكِهَا … حتَّى كأنَّ بها حُبَالى تُطْلِق
جُنَّ ابنُ سَعْدٍ بالنفاقِ جنونُه
وطغى إلى أنْ بات فيه الأوْلَق
نُظِمت له جرد العتاقِ تَمائماً … ليْسَتْ على أهْلِ الجُنُون تُعَلَّق
فقَضَى حَصِيراً إذْ تَيَقَّن أنَّهُ … إمَّا قَتِيلٌ أو أسِيرٌ مُوثَقُ
غُرَّ الشَّقي بنأيِكُم عن أرْضِهِ … جَهْلاً وظنَّ بأنَّهُ لا يُلْحَقُ
أوَ ما رَأى شَمْسَ الضُّحَى في جوِّها … والمغرب الأقْصَى لها والمَشْرِق
وإلى الذُّنوب فأوبقته كَثْرَةً … إن الذُّنوبَ إذا توالتْ تُوبِقُ
ولعَلَّه قَدْ كان يعتِقُ رقُّهُ … مَلِكٌ إذا مَلَك البريَّةَ يُعْتِقُ
مَلِكٌ أفاضَ عَلى الجَزِيرةِ رحمةً … أحْيَا الرجاءَ بِها حَياةَ المُغْرِقُ

وفي المناسبة المذكورة، قال الشاعر الجراوي قصيدة طويلة يمدح الخليفة بها ويذكر ابن مرذنيش، منها :

حلَلْـتَ مـن العُـلى أسـمى ذُراهـا ... وجارَيْـتَ النجـومَ إلى مَـداها
وواَلَيْـتَ الـسَّماحَ فقـد تَناهـتْ ... أمـانٍ للعُفـاة ومـا تناهـا
وجـودُك نعمـةٌ لله عمَّـت ... وجـودُك نعمـةٌ أُخـرى سـواها
أرى ذاك الزمـانَ وشـاءَ ألّا ... تُقـارَنَ في الأمـور ولا تُـضاهى

وصَـلتَ وصَـلت فـالأمواهُ تجـري ... وغُلـبُ الأُسْـد تُـحذَرُ في شَراهـا
وعُـذرُ الـشمس لـو حسَدتْك بـادٍ ... لأنّ سـناك أشـهرُ مـن سـناها
تَنـالُ المـارقينَ بكـلِّ أرضٍ ... ولا طـارت ولا نقَلـت خُطاهـا
لقد أخْـزى الزّمـانُ عـلى النّصارى ... بـوطءٍ مؤيَّـد صَـدَعت صَـفاها
وأنـصَفَ بعـضَها الإسـلامُ منهـا ... وأدرك في العقوبـة منتهاهـا
خطـوبٌ أذهَلَـت عـلى ابـن سـعدٍ ... وذادت عـن لواحظِـه كَراهـا
وقـد كانـت تُـشَدُّ بهـا قِـواهُ ... فـما لغَبَـت قِـواهُ ولا قِواهـا
يـردِّدُ آهَ مـن أسـفٍ وحُـزنٍ ... ومـا تُنجـي مـن الغَمَـراتِ آهـا
وهـل يبقـى وقـد فَغَـرت إليـه ... منيّتُـه المريحـةُ منـهُ فاهـا
لقـد وَلّى عـن الخـير اختيـارًا ... ووالَى الـلّاتِ والعُـزَّى سَـفاها
وآثَـرَ معـشرًا ضَـلّوا سـبيلًا ... فـما عرَفـوا النبـيَّ ولا الإلـها

وقال أيضا من قصيدة أولها:

ضَرَبَت عليك لواءَها العلياءُ — وتحيَّرت في وَصْفِك الشعراءُ
وقضَى الذي أعطاك سعدًا مقبِلًا — ألّا يفارقَ حاسديك شقاءُ
ما شكّ ذو النظر الصّحيح ولا امتَرى — أنّ الورى أرضٌ وأنت سماءُ
الأمرُ أمرُ الله ليس يضُرُّهُ — ما حاوَلَت من كيْدِهِ الأعداءُ
والحقُّ أبلجُ والمُعاندُ عينُهُ — عمياءُ عنه وأذْنُه صمّاءُ
لو كانت الجوزاءُ من أعدائهِ — لم تَنْجُ عن غاراتِهِ الجوزاءُ
ساءِلْ إذا ركَدَ الدُّجى وتحيَّرتْ — زُهرَ النّجوم ونامت الرُّقَباءُ
يَهدي ويَهدي منعمًا ومعلِّمًا — لا زال منه الهَدْيُ والإهداءُ
أوفَى بما تَرَكَ النبيُّ محمدٌ — والقائمُ المَهْديُّ والخلفاءُ
وجَلَى الحقائقَ للورى .... — .... الأمواتُ والأحياءُ
أوليَّ عهدِ المؤمنينَ ومَن بهِ — كمُل السرورُ وتمَّت النَّعماءُ
العيدُ أولى أن أُهنِّيه بكمْ — فعليه منكمْ بهجةٌ وبهاءُ
أنتمْ سَنَا الدّنيا فلولا أنتمُ — ما فارَقَت آفاقَها الظلماءُ

وبمناسبة حضور الخليفة يوسف عيد الأضحى بقرطبة، قام الشاعر ابن المنخل الشلبي منشدا قصيدة يمدحه ويهنئه فيها وهذا مطلع القصيدة[168] :

شَرَفُ الخِلافَة أنْ ملكتَ زِمامَهَا — وغَدَوْتَ مِنْ عقب الإمام أمامها!
وافَتْك تَبْتَدِر (وا) الرضى إذْ رُمْتَهَا
ولَشَدَّ مَا امْتَنَعَت عَلى مَنْ رَامَهَا!
طَبَعَ الإلاهُ لَهَا حُسَاماً صَارِماً
يَحْمِي جَوَانِبَها فكُنْتَ حُسامَهَا
ورأتْ عُداةُ اللهِ أنَّ حِمَامَهَا — مِنْ قَيْس غيلانٍ فكنتَ حِمَامَها
فعَلى رماحِك أن تشُقَّ جُيُوبَهَا — وعَلى سُيُوفِك أنْ تُفَلِّقَ هَامَهَا

ومنها:

وعلى جُيُوشِك أنْ تُدَوِّخ أرضَهَا   وتَدُوس في [illegible]انها أصنامَهَا

وَعلى الخِلافَةِ أن تَلُوذَ بسَيِّدٍ   يُجْري على سُبُلِ الهُدى أحْكامَها

ملكٌ يجيرُ على الزَّمانِ، فإنْ تُضِم   حرّاً بواديه الليالي، ضَامَهَا!

قسْطاسُ عَدْلٍ لا يَمِيلُ، فإنْ رَأى   مَيْلَ الشَّريعة أمّها فأقامَهَا

يُطْفِي الحُروبَ إذَا توهَّجَ جمْرُهَا   ولرُبَّمَا خَمَدتْ فشبَّ ضِرَامُها

وإذا أسُودُ الحَرْبِ هَاجَ عُرامُهَا   عَانَى بحَدِّ المَشْرَفي عُرامَهَا

وإذَا المَخَايِلُ أخْلَقَتْ أنْوَاؤهَا   أجْرَى عوارفَه فكنَّ غُمامَهَا

وإذَا بُرُوق المُزْن لُحْنَ كواذِباً   صَدَقَتْ بُرُوقُ نَوالِه مَن شَامَها

مَا الجُودُ إلاّ ما تُفيض بنَانُه   لا مَا تفيض الغُرْب فيه سهامَها

ما البَأسُ إلا ما تضمَّن سَيْفُه   لا يضمن بعضَها صمصامَها

ما الرَّجْزُ إلا ما يجرُّ خلافُه   ليْسَ الذي وسمتْ به أيامَهَا

ما السَّعْدُ إلا ما ينالُ وفُودُه   وذَرِ السُّعُودَ فقد عَزت خُدَّامَها

وبمناسبة فتح الخليفة لمدينة قفصة، أنشد أبو مروان عبد الملك بن محمد في المعنى قصيدة أولها[169] :

فتْحٌ يفوتُ مداركَ الأوْهَامِ   ويعجِّزُ الإحْصَاء بالأقْلام

صدعَ الدجى صَدْع الرداء بنُوره   فأرَى الغوات تقضي الأحلام ؟

خيْرُ البَشائر صوّغت حمْل المُنَى   بقُفُول خيْر خليفةٍ وإمَام

وافتْ كما ابتَسَم الأمانُ لخائفٍ   وأنهَلَّ أثر المحل سكبُ غمَام

لما طَوى طَي السِّجل مَشارقاً   أمّ المغَارب نَاصِرُ الإسلام

يا أيُّها المَلِك الذي في ظلّه   أمِن المروعُ حوادِثَ الأيام

وسَطا وجَادَ وما تباطأ شأوهُ   اسْد العَرين ولا العمام الهَام ؟

وجَرَى على نهج الخلافةِ تابعاً   آثارها في النقْض والإبرام

هنئتَنا نُعمى تجل عن المُنى   قَدْراً و.. التي كالأقسَام »

ومما قاله شاعر الخلافة الجراوي يمدح به الخليفة يوسف قوله[170] :

إن الإمام هو الطبيب وقد شفا　　　علل البرايا ظاهراً ودخيلا

حمل البسيطة وهي تحمل شخصه　　　كالروح يوجد حاملاً محمولا!

وبعد أن ولي الخليفة أبو يعقوب يوسف إشبيلية وذلك في حياة أبيه وبعد غزوته مدحه الشاعر الأديب أبو بكر بن المنخل الشلبي بقصيدة طويلة أولها[171] :

أَقَدُّكِ أم غُصنٌ من البانِ أهيَفُ　　　ولَحْظُكِ أم سيفٌ من الهند مرهَفُ

ومنها:

فقالوا: أغزوٌ؟ قلت: لا شكَّ أنهُ　　　فقالوا: فمن يغزو العِدى؟ قلت: يوسفُ

سليلُ أميرِ المؤمنينَ وكفُّهُ　　　وصارمُهُ العَضْبُ الذي يُتخوَّفُ

وهذا الشاعر ابن جبير الكناني يمدح الخليفة يوسف حين هجرته الى حضرة مراكش[172]:

بُشْرَايَ قَدْ (أَبْصَرْتُ) خَيْرَ إِمَامِ　　　فِي حَضْرَةِ التَّقْدِيسِ وَالإِعْظَامِ

أَمَا وَقَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ (يَدُ) النَّوَى　　　فَلأَغْفُرَنَّ جِنَايَةَ الأَيَّامِ

وَلَوَ انَّنِي شِئْتُ انْتِصَاراً لَمْ أَكُنْ　　　فِيهِنَّ إِلاَّ فَاقِدَ الأَحْكَامِ

أَنْهَضْتُ عَزْمِي فَاسْتَطَارَ مُصَمِّماً　　　فَكَأَنَّنِي أُنْبِتُّ غَرْبَ حُسَامِ/

أَهْجَعْتُ نَوْمِي لاَبِساً خِلَعَ الدُّجَا　　　وَخْدِي، (فَمَا) عَرَّجْتُ بِالنُّوَّامِ

هِيَ (هَجْعَةٌ) هَجَرَتْ لَهَا سِنَةُ الكَرَى　　　فَالْجَفْنُ لَمْ يُطْعَمْ لَذِيذَ مَنَامِ

حُمَّ الرَّدَى فَاخْتَرْتُ رَيَّا كَأْسِهِ　　　وَالْحُرُّ رَيَّاهُ بِحَرِّ حِمَامِ

لَمْ أَكْتَرِثْ لِشَتَاتِ شَمْلِي بِالنَّوَى　　　فَكَأَنَّمَا لِلشَّمْلِ جَمْعُ نِظَامِ

شَوْقاً إِلَى دَارِ الخِلاَفَةِ إِنَّهَا　　　دَارُ الهُدَى وَمُعَرَّسُ الإِسْلاَمِ

مِنْ كُلِّ مُغْطِيَةٍ عَلَى عِلاَّتِهَا　　　وَخْداً، لَهَا فِي الشَّهْرِ سَيْرُ العَامِ

جَبَّ السُّرَى مِنْهَا سَنَامَ فِقَارِهَا　　　فَكَأَنَّهَا خُلِقَتْ بِغَيْرِ سَنَامِ

فَأَتَتْ كَأَمْثَالِ القِسِيِّ ضَوَامِراً　　　ولَرُبَّمَا مَرَقَتْ مُرُوقَ سِهَامِ

وَافَتْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِنَا عَلَى　　　شَحَطِ النَّوَى، فَلَهَا يَدُ الإِنْعَامِ

لَوْ أُنْعِلَتْ حُرَّ الخُدُودِ كَرَامَةً　　　لَمْ نَقْضِ وَاجِبَهَا مِنَ الإِكْرَامِ

وَلَوِ اسْتَطَعْنَا لَمْ تَكُنْ تَطَأُ (الثَّرَى)　　　إِلاَّ عَلَى الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَامِ

وله قصيدة ثانية في الخليفة:

عِيدٌ بِمَا يَهْوَى الإِمَامُ يَعُودُ ... مَا اخْضَرَّ فِي وَجْهِ البَسِيطَةِ عُودُ
لَوْلاَ لُزُومُ الشَّرْعِ لَمْ نَحْفِلْ بِهِ ... إِذْ كُلُّ يَوْمٍ فِي ذُرَاهُ لَعِيدُ
حَيًّا بِمَا لِلْعِيدِ بَدْرِ خِلاَفَةٍ ... يَهْنِيهِ إِنَّ قِرَانَهُ لَسَعِيدُ
وَأَتَى يُجَرِّرُ بِالْمَجَرَّةِ ذَيْلَهُ ... رَكْضاً وَإِنَّ مَزَارَهُ لَبَعِيدُ
وَكَأَنَّمَا أَضْنَاهُ شَوْقٌ لِقَائِهِ ... أَمِنَ الأَهِلَّةِ هَائِمٌ وَعَمِيدُ
لَمْ تُثْنِهِ الأَشْوَاقُ عَنْ حَسَدٍ لَهُ ... إِحْدَى العَجَائِبِ وَامِقٌ وَحَسُودُ
بُشْرَى أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ ... عِيدٌ حَدَتْهُ لِلْفُتُوحِ سُعُودُ
طَرِبَ الجَوَادُ وَقَدْ عَلَوْتَ بِمَتْنِهِ ... حَتَّى كَأَنَّ صَهِيلَهُ تَغْرِيدُ
يَهْفُو بِعِطْفَيْهِ المَرَاحُ فَيَرْتَمِي ... لَعِباً وَيَنْقُصُ تَارَةً وَيَزِيدُ
وَلَرُبَّمَا سَالَتْ عَلَيْهِ سَكِينَةٌ ... حَتَّى تَخَالَ بِعِطْفَتَيْهِ خُمُودُ
يُزْهَى فَيُظْهِرُ نَخْوَةً لَمَّا رَأَى ... بِكَ أَنَّهُ فِي حُسْنِهِ مَحْمُودُ
كَيْفَ اسْتَقَلَّ بِطَوْدِ حِلْمٍ رَاجِحٍ ... وَالطَّوْدُ يَثْقُلُ حِمْلُهُ وَيَؤُودُ
لَوْ كُنْتَ تَرْضَى نَعْلَتَهُ خُدُودَهَا ... مُسْتَشْرِفِينَ بِهِ: ؛ المُلُوكُ الصِّيدُ
مَلِكٌ تَوَدُّ النَّيِّرَاتُ لَوَ انَّهَا ... حَلْيٌ عَلَى أَعْطَافِهِ وَفَرِيدُ
أَوَ مَا كَفَاهَا أَنَّ شِسْعَ نِعَالِهِ ... بِجَبِينِ أَشْرَفِهَا، سَنَا مَعْقُودُ
يَا مَنْ يَرُومُ بُلُوغَ بَعْضِ صِفَاتِهِ ... هَيْهَاتَ لَيْسَ لِكُنْهِهَا تَحْدِيدُ
كَمْ ذَا تُحَاوِلُ عَدَّ زَهْرِ خِصَالِهِ ... أَقْصِرْ فَمَا لأَقَلِّهَا تَعْدِيدُ

وهذا الأستاذ أبو القاسم السهيلي ينشد الخليفة يوسف بهذه الأبيات[173] :

أمعشرَ أهلِ الأرضِ بالطُّولِ والعَرْضِ ... بهذا أنادى فى القيامة والعرض
فقد قال الله فيك ما أنت أهلُه ... فيقضى بحكم الله فيك بلا نَقْض
فإياك يُعنى ذو الجلال بقوله ... كذلك مكَّنا ليوسف فى الأرض

ومما ذكر أن الخليفة أبو يعقوب يوسف رحمه الله تعالى، كان قبل موته بأشهر يسيرة كثيرا ما يردد هذا البيت[174] :

طَوَى الجَديدانِ ما قَدْ كُنْتُ أنشُرُهُ وَأنْكَرَتْني ذَواتُ الأعينِ النُّجُلِ!

ولما مات الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، رثاه ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأولها[175] :

جلّ الأسى فأسِلْ دَمَ الأجفانِ ماء الشؤون لغير هذا الشانِ

الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف

ومن شعر الخليفة يعقوب المنصور والذي خاطب به العرب الذين لفوا لفهم مع ابن غانية وقرقوش مولى بني أيوب في الشغب عليه بإفريقية[176] :

يَـا أَيُّـهـا الـرَّاكِـبُ الـمُـزجِّـى مَـطِـيَّـتُـهُ
عَـلَـى غَـدَائِـره تَـشْـقَـى بِـهَـا الأَكَـم
بَـلِّـغ سُـلَـيْـمـا عَـلَـى بُـعْـدِ الـدِّيَـارِ بِـهَـا
بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكـم الـرَّحْـمَـن والـرَّحِـم
يَـا قَـوْمَـنـا لَا تُـنْـشِـبوا الـحَـرْبَ إن خَـمَـدَت
واسْتَمْسِكوا بِعُرى الأَيْمَانِ واعْتَصِمُوا
كَـمْ جَـرَّبَ الـحَـرْب مَـن قَـد كَـانَ قَـبْـلَـكُـم
مِـن الـقُـرُونِ فَـبَادتْ دُونَـهَـا الأُمَـم
حَـاشَ الأَعَـارِبُ أَن تَـرْضَـى بِـمَـنْـقَـصَـة
يَـا لَـيْـتَ شِـعْـري هَـل تَـرَاهُـم عَـلِـمُـوا
يَـقُـودُهُـم أَرْمَـنِـي لا خَـلَاقَ لَـهُ
كَـأَنَّـهُ بَـيْـنَـهـم مِـن بَـيْـنِـهـم عَـلَـمَ
اللهُ يَـعْـلَـمُ أَنِّـي مَـا دَعَـوْتُـكُـم
دُعَـاءَ ذِي قُـوَّةٍ يَـوْمـاً فَـيَـنْـتَـقِـم
وَلَا لـجَـأْتُ لأَمْـر يُـسْـتَـعَـانُ بِـهِ
مِـنَ الأُمـورِ وَهَـذا الـخُـلُـق قَـدْ عَـلِـمُـوا
لَـكِـنْ لِأَجْـزِي رَسُـول الله عَـنْ نَـسَـبِ
يُـنْـمي إِلَـيْـهِ وتَـرْعَـى تِـلْـكُـمُ الـذِّمَـم
فَـإِنْ أَتَـيْـتُـم فَـحَـبْلُ الـوَصْـلِ مُـتَّـصِـلُ
وَإِنْ أَبَـيْـتُـم فَـعِـنْـد الـسَّـيْـف نَـحْـتَـكِـم

وكانت للدولة الموحدية رغبة في توحيد العالم الإسلامي تحت لوائها و لا سيما في عهد الخليفة يعقوب المنصور، إذ لم يعترفوا بخلافة العباسيين، و كانوا يرون أن دار الخلافة الشرعية هي مدينة مراكش لا بغداد.

وممن عبر عن هذه الرغبة و أشار إليها، شاعر خلافتهم أبو العباس بن عبد السلام الجراوي في بعض أشعاره كقوله في مدح الخليفة يعقوب المنصور[177] :

بجِدِّ عِزْمِك نال الدِّينُ ما طَلَبا ... وأحجَمَ الشِّركُ عن إقدامه رَهَبا
وأيقنت ملّةُ الإسلامِ أنّ لها ... بكَ الظهورَ على الإعداء والغَلَبا
وأنّ كلَّ بعيد عندَها كثَبٌ ... ولو تطالب في أفلاكها الشُّهُبا
وأنّ أمرَك مُستَوْلٍ على أمدٍ ... من السعادة فات العُجْمَ والعَرَبا
إنّ الخلافةَ نالت من محاسنِكمْ ... أوفَى الحظوظ فأبدَت منظرًا عَجَبا
أعلى المراتبِ من بعدِ النبوّة قد ... حَبا بها اللهُ أعلى الخَلْق وانتَخَبا
سينظِمُ السعدُ مصرًا في ممالكِهِ ... حتى تدوِّخَ منها خيلُهُ حَلَبا
إلى العراق إلى أقصى الحجاز إلى ... أقصى خراسانَ يتلو جيشُه الرُّعُبا
هو الذي كانت الدّنيا تؤمِّلُهُ ... وكلُّ عصر له ما زال مُرتقبا
هل ابنُ إسحاقَ إلا كالذين جَرَوْا ... إلى مصارعِهم من قبلِهِ خَبَبا
عن شرٍّ منقلبٍ تُجلَى عواقبُهُ ... وقَلّ ما حَمِد المغرورُ منقَلَبا
راق النَّضارُ عيونَ الناظرينَ وقد ... غدا اسمُك المعتلي أعلاه مُكتَتَبا
قد جاز في وصفِها في كفِّ ذاك وذا ... أنّ النجومَ استحالت للورى ذهبا
نَداك عمَّ بني الدّنيا وألبَسَهم ... في الشرق والغرب أثوابَ الغِنى القُشُبا
خليفةَ الله رُحماكم لمغتربٍ ... ناء وما إنْ نأى دارًا ولا اغتَرَبا

وهذا سفير صلاح الدين الأيوبي ابن منقذ يمدح الخليفة يعقوب المنصور في قصيدة من أربعين بيتا، حيث أكرمه الخليفة وأعطاه بكل بيت ألفا، وهذه أبيات من القصيدة[178] :

سأشكر بحراً ذا عباب قطعتـــه
إلـــى بحر جود ما لأخراه ساحلُ
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى
الى سمت بالذكر منه الأوائـــــل
إليك أمير المؤمنين ولم تـــــزل
إلى بابك المأمول ترجي الرواحل
قطعت إليك البر والبحـــر موقناً
بأن نداك الغمر بالنجح كافـــــل
وحزت بقصيدك العلا فبلغتهـــا
وأدنى عطياك العدد والفواضـــل
فلا زلت للعلياء والجود بانيـــاً
تبلغك الآمـــــــال ما أنت آمل

ومما وجدناه من قصيدة، ذكر صاحب المعجب أنها طويلة، مدح بها الكاتب إبراهيم الزويلي أمير المؤمنين أبا يوسف عند استرجاع مدينة قفصة[179] :

سَائِلْ بِقَفْصَةَ هَلْ كانَ الشَّقيُّ لها   بَعْلاً وَكانتْ له حَمَّالةَ الحطبِ
تَبَّتْ يَدَا كافرٍ باللهِ الهبَها   فَكَانَ كَالكَافرِ الأشقَى أبي لهبِ
لمَّا زَنَت وَهي تَحْتَ الأمرِ مُحْصَنةٌ   حَصَبْتُمُوها اتْبَاعَ الشَّرْعِ بالحَصَبِ

ولما رجع الخليفة أبو يوسف من غزوته العظمى، أنشده الشعراء، وكان من جملتهم الشاعر علي بن حزمون . فأنشد قصيدة إستحسنوها، أولها [180]:

حَيَّتْكَ مُعطَّرةَ النَّفَسِ   نَفَحاتُ الفَتْحِ بأنْدَلُسِ
فَذَرِ الكُفَّارَ وَمأتَمَهُمْ   إنَّ الإسلامَ لَفي عُرُسِ
أإمامَ الحقِّ وَناصِرَهُ   طَهَّرْتَ الأرْضَ مِنَ الدَّنَسِ
وَملأتَ قُلوبَ النّاسِ هُدًى   فَدَنا التوفيقُ لِمُلْتَمِسِ
وَرَفَعْتَ مَنارَ الدينِ عَلى   عَمَدٍ شُمٍّ وَعَلى أُسُسِ
وَصَدَعْتَ رِداءَ الكُفْرِ كَما   صَدَعَ الدَّيْجورَ سَنا قَبَسِ
لاقَيْتَ جُموعَهُمو فَغَدَوْا   فرصاً في قبضةِ مُفْتَرِسِ
جاؤوك تَضيقُ الأرضُ بِهِمْ   عَدداً لم يُحْصَ ولم يُقَسِ
خَرَجوا بَطَراً ورِئاءَ النا   سِ لِيَخْتَلِسوا مع مُخْتَلِسِ
وَمَضَيْتَ لأمرِ اللهِ عَلى   ثِقَةٍ باللهِ وَلَمْ تَخِسِ
فأناخَ الموتُ كَلاكِلَهُ   بِظُبَاكَ عَلى بَشَرٍ رَجِسِ

ومما أُنشد به الخليفة يعقوب المنصور في منامه[181] :

بشائر نصر الله جاءتك سافره   لتعلم أن الله ينصر ناصره
فأبشر بنصر الله والفتح انه   قريب ، وخيل الله لاشك ظافره
فتفنى جيوش الروم بالسيف والقنا   وتخلى بلادا لا ترا بعد عامره

وهذه الأديبة الشلبية – لم يعرف اسمها – كتبت الى الخليفة يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها و صاحب خراجها [182]:

قد آن ان تبكي العيون الابية ... ولقد أرى أن الحجارة باكيه
ياقاصد المصر الذي يرجى بـه ... ان قدر الرحمن رفع كراهيه
نـاد الاميـر اذا وقفـت ببابـه ... ياراعيا ان الرعيـة فانيـه
ارسلتها هملا ولا مرعـى لهـا ... وتركتها نهب السباع العافيه
شلب كلا شلب وكانت جنة ... فاعادها الطاغون نارا حاميـه
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم ... والله لا تخفـى عليـه خافيـه

وهذا شاعر من أهل كانم من السودان وهو ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني قالوا أنه دخل على يعقوب المنصور وأنشده[183]:

ازال حجابه عني وعيني ... تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن ... بعدت مهابة عند اقترابي

ومما ذكره صاحب النفح قوله[184]:

{ وحكى صاحب كتاب "روح الشعر و روح الشحر" وهو الكاتب أبو عبدالله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الأراكة المشهورة، وكانت يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته، بل كان يختص منها بالإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة، فدخل أحد الشعراء فأنشده :

ما أنتَ في أُمراء الناسِ كلّهمُ إلاّ كصاحبِ هذا الدّينِ في الرُّسلِ
أحييتَ بالسيفِ دينَ الهاشميّ كما أحْياهُ جَدُّكَ عبدُ المؤمنِ بنُ علي

فأمر له بألفي دينار، و لم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء...}

وهذا الشيخ أبو الحسن بن حريق يذكر الخليفة يعقوب في بيت له، أورده صاحب المقتضب[185] :

أصبحتْ تُدمير مصراً شبَهاً وأبو يوسفَ فيها يُوسفَا

ومما ذكره ابن حمويه السرخسي من شعر في رحلته المسماة بالمغربية، لما حل بحضرة مراكش قادما من المشرق، بخصوص أبيات كتبها الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور إلى قبائل سليم من العرب النازلين بإفريقية، وهي[186] :

يا أيّها الراكبُ المُزْجي مطيَّته على عُذافرة تَشْقَى بها الأكَمُ
بلّغ سُليماً على بُعد الديارِ بها بَيْني وبَيْنكم الرحمنُ والرَّحِمُ
يا قومنا لا تَشُبّوا الحربَ إن خمدتْ واستمسكوا بعرى الإيمان واعتصموا
كم جرَّبَ الحربَ مَنْ قد كان قبلكمُ من القرونِ فبادتْ دونها الأممُ
حاشا الأعاربَ أن ترضى بمنقصة يا ليتَ شعريَ هل ترْآهُمُ علموا
يقودهمْ أرمنيٌّ لا خلاقَ لهُ كأنّه بينهُمْ من جهلهم علَمُ
اللهُ يعلمُ أنّي ما دعوتكُمُ دُعاء ذي قوّةٍ يَوْماً فينتقمُ
ولا لحاجةٍ لأمرٍ يُستعانُ بهِ من الأمورِ وهذا الخلقُ قد علموا
لكن لأجزي رسولَ الله عن نسَبٍ يُنْمى إليه وتُرْعَى تلكم الذّمَمُ
فإن أتيتمْ فحبلُ الوَصْل متصلٌ وإن أبيتم فعِنْدَ السيفِ نحتكمُ

وفي نزول الخليفة يعقوب المنصور بقفصة و محاصرته لها بعد وقيعة عمرة، قال في ذلك الشاعر ابن مجبر هذه القصيدة و هي طويلة منها[187] :

من لم يؤدبه تأديب الكتاب فما
له بغير ذباب السيف تأديب
إن الخلافة لا تشكو بمعضلة
والحافظ الله والمنصور يعقوب
مشمر البرد للحرب الزبون وقد
ضفت عليه من التقوى جلابيب
فالبيض منهن مسلول ومدخر
والخيل منهن مركوب ومجنوب
وليس يظفر بالغايات طالبها
إلا إذا قرعت فيها الظنابيب
للحرب جل مساعيه وما تركت
منه الحروب تهادته المحاريب

وهذه قصيدة للأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي، يهنئ بها ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور بفتح قفصة [188]:

هَبّتْ بنصركُمُ الرياحُ الأربعُ وجَرَتْ بسعدكمُ النجومُ الطُّلَّعُ
واستبْشَرَ الفلكُ الأثيرُ تيقناً أن الأمورَ إلى مُرادك ترجعُ
وأمدَّكَ الرحمنُ بالفتحِ الذي ملأ البسيطةَ نورهُ المتشعشعُ
لم لا وأنت بذَلْتَ في مَرْضاته نَفْساً تُفَدِّيها الخلائقُ أجمعُ
ومضَيتَ في نصرِ الإلهِ مُصَمِّماً بعزيمةٍ كالسيف بل هي أقطعُ
لله جيشك والصوارمُ تُنْتَضَى والخيلُ تجري والأسنّةُ تلمعُ
من كلّ مَنْ تقوى الإله سلاحُه ما إن له غيرُ التوكّلِ مَفْزَعُ
لا يُسْلمونَ إلى النوازلِ جارَهُمْ يوماً إذا أضحى الجوارُ يُضَيَّعُ

ومنها يصف انهزام العدوّ :

إن ظنّ أن فراره مُنْجٍ له فبجهله قد ظنّ ما لا ينفعُ
أين المفرُّ ولا فرارَ لهاربٍ والأرض تُنْشرُ في يديك وتجمعُ
أخليفةَ الله الرضى هُنِّيتَهُ فتحٌ يُمَدُّ بما سواه[1] ويُشْفَعُ
فلقد كسوتَ الدينَ عزّاً شامخاً ولبستَ منهُ أنتَ ما لا يُخْلَعُ
هيهاتَ سِرٌّ الله أودعَ فيكمُ والله يُعطي مَنْ يشاء ويَمنَعُ
لكُمُ الهدى لا يَدَّعيه سواكمُ ومَنِ ادعاه يقول ما لا يُسْمَعُ
إن قيل مَنْ خيرُ الخلائقِ كلّها فإليك يا يعقوبُ تومي الإصبعُ
إن كنتَ تتلو السابقينَ فإنّما أنت المقدَّمُ والخلائقُ تُبَّعُ
خُذْها أميرَ المؤمنين مديحَةً من قلبِ صدقٍ لم يَشِنْهُ تصَنُّعُ
واسْلَمْ أميرَ المُؤمنينَ لأمّةٍ أنْتَ الملاذ لها وأنْتَ المفزعُ
فالمدحُ منّي في عُلاكَ طبيعةٌ والمدحُ من غيري إليك تَطَبُّعُ
وعليك يا علَمَ الهداةِ تحيّةٌ يفنى الزمانُ وعَرفُها يتَضَوَّعُ

ومن قول أبو الربيع أيضا يخاطب ابن عمه الخليفة[189] :

فلأمـــلأن الخافقَـــينِ بذكركم ما دمت حَيّاً ناظماً ومُرَسِّلا
ولأبذلَنْ نصحي لكم جَهْدي وذا جَهْدُ المُقِلِّ وما عسى أن أفعلا
ولأخْلِصَنَّ لك الدعاء ، وما أنا أهلٌ له ، ولعلَّه أن يُقْبَلا

وأدرج كذلك قصيدة له، قالها لما هجره الخليفة يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بتمرتانسقت ظاهر مراكش، واستأذنوا في وقت الدخول، فكتب إلى المنصور :

يا كعبةَ الجودِ التي حَجّتْ لها عَرَبُ الشآم وغُزُّها والدَّيْلَمُ
طوبى لمن أمسى يطوفُ بها غداً ويحلُّ بالبيتِ الحرامِ ويُحْرِمُ
ومن العجائبِ أن يفوزَ بنظرةٍ مَنْ بالشآم ومن بمكّةَ يُحْرَمُ

فعفا عنه، وأحسن إليه، وأمره بالدخول بهم، والتقدم عليهم.

وهذه قصيدة أخرى، كتبها الأمير أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن إلى الخليفة يعقوب المنصور يمدحه ويستزيده، ويطلب منه ما يقضي به ديونه :

وجُوه الأماني بكم مُسْفِرَهْ وضاحكةٌ ليَ مُسْتَبْشِره
ولي أملٌ فيكُمُ صادقٌ قريبٌ عسى الله قد يَسَّره
عـــليَّ دُيون وتصحيفها وعندكمُ الجودُ والمغفره

ومن شعر ابن مجبر يصف خيل الخليفة المنصور من قصيدة في مدحه[190] :

لهُ حَلْبَةُ الخيلِ العتاقِ كأنّها نشاوى تهاوتْ تطلبُ العزفَ والقصْفا

عرائسُ أغنَتها الحجولُ عن الحلى فلمْ تبغِ خلخالاً ولا التمستْ وقفا

فمِن يققٍ كالطِّرْسِ تحسبُ أنّهُ وإنْ جرّدُوهُ في مُلاءته التفّا

وأبلقَ أعطى الليلَ نصفَ إهابه وغار عليه الصُّبحُ فاحتبس النّصفا

وَوَرْدٍ تغشّى جلدَه شَفَقُ الدجى فإذ حازه دلّى له الذيلَ والعرفا

وأشقرَ مجّ الراحَ صرفاً أديمه وأصفرَ لم يمسحْ بها جلده صرفا

وأشهبَ فِضّيّ الأديمِ مُدَنَّرٍ عليه خطوطٌ غيرُ مفهمةٍ حرفا

كما خطّطَ الزاهي بمهرقٍ كاتب فجرّ عليه ذيله وهو ما جَفّا

تهبُّ على الأعداء منها عواصفٌ ستنسفُ أرضَ المشركين بها نسفا

ترى كلّ طِرْفٍ كالغزال فتمتري أظَبْياً ترى تحت العجاجةِ أم طِرْفا

وقد كان في البيداء يألفُ سِرْبَه فربّتْه مهراً وهي تحسبُهُ خِشْفا

تنـــاوله لفظُ الجوادِ لأنّـــه إذا ما أردتَ الجريَ أعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها، و كانت مدبرة على انتصابها إذا استقر المنصور و وزراؤه بمصلاه، و اختفائها إذا انفصلوا عنها، أنشد في ذلك الشعراء، فقال ابن مجبر من قصيدة أولها[191]:

أعلمتني أُلْقي عصا التسيارِ في بلدةٍ ليست بدار قرارِ

إلى أن قال :

طَوْراً تكون بمن حَوَتْه محيطةً فكأنّها سورٌ منَ الأسوارِ
وتكونُ حيناً عنهمُ مخبوءةً فكأنّها سرٌّ من الأسرارِ
وكأنّها علمتْ مقاديرَ الورى فتصرفتْ لهمُ على مقدارِ
فإذا أحَسّتْ بالإمام يزورُها في قَوْمِهِ قامَتْ إلى الزوّارِ
يبدو فتبدو ثمّ تخفى بَعْدَهُ كتَكوُّنِ الهالاتِ للأقْمارِ

ولما وُلد لابن المجبر ابن، كتب الى الخليفة من نظمه[192] :

وُلدَ العَبْدُ الذي إنعامُكم طينَةٌ أُنشيء منها جَسَدُهْ
وَهْوَ دون اسْمٍ لعلمي أنّهُ لا يُسَمّي العبدَ إلا سَيّدُهْ

وقوله كذلك :

ملك تُرويكَ منهُ شيمةٌ أنسَتِ الظمآنَ زُرْقَ النُّطَفِ
جمعتْ من كلّ مجدٍ فحكتْ لفظةً قد جَمَعَتْ من أحرفِ
يعجبُ السامعُ من وصفي لها ووراء العجزِ ما لم أصِفِ
لو أعار السهمَ ما في رأيه من سَدَادٍ وهُدًى لم يَصِفِ
حلمُه الراجحُ ميزانُ الهدى يزنُ الأشياء وَزْنَ المنصفِ

وفي مصحف عثمان بن عفان، و الذي أمر الخليفة المنصور بتحليته، قال صاحب النفح[193] : {و اعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء، كما ذكره ابن رشيد في رحلته، و لا بأس أن أذكر كلامه بجملته، و الرسالة في شأن المصحف لما فيها من الفائدة، و نص محل الحاجة منه : أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطلة من لفظه و كتبته من خطه، قال : أنشدني الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم عبد

الرحمن بن كاتب الخلافة أبي عبد الله بن عياش لأبيه رحمهم الله تعالى مما نظمه، و قد أمر أمير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف

ونُفَلْتَه من كل ملك ذخيرة كأنهمُ كانوا بِرَسْم مكاسبهْ
فإن ورثَ الأملاك شَرْقاً ومَغْرباً فكم قَدْ أخلّوا جاهلين بواجبهْ
وكيف يفوتُ النصرُ جيشاً جعلته أمام قَنَاه في الوَغى وقَوَاضِبِهْ
وألبستهِ الياقوت والدُّرَّ حِلْيةً وغيرك قد روّاه من دم صاحبهْ

{...

وهذا أمير كتائب إشبيلية أبو بكر بن وزير الشلبي، يخاطب بقصيدة ،الخليفة يعقوب المنصور فيما جرى في وقعة مع الفرنج[194] :

ولمّا تلاقينا جرى الطّعنُ بيننا فمنّا ومنهم طائحون عديدُ
وجال غرار الهند فينا وفيهمُ فمِنّا ومنهُم قائمٌ وحَصيد
فلا صَدْرَ إلاّ فيه صدرٌ مثقّفٌ وحول الوريد للحسام ورود
صبرناولا كهف سوى البيض والقنا كلانا على حرِّ الجِلاد جَليد
ولكن شددنا شَدّةً فتبلدوا ومن يتبلد لا يزال يَحيد
فولّوا وللسّمْر الطوال بهامهم ركوع وللبيض الرقاق سجود

وبعد انتصار الخليفة يعقوب المنصور على ملك النصارى في غزوة الأرك، خرجت إلى الخليفة والدة الأذفونش و بناته و نسائه يبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرق لهن و من عليهن بها، و وهب لهن من الأموال والجواهر ما جل، وردهن مكرمات، وعفا بعد القدرة، و عاد الى قرطبة، فأقام شهرا يقسم الغنائم، وجائته

رسل الأذفونش بطلب الصلح، فصالحه، و أمن الناس مدته، و في الخليفة يعقوب المنصور يقول بعض شعراء عصره حين طلب منه الأذفونش الصلح[195] :

أهلٌ بأن يُسعَى إليه ويُرتَجَى ويُزَار من أقصَى البلاد على الرَّجا
مَنْ قد غدا بالمكرُمات مقلَّداً ومُوَشَّحاً ومختَّماً ومتَوَّجا
عمرتْ مقاماتُ الملوكِ بذكره وتعطَّرَتْ منه الرِّياحُ تأرُّجا

ومما أنشده كذلك الخليفة يعقوب المنصور متمثلا[196] :

ولا كُتْبَ إلَّا المَشْرَفِيَّةُ والقَنَا ولا رُسُلٌ إلَّا الخَميسُ العَرَمرَمُ

وللشاعر الجراوي قصيدة في الخليفة يعقوب المنصور عند تقبضه على الثائر[197] :

قضَى لك اللهُ بالتأْييد والظفَر وبالسعادة في وِرْد وفي صَدَر
آثرتَ في نُصْرة الدين المَسير على طِيب المُقام وبِعْتَ النومَ بالسهَر
مُظفَّر ما لِمَغْرُور يُطالِبُه في الأَرض من مَلْجأ عنه ولا وَزَر
جدَّ الجزيريُّ في إتلاف مُهْجته حتى تورَّط في أُحبولَة القَدر
نارٌ من الفِتْنة العَمْياء أَطفأَها سعدُ الإمام وحدّ الصَّارم الذَّكَر
ما زالَ إبليسُ في الأَقطار يُوقظُها وتَرْتَمي من شِرار الخَلق بالشَّرر
زاد الشقيُّ على الخُفَّاشِ مُشْبِهه ضُعْفَ البَصيرة إذ ساوَاه في البَصَر
جارَى إلى سقَرٍ أَصحابَه فهَوَوْا فيها سِراعاً ووَافاهم على الأَثَر
إنَّ الذي اتَّخذ الأَهواءَ آلِهةً على الضَّلال مُصِرٌّ غير مُزْدَجِر
والوعظُ في النَّاس مقبولٌ ومُطَّرَح كالخطِّ في الماءِ أَو كالنَّقْش في الحَجر

وله فيه عند إيابه من غزوته الأولى للأندلس[198] :

إيابُ الإمام حياةُ الأُمَمْ تَوالَى السُّرورُ به وانتظمْ
وجادَ به الأَرضَ صَوْبُ الَحيا وجلَّى الظلامَ به بدرُ تَمّ
فشُكْراً لِخَيْل وفُلْك دَنَتْ بِمُسْتَأْصِل الظُّلم مَاحِي الظُّلَم
إذا حَـــلَّ في بلدةٍ أمرعَتْ فطاب جَناها وفاحَ المَشَمّ
وقامَ بأَقْطارِهـــا عَدْلُه وصَوْبُ نَداهُ مقامَ الدِّيَم
إذا الَخطْبُ جيَّشَ نحوَ الوَرى تَصدَّى له عزْمُه فانهزَم
سلِ الدهرَ عن بطْشِه بالعِدا تجبْ من وراء الدُّروب العَجَم
فتُوحٌ عِظامٌ جَناها الزَّمـــانُ لِذي هِمَم دُونَهُنَّ الهِمَم
نصِيحَتُـــكم يا مُلوكَ الوَرَى نَصِيحَةَ مَـــن ليس بالمُتَّهم
أَنِيبُـــوا اليـــه ولُوذُوا بـــه تفُوزُوا وأَلْقُوا اليه السَّلَم

وله فيه بمناسبة إبلاله من المرض[199] :

بُرْءُ الامام حياةُ الخلق كلِّهم عمَّ السرورُ بــه وانثالت النعمُ
شكَا فلا مُقْلَةٌ إلا أضرَّ بها سُقْمٌ ولا قَلْبَ الا شفَّه ألم
تجهَّم الدهرُ لّما أن شكا وبَدا بِبُرْئِه وهو طَلْق الوَجه مُبتَسم
صحّت بصحته الآمالُ وانتعشَتْ وزاحمت زُحَلًا في أُفقــه الهِمَم

أفاضَ عدلًا على الدنيا وألبَسها نوراً فلم يَبْق لا ظُلْم ولا ظُلَم

وبثَّ في كل إقليم هُدًى و نَدًى فليس يوجد لا جهْل ولا عَدَم

لولا سِياسَته ما كان مُلتَئِماً شَعْث ولا كانت الأَسبابُ تنتظم

والله يختص أقواماً برحمتـــه تجري بحكمته الأَرزاقُ والقِسَم

حاطَ الإلهُ لنصر الدين مُهجتَه وعُوفيت تلكمُ الأخلاق والشِّيَم

ومن قصيدة للشاعر ابن المنقذ يمدح بها الخليفة المنصور[200]:

سأشكر بحراً ذا عباب قطعته إلى بحر جود ما لأخراه ساحل

إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى إلى من سمت بالذكر منه الأوائل

إليك أمير المؤمنين ولم تزل إلى بابك المأمول تزجي الرواحل

قطعت إليك البر والبحر موقناً بأن نداك الغمر بالنجح كافل

وحزت بقصديك العلى فبلغتها وأدنى عطاياك العلى والفواضل

فلا زلت للعلياء والجود بانياً تبلغك الآمال ما أنت آمل

وفي تورع الخليفة المنصور في قطع المناكر وبسط العدل ومباشرة الأحكام لتحقيق شرائع الإسلام، يقول ابن بجير[201] :

رضيعُ ثُدِيِّ العِلم طال رَضاعُهُ لها وهْي ليست تستطيعُ فِصالَهُ

إذا شئتَ تدري في العلوم مقامَهُ فسَلْ عن دقيق العلم واسمَعْ مقالَهُ

أقام حدودَ الله في كلِّ موطِنٍ وأعمَل فيه رعْيَهُ واهتبالَهُ

فأنهَلَ بطنَ الأرض منهُ وعَلَّهُ وقد مُنِعت أيدي الورى أن تَنالَهُ

وبـدَّد منـهُ كـلَّ مـا فيـه شُـبهةٌ ولم يُبـقِ إلا حُلـوَهُ وحَلالَـهُ
إمـامٌ جميـعُ الخـيرِ بعـضُ صـفاتِهِ فـلا خـيرَ إلا وهْـو ممّـا أنالَـهُ
يُؤمِّـمُه مَـن سـدَّد اللهُ قـصدَهُ وأنجَـحَ مـسعاه وأنعَـمَ بالَـهُ
ويـسبِقُ بـالجُود الـسؤالَ لأنـه يَـرى وجـهَ راجيـه فيـأبَى ابتذالَـهُ

وفي تهنئة الخليفة يعقوب المنصور من أمر الأسطول في فتح بجاية، قال الشاعر الجراوي مهنئا [202]:

لـواؤك منـصورٌ وسَـعْدُك غالـبُ وحزبُـك للأعـداء عنـكَ محـاربُ
لقـد ثكِلـت أمُّ الـمُناوي وغُـرِّرتْ مَبـادئُ مـن أحوالِـه وعواقـبُ
سَمَا لاسـتراقِ الـسَّمع مـن وَهَداتِـهِ ودون سماءِ الـمُلك شُـهبٌ ثواقـبُ
تلاقَـى عليـه الـبَرُّ والبحـرُ ترتمـي سَـفينٌ إلى استئـصاله وكتائـبُ
غريـقٌ بغرقَـى مثلِـه متمـسِّكٌ ومـوجُ المنايـا مـثلَهم متراكـبُ
هوَتْ بهـمُ الأطـماعُ في هُـوّة الـرَّدى وغَـرَّتهمُ جهـلًا بُـروقٌ خَوالـبُ
أطـاعوا غَوِيًّـا لم تقيِّـدْه شِرعـةٌ ولم تُـرِهِ وجـهَ الـصَّواب التجـارِبُ
مغيَّـبُ وجـهِ الـرأي والوجـهُ حـاثرٌ يَرى حـاضرًا في أمـرِه وهْـو غائـبُ
دعـاهُم إلى آجالِـهمْ فتهـافَتوا كـما جمَـعَ الأعـوادَ للنـار حاطـبُ
تـصامَمَ عـن وَعْـظ الزّمـان بقلبِـهِ وأعرَضَ عن وجهِ الـهُدى وهْو لاحبُ
تخيَّـل أنّ الناصريّـةَ دارُهُ يُطـاعنُ عـن سـاحاتِها ويُـضاربُ
وفي الغيب من إنجاد طائفـةِ الهـدى ونَـصْر أمـير المـؤمنينَ غرائـبُ
هـو الأمـرُ أمـرُ الله لـيس يَفوتُـهُ مُنـاوٍ ولا يَنْـأى عليـه مُناصـبُ
ومـا هـاربٌ منـه ولـو بَلَـغ الـسُّها بنـاجٍ وهـل يَنْجـو مـن الله هـاربُ
بناصرِهـا المنـصور تاهـت خلافـةٌ تُناسِـبُهُ في حُـسنِه ويناسِـبُ

إمـامٌ لـه فـضلٌ عـلى الخلـق بـاهرٌ ... ومرتبـــةٌ تـــنحطُّ عنهـــا المراتـــبُ
مناقبُـــه مثـــلُ الكواكـــب كثـــرةً ... ونـــورًا ألا لله تلـــك المناقـــبُ
لـــه نـــسبةٌ قَيْـــسيّةٌ قُدُسِـــيّةٌ ... تُقِـــرُّ لهـــا بـــالمعلواتِ المناســـبُ
هي الدّوحةُ الشمّاءُ في الأرض أصلُها ... وقد زاحمَت منهـا الـسماءَ الـذوائبُ
حقيـــقٌ بمـــيراث النبـــوّة والـــهُدى ... ولا عَجَـــبٌ إنّ المزايـــا مواهـــبُ
بِقِـــيمِ أمـــيرَ المـــؤمنينَ وســـعدِكمْ ... تُهـــزُّ قنَـــا منـــه وتَنـــضَى قواضـــبُ

وعندما فتح الخليفة بلاد الجريد بأسرها أكثرت الشعراء في هذا الفتح، فقال أبو بكر بن المجبر في فتح يوم الحمة وهذه أبيات من القصيدة[203] :

أُســـائلُكم لـــمَن جـــيشٌ لـــهامُ ... طلائعُـــه الملائكـــةُ الكـــرامُ
أتـــت كتُـــبُ البـــشائر عنـــه تَـــتْرى ... كـــما يتحمَّـــل الزهـــرَ الكُـــمامُ
تَـــنُمُّ ولم تُفَـــضَّ ولا عجيـــبٌ ... أيحجُـــبُ نفحـــةَ البـــدر الخِتـــامُ
كـــأنّ النـــصرَ أضـــحكها ثغـــورًا ... فللأيـــام عـــنهنّ ابتـــسامُ
ويـــا لَلنّـــاس يُرغَـــبُ عـــن أنـــاسٍ ... هـــمْ بالـــدِّين والـــدنيا قِـــوامُ
أمـــامَهمُ إذا ســـلكوا ســـبيلًا ... كتـــابُ الله يتبَعُـــه الإمـــامُ
يُـــصاحبُه فيَـــصحَبُه الأمـــاني ... ويَتبَعُـــه فيَتبَعُـــه الأنـــامُ
هـــو الـــمَلِكُ الكـــريمُ ومـــا أصـــبنا ... إذا قلنـــا هـــو الـــمَلِكُ الـــهُمَامُ

وقال أيضا يمدحه و يذكر هزيمة ابن غانية والأغزاز من قصيدة[204] :

عـدوُّكمْ بخطـوب الـدّهر مقـصودُ وأمـرُكمْ باتّـصال النّـصر موعـودُ

رأى الشّقاءَ ابـنُ إسـحاقٍ أحـقَّ بـهِ مـن الـسِّيادةِ والمجـدود محـدودُ

وكيـفَ يحظـى بـدُنيا أو بـآخرةٍ محُـلأٌ عـن طريـق الحـقِّ مطـرودُ

أمَـا دَرى لا دَرى عُقبـى عِـداتِكمُ كـلٌّ بحـدِّ حـسام الحـقِّ محـصودُ

ألقـى الـسّلاحَ ووَلّى يبتغـي أمـدًا يُنجيه وهْـو مَـرُوعُ القلـب مـودودُ

مـا مـرَّ يومًـا ببـابٍ ظنَّـهُ سـببًا إلى الـتخلُّص إلا وهْـو مـسدودُ

وهَبْه عاشَ أليس الموتُ أهـونَ مـن عـيش يُخالطُـه هـمٌّ وتنكيـدُ

أنحى الزمانُ على الأغزازِ واجتهـدت في قطـع دابـرِهم أحداثُـه الـسُّودُ

أنتم سليمانُ في الـمُلك العظيم وفي طُـول التهجُّـد في المحـراب داوودُ

قـد أبهَـجَ الـدِّينَ والـدنيا مَقـامُكمُ وكيـف لا وهْـو عنـدَ الله محمـودُ

جارَى مناقبَكمْ شِـعري فقـصَّر عـن بلـوغ أدنـى مـداها وهْـوَ مجهـودُ

مَن لـيس معتقـدًا إيجـابَ طـاعتِكمْ فلـيس يُغنيـه إيـمانٌ وتوحيـدُ

رضـاكمُ الـدِّينُ والـدّنيا وعـدْلُكمُ ظـلٌّ ظليـلٌ عـلى الأيـام ممـدودُ

دمتُم حيـاةً مـدى الـدّنيا ودامَ لكـمْ نـصرٌ وفـتحٌ وتمكـينٌ وتأييـدُ

ولما دخل الخليفة المنصور تونس في العشر الأواخر من شوال من السنة، فوصلت الوفود مهنئة، وأكثرت الشعراء في ذلك، قال أبو العباس الجراوي يمدحهم ويذكر فتح مدينة قفصة[205] :

فـتحٌ يُطـاول فتحُـه الأحقابـا خـضَعَت لـه فِـرَقُ الـضَّلال رِقابـا

واستـشعر الـمُرّاقُ منـه مخافـةً مَلَكـت علـيهمْ جيئـةً وذهابـا

وغَدا بـه مـا قـد صَـفا مـن عيشِهمْ كـدَرًا ومـا فيـه الحـلاوةُ صَـابَا

لله يـومُ الأربعـاء فإنـهُ أحيـا النفـوسَ وتـمَّمَ الآرابـا

شرُف الزّمانُ بأن تكونَ أبًا لهُ — مــــا إن... ان حابـــــا

وسِع المُواليَ والمُعاديَ حُكمُهُ — في كلِّ أرض رحمةً وعذابا

وُسم ابنُ إسحاق على خُرطومِهِ — خِزْيًا ينالُ حديثَه الأحقابا

طمِحَ الشقاءُ بأهل قَفْصةَ وارتقى — بهِمُ شواهقَ صعبةٍ وعُقابا

وأبَى لهم إصرارُهمْ من قبلِ أن — رأوُا العذابَ إنابةً ومَتابا

لم يغنِ عنهم إذ أتاهم من علٍ — أن يحرسُوا الأسوارَ والأبوابا

طلبتْهمُ تحتَ التّرابِ وفوقَها — آجالُهم فتولَّجوا الأسرابا

نالتْهمُ رُحمى الخليفة بعدَما — نادى الرَّدى بنفوسِهم وأهابا

آياتُ نصر بيِّناتٌ كلُّها — بَهَرت بما جاءت به الألبابا

وسعادةٌ عجَبٌ تهُدُّ قِوى العدا — هدًّا وتقصمُ منهمُ الأصلابا

خصَّت إمامًا للبريّة مُجتبَى — بَرًّا تقِيًّا خاشعًا أوّابا

ملِكٌ عليه مسحةٌ ملكيَّةٌ — لبِسَ الزّمانُ جمالَها جِلبابا

بهَجوا على الأبصار بهجةَ يوسُفٍ — ويضيءُ داوودٌ به المحرابا

مدحُ الإمامِ عبادةٌ نرجو بها — عزَّ الحياة وأن نفوزَ مآبا

ما سافرَتْ أذهانُنا في مدحِه — إلا وكان لها القصورُ إيابا

لم يدرِ حقَّ مقامِهِ مَن لا يَرى — من دون حقِّ مقامه الإطنابا

وعندما أمر الخليفة المنصور بضرب رقاب أصحاب المعصية، ولما صاروا من الهالكين ورد الشاعر ابن المجبر في جملة الوافدين للتهنئة بهذا القول السعيد فقال[206] :

بعلاكُمْ وهْو حسْبُ المطنبِ ... عَرَف المشرقُ فضلَ المغربِ

فسَحَ الدّهرُ له حتى رأى ... سِيَرَ ابنٍ وأبٍ بعدَ أبِ

فرعاها بفؤادٍ فَطِنٍ ... وتلاها بلسانٍ مُعربِ

قد لعَمْري أبصَر النورَ الذي ... مذ بَدَا أعشَى عيونَ النُّوَبِ

ورأى ما لم يكنْ يعهَدُهُ ... فهْو مشغولٌ بطُول العجَبِ

أيُّها المنصورُ إنّ الدِّينَ قد ... حَلَّ مِن عزِّك أعلى الرُّتَبِ

هُو أمرُ الله في أيديكُمُ ... فاجذِبوا الأرضَ به تنجذبِ

رُفِعت قبَّتُهُ مضروبةً ... ما لَها غيرَكمُ من طنُبِ

عارضٌ أبدى بُروقًا جَمّةً ... وهْو لم يأتِ ببرقٍ خُلَّبِ

يقتضونَ الوعدَ بالنّصر لكمْ ... وهْو قد خُطَّ لكمْ في الكتُبِ

غيرَ أنّ السعيَ محمودٌ ولا ... يقطعُ السّيفُ إذا لم يَضرِبِ

من يكنْ مطلَبُهُ نصرَ الهُدى ... نالَ عند الله نُجحَ المطلبِ

قد تلافَى اللهُ إفريقيّةً ... وهْي نَهْبٌ في يدَيْ مُنتهِبِ

أنتمُ أحيَيْتُم الدِّينَ وقد ... مات فيها موتَ مَن لم يُعْقِبِ

أحجَمَ الأعداءُ عنكمْ رهبةً ... مَن رأى الموتَ عِيانًا يَرهَبِ

اهنئي يا حضرةَ القُدْس فقد ... رُحْتِ في ثوب البهاء المعجِبِ

يا لها من أَوْبةٍ محمودةٍ ... سَقَت الدهرَ حياءَ الطربِ

وله يمدح الخليفة[207] :

دلائلُ فتح كان يَذْخَرُها الدّهرُ ... فلمّا أردتَ الغَزْوَ أبرزَها النّصرُ

فها هي مُذْ جدتْ ركابُك تَنبري ... سِراعًا فمن أفراحِها الشَّفعُ والوترُ

فـــدونَكها منـــسوقةً فلـــشدَّ مـــا تـسابَقَ فيهـا نحـوَك الـبَرُّ والبحـرُ

هو الفتحُ يـا مـولايَ مـا فيـه مِرْيـةٌ ولا لليـــالي في تعـــذُّرِه عُـــذرُ

أفي الـصبح شـكَّ إنـه لَـمُـصبِّحٌ وقد غاضَت الظّلماءُ وانفَجر الفجرُ

أتتـك أُسـارى الـرّوم وهْـي أقلُّهـا فمِن فَـضَلات القتـل ينتجـعُ الأسرُ

وما كـان قبـلَ اليـوم سـهلًا مَرامُهـا ولكنْ علا الإسلامُ ما تـضع الكفـرُ

ومـا زلـتَ تَـدنو كـلَّ يـوم مـسافةً إلـيهم ويَهـوي في نفوسِـهمُ الـذُّعرُ

لقـد كـان في الأحـوال عُـسرٌ فكلَّـما دنَوتَ استمرَّ اليُسرُ فـارتفع العُسرُ

لعَمْـري لقـد سـنَّى بـك اللهُ غـزوةً قد افتَرَّ عن ثغـرِ الـسرور لهـا الثّغـرُ

إلى غَـزَواتٍ مـن قريـب تتابَعـتْ ففـي كـلِّ قُطـر مـن سحائبِها قُطـرُ

لقــد أيقنَــتْ هــذي الجزيــرةُ أنهـا سـيَجبُرُها مَـن لا يُهـاضُ لـه جـبرُ

لئن كـان مـاتَ الأمـنُ في جنَباتِـها فقُــربُ أمــير المــؤمنينَ لــه نَــشْرُ

وله في خروج الخليفة المنصور والنصر والسعد محالفان له في حالتي حركته وسكونه، فقال من قصيدة[208]:

بُـشرايَ هـذا لـواءٌ قـلَّ مـا عُقِـدا إلّا ومَـدَّ لـه الـرُّوحُ الأمـينُ يـدا

وأقبَـلَ النّـصرُ لا يعـدو مناحيَـهُ فحيـث مـا قـصَدَت أربابُـه قَـصَدا

واسـتقبلَتْه تباشـيرُ الفتـوح فقـد كـادت تكـونُ عـلى أكنافِـه لِبَـدا

وقـرَّب الفلَـكُ الـدوّارُ بُغيتَـهُ فلو تناول بعـضَ الـشُّهْب مـا بَعُـدا

إمـامُ جـيش أراد اللهُ نُـصرتَهُ فأرسَـلَ المـلأَ الأعـلى لـه مـدَدا

إنّي لأحكُـمُ بالنّـصر العزيـز لـهُ وإنْ سكتُّ فـإنّ الـوحيَ قـد شَـهِدا

وفي مدح الخليفة المنصور وذكر الثائر المعروف بالجزيري قال شاعر الخلافة الجراوي[209] :

قضى لكَ اللهُ بالتأييد والظَّفرِ ... وبالسّعادة في وِرْدٍ وفي صَدَرِ
آثرتَ في نُصرة الدِّين المسيرَ على ... طِيب المقام وبِعتَ النّومَ بالسّهرِ
مُظفَّرٌ ما لمغرور يطالبُهُ ... في الأرض من ملجأٍ عنه ولا وزرِ
جدَّ الجزيريُّ في إتلافِ مُهجتِهِ ... حتى تورَّط في وِرْد بلا صَدَرِ
نارٌ من الفتنة العمياءِ أطفأها ... سعدُ الإمام وحدُّ الصارم الذَّكَرِ
ما زال إبليسُ في الأقطار يوقدُها ... وتَرتمي من شِرار الخلق بالشّررِ
زاد الشقيُّ على الخُفّاش مشبهِهِ ... ضَعْفَ البصيرة إذا ساواه في البصرِ
جارى إلى سَقَر أصحابَه فهوَوْا ... فيها سِراعًا وأوفاهُم على الأثرِ
إنّ الذي اتّخَذ الأهواءَ آلهةً ... على الضّلال مُصِرٌّ غيرُ مزدجرِ
والوعظُ في الناس مقبولٌ ومطَّرَحٌ ... كالخطِّ في الماء أو كالنَّقش في الحَجَرِ

وقال أيضا[210] :

ما في الحياة لمَن ناواكُمُ طمَعُ ... إن نَدّ خوفًا ففي أُحبولةٍ يَقَعُ
عن كلِّ قوس صُروفُ الدهر ترشُقُهُ ... فما لهُ في سوى التسليم منتفَعُ
ما للعُداةِ بما أعددتَه قِبَلٌ ... ولا بغير انقياد منه تمتنعُ
غَزاهمُ الرّعبُ في جيش بلا لَجَبٍ ... فأحجَموا من وراءِ الدّرب وانقَمعوا
دارت عليهم كؤوسُ الذلِّ مُترَعةً ... تَسقيهمُ جُرَعًا من بَعدِها جُرَعُ
كلُّ الممالك مُلكٌ خالصٌ لكمُ ... وكلُّ ممتنع طوعًا لكمْ تَبَعُ

والبحرُ تعتمدُ الأنهارُ موضعَهُ فتلتقي في نواحيه وتجتمعُ

والشِّعر إن لم يكنْ في نفسِه حسَنًا فما تحسِّنُه الأصحابُ والشِّيَعُ

مَن رام وَصْفَك مستوفًى فغفلتُهُ يُبدي ومن فهمِه عندَ الوَرى يضَعُ

أضحَت عُلاك مكانَ النَّجم عن مِدَحي ما حِيلتي وبلوغُ النّجم ممتنعُ

وله أيضا يهئ الخليفة المنصور بالفتح بعد وصوله إشبيلية من حركة غزوة الأرك وذلك قوله[211] :

هُو الفتحُ أعيا وصفُه النّظمَ والنّثرا وعمَّت جميعَ المسلمينَ به البُشرى

وأنجَدَ في الدنيا وغار حديثُهُ فراقَتْ به حُسنًا وطابت به نَشْرا

تميَّز بالأحجال والغُرَر التي أقلُّ سناها يَبهَرُ الشمسَ والبَدْرا

لقد أورَدَ الأذْفونَشُ شِيعتَه الرَّدى وساقَهمُ جهلًا إلى البطشة الكبرى

حَكى فعلَ إبليسٍ بأصحابِه الأُلى تبرَّأ منهم حينَ أورَدَهم بدرا

أطارَتْه شَدّاتٌ تَولّى أمامَها شريدًا وأنسَتْه التعاظُمَ والكفرا

رأى الموتَ للأبطال حولَيْه يتقي فطار إلى أقصى مصارِعِه ذُعرا

وقد أوردَتْه الموتَ طعنةُ ثائرٍ وإن لم يفارقْ من شقاوتِه العُمْرا

ولم يبقَ مَن أفنى الزّمانُ حماتَهُ وجرَّعه مِن فَقْد أنصارِه صبرا

أُلوفٌ غدَت مأهولةً بهمُ الفَلا وأمسَتْ خلاءً منهمُ دورُهمْ قَفْرا

ودارَتْ رحَى الهيجا عليهمْ فأصبَحوا هَشِيمًا طَحِينًا في مهبِّ الصَّبا يُذرى

يطيرُ بأشلاءٍ لهُم كلُّ قَشْعمٍ فما شئتَ من نَسْر غدا بطنُه قبرا

فكيف رأى المغترُّ عُقبى اغترارِهِ وكيف رأى الغدّارُ في غيِّه الغَدْرا

وكان يَرى أقطارَ أندَلسٍ لهُ متى يَرْمِ لم يخطئْ بأسهُمِه قُطرا

فسلّاه يومَ الأربعاء عن المُنى فما يَرتجي منّا تملُّكه شِبرا

إذا عزلَتْه الرّومُ كانت نَجاتُهُ وقد أحدقت جمرُ المنايا به غَدْرا

فتعسًا له ما دام حيًّا ولا مُنًى وكسرًا له ما دام حيًّا ولا جَبْرا

بيُمن الإمام الصالح المُصلح الرِّضَى نَضَى سيفَه الإسلامُ فاستأصلَ الكُفرا

فلا زالَ بالنّصر الإلهيِّ يقتضي بشائرَ تُحصي قبل إحصائها القَطْرا

وعند انتصار المنصور في غزوته المعروفة بسنة طليطلة قال أبو العباس الجراوي قصيدة مديحية[212] :

قــد أصــلِيَتْ نارَهــا العُــداةُ	وأُنجِــزَتْ فــيهمُ العِــداتُ
وعمَّهــم بالــدمارِ يــومٌ	تقــصرُ عــن وصــفِه الــرُّواةُ
في مــشهدٍ لا تــزالُ تُــتْلى	آياتُــه وهْــي بيِّنــاتُ
فــتحٌ مفاتيحُــهُ الــمَواضي	والعزَمــاتُ المؤيَّــداتُ
رَدَّت حِمى الفَنْش مُستباحًا	بِــيضٌ مــن الهنــدِ مُرهَفــاتُ
ذَلُّــوا لأمــر الإلــه قــسرًا	وهــم أُولــو نَجْــدةٍ أُبــاةُ
وغرَّقــت جمعَهــم بحــارٌ	أمواجُهــا الخيــلُ والكُــماةُ
رأَوْا لحــزب الإلــه صــبرًا	والـموتُ حَفَّت بـه الجهاتُ
فحــاولوا مــنهمُ انفلاتًــا	ولــيس للخــائن انفــلاتُ
فــلا تــسَلْ عــن بنــاتِ مــاءٍ	إن صَرْصَرت حَولَــها البُــزاةُ

ومن الشعر الذي قيل في الخليفة يعقوب المنصور وقد رمي له في طريق الغزو[213]:

تنبَّــهْ أمــيرَ المــؤمنينَ لحــادثٍ	فأنت إمامُ العدل فينا وقدوتُهْ
بلادُك لا ترجو سواكَ لنظــرةٍ	وداودُ قد أفنى البلادَ وإخوتُهْ

ومما ذكره صاحب البيان المغرب عند ذكره لفضائل الخليفة المنصور قوله[214] :

{و من فضائله المشهورة في الوجود:ما أمر به من شكلة اليهود، و ذلك أنهم كانوا قد علوا على زي المسلمين و تشبهوا في ملابسهم بعيشهم و شاركوا الناس في الظاهر

من أحوالهم، فلا يتميزون من عباد الله المؤمنين، فجعل لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين: أردان قمصهم طول ذراع في عرض ذراع زرق و برانيس زرق و قلانس زرق، و ذلك في سنة خمس و تسعين المؤرخة.

و لما اتصل الخبر بابن نغرالة اللعين عمل أرجوزته التي أولها:

لُبسُ ذا الأزرق ليس فيه خسارا   فافهَموا يا قوم هذي الإشارا

يذكر فيها نبذا و نكتا من الحدثان، و يتعرض فيها للتفاؤل و التطير بهذا الأزرق للسلطان.

و في أثناء ذلك وعك المنصور وعكه الذي توفي منه رحمه الله، و ربما قال اللعين اليهودي أرجوزته بعد وفاة المنصور، و هو الصحيح.}

و ذكر كذلك في تاريخه قوله[215] :

{و ذكر أبو عبد الله بن هاودوش في تأليفه، أن أبا العباس الجراوي قال للمنصور لما ذكر أن أخاه كان طامعا في ولاية إمرة المؤمنين و أن قوما كانوا يحدثونه و يؤملون ذلك له، فقال أبو العباس: يا سيدنا، قد كان عبدكم، يعني نفسه، قد أنشدكم على جهة التفاؤل لكم بذلك قصيدة أولها:

الدّهرُ منّا في مديحِك أفصحُ   فعلى مَ يُتعِبُ نفسَه من يمدَحُ

أنت المرشَّحُ للّتي لا فوقَها   إنّ العظيمَ لمثلها يترشَّحُ

فقال له: صدقت، كذلك كان، وأمر له بصلة جزلة في ذلك اليوم...}

وهذه قصيدة للشاعر ابن الياسمين يذكر فيها قطع الخليفة المنصور الاشتغال بكتب الفروع والاقتصار على ما ثبت من الأحاديث النبوية[216] :

أَسيِّدَنا قد وردتُمْ بنا ... مَواردَ كُنّا عليها نَحُومْ
نَبذتُم مقالةَ هذا وذا ... فزال المِراء وقَلَّ الخُصوم
وأَثْبَتُّمُ قولَ مَن لَفْظُه ... هو الشَّرْع والحقُّ منه يقوم
فلا زِلْتمُ لكمال الهُدَى ... وإحْياء دارِسِ دَرْسِ العُلُوم

وهذه قصيدة الفقيه عبد الله بن محمد الذي يعرف بابن الذمام إلى الخليفة المنصور، يستعطفه فيها ويصف حاله ويسأله فكه من وثاقه بعد حادثة الجمعة التي كان قد أصابه فيها ذلك الألم الذي كان يصيبه في عقله أحيانا، حيث قال للخطيب عندما استوى على المنبر وأخد يعظم الإمام المهدي بن تومرت، قال له: كذبت لعنك الله . فأخذ من حينه و ثقف و سجن.

وهذه أبيات من القصيدة التي كتب بها للخليفة بعد أن زال عنه ذلك الألم[217] :

ظَهَائِرُ لُطْفِ اللَّهِ فِي سِرِّ مَقْصِدِ ... وَيَشْهَدُ لِي عِنْدَ الأَمِيرِ بِمَقْصِدِي)
وَيَدْرِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّنِي ... عَلَى مَذْهَبٍ فِي الأَمْرِ عَدْلٍ مُسَدَّدِ
وَإِنِّي عَلَى حُبِّ الإِمَامِ وَهَدْيِهِ ... وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ رَاشِدِ الأَمْرِ مُرْشِدِ
وَإِنْ يَدْرِ لاَ أَبْقَى بِسِجْنِي مُقَيَّداً ... بِأَثْقَلِ قَيْدٍ ضَيِّقٍ مُؤْلِمٍ رَدِ
وَحُرْمَتِهِ إِنْ يَدْرِ صِدْقَ عَقِيدَتِي ... لَسَبَّقَ فِي التَّسْرِيحِ يَوْمِي عَلَى غَدِ
وَرَقَّ لِشَيْخٍ ذِي عِيَالٍ وِصِبْيَةٍ ... وَحَالٍ ثَوَاهَا مَنْ ثَوَى ضَيْعَةَ الْيَدِ

وهذا الأديب محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني، يمدح الخليفة المنصور بقصيدة[218] :

أسيِّدَنا يا بْن الإمامَيْن أمرُكم مَنُوطٌ بأمر الله ما عنه مَعْدِلُ
نُصِرتُم لأنّ الحق آنَ ظُهورُه وناصِرُه في الله ما كان يُخذَل
أَزَلتُم على ما يَنفع الناس جهلَها وعلّمتم في الدِّين ما كان يُجْهل
وأَوردتُم السَّلسال مَن شَفّه الظّما أوانَ جرَى ذاك الحديثُ المُسلسَل
قَطعتم فُروعًا قد أَضرّت بأَصلها ألا هكذا من كان بالعدل يَشْمل
ملأتم بساطَ الأَرض خيراً وما بَقِي فأخبارُكم فيه تَسير وتُنْقَل
أَقِمْ إن تَسِرْ نحو المَمالك راحلًا فسا كِنُها شوقًا لعَدْلك يَرْحل

وهذا قول الكاتب ابن عياش التيجيبي في مصحف الإمام، المنسوب إلى عثمان بن عفان، لما أمر المنصور بتحليته بنفيس الدر من قصيدة[219] :

ونَقَلْتَ من كلِّ مُلْكٍ ذخيرةً كأنهم كانوا برَسْم مكاسبه
فإن وَرِثَ الأملاك شَرْقًا ومغْربًا فكم قد أخلُّوا جاهلين بواجبه
وألبَسْتَه الدُّر والياقوت حِلْيةً وغيرُك قد روّاه من دَمِ صاحبه

وللأديب أبو حفص عمر السلمي قصيدة يمدح بها الخليفة المنصور و يهنئه بانتصاره في موقعة الأرك بالأندلس[220] :

أطاعتك الذوابلُ والشِّفارُ ولبّى أمرَك الفلكُ المُدارُ

ببُشْرى مثل ما ابتهجت رياضٌ وسَعْدٍ مِثْل ما وضح النَّهار

وفتْح مثل ما انفتحت كِمامٌ وشُقّت عن صُدور مَهَا صِدَار

وآمال كما مُدّت ظِلال وأفعال كما مُدّت بِحار

وأعلامٌ بنَصْرك خافقاتٌ لها في كُل جوٍّ مُسْتطار

لِيَهْنِئْ أرضَ أندلس بُدورٌ مِن السَّراء ليس لها سِرَار

وكم رامُوا الفِرارَ من الرّزايا ولكنْ أين من أجَلٍ فِرارُ

تُدار عليهمُ حُمْر المَنايا بكأسٍ فيه عَقْر لا عُقَار

إذا ما الليثُ أصْبح في مَحل فما لطريدةٍ فيه قَرَار

وهذه قصيدة الشاعر ابن مجبر في وقعة الأرك ويذكر فيها قتال وشجاعة الخليفة المنصور[221] :

قضى حقوقَ الله في أعدائِه ثم انثنى والنّصرُ تحتَ لوائِهِ

أغزَى بهمْ جيشاً تضيقُ الأرضُ عنْ أمواجِهِ والوهمُ عن إحصائِهِ

كالعارضِ ، الشجاجُ ملءُ هوائِه لكنْ دمُ الأبطالِ مِنْ أنوائِهِ

لمّا رأى للشّرك رسماً ماثِلاً أوهى قواهُ وجدَّ في إقوائِهِ

أنحَى عليه بالصوّارم والقَنا حتّى إذا لم يبقَ غير ذِمائِهِ

أبقاهُ والذّعرُ المخيفُ يبيدُهُ فكأنّهُ سبعٌ على أشلائِهِ

وللقاضي أبو الوليد الشقندي أيضا، قصيدة في الخليفة المنصور و قد نهض للقاء العدو في هذه الوقعة المذكورة، و لم يبق من هذه القصيدة إلا بيتان هما[222]:

إذا نَهَضْتَ فإنّ السيف منتهضُ ترمي السعودَ سهاماً والعدا غَرَضُ
لك البسيطةُ تطويها وتنشرها فليس في كلّ ما تنويه معترضُ

ومما ذكره صاحب الغصون عن التاج بن حمويه أنه لحقته عطلة ولزمته ديون في مدة المنصور فكتب إليه من شعره[223] :

وُجوه الأماني بكم مُسْفِرهْ وضاحكةٌ لىَ مُستبشرهْ
ولى أملٌ فيكُمُ صادِقٌ قَريبٌ عسى الله قد يَسَّره
علىّ دُيونٌ وتَصْحيفُها وعندكُمُ الجود والمَغْفره

وهذا الخليفة المنصور والذي كان يكن محبة خاصة للعالم ابن زهر وكان يقول له أطلب ما شئت إلا الرجوع للأندلس. وفي يوم من الأيام وقد طال لإبن زهر عند الخليفة المقام، واشتد وحشه لطفل له صغير تخلفه في الأندلس، فتذاكره يوما بين يدي الخليفة، فأنشده[224]:

ولي واحد مثل فرخ القطا صغير قليبي رهين لديه
لقد طال شوقي فيا وحشتاه لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيبكي علي وأبكي عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه الي ومني اليه

ومما ذكره صاحب النبوغ عن عمرو الشاوي وأنه كان قديم الصحبة للمنصور وأخيه المعتصم واغترب مع الأخير في الجزائر مدة مديدة ولما أفضت الخلافة للمنصور سوغه مغارم مسفيوة بحذافيرها مكافأة على الهجرة إلا أنه استثنى منها

أعشار الزيت فكتب له ابن عمرو بأبيات ليشملها العطاء فأعطاها له أيضا فكان يبيع منها بالآلاف من العين وهذه الأبيات[225]:

أَبَحْرَ النَّدى خيْرَ الملوك سَجِيّةً وأفضَلَ سُلْطانٍ رَقَى فَوْقَ مِنْبَر

لقد سِرْتَ في الاسلام أحسنَ سِيرَةٍ وخُصِّصْتَ بالنَّصْرِ العزيزِ المُؤَزَّرِ

أَموْلايَ لاحِظْني بجُودِك إنــني فَقِيرٌ نَوَالٍ من لَدُنْك مُوَفَّر

فهذا زمانُ الزَّيْتِ قد جاء مُقْبِلاً ولي رَغْبَــةٌ فيه بِغَير تَنكُّر

فمِنْها اشْتِعَالي في الدُّجا وتَطيُّبي ودُهْنُ طعامِي ثُمَّ مِنها تَعطُّري

لأنِّي بَلِيدُ الطَّبعِ أشْتَاقُ رِيحَها فَفي الزَّيتِ يا مَولايَ مِسكي وعَنبَري

الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور

وفي دولة الخليفة محمد الناصر قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[226] :

لما لقى يعقوب يوم وعده	❀	قام محمد ابنه من بعده
ووجد الملك قد استقاما	❀	يا ليته لو ألف المقاما
أراد أن يكون كالمنصور	❀	أبيه فى العلاء والظهور
فاستنفر الناس من الأمصار	❀	فأقبلوا من سائر الأقطار
حتى أتا للغزو منهم أمم	❀	كل الى حرب العدا يزدحم
وكان يخفى النصح بعض الوزرا	❀	فلا يريه من مكان خبرا
أغووه حتى قتل ابن قادس	❀	وكان للاسلام خير فارس
وكل ما يأتى من البلاد	❀	من خبر يخفونه فى النادى
لو كانت الآراء مستقيمه	❀	ما كان هذا سبب الهزيمه
أو ظهرت فى ملكهم نجابه	❀	أو ونجدة ما غلظوا حجابه

ومما ذكره صاحب النفح قوله :

{...لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والأندلس من إفريقية سنة ثلاث و ستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبدالله ابن مرج الكحل بالشعراء والكتاب، فتذكروا الفتح و عظمه، فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه[227] :

ولما توالى الفتح من كل وجهة	ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره	بما أودع السر الإلهي عنده
فلا نعمة إلا تؤدى حقوقها	علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك، و وقع أحسن موقع.}

ومما ذكره العلامة ابن خلدون في تاريخه قوله[228] :

{كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالأندلس ويعرف بالمهر، وحضر مجلس المنصور في بعض الأيام وتكلم بما خشي عاقبته في عقده وخرج من المجلس فاختفى مدة، ثم بعد مهلك المنصور ظهر في بلاد كزولة وانتحل الإمامة وادعى أنه القحطاني المراد في قوله صلى الله عليه و سلم: {لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملأها عدلا كما ملئت جورا} إلى آخر الحديث. و كان مما ينسب إليه من الشعر:

قولا لأبناء المؤمن بن علي	تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمها	ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوع عصاه وهو سائقهم	بالأمر والنهي بحر العلم والعمل
وبادروا أمره فالله ناصره	والله خادع أهل الزيغ والميل

فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه، وقتل و سيق رأسه إلى مراكش فنصب بها وسكنت الفتنة.}

وفي التهنئة بتجديد البيعة للخليفة الناصر قال شاعر الخلافة الجراوي مهنئا[229] :

لَهَجَت بِذِكرِك ألسُنُ المُدّاحِ ... وسمَت بِذِكرِك رُتبةُ الأمداحِ
أزْرى نَداك بكلِّ بحرٍ زاخِرٍ ... هبَّت عليه عواصفُ الأرواحِ
بمحمد وزرَ الورَى وبها لهم ... في كلِّ يومِ نَدى ويوم كفاحِ
فَرْعٌ سيحكي أصلَه ولقد حَكى ... بمقاصدٍ قد سُدِّدت وسلاحِ
تأبَى الخلافةُ من سوى أكفائها ... والجَدُّ غيرُ مقابَل بمُزاحِ
غَشِيَتْ بنورِكُم البلادُ فمَن بها ... أغنى عن الإصباح والمصباحِ
سكَنَت ببيعتِه القلوبُ ولم تزَلْ ... تهفو من الإشفاق دون جَناحِ
عمَّ السرورُ بها البسيطةَ كلَّها ... كالصُّبحِ فاضَ على رُبى وبِطاحِ
لا زِلتَ للأعياد تمنَحُ بهجةً ... يُعيي سَناها أعيُنَ اللمّاحِ
مستوفيًا مدَدًا إلى مددٍ بها ... رَبِدًا طِوالٍ لا تُعَدُّ فِساحِ
مُتسربِلاً بالسّعدِ متّشحًا به ... مستفتحًا بالواحد الفتّاحِ

وقال أيضا في هذه البيعة من قصيدة طويلة منها:

صنعٌ جميلٌ جَلّ عن أن يُوصَفا ... يوجد به كملًا واكتفا
هي بيعةٌ أحيا الإلهُ بها الورَى ... وحَمَى بها دينَ النبيِّ المصطفى
سبقَت قلوبُ الخلقِ أيديَهمْ بها ... ورَجا زمانُهمُ بها أن يُسعِفا
كلٌّ يمُدُّ يدَ الضَّراعة راغبًا ... في نَيْلِها مسترحمًا مستعطفا
جمَعت صلاحَ الدِّين والدُّنيا معًا ... وغدَا بها شملُ العُلا متألِّفا
ما من تقيٍّ مؤمن إلّا وقد ... سُرَّت لهُ نَفْسًا وهزَّت معطفا
لبَّى مناديها بقلب مخلصٍ ... متبرِّكًا بحضورِها مستشرفا

أنْسَت مآثرُهُ مآثرَ يعربٍ   وسَمَت بقيس في العلاءِ وخِندِفا
فُتَّ المدائحَ فالبليغُ مقصِّرٌ   ولو انه نَظَم الكواكبَ أحرُفا
لازلتَ بالملإِ العليِّ مؤيَّدًا   ولِصَرْف دهرِك كيف شئتَ مصرِّفا

وفي فتح ميورقة قال الجراوي مهنئا الخليفة الناصر[230] :

لكَ النّصرُ حزبٌ والمقاديرُ أعوانُ   فحسبُ أعاديك انقيادٌ وإذعانُ
فبعدًا وسُحقًا لابن إسحاقَ إنهُ   مُطيعٌ لأحلامِ الكَرى وهْو يَقْظانُ
سواءٌ لدَيْه من غَباوةِ طبعِهِ   هلاكٌ ومنجاةٌ وربحٌ وخُسرانُ
فمن حيثُ رام العزَّ جاءته ذِلّةٌ   ومن حيثُ رام الحظَّ لاقاه حرمانُ
وهل هُو إلا من أُناس تهافَتوا   فَراشًا على أسنانِكم وهْي نيرانُ
عَصَوا دعوةَ المَهْديِّ وهْي سفينةٌ   فأغرَقَهم طُغيانُهم وهو طُوفانُ
لقد ألبَسَ اللهُ الخلافةَ بهجةً   بمُلك به يزهَى الوجودُ ويزدانُ
سعودُك مَن يرتابُ فيها وللوَرى   عليها دليلٌ كلَّ يوم وبرهانُ

وقال أيضا يهنئه :

شاءَ الإلهُ حمايةَ الإسلامِ   فأعزَّ نُصرتَه بخير إمامِ
بسَميِّ خير الخَلْق والنّورِ الذي   كفَلت بدايتُه إلى الإتمامِ
جُمِعت ببَيْعتِه القلوبُ على الرِّضى   واستَبْشَرت بمنال كلِّ مرامِ
وسَرى السرورُ بها وصار مُواصِلًا   للجَدِّ في الإنجادِ والإتهامِ
واعتزَّ دينُ محمد بمؤيِّدٍ   ماضي العزائم للشريعة حامِ
لولا انتظامُ أمورِنا بوجودِه   لَغَدت مبدَّدةً بغير نظامِ
أضحَتْ خلافتُه السعيدةُ للورى   وِزْرًا من الأعداءِ والأعلامِ
ذَخَر الزمانُ من الفتوح غرائبًا   لزمانِه المتهلِّل البسّامِ

لا مثلَ فتحِ ميورقةَ فهو الذي ... أهدى السّرورَ لمُنجدٍ وتِهامِ

مطَلَت به الأيامُ حتى استُنجِزَتْ ... بسِنان خطيٍّ وحدُّ حسامِ

وبعَزْمةٍ منصورة وعصابةٍ ... مشهورة التصميم والإقدامِ

جَمَح ابنُ غانيةٍ فكَفَّ جماحَهُ ... يومٌ أدار عليه كأسَ حِمامِ

ناهيكَ من يوم أغرَّ محجَّلٍ ... متميِّز عن سائر الأيامِ

وعَظَت بمصرعِه الحوادثُ عَنْوةً ... ناهيكَ من وَعْظ بغير كلامِ

فلْيُهنِئِ الدّنيا وجودُ خليفةٍ ... جَزْل المواهب سابغ الإنعامِ

تُغنيه عن قَوَد الجيوش سعادةٌ ... تقتادُ ما شاءت بغير زمامِ

نِيطت أمورُ الخَلْق عنه بحازمٍ ... متكفِّل بالنّقض والإبرامِ

سامٍ إلى الرُّتَب التي لا فوقَها ... نَجْل الأكابر من سلالة سامِ

وَرِث الخلافةَ عن خلائفَ كلُّهم ... عَلَمُ الهدى الهادي إلى العلّامِ

لبِست به الدّنيا جمالًا كُنْهُهُ ... أعيا على الأفكار والأوهامِ

فكأنّها دارُ السلامِ نعيمُها ... متأبِّدٌ ودخولُها بسلامِ

يا عصمةَ الدّنيا نداءُ مؤمِّلٍ ... صبحًا يُرَوِّحُه من الأيامِ

فارقتَ ما قد كنتَ فيه كأنّهُ ... طَيفٌ رأته العينُ في الأحلامِ

فعسى أرى وجهَ الرّضى فلطالما ... أمَّلتُ رؤيتَه مع الأعوامِ

بالطّبع حاجتُنا إليك وهل غِنًى ... يُلفَى عن الأرواح للأجسامِ

لا زال سعدُك مسعدًا متصرِّفًا ... فيما تريدُ تصرُّفَ الخُدّامِ

وقال أيضا يمدحه بفتح ميورقة المذكورة في قصيدة أخرى:

أطاعَكَ صَرْفُ الدّهر في مُهَج العِدَا وأصـدَر عـمّا شـئتَ فـيهم وأورَدا
بعَثْـتَ أمـامَ الجـيش جـيشَ مهابـةٍ أقـامَهمُ في كـلِّ أرض وأقعـدا
سعودُكَ نَبْلٌ لو قصدتَ بها السُّهى لكـان عـلى بُعـد المسافة مقـصِدا
تركتَ بقايا السّيف خَلْفَ حصارِهِ رمـادًا تَـهادَتْه العواصفُ رمـددا
جَـرى بهـمُ الإمهـالُ شـأوًا مغرَّبًـا وأعمَتْهمُ عن رُشدِهمُ فسحةُ المدى
هُـو الفـتحُ أعيـا مـن أطـال مرجِّـزًا وفـات مـداهُ مـن أطـال مقـصّدا
قضَى اللهُ أن يَـحظى به أسعدُ الورى فكـان أمـيرَ المـؤمنين محمّـدا

وهذا ابن جحدر، الذي مدح الموحدين بالزجل بمناسبة فتح ميورقة، حيث قال من قصيدة أولها[231] :

من عانـد التوحيـد بالسيـف يمحق انابري ممن يعاند الحق

وفي فتح جميع إفريقة وما اتصل بها وانضاف إليها من بلاد الجريد و غيرها، أكثرت الشعراء في هذا الفتح، فقال أبو عمرو وزير بن خالد من قصيدة طويلة[232] :

هـذا أمـيرُ المـؤمنينَ محمـدٌ غيـثُ العبـاد وعـصمةُ المستـسلمِ
قـد قادهـا كاللّيـل دُهـمَ كتائـبٍ في قـادة مـن قومِـه كـالأنجُمِ
زانـوا سـماءَ المعلُـواتِ وزانَهـمْ بكـمال بـدرٍ في السـماءِ مـتمَّمِ
يُبـدي بهـا الـبَرَّ العـريضَ تـدافُعًا كـالبحر في أمواجـه إذ يرتمـي
وتَخالُـها رَوْضًـا بـدَت أعلامُهـا زهـرًا تفـتّح مـشرقًا في مُظلـمِ
بُـشراك سـيّدَنا بمُلـك الأرض لا يبقـى بهـا داعٍ لـمُلك مُجْـسَمِ
قـد قابلَتْـك أكُفُّهـا بـضَراعةٍ واسـتقبلَتْك وجوهُهـا بتبـسُّمِ
وتغَلغَلـت بلقـائكمْ آمالُـها وغَدا صريحُ الفتح غيرَ مُـجَمْجَمِ
هـذي مَباديـه الكريمـةُ قـدِّمت حُيِّيـتُمُ منهـا بـأكرم أكـرمِ
وبكـمْ بهـاءُ الـدّين والـدّنيا معًـا دامـا لكـمْ في غِبطـة وتـنعُّمِ

وفي عودة الخليفة الناصر من حركة له من تونس ودخوله مراكش بوافر الصحة والعافية بعد وعكة كانت قد أصابته، قال أبو العباس الجراوي يمدحه ويهنئه[233] :

أطلَعَ الدّهرُ منكَ بدرًا مُنيرا … ملأَ السبعةَ الأقاليمِ نُورا
وأتانا الزّمانُ منكَ كمالًا … لم تُشاهِدْ له العصورُ نظيرا
أوّلٌ أنت في التقدُّم والسَّبْـ … ـقِ وإن كنتَ في الزّمانِ أخيرا
ملأَ اللهُ كلَّ قلبٍ وعَيْنٍ … نظرةً من كمالِكمْ وسرورا
أين منكَ الملوكُ عَزْمًا وحَزْمًا … وندًى فائضًا وخيرًا وخِيرا
كنتَ في الغَيْبِ للخلافةِ أهلًا … وخليقًا بنَيْلِها وجَديرا
شاءَ إسعادَنا الإلهُ تعالى … يومَ تفويضِه إليك الأُمورا
إنّما أنت رحمةُ اللهِ عمَّت … ساكني الأرض مُنجِدًا ومُغيرا
يا إمامَ الهُدى مَلأتْ جَمالًا … وجَلالًا عيونَنا والصُّدورا
كلُّ نُور للشمس والبدر يبدو … أنت أصلٌ له ومنك استُعيرا
دُمتَ للدِّين عصمةً ومَلاذًا … ولإعدائه مُبيدًا مُبِيرا

وقال أبو عبد الله بن يخلفتن الفازازي:

شمسُ الضُّحى من سَنا مَرْآهُ يَقتبِسُ … فأيُّ قصدٍ عليك اليومَ يَلتبِسُ

وقال الجراوي من قصيدة طويلة أولها:

أضاء لنا بغُرّتِك الزّمانُ … وألبَسَنا تغلُّبَك الأمانُ
وجاءتنا المُنى مُتَوالياتٍ … على نَسَقٍ كما انتَظم الجُمانُ

وقال أيضا من قصيدة طويلة أولها :

شـدَّ الإلـهُ بكُـمْ للـدِّين أركانـا ... وأذعَنَـت لكـمُ الأيـامُ إذعانـا
وارتاضَ كلُّ جَمُوح في عِنانِكمُ ... من بعدِ ما أعجَز الروَّاضَ أزمانا

وقال مرتجلا أيضا في مجلسه:

كانت من الشمس الصِّعابُ فَراضَها ... عَـزْمٌ فـرَّضَ الرّاسـياتِ وذَلَّـلا
لبِسَت حِداذًا من دُخَانِ حريقِها ... لـمّا تـخرَّم جَـمْعُها واستُؤصِـلا

ومما قيل في مدح الخليفة ودعوته لرفع ظلم كما يتبين من الأبيات[234] :

يـا رابـعَ الـخُلفاء أنـت الأوّلُ ... والكـلُّ مـنكمْ في الفـضيلة أكمـلُ
أمِـنَ السَّويّةِ أنّ عـدلَك مـشرقٌ ... والظُّلـمُ عنـدي منـه ليـلٌ أليَـلُ
ويدا ابن عَمْرٍو أصبحت لعَلِيّةٍ ... تَرمـي وبيـتُ المـال بـئس المعتـلُ
ولـه أمـورٌ لـيس يُمكـنُ شرحُها ... أنـت الحسامُ لها وهـذا المَفـصِلُ

وبمناسبة النصر الذي حققه الشيخ أبو محمد عبد الواحد مع الموحدين. وصلت البشارة إلى الحضرة المراكشية، وقرأت بجامعها الكتب السارة، وجلس الخليفة الناصر للتهنئات، وقالت الشعراء في ذلك، فقال أبو عبد الله بن يخلفتن الفازازي من قصيدة[235] :

هـذي الفتـوحُ تفتَّحـت أزهارُهـا ... وتـدفَّقت مِـلءَ المـلا أنهارُهـا
وتأرَّجَـت نَفَحاتُهـا وتبرَّجـت ... صـفَحاتُها وتبلَّجـت أنوارُهـا
وأتَـتْ بـشائرُها إليـكَ سَـوافرا ... عـن أوجُـهٍ يـا حبّـذا إسـفارُها
تَطـوي المراحـلَ لا يُفـتَّرُ ليلُهـا ... شـوقًا إليـك ولا يغـبُّ نهارُهـا
إنّ الـدُّنا مهـضوبةٌ آذانُهـا ... لِـسماعِها مرفوعـةٌ أبـصارُها
شَهِدت بسَعْدِك في الورى وتمحّضت ... سـندًا ومثنـى عنـدَهم آثارُهـا

مـا زلـتَ تُعنـى بالدِّيانـة جاهـدًا ... ومجاهـدًا حتّـى اسـتقلَّ منارُهـا

واعتـزَّ جانبُهـا وأيّـد ركنُهـا ... واشـتدّ سـاعدُها وأُدرِك ثارُهـا

ظنَّـت لـشِقوتِها بأنّـك نـازحٌ ... تَنْـأى عليـك إذا سـمعتَ ديارُهـا

فرميتَهـا بكتائـبٍ ملمومـةٍ ... كالّليـل لكـنّ النجـومَ شِـفارُها

لم يُـنْجِ ناجيَهـا غـداةَ أفْلِهـا ... إلّا الفِـرارُ وأيـن عنـك فِرارُهـا

تركَـتْ رؤوسَ رؤوسِـها مبثوثـةً ... وطَفَـت عـلى بحـرٍ بـه أشـفارُها

ومـضَى الـشقيُّ وقـد تلبَّس رُوعُـه ... يَـضْفو عليـه ذُلُّـها وصَـغارُها

عـصَفَت رِيـاحُ جنـودِكمْ برياحِـهِ ... فهَفَـت جوانحُهـا وخـفَّ مَطارُهـا

مولايَ وصْـفُك لـيس يَحْـوي كُنْهَـه ... خُطَـبُ المـدائح لا ولا أشـعارُها

لكـنْ نهايتُهـا وإن طـال المـدى ... في عَجْزِهـا وقـصارُها أقـصارُها

لا زال للإسـلام يُمنُـك باقيًـا ... وعِـداك بـاقٍ شـؤمُها وبَوارُهـا

وصَفَتْ ليوسُف نَجْلِك الزاكي الرِّضى ... أيامُـه وتباعَـدت أكـدارُها

صَـفْوُ الأئمـة لُبُّـهَا مرجوُّهـا ... مرهوبُـها مأمولُـها مختارُهـا

حتـى يُقلَّـدَه الخليفـةُ عقـدَها ... ويُـرى عليـه تاجُهـا وسِـوارُها

وبقيـتَ أقـصى مـدةٍ مَقْـضيّةً ... أوطارُهـا مَرْضـيّةً أطوارُهـا

في عـزّة موصـولةٍ وسـعادةٍ ... لا تنقـضي أبـدَ الـدُّنا أعـصارُها

مـا لاحَ بَـرْقٌ في متُـون غَمامـةٍ ... وترنَّمـت في أيكـةٍ أطيارُهـا

وعندما أخذ الخليفة أبو يوسف يعقوب البيعة لإبنه أبي عبد الله محمد الناصر، مدحه الوزير أبو محمد بن حامد بقوله من قصيدة[236] :

طالَ الهُدَى واعتزَّ دِينُ مُحمَّدٍ ... بخلافةِ الملكِ الأعزِّ مُحمَّدِ

نَظَرَ الإمامُ الى الزّمانِ وأهلِهِ ... نَظَرَ الغَمامِ السّكْبِ للرّوضِ الصَّدِي

فَحَبَاهُمُ بِمُحمَّدٍ وبِمِثْلِهَا ... مِنْ بَيْعَةٍ يَعْتَزُّ دِينُ مُحمَّدِ

ورأى بأنَّ لَهُ على أترابِهِ ... فَضْلَ الطِّيبِ على جَمِيعِ العُودِ

لا غَرْوَ إنْ صَغُرَتْ سِنُوهُ فعِلْمُهُ ... ووَقارُهُ حَكَمَا لَهُ بالسُّؤْدَدِ

إيهِ فإنْ صَغُرَتْ سِنُوهُ فإنَّهُ ... مِنْ نُطْفَةٍ فَيْضُ الأتِيِّ المُزْبِدِ

وإذا أميرُ المُؤمِنِينَ اخْتارَهُ ... فَكَفَاهُ مِنْ شَرَفٍ بذاكَ المُخلَّدِ

وفي مدح الخليفة الناصر قال الشاعر ابن الياسمين من قصيدة[237] :

عجبتُ لمن يراك وبعد هذا ... يُحاول أن يرى مَلِكاً سِوَاكَا

وقد جَمع الإلهُ لديك ماقَدْ ... تفرّق في البريّة من حُلاكا

وما أَحدٌ يؤُمّ ذَراك يومًا ... فيختار الترحُّلَ عن ذَرَاكا

فسبحان الذى أَعطاك مُلْكاً ... على مقدار ما أَعْلَى عُلاكا

وهذا القائد أبو عامر بن حسون والذي كان واليا على مالقة أيام الخليفة الناصر، ينشد قصيدة عند توجهه إلى حضرة مراكش ويذكر في أبياتها الخليفة. ومن القصيدة[238] :

بِـأَيِّ لِسَانٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ فِـكْرَةٍ ... أُعَبِّرُ عَنْ عَجْزِ الخَوَاطِرِ وَالْسُنِ

أَيَشْكُرُهَا نُطْقِي وَذَاتِيَ بَعْضُهَا ... وَمِنْهَا أَفَادَ الشُّكْرُ نُطْقِيَ، لاَ مِنِّي

وَإِحْصَاءُ مَا لَمْ يَأْتِ دَهْرٌ بِمِثْلِهِ ... عَزِيزٌ، لَوِ اسْتَظْهَرْتَ بِالإِنْسِ وَالجِنِّ

وَقَدْ خَصَّ مَوْلاَنَا الخَلِيفَةُ رَبَّهُ ... بِكُلِّ الذِي يَدْعُو بِهِ العَبْدُ أَوْ يُثْنِي

فَلَمْ يَبْقَ لِي لَمَّا حَلَلْتُ بِجَنَّةٍ ... سِوَى أَنْ أَقُولَ: الحَمْدُ لِلَّهِ ذِي المَنِّ

الخليفة أبو يعقوب يوسف الثاني بن محمد الناصر

وفي دولة الخليفة يوسف المستنصر قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[239] :

ثـم تولى نجلـه المستنـصـــر ❀ وكـان عـن فعل الجهـاد يقصر

لـم تمتثـل أحكـامه فى العدوه ❀ وكل خلـق فى مكـان قــدوه

من كان قـد قدم فـى مكـــان ❀ أطمـع فـى العلياء والامكـــان

أقـام فـى مـراكـش سنينـــا ❀ قـد ألـف النعيــم والسكونــا

ينتج الأبـقـار والأفـراســا ❀ حتـى لقـى مـن بعضهن باسـا

فمـات مقتـولا بقـرن بقـــره ❀ وهـذه فاعلـم أمــور منكــره

الخليفة عبد الواحد بن أبي يعقوب يوسف الأول

وفي دولة الخليفة عبد الواحد بن أبي يعقوب قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[240]:

فقام بالملك أخو المنصور ❀ وخلعه من أعظم الأمور
قد قتلوه بعد ما قد خلعا ❀ ولم يخافوا القتل والسبى معا
فى قتل عبد الواحد بن يوسف ❀ قد ركبوا أمراً لهم لم يعرف
ورجع الأشياخ كالأتراك ❀ مع بنى العباس فى الأملاك
قد دبروا بجهلهم تدبيرا ❀ كان على ملكهم تدميرا
بفعلهم كان خراب الدوله ❀ وقتلهم فى الأرض شر قتله

وهذا أبو عمران بن سعيد يكتب رسالة إلى ملك المغرب عبد الواحد بن أبي يعقوب، مهنأ له بالخلافة حين بويع بها بمراكش، ويدرج في رسالته أبياتا متمثلا بها. وهذه أبيات يمدح بها الخليفة عبد الواحد[241] :

أَتَتْهُ الخلافَةُ مُنقادةً ❀ إليْهِ تجرّرُ أذيالها
فَلَمْ تكُ تصلح إلاّ لَهُ ❀ ولم يكُ يصلح إلاّ لها

الخليفة أبو محمد عبد الله العادل بن المنصور

وفي دولة الخليفة عبد الله العادل قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[242]:

فبايعوا من بعده للعادل ❀ واتبعوا آراء كل عاذل
واتخذوا ملوكهم هزوا ❀ وكان هذا منهم غلوا
فقتلوا العادل كالمخلوع ❀ وسخط الله على الجميع

ومما ذكره صاحب النفح قوله:

{ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولي على مملكة البرين إلى إشبيلية كان في جملة من خرج للقائه – أبو عمران بن سعيد - ، و رفع له قصيدة منها[243] :

لقاء بِهِ للبِرّ والشكر مَجْمَعُ ... إلى يومه كنَّا نَخُبُّ ونُوضِعُ
لقد يَسَّرَ الرحمنُ صَعْبَ مرامِهِ ... فأبصرتُ أضعافَ الذي كنتُ أسمعُ

وله أيضاً :

يا مُنْعِماً قد جاءني بِرُّهُ ... مِنْ غَيْرِ أن أُجري له ذكرا
إنَّ أَحبَّ الخيرِ ما جاءني ... عَفْواً ، ولَمْ أُغْمِرْ بهِ فكرا

...}

ومما ذكره صاحب الإستقصا[244]: {... و لما احتل بقصر المجاز – أي الخليفة عبد الله العادل – دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص المدعو بعبو فقال له العادل كيف حالك ؟ فأنشده:

حال متى علم ابن المنصور بها ... جاء الزمان إليّ منها تائبا

فاستحسن ذلك منه و ولاه إفريقية. و هذا البيت لأبي الطيب المتنبي و إنما تمثل به عبو لموافقة اسم منصور فيه لإسم والد العادل فحسن التمثيل به.}

ولما وصل الكاتب أبو محمد عبد الله بن حامد إلى إشبيلية عندما فتحها العادل، قال قصيدة منها[245] :

منه حِمْصُ فَقَد تَمَّ الأَمَلْ ... سارتِ الشَّمْسُ فَحَلَّتْ بالحمَلْ
كنت كالسَّيفِ ثَوَى فى خِلَلٍ ... ثم لما هَمَّ لم يَبْقَ خَلَلْ

وهذا أحد المرسلين ينكر على الخليفة العادل تقاعسه عن الغزو، وتأخره عن الجهاد، والمسلمين لا يأمنون على حياتهم[246] :

بوقعة عفص وطلياطة ... تكامل إقبال أيامنا
فبالغرب تلك وبالشرق ذي ... أناخا على شمم أعلامنا
وفي وسط الأرض قيجاطة ... ولوشة خفّا بأحلامنا
وليس الصليب يرى مانعاً ... لغير تواتر إعدامنا
وسيدنا ناظر في الجواز ... يروم النجاة بإسلامنا

وهذا ابن القاضي المكناسي صاحب الجذوة، ينشد في دار الخليفة العادل بالرباط[247]:

يا عاذلي دع عنك عذل العاذل ... واخلع عذارك في الحبيب الواصل
وإذا ذكرت عشية لمحاسن ... فاذكر عشايانا بدار العادل

يحيى بن محمد الناصر بن المنصور

وفي دولة المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[248]:

فبايعوا ابن الناصر بن المنصور ❀ يحيى وقد بان الفساد والشرور
وعادت الأشياخ فيهم تعبث ❀ تؤكد البيعة ثم تنكث
ووجهوا البيعة للمأمون ❀ وخرج الأمر عن القانون

ومما حكي عن المعتصم يحيى، أنه ضرب بظاهر مراكش قبة حمراء، فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون؛ فقطعوا أطنابها، فسقطت، فقال في ذلك أبو عمرو ميمون الخطابي من قصيدة[249] :

أُنظر إلى القبَّة الحمراء ساقطةً ... لما رأت مُضَرَ الحمراءَ عن كَثَبِ
من كان أولَى بها إن كنتَ ذا بصرٍ ... العُجْم أو مَعْدِن العَلْيا من العرَبِ
وإنما سجدتْ لما سَمَتْ وغدتْ ... فوق الضَّلال وكانت أعجب العَجبِ

وهذا الكاتب أبو الربيع سليمان بن أحمد الداني يمدح يحيى بن الناصر بقصيدة نال فيها من عمه إدريس، فقال فيها[250]:

ومُلْكُ يحيى حياةٌ لا نفادَ لها ... وملك إدريس واهي الركن مندرِسُ

ومما ذكره صاحب البيان المغرب أنه لما تحصلت تلك القصيدة بيد الخليفة يحيى بن الناصر والتي كان قد بعثها الخليفة المأمون إلى هلال ابن المقدم الخلطي من إشبيلية يشكره على بيعته، أمر الخليفة يحيى الأستاذ أبا عبد الله ابن الصفار المعروف بالبرنامج، أن يجاوب هلال ابن المقدم عليها وأن ينهج فيه غير تلك المناهج التي جاءت في قصيدة المأمون، فقال الأستاذ[251]:

نسبتَ شرَّ عَبِيد العُجْم للعَرَبِ   جهلًا بفضل رسُول الله والنَّسَبِ
أصِخْ لتسمَعَ أنسابَ الذين همُ   شعارُكمْ في الخطوبِ السُّود والنُّوَبِ
كانت عَبيدُ العصا للقُرمطيِّ فإذْ   وافَى الموفَّقُ لاذت منهُ بالهَرَبِ
حلّت محَلّاةَ بتراءٍ فقد رحَلتْ   عنها بنو جُشَم من مائها الأَشِبِ
خانَتْهم الخيلُ رَيْعان الشياهِ لها   فلم تضرْها وجَدّت بعدُ في الطلبِ
لو أُعلِمت وائلٌ يومًا بدعوتِها   فيها لَما شرِبت ماءً من الغضبِ
ونيطت الخُلَّطُ الرُّدّى بهم نسبًا   كأنها القَبَسُ الصّيفيُّ بالذنبِ
فإن تكنْ في الوغَى من طلحةٍ سَلِمت   فذا الموفَّقُ وصفًا ليس باللقبِ
وليس من رَهَب يُنجيهمُ هربٌ   ما يَبعُدوا يقرُبوا للحين والشّجبِ

ومنها:

أمّا هلالٌ فقد حاق المحاقُ بهِ   لاقَى الوَبَالَيْنِ من حَرْب ومن حَرَبِ
حَلّ الحضيضَ سقوطًا وهْو محترقٌ   تحتَ الشُّعاع بشُهب الهند لا الشُّهُبِ
وغرَّه خُلَّبٌ من شاعرٍ ملقٍ   فنال صاعقةً لا واكفَ السُّحُبِ
وظلَّ من رُتَب العليا على عدةٍ   فالتُّربُ يَعلوه ما يرقَى على الرُّتَبِ
وصار يطمَعُ في مالٍ وفي نشَبٍ   وصار متشبًا في بَرْثَن النشبِ
فقل لهُ لو أرادَ الخيرَ فاز بهِ   الصّيفِ ضيَّعتَ جهلًا حافلَ الحَلَبِ
لمّا أوَتْ عاصمٌ للدِّين واعتصَمتْ   بحبلِه نالت الدّنيا بلا نصَبِ

فإن يكنْ مهتدٍ منها بكمْ فكما ... تُلقى خلال رمادٍ قطعةُ الذّهبِ

ومَن عَصَا منكمُ فالموتُ يَطلُبُه ... يُمسي ويُصبحُ معدودًا من النّهبِ

والحقُّ شمسٌ سَناها ليس يَحجُبُهُ ... وإن تَراكم غَيْمُ الزُّور والكذبِ

يحيى خليفةُ ربِّ العالَمينَ ومَن ... يجهلْه يُعلِمْه حظُّ السُّمرِ والقُضُبِ

نال الخلافةَ عن خُبْرٍ وعن خَبَرٍ ... محقَّقٍ وبإرثٍ عن أخٍ وأبِ

اختاره اللهُ فاختارته صفوتُه ... من البريّة أهلِ الدِّين والحسَبِ

لم يذخُروا نُصحَهم للدّين واجتهدوا ... ما كان عن رَهَبٍ منهمْ ولا رَغَبِ

ليست بنَكْثٍ ولا كُتْبٍ قد اختَلَقت ... ولا كتائبِ أهلِ البَغْيِ والصُّلُبِ

لم ينتصرْ بالنَّصارى والبُغاة على الـ ... ـمُطهَّرينَ من الأدناس والرِّيَبِ

خليفةٌ مرتضًى أنصارُ دولتِهِ ... أنصارُ أمرِ الهُدى الباقي على الحِقَبِ

طعنُ الصُّدور وضربُ الهام عندَهمُ ... ماءُ الحيا شَبِمًا قد شُجَّ بالضَّرَبِ

قُبحُ الوغَى عندَهمْ حُسنٌ وراحتُهمْ ... ما نالَهم في اعتلاءِ الدِّين من تعبِ

وحرُّ جاحِمِها بَرْدُ العشيّةِ في ... رَوْض عليل نسيمًا غِبَّ منسكِبِ

أيا إمامَ الهُدى إنّ البلادَ لكمْ ... شرقًا وغربًا فنائيها كمقتربِ

وإن يُجادلْك في المنصور ذو جَدَلٍ ... فنَجْلُ نُوح ثَوى في قسمة العَطَبِ

وإن يقلْ أنا عمٌّ فالجوابُ له ... عمُّ النبيِّ بلا شكٍّ أبو لهبِ

وهل يمُتُّ بشيءٍ لا تمُتُّ به ... بل زدتَ فخرًا، ملأتَ الدّلوَ للكَرَبِ

إذا عصاك مطيعٌ ليس منتفعًا ... يومَ القيامة بالطاعات والقُرَبِ

ويُرتجَى العفوُ للعاصي بطاعتِكمْ ... فإنّها سببٌ ناهيك من سببِ

أيُمنَحُ المرءُ والقهّارُ يمنعُهُ ... ويوهَبُ المرءُ والوهّابُ لم يَهَبِ

فدُمتَ للدِّين تحميه وتحفَظُه ... من كلِّ باغٍ وعادٍ عابدِ الصُّلُبِ

ادريس المامون بن المنصور

وفي دولة المامون قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[252]:

فجاء ادريس من أرض الأندلس ❀ أيده عليهم روح القـــــدس
جاءهـم بـزعمـاء الـــــروم ❀ محتسبـا للـواحـد القيـــوم
فافتـرق الجنـود فرقتيـــن ❀ وصارت الـدولـة دولتيـــن
وصـار ابليـس لـه صـــراخ ❀ وكـل هـذا مـا جنـا الأشيـاخ
فهـام ادريـس بحـرب يحيـــى ❀ وكلهم فـى حربـه قـد أغيـــا
واشتعلت بينهمـا الحـــروب ❀ ففـر يحيـى ولـه تـأويـــب
حتى اذا المـأمون حـاز الحضره ❀ ونـال بعـد غـربـه وقطـــره
فأحضر الأشيـاخ ثـم نـــادا ❀ أين الذيـن أظهـروا العنـــادا

وهذا أبو عمران بن سعيد، يخاطب ملك المغرب المامون، حين أخذ البيعة لنفسه بإشبيلية[253]:

الحزمُ والعزمُ موجُودان والنّظرُ ❀ واليُمنُ والسعدُ مضمونان والظّفَرُ
والنورُ فاض على أرجاء أندلسٍ ❀ والزُّورُ ليس له عينٌ ولا أثرُ
حُثَّ الركابَ إلى هذا الجنابِ فقد ❀ ضلّوا فما تنفعُ الآياتُ والنُّذُرُ
واعزمْ كما عزم المأمونُ إذ نَشَزَتْ ❀ أرضُ العراقِ فزال البؤسُ والضررُ

ومما ذكر أنه، لما دخل بنو مرين المغرب واستحوذوا على جميع بواديه وأخرجوا عليها عمالهم وحفاظهم فلم يدر المامون بن المنصور ماذا يصنع في أمره ذلك، فأنشد متمثلا[254] :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

وأنشد متمثلا كذلك بقول حسان حين قتل الصحابي عثمان ، وذلك عندما اتصل به أن الموحدين قد نكثوا بيعته، وبايعوا ابن أخيه يحيا[255] :

لتسمعن وشيكا فى ديارهم باللرجال الى ثارات عثمانا

ومن شعر الخليفة المأمون بن المنصور كذلك قوله عند إيقاعه بأشياخ الموحدين وتعليق رؤوسهم بأسوار مراكش وأشجارها[256] :

أهلُ الحَرابة والفسادِ من الوَرى يُعزَوْنَ في التشبيه للذُّكّارِ

ففسادُه فيه الصّلاحُ لغيرِه بالقطع والتعليق في الأشجارِ

ذُكّارُهم ذكرى إذا ما أُبصِروا فوقَ الجُذوع وفي ذُرى الأسوارِ

لو عمَّ حِلمُ الله كافّةَ خَلقِه ما كان أكثرُهم منَ اهل النارِ

وفي رسالة بخط يده كتبها لأهل أندوجر يزجرهم عما فعلوه من القبيح و يصرح بقتلهم إن لم ينتهوا أي تصريح، أورد فيها بيتا متمثلا[257] :

إذا رأيتُم نُيوبَ اللّيثِ بارزةً فلا تَظنُّونَ أنّ اللّيثَ مُبتسمُ

وفي انتصار الخليفة المأمون على ابن هود بمدينة إشبيلية، مدحته جماعة من الشعراء، فقابلهم بأجزل العطاء على هذه الهزيمة وغيرها، فمنهم الكاتب أبو زيد عبد الرحمن الجزولي، قال يمدحه من قصيدة طويلة منها[258]:

كــلٌّ يقــولُ ونَـصْرُكم مـأمونُ ... والـيُمنُ منـه عـلى الفتـوح ضـمينُ

في كـلِّ محمَـدةٍ عـلى المـأمونِ عبـ ... ـدِ الله زاد أبـو العُـلَى المـأمونُ

معنـى الخلافـة سرُّهـا مختارُهـا ... مأمونُـها ميمونُـها الميمـونُ

نـصرُ الإمـام أبي العُـلَى جـارٍ عـلى ... حُكـم القـضاء وإنـه لَـمكينُ

اللهُ أيَّـد أمـرَه وقـضَى لـهُ ... بـالظَّفْر بالأعـداءِ وهـو جَنـينُ

نطَـق الزّمـانُ بـه وقـال محقِّقًـا ... إذ ذاك أمـرُ الله فهْـو مُبـينُ

رَفَعـت لـه أيـدي السعودِ مَبانيًـا ... مـن فوقِهـا حِـصنٌ عليـه حـصينُ

قامت عـلى أُسسِ الهداية فاعتَلَتْ ... ومَنارُهـا للمتقـدِّمينَ الـدِّينُ

وسماؤها النّـصرُ العزيـزُ وأرضُـها ... تقـوى الإلـه وإنـه لَـمُعينُ

أضـواءُ أسرار الخلافـة كلُّهـا ... بيـد الخليفـة حـبْلُهنَّ متـينُ

اهنَـأْ أمـيرَ المـؤمنينَ أبـا العُـلَى ... اهنَـأْ فـأمرُك في العُـلَى مكنـونُ

ومنهم الكاتب أبو جعفر ابن الكاتب أبي عبد الله بن عياش، قال من قصيدة:

فـؤادي بأمـداح الخليفـة هَـيْمانُ ... ففيـه اعتـزازٌ والتغـزُّلُ إذعـانُ

علَوْتُ ومقصودي الإمامُ أبو العُلى ... وفي مَـن أياديـه عـلى المدح سـلطانُ

قـصدتُ أمـيرَ المـؤمنين بمدحِـه ... فأمداحُـه للمـرءِ يُمـنٌ وإيـمانُ

هُــــو المِلِــــكُ المـــــأمونُ لله درُّه نَـــماه إلى بيـــت النبـــوّة عـــدنانُ

فـــما الأصـــلُ إلّا للنبـــوّة ينتمـــي ومن طِيب ذاك الأصل تنعُمُ أغصانُ

فطاعتُـه فـرضٌ عـلى النـاس كلِّهـمْ وعـــصيانُه لا شـــكّ لله عـــصيانُ

بقِيـــتَ أمـــيرَ المـــؤمنين مؤيَّـــدًا فإنـــك رُوحٌ والبريّـــةُ أبـــدانُ

ولا زال أمـــرُ الله يقـــصُدُ أمـــرَكمْ ويحرُسُـه طَـرْفٌ مـن النّـصر يقظـانُ

ومنهم أبو الحسن علي بن الفضل، قال من قصيدة طويلة يمدحه:

ملَـــكَ العُليـــا إمـــامٌ مالـــكٌ دُنيـــا وديـنـــا

وأتـــى الجـــامعَ زُهـــدًا مـــعَ جَمْـــعِ الزّاهـــدينا

عقَـــدوا الرايـــاتِ فيـــهِ عَقْـــدَ عَـــزْمٍ مُخبِتينـــا

وإلـــهُ النـــاسِ يقـــضي لهـــمُ الفـــتحَ الـــمُبينا

أيُّهـــا المـــأمونُ صـــمِّمْ تَـــصْطَليهمْ أجمعينـــا

وجـــزَاكَ اللهُ عنّـــا بجـــزاءِ الـمُحـــسِنينا

ومنهم أبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها:

حـــسْبُ الإمامـــةِ أنّـــك المـــأمونُ لاقـــاك طـــالعُ ســـعدِك الميمـــونُ

حسَمَت خلافتُك الخـلافَ كـما بـدا بـــسَناك نـــورُ الحـــقّ فهْـــو مُبـــينُ

فعـساكَ عيـسى تَـنجلي بـك فتنـةٌ دجّالُـــــها بـــسفالةٍ مفتـــــونُ

سيَرى مُطيعُ هواه كيـف يخُـونُ مَـن رُوحُ الإلـــه عـــلى حِمـــاه أمـــينُ

لكـــنّ أمـــرَ الله فـــيهمْ والـــذي أرجـــاه مـــن ميعـــادِه سِـــجِّينُ

مَـــن رام يـــا مـــأمونُ كيـــدَك إنّـــما كـــاد الإلـــه وذاك كيـــف يكـــونُ

يا ابنَ الخلائف يا خليفتَنا الذي	نَسَقُ الفتوح بسعدِه مضمونُ
يُهنيك بل يُهني الأنامَ بشائرٌ	يُصغي العراقُ لذكرِها والصِّينُ
ودعاؤنا عندَ الأصائل والضُّحى	كلأتْك عينُ الله يا مأمونُ

ومما ذكره صاحب البيان المغرب قوله[259] :

{ ولما صدر أبو العلى المأمون من حركته بعد مقابلة ابن هود وهزيمته واستقر بإشبيلية حضرته، وصلته بعض البيعات من بلاد المغرب ووصلته بيعة هلال بن مقدم الخلطي وأنه تحت طاعته وداخل في سلكه وجماعته، وأنه لا يتبع يحيى ولو سقاه بكأس المحيا، فكتب له أبو زيد الفازازي عن إذن المأمون شعرا يشكره على فعله، ويعده فيه بأقصى أمله، وهو:

الطَّعنُ والضَّربُ منسوبانِ للعَرَبِ	بالسَّمهريّة والسهنديّة القُضُبِ
والحربُ تبعَثُ منها كلَّ معتَرَكٍ	حفائظًا تترُكُ الأعداءَ في حرَبِ
حازوا الوفاءَ إلى الإقدام وانتَسَبوا	إلى خلال المعالي كلَّ منتسَبِ
تجشَّمت جُشَمٌ نصرَ المعِدِّ لها	أسنى الجوائز من مال ومن نشَبِ
وجاءت الخلطُ المشكورُ مقدَمُها	كالأُسْدِ تبدو عليها سَوْرَةُ الغضبِ
خَفُّوا إلى نصر حزبِ الله واحتَفَلوا	في عسكر صَخِبٍ أو جَحْفَل لَجِبِ
كتائبٌ ضاقت الأرضُ الفضاءُ بها	في ظلِّ ألوية منشورةِ العذَبِ
فمن صوارمَ مثلَ النّار في صُعُدٍ	ومن سوابقَ مثلَ الماءِ في صَبَبِ
بحرٌ على البرِّ مرتجٌّ غَواربُهُ	من فوقِه قِطع الرايات كالسُّحُبِ
شواهدٌ صَدَقت فيهمْ مَخايلُها	بما لهمْ من صميم الدِّين والحسَبِ
تذكَّروا مِننَ المنصور فاعترَفوا	لنَجْلِه بعدَ كرّات من الحِقَبِ
والفضلُ يبدو على الأحرار رَوْنقُه	وليس يَخفى على الباقي من الحقبِ

أمّــا هــلالٌ فقــد أوفى بذمّتِــه   وفــاءَ راعٍ لحــقِّ الــدِّين والأدبِ

رأى الخلافـةَ حَلّـت غـيرَ موضـعِها   فأدركتْــه عليهــا غَــيْرةُ العــربِ

وقــال لا سِــلمَ حتــى يُـستقادَ لهـا   من ظُلم مستلبٍ أو جَوْر مغتصِبِ

وسـلَّم الأمـرَ لـلأوْلى الأحـقِّ بـهِ   بالرّغم من أنْف أهل الغَدْر والكذبِ

وافَــتْ مــصرّحةً بــالوُدِّ بيعتُــهُ   طليعــةً بجزيــل النّــصر والغَلَــبِ

جمعًـا لفـضلَيْن يلقَـى الحُـسنَيَيْنِ بـهِ   نصرِ الكتائـب في الهيجـاءِ والكتُـبِ

صـبرًا أبـا الـنّجم صـبرًا إنهـا ظُلَـمٌ   تُجلَى وتُمحـى بفـضل الله عـن كثَـبِ

ودُمْ عــلى حالــةٍ تُجنَــى عواقبُهــا   أذكى من المسلكِ في أحلى من الضَّرَبِ

فعنـــدَ ذلـــك إيثـــارٌ ومَرْتَبــةٌ   تــنحَطُّ عنهــا مزايــا ســائر الرتَــبِ

وســوف تلقَــى بعَــوْن الله مــأثُرةً   تحظَـى براحتهـا مـن سـائر التعـبِ

ومِمن مدح الخليفة المأمون، الكاتب الأجل أبو الحسن الرعيني إذ قال[260] :

تَتيهُ بك الدّنيا ويَزهو بك المُلكُ   ويُعزَى إليك الفضلُ والدِّينُ والنُّسْكُ

وتتّسقُ الأمـداحُ فيـك تتابُعًـا   بـاهِرِ أوصـافٍ كما انتَظم السِّلكُ

وتـشهدُ أمـلاكُ الزّمـان إذا رأَوْا   سَناك الذي يجلو الدُّجا أنك المَلْكُ

ومـا ذاك إلّا أنْ سـبَقْتَ وقَـصَّروا   وأدْلَجت إذ باتوا وحقَّقت إذ شَكّوا

أنـالَ بـك الإسـلامُ أقـصَى مـرادِهِ   وقد سَعِد التوحيدُ إذْ شقيَ الشِّركُ

وأظهَـرَك الجَـدُّ السّعيدُ على العِدا   فكان لك المَنْجى وكان لها الهُلْكُ

أيـا ابـنَ أمـيرِ المؤمنين أبـا العُـلَى   أصِخْ سمْعَ إحسانٍ لعبدِك إذ يشكو

وأرجـو لـدى مـولايَ لمحـةَ رحمـةٍ   فإنعامُــه ينمــو وإحــسانُه يزكــو

وقال محمد بن ابراهيم الذرة أيضا يمدحه:

ألا وضُح التحقيقُ وارتفَع الشكُّ بأنك مَلْكٌ لا يقاس به مَلْكُ

جبينُك إصباحٌ وكفُّك مُزنةٌ وبأسُك طُوفانٌ ورايتُك الفُلكُ

ويُمناك مَحْيًا للأنام ورحمةٌ إذا حاقَ من مَحْل الزّمان بهمْ هُلكُ

تُنيل من الأفراس ما بان عِتقُهُ وتُعطي من الإبريز ما أخلَص السَّبكُ

فأنتمْ أميرَ المؤمنين بعدلِكمْ تعزَّزَ دينُ الله وارتفَع الشكُّ

و قال آخر في هذا المعنى:

لكَ اللهُ من مَلِكٍ إلى مَلِكٍ يُعزَى يَحُوطُ العُلى حفظًا ويكنُفُها حِرْزا

سَما واحدًا من جانبَيْهِ إلى العُلى فلا يَعتزي جمعٌ إليها ولا يُعزى

بعثتُ ثناءً في نظامِك عاطرًا هزَزتُ لهُ من عِطف مجدِك ما اهتزّا

إذا كنتُمُ لي ساعدًا أنا كفُّهُ فيا ليتَ شِعري بالفضيلة من يُجزى

وأنتم بني المنصور أوْلى بخُطّةٍ هيَ المُلكُ إذ طَرَزْتُمُ مجدَها طَرْزا

إلا إنّما في كلِّ حال لك العُلى فدُمْ يا أباها تكسِبُ المجدَ والعِزّا

فأنتَ لها ما دمتَ في الأرض إنّما نَراك عليها من نوائبِها حِرزا

وفي رسالة الأديب ابن عبدون والتي كتبها عن أهل بلده مكناسة إلى الخليفة المأمون لما حاصر بعض القبائل بلدهم، قصيدة في المعنى[261] :

إمامَ الهُدى سمعًا لدعوة شاكٍ ثَوى بينَ هلّاكٍ رَهينَ هَلاكِ

وأوشَك أن يَغتالَ مِكْناسةَ الرَّدى وتَبكي على مَن تحتويهِ بَواكي

أحاطت بها الأعداءُ من كلِّ جانبٍ فقد قَعَدت منها بكلِّ شِراكِ

وقد زارَها من أهل زَرْهونَ هَوْنُها وبَثُّوا لها التطليقَ بعدَ مِلاكِ

وأبناءُ فازازٍ لها مُستفزّةٌ فها هي تشكو كلَّ أروعَ شاكِ

وهذا الفقيه محمد بن هارون الغساني المشهور بابن عسكر يمدح الخليفة المامون بقصيدة منها[262] :

إِلَيْكَ تَرَكْتُ الأَرْضَ وَالْمَالَ وَالأَهْلاَ ... لأَسْمَعَ مِنْ دَاعِي قَبُولِكَ (لِي): أَهْلاَ
وَفِيكَ هَجَرْتُ العَيْشَ أَخْضَرَ نَاعِماً ... بِهَا وَنَسِيمَ الأَرْضِ أَعْطَرَ مُعْتَلاً/

ومنها :

رَكِبْتُ إِلَى لُقْيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ ... مُبَرَّأَةٍ أَنْ تَعْرِفَ الأَبَ وَالنَّسْلاَ
إِذَا نَسَبُوهَا فَالتَّنُوفَةُ أُمُّهَا ... وَوَالِدُهَا مَاءُ الغَمَامِ إِذَا انْهَلاَّ
وَمَا عَلِمَتْ يَوْماً غِذَاءً وَإِنَّمَا ... أَعَارَ لَهَا الأَعْضَاءَ سَائِسُهَا فَتْلاَ
وَقَدْ ضَمُرَتْ حَتَّى اغْتَدَتْ مِنْ نُسُوعِهَا ... فَلَوْ عَرَضَتْ لِلشَّمْسِ مَا أَسْقَطَتْ ظِلاًّ
وَمَا فِي قَذَاهَا قَدْرُ مَقْعَدِ رَاكِبٍ ... وَلَكِنَّهَا سَاوَتْ مِسَاحَتُهَا الرِّجْلاَ
لِتَبْلِيغِهَا المُضْطَرَّ تُدْعَى بِبَلْغَةٍ ... وَإِنْ قِسْتَ بِالتَّشْبِيهِ سَمَّيْتَهَا نَعْلاَ
سَأَشْكُرُهَا جُهْدِي وَأُثْنِي بِفَضْلِهَا ... فَقَدْ بَلَّغَتْنِي خَيْرَ مَنْ وَطِىءَ الرَّمْلاَ
مَلِيكاً كَأَنَّ الشَّمْسَ فَوْقَ جَبِينِهِ ... وَلَيْثَ الشَّرَى فِي دِرْعِهِ حَامِلاً شِبْلاَ
إِذَا رَامَ أَمْراً لَمْ يَخَفْ فِيهِ مِنْ عَسَى ... وَإِنْ قَالَ كُنْ لَمْ يَخْشَ فِي غَرَضٍ مِنْ لاَ
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ فِي اللهِ هَمَّهُ ... فَيُجْرِي لَهُ فِي ذَلِكَ القَوْلَ وَالْفِعْلاَ

وللفقيه الغساني المذكور، كذلك قصيدة في الخليفة المامون يصف سيلا دخل عليه [263]:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الذِي قَدْ أَشْرَقَتْ ... أَقْطَارُ رَيَّةَ مِنْ سَنَاهُ وَنُورِهِ
يَا مَنْ يُرِينَا الشَّمْسَ فَوْقَ جَبِينِهِ ... حُسْناً، وَلَيْثَ الغَابِ فَوْقَ سَرِيرِهِ
وَإِذَا الزَّمَانُ رَأَى رَجَاحَةَ عَقْلِهِ ... صَرَفَتْهُ عَنْ تَهْلاَئِهِ وَتَبِيرِهِ
عُذْراً لِوَادٍ أَمَّ قَصْدَ مَقَامِكُمْ ... كَدِراً، وَحُسْنُ الزَّوْرِ فِي تَكْدِيرِهِ

عَجْلانَ مُخْمَرُّ الأَدِيمِ كَأَنَّمَا ... غَلَبَ الحَيَاءُ عَلَيْهِ عِنْدَ خُطُورِهِ

يَحْكِي الحَوَامِلَ بِاضْطِرَابِ فُؤَادِهِ ... قَلَقاً، وَعَدْوَ الأَيْمِ عِنْدَ مَسِيرِهِ

سَيُرِيكَ مَتْنَ السَّيْفِ عِنْدَ صَفَائِهِ ... جَرْياً، وَسَرْدَ الدِّرْعِ عِنْدَ فُتُورِهِ

وَافَى يُقَبِّلُ فِي الثَّرَى إِذْ لَمْ يُطِقْ ... تَقْبِيلَ كَفٍّ تَزْدَرِي بِنَمِيرِهِ

وَيَرُومُ يَقْضِي بَعْضَ حَقِّكُمُ الَّذِي ... عَجَزَتْ أُولُوا الأَفْهَامِ عَنْ تَعْبِيرِهِ

مُنِعَ الكَلامَ وَقَدْ تَعَيَّنَ شُكْرُكُمْ ... فَأَتَاكَ يُعْرِبُ عَنْهُ صَوْتُ خَرِيرِهِ

عبد الواحد الرشيد بن ادريس المامون

وفي دولة عبد الواحد الرشيد قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[264]:

ثم تولى الملك خير ماجد ❀ ولده الرشيد عبد الواحد

فجاءه يحيى يروم حربه ❀ والدهر قد أزال عنه حزبه

فعاد يحيى خاسراً مهزوما ❀ لم يستطع فى بلدة لزوما

فى فج عبد الله لاقاه الحمام ❀ فخر مقتولا بأطراف الحسام

ثم بقى الرشيد كالرشيد ❀ مستصحباً لرأيه الرشيد

فى غبطة وهدنة وعيش ❀ ما ان مضى لثائر بجيش

عشرة أعوام كذا أقاما ❀ وقد لقى فى قصره المراما

فى عهده جاءت بنو مرين ❀ وظهروا فى الغرب كالجنون

حتى اذا ما هلك الرشيد ❀ كان لهم فى غربنا تمهيد

فقيل مات وسط نهر سابحاً ❀ فى قصره وقيل مات طافحاً

علي السعيد بن ادريس المامون

وفي دولة عبد الواحد الرشيد قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[265]:

لما غدا فى قبره الرشيد ✿ قام أخوه بعده السعيد

لم تستقم أموره بالغرب ✿ لأنه لاقى أشد الحرب

نغصه فيه بنو مرين ✿ اذ أخذوا مكناسة الزيتون

وأمره وأمرهم أذكره ✿ فى رجزى فافهم اذا تبصره

مع أبى بكر بن عبد الحق ✿ ذكرته وقتله فى الشرق

فى عام ستة وأربعينا ✿ ذاق السعيد بالظبا المنونا

وانتهبت زناتة ما جمعا ✿ وفر من جاء له متبعا

وأخذت مكناسة وفاس ✿ من بعده فحزنها أعراس

وهكذا الأيام فافهم دول ✿ وما على أحوالها معول

عمر المرتضى بن إسحاق بن يوسف الأول

وفي دولة عمر المرتضى قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[266]:

فبايعوا بعد السعيد المرتضا ❀ لما قضى الدهر عليه ما قضا
وكان ذا زهد يحب الفقرا ❀ وطبعه الى السماع قد جرا
وكان مشغوفاً بتنميق البنا ❀ ما ان له عن البناء من غنا
أراد لما بايعوه الحربا ❀ مع مرين كي يحوز الغربا
فجاء في وجد لأغلانا ❀ فكان من خسرانه ما كانا
لم يستطع من بعده أن يقدما ❀ على الحروب بعد ما قد هزما
كم قد أباد من وفود العرب ❀ في قصره وفيهم لم يذنب

ادريس الواثق بن محمد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن

وفي دولة ادريس الواثق المدعو بأبي دبوس قال الشاعر عبد العزيز الملزوزي[267]:

لما أميت بالحسام المرتضا	❀	نال أبو دبوس كل ما ارتضا
ورجعت مراكش فى حكمه	❀	وقطرها قد حازه بحزمه
ووجد الأموال والذخائرا	❀	فى قصره فجمع العساكرا
وظل يدعو كل نجد فارس	❀	وكل ليث بطل ممارس
وصار يعطيهم عطاء وفرا	❀	ليملك الملك ويعطى الأمرا
وحدثته نفسه الأماره	❀	أمراً به جهلا رأى دماره
حتى أباد كل ما خلا عمر	❀	ولم ينل من كل ما يرجو وطر
أقام فى الملك ثلاثة سنين	❀	محاصراً تنهره بنو مرين
حتى رأى من بأسهم ما يذكر	❀	وقتله وحاله لا ينكر
عام ثمان بعد ستين مضت	❀	من بعد ستمئة قد انقضت
لاقى أبو دبوس يوم وعده	❀	ولم يقم فيهم فتاً من بعده
وانقرضت دولة عبد المومن	❀	من غربنا وحالهم لم يؤمن

ومن أشعار التهنئة والاستعطاف بمناسبة دخول الواثق بالله مراكش وضفره بالخلافة، قول أبي الحسن الرعيني[268]:

أســــيّدَنا ومولانـــــا والاوْلى بنـــا وخليفـــةَ الـــرّحمنِ فينـــا

وظـــلَّ الله مَـــن يَـــأوي إليـــهِ ينـــالُ أمانَـــهُ دُنيـــا ودينـــا

أتيتُـــكَ مُـــستغيثًا مـــستعينًا وشـــأنُك أن تُغيـــثَ وأن تُعينـــا

فإنّـــك رحمـــةُ الله التـــي قـــد تعارَفَهـــا جميـــعُ العالَـــمينا

ومـــا لي ملجـــأٌ إلّا إيـــادٍ تَعاهَـــدْنا بهـــا حينًـــا فحينـــا

إذا مـــا الخَطـــبُ أعـــضَلَ منـــه داءٌ وكـــان الأمـــرُ يقطَـــعُ بي الوَتِينـــا

رجـــوتُ اللهَ عـــزَّ وجَـــلّ فيـــهِ وفـــضلَكَ يـــا أمـــيرَ المؤمنينـــا

الباب الثاني:

الأمراء الموحدون

الأمير محمد بن عبد المؤمن بن علي

وللشاعر ابن الشواش الشلبي في بيعة هذا الأمير بمراكش قصيدة[269] :

أهاب به داعي الحياةِ مثوِّبا فبادره واستنجد الريحَ مركبا
وأزمع يقتادُ الهوى في مراده وينحو سحابَ الخير حيث تسحّبا
بحيثُ غمامُ السعدِ ينشأُ حافلاً فيَهْمُلُ دفّاقاً وينهلُّ صيِّبا
وتنبعث الأنوارُ من مَطلع الرضى فتوضِحُ للحيران نهجاً ومذهبا
أقول لِوَفْد الخيرِ إذ جَدَّ جِدُّهم وقد جُشِّموا الأهواءَ شأواً مغرِّبا
وشرّفهم قصدُ الإمام فجرّروا على عاتقِ الجوزاءِ ذيلاً مسحَّبا:
هُدًى لمطاياكم فإنّ سبيلها أبرُّ سبيلٍ مقصداً وتطلُّبا
سيبدو لكم عن سيركمْ عَلَمُ الهدى ويوري لكم زَنْدُ السعادةِ مثقبا
أرى جبلاً من رحمة اللّه خاشعاً يخفُّ له رَضْوَى إذا عقَد الحُبا
تصوَّرَ شخصاً رُكِّب البأسُ والندى صريحين فيه للعلا فتركّبا
فلولا ندًى في راحتيه تلهّبا ولولا استعارُ البأس فيه تسرّبا

ومما قاله صاحب البيان المغرب[270] :

{ووفد وفد إشبيلية في جملة من وفد وورد، وفيهم القاضي أبو موسى عيسى بن عمران رحمه الله تعالى، فأنشد في معنى التحريض على البيعة للسيد أبي عبد الله ابن الخليفة عبد المؤمن، وهي:

طَـــال انتظَـــارُ العالَـــمينَ لبيعـــةٍ فقلـــوبُهمْ كالنــــار مــــا لم تُعْقَــــدِ
فلَيُورِيَنْــــكَ اللهُ بعـــــدَ تمامِهـــــا عُمْــرًا يَطُــولُ بنَـصْر ديــن محمـدِ
إنْ قيل مَن للأمـر واحتَفَـل الـوَرى لَأجـابَ كـلٌّ بـالجوابِ الأقـصدِ
أنّ الخلافـــةَ قـــد تَبَـــيَّن نورُهـــا للنــاظرينَ عــلى جَبــين محمــدِ
ذاك الـذي أعْطَتْـك كُنيـةَ إسـمِه ليَحُــوزَ أكــرمَ غايـــةٍ للـسُّؤدَدِ
فَـرْعٌ غَـذاهُ العلـمُ مـن لَـدُ نـشأةٍ حتى استَوى وغدا منـارَ المهتَـدي
ما عُذرُ مَـن فـوقَ الكواكـبِ أصلُهُ ألا ينـــالَ العلـــمَ أخـــذًا باليـــدِ

الأمير أبو عمران بن عبد المؤمن

هذا الأمير أبو عمران الذي كان قد استخلفه أخوه يوسف على مراكش فاعتل وغاب ثلاثة أيام لم يره أحد، فكتب إليه القاضي أبو يوسف حجاج[271]:

يغـيـب البدر يـومـا ثـم يبدو وأنـت تغيب عـن عيني ثـلاثـا
لـئـن بلغت ثـلاث لـم أراكـم فلسـت بـمـدرك يـوم الـثـلاثا

فأجابه السيد أبو عمران بديهة :

أتـتـنـا منـكـم درر فحلت عجالى أوجبت منا انبعاثـا
ولولا العذر من سبب قــوي لسرنا نحوكم حتـمـا حثاثـا
ولكـنـي أسـيـر بـحـال ود اليكم مصبحا يوم الثلاثـا

وفي مدة إقامة أبي عمران بحضرة مراكش أميرا توالى القحط وامتنع الغيث مدة شهرين، تم من الله بالغيث ، فقال[272] :

وغَيْثٍ هَمَى فوقَ مَتْنِ الرُّبَى فشبَّهتُه جُودَ أهلِ السيادهْ
أتانا على رغبةٍ فانثنى وقد بَلَغ الكلُّ منّا مُرادَهْ

ومن شعره أيضا والذي كتب به إلى أخيه السيد أبي زكريا يحيى الذي كان صاحب بجاية:

مَن ساد وهْو صغيرٌ كيف تحسَبُهُ يُبقيه ربِّي إذا ما كان في الكِبَرِ
ومن يقولُ أميرُ المؤمنينَ أبي فتِلكمُ الغايةُ القصوى لمفتخرِ
أضحَتْ بِجَايةُ في التمثيل هالتَهُ وظَلَّ يطلُعُ فيها مُشبِهَ القمرِ
بدرٌ بلا كُلَفٍ، درٌّ بلا صَدَفٍ ماءٌ بلا كدرٍ نارٌ بلا شَرَرِ

الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن

وهذه الأديبة الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية الغرناطية، تهنأ أمير غرناطة أبا سعيد بيوم عيد[273] :

يأذا العلى وابن الخليفة والإمام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في قيد الانابة والرضى
ليعيد من لذاته ما قد تصرم وانقضى

وفي حديث دار بين الأمير أبي سعيد ووزيره الشاعر أبي جعفر بن سعيد، حيث قال له الأمير[274]:

ما أنت إلا حسن الفراسة وافر العقل، فقال:

نسبتم لمن هذّبتموه فراسةً وعقلاً ولولاكم لَلازَمه الجهلُ
وما هوَ أهلٌ للثّناء وإنّما علاكم لتقليد الأيادي له أهْلُ
وما أنا إلا منكمُ وإليكمُ وما فيَّ من خيرٍ فأنتم له أصلُ

وقال :

ولمّا رأيتُ السعدَ في صفحِ وجهه منيراً دعاني ما رأيتُ إلى الشكرِ
وأقبلَ يُبْدي لي غرائبَ نُطقه وما كنتُ أدري قبله منزعَ السحرِ
فأصغيتُ إصغاءَ الجديبِ إلى الحَيا وكان ثنائي كالرياضِ على القَطْرِ

ومما أنشده الشاعر المذكور في رحلة صيد له مع أصدقائه تعريضًا بالأمير أبي سعيد هذه قصيدة[275]:

ويومٍ تَجلّى الأفقُ فيهِ بعنبرٍ من الغيم لُذْنا فيه باللهو والقَنَصْ
وقد بقيَتْ فينا من الأمسِ فضلةٌ من السكر تُغرينا بمنتهب الفُرَصْ
ركبنا لهُ صبحاً وليلاً وبعضُنا أصيلاً وكلٌّ إن شدا جلجلٌ رقصْ
وشُهبٍ بزُاةٍ قد رجمنا بشُهْبها طيوراً يساغُ اللهوُ إن شكتِ الغصصْ
وعن شفقٍ تغري الصباح أو الدجى إذا أوثقت ما قد تحرّك أو قمصْ
وملنا وقد نلنا من الصيدِ سؤُلنا على قَنَصِ اللذاتِ والبردُ قد قرصْ
بخيمــةِ ناطورٍ توسّطَ عذبَهــا جحيمٌ به من كان عذّبَ قد خلصْ
أدرنــا علَيْــهِ مثلَهُ ذهبيــةً دعتهُ إلى الكبرى فلم يجب الرخصْ
فقل لحريصٍ أن يراني مقيّــداً بخدمته لا يُجْعل البازُ في القفصْ
وما كنتُ إلا طوعَ نفسي فهل أرى مطيعاً لمن عن شأوِ فخريَ قد نقصْ

فكان في أصحابه من حفظ هذين البيتين، ووشى بهما إلى الأمير فزاد من التضييق عليه، وحرص على إهانته والحط من قدره، للدرجة التي دفعت الشاعر الوزير إلى القول[276]:

مَنْ يشترى منى الحياة وطيبَها ووَزارتى وتأدُّبى وتهــذُّبى
بمَحلٍّ راعٍ فى ذُرَى مَلْمُومة زُويت عن الدنيا بأقصى مَرْتَب
لاحُــكْمَ يأخذُه بها إلا لِمَن يعْفُو ويرؤُف دائماً بالمذْنب
فلقد سَئِمْتُ من الحياة مع امرىءٍ مُتغضِّبٍ متغلِّبٍ مترتِّبِ
الموتُ يلحظُنى إذا لاحظتُه ويقُوم فى فــكرى أوان تجنّبى
لا أهتدى مع طول ما حاولته لرضاه فى الدنيــا ولا لِلْمَهْرَب

وهذا الشاعر أبو الوليد إسماعيل بن عبد الدائم والذي كان مداحا لأبي سعيد بن عبد المؤمن ومن شعره يمدح قوله[277]:

السّعْدُ يُدنى كلَّ شيء رُمْتَهُ وبناوُه هيهاتَ أنْ يَتَهَدّمَا
والجودُ يَجْذِبُ كلَّ مَنْ أبْصَرْتَهُ لا تنكرَنْ حَوْلَ الموارِدِ حُوَّمَا

وهذا الشاعر عبد العزيز بن الطراوة يمدح الأمير بقصيدة مطلعها[278]:

لا تَسْقِنى الكأس إلا من دم البَطَلِ ولا تُغَنِّ بغير البِيض والأَسَلِ
قد كنت أثنى من الآمال جامحةً فعند ما لحتَ لِى لم يبق من أملِ
وكان شُغْلِى بهذا الدهر مــذ زمنٍ فليس لى الآنَ غيرُ المَدْح من شُغُلِ

وهذا قول الإمام العالم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي في السيد الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن من قصيدة[279]:

الدِّينُ يُشْرِقُ وَالأَيَّامُ تَبْتَسِمُ وَالدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ، وَالْخَطْبُ مُحْتَشِمُ
وَدَوْلَةُ الحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ قَدْ وَضُحَتْ لَهَا بَشَائِرُ زَاحَتْ عِنْدَهَا الغُمَمُ

ومنها في المدح:

السَّعْدُ يَقْدِمُهَا وَالنَّصْرُ يَخْدُمُهَا مَا حَازَ مَقْدَمَهُ إِلاَّ هَمَتْ نِعَمُ

ومنها:

وَلاَ تَيَمَّمَ أَرْضاً حَشَّمَتْ وغَرَتْ إِلاَّ هَمَى فَوْقَهَا مِنْ سَيْفِهِ نِقَمُ
سَيْفٌ نَضَاهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، مَتَى يَرْمِ العِدَى بِحُسَامٍ مِثْلِه هُضِمُوا
وَكَوْكَبٌ فِي سَمَاءِ المَجْدِ أَطْلَعَهُ تَنْجَابُ عَنْ أُفْقِهَا مِنْ نُورِهِ الظُّلَمُ
وَهُوَ الغَمَامُ الذِي يَغْشَى البِلاَدَ وَلَمْ تَرْحَلْ إِلَيْهِ فَتَهْمِي نُزْلَهَا الدِّيَمُ

ومنها:

يُدْنِيهِ مِنْ كُلِّ ذِي أَرْضٍ تَوَاضُعُهُ وَفَوْقَ هَامَةِ كِيوَانٍ لَهُ قَدَمُ
لَوْ كَانَ مُنْقَسِماً مِنْ رَأْفَةٍ مَلِكٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ أَضْحَى وَهْوَ مُنْقَسِمُ

ومنها:

هَذَا ابْنُهُ، وَهْوَ بَعْضٌ مِنْهُ خُصَّ بِهِ هَذِي الجَزِيرَةَ كَيْ تُحْمَى بِهِ الْحُرَمُ
مَا إِنْ رَأَوْا قَبْلَهُ مِنْ كَعْبَةٍ قَصَدَتْ حُجَّاجَهَا، وَلَهُمْ مِنْ ظِلِّهَا حَرَمُ
كَأَنَّ سَيْبَ نَدَاهُ مَاءُ زَمْزَمِهَا وَكَفُّهُ الرُّكْنُ إِذْ يُغْشَى وَيُسْتَلَمُ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ ذَا وَدٍّ مُسَاهَمَةٌ ظَلَّتْ عَلَيْهِ بِقَاعُ الأَرْضِ تَسْتَهِمُ

ومن شعره كذلك:

العَوْدُ أَحْمَدُ مِنْ بَدْءٍ حَلاَ فَعُدِ إِلَى المَدَائِحِ فِي قُرْبٍ وَفِي بَعَدِ
عُدْ لاِنْتِدَاحِ أَمِيرٍ مَا يُكَافِئُهُ فِي الفَضْلِ بَعْدَ أَبِيهِ الخَيْرُ مِنْ أَحَدِ
أَبِي سَعِيدٍ حَلِيفِ السَّعْدِ لَمْ تَرَهُ إِلاَّ رَأَيْتَ لَدَيْهِ السَّعْدَ فِي صُعُدِ
وَالدَّهْرُ حِينَ رَأَى أَنْوَارَ دَوْلَتِهِ أَغْضَى وَأَدْبَرَ يَشْكُو عَامِدَ الرَّمَدِ
سَيْفٌ نَضَتْهُ يَدُ المَيْمُونِ طَائِرُهُ سِهَامُهُ الشَّوْكُ زَجْرَ اللَّيْثِ لِلنَّقَدِ
تَضَعْضَعَتْ عُصَبُ الإِشْرَاكِ نَافِرَةً وَلاَ قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ

وهذه موشحة قالها ابن هرودس في السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن، منها[280]:

يَسْمَعِ صوتٍ وَنَقْرِ عُودِ مِنْ كفٍّ خُودِ
مدحُ الأَميرِ الأَجَلِّ أَوْلى
السيِّدِ الماجدِ المُعَلَّى
تاجِ الملوكِ السنيِّ الأعلَى
أفضلِ من سار بالجنودِ تَحْتَ البُنودِ
أكْرِمْ بِعَلْيَاه من هُمامِ
إمامُ هَدْيٍ وابنِ الإمامِ
مُبَدِّد الرومِ بالحُسامِ
يَعْقِدُ في هامةِ الأسودِ بِيضَ الهُنُودِ
لله يومٌ أَغَرُّ زاهرْ
قد حلَّ بالأندلُوس آمِرْ
قالوا وقد وافَتِ البشائرْ
بالملك السيِّدِ السَّعِيدِ أبي سعيدِ

وهذا قول أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكتندي يرثي الأمير أبو سعيد بن عبد المؤمن بمطلع قصيدة استحسنها أهل غرناطة[281] :

يَذْهبُ المُلْكُ ويَبْقَى الأَثَرُ هذهِ الهالَةُ أيْنَ القَمَرُ

الأمير عمر بن عبد المؤمن

وهذا الشاعر ابن مجبر يمدح السيد عمر بن الخليفة عبد المؤمن، ويصف جودة خط يده في البيتين الأخيرين[282]:

هَلْ زِيدَتِ الشَّمْسُ لِلأَنْوارِ أَنْوارا؟ ... أَمْ عادَتِ الشُّهْبُ فِي الأَفْلاكِ أَقْمارا؟

أَمْ أُعْطِيَ الدَّهْرُ نُوراً غَيْرَ نُورِهِما؟ ... فَإِنَّ لِلّهِ فِي المَعْهُودِ أَسْرارا

لَيْسَ الضِّيَاءُ الذي قد كُنْتُ أَعْهَدُهُ ... بَلْ زادَ حَتّى وَجَدْتُ الوَهْمَ قَدْ حارا

ما ذاكَ إِلّا لِأَمْرٍ كُلُّهُ عَجَبٌ ... قَدْ أُعْطِيَ الدِّينُ مِنْهُ فَوْقَ ما اخْتارا

بُرْءُ الأَميرِ أَبي حَفْصٍ تَداخَلَنا ... سُرُورُهُ فَرَأَيْنا النُّورَ أَنْوارا

تَبُثُّ يُمْناهُ زَهْراً فِي الطُّرُوسِ وَلا ... نُكْرَ عَلَى السُّحْبِ أَنْ يُنْبِتْنَ أَزْهارا

خَطٌّ هُوَ السِّحْرُ لا كُنّا نُنَزِّهُهُ ... وَنَجْعَلُ القَلَمَ النَّفّاثَ سَحّارا

الأمير يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن

وبخصوص قصر السيد أبي يحيى بن يوسف بقرطبة. وقد قيل للسيد أبي يحيى : كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة؟ فقال: علمت أنهم

لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قد، لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية، فأحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمهم.

و قد أنشده لنفسه في هذا القصر،شاعر الوادي آش ناهض بن ادريس[283]:

الا حبذا القصر الذي ارتفعت به ... على الماء من تحت الحواجب أقواس
هو المصنع الأعلى الذي أنف الثرى ... ورفعه عن لثمه المجد والناس
فاركب متن النهر عزا ورفعة ... وفي موضع الأقدام لايوجد الراس
فلا زال معمور الجناب وبابه ... يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

الأمير أبو حفص عمر بن يوسف بن عبد المؤمن

وفي السيد أبو حفص عمر قال أبو حريز محفوظ بن مرعي الشريف من قصيد[284]:

وَفَدَ الرَّشِيدُ فَعَزَّ دِينُ مُحَمَّدٍ ... وَتَقَابَلَتْ مِنْهُ نُجُومُ الأَسْعُدِ
بِقُدُومِهِ فَقَدَ النَّصَارَى فُلْشَهُمْ ... وَأُذِيلَ جَاهُ بَنِي الغُرَابِ الأَسْوَدِ
فَتَرَى زَعِيمَ القَوْمِ يَنْظُرُ ذِلَّةً ... نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ العُوَّدِ

و له أيضا فيه:

وَفَدَ الرَّشِيدُ لِشَرْقِنَا فَتَهَلَّلا ... وَرَأَى بِهِ الإِسْلَامُ مَا قَدْ أَمَّلَا
نَقِيَتْ بِهِ تُدْمِيرُ مِنْ أَخْلَاطِهَا ... فَكَأَنَّمَا شَرِبَتْ دَوَاءً مُسْهِلَا

ولأبي عمرو عثمان بن بدل الشريف المكي فيه[285]:

أَشَمْسُ ضُحىً فِي قُبَّةِ العِزِّ أَمْ بَدْرُ   أَشَخْصٌ أَرَاهُ بَيْنَ عَيْنَيَّ أَمْ بَحْرُ؟

أَنُورُ الهُدَى أَمْ نُورُ وَجْهِكَ إِذْ بَدَا   فَأَشْرَقَ مِنْهُ الرَّوْضُ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ؟

وَأَحْيَيْتَ أَرْضًا مَيْتَةً إِذْ وَطِئْتَهَا   فَأَخْصَبَ مِنْهَا الجَدْبُ فَالسَّهْلُ وَالوَعْرُ

بَرَزْتَ لَنَا فِي العِيدِ فَالعِيدُ قَدْ زَهَا   بِكُمْ وَالمُصَلَّى قَدْ زَهَا وَزَهَا النَّحْرُ

وَحَفَّتْكَ يَا نَجْلَ الخَلِيفَةِ خَمْسَةٌ   بِهِنَّ تُضِيءُ الشَّمْسُ وَالأَنْجُمُ الزُّهْرُ

حَيَاءٌ وَحِلْمٌ ثُمَّ عِلْمٌ وَسُؤْدَدٌ   وَجُودٌ يُضَاهِي القَطْرَ بَلْ دُونَهُ القَطْرُ

وَقَائِلَةٍ أَمْسَيْتَ مِنْ أَرْضِ مَكَّةٍ   بَعِيدًا فَلَا أَهْلٌ لَدَيْكَ وَلَا تِبْرُ

فَقُلْتُ لَهَا كُفِّي المَلَامَ وَأَقْصِرِي   فَقَصْدِي أَمِيرٌ دُونَ أَخْمَصِهِ النَّسْرُ

أَبُو حَفْصٍ النَّدْبُ الرَّشِيدُ الَّذِي لَهُ   سَحَائِبُ جُودٍ جَوْدُهَا أَبَدًا هَمْرُ

الأمير عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن

ومما ينسب إلى السيد عبد العزيز بن يوسف من شعر قوله[286]:

وَقَفْتُ فِكْرِي عَلَى نَظْمٍ لَوِ انْصَرَفَتْ   عَنْهُ عَوَائِقُهُ مَا كَانَ نَاظِمَهُ

لِلشِّعْرِ تِيهٌ ضَلَلْنَا فِي مَجَاهِلِهِ   لَوْ لَمْ يَكُنْ نَاصِباً فِيهِ مَعَالِمَهُ

يَا أَوْحَدَ العَصْرِ هَبْنِي قُلْتُ مَا سَمَحَتْ   بِهِ القَرِيحَةُ، فَاجْعَلْ لِي تَمَائِمَهُ

سَلِّمْ عِنَادَكَ تَسْلَمْ مِنْ تَوَابِعِهِ   فَلَيْسَ يَسْلَمُ إِلاَّ أَنْ تُسَالِمَهُ

الأمير أبو العلاء بن يوسف بن عبد المؤمن

ذكر صاحب الحجب المستورة[287] أنه حكي عن أبي زكرياء يحيى بن مكي، كاتب أبي العلاء أخي أمير المؤمنين أبي يوسف المنصور، قال لأبي بكر بن مجبر هذا:

{نظمت قصيدة مقصورة الروي أمدح بها السيد أبا العلاء، وأعجزني روي بيت واحد منها، فما أدري كيف أتممه ؟

فقال أبو بكر: أنشدنيه، فأنشده قوله:

سَلِيلُ الإمَـــــامِ، وَصِنْــــوُ الإمَـــــامِ
وَعَـــمُّ الإمـــــــــــــام.....................

فقال له من غير روية ولا تفكر قل: "ولا منتهى" فوضعه ابن مكي في قصيدته على ما تممه له أبو بكر، ولم يأت في قوافي قصيدته أشد تمكنا منه.}

الأمير أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن

وفي السيد أبي إسحاق قال مطرف التجيبي[288]:

سعد كما شاء العُلا والفَخارْ تصرّف الليل به والنهارْ
ما دانت الأرض لكُمْ عَنْوَةَ وإنّما دانت لأمر كُبارْ
مهدتمُوها فصفـــا عيشها واتصل الأمْنُ ، فنعم القرارْ

وعندما وفد الشاعر المالقي أبو علي الحسن بن كسرين على الأمير أبي إسحاق، أنشده قصيدة منها هذا البيت المذكور[289] :

قسَماً بحمصٍ إنّه لعظيمُ ... فهي المقامُ وأنْتَ إبراهيمُ

الأمير سليمان بن عمر بن عبد المؤمن

وهذا الوزير أبو محمد بن حامد يمدح الموحدين والسيد سليمان بن عمر بن عبد المؤمن بقصيدة[290]:

أَلسَّعْدُ طَيَّ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... وَالنَّصْرُ زَرْعُ مُهَنَّدٍ وسِنَانِ
والأَمْرُ مَحْمِيُّ الذِمارِ تَحوطُهُ ... بِيضُ الظُّبَا وعِنَايَةُ الرَّحمانِ
ومُؤَيَّدٍ مِن قَيْسِ عَيْلَانَ الأُلى ... هُمْ رَوْضَةُ الجَانِي وعَوْدُ الجَانِي
مَلِكٌ بَنَى بِالْمُرْهَفَاتِ عَلَاءَهُ ... أَفَتَهْدِمُ الأَيَّامُ مَا هُوَ بَانِ ؟
السَّيِّدُ الأَعْلَى سُلَيْمَانُ الرِّضَى ... سِبْطُ الإِمامِ الْمُرْتَضَى وَكَفَانِي
مَلِكٌ إذا انْتَدَبَ المُلوكُ لِمَفْخَرٍ ... فَنِعَالُهُ تُرْبِي على التِيجَانِ
يُذْكُونَ نِيرَانَ الوَغَى فَتَخَالُهَا ... أَعْلَى الرُّبَا بِقَرارَةِ الغِيطَانِ
وَتَرَى السُّيُوفَ جَداوِلًا تَقْنَى بِهَا ... بِيضُ الدُّروعِ وهُنَّ كَالغُدْرَانِ
فَانْهَضْ بِتَأْيِيدِ الإِلَاهِ وعَوْنِهِ ... مَنْصُورَ رَايَاتٍ مُعَظَّمَ شَانِ
ومُطَاعَ أَمْرٍ إِنْ تَقُلْ لِلنَّجْمِ قِفْ ... فِي رَجْمِهِ خَلَّى عَنِ الشَّيْطَانِ

الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن

وهذا قول الكاتب محمد بن عبد ربه في السيد أبي الربيع، والذي ذكره صاحب المعجب حين قال[291]:

{وأخبرني ابن عبد ربه هذا قال: دخلت على السيد أبي الربيع وهو في قبة له وقد دخلت عليه الشمس من كُوًى صغار في أعلاها، فلما رأيت ذلك المنظر أعجبني وقلت بديهًا:

لمّا رَأتْهُ الشمسُ يفعلُ فِعْلَها ... في العَالمين مُقاسِماً ومُسَاهِما
خَافتْ تَوالي الجُودِ يُنْفِدُ مالَهُ ... نَثَرتْ عليْه دَنانِراً وَدَراهِما!

...}

ومما قاله السيد أبي الربيع في جارية اسمها ألوف[292]:

خليليَّ قولا أين قلبي ومَنْ به ... وكيفَ بقاء المرء مِن بَعد قلبهِ
ولو شئْتُما إسمَ الذي قَدْ هويتُهُ ... لصحَّفتما أمري لكم بعد قلبهِ

وله الأبيات المشهورة التي منها :

أقول لركب أدْلَجوا بسُحَيْرة ... قِفُوا ساعةً حتى أزورَ ركابَها
وأملأ عَيْني من محاسنِ وجهها ... وأشكو إليها أن أطالَتْ عتابها
فإن هي جادتْ بالوصالِ وأنعمتْ ... وإلاّ فحسبي أن رأيتُ قِبابَها

وله في الطيف[293] :

يَا أَيُّهَا الطَّيْفُ خَبِّرْ   مَا لِلْحَبِيبِ لَدَيْنَا

وأقرَ السَّلام عَلَيْهِ   مِنَّا وَمِنْه إِلَيْنَا

وَقُلْ لَهُ غَابَ قَلْبِي   وَأَنْتَ تَعْلَم أَيْنَا

فَازْدُد عَلَيّ فُؤادِي   يَا أَمْطَلَ النَّاس دَيْنَا

وله في صفة الروض [294] :

تَنَبَّه تَرَى دِيمَةً تُمْطِر   وَوَجْهُ الصَّبَاحِ لَنَا يُسْفِر

وَكَالنَّدِّ لَكِن كَافُوره   بَدَا فيه واكْتَتَمَ العَنْبَرَ

عَلَى حِين فَلَّ الدُّجَى مُدْبِر   وَلِلصُّبْح فِي أَثَرِه عَسْكَر

وَبَيْنَ الغَمَام وَمَمْطُورِه   مِنَ الرُّوضِ كَالحَرَبِ أَوْ أَكْثَر

وله في فسقية:

انْظُر إِلَيْها وَقَد سَالَت جَوَانِبُها   بِالمَاء سَيْلاً خَفِيفاً دَمْعُه يَكِف

كَأَنَّها مُقْلَتِي يَوْمَ الوَدَاع وَقَد   لَاحَ الرَّقِيب فَلَا تَجْرِي وَلَا تَقِف

وله في التوبة والدعاء:

إِذَا مَا ذَكَرْتُ الله فَاضَت مَدَامِعِي

عَلَى كُلِّ مَا فرطت فَيْض السَّحَائِب

وَذِكْرُ يَوْم الحَشْر إن جِئْتَه غَدًا

وَذَنْبِي مَعِي والذَّنْب أَخْبَث صَاحِب

وَلَكِن أَرْجِي الله فِي كُلّ حَالَة

وَأَخْشَى بِمَا قَدَّمْت سُوء العَوَاقِب

فَـيَـا خَـيْـر مَـن يُـدْعَـى لِـكُـلٍّ مَـلَـمَّـة

وَأَكْـرم مَـن يُـرْجى لِـنَـيْـل الـرَّغَـائِـب

أَقِـل عَـشْـرتـي إنـي أَتَـيْـتُـك تَـائِـباً

وَلَـيْـس مُـقِـيـم فِـي الـذُّنُـوب كَـتَـائِـب

وقال ابن حمويه في رحلته المغربية[295] :

{قال لي الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني: دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة، وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس، ويقول :

ولا غروَ أن كانت رؤوسُ عداتِهِ جواباً إذا كان السيوفَ رسائلُه

...}

الأمير إبراهيم بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

و للشاعر ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني الكانمي، قصيدة في السيد إبراهيم بن الخليفة يعقوب بن الخليفة يوسف[296]:

مـا بَعْـدَ بَـابِ أبـي إسْحَـاقَ مَنْـزِلَـةٌ يَسْمُـو إلَيْهَـا فَتًـى مِثْلـي وَلاَ شَـرَفُ

أبْعَـد مـا بَـرَكَـتْ عِيسـى بِسَـاحَتِـهِ وَصِـرْتُ مِـنْ بَحْـرِهِ اللُّجِّـيِّ أغْتَـرِفُ

هَمُّوا بِصَرْفِي وقَدْ أصْبَحْتُ مَعْرِفَةً فَكَيْفَ ذلِكَ وَاسمِي لَيْسَ يَنْصَـرِفُ

وفي مدحه يقول صاحب المعجب أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي[297]:

لَكُمـو علـى هـذا الـوَرَى التَّـقْـدِيـمُ وَعَلَيْهـمو التَّفْويـض والتسـليـمُ

اللّـه أعْـلاكُـمْ وَأعْـلـى أمْـرَهُ بِكُمـو وأنـفُ الحاسِـدين رَغِيـمُ

أحْيَيْتُـمو المَنْصُورَ فهـو كـأنه لـم تَـفْـتَـقِـدْهُ مَعـالـمٌ وعُـلـومُ

وَمَـحـابـرٌ وَمَـنـابـرٌ وَمَـحـارِبٌ وَجِـمًـى يُـحَـاطُ وأرْمَـلٌ ويـتـيـمُ

فَـكـأنـمـا حِـمْـصُ جَـمـالاً سَـارَةٌ وَكَـأنَّ إبـراهـيـمَ إبـراهـيـمُ

وَأرَى طُـلَـيْـطُـلَـةَ كَـهَـاجَـرَ إثـرَهـا سَيَـزُفُّـهـا الأدفُـنْـشُ وَهْـوَ ذَمِـيـمُ

يَـذَرُ الـصَّـلـيـبَ صَـغِـيـرَه وَكَـبِـيـرَه فـيـهـا جُـذاذاً والـعُـلـوجُ جـثـومُ

ويُـحـرِّقُ الأعـداءَ فـيـمـا أضـرمـتْ وَيَجُـوبُ نارَ الحرب وَهْي جَحِيمُ

الأمير موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن

قال صاحب الإحاطة عند حديثه عن السيد أبي عمران موسى[298] :

{...وكان أبو المطرف بن عميرة، ينشد له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن حريق يستحثه على نظم الشعر في عروض الخبب:

خُذْ فى الأَشْعار على الخَبَبْ فقُصُورك عنــه من العَجَب
هذا وبنُو الآداب قَضُـــوا بعُلُوٍّ مَجْدِك فى الرُّتَــب

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها:

أَبُعَيْد الشَّيب هَوَى وصَبَا كلَّا لا لهــوًا ولا لِعبــــا
ذرّت الستُّون بُرادَتَهـــا فى مِسْك عِذارِك فاشْتَهَبـا
يا نفس أَحيِي تصلى أَملاً عيشى روحيا تروى عجبـا
وخُذى فى شكر الكَبْرة ما لاح إلاصْباح وما ذَهَبـا
فيها أَحْرَزْتُ معارفَ مـا أُبْليتَ بجدّتـه الحِقبــا
والخمر إذا أُعْتِقَت وصَفَتْ أَعْلَى ثمناً منهــا عِنَبَــا
وبقيَّةُ عُمْر المرءِ له أَن كان بهـــا طَبًّــا دَرِبَـــا
هَبْنى فيهــا بإنابَتِــــه ما هدَّمـه أيـــــام صَبَا

{...

الأمير عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن

وهذا الأمير عبد الواحد يمدح الواعظ بن رشيد البغدادي لما ورد على مراكش من قصيدة[299]:

بحر ولكنه عذب جواهره ... أصدافها شقفتها منه أذهان

يبدي الجلي من الخفي منطقه ... كأن ألفاظه للسحر خزان

معنى رقيق ولفظ زانه زجل ... جزل يسدده للعقل برهان

تجمعت فيه أشياء محاسنها ... تفوق عدا إذا ما عد ديوان

إذا بدا صاعدا أدراج منبرو ... غارت عليه من الأبصار آذان

وإن تكلم غار العين من حسد ... فأعجب فيهما في ذاك شنآن

طورا يعلمنا طورا يخوفنا ... طورا يرجي فهذا الوعظ الوان

يا واعظا بهرت حسنا مواعظه ... عليك لازال للرحمان إحسان

أبو محمد عبد الله صاحب فاس

و من شعر السيد أبي محمد عبد الله في الفخر قوله[300] :

ألستُ ابنَ مَنْ تخشى الليالي انتقامَهُمْ ... وتَرْجو نَداهم غادياتُ السحائبِ

يخطّون بالخَطِّيِّ في حَوْمَةِ الوغى ... سطورَ المنايا في نحورِ المقانب

كتاباً بأطرافِ العوالي ونِقْسُهُ ... دمُ القلبِ مشكولاً بنضح الترائب

وما كنتُ أدري قبلَهُمْ أنَّ معشراً ... أقاموا كتاباً من نفوسِ الكتائب

الأمير أبو زكرياء

ومن قصيدة الأديب عيسى بن زنون الأندلسي، في مدح السيد أبي زكرياء، هذه الأبيات والتي يشير ناظمها إلى براعة الصنعة والتأنق، والاتقان الذي تحلا به حمام وخان جليلان بإحدى جهات الأندلس والذي كان قد بناهما السيد أبي زكرياء[301]:

قد كنت أحسب أن الحسن مسكنه ... في ثغر أشنب أو في جفن وسنان

حتى بصرت به والسحر يقسمه ... على السواء لدى الحمام والخان

تنافسا في بديع الصنع فارتقيا ... هضب التأنق في مرقاه اتقان

فذايتيـــه بتـــاج فوق مفرقـــه ... كانه هرمز في ملك ساسان

وذا عليه رواق لم يلـم به ... كسرى قحط ولم يلمح بإيوان *

ماء يسح بمصقول الرخام كما ... سحت على الخدد معامقلة العاني

حدا به السير فانقادت إبايته ... من بعدكم حلف حنث وإيمان

إن أكثر الناس مما أبصروا واعجبا ... حتى لظنوا به من صنعة الجان

فلست أعجب من بنى تكنفه ... من الخليفة سعد أنجد البـان

القسم الرابع:

الدولة المرينية

الباب الأول:

سلاطين الدولة المرينية

السلطان عبد الحق الأول المريني

ومما جاء في ذكر سيرة هذا السلطان، قول العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته المسماة رقم الحلل في نظم الدول، حيث قال[302]:

تبوّأ هذا الأمر عبد الحق أكرم من نال العُلى بحق

واستخلص الملك بحدِّ المرهف لسنِّ مجدٍ عظيم الشرف

وكان سلطانا عظيم الجود وصَدَقت رؤياه فى الوجود

فأعلى الأيام نورُ سَعده ونالها أبناؤه من بعده

ومما ذكره صاحب الذخيرة السنية في السلطان عبد الحق وذريته، ثلاثة أبيات وهي[303]:

اصل نما فى المكرمات ففرعه سام نداه بالمحامد مثمرا

هم آل عبد الحق حقا انهم ورثوا العلا والمجد اكبر اكبرا

اهل السيادة والرياسة والندى بسيوفهم حلوا الذرى منعوا الورا

وفي ذكر السلطان عبد الحق يقول شاعر دولتهم الأديب البليغ عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته نظم السلوك السالفة الذكر[304]:

وكان فى مرين عبد الحق ❀ ذا ورع قد حاز كل صدق
طعامه وشربه حلال ❀ وماله فى قومه مثال
رأى على طهارة منامه ❀ كانت دليل الملك والامامه
رأى كأن شعلة من نار ❀ منه علت فى سائر الأقطار
ثم احتوت على الجهات الأربع ❀ ولم تدع فى غربنا من موضع
فدلت الرؤيا على التعظيم ❀ والملك والتأبيد والتفخيم
على بنيه الماجدين الأربعه ❀ أن يملكوا المجد الأثيل أجمعه
وياخذوا ما قد حوته النار ❀ فكأن ما قد شاءه الجبار
وكل شىء بقضاء وقدر ❀ وفى الزمان عجب ومعتبر
بذاك حقاً نفذ القضاء ❀ والله يؤتى الملك من يشاء
كذاك حكم الدهر ناس بعد ناس ❀ ملك وملك وانتظام والتباس

وفي موت السلطان عبد الحق يقول صاحب الأرجوزة أيضا:

واعتز عبد الحق فى الأنام ... بفعل أولاد له كرام
وكان قبل فيهم معظماً ... لكنه زاد وساد وسما
واكتسبت به بنو حمامه ... عزاً ليوم الحشر والقيامه
فمات عبد الحق مع ادريس ... ولده المبارك الرئيس
فى وقعة كانت بواجرهان ... أفنتهما وكل شىء فان
من بعد ما قد شتتوا رياحا ... وما رأوا من بعدها صلاحا
يا رب وسع فى الثرا عليهما ... واجعل أجل رحمة اليهما

السلطان عثمان الأول بن عبد الحق المريني

وفي ذكر ولاية السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحق يقول شاعر دولتهم الملزوزي في أرجوزته[305]:

ولم يكن فى غربنا أمان	حتى تولى أولا عثمان
فظهر السرور والأمان	وحسن المكان والزمان
وأمنت مكناسة وفاس	وارتفع الخوف والالتباس
فأمن الطرق وأفنا من طغا	وذل من ضلل قدماً وبغا
وانطلقت فى المغرب التجار	وكل خلق منهم يجار
وكان عثمان شديد الحزم	ذا نجدة فى قومه وعزم
كنيته فيهم أبو سعيد	قد سعدوا برأيه الرشيد
من قبله مرين لا تنقاد	لأحد منهم ولا تكاد

وفي ذكر سيره و بعض خبره أيضا، قال:

سيرته أكرام كل صالح	لما يرجيه من المصالح
يستوهب الدعاء فى المساجد	مستشعراً خوف الاله الماجد
وكان ذا عقل وذا ديانه	مشتهراً بالعدل والامانه

وفي ذكر موته، قال:

فاغتاله علج له رباه   بحربة بجدها أفناه

فمات في الحين بها وفاتا   وصار بعد عيشه رفاتا

ذاك سبيل سابل وغامر   اليه يمضي أول وآخر

من ذا الذي يبقى على الأيام   سوا المليك الواحد العلام

أين الأولى ذور العلا والسؤدد   فهل تحس منهم من أحد ؟

لم يغنهم جند ولا أموال   والدهر لا تبقى به أحوال

يا رب قدس روحه الزكيه   وأدخله جنتك العليه

ومما جاء كذلك في ذكر ولاية وسيرة هذا السلطان، ما ذكره العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته المسماة رقم الحلل في نظم الدول، حيث قال[306]:

فحازها من بعد عبد الحق   عثمان ينبوع التقى والصدق

وكان موصوفا بحزم ودها   وهمة جاز بها فوق السها

تملك الملك بها بما ملك   وسعد السعد به حيث سلك

وفتحت فاس على يديه   والملك ألقى رحله لديه

يستوهب الدعاء من كل بذل   ما زاغ عن عدل ولا عنه عدل

واغتاله العلج الشقي وغدر   وطار لله سريعا وابتدر

وقام بالامر ابو معرف   والفضل منه واضح غير خفي

اي همام صادق الوعد وفي   يصول منه مرهف بمرهف

مات شهيد الروح في الهياج   وكان بدرا بفضح الدياجي

السلطان محمد الأول بن عبد الحق المريني

وفي ذكر ولاية السلطان محمد بن عبد الحق يقول شاعر دولتهم عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته[307]:

لما غدا فى قبره عثمان ... قام محمد الرضا الديان
ثم أتى فعل أبى سعيد ... فى الحزم والتدبير والتسديد
وكان شهماً بطلا شجاعاً ... مؤيداً فى قومه مطاعا
وكان لا يفتر عن قتال ... مرتكباً للحرب والأهوال
كم عسكر لاقا وكم جنود ... ومن جموع جمة الحشود
وكل جيش جاء من مراكش ... أفناه بالحروب والتناوش
نهاره وليله طعان ... لكنه مؤيد معان

وفي ذكر سيره وبعض خبره، قال:

كان جواداً حسن الرياسه ... مشتهراً بالعقل والسياسه
ووعده فيما يقول صادق ... وقوله لفعله موافق
كنيته فيهم أبو معرف ... ذو سطوة بحد كل مرهف

وفي السلطان المذكور قيل[308] :

ثـم تـولاَّ بعده محمـدٌ وكان في أموره مُسددٌ

وكان لا يفترُ عن قتـال مواظباً للحـرب والنزال

كم عسكر لاقا وكم حشود ومن جموع جمّة الجنـود

وكل جيش جاء من مراكش أفناه بالحروب والتناوش

نهارهُ وليلهُ طعـان لكنَّه مـؤيدٌ مُعـان

السلطان أبو بكر الأول بن عبد الحق المريني

ومما جاء في ذكر سيرة السلطان أبي يحيى أبي بكر بن عبد الحق، ما قاله العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته رقم الحلل حيث قال[309]:

قام ابو بكر اخوه بعده ... وانجز الله سريعا وعده

وقرن النصر به حيث سلك ... ففتح البلاد قهرا وملك

واتخذ الطبول والبنودا ... واستكثر الاتباع والجنودا

فاسرعت الى يديه الناس ... وابتدرت مكناسة وفاس

ثم بدا لاهل فاس غدره ... والله لا يهمل يوما امره

فحكم المرهف فى الرقاب ... وعجل المحذور من عقاب

ثم تعدى امره الى سلا ... وسار فى القبلة قدما واعتلا

وناصب الحرب بني زيان ... فى دارهم من غير ما توان

ونال مراكش بالتضييق ... وغص فيها المرتضى بالريق

وما ذكره فيه كذلك في إحاطته، قوله[310]:

عثمن ثم بعده محمد ... ثم أَبو يحيى الهمام الأَسْعَد

تمهَّد الملك له لما هَلَك ... وسلك السَّعد به حيث سَلَك

وفُتِحت فاسُ على يديه ... والملك العليُّ حلَّه لديه

وكان ذا فضل وهدًى وورع ... قد رسمَ الملك فيهم واخترع

ثم أَتَتْ وفاته المشهورة ... فولّى المنصور تلك الصُّورة

وفي مدحه ما قيل فيه[311]:

فاق ملوك الأرض فى الزعامه ... وبالوفا والصدق والكرامه
يستوهب الدعا من العباد ... ويكرم الصلحا والزهاد
ويسرد الصوم على الدوام ... مبتهلا للواحد العلام

وفي أرجوزة الملزوزي جاء ذكره لولاية السلطان أبي بكر بن عبد الحق، حيث قال[312]:

لما قضا يوماً ولاقى وعده ... قام أبوبكر أخوه بعده
أول من منهم حوا الجنودا ... واتخذ الطبول والبنودا
وملك الحصون والبلادا ... واكتسب الطارف والتلادا
وسعدت به بنو مرين ... لما حبى بالنصر والتمكين

وفي ذكر سيره و بعض أخباره، قال:

سيرته فى الحرب ضرب الهام ... والحزمو العزم مع الاقدام
وكان نجداً مطلق اليدين ... يرمى الذى يلقى بحربتين
ولا يطيق بطل يبارزه ... ولا زعيم فى الوغا يناجزه
وكان فى الحرب نسيج وحده ... يقوم فى الجيش مقام جنده
راحته بالجود كالغمام ... ووجهه كالبدر فى التمام
يعطى مرين الخيل والنصارا ... عطاء من لم يخف افتقارا
فاق ملوك الأرض بالكرامه ... وبالوفا والصدق والزعامه
له حروب ورخت بالمغرب ... يعزب عنها كل من لم يعرب
لاقت به الشدائد الخوارج ... وكل من لاقاه منهم دارج

وفي ذكر موت السلطان أبي بكر، قال في أرجوزته أيضا:

فى عـام ستـة وخمسـين قضـا ... وجاءه فى رجب سهـم القضـا
فمـات حتف أنفـه بفـاس ... والمـوت غايـة لكـل النـاس
عشرة أعـوام تـوالى ملكـه ... وجاءه مـن بعـد ذاك هلكـه
لا تأمن الدنيـا ولا الزمانـا ... ولا تـرج منهمـا أمانـا
وكن وقيت منهما عـلى حـذر ... من ذا الذى يدرى بما يجرى القدر؟
لا يأمن الدهر الغـرور عـاقـل ... الا جهـول بالأمـور غـافـل
بينا الفتا يلهـو بجمـع المـال ... ويكثر الحـرص مـع الآمـال
لاقاه صرف الدهـر بالحـوادث ... وعـاد ما قـد ضمـه للـوارث
يأكلـه لمـاً حـلالا طيبـاً ... ثم يعـود ربـه معـذبـا
فانظر أبـا بكـر وما قـد نـالا ... من العـلا قدمـاً ومـا قد صـالا
وكم حـوا من أكرم الذخـائـر ... ومن أجـل الخيـل والعسـاكـر

السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور بن عبد الحق

وفي ذكر ولاية السلطان يعقوب المنصور، قال الأديب البليغ شاعر دولتهم عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته[313]:

مات أبو بكر ولاقا وعده ... فقام يعقوب أخوه بعده

أول من منهم حما الاسلاما ... وشتت الصلبان والأصناما

وأمره فى العدوتين ممثل ... وملكه قد جل عن ضرب المثل

وفي ذكر بعض مكارمه، قال في أرجوزته أيضا:

أما اذا ذكرت منه الجودا ... فذاك شىء أعجز الوجودا

كم من فقير جوده أغناه ... وكم أمير سيفه أفناه

وكم شجاع فى الوغا قد جدله ... يلقى الكمى حتفه ان جدله

تراه فى الحروب كالشهاب ... وسيفه فى الهام ذا التهاب

والخيل خوفاً منه وسط العيثر ... كحمر فرت أمام القسور

رايته يصحبها التمكين ... مبارك طالعه ميمون

يا ويح من يغدر أو يخونه ... فى الحين يأتى نحوه منونه

نيته صحيحة سليمه ... تغلب كل نية سقيمه

لولاه ما نالت بنو مرين ... كل المعالى والمنا والدين

ومما ذكره أيضا، سيرته و أخباره و مآثره الأثيرة و آثاره، حيث قال:

سيـرة يعقـوب بن عبد الحـــق	قد حـاز فيهـا قصبات السبـــق
سيرته أن يقـرأ الكـتـابـــا	ويذكر العلـوم والآدابــــا
يقـوم للكتـاب ثلث الليــــل	ومـا له عن ورده مـن ميــــل
حتى اذا ما الصبح لاح وارتفـع	قـام وصـلا للالاه وركــــع
وضـج بالتسبيـح والتقديـس	حتى يتـم الحـزب فى التغليـس
يقـرأ أولا كتـاب السيـــــر	والقصص الآتـى بكـل خبـــر
ثـم فتـوح الشـام باجتهـــاد	وبعـده المشهـور بالأنجـاد
سـؤاله تعجـز عنـه الطلبـــه	ومن لديـه من أجـل الكتبـــه
يقعد للكتب الى وقت الضحـــا	ثـم يصليهـا كفعـل الصلحا
ويأمـر الكتـاب بالأوامـــر	فى باطن من سـره وظـاهـــر

ومما ذكره صاحب الذخيرة قوله في خلافة السلطان يعقوب[314] :

خلافتُه أزرت بكلُ خـلافـــــةٍ	كذالك بطلان الخلاف مـع النقـص
لديه استقرت فى نصاب ونصبـــة	وللشرف المحض ابتغاء على المحص
تناهـا اليه الحلم والدين فانتشت	تسير بعليـاه ثناء ولا تُحصِـــى
إمام يطيعُ اللهَ مَن قد أطاعـــــه	ويعصِي حدود الله مَن أمرَه يعصى

و قوله أيضا في السلطان يعقوب المنصور[315]:

{... وكان رحمه الله منصورا على من ناوأه، مؤيدا على من عاده، لم ينهزم له قط راية ولم يزل مواظبا على الجهاد والسنن القويم حتى أتاه اليقين، كما قيل فيه رحمه الله:

أقام على الأيام سنة جـــــــوده فجـادت وكانت لا يدر لنـا خلف
وألزم هاذا الدهر سيرةَ عدلــــه فليس له خطب يجوز ولا صـــرف
ضحوك إذا الأبطـال طال عبوسهم وقور إذا الأبطال من وجل خفـُّـوا
يحوط جناب الثغـر حوطة حـــازم تجمع فى تدبيره الرفـق والعنـف
ويرصدُ للخطب المُلِمِّ سياسـة يذل بها عز ويقوا بها ضعـــف
له المكرمات اللاء عن حصر بعضها تقاصرت الأقلامُ والحبر والصحْف

{...

وللشاعر البليغ عبد العزيز الملزوزي، قصيدة طويلة بارعة في ذكر غزوات السلطان يعقوب المنصور بالأندلس وغزوات بنيه وقبائل بني مرين والعرب، وهذا مطلع القصيدة[316] :

بِحَمْد ٱللهِ أفتَتِـحُ الخِطابا وأبدأُ في النِّظام به الكِتَابا
لعَلَّ اللهَ يُبلِغُني الأماني ويَفْتَحُ بالسرور عليَّ بـابا

ومنها:

وعاد الدِّينُ بعدَهم حَقِيراً ومُنْسَحِقا ومُمْتَهَنا مُصابا
وصار بغَرْبِنا ٱلْأَقصَى غريباً فَيَا لِلدِّينِ يَغْتَرِبُ ٱغترابا
ولَمْ يُعْلَمْ جهادٌ للأعـادي بهاذِي ٱلأَرْضِ يُحْتَسَبُ احتسابا
إلى أن فتّح الرَّحمانُ فيه ليعقوب بن عبد ٱلحق بابـا
لمولانا أميرِ ٱلعدل مُلْك به ٱنسَلَبَتْ يدُ ٱلكفر ٱنسِلابا
ولم نَرَ قَبْلَه في ٱلعصر مَلْكاً أرانَا في ٱلعِدا العَجَب العُجابا

فَهَنَّأه ٱلإلَاهُ السَّعْدَ فيه ونيَّةَ صِدقِهِ برّاً أثابا
دعــا لله دعوةَ مُطمئِنَ لمولاه دُعَاءَ مستجابــا
فَلَبَّى ٱللهُ دعوتَـــهُ وَسَنَّى له ٱلحسْنَى وَجنَّبَه ٱلصعابـــا
فجَـــازَ ٱلبَحْرَ مُجتَهِداً مِراراً يقود إلى العِدا ٱلخيْل ٱلعِرابـــا
فـــألبَس مُلْكَهِمْ ذلاًّ وصارتْ به ٱلاملاكُ تَرتَهِبُ ارْتهابـــا
أبعدَ جواز أرضِ ٱلبرْت فَخرٌ تَزيدُ به مَنَالًا وَاعتِجــابا
هو القُطب ٱلّذي دارتْ عليه نجومُ ٱلسَّعدلا تَخشى اضطِرابا
بنُوه نُجُومُه وٱلبدرُ فيهم وَلِيُّ ٱلعَهد مَن بالفَضْلِ حابَى
أبو يعقوب مولانا ٱلْمرَجَّى لِيَدفع ٱلخطبَ أن أرسَى وَنابا
هو ٱلملِكُ ٱلذي أعطَى وأقْنَى وصَيَّرَ طَعْمَ عَيْشٍ مُسْتَطابا
وأبنَاءُ ٱلإمارة ترتجيهم وأحفَادُ العُلا أعتَصُبوا اعْتِصَابا
أوَفِّي حقهم فرداً فَفرْداً كما جعلُوا الجهادَ لهم نِصابا
وأذكُرُ غزْوَ هذا العامِ حتَّى أذكُرُ كلَّ شَخْصٍ ما أصَابا
وأنشُرُ من فَخار مَرِينَ بُرْداً كما احْتَزبُوا لدِينهم احْتزابا
وأرْوِي مدْحَهُم في الدهر شِعْراً أدَوّنُه وأودِعُه الكِتَابا
لِيَبْقَى ذكرُهم في الارض يُتلَى يَراهُ الرَّكْبُ زَاداً واحْتقابا

وللشاعر البليغ مالك بن المرحل السبتي يهنئ السلطان يعقوب المنصور المريني بفتح مراكش ويمدح إبنه أبي مالك عبد الواحد في قصيدة[317] :

فتحٌ تبسّمت الاكوانُ عنه فما   رأيتَ أملَحَ منه مَبْسِماً وفما
فتح كما فتَح البستانُ زهرتَه   ورجّع الطيرُ في أفنانه نغما
فتح كما انشقَّ صبحٌ في قميص دُجىً
وطرَّفَ البرقُ في أرْدانه علَما
اضحتْ له جنةُ الرضوان قد فُتِحت   أبوابُها وفؤادُ الدين قد نَعِما
الحمدُ لله هذا ما وُعِدْتَ به   يا خيرَ مَن وَلِيَ الدنيا ومَن حكما
لن يُخْلِفَ اللهُ وعدًا كانَ واعدَه
فاشكُرْ يضاعِفْ لك الحظَّ الذي قُسِما

بفتْح مرّاكُش عمَّ السرورُ فما   يكَابِدُ الغَمَّ الا قلْبُ مَن ظَلما
حبا بها اللهُ مولانا الاميرَ كما   حبا أباه فأسْنى فتْحُها لَهُما
فلم يزل سعْدُه المألوفُ متَّصلا   بسَعْد والِده المنصورِ مُنتظما
فدولةُ الدين والدنيا قد اختلَفتْ   في الفتح والنصر والتأييد بَيْنهما
أفاقَت الارضُ من نوم بها وصَحَتْ
وأصبحَت وهْيَ تَلْحِي السُّكْرَ والحُلُما
لما رأتْ رايةَ السلطان قد رُفِعَت   في أفقها قَرعَتْ اسنانَها ندما
فاسْتقْطَفَتْ منه قولًا من سَجِيَّته   أن يحقِرَ الذّنب والعُوارَ إن عَظُما
مِن سُنة الله ان يُحيى خليقَته   على يَدَيْك وأن يَكْفِيهَا النّقَما
وأن يُقيمَ بك الاسلامَ من أوَدٍ   وأن يُديمَ بك الاحسانَ والنعما
وأن يُقِرَّ عيونَ المسلمين وأن
يَشْفِي الصدورَ وان يُبْرِي بك السَّقَما

بُشْراكِ يا مالكَ الدنيا وحافظَها   فأنت أفضلُ مَن آوَى ومَن رَحِما

إنّا نسَخْنا مَعالِيكَ التي رَأَفت   فلم نَر البَأْس فيها بُزّ للكُرما

كما نظَرْنا الى يُمْنَاكَ من كَثب   فلم نَرَ السَّيْفَ فيها يُسْلِمْ القَلَما

لله منك مليــــكٌ لا نَظِيرَ له   لولاكَ كان وُجود الدين قد عُدِما

مَلْك بصيرٌ بأدواء الامور له   رأيٌ نجيح وطِبٌّ يذهِبُ الأَلَما

عدلُ الحكومة ماضِي العَزْم معتدل   كالرِّيح يُمْضي بعَدْل كلّما عزَما

سيفٌ وسيْبٌ وعدْلٌ بعد مقدُرةٍ   وبطْشَةٌ وَأَنَاةٌ تجمَع الحِكَما

انْ غابَ عنك فان الأُذْن شاهِدةٌ

وان تُشاهِــدْه لم ينطِقْ وقــد فَهِما

اللهُ أعطاه عِلْماً من لَدُنْــه فلم   يحتَجْ الى أحدٍ في عِلْم مَن عَلِما

ومَن تخيَّره للدين خالِقُــه   أَعطاه نوراً يُجَلِّي الظُّلْمَ والظُّلَما

سُبحانَ مَن بِجَميع الفَضْل أفرَده   ومَن حباه السجايا الغُرَّ والشِّيما

فلِلْورى أن يقولوُا عند رُؤْيتـه   ما كان ذا بشراً بل مَلْأَكاً كَرُما

مولايَ يهنِيكَ ما أُعطِيتَ من ظفَر   على عِداً أصبَحُوا في حَيْرةٍ وعَمي

وعن قريب الى يُمناكَ مَرجِعُهم   فلا يُجازَى امرُءٌ الا بما جَرَما

أين المفرُّ وخيـلُ الله تطلبُهم   لا يعصِمُ الله منهم غيرَ من رُحِما

كم من مُصِرّ يُلاقي ما جنت يَدُه   وتائِبٍ آئبٍ بالتوبـة اعتَصما

أنت الامامُ لبعض السهْوِ تحْمِلُه   وبعضُه يُحيط الاعمالَ والجُرَما

وقد كفَى الله كفَّ الخائِنين وقد   أقال عثْرةَ مـن أخطَا وقد رَجَما

يا بنتَ فِكْري ضَعِي عنكِ النِّقاب اذا

بلَغْتِ حضْرَتَــه ثم انشُري النُّظُما

وذكّرِيه فـان الذكرَ منفعةٌ   وذاكَ في مُحْكَم التنزيل قد رُسِما

من عبْدِه مالكٍ مملـوكِ دوْلَته   على القديم ويرْعَى السيدُ القِدَما

وفي ذكر سيرة السلطان يعقوب المنصور قال شاعر دولتهم الأديب البليغ، صاحب الأراجيز الملزوزي عبد العزيز[318]:

سيرةُ يعقوب بن عبد الحق ... قد حاز فيها قَصَبات السَّبق
بُغْيَتان ، يقرأُ الكتاب ... وتَذَكُّر العلوم والآداب
يقوم للكتاب ثُلْثَ الليل ... وماله عن وِرْدِه من سبيل
حتى إذا الصباح لاح وارتفع ... قام وصلَّى للالَه وركع
وضجَّ بالتَّسْبيح والتَّقْديس ... حتى يتم الحِزْبُ فى التَّغْليس
يقرأُ أولا كتاب السِّير ... والقَصَص الآتى بكل خَبر
ثم فُتُوح الشَّام باجتهاد ... وبعده المشهور بالإنجاد
سؤاله تعجز عنه الطَّلبة ... ومن لديه من أجلِّ الكَتَبة
يعقد الكَتْب إلى وقت الضُّحى ... ثم يصلِّيها كفعل الصُّلحا
ويأْمر الكتَّاب بالأَوامر ... فى باطنٍ من سرِّه وظاهر
ويدخل الأَشياخُ من مَرِين ... للرأى والتدبير والتَّزْيين
مجلسُه ليس به فُجور ... ولا فتًى فى قوله يَجُور
كأَنهم مثلُ النجوم الزُّهر ... وبينهم يعقوب مثل البَدْر
قد أَشْبر الوقار والسكينة ... وحلَّ فى مكانةٍ مَكينة
حتى إذا ما جاز وقت الظهر ... قام إلى بيت للنَّدى والفَخْر
يبقى إلى وقت صلاة العَصْر ... يأْتى إلى بيتْ العُلى والأَمر
ويَنْصِف المظلوم ممن ظلمه ... ولم يَزل إلى صلاة العَتْمة
ثم يؤمُّ بَيْتة الكريما ... ويترك الوزير والخَديما
ثم ينام تارةً ، وتارةً ... يدبِّر الأُمور بالإدارة
ما إن ينام الليل إلا ساهرا ... ينوى الجهاد باطناً وظاهراً
فهل سمعتم مثل هذه السِّيرة ... وهذه المآثر الأَثيرة
لملكٍ كان من الملوك ... أو مالكٍ فى الدهر أَو مملوك
كذاك كان فِعْلُه قديما ... بذاك نال المُلْك والتَّعظيما

وذكر كذلك لسان الدين بن الخطيب هذا السلطان في أرجوزته، حيث قال[319]:

وهو أَبو يوسف غَلَّاب العِدا ... وواحدُ الأَملاك بأْساً ونَدا

مُمَهِّد الملك ومُورى الزَّند ... وباسط العدل ومُولى الرِّفد

مُدَّت إلى نُصرته الأَكُفُّ ... والروم فى العُدوان لا تَكُفُّ

فاقتحم البحر سريعا وعَبَر ... ودافع الأَعداء فيها وصَبَر

ووقعت فى عهده أُمــور ... وفتنةٌ ضاقت لهــا الصُّدور

وآلَتْ الحـال إلى التِيـام ... فما أُضِيعت حُرمة الإِسلام

حتى إذا الله إليه قَبضَه ... قام ابنُه يوسف فيها عِوَضه

وعندما كان السلطان يعقوب المنصور معتزما الجواز إلى الأندلس سنة 670 هـ وذلك إجابة لرغبة ابن الأحمر ملك غرناطة الذي كان قد بعث إليه مستنصرا به على العدو، أرسل المنصور بطلب للصلح مع صاحب تلمسان يغمراسن بن زيان، إذ كان في حرب معه وذلك ليكون معه يدا واحدة في جهاد العدو.

ومما ذكر في جملة ما تضمنته رسالة الصلح، هذه الأبيات[320] :

واعمل علــى الجهاد والــربــاط ... وكـــن بغزو الــروم ذا اغتبــاط

متى متى لاترعوي حتى متـــى ... لابـــد مــن كأس الحمام للفتــا

فـــان أبيـت السيـر للجـهاد ... وحـــدت عن مناهج الرشـــاد

فلتــترك الناس الى جهادهـــم ... مؤمنين فى حما بلادهـــم

واقعـد ولا تنهض الــى تجـيـن ... فـانهم فى العــهـد مـع مريـن

ومما جاء في جواب يغمراسن لطلب السلطان المنصور، هذان البيتان[321]:

فلا صُلْح حتى نرويَ السيفَ والقَنا
وتأخذ عبدُ الواد منكم بثارِها
وأشفي غليلي من مَرينَ التي طغت
بسبْي غَوانِيها وقتْل خِيارها

وكان رد السلطان المنصور على جوابه أن عمل على غزوه وفي ذلك رفع شاعر الحضرة الملزوزي قصيدة يمدحه ويحرضه على يغمراسن ومطلعها [322] :

أرى كلّ جبار بسيفك يصغُر
وكلّ مليك عن فَعالك يقصُر
وكل عزيز خاضعاً متواضعاً
وكل يمان عن يمينك يُمطِرُ
تنام عيون الناس طرًا وأنت في
صلاح العلى والخلق ما زلتَ تسهر
أضاءت بك الدنيا فزال ظلامُها
فأيامها من نُور وجهك تُسفر
وكان لَدَيْنا الدينُ قد ضاع حقّه
ولم يبقَ منه غيرُ عين تَحدرُ

ومنها:

هو الملك المنصور ذو المجد والعلا

أبو يوسف غيثُ الغمام المطهر

فلو قيل للإسلام مَن كنت ترتجي

لقال لنا يعقوب ذاك الغَضَنْفَر

وما هو للإسلام إلا مُهَنَّد

بنوه له حَلْي أنيق وجوهر

فمَن كأبي الأملاك مَن مثلُ يوسف

تخال الندى من كفهم يتفجر

يزينهم علم وحلم وعفة

وجود سكِيبُ الوَبْل لا يتعذر

فلا زال هذا الملك فيك وفيهم

يُحسّنُه الرحْمَانُ لا يتكدّر

إليكَ أميرَ المؤمنين قصيدةً

تُعجّزُ مَن في الغرب والشرق يشعرُ

ثناؤكم فيها اللآلىء نظمت

وذكركم مسك ذكي وعنبر

ولما تولى أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر الفقيه أمر غرناطة، أرسل عقب ولايته بقليل وفدا يضم أكابر أهل الأندلس إلى السلطان أبي يوسف يعقوب،

يحمل إليه رسالة استغاثة واستنجاد واستنصارعلى العدو، ومما جاء في الرسالة بعد الديباجة قصيدة في مدح السلطان يعقوب المنصور[323] :

مرين جنود الله أكبر عصبة فهم في بني أعصارهم كالمواسم
مشـــــنفة أسماعهم لمـــــدائح مسورة إيمـــانهم بالصوارم

ومما ذكره العلامة ابن خلدون في تاريخه قوله[324]:

{لما أجاز أمير المسلمين إلى العدوة إجازته الأولى، ولقي العدو بأستجة، و قتل الله ذنّنه بأيدي عسكره. وصنع له من الظهور والعزّ ما لا كفاء له، ارتاب ابن الأحمر بمكانه، فبدا له ما لم يكن يحتسب، وظنّ بأمير المسلمين الظنون، واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عبّاد سلطان الأندلس. وأكّد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بني أشقيلولة وغيرهم إليه وانقيادهم لأمره، فشرق بمكانه وحذر غوائله. وتكدّر الجو بينهما وأجاز الإجازة الثانية، فانقبض ابن الأحمر عن لقائه، ودارت بينهما مخاطبات شعريّة في معنى العتاب على ألسنة كتّابهما نسردها الآن، فمن ذلك قصيدة كتبها إليه ابن الأحمر سنة أربع وسبعين وستمائة بعد واقعة ذنّنه واعتزامه على الرجوع إلى المغرب، فخاطبه بها ليلة الإقامة بالجزيرة حذرا من غائلة العدو، وينحو فيها منحى الاستعطاف وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط:

هل من مُعيني في الهوى أو مُنْجدي من مُتْهِم في الأرض أو من مُنْجِدِ
هـذا الهوى داع فَهَلْ من مُسْعِفٍ بـإجَــابَـةٍ وإنَـابَـةٍ أو مُسْعِـدِ
هذا سبيلُ الرشدِ قد وَضَــحَتْ فَهَلْ بــالعُــدْوَتَيْن من امْرِىءٍ مُسْتَرْشِدِ
يَرْجو النجــاةَ بجَنّــةِ الفردوس أو يخشى المصير إلى الجحيم المُوقَـــدِ

يـا آمِـلَ النَصْرِ العزيزِ على العِـدَا — أجبِ الهُـدَى تَسْعَـدْ بِـهِ وتُـؤَيَّـدِ
سِرِ النجـــاةِ إلى النجـــاةِ مُشمِّرًا — إنَّ الهُـدَى لهو النجـاةُ لمن هُـدِي
يـا من يقولُ غـداً أتوبُ ولا غدٌ — ألـديكَ عِلمٌ أنْ تعيشَ إلى غـدِ
لا تغْتَرِرْ بنسيئَـةِ الأجـلِ الـذي — إنْ لم يَحِنْ لك نَقْـدُهُ فَكَأَنْ قَدِ
سَفَرٌ عليكَ طويلـــةٌ أيـــامُـــهُ — لم تَسْتَعِـدَّا لطولــهِ فـاسْتَعْـدِدِ
أَوَ مـا عَلِمْتَ بـأنّـه لا بـدَّ من — زاد لكـــــــلِّ مسافرٍ فتزوَّدِ
هـذا الجهـادُ رئيسُ أعمال التُقى — خُـذْ مِنْـهُ زادَكَ لارتحالك تُسْعَـدِ
هذا الرِباطُ بأرضِ أندلُسٍ فَرُحْ — مِنْـهُ لِمَـا يُرْضِي إلَهَكَ واغتـدِي
سوِّدتَ وجهَكَ بـالمعاصي فالتمِسْ — وجهـــاً لِلُقيـــا اللهِ غيْرَ مُسَوَّدِ
وامحُ الخطـايـا بـالـدموعِ فربّما — محتِ الـدموعُ خطيئـةَ المُتَعَمِّـدِ
مَنْ ذا يتوب لربِّـــهِ من ذَنْبِـــهِ — أو يَقْتَـدِي بنبيِّـه أو يَهْتَـدِي
وتَعَـوَّضَتْ منهم بكُـلِّ مُعَـانِـدِ — مستكبِرٍ قـد كـان لم يتشهَّـدِ
كم من أسير عنـــــدهم وأسيرَةٍ — فكِلاهُمَـا يبغي الفِـداءَ فما فُـدِي
كم من عقيلـــةِ مَعْشَرٍ معقولـــةٍ — فيهم تَـوَدُّ لو أنها في مَلْحَـــدِ
كم من وليـدٍ بَيْنَهُم قـدودِّ مِن — وَلَــدَاهُ وَدًّا أنّـــه لم يُولَـدِ
كم من تقيٍّ في السلاسل موثَقٍ — يبكي لآخَرَ في الكُبولِ مُقَيَّـــدِ
وشَهيـدِ مُعْتَرَكٍ تـوَزَّعَـهُ الردى — مـا بين حَـدِّيْ ذابِـلٍ ومُهَنَّـدِ
ضجّت ملائكـــةُ السماء لحالِهِمْ — وَرَثَى لهم من قَلْبِـهِ كـالجَلْمَـدِ
أفلا تـــذوبُ قُلُوبُكُم إخوانَنَـا — مما دهـانـا من ردىً أو من ردي

ومنها:

أفلا تُراعُونَ الأذِمَّـــة بيْنَنَـا — من حُرْمَـــةٍ ومَحبَّـــةٍ وتَـوَددِ
أكـــذا يَعيثُ الروم في اخوانِكُم — وسيوفُكُمْ للثـــأرِ لم تَتَقَلَّـــدِ
يـا حسرتي لحميّـة الإسلام قَـدْ — خَمَـدَتْ وكـانَت قبلُ ذا تتوقَّـدِ
أين العزائمُ مـــا لها لا تقتضي — هـلْ يَقْطَـعُ الهِنْـدِيُّ غيْرَ مجرّدِ
أبَنِـي مريـن أنتُمُ جيرانُنـــــا — وأحقُّ من في صرخـةٍ بهم ابتُـدِي
فالجارُ كان به يُوَصِّي المُصْطَفَى — جِبْريـلُ حقـاً في الصحيح المُسْنَدِ
أبني مريـن والقبـــائـلُ كلُّهـا — في المغربِ الأدنى لنـا والأبْعَـدِ

كُتِبَ الجهادُ عليكُمُ فتبادروا ... منه إلى الفرض الأحقّ الأوكَدِ

وارضوا بإحدى الحُسْنَيَيْنِ وأَقْرِضوا ... حَسَناً تفوزوا بالحسان الخُرَّدِ

هذي الجنانُ تفتّحتْ أبوابُها ... والحورُ قاعدةٌ لكم بالمَرْصَدِ

هل من بَايعٍ من رَبّه من مُشْتَرٍ ... منه الحصولُ على النعيمِ السَرْمَدِ

لله في نصر الخليفة مَوْعِدٌ ... صِدْقٌ فثوروا لانتجاز المَوْعِدِ

هذي الثغورُ بكُمْ إليكم تشتكي ... شكوى العديم إلى الغَنِيّ الأَوْجَدِ

ما بالُ شَمْلِ المسلمينَ مُبَدَّدٌ ... فيها وشَمْلُ الكفرِ غير مُبَدَّدِ

أَنْتُمْ جيوشُ اللهِ مِلءُ فضائِهِ ... تَأْسون للدِّين الغريبِ المُفْرَدِ

ماذا اعتذارُكُم غداً لنبيِّكُم ... وطريقُ هذا العُذْرِ غَيْرُ مُمَهَّدِ

إن قال لِمْ فرّطتُمُ في أُمّتي ؟ ... وتركتُمُوهُم للعدوّ المُعْتَدِي ؟

تاللهِ لَوْ أنّ العُقوبَةَ لم تَخِفْ ... لكَفَى الحياءُ من وَجْهِ ذاكَ السيّدِ

إخوانَنا صلّوا عَلَيْهِ وسلّموا ... وَسَلوا الشَفَاعَةَ مِنْهُ يَوْمَ المَشْهَدِ

واسعوا لِنصْرَةِ دينِهِ يُسْقِيكُمُ ... من حَوْضِهِ في الحشر أعذب مَوْرِدِ

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بما نصه: لبيك لا تخش اعتداء المعتدي الخ وكذلك أجاب عنها أيضا مالك بن المرحل بقوله: شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي الخ.}

اكتفى العلامة ابن خلدون بالإشارة إلى مطلع القصائد، ومما وجدناه من هاتين القصيدتين المذكورتين في تاريخه، قصيدة ابن المرحل السبتي الطويلة، ومنها[325] :

شهد الإله وأنتِ يا أرضُ اشهدي
أنا أجبنا صرخة المُستنجِد

لما دعا الدّاعي وردّد معلناً
قمنا لنُصرته ولم نتردّد

نسري له بأسنّة قد جُرّدت
من غَضْبِها والصبح لم يتجرّد

لولا الأسِنّة والسنابِكُ ما درى
أحد بسير خيولنا في الفرْقَد

والخيل تشكونا ولا ذنبٌ سوى
أنا نروح بها وأنا نغتدي

لو أنها علمت بنا في قصدنا
كانت تطير بنا ولم تتردد

الله يعلم أننا لم نعتقد
إلا الجهادَ ونصر دين محمد

ومنها:

ثم اعترضنا البحر وهو كأنه
ملك تقدم في الجيوش لمرْصَد

فترامت الخيل العِطاشُ لورده
هيهات ما الماء الأجاجُ بمورد

يا خيل إن وراءنا ماءَ رِوى
ومشارباً ومزارعاً لم تُحصَد

وأحبّةً بين الفواقد أصبحوا
يتوقعون الموتَ إن لم تُنجِد

مِن مُطْلَق العَبرات إلا أنّه
تجري دموع جفونه لِمُقيَّد

ومُفَجَّع لا يستلذ بمطعم
ومُروّع لا يستقر بمَرقَد
إخواننا في ديننا وودادنا
ولهم مزيد تحبُّب وتودُّد
نسري بأجنحة البُزاة إلى العدا
مثلَ الحمَام الحائمات الوُرّد
واستقبلت بحرَ الزّقاقِ بعُصْبة
نفذت عزائمها ولم تتعَدّد
فاستبشروا في أفقهم بطلوعنا
كالشمس يوم طلوعها للأسعُد
حتى بغَتْنا القوم في أوطانهم
إن الحوادث لا تجيء بموعد
ثم التقينا بالذين استصرخوا
منا بكل مؤيّد ومسدّد
حتى إذا جئنا وجاؤوا نحونا
ودنا المزار وقيل للبُعد ابْعَد
ازوَرّ جانبهم - وأشهدُ - بعدما
بسطوا لنا الآمال بسط ممهد
أو ما رأونا قد تركنا أرضنا
ولنا بها مُلْكٌ رَصينُ المحتدِ
وأطاعنا قوم كثير أسرعوا
فمُزوّد منهم وغير مزوّد

وهذا شاعر الحضرة الملزوزي يذكر السلطان يعقوب المنصور ويفتتح أرجوزته السالفة الذكر بقوله[326] :

الحمد لله مغيث الدين ❀ بالملك المنصور من مرين
حمداً كثيراً طيباً مباركا ❀ فانه بفضله تداركا

وفي مدحه أيضا ما قيل فيه، وذكره صاحب الذخيرة[327] :

هو الملك المنصور أمَّا زمانه فروح وأما بطشه فسموم
يطارد جيش النصر قبل طراده ويسكن جيش الدهر حين يقوم
وتعنو له الأملاك شرقاً ومغرباً وكلٌّ على جدوا يديه يحوم

وقيل فيه أيضا:

هو الامام العدل والمُقتَدا بفعله مسترشداً مرشدا
وسادة الدهر يعدونه أجودهم أصدقهم موعدا
أقدرهم أحرسهم ذمة أحمدهم أسعدهم مولدا

ومما ذكره صاحب الذخيرة السنية قوله يصف غزوة السلطان يعقوب المنصور لتلمسان[328] :

{... و أتا أمير المسلمين والدهما – الأميران يوسف وعبد الواحد – على أثرهما في القلب و الساقة وأقيال مرين و شجعانها بين يديه ... و هو تحت ظلال الرايات والبنود، كأنه البدر حل في أسعد السعود، وفي ذالك يقول الأدباء من الكتاب، والملتزمين لخدمه ذالك الباب:

إذا الخيل جالت فى الحروب حسبتهم قضاء من الرحمان ما منه عاصم
فذاك على اليمنا يُثير' حماتَه وذاك على اليسرا فأين المقاوم ؟
ووالد'هم فى جاحم الحرب بينهم يُبيد حماةَ الجيش وا'سعد قائم
فويحك يايغمور هل لك منجد ؟ أيقظان حس أنت أم أنت نائم ؟
أفى كل عام تترك ابنك للقنا ويُسبىا لك الغيد' الحسان' النواعم'

...}

وفي غزوهم تلمسان وتغلبهم على صاحبها، ذكر صاحب الذخيرة السنية قصيدة تصف حال يغمراسن -صاحب تلمسان- وهذه القصيدة[329] :

فذالك يوم للشقيٌ مذمـــــم   به زجر المشؤم طيراً مُذمَّمـــا
تغشتَه عقبان من الخَيل وقـــع   وما طال ما كانت على ذاك حومـــا
بكل كميٌ فى اللقـاء مدجـــج   إذا لمح الحرب العوان تبسمـــا
أسود مرين أرعـدت بصابلهـــا   وأبدت ببرق البيض كالوشْيِ معلما

وفي غزوة السلطان يعقوب المنصور لمدينة سجلماسة وحصارها وفتحها قيل في ذلك[330] :

عساكر من مرين ما لها عــــدد   وكلهم فارس الهيجـاء ذو كـــرم
أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا   وهم أذلّوا ملوكَ العربِ والعَجَم

ومما ذكره صاحب الذخيرة السنية أيضا قوله[331] :

{ وفي شهر ربيع المذكور – ربيع الثاني من سنة 674 هـ - ورد على أمير المسلمين كتاب صاحب إفريقية، وكتاب ابن الأحمر، وكتاب ابن اشقيلولة (الذي معه) هاذه القصيدة الفريدة.

هبت بنصركـم الريـاح الأربـــع   وسـرت بسعدكم النجوم الطلـــع
وأتت لنصركم الملائـك سبقـــا   حتى لضاق بها الفضاء الأوســـع
واستبشر الفلك الأثير تيقنـــا   أن الأمـــور إلى مـــرادك ترجـع
وأمـــدك الرحمان بالفتح الـــذى   مـلا البسيطة نـــوره المتشعشع
لمَ لا وأنت بذلتَ فى مرضاتـــه   نفساً تفديها الخلائـقُ أجـمـــع
وأتيت تنصـر ديـنـه مُتـوكـلا   بعزيمة كالسيف بل هي أقـطـــع

وكتائب منصورة يحدو بها	أمر إذا أمضيته لا يرجع
لله جيشك والصوارم تنتضا	والخيل تردا والأسنة تشرع
من كل من تقوى الاله سلاحه	ما ان له إلا التوكل مفزع
لا يسلمون إلى النوائب جارهم	يوما إذا أضحا الجوار يضيع
كم من قصي الدار عاص قاده	حتف يخب به إليك ويوضع
لما يفت يوما فاملاء له	كيما يحم له الحمام الأشنع
إن ظن أن فراره منج له	فبجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفر ولا فرار لهارب	والأرض تنشر في يديك وتجمع
أخليفة الله العظيم هنيئنه	فتح يمد بما سواه ويشفع
وليهن ذاك الفتح أنك فتحه	وبحسبه منك النعيم المقنع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا	ولبست أنت منه ما لا يخلع
إن الذى سماك خير خليفة	جعل الخلافة فيكم لا تنزع
هيهات سر الله أودع فيكم	والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدا لا يدعيه سواكم	ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
إن قيل من خير الملوك بأسرها	فاليك يا يعقوب يومى الأصبع
إن كنت تتلو السابقين فانما	أنت المقدم والخلائق تبع
فلأنتم ذخر الخلافة والذى	وجه الزمان بملكه يتطلع
حقا أمير المومنين مدائحا	من قلب صدق لم يشنه تصنع
فالمدح منى فى علاك طبيعة	والمدح من غيرى إليك تطبع
جرر ملابة عزة موصولة	فعساه يحسدها السماك الأرفع
واسلم أمير المومنين لأمة	أنت الملاذ لها وأنت المفزع
وحماك من يحمى بسيفك دينه	وكفاك ما يخشا وما يترقع
وعليك يا أسنا الملوك تحية	يفنا الزمان وعرفها يتضوع

ومما جاء في ذكر سيرة السلطان يعقوب المنصور، ما ذكره العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته المسماة رقم الحلل في نظم الدول، ومن قوله[332] :

قام بها من بعد سلطان الجهاد   من قرر الاسلام من فوق مهاد
وهو ابو يوسف غلاب العدا   وواحد الاملاك باسا ونـدا
وكان من اهل التقى والفضل   ياخذ في احكامه بالعدل
ويقصد الابدال والابرارا   ويكرم العباد والاخيارا
ويتقي الله ويخشى مكره   يعمل دابا نهيه وامره
لاقى امورا صعبة بابن اخيه   فيسر الله له ما يتقيه
وخلص الملك له واستكملا   والله لا يترك خلقا مهملا
وسار نحو المرتضى وارتحلا   ثم على ام ربيع نزلا
ثم لفاس عجل القدوما   اذ عاد جيش المرتضى مهزوما
وجاء ادريس له منتدبا   يبغي الى الظهور منه سببا
عاهده ان تم ما يريده   عهدا على شرط بدا تاكيده
وكان في باطنه يكيده   والله لا يسلمه تاييده
وسار عنه بعد ما امده   بقوة وعدد وعده
فتم في مراكش مراده   ولذ في قصورها مراده
وفر عنها المرتضى بنفسه   والجنس يشتفي دائما بجنسه
وظفرت به يدا ابن عمه   ادريس فاستعجله بظلمه
وظن ان الامر قد صفا له   وامل العودة والادالة
وضبط الامر بعزم المجتهد   فنبذ العهد الذي كان عهد
وسار سلطان مرين نحوه   ومستجيزا حربه وغزوه
لنكثه العهد الذي كان عهد   فعاث في الزرع وافنى ما وجد
وبادر الواثق ادريس العمل   بصلح يغمور فتم وكمل
فارتحل المنصور نحو يغمور   حلف اعتزام واعتزاز وظهور

السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر بن المنصور بن عبد الحق

ومما ذكره صاحب الإحاطة، قول شاعر الدولة المرينية عبد العزيز الملزوزي[333] :

{... وكان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة سلا، فبويع بها ولده أيو يعقوب، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستماية، يوم مولد النبي صلى الله عليه و سلم، فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعتها إليه:

يا ظَبْيَة الوَعْساء قد بَرِح الخفا … إنى صبرت على غرامك ما كفى

كم قد عَصِيت على هواك عواذلى … وأناب بالتّبعيد منك وبالجفا

حَمّلتِنِى ما لا أَطيق من الهوى … وسَقيتِنِى من غَنج لحظك قرقفا

وكسَوتِنِى ثوب النحول فمَنظرى … للناظرين عن البيان قد اختفا

هذا قتيلكِ فارحميه فإنــه … قد صار من فرط النحول على شفا

لهفى على زمن تقضّى بالحِما … وعلى محلٍّ بالأُجَيْرع قد عــفا

أترى يعود الشّمل كيف عَهِدته … ويصير بعد فراقهُ مُتــأَلّفا

لله دَركِ يا سَــلا من بلدة … من لم يُعاين مثل حُسْنك ما اشتفا

قد حُزتِ براً ثم بحراً طاميا … وبذاك زدتِ ملاحة وتزخرُفا

فإذا رأيت بها القطائع خِلتها … طيراً يحوم على الورود مُرَفرِفا

والجاذفين على الرّكيم كأنّهم … قوم قد اتخذوا إماماً مُسْرِفا

جعل الصّلاة لهم ركوعا كلها … وأتى ليَشرع فى السجود مُخَفّفا

والموج يأتى كالجبال عُبابه … فتظنه فوق المنازل مُشرفا

حتى إذا ما الموج أبصر حدّه … غضَّ العِنان عن السُّرى وتوقّفا

فكأنّه جيش تعاظم كثرةً ... قد جاء مزدحما يُبايع يُوسُفا
مَلِك به ترضى الخلافة والعُلا ... وبه تُجَدِّد في الرِّياسة ما عَفا
من لم يزل يَسْبي الفوارس في الوغى ... إن سلَّ في يوم الكريهة مُرْهَفا
أَلِفتْ محبَّته القلوبُ لأنه ... مَلِكٌ لنا بالجود أضحى مُتْحفا
أَلْقى إليه الأَمر والدُه الذى ... عن كل خطْبٍ في الوَرى ما استنكفا
يعقوبُ الملك الهُمَام المُجْتبا ... الماجد الأَوفى الرحيم الأَرْأَفا
يَهْواهُ من دون البنين كأَنما ... يعقوبُ يعقوبُ ويوسفُ يوسُفا
طوبى لِمن في الناس قبَّل كفَّه ... والويل منه لمن غدا مُتوقِّفا
أَعطاك ربُّك وارتضاك لخلْقه ... فاقتُل بسيفك من أَبا وتخلَّفا
وامدُد يمينك للوفود فكلهم ... لليوم عاد مُؤمِّلا متشوِّفا
فاليوم لا تخشى النِّعاج ذِيابها ... ويعود من يَسْطو بها متعطِّفا
صَلُح الزمان فلا عدوٌّ يتَّقى ... لم يخش خلْقٌ في عُلاك تخوُّفا
لم لا وعَدْلُك للبريَّة شامل ... طبْعاً وغيرك لا يزال تكلُّفا
يا من سُررتُ بمُلْكه وعَلايه ... اليوم أَعلمُ أَن دهرى أَنصفا
فإذا مَلكْتَ فكن وفيا حازما ... واعلم بأَن المُلْك يُصْلح بالوفا
وأَفِض بَذْلك للوجود وكنْ لهم ... كهْفًا وكُن ببَعِيدهم مُسْتعطفا
فالجود يُصلح ما تعلَّم في العُلا ... وسواه يُفسد في الخلافة ما صفا
إن البريَّة في يديك زمامُها ... فاحذر فدَيْتُك إن تكون مُعَنِّفا
يا من تسرْبل بالمكارم والعلا ... ما زال حاسدكم يَزيد تأَسُّفا
خذها إليك قصيدة من شاعر ... في نَظْم فخرك كيف شا تصرَّفا
خضع الكلام له فصار كعَبْدِه ... ما شاء يصنع ناظماً ومُؤَلِّفا
لا زالت الأَمجاد تخدم مَجْدكم ... ما زارت الحجاج مَرْوَة والصَّفا

{...

ومما قاله كذلك صاحب الإحاطة[334] :

{... فمن ذلك فيما يختص بملوك المغرب قولي في ذكر أبي يعقوب:

ثم تقضّى مُعظم الزمان ... مواصلاً حَصْر بنى زيّان

حتى [أتى] أهل تلمسان الفَرَج ... ونَشَقُوا من جانب اللُّطْف الأرج

لما ترقّى دَرَج السّعد دَرَج ... فانفضّ ضيق الحصر عنها وانْفَرَج

وابنُ ابْنِه وهو المسمى عامراً ... أصبح بعدُ ناهياً وآمراً

وكان لَيْثاً دامِى المَخالب ... تغَلَّب الأَمر بجدٍّ غالب

أَباح بالسَّيف نفوسًا عِدَّة ... فلم تَطُل فى المُلْك منه المُدَةً

ومات حَتْفَ أنفه واخْتَرما ... ثم سليمان عليها قُدِّما

أبو الربيع دهرُه ربيعُ ... يُثْنى على سِيرته الجميع

حتى إذا الملك سليمان قضى ... تصيَّر الملك لعثمن الرِّضا

فلاح نور السَّعد فيها وأضا ... وسَنَّ العهدَ الذى كان مضا

وجاء ذكر السلطان أبو يعقوب يوسف في أرجوزة العلامة البليغ لسان الدين بن الخطيب، حيث قال[335]:

حتى إذا الله إليه قيَّضه ... قام ابنه يوسف فيها عوضه

وهو الهمام الملك الكبير ... فابتهج المِنْبر والسَّرير

وضخُم الملك وذاع الصِّيت ... بملكه وانتظم الشَّتيت

وساعد السَّعد وأغضى الدهر ... وخلُص السرُّ له والجهر

وأُمل الجود وخيف البأْس ... واستَشْعَر الخِشْية منه الناس

ثم تقضَّى معظم الزمان ... مواصلا حَصْر بنى زيَّان

حتى أهلَّ تلمسان الفرج ... ونشقوا من جانب اللطف الفرج

لما توفى درج السعد درج ... فانفرج ضيق الحصر عنها وانفرج

ومما نظمه صاحب الرحلة المغربية، الرحالة والعلامة محمد العبدري الحاحي في السلطان أبو يعقوب يوسف قوله في رحلته[336] :

{... أو ليس من الأمر الأمر الخارج عن كل قياس أن المسافر عندما يخرج عن أنظار مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء و خبط عشواء لا يأمن على ماله و لا على نفسه . و لا يؤمل راحة في غده اذ لم يرها في يومه و أمسه. يروح ويغدو و لحمه على وضم . يظلم ويخفى و يهتضم. تتعاطاه الأيدي الغاشمة وتتهاداه الأكف الظالمة.

لا منجد له و لا معين. و لا ملجأ يعتصم به مسكين فيستنجد و يستغيث و أنى له بالمنجد المغيث. ينادي و هو في قيد المظالم يرسف. ألا ناصر ينجد . ألا راحم يرؤف و يتذكر ملك البرين فيقرأ يا أسفا على يوسف:

فمن مبلغ علياه عني من نظمي — رسالة مستعد شكا ظلمة الظلم
ضعيف القوى أودت بانضاء جسمه — فياف برت أهوالها مصمت العظم
مهامه ينضين الفنيق وان قضت — على ابن سبيل والت الجور في الحكم
إذا ضافها ضيف قرته بلحمه — فلم يعدها الا عريا من اللحم
وخيم فيها كل فظ إذا رأى — بنية شخص لم يكفكف عن الهدم
يرى ان حكم النبت والناس واحد — فما ينثني فيهم عن الخضم والقضم
ويرتاح للحجاج حين يراهم — كليث طوى منه الطوى راح للضغم
فكلهم السفاف وهو بشؤمه — على قبره كوم عظيم من الرضم
وأعجب من هذا ملوك بزعمهم — وجودهم في الأرض شر من العدم
رضوا بسأم لا محصل عندها — كطفل يرضى بالمحال من الزعم

إذا استصرخ المظلوم منهم معظما   فقد طلب الفتوى إلى غير ذي علم

وان يشك مضطرا إليهم فقد شكا   إلى غير ذي فضل فتى غير ذي فهم

ألا لا تطل شكوى فلست بمشتك   إلى ملك البرين وأسكت على رغم

فذاك الذي أفنى الطغاة بسيفـــه   فلـــم يبق منهم من يشير إلى ظلـــم

أبادهم حتى غدا الغرب حضـــرة   مطهرة من كـــل عيـــب ومن وصم

بذكراه فلهـــج تعتصـــم بسعوده   إذا أنت لم تعصم بسيف لـــه يصـــم

هو المرء يغني حين يعطي وان يصل   تقل دكت الدنيـــا ولم يبق من رسم

إذا احتال مغتال بســـم عـــدوه   فصارمـــه الهنـــدي يغني عن السم

و ان دان ذو ضعف بكيد مكتم   فبالسيف يمحو الكيد لاكن بلا كتم

له صارم يدنـــو بعيـــن محـــدق   إلى كل من يخطر له الشر في وهم

أراق دماء الظالمين فقد غـــدت   على حلة العلياء أبهى مـــن الرقـــم

ترى سيفه في الحرب يهدي ويهتدي   إذا ضل ما يرمى وضل الذي يرمي

إذا رص في أمـــر بنـــاه عزيمـــة   فلا تخش من وهي ولا تخش من ثلم

يوافيك منـــه وافيـــا أو معاديـــا   غمام يروي أو حســـام لـــه يصـــم

لئن عذبت في السمع أمداح مجده   فان نداه الجم مستعـــذب الطعـــم

وإمـــا جرى درا نظامـــي فانهـــا   فضائلـــه طرا ومالي سوى النظـــم

لقد لذ حتى قلت ان كنت ابتغي   ثوابا بـــه فهو النهايـــة في الظلـــم

ينيـــل يسارا من غدا الفقر حلفه   ويولي افتقـــارا مـــن تمول بالغشم

ولا غرو في الضدين ان جمعا بـــه   غنى وافتقـــارا هكذا حالـــة اليـــم

يقيم بطبع الفضل أوزان نظمـــه   فقد صين من كف لديه ومن حـــزم

وليـــس يعد الغنم مـــا لا يحوزه   إذا عده ذو البخل مـــن أعظم الغنم

ولكنهـــا نفـــس عتت وتجبرت   فحظهمـــا وطنـــي المقيـــد للهـــدم

فصيـــرها مملوكـــة بعد ملكهـــا   وحـــط علاها وهي أبعـــد من نجـــم

وعوضها من عـــزة الملك ذلـــة   ومن صحة الأحوال منهكـــة السقـــم

إذا حل عزم الأمر حزم بدا لــه ... وما الحزم كل الحزم في صحــة العــزم

طغى الكفر حتـــى صده بجيوشه ... كمـــا صد ذو القرنين يا جوج بالردم

بحمر وشقر كالدنانيـــر لونهـــا ... وشهب كبيض الصحف أو لونها ينم

وقد سددت بالخوف منها عداتها ... فلم ترهـــا جمعــاء إلا مـــن الدهـــم

فكم بطل حلف الأباطل أبطلـــت ... وكـــم خرمت من قد تجرم بالجرم

وكم نصبت إذ أنصبت رفع فاعـــل ... وألنت على أفعاله عامـــل الجزم

وكم مارد مهما غدا انقض نحـــوه ... شهاب من الفرسان أقصد من سهم

وكم صف صف في السلاسل منهم ... كما صف في الأرباق حاشية البهم

توزعهم ريـــب الزمـــان توزعـــا ... أرى حاسب الأعداد كيفة القسم

فأموالهم للنهـــب والأهـــل للسبا ... وأرواحهم للنار والجسم للحطـــم

كذا يبتنى المجد الرفيـــع وهكـــذا ... تضم خصال المجد في نسق النظـــم

فيا أيها الســـاري المعـــد لأرضـــه ... ليهنك أمن في ذراه مـــن الظلـــم

ويهنيك أن تحظـــى بقـــرب جنابه ... فتأمن من عرب هناك ومن عجـــم

حنانيك أبلـــغ نحـــوه لي رسالـــة ... تبلغ شكوى مسترق مـــن الهـــم

وشد بالذي حبرته مـــن مدائـــح ... يفوق بها الياقوت در من الكلـــم

مدائح يختال الزمـــان بذكرهـــا ... صحائح ما ترمي بزور ولا إثـــم

إذا برزت في حلبة الشعر برزت ... وحاز سواها نعتي السكت واللطم

كعاب إذا لاحت سبت كل ناظر ... فيسلو بها عن ذكر هند وعن نعـــم

إذا جليت قام العيـــان بمدحهـــا ... فأظهر تفنيد المشيـــر إلـــى الـــذم

ولم ألف في مصر و لاالشام كفؤها ... فأطرقت إطراق الشجاع من الغـــم

فأبلغ بها نلـــت الأمانـــي أمانـــة ... و لا تظلمنها بابتـــذال و لا كتـــم

إلى الملك السامي صعوداً على الورى ... وليثهم في الحروب و الغيث في السلـــم

إلى من له كف إذا المزن أخلفت ... فما أن تزال الدهر ساجـــة تهـــم

إلى فاضل أعيي الأفاضل شـــأوه ... فمن مثله الدنيا أصرت على عقـــم

إلى يوسف سيف الاله الذي أتى ... لحسم العدا أن الحسام من الحســـم

فدام ودامت في الصعود سعوده ... هنيئا لمن يسمو له كـــل ما يسم

مرقى موقى مستجـــارا مزمـــلا ... منيراً مبيـــراً للظـــلام وللظلـــم

عليا كريم السعي يرجـــى ويتقـــى ... مفيداً مبيداً في رضاه وفي الرغـــم

مصون العلا ما ضم در مديحـــه ... ورصع في بدء الحديث و في الختم

{...

وفي مسير أبي يعقوب يوسف إلى الجزيرة وانقاذها على يديه، قال الملزوزي[337] :

لما رأى يوسف ما دهاها ❀ عشية توخذ أو ضحاها

وكان قد جاء من أرض القبله ❀ فمر من فاس بغير مهله

حتى أتا طنجة باجتهاد ❀ بأمر يعقوب أخى الرشاد

فأمر الاسطول بالجهاز ❀ وحضه حضاً على البراز

وكتب الكتب الى الفقيه ❀ من طنجة بكل ما يرضيه

أن يسر الأجفان والزوارقا ❀ وكن لما يرضى الالاه سابقا

نادى أبو حاتم الغزاة ❀ جدوا عسى تشتتوا العداة

وتنقذوا الجزيرة الخضراء ❀ فالدين قد لاقا بها ضراء

قد قيل حقاً انها معصومه ❀ على النصارا لم تزل مشؤومه

فجهزوا أسطوله المظفرا ❀ وكل من فى سبتة ما قصرا

وأقبلت قطائع ابن الأحمر ❀ مشحونة بكل نجد قسور

وظهرت فى ديننا حميه ❀ من كل ذى دين من البريه

فأم أسطول الفقيه طنجه ❀ لكى يرى يوسف تلك البهجه

ويوسف أسطوله قد جهزا ❀ فجاء أيضاً نحوه وبرزا

والنصر والفتح بها يبوح ❀ وصار فيها نيراً يلوح

قد جهزوا بأحسن الجهاز ❀ وعولوا قصداً على البراز

وجعل الأمير فى أسطوله ❀ عصابة بالسمر من قبيله

وكل ذى النجدة من عبدانه ❀ وكل من عين من فرسانه

كأنها فى بحرها خيول ❀ وحيثما شاءت به تجول

عدتها سبعون جفناً كلها ❀ لكنها صغارها أقلها

وقطع الروم انتهت فى العده ❀ الى ثلاثمئة معده

السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف الناصر

ومما قاله العلامة الأديب لسـان الدين بن الخطيب في أرجوزته المسـماة رقم الحلل في نظم الدول بخصوص دولة السلطان أبوثابت عامر، قوله[338] :

ثم تولى عامر نجل ابنه ... مستبصرا في ضربه وطعنه
فاطعم السيف عداه وشفى ... وخلف العرب على الترب لقا
اباد بالقتل رياحا لما ... كابد اهل الغرب منهم غما
فأكلوا الاموال اكلا لما ... وذهبوا بالاسم والمسمى

السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف الناصر

ومما قاله العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته المسماة رقم الحلل في نظم الدول بخصوص دولة السلطان أبو الربيع سليمان، قوله[339] :

ثم تولى بعده ابو الربيـــع ودهره في الحسن والطيب ربيع

علا به الشرع وعز الديــن وضاء من وجه الهدى الجبين

فبذل العدل وحسن السيـــره واختار للفصل قضاة خيـــره

حتى اذا اودى سريعا وقضى تصير الامر لعثمان الرضـــا

السلطان أبو سعيد عثمان الثاني بن يعقوب المنصور

وهذه قصيدة مولدية في مدح خير الأنام لخادم الحضرة العلية، الأديب أحمد بن سعيد بن القراق التجيبي، كاتب الدولة المرينية، وعلى عادة المغاربة فإنه يثني كذلك في هذه القصيدة على السلطان أبي سعيد عثمان وابنه وولي عهده الأمير أبي الحسن. وهذا مطلع القصيدة[340] :

بشرى الهدى بطلوع اليمن حين بدا   في ليلة خير مبعوث بها ولدا

محمد المصطفى الميمون طائره   ازرى سناه بنور الشمس متقدا

لله مولده اذ قد اتى بهـــدى   للانس والجن اذ نالوا بــه رشَدا

عم السرور به الدنيا وحق لهـــا   اذ شُرفت بنبي بالهدى وردا

ومنها في مدح السلطان:

اهلا بمولده الأسنى وسابعه   ووقت عُرسهما الميمون اذ وفدا

قد جاد فيه ووفّى حقّــه مــلك   وبالقيام به قد جد واجتهدا

وناب فيه بما يرجو الثواب بـــه   اذا يؤمّل احسان الثواب غـــدا

زين الملوك امير المسلمين ابو   سعيد ابن مليك عُــد في الشهدا

افاض انعمه فيه والبســــــه   بالاعتناء الذي لا ينقضي بردا

بشراه قد ظفرت يمناه فيه بما   من قدره عظّم المولى لقد سعِدا

كما اقام ولي العهد سابعَـــه   وعاد ينحو بــه منحاه متحدا

اعاد في كل عام للسرور بــه   عيداً واضفى به احسانَه رغَدا

وصار من حبّه يلقـــاه معتنياً   بكل فضل وخير مثلما عَهِـدا

عوائد منه في حق النبي غـــدت   تبقي له العز والاسعادَ مطردا

لكنه مـــع هـــذا قـــام معتـــذرا   الى كمال خلال المجد مستندا

لله ما صنع المولى ابو حسن   في سابع المصطفى الماحي الذي ولدا

حاز الفخار به والأجر مغتنما   يلقاه بالرحب في يوم المعاد غدا

وفي كتاب الذخيرة السنية والذي أُلف للسلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني، نجد بعد مقدمة صاحبه هاذان البيتان في مدحه[341] :

لا زال ملكهم فى رفعة وعلا	وسعدهم بمدى الأيام موصول
يفنوا العدا ويقيموا الدين من أود	وسيف نصرهم لله مسلول

وهذا أبو سعيد فرج بن محمد بن قريعات، يمدح السلطان أبا سعيد عثمان بمناسبة إعادة سبتة إلى السلطة المرينية سنة 728 هـ يقول في نهايتها[342] :

واهنأ بأسعد عيد فطر عائد	بالعفو والتمكين من كفارها
وقبل صوم ترتجي بركاته	وليهن سبتة أن حللت بدارها
خذها إليك سعدت أن حلت حما	من راحتيك وفزت باستقرارها
لازلت في نعم ترف ظلالها	ويمدها الرحمان باستمرارها

ومما جاء كذلك في ذكر ولاية وسيرة هذا السلطان، ما ذكره العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته المسماة رقم الحلل في نظم الدول، حيث قال[343] :

حتى اذا اودى سريعا وقضى	تصير الامر لعثمان الرضا
فلاح نور السعد فيها واضيا	ونسى العهد الذى كان مضى
اى غمام مستهل الجود	ورحمة لله فى الوجود
اسعد من حل سرير ملك	وواحد الجود بغير شك
الحلم والعفاف والسكون	والنصر والتوفيق والتمكين
تهنا الملك سنين عده	لم يلق فى نعمائه من شده
الا الذى قد ناله من نجله	فكان جل كربه من اجله
لاذت به البلاد من اندلس	فعوض الوحشة بالتانس
وعاجل الكفر ببعث الحصه	فكابد العدو منها غصه
وعاش ما عاش هنيئا وادعا	للمال والجيش العديد جامعا
واخلق مثنون على ايامه	حتى دعا الداعي الى حمامه

السلطان أبو الحسن علي بن عثمان الثاني المريني

شهدت الدولة المرينية أقصى امتدادها في عهد السلطان المعظم أبي الحسن المريني،حيث بلغت من طرابلس إلى أقصى الساقية الحمراء وشملت الأندلس والمغرب الأوسط والأدنى تجمعهم العاصمة فاس.

ومن شعر السلطان أبي الحسن[344] :

أُرْضِي اللهَ فِي سِرّ وَجَهْرٍ ... وأَحْمِي العِرْضَ عن دَنَسِ ارْتِيابِ

وأُعْطِي الوَفْرَ مِن مَالِي اختِياراً ... وأَضرِبُ بالسُّيوفِ طُلَى الرِّقَابِ

وهذا كاتب الدولة المرينية أحمد بن سعيد بن القراق التجيبي يهنأ السلطان أبا الحسن – لما كان أميرا وليا للعهد – بولادة أول مولود له[345] :

بشرى الهدى يابن السراة الصيد ... بقدوم مولود عليك سعيد

للمجد جيد" كان منه معطلا ... فغدا بمقدمه محلّى الجيد

واتتْ لنا الأيام تبسم عن سنا ... نور ونَوْرٍ كانتظام عقود

فكأن رونق صبحها واصيلها ... ضحكات ثغر واحمرار خدود

ومبارك وافَى بأيمن طالع ... أعراقه تَنمَى لأكرم عود

فرعُ الجلالة وابن اوحدها الذي ... صَدعت به ظُلَمُ الليالي السود

اكرمْ بشهر فيه قد وافى لقد ... فاق الشهور بطالع مسعود

وكسا الزمانَ محاسناً منضودة ... نُشرت بكل تهائم ونجود

امِنَ الخلائق فيه من وقْع الردى ... والشملُ من بيْن ومن تبديد

لله اشرفُ والدٍ قد اشرقت ... من صلبه الدنيا بخير وليد

فيه مخايلُ من حلاه وانما ... شيمُ الولود تبين في المولود

بشرى له بمُيَمَّنٍ ومبارك ... ومؤيَّد بسعوده معضود

جاء الزمانُ به فاشرق نوره ... وتشرفت منه الدنا بوحيد

يهنيك ياقمر الامارة قادم" ... صعدت به العلياء ايَّ صعود

ومما جاء من أبيات منقوشة على يمين وشمال محراب قبة المدرسة الجديدة بمكناس والتي وقف على بنائها السلطان أبو الحسن علي رحمه الله، هذه الأبيات[346] :

نزّه جفونَا منك في مدرسة	أربت على كل سني ونزهة
لقد تبدت في فنون وشيها	كروضة غب انسكاب ديمة
أكملها الباني على اتقانها	فكمل الحسن بها وتمت
بأمر مولانا المطاع أمره	على العالي الندى الخليفة
من شرف العلم وأعلى قدره	وأظهر الحق بكل وجهة
على يدي قاضيه في مكناسة	ابن أبي الغمي الحميد السيرة
عام ثلاثين وستة خلت	من بعد سبعمائة للهجرة
فنصر الرحمن من زان بها	مكناسة الغرب أتم نصرة
ونفع الذي أقام حسنها	بفضل جد وكريم نية
ما رفعت بيوته في أرضه	وتلا الأذن لها برفعة

ومما ينسب للسلطان أبي الحسن قوله في بناء هذه المدرسة الجديدة بمكناس، وهي أنه لما رفع إليه ما صرف في بنائها استغلى ذلك، فلما وقف عليها وأعجبته أخذ حسابها وغرقه في صهريجها وأنشد[347]:

لا بَاسَ بالغالي إذا قِيل حَسن لَيْس لما تَسْتَحْسنُ العَيْنُ ثَمَن

ومما ذكره ابن الخطيب، بيت من قصيدة لإبراهيم الأنصاري الساحلي المعروف بالطويجن، يمدح بها السلطان أبو الحسن، عند دنو ركابه من ظاهر تلمسان ببابها[348] :

خَطَرت كَمَيّاس القنا المُتأطِّر وَرَنت بألحاظ الغزال الأعفر

وهذه قصيدة زجل للكفيف الزرهوني يذكر فيها هزيمة السلطان أبا الحسن المريني بإفريقية وانقطاع خبره عن رعيته[349] :

سُبْحان مالِك خواطر الأُمْرا ونْوَاصِيها في كُلّ حين وزْمــان
إن طِعْنا عطّفْهم لنـــا قَسْرا وان عْصِيناه عاقْب بكُلّ هوَان

●

كُنْ مَرْعِي قُل ولاتكُن راعِي فالرَّاعي عن رَعيّتـه مَسْؤُول
واسْتفتح بالصَّلاة على الدَّاعي للإسلام والرّضا السَّني المَكْمُول
على الخُلفا الرَّاشدين والاتْباع واذكُر بعْـدهم إذا تحبّ وقْول
احجّــاجــاً تحللوا الصَّحْرا ودّوا سَرْح البلاد مْع السكّان
عَسْكر فـاس المنيرة الغَرَّا وَيْن سَارت بـه عْزَايْم السُّلْطان

●

أحجّاجاً بالنّبي الذي زُرْتُم وقْطعتُم لُو كْلاكْل البَيْــدا
عن جيْش الغَرْب حين يسْألكُم المتْلُوف في افْرِيقْيــا السوْدا
ومَن كاَن بالعْطَايا يزّودْكُم ويدَع بريّــة الحجـاز رَغْدا
قَام قُل للسدّ صادف الجزْرا ويعْجز شوط بعد ما يُخفَــان
ويزفّ كردُوم وتهب في الغَبْرا أي ما زَاد غزَالهم سَبْحَان

●

لوْ كان ما بين تُونس الغَرْبا وبْلاد الغَرْب سدّ اسكَنْدَر
مَبْنِي من شرْقها الى غَرْبا طبْقَة بْجْديد وثَانْيا بصُفَر

لا بُدّ للطّير انـ تجيب نبَا — او يَأْتِي الرّيح عنهم بفَرْد خبَر
ما اعوضها من امور ومَا شرّا — لو تقْرا كلّ يُوم على الدّيوَانـ
لجْرَتْ بالدّم وانْصدع حجْرا — وهْوَت الخراب وخافَت الغزْلان

•

أدْرِ لي بعَقْلَك الفحّاص — وتفكّرْ لي بخاطْرك جَمْعـا
ان كانْ تعْلَم حَمَام ولا رقّاص — عن السُّلطـان شهْر وقبْله سَبْعا
تظْهر عند المهيمن القصّاص — وعْلامات تُنشَر على الصّمْعا
الّا قوْم عارْيين بلا ستْرا — مجهُولين لا مْكان ولا إمكانـ
ما يدرُوا كِيف يصُوروا كْسرا — وكِيف دخْلُوا مدِينة القيرَوان

•

امولاي ابو الحسن خطِينا الْبَاب — قَضيَّـة سيْرنا الى تُونْس
نُقنا كنّا على الجْرِيد والزّاب — وَاشْ الك في اعْرَاب افْريقيا القُوبْس
ما بلْغك من عُمَر فتَى الخطّاب — الفارُوق فاتْح القُرى المُولْس
مْلْك الشّام والحْجاز وتَاجْ كِسْرى — وفْتح من افْريقيا وكَان
ردّ ولدت لُو كرّة ذكرى — ونقل فيهـا تفرّق ألاخـوان

•

هذا الفَارُوق مُردِي الاعوان — صرّح في افريقيا بذا التصريح
وبقَت حمَى الى زْمان عثمان — وفْتحها ابن الزُّبير عن تصحيح
لما دْخلتْ غنَائمها الدّيوان — ماتْ عْثمان وانقلْبت علينا الرّيح
وافْترق الناس على ثلاثة أمَرا — وبقِي ما هو للسكُوت عُنْوان
اذا كان ذَا من مـدّة البَرَا — أشْ نعْمل في اواخر الأزْمـان

وعند فتح السلطان أبي الحسن لإفريقية واستيلائه على تونس وأعمالها، بادر الشعراء بتونس برفع قصائد التهنئة إليه بمناسبة الفتح العظيم، وكان سابقهم في شعر العرب أبو القاسم الرحوي ، وهذه أبيات من قصيدته[350] :

أجابَكَ شرقٌ إذ دَعَوْتَ ومَغْرِبٌ … فَمَكَّةُ هَشَّتْ لِلِّقاءِ ويَثْرِبُ
ونادَاكَ مِصْرٌ والعراقُ وشامُهُ … بِداراً ، فصدعُ الدين عِنْدَكَ يُشْعَبُ
وحيَّتْكَ أوْ كادَتْ تُحَيِّي مَنَابِرٌ … عليها دُعَاةُ الحقِّ باسمِكَ تَخْطِبُ
فَسَارَعَ مِنَّا كُلُّ دانٍ وشَاسِعٍ … إلى طاعَةٍ من طَاعَةِ اللهِ تُحْسَبُ
وتاقَتْ لَكَ الأَرْوَاحُ حُبًّا ورَغْبَةً … وأنتَ على الآمالِ تَنْأى وتَقْرُبُ
فَفي البَلْدَةِ البَيْضَاءِ مَعْشَرٌ … وأَنْتَ بأُفْقِ الناصِريَّةِ تَرْقُبُ
ووافَتْكَ من ذاتِ النَخِيلِ وفودُها … فَلَقَاهُم أهلٌ لديكَ ومَرْحَبُ
ولِمَ تتلكّأ عن إباء بَجَايَةَ … ولكنّ تُرَاضِ الصعبَ حيناً وتركبُ
تأبّت فلمّا أنْ أطَلّت عَسَاكِرٌ … ترى الشُهُبَ منها تُسْتَبَاحُ وتُنْهَبُ

تَبَادَرَ مِنْهُمْ مُذْعِنٌ ومُسَلِمٌ … وأذْعَنَ مِنهُم شَاغِبٌ ومُؤَلِّبُ
ومَا تونسَ إلاَّ بمصْرٍ مروَعٌ … وفي حَرَمٍ أمْسَتْ لديكَ تسرَّبُ
ومَا أهلُها إلا بُغاث لِصائِدٍ … وبالعزِّ منها استَنْصَروا وتَعَقَّبُوا
وقَدْ كُنْتَ قبلَ اليوم كِهفَ زعيمِهم … فها أنت كهفٌ للجميعِ ومَهْرَبُ
فكُلٌّ يرى أنَّ الزمانَ أدالَهُ … بكُم فأجاب العيشُ والعَيْشُ مخصبُ
وكذَلكَ إبنٌ طائعٌ وإن اعتَلَت … به السنّ أحوالاً وأنتَ له أبُ
وما ذاك إلا أن عدلك يَنْتَمي … إلى الخلفاءِ الراشدينَ ويُنْسَبُ
تسامَيْتَ في مُلْكٍ ونسكٍ بحُظْةٍ … حَذِيّاكَ مِحْرابٌ لديها ومركبُ
إذا لذّ لِلأمْلاك خمرٌ مدامةً … فلذّلكَ القُرآن يُتْلَى ويُكْتَبُ
وإنْ أدْ مَنَ القومُ الصبوحَ فإنّما … على ركَعاتٍ بالضُحَى أنتَ تَدْأبَ
وإن حَمَدوا الشرْبَ الغَبوقِ فإنّما … شرابُكَ بالإمْسَاءِ ذِكْرٌ مُرَتّبُ
وإنْ خَشُنَتْ أخلاقُهُمْ وتحجّبوا … فما أنْت فظّ بل ، ولا مُتَحَجّبُ
لقد كَرُمَتْ مِنْكَ السجايا فأصْبَحَتْ … إذا ما أمرّ الدهرُ تحلو وتَعْذُبُ
كما شيّدْتَ بيتاً في ذؤابَةِ مَعْشَرٍ … يزيدُهم قَحْطانُ فخراً ويَعْرُبُ
هُمُ التارِكو قلبَ القَسَاور خضّعاً … وعن شأوهِمْ كُفّتْ عبيدٌ وأغلُبُ
همُ الناسُ والأملاكُ تحت جوارِهِم … همُ العُظُمُ الأرضُ العظيمةُ مغربُ
هم المالكو الملكَ العظيمِ فبيتهم … على كاهِلِ السبعِ الشِدادِ مُطَنَّبُ
لقد أصْبَحَتْ بَغْدَادُ تَحْسِدُ بأسَهُم … وحلة ودّت أن تكونَ مناسب
تجلّت ببيت المجد منهم كواكبٌ … لقد حلّ منها شارِقٌ ومُغَرّبُ
فالله مِنْهُم ثلّةٌ بغريبة … يروم بِناها الأعجميٌّ فَيَعْرَبُ
لقد قام عبدُ الحقِّ للحقِّ طالباً … فافاتَه منه الذي قام يطلَبُ
وأعقَبَ يعقوباً يوْمُ سبيلَهُ … فلم يُخْطِهِ وَهْوَ السبيلُ المنجبُ

ومما ذكره الوزير ابن الخطيب في كتابه رقم الحلل في ولاية السلطان أبي الحسن، قوله[351] :

فقام بالامر ابنه علي ... من بعد نعم الناصر الولي
الملك المعدود من خير سلف ... ومجمع القول اذا القول اختلف
الدين والعفاف والجلاله ... والعز والقدرة والجزاله
والعلم والحلم وفضل الدين ... وصفوة الصفوة من مرين
ممهد الملك ومسدي المنن ... وواحد الدهر وفخر الزمن
باني المباني النخبة الشريفه ... بمقتضى همته المنيفه
وتارك المدارس الظريفه ... شاهدة بانه الخليفه
وقاطع الدهر بغير لهو ... في مجلس معظم او بهو
اما لتدبير وعلم يدرس ... او لبلاد من عدو تحرس
او لاياد من عباد تغرس ... او لثواب و رضى يلتمس
او نسخ قرءان وعرض حزب ... او عدة معدة للحرب

وفي ذكره لبعض فتوحاته رحمه الله ، اخترت هذه الأبيات:

اتى تلمسان بعزم لا يني ... كالسيف ماض حده لا ينثني
فاثر السكنى عليها وبنى ... واتخذ القصر بها واستوطنا
ثم بنى المنصورة الشهيره ... الفذة الجامعة الكبيره
وصابر الايام حتى نالا ... من فتحها بسيفه الامالا
وقبل ما كان افتتاح الجبل ... نشيدة العز وفخر الملل
ثم ترامت نفسه الكريمه ... الى جهاد الامة الذميمه
فاعمل الرحلة والعزيمه ... ثم عليه كانت الهزيمه
وكان في الصدر نسيج وحده ... فلم يفل وقعها من حده

وعند ما زار بلاد الشـــــرق ... شام بتونس وميض البــــرق
اذ كان جمعها انتهى لفــــرق ... لما قضى سلطانها بحــــق
فاعمل السير اليهم واعتـــزم ... وجيشه جيش بني حفص دزم
من بعد ما استولى على بجايه ... واخذها اعظم بها بدايـــه
يا ليته لم يطلب النهايـــه ... فانما النقصان بعد الغايـــه

ثم على تونس بعد استـــولى ... واستعظم العرب ذاك الهـــولا
وعلموا ان حمامهم قد طـــرق ... فكلهم منتهب القلب حنق
فاجتمعوا وانتدبوا واتلفــــوا ... واعتقدوا واغتفروا وحلفـــوا
وقدموا بجمعهم اليـــــه ... لحسن الظن بمن لديـــه
وكلما سار اليهم اجفلـــوا ... وكلما ادبر عنهم اقبلـــوا
حتى اذا ما القيروان حـــل ... تفاقم الامر بها وجـــل
وهربت من جيشه الشـــراق ... وبادر الجمع الى افتـــراق

ومن شـعر الأمير عمر بن عثمان بن يعقوب قوله مخاطبا أخاه السـلطان أبو الحسن عندما حاصره هذا الأخير بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره[352] :

فلا يغرنك الدهـر الخئون فكـم ... أباد من كـان قبلى يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفـة ... لابد مـن فـرح فيه ومن حـزن
ايـن الملـوك التى كانت تهابهـم ... أسد العرين ثووا فى اللحد والكفن
بعد الأسرة والتيجان قد محيـت ... رسومها وعفت عن كل ذى حسن

ومن شـعر محمد بن أبي الحسـين يحيى بن أبي القاسـم إمام القرويين بعد أبيه في عهد أبي الحسن، وهو قوله عند تأخيره[353] :

أمولاى يا خير الملوك ومن لـــه	مزايا على كـل الملـوك الاكابـر
اما آن ان تحنـــو وترحم شاخنـــى	وحبك ثاو فى الحشا والضمائــر
وحب ابـــى قبلـــى اليك مجـــدد	لدى كل باد فى الانـام وحاضـر
فكيف يضيع الحب يانور ناظـرى	وانت امـــام ذو العـلا والمآثـر
وكيـــف يكون المزدغى حبيبكـــم	مضاما مهانا فى القـرى والحواضر
وقد قال اهل العلم طراً بفاسنـا	بان الذى قـد كان ليس بضائـر
وغاية ما قد عددوهـا صغائـر	ولا قدح فيمن قــد اتى بالصغائر
أأبعــد عنكـم دون فعل كبـيرة	وامنع قهرا مــن صعود المنابـر
ولو كنت يا مولاى أعلم أن مــن	رقـــى منبرا مثلى يكون مناظـرى
لما طمحت نفسى لشيء من العــلا	والزمتها هون الصفوف الأواخـر

كما وجه إليه بأخرى يقول فيها[354] :

ما لي سوى المقتدَى بالكتب والرسل	بعد الإله أمير المسلمين علـي
ما لي سواه لما أرجوه من منن	ما لي سواه لنيل السؤل والأمل
نجل الخليفة عثمان الذي وضحت	منه المعالي وضوحاً غير محتمل
أعني أبا حسن قطبَ الملوك ومَن	أحيى الخلافة في علم وفي عمل
غوث الملوك اذا خطب ألمَّ بهم	غيثُ العفاة ، أمانُ الخائف الوجل
بحـرُ السماحـة فيـاضٌ لـوارده	عذبٌ ويرويك في نهل وفي عَلل
يُنسيك يومَ هياج الحرب عنترَهم	عند الطعان وما عمرو بمحتفل
ماضي العزيمة فردٌ في شجاعته	يوفي على كل ذي وصف وذي مثل

وهذه قصيدة أبو عبد الله بن راجح في مدح السلطان أبي الحسن بمناسبة فتحه لمدينة تلمسان وهذا قوله[355] :

وصير عيد الفطر أضحى لأنـه به في العدى بالقضب أضحى له نحر
وكل بنيكم لا أحاشي له علا على فوق علياء الملوك له خطر
وهل ينبت الخطي إلا وشجيه كذا الشبل مثل الليث يلقى له هصر
هم أنجم الدنيا وزينتها كما بها أنتم الشمس المنيرة والبدر

ومما كان ينشده السلطان أبو الحسن ما جاء به صاحب المسند الصحيح الحسن، حيث قال فيه[356] :

كان رضي الله عنه اذا سئل عطاء أو يستكثر ما يخرج من يده من العطاء والبذل، يقول: « انما ننفق من خزائن الله متوكلين على الله وخزائنه مفتوحة » . وكان الفقيه الكاتب أبو العباس بن شعيب أنشدني للإمام الولي أبي الفضل بن النحوي رضي الله عنه بيتين قال: « كثيرا ما كان ينشدهما، فلما حفظتهما عنه وأنشدتهما لمولانا المرحوم رحمه الله، فحفظهما فكان لا يجري هذا الغرض ولا يقع هذا الغرض، إلا أنشدهما، ويقول: « السلطان أحق بانشاد هذين البيتين لكونه مطلوبا من كل أحد، وهما:

يا الاهي يا الاهي ليس يخفى الحال عنكا
كلهم يطلب مني وأنا أطلب منكا

و كان ينشد لإبن النحوي المذكور مما أنشدنيه ابن شعيب له قال أنه لما ودع أهله متوجها إلى الحج سألوه النفقة فأنشدهم:

ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت فى أهلي
لأنه أرأف مني بهم وفضله أوسع من فضلي

ومما قاله البليغ الأديب لســـان الدين بن الخطيب لما زار جبل هنتاتة وعاين محل وفاة السلطان أبي الحسن، قوله[357] :

يا حسنها من أربع وديار	أضحت لباغي الأمن دار قرار
وجبال عز لا تذل أنوفها	إلا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد واس خلافة	آثارها تبنى عن الأخبار
ما كنت أحسب أن أنهار الندى	تجري بها في جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحجا	تلتاح في قنن وفي أحجار
مجت جوانبها البرود وإن تكن	شبت بها الأعداء جذوة نار
هدت بناها في سبيل وفائها	فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدها على المجد العدا	رضيت بعيث النار لا بالعار
عمرت بحلة عامر وأعزها	عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى	والباس في طلق وفي مضمار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما	محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة	بالأصل في ورق وفي أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاتة	في جوها بمطالع الأقمار
لله أي قبيلة تركت لها الـ	نظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت أمير المسلمين وملكه	قد أسلمته عزائم الأنصار

ومما ذكره العلامة ابن خلدون قوله في أخبار ابن الخطيب:

{...و عندما مر بسلا في قفوله من سفره، دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يريثه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها[358] :

إنْ بـــانَ مَنْزِلُـــهُ وَشَطَّتْ دَارُهُ   قـامَتْ مَقَـامَ عَيَـانِـهِ أَخْبَـارُهُ

قُسِّمْ زَمَـــانُكَ عِبْرَةً أو غيرةً   هـــذا ثَرَاه وهـــذه آثـــارُهُ

{...

السلطان أبو عنان فارس بن علي المريني

وهذه قصـــيدة السـلطان أبو عنان والتي قالها يرثي بها حاجبه الفقيه الرئيس الكاتب محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، إذ وجد السـلطان لفقده حزنا عظيما أداه ذلك لأن بعث الأمير أبو زيان محمد ليحضر جنازته بتلمسان. وهذه القصيدة[359] :

أَلِمَّا بأجداثِ العُلى والمَناصِبِ   تُحيي ثَراها واكِفاتُ السَّحائِبِ

وعُوجا بأكنافِ الضَّريحِ الذي حَوى   من الجُود والإفضالِ أسنى المَراتِبِ

ألا بَكِّيا غَيثَ المَواهب والجَدا   وليثَ الشَّرى نَجلَ السَّراةِ الأطايِبِ

وجُودا بِوَبْلِ الدَّمعِ تَهمي شُؤونُهُ   كما هتَنَتْ مُزنُ الغُيوث السَّواكِبِ

وبُوحا بأنْ المجدَ أقوَتْ ربوعُهُ   وزُلزِلَ منهُ مُشمَخِرُّ الأهاضِبِ

فيا رجُلَ الدُّنيا وواحِدَها الذي   تُحَثُّ لمَغناهُ مَطيُّ الرَّكائبِ

لقد كنتَ لي أُنساً وخِلّاً وصاحِباً   فَبِنْتَ ولم تَثنِ العِنانَ لِصاحِبِ

وقد أنشبَتْ فيكَ المنيَّةُ ظُفرَها   وما غادرَتْ يوماً منيعَ الجَوانِبِ

سَقَتكَ صُروفُ الدَّهرِ كاساتِ حتفِها   وجُرِّعتَ منها مُفظِعاتِ المَشارِبِ

ولاقيتَ مكروهَ الحِمامِ وقد سرى   عَبيرُ ثناكَ في الرُّبا والسَّباسِبِ

رُزِئتُ أبا عبدِ الإلهِ بفقدِكُمْ   فها أنا ذا أشكو بِرَيبِ النَّوائبِ

مُسعِّرةٌ نارَ الجَوى في جَوانِحي   تُذَكِّرني عهدَ النَّصيحِ المُراقِبِ

لقد رُزِئت فيكَ السَّماحةُ والنَّدى   وضُعضِعَ منها جانبٌ أيُّ جانبِ

وما كنتَ إلا الطَّودَ والبحرَ والسَّنى   تُضيءُ ضِياءَ الزَّاهراتِ الثَّواقِبِ

وما كنتَ إلا حائزاً كلَّ شيمةٍ   من الفضلِ سبّاقاً لِبَذلِ الرَّغائبِ

فما اختصَّتِ الأملاكُ مثلَ مُحمَّدٍ   ولا خُصِّصَتِ الأملاكُ منهُ بحاجِبِ

ولا نالتِ الأشرافُ ما نِلْتَ من علا ... وما هيَ نِدٌّ في النُّهى والمَناصبِ
وإن خُصَّ منهمْ ماجِدٌ بمزيَّةٍ ... فقد حُزْتَ في العُليا جميعَ المَناقبِ
نمتكَ إلى المَجْدِ الأثيلِ خصائصٌ ... يقصِّرُ عنها نجْلُ زيدٍ وحاجبِ
ظَعَنتَ من الدُّنيا حميداً مُقرَّبا ... وبِرمتَ بريئاً من ذَميمِ المثالبِ
وتالله ما دمعٌ بِراقٍ وإنَّما ... أكفكفُ منه كالعِهادِ الصوائبِ
تَغمَّدكَ الرَّحمنُ منهُ برحمةٍ ... وبلَّغكَ الزُّلفى وأقصى المآربِ
وبوَّاكَ من أعلى الجِنانِ قُصورَهُ ... تُحيِّيكَ فيها مُسْبلاتُ الذَّوائبِ
عليكَ سلامُ اللهِ ما لاحَ بارِقٌ ... وما سَجعَتْ وُرْقُ الحمامِ النَّوادبِ

ومما قاله هذا الحاجب المذكور لمخدومه السلطان المتوكل على الله أبي عنان، قوله:

أنا حاجبٌ لفظاً، ومعنى ... ليس لي منها نَصيبْ
فمتى دُعيتُ بحاجبٍ ... فالحقُّ ألا أستجيبْ
بالعَجْزِ عن ضَررِ العَدُوِّ ... وعن مُوالاةِ الحَبيبْ
فأنا البعيدُ حقيقةً ... وعلى المَجازِ أنا القَريبْ

فأجابه السلطان بقوله:

لئن استقَمْتَ كما أمِرْ ... تَ وترعوي فلكَ النَّصيبْ
ومتى دُعيتَ بحاجبٍ ... فعليكَ حقّاً أن تُجيبْ
فلقدْ جمعت خِصالها ... بفضائلِ الفَطِنِ اللَّبيبْ
ونصحتَ مالِكَكَ الذي ... ما مثلُهُ لكَ من طبيبْ
فاشكُرْ لِما أولاكه ... شُكراً بهِ أبداً تُصيبْ

ومن شعر السلطان أبي عنان أيضا[360] :

يَـا رَامِـيـاً بِـالـنِّـبَالِ مِـنْ غَـنَـجٍ وَصَـائِـلاً بِـالـنِّـصَـالِ مِـنْ دَعَـجِ
وَبَـادِيـاً كَـالـهِـلَالِ فِـي سُـحُـبٍ وَطَـافِـحـاً مِـن سُـلَافَـةِ الـفـلـجِ
وبـاسـمـاً عـن لآلـئ نـسـقـت ونـاسـمـاً كـل عَـاطِـرٍ أَرِجِ
رِفْـقـاً بِـقَـلْـبِي فَـإن فِـيـه هَـوَى وَلَا تُـطِـل فِـي الـمِـلَالِ وَالـحَـرَجِ

ومن شعره كذلك:

يا ملما بأرض تلك البلاد حي فاسا وحي أهل الوداد
ان تناءت بشخصها عن عيان فحماها مصور في فؤاد

ومما ذكره الأمير المعين ومؤرخ دولة بني مرين إسماعيل بن الأحمر، قوله في نثير جمانه[361] :

{و أخبرني الفقيه المفتي المدرس قاضي الجماعة بفاس، و قاضي الحضرة المرينية للمدينة البيضاء أبو عبد الله محمد القرشي المعروف بالمقري، بفتح الميم، كنت يوما عند أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان، فقال لي يا أبا عبد الله؛ كنت يوما بقصري، و كان في يدي تفاحة، فحضرت علي جارية من جواري، كنت أحبها حبا مبرحا فأرميتها بالتفاحة، و قلت على البديهة:

خذها إليك هدية من كف ملك مالك
يُبدي العطايا دائبا ويُبيد شمل الفاتك

...}

ومما ينسب للسلطان أبي عنان قوله في الحكمة[362] :

وإذا تصدر للرياسة خامل جرت الأمور على الطريق الأعوج

وله أيضا:

جِـسْـمِـي أَضَـرَّ بِـهِ الـسَّـقَـامُ ... وَالـجَـفْـنُ قَـدْ عُـدِمَ الـمَـنَـامُ

يَـا هَـاجِـرِي مِـنِّـي عَـلَـى ... أَنْـوَار غُـرَّتِـكَ الـسَّـلامُ

وقال ابن الأحمر : {كنت يوما جالسا معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر إليه قال بديهة :

تراهم في ظواهرهم كراماً ... ويخفون المكيدة والخداعا»

ومن شعر السلطان أبي عنان ما نسبه إليه المؤرخ الأمير ابن الأحمر أيضا[363] :

رمى تصوب حبي * حبي تصوب رمى

نهى تقاصد خلي * خلي تقاصد نهى

ومما قاله صاحب المراتب ابن جزي الكلبي الكاتب في الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان، قوله[364] :

هذا محل الفضل والإيثار ... والرفق بالسكان والزوار

دار على الإحسان شيدت والتقى ... فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي ملجأ للواردين ومورد ... لابن السبيل وكل ركب ساري

آثار مولانا الخليفة فارس ... أكرم بها في المجد من آثار

لا زال منصور اللواء مظفراً ... ماضي العزائم سامي المقدار

بنيت على يد عبدهم وخديم با ... بهم العلي محمد بن حدار

في عام أربعة وخمسين انقضت ... من بعد سبعمئين في الأعصار

وفي مدح السلطان أبا عنان نظم قصيدة [365]:

إنّ قلبي لعُهْدَةِ الصبر ناكثْ ... عن غزَال في عُقْدَةَ السِّحرِ نافثْ

أضرم النارَ في فؤادي وولّى ... قائـلاً لا تـخَفْ فإنّيَ عابثْ

ورماني من مقلتيـه بسهمٍ ... ثم قال : اصطبرْ لثان وثالثْ

كم عذولٍ أتى يُناظرُ فيـهِ ... كان تعْذالهُ على الحبِّ باعثْ

ويمـينٍ آليتهـا بـالتسـلي ... فقضى حسـنُهُ بأنّيَ حانثْ

جبر الله صدعَ قلبٍ عميدٍ ... صدعتْ شملَهُ صروفُ الحوادثْ

فهو يهفو إلى البروقِ ويروي ... عن نسيم الصَّبا ضعاف الأحادثْ

سلبتْـه الأشجانَ إلاّ بقايا ... من أمـاني حبـالهنّ رثائثْ

وبكاء على عهـودٍ مَوَاضٍ ... ملأت صدرَهُ هموماً حدائثْ

لستُ وحدي أشكو بليلةِ وجدي ... إن داء الغرام ليس بحادثْ

يا مضيعَ العهــودِ واللهُ يعفو ... عنك أنّى ارتضَيْتَ خطةَ ناكث ؟

غرَّني منك والجمالُ غــرورٌ ... وظُبى اللحظِ في القلوبِ عوابثْ

مُقَلٌ يقتسمن أعشـارَ قلبي ... بالرضى منيَ ، اقتسامَ الموارثْ

كيف غيرتَ بانتزاحك حالي ... وتغيرتَ لي ، ولَسْتَ بحارثْ ؟

فرطُ حبّي وفرطُ بخلك آلى ... أنّ عينيك بالفتورِ نوافثْ

ونـدى فارس وحسبك ردّاً ... قول من قال سَدَّ بابَ البواعثْ

ملك البأس والندى ، فهو بالسيـ ... ـف وبالسَّيْبِ عائثٌ أو غائثْ

محرزُ المجـدِ والثناء ، فهذا ... سائرٌ في الورى ، وذلك لابثْ

أوطـأ الشهبَ رجلَه وترقّى ... صاعداً في سموّه غيرَ ماكثْ

فَدَرَارٍ تَسْرِي وما لحقتْهُ ... ونجومٌ خلف القصور لوابثْ

وله المقرَباتُ لا بل هي العقـ ... ـبانُ من فوقها الليوثُ الدلاهثْ

مطلعاتٌ من كلِّ نعلٍ هلالاً فلهذا تجــلو دجى كلِّ حادثْ
إن ترافقن فالجبــالُ الرواسي أو تسابقن فالغيوثُ الحثائثْ
والمواضي كأنّها قد أُعـيرتْ حدّةَ الذهن منهُ عند المباحثْ
هي نارٌ محــرِّقاتُ الأعادي وهي ماءٌ مطهراتُ الخبائثْ
فيرِدْنَ الوغى ذكوراً عطاشــاً ثم يصدرْنَ ناهلاتٍ طوامثْ
من معانيــه قد رأينا عِياناً كلَّ فضل يَنُصُّه مَنْ يحادثْ
خُلُــقٌ كــالنسيم مرَّ سحــيراً بالأزاهيرِ في البطاحِ الدمائثْ
في سبيل الإله يُقصي ويُدْني ويـوالي في ذاتــه ويناكثْ
شرفُ الملك منه سامٍ وحامٍ ففــدته سامٌ وحــامٌ ويافثْ
هاكها من بناتِ فكريَ بكراً ليس يسمو لها من الناسِ طامثْ
ذاتَ لفظٍ لا يعتريــه اختلالٌ ومعــانٍ لا تنتحيهـا المبـاحثْ
زعماء القريض أبْقَوْا بقايا كنتُ دون الورى لهنَّ الوارثْ
من أراد انتقادهــا فَهْيَ هذي عرضة البحث فليكن جدَّ باحثْ

وفي مدحه أيضا قال قصيدة أخرى مطلعها[366] :

لعلّكَ لي عن حُسنِ عهدي مكافيءُ
فيُسرع نحوي ودّكَ المتباطيءُ

فديتُكَ لا يذهبْ بكَ البُعد للتي يُسَرّ بها منّا حسودٌ وشانيءُ
كما وسع الإحسانُ من كان محسناً أما يسع الغفرانُ منْ كان خاطيءُ
وما ضرَّ لو ربّ الصنيعة منعماً وتمّم بالإفضالِ من هو باديءُ
على أنني لم يصرف اليأسُ ساحتي وإن راعني خطبٌ من الهجر فاجيءُ
فكم طالب أمراً تسنّت عواقبٌ له بعدما أعيَت عليه مبادىءُ
لئن ريع بالأشجانِ رَوعي لطالما تحامت حماي النّائباتُ الطوارىءُ

ومنها:

وإن أمسِ قد شابتْ ذوائبُ لِمّتي
فطعنُ الهوى في حِجر قلبي ناشيء

وليلاءَ ملءُ الأفق روعاً وظلمةً فلا نظرٌ هادٍ ولا قلبَ هادىءُ
ظللتُ يعاطيني بها أكؤسَ السّرى
حبيبٌ على ما شئتُ منهُ ممالىءُ
ولا صبحَ إلا وجهُهُ متطلّعٌ ولا برقَ إلا ثغرُهُ متلألىءُ
إذا غارَ منها نجمُها وهلالُها بدَتْ غررٌ من خيلنا ومواطىءُ
وبيداءَ لم تفترِ السّراةُ أديمَها
ولم تخترقْها اليعمُلاتُ النّواجىءُ
كأن السّراب الجونَ في جنباتِها حياضٌ ملاءٌ أو سحابٌ نواشىءُ
بعثتُ لها عزمي وخضتُ عبابَها كما خضتُ بحراً لا يُرى منه شاطىءُ
وأجريتُ ذِكر الجُودِ من كفّ فارسٍ
بها فارتوى في الرّكبِ من هو ظامىءُ
وإن امرأً يروي الصّدا ذكرُ جُودِه
لتحسدُ جدواهُ الغمامُ النّواشىءُ
هو البدرُ لكنّ السّعودَ مطالعٌ
هو البحرُ لكنّ العلومَ لآلىءُ
ليعلياهُ تمّ الفخرُ بالعلمِ والنّدى
إذا اقتسم العلياءَ قانٍ وقارىءُ

ومما ذكره المؤرخ ابن الأحمر في نثير جمانه قوله في الكاتب ابن جزي الكلبي[367] :

{...ومن إنشائه البارع موريا بالكتب ودفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي بن أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق يهنئه بابلال ولده وولي عهده الأمير أبي زيان محمد من مرض:

ماذا عسى أدبُ الكتّاب يُوضح من
خِصال مجدكَ وهو الزّاهرُ الزّاهي ؟
وما الفَصيحُ بكليّاتِ مُوعبِهــا
كافٍ فيأتي بأنباءٍ وإنبــاهِ

...}

ومما ذكره صاحب النفح، قوله[368] :

وقيل : إن السلطان أبا عنان أطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والأسد على ما جرت به عادة الملوك، فقال ابن جزي المذكور في وصف الحال:

للهِ يومٌ بدارِ الملكِ مرَّ بــهِ   من العجائبِ ما لم يجرِ في خَلَدي
لاحَ الخليفةُ في برج العلا قمراً   يشاهدُ الحربَ بين الثور والأسدِ

وفي أمر السلطان أبي عنان بتنصيب الأعلام على صواري الصوامع في أوقات الصلوات نهارا، ومسرجا فيها الأنوار ليلا ليستدل بذلك من بعد ومن لم يسمع النداء، قولهم في ذلك[369] :

نور به علم الإيمان مرتفع   للمهتدين به للحق إرشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلهم   لديه للرشد إصدار وإيراد

وقد نظم في المعنى نفسه الفقيه محمد بن عبد الرحمن[370] :

سرُّ فاس لفارس قد بدا في وضع ادريس بالمنار حسامه
فهم العز للنداء فأورى ناره معلماً وشال علامه

وقال السيد عبد الواحد الزيتوني:

رفع الفنار أبو عنان فارس أعلا المنار وزاد فيه علاما
شهر الأذانُ بذاك شُهرةَ رافع لظهور دين الله فيه حساما

وفي سيرة السلطان أبي عنان قال ابن الخطيب في كتابه رقم الحلل ملخصا بذلك سيرته رحمه الله [371]:

وخلص الأمر لكف فارس باني الزوايا الكثر والمدارس
الأسد المفترس المصنوع له من نال من كل المساعي أمله
واحد آحاد الملوك العظما ومطلع النصر إذا ما أقدما
ومخجل الغيث إذا الغيث هما وعالم الملك وملك العلما
أوجب حق الشعر والكتابة فأملت أعلامها جنابه
واستجلب الأماثل الكبارا النبهاء العلية الأخيارا
يجبرهم على حضور الدولة فهم بدور وشموس حوله
وكان جباراً على خدامه ينالهم بالقسر في أحكامه
مذهبه ألا يقيل عثرة حتى لأرباب التقى والأثرة
فطرة السيف تناغي الدرة إذ غلبت على المزاج المرة
ومات فيما قيل شر ميتة بغيلة لنفسه مفيته
لم يغن عنه البأس والبسالة وأصبحت مهجته مسالة
وألقيت أزمة التدبير من بعده في راحة الوزير

ومما ذكره صاحب النبوغ أنه كان للقاضي أبي عبد الله بن عبد الرزاق الجزولي ولد قد فتن به فربما تدخل في قضــايا الناس بما يريب فلا ينهاه، فقال فيه أبو عبد الله العزفي موريا ببابين من أبواب فاس. وجاء في قصــيدته ذكر للســلطان أبي عنان فارس[372] :

أقاضِيَ فاسٍ لقد شِنتَهَــا ... وأحدثتَ فيها أموراً شَنِيعَة
ظلَمْتَ العِبادَ ورُمْتَ العِنَاد ... وخادَعْتَ في الدِّين كلَّ الخَدِيعة
فتحتَ لنَجْلِك بابَ الفُتـوح ... وأغلَقْتَ للنَّاس بابَ الشَّريعة
فبادَرَ مولَى الوَرى فارِسٌ ... بعَزْلِكَ عنها لِسَدِّ الذَّرِيعة

ومما ينسب للسلطان أبي عنان، قوله[373] :

يَا رَامِياً بالنِّبَال مِن غَنَج ... وصائِلاً بالنِّصَال من دَعَج
وبَادِياً كالهِلالِ في سُحُب ... وطافِحاً مِن سُلافَةِ الفَلَج
وباسِماً عن لَئَالِىءٍ نُسِقَتْ ... وناسِماً كلَّ عاطِــرٍ أرج
رِفْقاً بِقَلْبِي فانَّ فيه هوًى ... ولا تُطِلْ في المَلال والحَرَج

وقال ايضاً :

جِسْمي أَضَرَّ بِـه السَّقام ... والجَفْنُ قد عَدِمَ المَنَام
يا هاجِـــري مِنِّي على ... أنْــوارِ غُرَّتِكَ السَّلام

وهذا صــاحب الكتابة والبلاغة والاتقان أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان، يصف قتل الأسد بالقصر بين يدي السلطان، وهذا مطلع القصيدة[374] :

أسَرى فهيّجَ لاعِجَ البُرحاءِ
برقٌ أضاءَ له مِنَ الجَرْعاءِ

أهدى – وقد نامَ الخَليُّ عن الجَوى –
خبراً وطارَ بطارقِ الإغفاءِ

وحكى بهِ أنّ الثغورَ بواسِمٌ
وضّاحةٌ والبيضُ ذاتُ مضاءِ

هرقَ الوميض وإنّ في كَنَفِ الحِمى
لَشبيهةٌ بالجَوزَةِ الغرّاءِ

ومنها في مدح السلطان:

يا فارسَ الهَيجاءِ دُمْتَ لِحكمةٍ
ومكارمٍ وبَسالةٍ وسَخاءِ

دوّختَ أرضَ الرُّومِ منتَقِماً على
شَحطِ المَزارِ ومنعة الأرجاءِ

وبَعثتَها غربانَ زَجْرٍ لم تَطِرْ
لهمُ بغيرِ كَريهةٍ شَنعاءِ

لما بدتْ وبَنُو الوَغى من فَوقها
والسُّمر نازعةٌ إلى الهَيجاءِ

قالوا الرُّبا والأسدُ في آجامِها
تختاضُ عرضَ اللّجةِ الخضراءِ

جاسُوا خلالَ ديارِهمْ فكأنّها
لم تَغْنَ بعدَ مَزاهرٍ وغِناءِ

وله قصـيدة أخرى يمدح فيها السـلطان أبي عنان ويصـف قتل الأسـد بين يديه كذلك ومنها [375]:

ألِفَ الجوى مذ بانَ سكّان اللّوى
صبٌّ يهيجُ غرامَهُ نَفسُ الصّبا

وشجاهُ أن قيلِ الأُلى قد ودّعوا
شطّ المزارُ بهم وعزّ المُلتقى

حفظَ الإلـهُ عهودَهم وسقاهمُ
صوبَ العِهاد ولا سقى يومَ النوى

ماذا أفادُوا مُصحِرينَ بسُحرةٍ
تَظُلُّ وتَضحى عيسُهم رأدَ الضّحى

ولقد كفتهمْ واكِفاتُ مدامِعي
لمّـا ثَووا من أضلُعي بالمُنحنى

قَسماً لمَـا راعوا بوشكِ نواهمُ
روعي وقد عبثوا بشكوى مَنْ شكا

إلاّ وقد نذَروا دماءً حرّمتْ
ظلْماً ، أراقَ الظلمُ منهـا والطلى

وبمُهجتي منهمْ محجبةٌ حمَتْ
قلبي السّلوَّ ومُقلتي طيبَ الكرى

حسانةٌ نَجـلاءُ باهِرَةُ السّنا
خُمصانةٌ جَيداءُ عاطرةُ الشّذا

وقوامُها كالغُصنِ إلاّ أنّـهُ
يهتزّ بـين البدرِ حُسناً والنّقا

قالتْ وقـد ودّعتُها متجملا
إيهِ بعيشِكَ عن فؤادك هل سَلا ؟

ومنها:

فأجبتُها وأبيـــكِ لا أسلو ولا
حلّ الفؤاد هوىً سوى هذا الهوى

حتّى يُرى فقرٌ بساحةِ بَلدةٍ
وبها الخليفةُ فارسٌ مُغْني الوَرَى !

ملكٌ نمتْهُ إلى المكارم عصبة
كرمتْ أواصِرُهمْ وعَزُّوا مُنتمى

ورثَ المعالي عن عليّ الجـدِ عنْ
عثمانَ عن يعقوبَ ، أعـلام الهُدى

متهلّلٌ ضاهى الغَمامَ مواهـباً
ورَغائباً فَونى الغَمامُ وصاوَنى

قَطعاً حبالَ رجاكَ ممّـنْ دونَـهُ
ملكاً « فكل الصّيدِ في جوفِ الفَرا »

ألق العَصا بِحماهُ وامتطِ سابقاً
(امدحه غرّا) فنعم المتطى

وأْتِ معارفَـه الجَليلة إنّها
بحـــرٌ فُراتٌ لا تكـدّرهُ الدّلا

والشّمسُ من أنوارِه والفجرُ من
بتّارِه والطّودُ من ذاكَ الحِجــا

وله قصيدة أخرى في مدح السلطان أبي عنان ووصفه الساعة العجيبة التي نصبها بواجهة مدرسته الشهيرة بفاس[376]:

وآلةٍ للمواقيت استقلَّ بها ... صنعٌ تفوتُ النُّهى لطفاً صنائعُه

أبياتُها عدُّ أبراج السماء ولا ... قُطْب ولا فَلك تُدرَى مواضِعُه

يجري الهلالُ عليها جرْيَها أبدا ... على المنازل صُنعٌ فاقَ بارعُه

وفي البيوت جَوارٍ كلٌّ واحدة ... منهن خُصَّت بميقات تُطالِعُه

حتى إذا جدَّ إسراعاً لِوِجْهَته ... وحُمَّ منه فراقٌ حان واقِعُه

وأذَّن الطيْر من أعلى مَراقِبه ... بَبَيْنِه مُعرِباً عن ذاك قارعُه

ثَارت هنالك توديعاً له ودنت ... الى الغِناء على ذُعر تُشايِعُه

وفي اليمين كتابٌ باسم مَوْقِتِها ... الى الإمام وقد أوْمَتْ تُبايِعه

وشامخ المُرتقَى آوى لأفْرُخه ... بالوَكْر وهو أمينُ السِّرب وادِعه

أُتيحَ عمْداً له مُستَشْفِع سبِط ... رحْبُ القَذال صقيل الطَّرف لامِعُه

أحوَى الأديم يُجَاري دُونَما قدَمٍ ... هُوجَ الرياحِ حديدُ الناب قاطِعُه

جمُّ التقلُّب لم تُؤْمَن غوائلُه ... غَدْراً وتُحْذَرُ من ختْلٍ خدائِعُه

يسْعَى له الحينَ بعد الحين يرْزَأه ... ثُكْلاً فيصفَرُّ خوْفاً أو يُقارِعه

كذلك الليلُ لا ينفكُّ مُختلِفاً ... اليه وَهْوَ عن الأفْراخ دافِعُه

ومثلُه لأخيهِ ينتحِيه وَما ... إنْ مِنهُما لَيْله الّا مُقارِعه

كأنَّما الصلُّ أمسى مُمْسكاً فاذا ... ما ساعةٌ ذهبت ثارت مَطالِعه

وظنَّها آخرَ الساعات قد أذِنَت ... بفطْره فَسَماَ للفَرْخ لاسِعُه

رياضُ حُسن بَدا لولا سُعودُك لم ... تُسْتَجْلَ يا مَلِكَ الدنيا بدائِعُه

وله أخرى فيه حين ظفره بالثائر أبي مهدي ومنها[377] :

مُحيَّاك أبهى لا الهلالُ ولا البدر ... وريقُك أشهى لا الزُّلال ولا الخمر

ولحظُك أنكى لا البواتِرُ تنتضى ... وعرْفُك أذكى لا الأزاهِرُ تفترّ

أيا مَلِكَ القَلْبِ الذي جارَ في الهوى ... عليْه ترفّق ربّما وَهَنَ الصبْرُ

ويا باخِلاً حتى بطَيْف خيالـه ... نشَدتُك هل في الطَّيْف تَبعثُه وِزْر

أعندَكَ أنِّي منذُ أضمَرْتَ هَجْرةً ... هجَرتُ الكَرى سُهْداً سوى سِنَةٍ تعْرُو

ولم يُبْق مني السُّقْمُ الا صُبابةً ... بِحُكم الهوى العُذْرِي عندَ الهوى عُذْر

أَلِفتُ الهوى حتى اسْتلَنْتُ صِعَابَه ... وحتى تساوَى عندِيَ الْحُلْوُ والمُر

وقال وُشاةُ الحب: سِحْرٌ أصابَه ... فهل علِمُوا مِن لَحْظ مَن ذلِك السِّحر

لك الخيرُ هذا نعت حالِيَ جملةً ... وشرحاً فهل للعَطْف مِن بَعْدِهِ ذِكْر

بِنَفْسِيَ نَشْوَانُ المعاطِف عاطفٌ ... كغُصْن النَّقا كالظَّبْي خامَره ذُعْر

له الوُدُّ مِنِي والخُلوص وعنْدَه ... تجَنٍّ كما تهوَى المَلاحةُ أوْ هَجْر

ألا إن إنْعام الخليفةِ فـــارِسٍ ... لنا الصفوُ منْ فَيّاضِه وله الشكر

وللشـــاعر المذكور أيضـــا قصـــيدة كان قد رفعها للســـلطان أبي عنان ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم من عام 757 هـ وهذا مطلع القصيد الطويلة[378] :

هل العَقيقُ وما ضمّت أجارِعُـــه ... كما عهِدناهُ أمْ أقوَتْ مرابعهُ

وهل تغيّر بانُ الحَيّ بعدَ نوًى ... أهليـهِ أمْ رَوّضتْ خِصباً أجارِعهُ

ومنها في مدح السلطان:

ولي على الدهر دينٌ لم تُربكَ له ...

. يكنْ التقاضي تلويهِ مواثبُه

ما كنتُ آملُه لولا الخليفة لا

زالتْ تؤمّلُ للحسنى صنائعُه

إمامُ عدلٍ وإحسانٍ سمت شرفاً

فروعُه وزكَتْ طيباً منابعُه

من عُصبةٍ أثلّوا المجدَ التليدَ علًا

ودوّخوا الكُفرَ فاستخزَتْ بواقعُه

يا آلَ يعقوب أعلى اللهُ ملككمُ

فهو الملاذُ الذي تُرجى مفازعُه

ما آلُ يعقوبَ إلا مُرتقى شرفٍ

سامى النجومَ ففاتَ النجمَ فارعُه

بنى لهُ المجدَ عبدُ الحقّ مُمتلياً

وجاءَ يعقوبُ للغاياتِ تابعُه

ويوسفٌ ثمّ عثمان ونجلُهما

عليّ مُعلي منارِ المجد رافعُه

وفارسُ البأسِ والإنعامِ مَنْ علِمَتْ

بهِ الملوكُ ، مذلُّ الشركِ قامعُه

وللقاضي أبي عبد الله الفشتالي، قصيدة في السلطان أبي عنان[379] :

أَيَا إماماً ندَى كَفَّيْه قد وَكَفا　　حسْبي اعتصامي بحبلٍ منكمُ وكَفى
وكيف أصرِفُ وجْهَ القصد عن مِلِكٍ　　مـا صدَّ عني سنَا بِشْرٍ ولا صَرفا
ما إنْ شكَوتُ بما أضنى تطلُّبُه　　الاَّ وَجدتُ بِه لي من ضَناي َشِفَا
ولا وقَفتُ عَليه مُنتهى أَمَلي　　الا قضَى وطراً منه ومَا وقَفا
في كلِّ يومٍ له تجديدُ عارِفَة　　مهْما انقضَت هذه لهذه ائتَنَفا
وليس ممَّن يرى انْ لا يُتيحَ يداً　　حتى يُقام له بِشُكْرٍ ما سلَفا

وهذه قصيدة لمحمد بن أحمد الشبوكي الفاسي يمدح السلطان أبا فارس ويحرضه على الشيخ عامر بن محمد الهنتاتي صاحب جبل هنتاتة لما خرج عليه بابن أخيه الملقب بالمعتمد وهذا مطلع القصيدة[380] :

أَبانَ في حبِّهِ ما قال عــــاذِلُه　　دمعٌ جرى فوق صَفْح الخدِّ هامِلُه
فبات من وَطْأَة التَّفْريق ذا وَجَل　　يستَنْجِدُ الصبر عَوْناً وهو خاذِلُه
صبٌّ إذا ما بدا بالرَّقْمَتَين له　　وَمِيضُ بَرْق الحِمى هاجت بلابِلُه
يبكي لِمَنْزِلِ أُنْسٍ بانَ آهِلُه　　وظاعِنٍ عنه قد شطَّت مَنازِلُه
يا حُسْنَ عَصْرٍ بهم قضَّيْتُه زَمَناً　　رقَّت حواشيه اذ راقت أصائِلُه

وللوزير لسان الدين بن الخطيب في السلطان أبي عنان[381] :

أوجب حقّ الشعــر والكتابـة　　وأملت أعــلامهــا جنــابــة

وهذه قصيدة البليغ الأديب، العلامة لسان الدين بن الخطيب بين يدي السلطان أبي عنان، لما حل سفيرا من الأندلس[382]:

خليفة الله ساعد القدر   علاك ما لاح في الدجى قمر

ودافعت عنك كف قدرته   ما ليس يستطيع دفعه البشر

وجهك في النائبات بدر دجى   لنا وفي المحل كفك المطر

والناس طرّاً بأرض أندلس   لولاك ما أوطنوا ولا عمروا

ومن به مذ وصلت حبلهم   ما جحدوا نعمة ولا كفروا

وجملة الأمر أنه وطن   في غير علياك ما له وطر

وقد أهمتهم نفوسهم   فوجهوني إليك وانتظروا

ومما أنشده به كذلك[383] :

أنامُ أرضِك تقهر الآسادا   طبعاً كَما الأرواح والأجسادا

وخصايصٌ لله بث ضروبها   فى الخَلْق ساد لأجلها من سادا

إن الفضايل فى حماك بضايعٌ   لم تخش من بعد النفاق كسادا

كان المزبرُ محارباً فجزيته   بجزاء من فى الأرض رام فسادا

فابغ المزيدَ من آلايه بشكره   وأرغم بما خُولتَه الحسّادا

وفي غرض المدح قال ابن الخطيب في السلطان أبي عنان[384]:

أَبْدى لداعى الفوز وجه مُنيب وأفاق من عذْلٍ ومن تأْنِيب

كَلِفُ الجنانِ إذاجرى ذكر الحِمى والبان حنَّ له حنين النِّيب

والنفس لا تنفك تَكْلِف بالهوى والشَّيب يلحظها بعين رقيب

رَحل الصِّبا فطَرَحْتُ فى أعقابه ما كان من غزَلٍ ومن تَشْبِيب

أترى التَّغزُّل بعد أن ظَعَن الصِّبا شأْنى الغداة أو النَّسيب نسيب

أنَّى لمثلى بالهوى من بعد ما لِلْوخْط فى الفَوْدين أىُّ دَبِيب

لبس البياض وحلَّ ذِرْوَة مِنْبر منِّى ووالى الوَعْظ فِعل خَطيب

قد كان يَسْترنى ظلامُ شَبيبتى والآن يفضحنى صباحُ مَشيب

وإذا الجديدان استجدَّا أبْلَيا من لبَّسَته الأعمار كلَّ قَشِيب

سَلْنى عن الدهر الخؤون وأهله تَسَلْ المهلَّبَ عن حروب شَبِيب

مُتَقَلِّب الحالات فاخْبر تَقلُّـه مهما أعدت يدًا إلى تقْليب

فكل الأُمور إذا اعْتَرتك لربِّها ما ضاق لطف الرَّبِّ عن مَرْبُوب

قد يُخبَّأُ المحبوب فى مكروهها مَنْ يخبأُ المكروه فى المحبوب

واصبر على مَضَض الليالى إنها لحَواملٌ سَيَلِدْن كلَّ عجيب

واقنع بِحَظٍّ لم تنله بحيلة ما كلُّ رام سَهْمُه بمُصِيب

يقع الحريص على الرَّدى ولكم غدا تَرْكُ التَّسبُّب أنفعُ التَّسبيب

من رام نيل الشىء قبل أوانه رام انتقال يلَمْلم وعسِيب

فإذا جعلتَ الصبر مفْزِع معضل عاجلتَ علَّته بطبٍّ طبيب

وإذا استعنتَ على الزمان بفارس لبَّى نداءك منه خيرُ مُجيب

بخليفة الله الذى فى كفِّه غيثٌ يروِّض ساح كلِّ جَديب

المُنْتَقى من طِينَة المَجْد الذى ما كان يومًا صرفه بمشُوب

ومن قصيدة لمحمد بن يحيى العزفي في بعض القضاة الفاسيين، جاء فيها ذكر السلطان أبا عنان[385] :

وُلِّيتَ بفاس أمور القضا ... فأحدثت فيها أمورًا شنيعة

فتحْتَ لنفسك باب الفتوح ... وغلّقت للناس باب الشريعة

فبادَر مولى الورى فارس ... بعزْلك عنها قُبيل الذَّريعة

وهذا عالم من العلماء المجيدين وهو محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي شمس الدين، يخاطب لسان الدين بن الخطيب بقصيدة، لما قدم هذا الأخير على مدينة فاس في غرض الرسالة. والقصيدة جاء فيها مدح السلطان أبا عنان[386]:

يا قادماً وافى بكل نجاح ... أبْشِر بما تلقاه من أفراح

هذى ذُرى ملك الملوك فلُذْ بها ... تنل المُنى وتفُز بكل سماح

مغنى الإمام أبي عنان يمِّمن ... تظفر ببحر فى العلى طفَّاح

من قاس جُودَ أبي عنان ذى الندى ... بسواه قاس البحر بالضَّحضاح

ملكٌ يفيض على العفاة نواله ... قبل السُّوال وقبل بَسْطة راح

فلجود كعبٍ وابن سعدى فى الندى ... ذكرٌ محاه من نِداه ماح

ما أن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... من أريَحيٍّ للندى مُرتاح

بَسَط الأَمان على الأَنام فأصبحوا ... قد أُلحفوا منه بظلِّ جِناح

وهَمَى على العافين سيبُ نواله ... حتى حكى سَحَّ الغمام السَّاح

فنوالُه وجلالُه وفعالُه ... فاقت وأعْيَت أَلْسُن المُدَّاح

وبه الدُّنا أضحت تروق وأصبحت ... كلُّ المنى تنقاد بعد جِماح

من كان ذا تَرحٍ فرؤية وجهه ... مِتْلافةُ الأَحزان والأَتراح

فانهض أبا عبد الإِلَه تَفُزْ بما ... تبغيه من أمل ونيل نجاح

لازلتَ ترتشف الأَمانى راحةً ... من راحةِ المولى بكلِّ صباح

وكان جواب الأديب البليغ لسان الدين بن الخطيب على هذه القصيدة بقصيدة مماثلة، جاء فيها أيضا مدح السلطان :

راحَتْ تذكِّرُني كؤوس الرّاح   والقُرْب يخفض للجنوح جناح

وسَرَت تدُلُّ على القبول كأنّما   دَلَّ النسيم على انبلاج صباح

حسناءُ قد غَنِيَت بحُسْن صفاتها   عن دَمْلج وقلادةٍ ووشـاح

أمْسَت تحضُّ على اللِّياذ بمن جَرَتْ   بسُعوده الأقلام في الأفـراح

بخليفة الله المؤيد فارسٍ   شمس المعالي الأزهر الوضّاح

ما شِيت من هِممٍ ومن سِيَمٍ غدت   كالزَّهر أو كالزهر في الأدْواح

فضلُ الملوك فليس يُدرك شأْوه   أنَّى يُقاس الغَمْرُ بالضَّحضاح

أسْنَى بني عبَّاسِهم بلوائه المنصور أو بحسامه السفَّاح

وغدت مغاني المُلْك لما حَلَّها   تَزْهى ببدر هُدىً وبحر سماح

وحياةُ من أهداك تحفة قادم   في العَرْف منها راحة الأرواح

ما زلتُ أجعل ذكرَه وثنـاءه   رُوحي وريحاني الأريج وراح

ولقد تمازج حبُّه بجوارحي   كتمازُج الأجسام بالأرواح

ولو أنني أبصرت يوما في يدي   أمري لطرتُ إليه دُون جناح

فالآن ساعدني الزَّمان وأيْقَنَتَ   من قُرْبه نفسي بفوز قِداح

إيهٍ أبا عبد الإلاه وإنـه   لنداءُ وُدٍّ في عُلاك صُراح

أما إذا استنْجَدْتني من بعد ما   رَكَدَت لما خَبَت الخطوب رياح

فأليكها مهزولة وأنا امرؤ   قرَّرت عجزي واطَّرحتُ سلاح

ومما ذكره صاحب الروض الهتون قوله[387]:

{ولما ولي بعده - السلطان أبو الحسن - ولده أبو عنان نوه بها - المدرسة التي أمر ببنائها السلطان أبا الحسن - أيضا و تفقد أحوالها، وكان من جملة ذلك أن أمر بالاختصار على عشرة من الشهود بها، وعزل الباقين على كثرتهم، وكان من جملة من أثبت في العشرة الذين عينهم الشيخ أبو علي الحسن بن عطية الونشريسي رحمه الله تعالى، فشق ذلك على بعض شيوخ الشهود المؤرخين لحداثة سن أبي علي المذكور، فصنع أبو علي رجزا و رفعه إلى مقام السلطان أبي عنان يقول فيه:

نبدأ أولًا بحمد الله	ونستعينه على الدواهي
ثم نوالي بالصلاة والسلام	على رسول دونه كل الأنام
وبعد ذا نسأل رب العالمين	أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان	لازال في يُمنٍ وفي أمان
ملكه الله من البلاد	من سوس الأقصى إلى بغداد
ويسر الحجاز والجهادا	وجعل الكل له مهادا
يأيها الخليفة المظفر	دونك أمري أنه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن	قد قيل لا يشهد إلا إن أسن
وهو في أمركم المعهود	من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا	وسنه قارب أربعينا
مع الذي ينتسب العبد إليه	من طلب العلم وبحثه عليه
على الفرائض له أرجوزة	أبرز في نظامها أبريزة
ومجلس على الرسالة	فكيف يرجو حاسدٌ زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا	وعد له قد بلغ السِّماكا
وعلمه قد طبق الآفاقا	وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر في كلامي	قصر عن إدراكه حاتم طي .

...}

ومما قاله عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري صاحب العلامة والقلم بالمغرب وقد كلفه السلطان أبا عنان لوصف صيد من غدير فقال من أبيات[388]:

أيامُ دهرك لم يكنْ لينالَها ... مَلِكٌ ولا أبدى الزمانُ مثالَها
فمحاسنُ الأمصار والأعصار قد ... جَمَعَتْ لديك جميلَها وجمالها
وجديدُ سعدك أيها الملكُ الرضيْ ... أبداً يقربُ من يديك منالها
ولربّ يومٍ في حماكَ شهدتُهُ ... والسرُح ناشرةٌ عليك ظلالها
حيثُ الغديرُ يريكَ من صفحاته ... درعاً تجيدُ يدُ الرياح صِقَالها
والمنشآتُ به تديرُ حبائلاً ... للصيد في حِيَلٍ تدورُ حيالها
وتريكَ اذ يُلقي بها اليم الذي ... اخفت جوانحه وغاب خلالها
فحسبتَها زرداً وأنَّ عوالياً ... تركتْ بها عندَ الطعان نصالها

وقال فيه أيضا:

أبصرتُ في يومِ الغَديرِ عَجائباً ... جاءت بآيات العجائب مُبْصِرَهْ
سمكاً لدى شَبَكٍ فقل ليلٌ بدت ... فيهِ الزواهرُ للنّواظرِ نيّره
فكأنّ ذا زَرَدٌ تضاعفَ نسجه ... وكأنّ تلك أسِنّةٌ متكسره

وللقاضي والكاتب ابن الحاج الغرناطي النميري في تهنئة السلطان أبي عنان بالإبلال من المرض، قوله[389]:

مَطالبُ إلا أنّهنّ مواهبُ ... قضى الله أن تقضى ، فنعم المطالبُ
شفاءُ أميرِ المؤمنين وإنّه ... لأكرمُ من تُحْدى إليه الركائبُ
وكم قلتُ غاب البدرُ والشمس ُضلةٌ ... ورَانَتْ على قلبي الهمومُ النواصبُ
ولم يَغيبا لكن شكا الضرَّ فارسٌ ... وأوحش منهُ مجلسَ الملك غائبُ

ومنها:

لك الله يا خيرَ الملوك وخير مَنْ ... تحنُّ له حتى العتاقُ الشوازبُ
وقَلَّ لمن وافى بشيراً نفوسنا ... فما هي إلا بعضُ ما أنت واهبُ
أقول لجردِ الخيل قُبّاً بطونُها ... معقدةٌ منها لحرب سباسبُ
طوالعَ من تحتِ العجاج كأنّها ... نَعامٌ بكُثْبان الصَّريمِ خواضبُ
مُحَجّلة غُرّاً كأنَّ رِعالها ... بحارٌ جرَتْ فيها الصَّبا والجنائبُ
من الأعْوَجيّات الصّوافن ترتمي ... إذا رجفتْ يومَ القراع مقانبُ
هنيئاً فقد صحّ الإمام الذي به ... تُفَلُّ السيوفُ المرهفاتُ القواضبُ
ومستأصلُ الفلِّ المُغِذُّ جيادَهُ ... لضربٍ كما ترغو الفحولُ الضواربُ
ومن حطّم السُّمْر الطوالَ كعوبُها ... بطعنٍ كما امتاح الركيَّةَ شاربُ
وكرٌّ على أرضِ العدا بفوارسٍ ... كأنّهمُ في الحربِ أُسْدٌ غوالبُ
كأنَّ ظُباهُم في الهياج أكفُّهم ... تجودُ وأرواحُ العُداة مواهبُ
كأنَّ رماحَ الخطّ أحسابهم ، وما ... حوتْ من نفوسِ المعتدين مناقبُ
همُ ما همُ ، حدّثْ عن البحر أو بني ... مَرينٍ فَنَهْجُ القول أبلجُ لاحبُ
من البيتِ شادت قيسُ عيلانَ فخره ... فطالَتْ معاليه وطابَتْ مناسبُ
وأحيا لهُ مُلْكُ الخليفةِ فارسٍ ... مآثرَ غالتها اللّيالي الذواهبُ

ومن شعر المديح ما أنشده أبو عبد الله الفشتالي قاضي فاس في حفل توديع السلطان أبي عنان وهو متهيء للخروج في حركته إلى قسنطينة والزاب – وهذه الحركة التي قام بها السلطان أبا عنان هي التي كانت موضوع كتاب فيض العباب للأديب ابن الحاج النميري والذي استقينا منه عدة قصائد في مدح هذا السلطان ووصف مواقفه وأقواله – وهذه الأبيات[390] :

أيا ملك تحدى الركاب لبابه ومنه لكف البغي تحدى الركائب
بمثل الذي قدمت من كل صالح تيسَّر آمال وتدنو مطالب
وكل الورى مثني بما أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
فسر في ضمان الله سعدك قاهر وجيشك منصور، وسيفك غالب
وسعيك في مرضاة ربك ناجح وسعي العدى فيما يرومون خائب

ومما ذكره صاحب فيض العباب، ابن الحاج النميري صاحب الكتابة والآداب، ما حدث عندما نظم قاضي الحضرة أبو عبد الله محمد المقري هذا البيت المفرد[391]:

دخلت بلاد الله شرقاً ومغرباً فلم ترَ عيني مثل بسكرة يبسا

فزاد عليه مولانا – السلطان أبي عنان – أسرع من ارتداد الطرف، وأوحى من رجع البصر و هو العطف.

ويا قبح ما أسود القتام بوجهها فمذ غشي الأبصار لم تبصر الشمسا
وخسراً وسحقاً لابن هان لقد غوى بمدح بلاد الزاب إذ عدم الحسا

ثم أشار مولانا إلى ما أنشده من شعر أبي القاسم ابن هانئ الأندلسي:

خليلي أين الزاب مني وجعفر وجنة عدن بنت عنها وكوثر

و في الحين أمرني مولانا بالزيادة على ثلاثة الأبيات. و قال لي اذكر ابن مزني فيما تنظمه بأحسن الصفات فهو حسنة هذه البلاد، وبوجوده أنس الأغوار منها الأنجاد. فقلت مذيلا، مؤتمرا للخليفة ممتثلا:

ولكن به عبد لخير خليفة جواد ينيل الرفد أو يبذل الانسا
فمهما شكت باليبس بسكرة حباً ببعض عطايا فارس فزكت غرسا
كأنّ آبن مزن يخلف المزن عندما يجود إمام لم يدع هديه لبسا

ومهما عـلا وأســودّ يـومــاً قتـامهــا فأشبه من أضحىٰ بها حال من أمسىٰ
جـلا عـدل مـولانـا الخليفـة فـارس شموساً هـدت أنوارهـا الجن والإنسا
ومـا تشـرف الأوطـان إلاّ بمن حـوت وما قدر جسم المرء أن يفصل التفسا
وكــل بــلاد الــلّه طــر بــفــارس ستسعـد يومـاً مثل مـا سعـدت أمسـا
وإن بــلاد الــزاب بــعــد حلولــه بــهــا لحقيـق أن تحـب ولا تنـسـا
ولا خسـر عندي بعـدها لابن هـانيء بمـدح لها مـا صافح القلم الـطرسـا
وإن كـان فيهـا جعفـر جعفـراً فقـد جرت أنمل المولىٰ بها أبحـراً خمسا

ولما كتبت أبياتي وناولتها اليد الكريمة قرأها... ثم قال لي: اطو بساط هذا النظم....}.

ومما ذكره ابن الحاج النميري أيضا في رحلته، أبيات شعرية والتي وصف بها الشعراء موكب السلطان أبي عنان وهو في حركته من تازا صوب قسنطينة، حيث أنشد الفقيه الكاتب أبو الحسن بن مصادف في وصف هذا الموكب[392] :

هـدرت دم العشاق بين قبـابها فحذار من تلك الظباء حـذار

وأنشد أبو العباس أحمد بن أبي شامة :

يبدون كالأزهار راقت منظـرا وخدورهــن تمائم الأزهـــار

وقال الكاتب أبو العباس بن النعمان:

والعابثات خلال ميـدان الهوى بفـوارس الألبـاب والأفكـار

وختم هذا الوصف صاحب الرحلة ابن الحاج النميري فقال:

والظاعنات قدودهن بني الوغـى بين الصوارم والقنـا الخطـار
فكـأنما الأجفـان أجفـان الظبـا وكـأنما الأشفـار حـد شفـار

ومما ذكره كذلك صاحب فيض العباب، بعض القصائد في تهنئة السلطان أبي عنان بمناسبة الفتح حيث قال[393] :

{...ومما حضرني الآن من القصائد التي أودعتها حرز الصون، ودعت الأداة على حفظها بالعون قصيدة محل الولد أبي العباس أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان سابق حلبة أتر ابه، الذي أتى ببيت الإجادة من بابه، وهام في أودية الإحسان وشعابه، ونال الجو ائز التي أجدت ثوب ثو ابه، والصلات التي أتمت صلاتها بفاتحة كتابه.هي:

هي الأسعد اللاتي علاك لها قطب ... هو النصر سام شهبه الدهر لا تخب
هو الفتح سنته السعود فلم يكن ... ليشرع فيه السمر أو تشهر القضب
ستتلوه أبكار الفتوح وعونها ... كما جاء أثر الواحد المفرد الركب
وعادات من عودته نصر دينه ... لديك من الآلاء ما وردها غب
وسل بلطيف الصنع في أمر فتحها ... قسنطينة لما تسامى بها العجب
سموت إليها في جيوشك دارعاً ... كأنّك بدر التم تكنفه الشهب
تحرر زهواً ذيل أفخم فيلق ... يضيق به في المهمة المنزل الرحب
بعيد مجال النقع، مقترب القنا ... تزار في أنحائه الأسد الغلب
رأى منه حزب البغي ما جمع الهدى ... وأبصر منه الشرق ما أنجب الغرب
وقد قدمت عيس القباب يحفها ... أسود وغى عاداتها الطعن والضرب
فأذعنت الأعداء ذلاً وأيقنوا ... بأنّك من تدنو له العجم والعرب
وقد رتق الرمح الرديني طامياً ... لورد نفوس القوم، واستشرف العضب
وعاينت الأسد النقاد ولا حمى ... هنالك إلّا ما نما الصخر والترب
وكادت بعقبان السوابق نحوها ... تطير إذا ما أعوز الهد والنقب
مصاعبة لولاك عزماً حميتهم ... قسنطينة ما غرّهم سمكها الصعب
ولكن شكا خطباً لحلمك أهلها ... وأموك كهفاً فانجلى عنهم الخطب
جنحت إلى الرحمى وكنت الذي عفا ... وأرضاك ما ترضى صنيعاً به الرب
وأوسعتهم بالحلم والحلم واسع ... لديك لك الحسنى وإن عظم الذنب
ولامت شعاباً من قسنطينة اعتدى ... وما كان يرجى أن يلم بها شعب
ولم يغمر الأبطال ظل قبابها ... إلى أن خلا من مالكي أمرها الشعب
ولم يلق عنك الدرع حتى تقدما ... من الذلّ في درعين صاغهما الرعب
وأمست كما أملت عدلاً ورحمة ... ممد بها خصباً إذا صوح الخصب
هناء بها أم المعاقل منعة ... قسنطينة ما أن يراع لها سرب
تعاظم كفراً أن يقال لها حمى ... وتأنف زهواً أن يرام لها قرب
عجبت لها عزت لصحبتها الهوى ... وشان الهوى أن لا يعز لها صحب
ستقدم بالبيعات يا ملك الهدى ... عليك بها في وفدها الرسل والكتب
وتحيا بك الأوطان شرقاً ومغرباً ... ويشملها من جودك الوكف والسكب
بقيت تزين الملك والدين ما انجلى ... بعدلك أو إحسانك الجور والجدب
ولا زلت ترقى ما حكى البدر كاملاً ... محياك أو ضاهت مواهبك السحب

ومن قصيدة للفقيه العدل الكاتب أبي العباس بن النعمان وهذا أولها:

هــل الفتـح إلاّ مــا تسنىٰ أو النصـــر تجـد لـه الأقـدار تخـدم والـدهـر؟ .

وقال فيها في وصف قسنطينة:

ولمــا أتىٰ مـولىٰ الملوك بـأسـرهم وذخـــرهم مــا أن ســواك لهم ذخـــر
وأقـبلت الأبــطال مـن كــل جــانب ودار بهـــا من حينـه العسكـــر المجـر
تـوقـع من فيهـا بـاللحـــوق بـرمســه وحــل بـهم خـــوف وداخـلهم ذعـــر
وأقـبـــل في يـــوم الـنـــزال أميـرهـــا على قـدم يسعىٰ وقـد خـانـه الصبـــر
فــأوسعـه المـــولىٰ الخليفـة فــارس إمـام الهـدىٰ عفـواً وإن عـظم الـوزر
فهـدي بـلاد الشـرق أعـطت قيـادهــا ومــا بـقيـت إلاّ بــلاد بهـــا الـكفـــر
فـمهـنـيـــك أن الـلّه آتــاك نـصـــره وملكـك الـدنيـا امتنـانـــاً لـه الشكـــر
بقيت مكين الـقـــدر منـظوم أسـعـــد مســـوغ نعـمىٰ كـلمـــا طلع الـفجـــر

وفي فتح السلطان أبي عنان لتونس يقول صاحب فيض العباب[394] :

{و شرح أحوال تونس التي استمسكت بالهدى الإمامي، و أطلقت عنانها في شكر الملك العناني، و ذكرها مقام مولانا أيده الله،،، تذكرة الفارسي . كان بالبساط الشريف الكاتب الشاعر المجيد أبو العباس أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي . فهامت أفكاره في وادي المعاني و شعابها، و قضى فرض المديح فأتى بيوت الأشعار من أبوابها....

و المقطوعة هي هذه:

هنيئاً لـك التـأييـد في البــرّ والبحـر وفتـــح على فتـح ونصـــر على نصـــر
عنت تـــونس طـوعـــاً لأمـرك إذ رأت بنيـــاتهـا ألقت إليـــك عـــرىٰ الأمـــر
كـــذلـــك تقفـــو أثــرهـــا أخــواتهـــا جميعاً على حكم السعود التي تـدري
فـــلا زال ذاك الـعـــزم يـطلع دائمـــاً على الـدين والدنيـا بشـائـر كـالـزهـــر

وقال الكاتب الشاعر أبو العباس عبد المنان عند قدوم أسارى النصارى، و وفود البشائر التي أقبلت تتبارى:

أتـاك بسامي الفتـح سعـد مـلازم — أفـاعيله لا مـا آدّعتـه الـصـوارم
وجـاءك نـصـر بـالنـصـارىٰ أذلّـة — ومـثلك مـن ذلّت إليـه الأعـاجـم
بقيـت تـوافيـك الـبشـائـر جـمّـة — وتعـرض ارسـالاً عليـك الغنـائـم
ولا زلت بعيـا نـاثـر بصفـات مـا — يـوافيك من وفـد الفتـوح ونـاظم
ودمت عـزيـزاً حـظك النصـر دائمـاً — وحظ الـعـداة المـارقين الـهـزائم
إذا عـزّ هـذا الملك عـزّ بـه العلىٰ — وعـزّ بـه ديـن الهـدىٰ والـمكـارم

وللشيخ الفقيه الأديب أبي محمد البرطال أحد شهود البيت العلي المخصوص من مولانا أيده الله بالقبول والمكان السني وذلك من قصيدة أعلقها بالتهنئة ولبى بها منادي المدح أوحى التلبية.

هنيئـاً أيـا مـولاي ملكـك تـونسـا — وإثبـاتهـا فـي سلك مـلككـم حقـا
لـقـد كسيت عـزّاً بـكـم وسعـادة — وقـد سـابقت بـالفخـر أمثـالهـا سبقـا
وقـد نسخت أحكـام أحـوازهـا بكـم — وقـد أحكمت فيهـا الهـدايـة مـا تبقـا
كـذاك بـلاد الكفـر تفتـح عـاجـلاً — وتمحق عبـاد الضـلال بهـا محقـا
وتبقىٰ لحفظ الـدين والعـدل خـالـداً — بقـدرة من يـرضى الأمـانـة والصـدقـا
وعـذراً لشيـخ خـامـد الـذهن قـاصـر — عليـل ولكني بـرحـمـاك لا أشقـا

{...

وهذا ما استطعنا نقله من كتاب فيض العباب فيما يخص القصائد التي قيلت في السلطان أبي عنان أثناء رحلته، وما زالت هناك قصائد عديدة فيه تركناها خشية الإطالة والله المستعان.

وفي حديث نكبة العلامة ابن خلدون من السلطان أبي عنان وذلك بعد أن أوهموا السلطان بأن ابن خلدون يساعد الأمير محمد صاحب بجاية السجين لدى السلطان ليهرب إلى بلده ويسترجعها من قبضته قوله في تاريخه[395] :

{... و كان فيما نمي إليه أني داخلته في ذلك فقبض علي وامتحنني وحبسني . ثم أطلق الأمير محمدا وما زلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك، وخاطبته بين يدي مهلكه مستوطفا بقصيدة أولها:

على أيّ حـالٍ لليالي أعـاتِبُ — وأيَّ صُروف للزمـانِ أُغـالِبُ
كفى حزناً أنِي على القربِ نازحٌ — وأني على دعوى شهُودي غَـائِبُ
وأني على حكم الحوادثِ نـازلٌ — تسالمني طَوْراً وطوراً تُحَـارِبُ

ومنها في التشوّق :

سَلَوْتُهُم إلا ادِّكـارَ معـاهـدِ — لها في اللَّيـالي الغـابراتِ غرائبُ
وإنّ نسيمَ الريح منهم يشوقني — إليهم وتصيبني البُروق اللواعبُ

...}

وقد أورد المؤرخ الأمير ابن الأحمر قصيدة ابن خلدون كاملة في نثير جمانه وذكر كذلك قول الفقيه الكاتب علي بن محمد بن سعود الخزاعي في مدح السلطان أبا عنان، وهذه أبيات من القصيدة[396] :

هو الدّينُ عزّ اليوم بالنّصْرِ جانبُهْ
وذلّ مُناويه وهانَ مُناصِبُهْ

وكنّا من الإشفاقِ في مُدْلهمّةٍ
تجلّتْ بمرآكَ السَّني غياهبُهْ

وربُّ غويّ كان يُخفي نِفاقَهُ
وفي ساعةِ (الإيجاف) دبتْ عقاربُهْ

أذقتهم وبالَ البَغي إنّ قتالَهُم
جهادٌ ولا عهدٌ لديهم تُراقِبُـه

وأرسِلْ عليهم من جيوشِكَ عارضاً
بصائبة النشّاب يُمطر حاصِبُه

هو الأسْلُ والزُّرق الطّوال نجومُـه
هو السّيلُ والبيضُ القِصار مَذانِبُه

إذا أمّ أرضاً دوّختها سلاهِبُه
وإنْ رامَ أمـراً وصّلته قَـواضبُه

وقـد وثقتْ طـيرُ الفَـلاةِ بغارةٍ
لحومَ الأعـادي فهي بمَنْ تُصاحبُه

وكم لكَ من يومٍ أبدْتَ بـهِ العِدا
بألسنةِ الأغمـاد تُتْـلى مَناقبُه

إذا خطّ رُمح الخَطّ في معركِ الوَغى
أتاكَ ظهيرُ الفتـح والنّصر كاتبُـه

أقـام بكَ اللهُ الخلافـةَ بعدَمـا
وهَتْ وعمادُ الدّين إذ هُدَّ جانبُه

وناضلْتَ عن دينَ الهُدى غير مقصرٍ
فعزَّ، ولولا أنتَ عـزَّ مُغالبُـه

ومما نظمه الفقيه القاضي والكاتب علي بن محمد بن الصباغ العقيلي في مدح السلطان أبي عنان بمناسبة وقيعته بسلطان بني عبد الوادي، هذه القصيدة التي مطلعها[397]:

بُشرى لِدولتكَ الغرّاءِ في الدُّوَلِ
حيطتْ بها المِلّةُ البيضاءُ في المِلَلِ

أنتَ الذي صنعتْ أيدي القضاءِ لهُ
ما ليس تَصنعُ أيدي البِيضِ والأسلِ

يا خيرَ منتصرٍ باللهِ معتصمٍ
عليه ، معتمدٍ في الأمرِ متّكلِ

للهِ منكَ أميرَ المؤمنين علا
بدتْ بأحسن مرأى الشمسِ والحَمَلِ

وطلعةٍ أطلعتْ سعدَ السُّعود لنا
ورتبةُ الملكِ تعلو عن ذُرى زُحَلِ

مؤيد العزمِ والآراءُ محكمة
تزينتْ بسَداد القولِ والعملِ

وهذا الفقيه النحوي محمد بن محمد بن داود الصنهاجي يمدح السلطان أبا عنان، ومن قصيدته[398]:

كأن الشمع سهمٌ من نضار يقدُّ الدّجن أو عصب يمان
كأن ذُبالها لسن الأفاعي إذا نضنضن أو قلب الجبانِ
كأن القطر منها دمع ثكلى تواتر ، أو نثار من جمان ...
كأنَّ الزَّهر زَهرُ غِبَّ قطرٍ تبسّم ثغرُه بالأقحوان...
كأنَّ الشَّمسَ مشرقةً مُحيّا أمير المؤمنين أبي عنانِ !

وفي دواة السلطان أبي عنان قال أبو العباس الشريف[399] :

أَنا دواة فارس أبي عِنانَ المعتمدْ
خَلَّفْتُ مَن يكتبُ بي بالواحد الفَرْد الصَّمَد
أَنْ لا يَمُدَّ مَدَّةً في قَطْع رِزْق لأحَد

وفي ولاية السلطان أبي عنان وسيرته قال الوزير لسان الدين بن الخطيب في أرجوزته [400] :

وخلص الامر لكف فارس باني الزوايا الكثر والمدارس
الاسد المفترس المنصوع له من ذال من كل المساعي ابله
واحد آحاد الملوك العظما ومعظم النصر اذا ما اقدما
ومخجل الغيث اذا الغيث همى وعالم العلم وملك العلما
اوجب حق الشعر والكتابه فاملت اعلامها جنابه
واستجلب الاماثل الكبارا والنبهاء العلية الاخيارا
يجبرهم على حضور الدوله فهم بدور وشموس حوله
وكان جبارا على خدامه ينالهم بالتسر في احكامه
مذهبه ان لا يقيل عثره حتى لارباب التقى والاثره
فدرة السيف تناغى الدره اذ غلبت على المزاج المره
ومات فيما قيل شر ميته بغيلة لنفسه مفيته
لم يغن عنه الباس والبساله واصبحت مهجته مساله

السلطان أبو بكر الثاني بن أبي عنان المريني

ومما جاء من أخبار هذا السلطان، ما قاله الوزير ابن الخطيب في أرجوزته، حيث قال[401] :

والقيت ازمة التدبيـــر من بعده في راحة الوزيـــر
باسم السعيد الولد الصغيـــر وكان ما قد كان من تاميـــر
منصور رب النظر الدبيـــر ما كان عند القوم بالاثيـــر

وقال فيه أيضا[402] :

أميراً كأن قُمَيـر الدجى أفاض الضياء على صفحتيه
تملّأ قلبيَ من حبه غداةَ نظرت بعينى إليــه
فلا بسط الدهر كفّ الرّدى لذاك الشُّخَيص وذاك الوُجَيه

السلطان أبو سالم ابراهيم بن علي المريني

ومما جاء في أخبار السلطان أبي سالم، قول الوزير ابن الخطيب في أرجوزته[403] :

وطمع العم فخاض البحرا … يخطب من بعد المكان الامرا

مؤملا من النصارى نصرا … فاحتل من بعد العناء القصرا

وحاز بالواجب ميراث ابيه … وعامل الله بما يرتضيه

وسيق منصور له وولده … قد بان عنه صبره وجلده

في موقف يرحم فيه الشامت … قاض له الحكم وحق ثابت

فحين وافاه قعيد الغارب … وجاء في حال الاسير الهارب

اغرى به حد الحسام القاضب … نسألك التحسين للعواقب

وحل في حضرته ابن نصر … مستنصرا منه بعز نصر

فكان في فاس محط رحله … كانه ما زال عن محله

لما تلقاه تحفي واحتفل … وواصل البر وللارض نزل

وعاهد الله على نصرته … بمحضر الاعيان من حضرته

وكان عود ملكه بسببه … فيالها مكرمة في عقبه

وكان خيرا حييا فاضلا … يكرم الجار ويرضي الآملا

لكنه كان ضعيف المنه … والباس للسلطان اوقى جنه

فغلبت سلطانه البطانه … وافسدت اطماعها اوطانه

حتى اذا ايامه استتمت … وصوحت من بعد ما قد جمت

وساء في امرته تدبيره … وخاب في اختياره تقديره

فاثر السكنى بغير ميله … ومستقر العز من قبيله

يرتاد فيه صحة الهواء … ويبتغي البعد عن الاهواء

ومن يرد قدر السماء … في مركز الارض وجوف الماء

خلف في البلدة شر خلف … كباحث عن حتفه بظلف

شيطان انس كالشهاب شعال … عمر ابن عبد الله بن علي

ولاه حفظ المال والحريم … منتقلا للبلد القديم

فقابل النعمة بالكفران … واحرق القصور بالنيران

وجاء للغدر وللعصيان … بالبدعة الشنعاء في الازمان

ومما أنشده أيضا البليغ الأديب، العلامة لسان الدين بن الخطيب بين يدي السلطان أبي سالم، لما حل عنده وسلطانه الغني بالله ووفدهم إلى حضرة فاس، هذه القصيدة الرائية، يدعو من خلالها السلطان أبي سالم لنصرة سلطانه الغني بالله المخلوع، وهذا مطلع القصيد الطويلة[404] :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر ... وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي داراً على اللوا ... عفت آيها إلا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى ... بأكنافها والعيش فينان مخضر

ومنها:

زجرنا بإبراهيم برء همومنا ... فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما ... دجا الخطيب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه ... فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه ... ولم يتعقب مده أبداً جزر
وبأس غداً يرتاع من خوفه الردى ... وترفل في أذياله الفتكة البكر
أطاعته حتى العصم في قنن الربا ... وهشت إلى تأميله الأنجم الزهر
قصدناك يا خير الملوك على النوى ... لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام عن غلوائها ... وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعدنا بذاك المجد فانصرم الردى ... ولذنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما أتينا البحر يرهب موجه ... ذكرنا نداك العمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها ... فإيمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه ... إذا ظل في أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت ... وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت إلى الله الأكف ضراعة ... فقال لهن الله قد قضى الأمر
وألبسها النعمى ببيعتك التي ... لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكاً ... وقد كان مما نابه ليس يفتر
وآمنت بالسلم البلاد وأهلها ... فلا ظبة تعرى ولا روعة تعرو

وله قصيدة طويلة أخرى فيه، يهنئه بفتح مدينة تلمسان، منها[405] :

أطاعَ لساني في مديحكَ إحساني ... وقد لهجَتْ نفسي بفتح تِلِمْسانِ

فأطلعتُها تفترُّ عن شَنَبِ المُنى ... وتُسْفِرُ عن وجهٍ من السعدِ حيّاني

كما ابتسم النوّارُ عن أدمُعِ الحيا ... وجفَّ بخدّ الوردِ عارضُ نيسانِ

كما صفّقَتْ ريحُ الشمالِ شمولها ... فبان ارتياحُ السكرِ في غصُنِ البانِ

تُهنّيكَ بالفتحِ الذي معجزاتُهُ ... خوارقُ لم تُذْخَرْ سواك لإنسانِ

خفَقْتَ إليْها والجُفونُ ثقيلَةٌ ... كما خفَّ شَثْنُ الكفِّ من أسدِ خفّانِ

وقُدتَ إلى الأعْداء فيها مبادراً ... ليوثَ رجالٍ في مناكبِ عقبانِ

تمدُّ بنودُ النصرِ منهم ظلالها ... على كلِّ مطعامِ العشيّات مطعانِ

جَحاجِحَةٌ غرُّ الوجوه كأنّما ... عمائمهم فيها معاقدُ تيجانِ

أمدّكَ فيها اللهُ بالملإ العـلا ... فجيشك، مهما حُقّق الأمرُ، جيشانِ

لقد جُليتْ منكَ البلادُ لخاطبٍ ... لقد جُنيتْ منكَ الغصونُ إلى جاني

لقد كستِ الإسلامَ بيعتكَ الرضى ... وكانت على أهليهِ بيعـةَ رضوانِ

ولله من مُلكٍ سعيدٍ ونَصْبَةٍ ... قضى المشتري فيها بعزلة كيوانِ

وسجّل حكم العدلِ بينَ بيوتها ... وقوفاً مع المشهورِ من رأيِ يونانِ

فلم تخش سهمَ القوسِ صفحةُ بدرها ... ولم تشكُ فيها الشمسُ من بخس ميزانِ

ولم يعترض مبتزّها قطعُ قاطعٍ ... ولا نازعَتْ نوبهرها كفُّ عدوانِ

وفي ليلة ميلاد النبي محمد وعلى عادة المغاربة في الاحتفالات بهذه الليلة العظيمة. أنشد الفقيه الكاتب أبو القاسم بن أبي زكرياء البرجي، السلطان أبو سالم هذه القصيدة الفريدة والتي مطلعها[406] :

أصغى إلى الوَجْد لما جدّ عاتبُه صبٌّ له شغل عمّن يعاتبه

لم يُعط للصبر من بعد الفراق يدا فضَلّ مَن ظلّ إرشاداً يخاطبه

لولا النوى لم يَبِت حيران مكتئبا يُغالب الوجد كتماً وهو غالبه

يستودعُ الليلَ أسرار الغرام وما تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

ومنها في مدح السلطان أبي سالم ابراهيم:

وخلّد الله مُلْك المستعين به مؤيد الأمر منصوراً كتائبُه

إمام عدل بتقوى الله مشتمل في الأمر والنهي يُرضيه يُراقبه

مسدَّدُ الحُكم ميمونٌ نقيبتُه مُظَفَّر العزم صِدْق الرأي صائبه

مشمِّر للتقى أذيال مجتهد جرّارُ أذيال سحب الجود ساحبه

قد أوسعَت أمل الرَّاجي مكارمُه وأخْصَبت رغبة العافي رغائبه

وفاز بالأمن محبوراً مسالمه وباء بالخزي مقهوراً مُحاربه

كم وافدِ آملٍ معهودَ نائله أثنى وأثْنَت بما أولى حقائبُه

ومستجير بعزّ من مَثابته عزّت مراميه وانقادت مآربه

وجاءه الدهر يسْتَرضيه مُعتذراً مُستغفراً من وقوع الذنب تائبه

لولا الخليفةُ إبراهيم لانبهمت طرق المعالي ونال الملك غاصبُه

سَمَتْ لنيل تراث المجد همّتُه والملكُ ميراث مجدٍ وهو عاصبه

يُنميه للعزّ والعَلْيا أبو حسن سَمْح الخلائق محمودٌ ضرائبه

من آل يعقوب حَسْبُ الملك مفتخراً بباب عزّهم السامي تعاقُبه

أطواد حِلْمٍ رسا بالأرض محْتِدُه وزاحمت مَنْكِب الجوزا مناكبُه

تحفها من مَرِين أبحرٌ زَخَرَت أمواجها وغمامٌ ثار صائبه

وهذا العلامة الشهير، صاحب الفنون عبد الرحمن بن خلدون يخاطب السلطان أيضا بقصيدة طويلة، ليلة الميلاد الكريم وهذا مطلعها[407] :

أسْرَفْنَ في هَجري وفي تعذيبي وأَطَلْن موقف عَبْرتي ونَحيبي

وأبَيْنَ يوم البَين موقف ساعة لوداع مَشْغُوف الفؤاد كئيب

لله عهد الظَّاعنين وغادروا قلبي رَهين صَبابة ووجيب

غَرَبَت ركائبُهم ودمعي سافح فشَرِقت بعدهم بماء غُروبي

ومنها في المدح:

سائل به ظامي العُباب وقد سرى [تزجي بريح] العزم ذات هُبوب

تهديه شُهْب أسنَّة وعزائم يَصْدَعْن ليل الحادث المَرْهوب

حتى انجلت ظُلَم الضَّلال بسعيه وسطا الهدى بفَريقها المغلوب

يا ابن الأُلى شادوا الخلافة بالتقى واسْتَأثروك بتاجها المعصوب

جمعوا بحفظ الدين آي مناقب كرمُوا بها في مَشْهد ومَغيب

لله مجدُك طارفاً أو تالداً فلقد شَهِدْنا منه كل عجيب

كم رهبةٍ أو رغبةٍ لك والعُلا تُقْتاد بالتَّرغيب والتَّرهيب

لا زلت مسرورا بأشْرَف دولة يبدو الهدى من أُفقها المرقوب

تُحيي المعالي غادياً أو رائحاً وجديدُ سَعْدك ضامنُ المطلوب

وفي اليوم المعلوم، والذي ورد على السلطان أبي سالم فيه وفد الأحابيش بهدية من ملك السودان، ومن جملة الهدايا الحيوان الغريب حسب تعبير صاحب الإحاطة المسمى بالزرافة، فأمر السلطان من ينظم الشعر في ذلك الغرض، فقال الأديب المتفنن والكاتب المتقن ابن زمرك في قصيدة طويلة مطلعها[408] :

لَـوْلاَ تَـألُّـقُ بَـارِقِ التَّـذْكَـارِ مَـا صَـابَ وَاكِـفُ دَمْعِـيَ الْمِـدْرَارِ

لَكِنَّـهُ مَهْمَـا تَعَـرَّضَ خَـافِقـاً قَـدَحَـتْ يَـدُ الأَشْـوَاقِ زَنْـدَ أُوَارِي

وَعَلـى الْمَشُـوقِ إِذَا تَـذَكَّـرَ مَعْهَـداً أَنْ يُغْـرِيَ الأَجْفَـانَ بِـاسْتِعْبَـارِ

أَمُـذَكِّـرِي غَـرْنَـاطَـةَ حَلَّـتْ بِهَـا أَيْـدِي السَّحَـابِ أَزِرَّةَ النُّـوَّارِ

ومنها في مدح السلطان أبي سالم :

وَأَتَتْـكَ يَـا مَلِـكَ الـزَّمَـانِ غَـرِيبَـةٌ قَيْـدُ النَّـوَاظِـرِ نُـزْهَـةُ الأَبْصَـارِ

مَـوْشِيَّـةُ الأَعْطَـافِ رَائِقَـةُ الحُلَـى رَقَمَـتْ بَـدَائِعَهـا يَـدُ الأَقْـدَارِ

رَاقَ العُيُـونَ أَدِيمُهَـا فَكَـأَنَّـهُ رَوْضٌ تَفَتَّـحَ عَـنْ شَقِيـقِ بَهَـارِ

مَـا بَيْـنَ مُبْيَـضٍّ وَأَصْفَـرَ فَـاقِـعٍ سَـالَ اللُّجَيْـنُ بِـهِ خِـلاَلَ نُضَـارِ

يَحْكِي حَدَائِقَ نَرْجِسٍ فِي شَاهِقٍ تَنْسَـابُ فِيـهِ أَرَاقِـمُ الأَنْهَـارِ

تَحْـدُو قَـوَائِـمُ كَـالْجُـذُوعِ وَفَـوْقَهَـا جَبَـلٌ أَشَـمُّ بِنُـورِهِ مُتَـوَارِي

وَسَمَـتْ بِجِيـدٍ مِثْـلَ جِـذْعٍ مَـائِـلٍ سَهْـلِ التَعَطُّـفِ لَيِّـنٍ خَـوَّارِ

تَسْتَشْـرِفُ الجُـدْرَانُ مِنْـهُ تَـرَائِيـاً فَكَـأَنَّمَـا هُـوَ قَـائِـمٌ بِمَنَـارِ

تَـاهَـتْ بِكَلْكَلِهَـا وَأَتْلَـعَ جِيـدُهَـا وَمَشَـى بِهَـا الإِعْجَـابُ مَشْـيَ وَقَـارِ

خَـرَجُـوا لَهَـا الْجَـمَّ الْغَفِيـرَ وَكُلُّهُـمْ مُتَعَجِّـبٌ مِـنْ لُطْـفِ صُنْـعِ الْبَـارِي

كُـلٌّ يَقُـولُ لِصَحْبِـهِ قُـومُـوا انْظُـرُوا كَيْـفَ الْجِبَـالُ تُقَـادُ بِـالأَسْيَـارِ

أَلْقَـتْ بِبَـابِـكَ رَحْلَهَـا وَلَطَـالَمَـا أَلْقَـى الْغَـرِيـبُ بِـهِ عَصَـا التَّسْيَـارِ

عَلِمَـتْ مُلُـوكُ الأَرْضِ أَنَّـكَ فَخْـرُهَـا فَتَسَـابَقَـتْ لِـرِضَـاكَ فِـي مِضْمَـارِ

وقال أيضا العلامة الشهير، صاحب الفنون عبد الرحمن بن خلدون، في هدية السلطان[409]:

قَدَحَتْ يد الأشواق من زندي | وهَفَتْ بقلبي زفرة الوَجْد
ونبذت سلواني على ثقة | بالقرب فاستبدلتُ بالبُعد
ولرُبّ وصلٍ كنت آمله | فاعتَضْتُ منه مؤلم الصَّدِّ
لا عَهْدَ عنده الصبر أطلبه | إن الغرام أضاع من عَهْدِي
يَلْحي العذول فما أعنِّفُه | وأقول ضلَّ فأبتغي رُشدي
وأعارض النَّفحات أسألها | بَرْد الجَوَى فتزيد في الوَقْد
يَهْدي الغرام إلى مسالكها | لتعلُّلي بضعيف ما تُهدي
يا سائق الوَجْناء مُعْتَسِفًا | طيَّ الفلاة لطيَّة الوَجْد
أرح الرِّكاب ففي الصَّبا نبأٌ | يُغني عن المُسْتَنَّة الجُرد
وسل الرُّبوع برامةٍ خبراً | عن ساكِني نَجْد وعن نَجْد
مالي تُلام على الهوى خُلُقي | وهي التي تأْبَى سوى الحَمْد
لأبَيْتُ إلا الرُّشد مذ وضحت | بالمُسْتعين معالم الرُّشْد
نعم الخليفة في هُدًى وتقًى | وبناء عزٍّ شامخ الطُّود
نَجْلُ السُّراة الغُرِّ شأْنُهم | كسب العُلا بمواهب الوَجد

ومنها في ذكر خلوصه إليه، وما ارتكبه فيه :

لله مني إذ تأوبني ... ذكراه وهو بشاهق فرد

شهمٌ يفلُّ بواتر قُضُبا ... وجموع أقيال أولي أيْدِ

أوْرَيْت زَنْد العزم في طلبي ... وقضيت حقَّ المجد من قصدي

ووردتُ عن ظما مناهله ... فرويتُ من عزٍّ ومن رِفْد

هي جنَّة المأْوى لمن كَلِفت ... آماله بمطالب المجد

لو لم أُعَلَّ بوِرْد كوثرها ... ما قلت هذي جنة الخُلْد

من مُبْلِغٌ قومي ودونهم ... قُذُف النَّوى وتنُوفَة البُعد

إني أَنِفْتُ على رجائهم ... وملكت عزَّ جميعهم وحدي

ورقيمة الأعطاف حالية ... موشِيَّة بوشائج البُرْد

وحشيَّة الأَنساب ما أَنِست ... في موحش البيداءِ بالقوْد

تسمو بجيد بالغ صَعَداً ... شَرَف الصُّروح بغير ما جَهْد

طالت رؤوس الشامخات به ... ولربما قَصُرت عن الوَهْد

قطعت إليك تَنائفا وصلت ... آسادها بالنَّص والوَخْد

تَخْدى على استصعابها ذُلُلاً ... وتَبِيت طوع القِنِّ والقِدِّ

بسعودك اللائى ضمنَّ لنـا ... طول الحياة بعيشةٍ رَغْـد

جاءتك فى وفْد الأَحابش لا ... يَرجون غيرك مُكْرِم الوفـد

وافُـوك أَنْضاءَ تُقَلِّبُـهم ... أَيْدى السُّرى بالغَوْر والنَّجد

كالطَّيف يَسْتَقْرى مضاجعه ... أَو كالحُسام يُسَلُّ من غِمد

يُثنون بالحُسْنى التى سبقت ... من غير إنكار ولا جَحْد

ويرون لَحْظَك من وِفادتهم ... فخراً على الأَتراك والهند

يا مُسْتَعيناً جلَّ فى شَرَفٍ ... عن رُتبة المنصور والمَهْدى

جازاك ربُّك عن خَليقته ... خير الجزاءِ فنِعم ما يُسدى

وبقيت للدنيا وساكنها ... فى عزَّة أَبدا وفى سَعْد

ومما أنشده ابن الخطيب للسلطان أبي سالم ليلة ميلاد النبي محمد، هذه القصيدة الطويلة التي مطلعها[410] :

تألَّق نجديًا فأذكرنى نجْـدا ... وهاج بى الشَّوق المبرِّح والوَجْدا

وميضٌ رأى بُرْدَ الغمامة مَعْقِلا ... فمدَّ يدا بالتِّبر أعلمت البُرْدا

تبسَّم فى مَجْرِيَّة قد تجهَّمت ... فما بذلت وصلا ولا ضَرَبت وَعْدا

وراود منها فاركاً قد تَنعَّمت ... فأَهوى لها نَصْلاً وهدَّدها رعْدا

ومنها في مدح السلطان أبي سالم:

رَعى الله منها ليلةً أطْلَع الهُدى — على الأَرض من آفاقها القمر السَّعدا
وأقْرض مُلْكًا قـام فينـا بحقّهـا — لقد أحْـرَز الفخـر المؤثَّل والمجدا
وحيًّا على شطِّ الخليج محـلَّةً — يحالف من ينتابها العِيشَةَ الرَّغدا
وجاد الغمام العدَّ فيها خلائفًا — مآثرهم لا تعرف الحصر والعدَّا
عليًّا وعثمان ويعقوب لا عـدا — رضى الله ذاك النَّجلُ والأَب والجدَّا
خَضُوا وهموا فى حَوْمة البأْس والنَّدى — فكانوا الغُيوث المُسْتَهلة والأُسْدا
ولله ما قد خلَّفوا من خليفـة — حَوَى الإرث عنهم والوصيَّة والعَهْدا
إذا ما أراد الصَّعب أغرى بنَيْله — صدور العوالى والمطهَّمة الجُرْدا
فكم معتدٍ أردى وكم تائهٍ هَـدا — وكم حِكْمة أخفى وكم نِعْمة أبْدا
أبا سالم دين الإلـه بك اعْتَـلَى — أبا سالم ظِلُّ الإلـه بك امْتَدَّا
فَدُم من دِفاع الله تحت وقـايةٍ — كفاك بها أن تَسْحب الحلق السَّرْدا
ودونَكهـا منّى نتيجة فكْـرة — إذا اسْتَرْشَحت للنظم كانت صفًا صَلدا

ومما كتب به ابن الخطيب كذلك للسلطان أبي سالم، رسالة يطلب منه أن يشفع له عند أهل الأندلس في رد متاعه الذي أتلفوه عليه أيام النكبة، وفي مدرج الرسالة بعد النثر هذه القصيدة[411] :

مولاي ها أنا في جوار أبيكا — فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى — والله يسمعك الذي يرضيكا
واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة — تهدي إليك النصر أو تهديكا
واجبر بجبري قلبه تنل المنا — وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذي سن البرور بأمه — وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذراً ومحذراً — وبما تؤمل نيله يأتيكا
قد هز عزمك كل قطر نازح — وأخاف مملوكاً به ومليكا

قد هز عزمك كل قطر نازح ... وأخاف مملوكاً به ومليكا
فإذا سموت إلى مرام شاسع ... فغصونه ثمر المنا تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبي ... لما جعلتك في الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها في مقصدي ... ورعيتها بركاتها تكفيكا
وإذا قضيت حوائجي وأريتني ... أملاً فربك ما أردت يريكا
واشدد على قولي يداً فهو الذي ... برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي ... إني ومهجتي التي تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنماً ... يضفي على العز في ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها ... باق إذا استجزيته يجزيكا
ووعدتني وتكرر الوعد الذي ... أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عناية ... من كل محذور الطريق يقيكا
ببقائك الدنيا تحاط وأهلها ... فالله جل جلاله يبقيكا

وقال أيضا في الغرض المذكور[412] :

عن باب والدك الرضي لا أبرح ... يأسو الزمان لأجل ذا أو يجرح
ضربت خيامي في حماه فصبيتي ... تجني الحميم به وبهمي تسرح
حتى يراعي وجهه في وجهتي ... بعناية تشفي الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيري خائباً ... ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
أنا في حماه وأنت أبصر بالذي ... يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
في مثلها سيف الحمية ينتضي ... في مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذي بدأ الجميل يعيده ... وعسى الذي سدا المذاهب يفتح

ومما ذكره كذلك ابن الخطيب في إحاطته، قوله[413] :

{ وخاطبت سلطان المغرب ابن السلطان أبي الحسن، ولها حكاية. وأبو الحسن الصغير، رجل كبير من فقهائها:

قلْ للذى ذكر الهدى وعهودَه فبكى وأصبح مُشْفقا من فَقْدها
غَصَبْتَ حقوق الله جلَّ جلاله فقضى أبالحسن الصغير بِرَدِّها

{...

ومما قاله كذلك في سكين للسلطان أبي سالم ملك المغرب[414] :

أرى سيف إبراهيم بينى وبينه مناسبةٌ عند اعتبار المناسب
أُزيل حروف الخطِّ عند التِباسها وتُبشِّر حدَّاه حروف الكتايب

ومن الشعر الذي نسبه ابن الخطيب إلى عالم من العلماء المجيدين وهو محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي شمس الدين. قصيدة أنشدت بين يدي السلطان أبي سالم، ليلة ميلاد النبي محمد وهذا مطلع القصيدة[415] :

أيا نسيم السَّحر بالله بلِّغ خبر
إن أنت يوماً بالحِمى جررتَ فضل المئزر
ثم حثَثت الخطو من فوق الكثِيب الأعْفر
مُستقرياً فى عُشْبه خفىَّ وطىء المَطَر

ومنها في مدح السلطان:

نالوا جوار الله وهو الفَخْر للمُفْتخر
أرجو بإبراهيم مو لانا بلوغ الوَطَر
فوعدُه لا يمْتَرى فى انصِّدق منه المُمْترِ
فهو الإمام المُرْتضى والخيْر ابن الخيِّر
أكرِم من نال المنى بالمُرْهفات البُتْر
مُمَهِّد الملك وسيفُ الحقِّ والليث الجَرى

خليفــة الله الــذى فاق بحسن السِّــير

وكان منه الخُبر فى العَلْيــاء وفْق الخَبــر

فصدَّق التَّصديق مــن مــرآه للتَّصــور

ومســتعين الله فى وِرْدٍ لــه وصَــدَر

فاق الملوك الصِّــيد بالمَجد الرَّفيع الخَطر

فأصبحــت ألقابُهــم مَنْسِــيَّة لم تُذْكــر

وحاز منهم أوحــدُ وصْفَ العديد الأكثر

و مما نظمه الكاتب أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري عن إذن السلطان أبي سالم رحمه الله في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته و مضى بعد ذلك في مدح السلطان قوله[416]:

فخر الأنام أحـلَّ الفخرَ منزله فكلُّ مدحٍ على علياه مقصور

إذا أبو سالم مولى الملوك بَدا بدراً تضيء بمــرآه الدياجير

فأيّ خطب يخافُ الدهرَ آملُه وأيّ سؤلٍ له في النيل تعذير

بشراك بشراك يا نجلَ الخلافة ما خوّلت من نيلها والضدُّ مقهور

لك الخلودُ بعـزّ الملكِ في نعمٍ لا يعتري صَفْوَها في الدهرِ تكدير

فانعم هنيئاً بلَذاتٍ مواصـلة لا يأتليهنَّ إلمـامٌ وتكرير

لا زلتَ تلقى المُنى في غبطةٍ أبداً مــا دام لله تهليــلٌ وتكبير

وفي مدح السلطان أبي سالم إبراهيم قال الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب[417] :

وَأَوْرَثَ إبراهِيمَ سِرَّ خِلاَفَةٍ ... نَمَاهُ مِنَ المَجْدِ الصُّرَاحِ صَمِيمُهُ
إذَا الأَمَلُ اسْتَنْشَقَ غَمَامَةَ رَحْمَةٍ ... فَفِي كَفِّ إبْرَاهِيمَ تُسْكَبُ دِيمُهُ
وَكَمْ مِنْ رَجَاهُ خَابَ ظَنٌّ رِقِيَامِهِ ... فَأَنْتَجَ بالمَطْلُوبِ مِنْهُ عَقِيمُهُ
أَمَوْلاَيَ لاَحِظْهَا عَلَى البُعْدِ خِدْمَةً ... لِوَالِدِكَ الأَرْضَى انْتَقَاهَا خَدِيمُهُ
تَخَيَّرَهَا فِكْرِي فَرَاقَ نِظَامُهَا ... كَمَا رَاقَ مِنْ دُرِّ النُّحُورِ نَظِيمُهُ
وَكِلْتُ بِهَا هَمِّي وَأَغْرَيْتُ هِمَّتِي ... فَسَاعَدَهَا هَاءُ للرَّوِيِّ وَمِيمُهُ
حَلَلْتُ به مُسْتَنْصِرًا بِجَنَابِهِ ... وَعَاهَدْتُ نَفْسِي أنني لا أَرِيمه
عَلَى قَبْرِهِ الزَّاكِي وَقَفْتُ مَطَامِعِي ... فَمَنْ نَالَنِي بالضَّيْمِ أَنْتَ خَصِيمُهُ

ومما نظمه الكاتب عبد الله بن يوسف بن رضوان ليكتب على دواة للسلطان موشية بالذهب، قوله[418] :

لبستُ محاسنَ الوشي البديع ... وفقتُ بمنظري زهرَ الربيعِ
وساعدتِ السعودُ صنيعَ شكلي ... فتمَّ لهـا به حسنُ الصنيع
وعزَّ مكان تشريفي بملـكٍ ... يقربـني لمجلسهِ الرفيـع
عمادُ الملك ابراهـيمُ مولى ... ملوكِ الارضِ ملتجأ المروع
تجمع فيـه اشتاتُ المعالي ... فأضحى المجدُ في شملٍ جميع
أدامَ له الالهُ عزيزَ نصرٍ ... واسكنه حمى الحفظ المنيع

ومما نظمه كذلك لينقش للسلطان على قلم من الفضة، قوله :

أَجلْ قَلمٌ سَعْدُهُ ثابتٌ   يريكَ العجائبَ من وَصْفِهِ
ويبدي من الوشي في طرسه   مشابِهَ وشـيٍ على عطفه

ومما نظمه الوزير ابن الخطيب في مخاطبة السلطان أبي سالم رحمه الله في سبيل الشكر، عندما خلصه من ورطته، قوله[419] :

سَمِيَّ خليل الله أحييتَ مُهجَتي   وعاجَلني منك الصَّريخُ على بُعْدِ
فإن عشتُ أُبلغْ فيك نَفْسيَ عُذْرَها   وإن لم أعش فالله يَجزيك من بعدي

وفي رثاء السلطان أبي سالم يقول لسان الدين بن الخطيب أيضا[420] :

{وأنشدت على قبره الذي ووريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة، قصيدة أديت فيها بعض حقه:

بني الدنيا بني لَمْعِ السَّراب   لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب

...}

السلطان أبو عمر تاشفين بن علي المريني

وفي دولة أبو عمر تاشفين قال ابن الخطيب في أرجوزته[421] :

وبايع المحجوب تاشفينا   بينا اراد نشره دفينا

مختبلا لكنه موه به   فاكملت حيلته بسببه

وظن ان الحال فيها منتفع   فلم يكن لطامع فيه طمع

وفض للحين بيوت المال   مستظهرا بالشيع الانذال

من النصارى الغلف والسفال   وكادهم من بعد حذى الحال

وبادر السلطان عند الهيعه   فقيل صارت لاخيك البيعه

فطاف بالبلدة كي يثوبا   عزم لمن بات بها مغلوبا

او يصرف الله له القلوبا   فلم ينل من ذلك المطلوبا

وخانه الناس فافردوه   ومورد الخذلان اوردوه

وخاب ظن طامع يرجوه   وصرفت للبلدة الوجوه

فسار تحت الليل سير الحيره   فجد في غير سبيل سيره

و بعد ما التف به رهط بقيه   فمن وزير ووصيف وفقيه

لم يرع منهم حقه من احد   واسلموه وانثنوا للبلد

وتركوه حائرا في الفدفد   وسلبت مهجته من الغد

لهفي عليه من حيي الوجه   ليس بذي عنف ولا ذي نجه

مهذب الشيمة سهل الجانب   ووارث الارض بحق واجب

تبكي عليه العين من مظلوم   بكل دمع مسبل الغيوم

وبادر الامر بنو ابي علي   فلم يكن لهم به من قبل

اذ خصه الله باولاد علي   عناية سابقة في الازل

ثم ازيل تاشفين وخلع   وابن اخيه بعد ان حط رفع

السلطان أبو زيان بن أبي عبد الرحمن بن علي المريني

ولما تم للسلطان أبي زيان محمد الأمر، خاطبه الوزير ابن الخطيب من سلا مهنئا له بقوله[422] :

يا ابن الخلائف يا سمي محمد ... يامن علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأنت مجدد الملك الذي ... لولاك أصبح وهو رسم داثر
من ذا يعاند منك وارثه الذي ... بسعوده فلك المشيئة دائر
ألقت إليك يد الخلافة أمرها ... إذ كنت أنت لها الولي الناصر
هذا وبينك للصريخ وبينها ... حرب مضرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره ... حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاي عندي في علاك محبة ... والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبي يحدثني بأنك جابر ... كسرى وحظي منك حظ وافر
بثرى جدودك قد حططت حقيبتي ... فوسيلتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل ما ... يلقى لملكك سيف أمرك عامر
فهو الولي لك الذي اقتحم الردى ... وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولي جدك في الشدائد عندما ... خذلت علاه قبائل وعشائر
فاستهد منه النصح واعلم أنه ... في كل معضلة طبيب ماهر
إن كنت قد عجلت بعض مدائحي ... فهي الرياض وللرياض بواكر

وقال أيضا: {وفدت على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن ابن أبي الحسن من محل الإنقطاع بسلا وأنشدته قولي[423] :

لمن علم في هضبة الملك خفاق أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة تمد لها أيدٍ وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها وأعمل إجماع عليها وإصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد فسجل عهد للوفاء وميثاق
أحلماً ترى عيناي أم هي فترة أعندكما في مشكل الأمر مصداق
وفاض لفضل الله في الأرض تبتغي ومجتمعات لا تريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا وفلح لسقي الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا وللفتنة العمياء في الأرض إطباق
وللغيث إمساك وفي الأرض رجة وللدين والدنيا وجوم وإطراق
فكل فريق فيه للبغي راية وكل طريق فيه للعيث طراق
أجل إنه من آل يعقوب وارث يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مسجف ومن رفرف العز الإلٰهي رستاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوءها دجى وعلى الأحداق للذعر إحداق
فأشرقت الأرجاء من نور ربها وساح بها لله لطف وإشفاق
فمن ألسن بالشكر لله أعلنت وكان لها من قبل همس وإطباق
وليس لأمر أبرم الله ناقض وليس لمسعى النجح في الله إخفاق
محمد قد أحييت دين محمد وللخلق أدماء تفيض وأرماق
ولو لم تثب غطى على شفق الضحا دم لسيوف البغي في الأرض مهراق
فأيمن بمشحون من الفلك سابح له باختيار الله حط وإيساق
أقلك والدأماء تظهر طاعة إليك وصفح الماء أزرق رقراق
إلى هدف السعد انبرى منه والدجا تضل الحجى سهم من السعد رشاق

فخطت لتقويم القوام جداول وصحت من التوفيق واليمن أوفاق

تبارك من أهداك للخلق رحمة ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق

هو الله يبلو الناس بالخير فتنة وبالشر والأيام سم وترياق

سمت منك أعناق الورى لخليفة له في مجال السعد عدو وأعناق

وقالوا بنان ما استقل بكفه تفيض على العافين أم هي أرزاق

وأطنب فيك المادحون وأغرقوا فلم يجد إطناب ولم يغن إغراق

ألست من القوم الذين أكفهم غمام ندى إن أخلف الغيث غيداق

ألست من القوم الذين وجوههم بدور لها في ظلمة الروع إشراق

رياض إذا العافي استظل ظلالها ففيها جنى ملء الأكف وإيراق

أبوك ولي العهد لو سالم الردى وجدك قد فاق الملوك وإن فاقوا

فمن ذا له جد كجدك أو أب لآلئ والمجد المؤثل نساق

وحسب العلا في آل يعقوب أنهم هم الأصل في العلياء والناس إلحاق

أسود سروج أو بدور أسرة فإن حاربوا راعوا وإن سالموا راقوا

يطول لتحصيل الكمال سهادهم فهم للمعالي والمكارم عشاق

ومنها:

لقد نسيت إحسان جدك فرقة تزر على أعناقهم منه أطواق

أجازت خروج ابن ابنه عن تراثه ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق

ومن دون ما راموه لله قدرة ومن دون ما أموه للفتح إغلاق

خذ العفو وابذل فيهم العرف ولتسع جريرة من أبدى لك العذر أخلاق

فربما تنبو مهندة الظبي وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق

وما الناس إلا مذنب وابن مذنب ولله إرفاد عليهم وإرفاق

ولا ترج في كل الأمور سوى الذي خزائنه ما ضرها قط إنفاق

إذا هو أعطى لم يضر منع مانع وإن حشدت طسم وعاد وعملاق

عرفت الردى واستأثرت بك للعدا تخوم لمختط الصليب وأعماق

فيسر لليسرى وأحيى بك الورى وللروع إرعاد عليك وإبراق

فجاز صنيع الله وازدد بشكره	مواهب جود غيثها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذي كفى	فأنت كريم طهرت منك أعراق
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة	شجتها تباريح إليك وأشواق
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها	وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع	ولا نال منها جدة السعد أخلاق
أمولاي راع الدهر سربي وغالني	فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسرى غيرك اليوم جابر	ولا ليدي إلا بمجدك أعلاق
ولي فيك ود واعتداد غرسته	فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبري في ارتقابي خليفة	تحل به للضر عني أوهاق
وأنت حسام الله والله ناصر	وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الأمان المستجار من الردى	إذا راع خطب أو توقع إملاق
وأهون ما يرجى لديك شفاعة	إذا لم يكن عزم حثيث وإرهاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلص	له فيك تقييد يروق وإطلاق
إذا قال أما كل سمع لقوله	فمصغ وأما كل أنف فنشاق
ودم خافق الأعلام بالنصر كلما	ذهبت لمسعى لم يكن فيه إخفاق

وخاطبه كذلك بقوله[424]:

أبقاكَ ظِلاًّ للعبادِ ومَلْجَأً	وأعانكَ الرحْمانُ مِنْ سلْطانِ
قَدْ زيَّنَ الدُّنيا بنُورِ جَمالِهِ	فلِذاكَ ما يُدْعَى أبا زَيَّانِ

ومما ذكره ابن الخطيب في أرجوزته، قوله في سيرة هذا السلطان[425] :

ثم ازيل تاشفين وخلـــع   وابن اخيه بعد ان حط رفـــع

محمد يدعى ابا زيـــان   ابوه يعقوب رفيع الشـــان

وجه منه لبلاد الـــروم   فتم وجه الغرض المـــروم

وانفرد الغادر لما جبـــه   وكل تضييق عليه ارتكبـــه

وحين ثاب منه ضرا قتلـــه   واغتاله ونال منه املـــه

وادخر الله لجبر الملـــه   بدر البدور الغر والاهلـــه

السلطان أبو فارس عبد العزيز الأول بن علي المريني

ومما قاله صاحب الإحاطة[426] :

{... وبايع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن، المنفرد به، وخاطب الجهات بدعوته وهو صبي ظاهر النبل والإدراك... وأعمل الحيلة لأول أمره، على هذا الوزير... فطوقه الحمام واستأصل ما زراه من مال وذخيرة. شكر الله على الدولة صنيعه وفي ذلك يقول:

لقد كان كالحجاج فى فتكاته تحاذره البرآء دوماً وتخشاه

وعاجله من قبل أن يتعشاه تغدَّا به عبد العزيزُ مبادراً

...}

ومن نظم السلطان عبد العزيز الأول ما ذكره الأمير ابن الأحمر في نثير الجمانه مذيلا بيتي والده السلطان المعظم أبي الحسن وهما[427] :

أرضـــي الله فـــي ســـر وجـــهـــر وأحمي العرض من دنس ارتياب

وأعطي الوفر من مالي اختياراً وأضرب بالسيوف طلي الرقاب

فقال هو وأحسن:

وأرغب خالقي في العفو عني وأطـلـب حـلـمـه يوم الـحـسـاب

وأرجـو عـونـه فـي عـز نـصـر على الأعداء محروس الجناب

وعبدك واقف بالباب فارحم عُـبـيـداً خـائـفـاً ألـم الـعـقـاب

وهذه قصيدة الأديب المتفنن والكاتب المتقن ابن زمرك الأندلسي الفاسي يخاطب السلطان أبا فارس عبد العزيز وقد توجه إليه سفيرا لسلطان بني الأحمر ومهنئا

بالملك يستنفره إلى المظاهرة في الجهاد على رعي ذمة الوداد. وهذه أبيات من القصيدة[428] :

تُنَاجِيكَ خَلْفَ البَحْرِ آمالُ مَعْشَرٍ ... وَكُلٌّ مُحَيَّاكَ المُبَارَكَ يَرْقُبُ
وَشَخْصُكَ فِي كُلِّ القُلُوبِ مُصَوَّرٌ ... وَأَنْتَ وَرَاءَ الغِيْبِ غَيْبٌ مُحَجَّبُ
سَتَنْصُرُهَا نَصْراً عَزِيزاً مُؤَزَّراً ... يُبَلِّغُ أَهْلَ اللَّهِ مَا هِيَ تَرْغَبُ
فَقَلِّدْ سُيُوفاً مِنْ مَرِينٍ وَسُلَّهَا ... عَلَى عُصْبَةِ التَّثْلِيثِ واللَّهُ يَضْرِبُ
أَبَا فَارِسٍ هُنِّئْتَهُ مُلْكَ فَارِسٍ ... تُرَاثُ مُلُوكٍ وَارِثُ المُلْكِ أَنْجَبُ
تُجَدِّدُ مِنْ آثَارِهِمْ كُلَّ دَارِسٍ ... لَهُ مِنْ جَنَابِ اللَّه أَهْلٌ وَمَرْحَبُ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الخَلِيفَةَ فَارِساً ... وَلِلْصِّدْقِ نُورٌ لائِحٌ لَيْسَ يُحْجَبُ
بِأَنَّ إِلاَهَ العَرْشِ جَدَّدَ مُلْكَهُ ... وَأَبْقَى لَهُ زُلْفَى بِهَا يَتَقَرَّبُ
أَمَوْلاَيَ مِنْ مَوْلاَيَ جِئْتُ مُهَنِّئاً ... مَوَاهِبَ فَتْحٍ لَمْ تَكُنْ قَطُّ تُحْسَبُ
وَأَشْكُرُ مِنْ هَذَا القَبِيلِ أَحِبَّةً ... فَأَلْفَيْتُهَا عَنْ شُكْرِهِ لَيْسَ تَرْغَبُ
فَلِلَّهِ مِنْ هَذَا الجَنَابِ بُنُوَّةٌ ... لَهَا فِي الرِّضَا قَصْدٌ جَمِيلٌ وَمَذْهَبُ
ولله مِنْ ذَاكَ ٱلْجَنَابِ أُبُوَّةٌ ... لَهَا فِي تَحَفِّيهَا حِمًى لَيْسَ يُقْرَبُ
فَوُرِّثْتُما أَعْمَارَ كُلِّ مُعَانِدٍ ... وَخُلِّدْتُمَا فِي عِزَّةٍ لَيْسَ تَذْهَبُ

وهذه قصيدة أخرى لإبن زمرك يجيب عنه – الغني بالله بن الأحمر – سلطان المغرب أيضا مستنفرا لدواعي الخلوص مستوزرا، وهذا مطلع القصيدة[429] :

بَثَّ الضَّمِيرُ إِلَى الضَّمِيرِ مَحَبَّةً ... بِصَمِيمِ قَلْبٍ في الخُلُوصِ مُقَلَّبِ
/ مَا ضَرَّنَا إِذْ كُنْتَ أَكْرَمَ شَاهِدٍ ... فَيَحُوزُ فَضْلَ قَرَابَةٍ بِتَقَرُّبِ

ومنها:

تِلْكَ ٱلَّتِي تَدْعُو ٱلنُّفُوسَ إلى التُّقَى ... وَتَحُطُّ إِثْمَ ٱلْوَازِرِ ٱلْمُسْتَحْقِبِ

/ وَتَزِيدُ فِي عَقْلِ ٱلْمُدِيرِ سُلاَفُهَا ... وَٱلْعَقْلُ لِلإِنْسَانِ أَشْرَفُ مَا حُبِي

لا كَالتِّي فِي ٱلْكَأْسِ مِنْ مَرَّاقَةٍ ... لَمَعَتْ لِشَائِمِهَا بِبَرْقٍ خُلَّبِ

مُدَّتْ لَهَا أَيْدِي ٱلْكِرَامِ فَلَمْ تُجِبْ ... إلاَّ ٱلْمُلُوكَ لِعُلْوِهَا فِي ٱلْمَنْصِبِ

وَمُدِيرُهَا طَوْعَ ٱلْعُلَى قَدْ دَارَ فِي ... فَلَكٍ بِأَنْوَارِ ٱلسُّعُودِ مُكَوْكَبِ

أَسْلاَفُنَا غَرَسَتْ كُرُومَ سُلاَفِهَا ... فَمَتَى نَقُومُ بِحَقِّهَا ٱلْمُتَرَتِّبِ

طَلَبُوا بِهَا وَجْهَ ٱلإِلاَهِ وَمِثْلُهُمْ ... غَيْرَ ٱلْمَحَامِدِ وَٱلْعُلَى لَمْ يَطْلُبِ

كَمْ مِنْ غَرِيبٍ في حَدِيثِ جِهَادِهِمْ ... تَرْوِيهِ أَنْدَلُسٌ لأَهْلِ ٱلْمَغْرِبِ

غَابَتْ بُدُورُهُمُ قَدِيماً فِي ٱلثَّرَى ... لَكِنَّهُ مَا نُورُهُمْ بِمُغَيَّبِ

ذَهَبُوا لِرِضْوَانِ ٱلإِلاَهِ وَإِنَّمَا ... آثَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ تَذْهَبِ

أَنْتَ ٱلَّذِي تَقْفُو سَبِيلَ جِهَادِهِمْ ... فَتَعُودُ بِالْفَتْحِ ٱلْمُبِينِ ٱلأَقْرَبِ

وَإِذَا نَبَا مَاضِي ٱلْحُسَامِ بِمَأْزِقٍ ... فَحُسَامُ سَعْدِكَ فِيهِ مَاضِي ٱلْمَضْرِبِ

مَنْ قَالَ أَرْوَاحُ ٱلْمُلُوكِ لَكَ ٱلْفِدَا ... فَأَنَا لَعَمْرُكَ قَائِلٌ بِالْمُوجَبِ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ٱلَّذِي رَايَاتُهُ ... قَدْ زَاحَمَتْ شُهْبَ ٱلسَّمَاءِ بِمَنْكِبِ

لَكَ عَزْمَةٌ شَهَرَ ٱلصَّبَاحُ لِوَاءَهَا ... فَأَطَلَّ مِنْ زُهْرِ ٱلنُّجُومِ بِمَوْكِبِ

لَكَ يَقْظَةٌ أَعْدَى ٱلنُّجُومَ سُهَادُهَا ... كَحَلَتْ بِمِيلِ ٱلْبَرْقِ جَفْنَ ٱلكَوْكَبِ

سَابَقْتَ عُلْوِيَّ ٱلنُّجُومِ بِهِمَّةٍ ... فَرَكَضْتَ مِنْ طِرْفِ ٱلصَّبَاحِ بِأَشْهَبِ

أَرْوَاحُنَا، أَعْزِزْ بِهَا، مَبْذُولَةٌ ... لِمُبَشِّرٍ بِلِقَائِكَ ٱلْمُتَرَقَّبِ

وَلِذَاكَ يَوْمٌ حَقُّهُ أَنْ لاَ يُرَى ... فِيهِ مِنَ الأَحْبَابِ مَنْ لَمْ يَطْرَبِ

فَتَهَيُّؤُ الأَسْبَابِ مِنْ أَحْكَامِهِ ... بِتَسَبُّبٍ تَجْرِي وَغَيْرِ تَسَبُّبِ

/ وَاللَّهُ يُدْنِي مَا رَجَوْتُ مُعَجَّلاً ... مِنْ جَمْعِ شَمْلٍ بِالتَّوَاصُلِ مُذْهَبِ

فلَطَالَمَا ٱسْتَوْهَبْتَ رَبًّا مُنْعِماً يُعْطِي جَزِيلَ ٱلْفَضْلِ لِلْمُسْتَوْهِبِ
فاصْرِفْ إلَى قَصْدِ ٱلْجِهَادِ أَعِنَّةً سَبَقَتْ بِشَأْوٍ لِلْسُّعُودِ مُغَرِّبِ
وَأَجِزْ فَوَارِسَ مِنْ مَرِينٍ تَرْتَمِي نَحْوَ ٱلْكَرِيهَةِ مِقْنَباً عَنْ مِقْنَبِ
أُسْدٌ وَمَا أَغْيَالُهَا إلاَّ ٱلْقَنَا فَلَهُمْ حِمًى مِنْ بَأْسِهَا لَمْ يُقْرَبِ
رُهْبَانُ لَيْلٍ مَا تَنَامُ جُفُونُهَا وَإِذَا تَهُبُّ عُدَاتُهَا لَمْ تَرْهَبِ
غُرُّ الوُجُوهِ عَرِيقَةٌ أَحْسَابُهَا غَيْرَ المَحَامِدِ وَٱلْعُلَى لَمْ تَخْطُبِ
إنْ أَوْرَدُوا ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ وَلَمْ تَجِدْ عَلَقَ ٱلنَّجِيعِ بِوِرْدِهَا لم تَشْرَبِ
عَلَّمْتَهُمْ أَدَبَ ٱلْحُرُوبِ فَكُلُّهُمْ يَسْطُو بِبَاسٍ مُهَذَّبٍ وَمُدَرَّبِ

وقصيدة أخرى له يهنئ السلطان أبا فارس عبد العزيز بمولود[430]:

أَبَا فَارِسٍ يَهْنِيكَ مَوْلِدُ فَارِسٍ وَبُورِكَ مَوْلُوداً وَبُورِكْتَ وَالِدَا
وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنَاكَ حَتَّى تُعِدَّهُ أَمَامَكَ يَغْزُو ٱلْكَافِرِينَ مُجَاهِدَا
وَيَسْمُو لِهَالاَتِ ٱلسُّرُوجِ مُجَالِداً وَيَهْوِي بِهَالاَتِ ٱلْمَحَارِبِ سَاجِدَا
وَلَوْ أَنَّنِي أَعْطَيْتُ حَقَّ وِلاَدِهِ نَظَمْتُ لَهُ دُرَّ ٱلدَّرَارِي قَلاَئِدَا
وَأَصْحَبْتُهُ بَدْرَ ٱلسَّمَاءِ وَشُهْبَهَا تُرَبِّيهِ أَتْرَاباً لَهُ وَوَلاَئِدَا
وَبَاتَتْ لَهُ خَمْسُ ٱلثُرَايَّا مُعِيذَةً وَأَصْبَحَ مُعْتَلُ ٱلنَّوَاسِمِ عَائِدَا
فَلاَ زِلْتَ تُحْلِي طَعْمَ كُلِّ مَسَرَّةٍ وَتُعْذِبُ لِلْصُّنْعِ ٱلْجَمِيلِ ٱلْمَوَارِدَا

ومما قاله عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري صاحب العلامة والقلم بالمغرب يمدح السلطان أبا فارس عبد العزيز المريني، قوله في قصيدة مولدية رفعها للسلطان عام 773 هـ، وهذا مطلعها[431] :

قِفْ بالدِّيارِ فهذهِ أعلامُهـــا
يُهْدى إليكَ مع النَّسيمِ سَلامُهـا
وإذا وقفتَ بهـا فَحيِّ رُبوعَهـا
وذرِ المَدامِعَ يستهلُّ غمامُهـا

ومنها في مدح السلطان عبد العزيز الأول:

ماذا يقولُ المادحونَ ودُرّهـا
في الوحي أُنزل فَذُّهـا وتؤامها
للهِ مولدُكَ الكريمُ وفادةٌ
وإفادةٌ يَروي الظمّاءَ جامُهـا
هو أكـبرُ الأعيـادِ بُشرى آذنتْ
أن [لا يودع ؟] شهرُها أوعامُها
وافى ربيعُ الخيرِ منهُ بليـلةٍ
عن وجهِ ذاكَ البدرِ حُطّ لثامُـها
طُفئت بها نيرانُ فارس بعدما
لم [تَطْفَ] ألفاً عُدّدتْ أعوامُها
والنهرُ غـــاضَ وكان بَحراً زاخراً
وتداعَتِ الشُّرفاتُ يسجدُ هامُها
هي ليلةٌ فاقَ الليّالي فضلُها
وتشرّفتْ بزمانِها أيامُها
أبدى الكريمُ إمامُنا تعظيمها
وله بحقٍّ براجبِ إعظامُها
فهو المليكُ الصّالح العلمِ الرّضا
مُحيي الشريعةِ ؛ عزُّها ونظامُها

وهو الخليفةُ وارثُ المُلكِ الذّي
منعَ الخلافـةَ أن يُنال مضامُها

حامي الحقيقةِ فاعلاً أو قائـــلا
فخرُ الملوكِ إمامُهـــا وهُمامُها

هو للغُواةِ شتاتُها ، هو للعُفـا ...
... ةِ حياتُها ، هو للعداةِ سِهامُهـا

عــزّ انتصاراً للـّذين بعــزّهِ
لاذُوا وألصِقَ بالغُواةِ رغامُهـــا

في اللَّيثِ من وَثباتــه و ثبَاتهِ
شبهٌ يقرُّ بفضليــه ضِرغامُها

في الغيثِ من جدوى يديـه مشابهٌ
لو لم يشقّ سحبَ الحَيا إنجامُهـــا

تندي غَضـارةُ بِشره فكأنّما
حامتْ على وِرْدِ النعّيمِ حيامُها

وتريك أفوافَ الرّياضِ يمينُهُ
مَهما جَرتْ في رِقّها أقلامُهـا

لم يَثنهِ المُلكُ العَظيمُ عـــن التي
ضَمّن الثّوابَ بخطّـهِ إحكامُهـــا

هذا وللخَطّيّ منها هولةٌ
في الحَربِ تهزأُ بالدّروعِ سِطامُها

وفي دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز الأول قال ابن الخطيب في أرجوزته[432] :

وادخر الله لجبر الملـــــــه   بدر البدور الغر والاهلـــــه
المقتدي بالخلفاء الجلـــــه   فكان ترياقا لتلك العلـــه
عبد العزيز عز دين اللـــــه   وفخره الذى به يباهـــــي
نجل الامام المجتبى ابي الحسن   والمهتدى بهديه البر الحســن
في نصرة الحق رضي السنـــن   ورحمة الخلق عظيم المنـــن
وفي اكتتاب سور الكتــاب   وحفظ ما للدين مــن اداب
بويع عن طوع ومن ارث وجب   وعن شروط لم يهن منها سبب
العقل والدين المتين والتقـى   والنسب الجم البعيد المرتقـي
والجود والادراك والشجاعــه   والهدي والصلاة في الجماعــه
الى العفاف السابغ الاذيــال   مع الشباب الغض والجمــال
اسعد من حل سرير الملــك   وحكمة البيت ووسطى السلك
فاعمل التدبير حتى احكمه   وعاجل الثائر عما ابرمـــه
واكرم الدين الذى اضاعـه   فسوقه نافقة البضاعــــه
وهو لهذا الزمن الخليفـــه   وتاج جيش الملة الحنيفـــه
ووقته الوقت السعيد المنتظـر   يردي بسيف الله فيه من كفر
قد وعد الله بــــارث الارض   للملك العدل التقي المرضـى
وهو الذى ميعاده لا يخلـــف   يعرف ذا من دينه من يعرف
مولاي خذها عبرة لمعتبــــر   كانما انشر فيها من قبـــــر
من مالك وسيرة ودولـــــه   كانت عليهم للزمان الصولـه
لم يبق الا الذكر في الوجـود   او بائع من عمل محمـــــود
والحق نور للعيون متضـــح   من خسر الله فلا شيء ربـح
وما سوى وجه الاله هالـك   وذا سبيل الملك في الممالك
كان لك الله وليا ناصـــرا   وشد من عطائك الاواصـرا
ودمت للاسلام نورا باصـــرا   ويجنى الفتح المبين هاصـــرا
ثم صلاة الله لا تـــــزال   على رسول زانه الارســـال
بهديه فانقشع الضـــلال   ما كررت البكور والاصــال
وما هفا البرق وهـاج الال   وما همى المنسجم الهطـــال

السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن علي

ومما ذكره صاحب درة الحجال الفقيه ابن القاضي المكناسي، في تعريف الأديب أبي العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي[433] :

{الأديب الكاتب. له نظم رائق. حكي أنه قدم "مكناسة" مع أبي العباس: أحمد المريني بن أبي سالم، ونزل ابن عبد المنان في مرستان مكناسة؛ لكونه كان خاليا فكتب له السلطان أحمد المذكور هذه الأبيات:

يا شاعراً قد خبرناه ففاض لنا ... بالشعر والكتْب من تلقاء نجران

نبئت أنك قد بدلت دارك في ... مكناسة فشجا من عندك ابنان

مازال يتبعك الغاوون من زمن ... حتى لقد همت في وادي المرستان

فأجابه الكاتب أبو العباس المذكور بقوله:

لما بدا لي في حمى مكناسة ... مثوى الذين مضوا من الأتراب

أيقنت أني لست ذا عقل بها ... أتعبت نفسي من هوى وتصابي

فتركت داري لم أعرج نحوها ... ورأيت مارستانها أولى بي

....}

ومما يحكى عن ولد الكاتب أبو العباس المذكور وهو يحيى بن أحمد بن عبد المنان أنه صبح السلطان أبا العباس المريني عند المساء فأنكر عليه وظنه ثملا فقال[434] :

صبَّحتُــه عندَ المساء فقال لي ما ذا الكلامُ وظنَّ ذاك مُزاحا
فأجبتُ إنَّ ضياء وجهِك غرَّني حتى توَّهمتُ المساءَ صبَاحــا

وفي يوم، عطس السلطان أبو العباس المريني وكان يحيى بن عبد المنان المذكور حاضرا فقال:

يرحمُك الرحمانُ من عاطِسٍ وليهنِك الحمدُ على عطسَتِكْ
ويغفرُ اللهُ لنــا كلَّنا وليُسبِل السِّترَ على وجنَتِكْ

ومما ينسب للسلطان أبي العباس، من نظم[435] :

يا عاذلي دع عنك عذل العـاذل واخلع عذارك في الحبيب الواصـل
وإذا ذكـرت عشيــة بمحاسـن فـاذكـر عشـايانا بـدار العـادل

وقوله[436] :

أمَّا الهوى يا صاحبي فألِفتُه وعهِدتُه من عهد ايام الصِّبا
ورأيتُه قوتَ النفوس وحَليَها فتخذتُه دينــاً إليَّ ومَذْهبا
ولبستُ دون الناس منه حُلَّةً كان الوفاءُ لها طِرازاً مُذْهبا
لكنْ رأيتُ له الفراقَ مُنغِّصاً لا مَرْحباً بِفراقِنا لا مَرْحبا

ومن أخبار السلطان أبي العباس ما حكاه صاحب النفح حيث قال[437]:

{أن الأديب الكاتب أبا الحسن علي بن الوزير لسان الدين بن الخطيب كان مصاحبا للسلطان أبي العباس هذا، فحضر معه ذات يوم في بستان سح فيه ماء المذاكرة الهتان و قد أبدى الأصيل شواهد الاصفرار و أزمع النهار لما قدم الليل على الفرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسألت بين سرحات البستان جداوله و مذانبه :

يا فاس أني وأيم الله ذو شغف بكل ربع به مغناه يسبيني
وقد أنست بقربك منك يا آملي ونظرة فيكم بالأنس تحييني

فأجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب :

لا أوحش الله ربعاً أنت زائره يا بهجة الملك والدنيا مع الدين
يا أحمد الحمد أبقاك الإله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين

...}

وفي مدح السلطان أبي العباس قال الأديب المتفنن والكاتب المتقن، ابن زمرك الأندلسي الفاسي[438] :

أَوَجْهُكَ أَمْ وَجْهُ الصَّبَاحِ تَهَلَّلاَ تَجَلَّى عَلَى حَادِي الرِكَابِ فَهَلَّلاَ؟
أَرَاهُ مُحَيَّا الشَمْسِ قَبْلَ طُلُوعِهَا وَأَبْصَرَ بَدْراً لاَ يَزَالُ مُكَمَّلاَ
أَفَاضَ عَلَى الآفَاقِ نُوراً ورَحْمَةً وأَوْضَحَ مَا لَمْ تُوضِحِ الشَمْسُ فِي العُلَى
وَأَلْقَى عَلَى وَجْهِ النَهَارِ طَلاَقَةً بِأَشْرَقَ مِنْ شَمْسِ النَهَارِ وَأَجْمَلا
فَوَجْهُكَ، زَادَ اللهُ وَجْهَكَ نَضْرَةً، إذَا لاَحَ يُغْشِي النَاظِرَ المُتَأَمِّلاَ
وَمَا هُوَ إلاَّ النُورُ نُورُ هِدَايَةٍ بِهِ انْجَابَ لَيْلُ الشِّرْكِ مِنْ قَبْلُ وَانْجَلَى
تَجَلَّى مِنَ الأنْصَارِ في مَطْلَعِ الهُدَى وَحَسْبُكَ مَجْداً فِي العَلاَءِ تَوَقَّلاَ
تَوَسَّطَ مِنْ قَحْطَانَ فِي سِرِّ يَعْرُبٍ وَفي مُلْتَقَى الأشْرَافِ مِنْهُ تَأَصَّلاَ
فَإِنْ خَلَفَ الأشْرَافُ مَالاً لِوَارِثٍ فَمَا أوْرَثُوا إلاَّ جَلاَلاً مُؤَثَّلاَ
وَإنْ أُضْرِمَتْ جَزْلَ الوَقُودِ لِطَارِقٍ فَمَا أوْقَدُوا إلاَّ كِبَاءً وَمَنْدَلاَ
/ فَكَمْ مُعْتَدٍ مِنْ سَيْفِهِمْ قَدْ تَذَلَّلاَ وَكَمْ مُعْتَفٍ مِنْ سَيْبِهِمْ قَدْ تَمَوَّلاَ
نُسِبْتَ إلى مَاءِ السَّمَاءِ فَلَمْ تَزَلْ بَنَانُكَ سُحْباً تُرسِلُ الغَيْثَ مُسْبَلاَ

ومنها:

وَنَفَّلْتَ فِيهَا المُسْلِمِينَ مَغَانِماً ... أَبَحْتَ بِهَا كُلَّ ٱمْرِئٍ مَا تَنَفَّلاَ
فَأَثْرَى بِهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ مُثْرِياً ... فَلَسْتَ تَرَى إلاّ غَنِيّاً مُمَوَّلاَ
وَصَدَّقْتَ فَالَ الفَتْحِ في عَرَصَاتِهَا ... فَفَتَّحْتَ بَاباً كَانَ لِلْجُودِ مُقْفَلاَ
بِمَوْقِفِ بَأْسٍ أَخْرَسَ الغُلْبَ هَوْلُهُ ... فَكَانَ لِسَانُ السَّيْفِ أَفْصَحَ مِقْوَلاَ
خَطِيبُ حُسامٍ كُلَّمَا خَاصَمَ العِدَى ... بِيَوْمِ جِلاَدٍ جَدَّ فِيهِمْ وَجَدَّلاَ
يَكَادُ يُذِيبُ البَأْسَ رَقْرَاقُ مَتْنِهِ ... فَلَوْلاَ نَدَى كَفِّ الإِمَامِ تَسَيَّلاَ
إذَا ٱشْتَجَرَ الخَطِيُّ مِنْ فَوْقِ صَفْحِهِ ... تَقُولُ خَلِيجٌ تَحْتَ دَوْحٍ تَهَدَّلاَ
/ وَمُعْتَدِلٍ لَدْنِ القَوَامِ مُقَوَّمٍ ... إذَا أَثْمَرَ الفَتْحَ الجَنِيَّ تَمَيَّلاَ
وَنَهْرِ حُسَامٍ سَالَ نَهْرُ نَجِيعِهِ ... فَأَبْصَرْتَ مِنْهُ جَدْوَلاً مَدَّ جَدْوَلاَ
وَدَوْحِ قَناً فِي ظِلِّهَا ذَلَّتِ العِدَى ... فَظَلِيلُهَا قَدْ عَادَ فِيهِ مُذَلَّلاَ
فَقُلْ لِعَمِيدِ الرُّومِ يَرْقُبُ فَتْكَةً ... تَقَارَبَ فِيهَا حَتْفُهُ وَتَعَجَّلاَ
فَقَدْ هَزَّ أَهْلُ العُدْوَتَيْنِ سُيُوفَهُمْ ... وَفِي سَلِّهَا رُوحُ الضَّلاَلِ تَسَلَّلاَ
وَقَدْ أَشْرَبَ اللهُ القُلُوبَ مَحَبَّةً ... بِهَا يُعْجِلُ الفَتْحَ الذِي قَدْ تَأَجَّلاَ
وإِنَّ أَبَا العَبَّاسِ خَلَّدَ مُلْكَهُ ... وَوَالَى لَهُ اللهُ السُّمُوَّ والاعْتِلاَ
يُمِدُّكَ - مَدَّ اللهُ بِالطُّولِ عُمْرَهُ - ... وَيَشْكُرُ مِنْكَ الوَالِدَ المُتَفَضِّلاَ
فَبَيْنَكُمَا - واللهُ يَشْهَدُ - وُصْلَةٌ ... بِهَا الدِّينُ لِلنَّصْرِ العَزِيزِ تَوَصَّلاَ
أَبٌ وابْنُهُ والفَخْرُ يُسْنِدُ عَنْهُمَا ... أَحَادِيثَ يَرْوِيهَا عَطَاءٌ عَنِ العَلاَ
أَوَاصِرُ مُلْكٍ قَدْ تَعَاطَفَ بَعْضُهَا ... عَلَى بَعْضِهَا فِي ذِمَّةِ المَجْدِ والعُلاَ
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى الإِمَامَ مُحَمَّداً ... مَكَارِمَ لاَ يَبْغِي بِهَا الفَخْرُ مَعْدِلاَ
هوَ الصَّارِمُ المَشْهُورُ فِي مَوْكِبِ الهُدَى ... هُوَ العَلَمُ المَنْشُورُ فِي هَضْبَةِ العَلاَ
تَلُوحُ عَلَيْهَا سِيمِيَاءُ سَعَادَةٍ ... فَتَبْهَرُ أَبْصَارَ البَصَائِرِ مُجْتَلَى

وهذه قصيدة أخرى له عند إصراخ السلطان أبي العباس على الملك بعد وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز. وهذه القصيدة[439]:

هُوَ السَّعْدُ يُعْطِيكَ الذِي أَنْتَ آمِلُهْ ... لِذَلِكَ مَا عَمَّ المَغَارِبَ شَامِلُهْ
وفِي الغَيْبِ مِنْهَا حِكْمَةٌ سَوْفَ تُجتَلَى ... فَتَعْذُبُ من صُنْعِ الإلآهِ مَنَاهِلُهْ
تَهَادَتْ بِهَا البُشْرَى عَلَى كَاهِلِ الرِّضَا ... فَبُورِكَ مُهْدِيهِ وَبُورِكَ حَامِلُهْ
وَأَهْدَتْ بِهَا لِلْفَضْلِ طَبْعَ اعْتِدَالِهِ ... فَأَسْحَارُهُ رَقَّتْ وَرَاقَتْ أَصَائِلُهْ

ومنها:

وَمَا زَالَ هَذَا الأَمْرُ مُنْذُ أَدَرْتَهُ ... تَلُوحُ عَلَيْهِ لِلْنَجَاحِ مَخَايِلُهْ
فَجَاءَ كَمَا شَاءَتْ عُلاَكَ وَأَصْبَحَتْ ... أَوَاخِرُهُ مَحْمُودَةً وَأَوَائِلُهْ
يُوَافِقُكَ التَّأْيِيدُ فِيمَا تَرُومُهُ ... وَيَصْحَبُكَ التَّوْفِيقُ فِيمَا تُحَاوِلُهْ
وَمَنْ عَامَلَ اللهَ اسْتَقَلَّ بِمَتْجَرٍ ... تَدُلُّ عَلَى فَوْزِ القِدَاحِ دَلاَئِلُهْ
وَمَنْ يَجْتَدِي المَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ... فَقَدْ خَابَ رَاجِيهِ وَأَخْفَقَ سَائِلُهْ
سَمَتْ بِأَبِي العَبَّاسِ مِنْكَ عَزِيمَةٌ ... إِذَا طَاوَلَتْ سَمْكَ السَّمَاءِ تُطَاوِلُهْ
أَجْزَتَ إِلَيْهِ البَحْرَ وَالقَفْرَ مُصْرِخاً ... بِرَامِحِ جَيْشٍ ظَلَّ يَقْفُوهِ نَابِلُهْ
وَيَا رُبَّ عَانٍ فِي القُيُودِ فَكَكْتَهُ ... وَبَادَرَهُ مِنْ يُمْنِ سَعْدِكَ عَاجِلُهْ
نَقَعْتَ غَلِيلاً كَانَ يُذْكَى بِصَدْرِهِ ... وَقَدْ مُزِّقَتْ لِلْهُونِ عَنْهُ غَلاَئِلُهْ
إِذَا فَرَعَ الجَيْشُ الثَّنَايَا وَكَبَّرُوا ... يُرَاجِعُ تَهْلِيلَ الكُمَاةِ صَوَاهِلُهْ
يُزَجِّي دِمَاءَ الغَدْرِ بَرْقُ سُيُوفِهِ ... وَتَجنِي قِطَافَ الفَتْحِ غَضًّا ذَوَابِلُهْ
فَأَبْلَى عَلَى فَاسِ الجَدِيدِ عُدَاتُهُ ... بَلاَءً تَرَدَّتْ بِالنَّجِيعِ عَوَامِلُهْ

وللشاعر ابن زمرك الفاسي أيضا قصيدة أخرى في مدح السلطان أبي العباس وقد حضر بسلا ليلة المولد الكريم[440]:

وَجَادَ سَلاَ صَوْبُ العِهَادِ فَعَهْدُهُ ... كَرِيمٌ حَبَانَا بِالْعَطَايَا الجَسَائِمِ

وَقَدَّسَ مِنْهَا اللَّهُ أَشْرَفَ هَالَةٍ ... يُجَلِّي بِهَا بَدْرُ الهُدَى كُلَّ فَاحِمِ

فَقَدْ كَفَلَ الإِسْلاَمَ فِيهَا خَلِيفَةٌ ... يَكُفُّ أَكُفَّ الحَادِثِ المُتَفَاقِمِ

وَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْهُ مَثَابَةَ رَحْمَةٍ ... تُحَجُّ بِآمَالِ المُلُوكِ الأَعَاظِمِ

رَعَى اللَّهُ رَبْعاً مِنْهُ بِالمُلْكِ آهِلاً ... وَحَيَّاهُ عَنَّا بِالْتَّحَايَا ٱلْكَرَائِمِ

وَظَلَّلَ مِنْهُ القَصْرَ رَفْرَفُ عِصْمَةٍ ... يَرِفُّ مِنَ النَّصْرِ العَزِيزِ بِعَاصِمِ

وَمَا هُوَ إِلاَّ قَائِمٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ ... يُؤَدِّي الْذِّي يُلْقِي بَرِيدُ النَّوَاسِمِ

مَنَازِلُ فِيهَا لِلْعُيُونِ مَنَازِهٌ ... تَرُودُ بِهَا النُّعْمَى نُجُومُ النَّعَائِمِ

وَبالْمَظْهَرِ السَّامِي عَلَى النَّهْرِ مَجْلِسٌ ... تُبَاهِي بِهِ الأَقْمَارَ بِيضُ العَمَائِمِ

وَزُهْرُ وُجُوهٍ مِنْ مَرِينٍ مُنِيرَةٌ ... تَلُوحُ بِهَا مِثْلُ النُّجُومِ لِشَائِمِ

وَمِنْ بَيْنِهَا وَجْهُ الخَلِيفَةِ أَحْمَدٍ ... هِلاَلٌ وَلَكِنْ تَمَّ قَبْلَ التَّمَائِمِ

لَهُ بِالْنَبِيِّ ٱلْمُجْتَبَى وَبِآلِهِ ... مَقَامُ ٱعْتِنَاءٍ مَا لَهُ مِنْ مُقَاوِمِ

مَرَاضِعُهُ دَرَّتْ آلِ نَبِيِّهِ ... فَهَبُّوا إِلَيْهَا مِنْ حُجُورِ الفَوَاطِمِ

فَيَا عَادِلاً قَدْ حَلَّ دَارَ سَمِيِّهِ ... مُجَدِّدَةً مِنْ عَهْدِهَا ٱلْمُتَقَادِمِ

أَقَمْتَ لِمِيلاَدِ ٱلْرِّسَالَةِ مَوْسِماً ... تُقَّصِرُ عَنْهُ سَالِفَاتُ المَوَا[سِمِ]

وَسَابِعُهُ مِنْ بعْدِهِ قَدْ أَقَمْتَهُ ... لِرَفْعِ ثَوَابٍ أَوْ لِحَطِّ مَآ[ثِمِ]

فَكَمْ فِيهِ مِنْ صُنْعٍ جَمِيلٍ وَمَصْنَعٍ ... فَوَاتِحُهُ مَشْفُوعَةٌ بِٱلْخَوَا[تِمِ]

/ وَكَمْ نَسْمَةٍ لِلْحَمْدِ فِيهِ تَضَوَّعَتْ ... يُطَيِّبُ رَيَّا عَرْفِهَا كُلَّ نَاسِمِ

ولإبن زمرك قصيدة أخرى يمدح بها سلطانه ابن الأحمر ويذكر في أبياتها سلطان بني مرين أبو العباس أحمد والذي كان قد بويع له بمداخلة الغني بالله بن الأحمر سنة 776 هـ ومن القصيدة[441] :

بُشْـرَى بِهَـا وَجْـهُ ٱلْـرِّضَـى يَتَهَلَّـلُ — فَمُكَبِّـرٌ لِسَمَـاعِهَـا وَمُهَلِّـلُ

مَـلأَ ٱلْخَلِيفَـةُ رَاحَـةً مِـنْ رَاحَـةٍ — مَـوْصُـولَـةٍ أَسْبَـابُهَـا لاَ تُفْصَـلُ

هَـذَا ٱلْشّفَـاءُ شِفَـاءُ كُـلِّ مُـوَحِّـدٍ — فِـي ضِمْنِـهِ ٱلْصُّنْـعُ ٱلأَغَـرُّ ٱلأَجْمَـلُ

هُـوَ شَـاهِـدٌ عَـدْلٌ زَكِـيٌّ مُـرْتَضَـى — وَيَصِـحُ هَـذَا فِـي ٱلْعَـلاَمَـةِ يُقْبَـلُ

ضَحِكَـتْ ثُغُـورُ ٱلْثَّغْـرِ عَنْـهُ مَسَـرَّةً — وَٱفْتَـرَّ مِنْـهُ لِلْبَشِيـرِ مُقَبَّـلُ

فَـالـدِّيـنُ وَٱلْـدُّنْيَا بِـهِ فِـي غِبْطَـةٍ — وَٱلْمُلْـكُ يُكْفَـى وَالبَـرِيَّـةُ تُكْفَـلُ

حَتَى ٱلْمُلُوكُ وَأَنْتَ وَالِدُهَا ٱلْرِّضَا — تُعْطِـي ٱلْعَطَـايَـا لِلْبَشِيـرِ وَتُجْـزِلُ

أَمَّـا أَبُـو ٱلْعَبَّـاسِ فَهُـوَ خَلِيفَـةٌ — فِـي كُـلِّ مَـا تَـرْضَـى يَقُـولَ وَيَفْعَـلُ

فَـالْمُسْتَعِينُ بِـرَبِّـهِ ثُـمَّ ٱلْغَنِـيُّ — بِـرَبِّـهِ بِـرِضَـاهُمَـا يُتَـوَسَّـلُ

هَـذِي بَنُـو ٱلْعَبَّـاسِ قَـدْ أَحْيَيْتَهَـا — وَأَعَـدْتَهَـا فَـالـذِّكْـرُ مِنْهَـا أَجْمَـلُ

وقال – ابن زمرك – يخمس أبيات أنشده إياها السلطان أبو العباس من نظمه يرثي حظية - المرأَة التي تُفَضّل على غيرها في المحبة – كانت له اسمها عشق[442] :

/ أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي مَا عَدَا بَعْدَ مَا بَدَا — فِرَاقٌ عَلَيْنَا جَارَ فِي الحُكْمِ وَاعْتَدَى

وَلَوْ كَانَ وَعْدُ اليَوْمِ يُنْجِزُهُ غَداً — (لَنَظَّمَ مِنْ شَمْلِ الهَوَى مَا تَبَدَّدَا)

(وَلَكِنْ رَهِينُ اللَّحْدِ لَيْسَ لَهُ فِدَا)

فَيَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي وَلَكَ البَقَا فَقَـدْتُ الـذِي أَهْـوَى فَعَـزَّنِـيَ اللِّقَـا
وَدَمْعُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِيَ مَا رَقَا (وَنَفْسِي مَعَ الأَنْفَاسِ تَفْنَى تَشَوُّقَا)
(وَرُوحِيَ فِي مِثْلِ الخِلاَلِ تَرَدَّدَا)

أَيَا صَاحِ رِفْقاً مَا حَدِيثِيَ مُفْتَرَى لِنَفْسِي عَلَى نَفْسِي رَقِيبٌ قَدِ انْبَرَى
أَبُثُّـكَ حَتَّـى دَمْعِـيَ المُتَحَـدِّرَا (إِذَا زَارَنِي الطَّيْفُ المُلِمُّ مَعَ الكَرَى)
(تَهَيَّبَ بَحْراً مِنْ دُمُوعِيَ مُزْبِدَا)

وَهَبْتُ نَعِيمِي فِي الغَرَامِ لِشِقْوَتِي فَجَفْنِيَ لَمْ يَطْعَمْ مَذَاقاً لِغَفْوَتِي
وَدَمْعِيَ مَا تُطْفِيهِ نِيرَانُ جَفْوَتِي (أَيَا عِشْقُ قَلْبِي لاَ يُقِرُّ بِسَلْوَتِي)
(أَيَا عِشْقُ حُبِّي لاَ يَزَالُ مُجَدَّدَا)

وَحَقِّ الذِي يَجْزِي المُحِبَّ بِمَا نَوَى وَيَسْقِيهِ كَأْسَ الدَّمْعِ حِيناً وَمَا اكْتَوَى
وَيُخْرِجُ حَيَّ النَّبْتِ مِنْ مَيِّتِ النَّوَى (لَقَدْ مَرَّ لِي عِشْرُونَ حَوْلاً عَلَى النَّوَى)
(وَمَا ضَرَبَ السُّلْوَانُ لِي فِيكَ مَوْعِدَا)

وقال أيضا في رثائها على لسان السلطان أبي العباس أحمد :

غَرَامٌ عَلَى قَلْبِ العَمِيدِ قَدِ اسْتَوْلَى بِمَنْ كَانَ لِي عَبْداً وَكُنْتُ لَهُ مَوْلَى
فَـوَجْـدِي عَلَـى الأَيَّـامِ يَـزْدَادُ جِـدَّةً وحُبِّيَ إِنْ يَبْلَ الجَدِيدَانِ [لاَ يَبْلَى]
[وَمِنْ] عَجَبِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ فِي الهَـوَى وَعِـزِّيَ قَدْ سَـامَ الجَبَابِرَ [ةَ الـذُّلاَّ]

وللشاعر المذكور قصيدة في السلطان أبي العباس، سقط أولها كما أثبث ذلك الأستاذ محقق ديوانه جزاه المولى خيرا، فقد يسر لنا بتحقيقه للديوان سبل إنتقاء قصائد ابن زمرك التي مدح بها سلاطين بني مرين. وهذه أبيات من القصيدة[443] :

/ وَجُـودَا   وَلـوْ لـيَّ الـرِّدَاءِ بِـوَقْفَـةٍ إذَا لَـمْ يَكُـنْ مِقْـدَارَ لـيِّ العَمَـائِـمِ
أَبُثُّكُمَـــا وَجْــــداً بَثَثْـــتُ أَقَلَّـــهُ نَسِيمَ الصَّبَا فَاعْتَلَّ إشْفَاقَ رَاحِمِ
وَتِلْكَ شَكَـاةٌ عَـنْ كَبِيرِكُمَـا نَمَـتْ فَخَصَّـتْ خَـوَافِيهَـا طِـوَالَ قَـوَادِمِ
إذَا قِيـلَ لِـي عَمَّـنْ أَوَدُّ قَـدْ اشْتَكَـى فَـوَاللَّـهِ مَـا لَيْلِـي عَلَيْـهِ بِنَـائِـمِ
فَدَتْكَ أَبَا العَبَّاسِ   نَفْسِي فَإِنَّهَا تَصُونُكَ صَوْنَ السِّرِّ فِي صَدْرِ كَاتِمِ
فَمُـدَّ لَهَـا مِـنْ رَاحَـةٍ خَيْـرَ رَاحَـةٍ فَقَدْ عَاوَدَتْ عَوْدَ الشَّبَابِ المُلاَئِمِ
وَبُـورِكَ يَـوْمٌ فِـي بِشَـارَتِـهِ اخْتَفَـى فَـذَلِـكَ يَـوْمٌ فِـي عِـدَادِ المَـوَاسِـمِ
فَـإِنَّـكَ مِـنْ قَـوْمٍ عَلَـيَّ أَعِـزَّةٍ إذَا سَلِمُوا كَانَ الزَّمَانُ مُسَالِمِي
وَإِنَّ حَنِينِـــي لِلْبَنِيـــنَ كَفَلْتُهُـــمْ صِغَـاراً كَـأَطْـلاَءِ الظِّبَـاءِ الـرَّوَائِـمِ
لَـــدُونَ حَنِينِـي لِلَّـــذِيـنَ أَوَدُّهُـمْ وَأَدْفَعُ عَنْهُمْ فِي صُدُورِ العَظَائِمِ
كَتَـائِبُ كُتَّـابٍ زَحَفْـتُ بِجَمْعِهَـا فَعُـدْتُ وَقَـدْ أَثْقَلْتَنِـي بِالغَنَـائِـمِ
أَعُـدُّهُـمْ عَـدَّ النُّجُـومِ وَطَـالَمَـا تَـوَدُّهُـمُ الْجَـوْزَا مَكَـانَ الخَـوَادِمِ
وَلَمْ يَنْسَ عَهْدِي مِنْ قُرَيْشٍ عَمِيدُهَا كَـرِيـمٌ حَبَـانِـي جُـودُهُ بِـالكَـرَائِـمِ
وَإِنِّـي إذَا رُمْـــتُ السُلُـــوَّ تَكَلُّفـاً يُقَسِّـمُ قَلْبِـي شَـوْقُ آبَـاءٍ قَـاسِـمِ

ومما ذُكر أن الشاعر ابن زمرك المذكور كتب إلى كتاب الإنشاء بالمغرب عندما حضر بالمغرب في مناسبة ميلاد النبي محمد فأنشد قصائد الكتاب في مدحه فاستنجز بعد ذلك وعدهم بتقييد نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها. وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة من نظمه تلك الليلة[444] :

ظِـلاَلُكُـمْ تَنْـدَى وَمَـوْرِدُكُـمْ عَـذْبُ وَتَرْضَوْنَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمِلْحِ لِي شَرْبُ
وَأَنْتُـمْ وَمَـا أَنْتُـمْ غَمَـائِـمُ رَحْمَـةٍ تَصُـوبُ وَأَحْـلاَمُ الْعُفَـاةِ لَهَـا تَصْبُـو
أَفِيضُـوا عَلَيْنَـا وَانْظُـرُونَـا بِفَضْلِكُـمْ لِنَقْبِـسَ نُـوراً لاَ يَخِيـبُ وَلاَ يَخْبُـو
أَلِفْـتُ الْهَـوَى حَتَّـى أَنِسْـتُ بِجَـوْرِهِ فَكُلُّ عَذَابٍ نَالَنِي فِي الْهَوَى عَذْبُ
وَقُلْـتُ لِجِسْمِـي إِنَّـهُ ثَـوْبُـكَ الضَّنَـى وَقُلْـتُ لِقَلْبِـي إِنَّـهُ إِلْفُـكَ الْحُـبُّ
وَقَـالُـوا صَبَـا وَالشَّيْـبُ لاَحَ صَبَـاحُـهُ فَقُلْـتُ بِبِيـضٍ كَـالصَّبَـاحِ أَنَـا صَـبُّ
نَهَبْـتُ عَـذَارَى الْحَـيِّ لَيْلَـةَ عَـرْضِهَـا وَقَـدْ جُلِيَـتْ مِنْهَا لِمُبْصِـرِهَـا شُهْـبُ
وَلَـمْ أَرَ مِنْهَـا غَيْـرَ رَجْـعِ حَـدِيثِهَـا فَتَجْهَلُ مِنْهُ الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ
عِـرَابٌ إِذَا اسْتَنَّـتْ بِشَـأْوِ بَـلاَغَـةٍ تُقَصِّـرُ مِـنْ دُونِ اللِّحَـاقِ بِهَا الْعُـرْبُ
وَإِنْ أَسْنَـدَتْ مَـا بَيْـنَ نَجْـدٍ وَحَـاجِـرٍ يَقُـولُ رُوَاةُ الشَّـرْقِ يَـا حَبَّـذَا الْغَـرْبُ
فَمَنْعَـةُ صِـدْقٍ لِلْخِـلاَفَـةِ قَـدْ ضَفَـتْ عَلَـى مَـنْ حَـوَاهُ مِـنْ مَهَـابَتِـهِ حُجْـبُ
وَجَـوٌّ صَقِيـلٌ قَـدْ جَلَتْـهُ يَـدُ الصَّبَـا يُسَافِرُ طَرْفُ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو
فَلَوْلاَ الَّتِي مِنْ دُونِهَا طَاعَةُ الْهَوَى لَحَفَّتْ بِهَا حَوْلِي الأَبَارِيقُ وَالشَّرْبُ
وَلَكِنْ نَهَانِي الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى إِذَا لَـمْ يُتَـحْ مِمَّـنْ أُحِبُّ لِـيَ الْقُـرْبُ
فَـلاَ تَمْطُلُـوا دَيْـنَ الْمُعَلَّـلِ عَـنْ غِنًـى فَجَـانِبُكُـمْ سَهْـلٌ وَمَنْـزِلُكُـمْ رَحْـبُ
وَإِنْ لَـمْ تَـرَوْنِـي كُفْـأَهُـنَّ تَـرَفُّعـاً وَصَـدَّكُـمُ مِـنْ دُونِ خِطْبَتِهَـا خَطْـبُ
فَمَـوْلاَيَ قَـدْ أَهْـدَى الْعَمِيـدَ عَقِيلَـةً يُكَلِّلُهَـا مِـنْ لَفْظِـهِ اللُّـؤْلُـؤُ الـرَّطْـبُ
أَدَارَتْ كُـؤُوسـاً مِـنْ مُـدَامِ صَبَـابَـةٍ كَمَا امْتَزَجَ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
فَـوَاللَّـهِ لَـوْلاَ مَـوْعِـدٌ يَـوْمُـهُ غَـدٌ لوَاجَهَكُمْ مِنِّي عَلَى مَطْلَبِي الْعَتْبُ
أَكُتَّـابَ مَـوْلاَنَـا الْخَلِيفَـةِ أَحْمَـدٍ وَحَسْبُكُـمُ الْفَخْـرُ الْعَمِيـمُ بِـهِ حَسْـبُ
بِـهِ اعْتَـزَّتْ الآدَابُ وَامْتَـدَّ بَـاعُهَـا وَطَالَتْ يَدَاهَا وَاسْتَخَفَّ بِهَا الْعُجْبُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِالْفَضْلِ تَنْفُقُ سُوقُهَا لَكَـانَ يُقَـالُ التِّبْـرُ فِـي أَرْضِـهِ تُـرْبُ
بَقِيتُـمْ بِـهِ فِـي ظِـلِّ جَـاهٍ وَغِبْطَـةٍ تَخُـبُّ إِلَـى لُقْيَـا نَجِيبِكُـمُ النُّجْـبُ

ومن المقطوعات المرتجلة المذكورة والتي قيلت في السلطان[445] :

أَكَتِيبَـةَ الْكُتَّـابِ أُيِّـدَ جَمْعُكُـمْ   بِعِنَايَـةِ الْمَـوْلَـى الْخَلِيفَـةِ أَحْمَـدِ

لاَ تَمْطُلُـوا دَيْـنَ الْغَـرِيـبِ فَـإِنَّنِـي   مِنْكُـمْ وَإِنْ رَغِمَـتْ لِـذَلِـكَ حُسَّـدِي

زَيَّنْتُـمُ حَفْـلَ الْبَيَـانِ بِسِحْـرِكُـمْ   أَلِيَـوْمِ زِينَـةِ سِحْـرِكُـمْ مِـنْ مَـوْعِـدِ؟

فَلْتَسْمَحُـوا لِـي بِـالْقَصَـائِـدِ عَـاجِـلاً   وَلْتَبْلُغُـوا مِمَّـا أُؤَمِّـلُ مَقْصِـدِي

وقال أيضا:

مـا عُـذْرُكَـمْ أَنْ لَـمْ تَجُـودُوا بَعْـدَمَـا   مُلِّكْتُـمُ كَـفَّ الْخَلِيفَـةِ أَحْمَـدِ

فَلْتَبْعَثُـوا لِـي كُـلَّ بِكْـرٍ فَـذَّةٍ   تَـأْتِـي بِفَخْـرٍ خِـلاَلِهَـا وَسْـطَ النَّـدِي

ومما قاله أيضا ابن زمرك في هدية كان قد أرسلها السلطان الغني بالله بن الأحمر إلى السلطان أبي العباس[446] :

إِنَّ الإِمَـامَ مُحَمَّـدَا   أَهْـدَى الْخَلِيفَـةَ أَحْمَـدَا

لِلِبَـاسِـهِ ثَـوْبـاً وَقَـدْ   لَبِـسَ الْمَحَـامِـدَ وَارْتَـدَى

وَغَمَـامَـةُ الشَّفَـقِ الَّـذِي   مِـنْ فَـوْقِهَـا شَمْـسُ الهُـدَى

يَـا حُسْنَهَـا إِذْ أَرْسَلَـتْ   مِـنْ كَفِّـهِ غَيْـثَ النَّـدَى

وَكَـأَنَّ وَشْـيَ رُقُـومِهَـا   بِـالْبَـرْقِ طُـرِّزَ عَسْجَـدَا

وَبِطَـرْزِهِ لَـوْنُ السَّمَـا   ءِ وَوَجْهُـهُ قَمَـرٌ بَـدَا

لِلَّـهِ مِنْـهُ نَيِّـرٌ   حَـلَّ الْمَنَـازِلَ أَسْعُـدَا

مُسْتَنْصِـرٌ، أَعْلَـى لَـهُ   فَـوْقَ الْكَـوَاكِـبِ مَصْعَـدَا

ومما قاله أيضا برسم ما يرسم على ثوب في بعض هدايا السلطان الغني بالله للسلطان أبي العباس[447] :

أُهْدِي أَبَا الْعَبَّاسِ	مَلْكَ النَّدَى وَالبَاسِ
ثَوْبَ السَّمَاءِ لأَنَّهُ	بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ
فَلَقُ الصَّبَاحِ بِوَجْهِهِ	عَوَّذْتُهُ بِالنَّاسِ
يَكْسُو إِمَاماً لَمْ يَزَلْ	بِحُلَى الْمَحَامِدِ كَاسِي
فَيَا لَهُ مِنْ مُرْتَدٍ	ثَوْبَ التُّقَى لَبَّاسِ
أَذْيَالُهُ مِنْ حَمْدِهِ	مِسْكِّيَةُ الأَنْفَاسِ
وَبِطَرْزِهِ مَدْحٌ زَرَى	بَالْمَدْحِ فِي الْقِرْطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِي لَوْنِ السَّمَا	ءِ بِنِسْبَةٍ وَقِيَاسِ
فَلأَنْتَ يَا بَدْرَ الْعُلَى	شَرَّفْتَنِي بِلِبَاسِ
أَنَا مُنْشِدٌ «مَا فِي وُقُو	فِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ»
لِتَرَى رِيَاضاً أَطْلَعَتْ	زَهْراً عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْرَاقُهَا تَوْرِيقُهَا	بِقَضِيبِهَا الْمَيَّاسِ
وَمِنَ الْمَدِيحِ مُدَامَتِي	وَمِنَ الْمَحَابِرِ كَأْسِي
فَاللَّهُ يُمْتِعُ لاَبِسِي	بِالْبِشْرِ وَالإِينَاسِ

وأنشد السلطان أبا العباس في غراب من إنشائه[448] :

أَإِنْسَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا	يَحُفُّكَ مِنْهُ طَائِرُ الْيُمْنِ وَالسَّعْدِ
إِذَا مَا هَفَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ شِرَاعُهُ	أَرَاكَ جَنَاحاً مُدَّ لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ

وأنشده فيه أيضا:

لَكَ الْخَيْرُ شَأْنُ الْجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ   وَهَذَا بِعَيْنِ اللَّهِ يُحْرَسُ دَائِمَا
تَبِيتُ لَهُ خَمْسُ الثُّرَيَّا مُعِيذَةً   تُقَلِّدُهُ زُهْرَ النُّجُوم تَمَائِمَا
فَيَا جَفْنُ لاَ تَنْفَكُّ فِي الْحِفْظِ دَائِماً   وَإِنْ كُنْتَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ عَائِمَا

ومن قول ابن زمرك في تهنئة السلطان الغني بالله بالفتح المغربي للسلطان المريني أبي العباس أحمد، هذه القصيدة ومنها هذه الأبيات التي ذكر فيها السلطان أبي العباس[449] :

فَتْحُ الْفُتُوحِ أَتَاكَ فِي حُلَلِ الرِّضَا   بِعَجَائِبِ الأَزْمَانِ وَالأَعْصَارِ
فَتْحُ الْفُتُوحِ جَنَيْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ   مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِي السُّعُودِ جَلِيَّةٍ   خَلَّدْتَ مِنْهَا عِبْرَةَ اسْتِبْصَارِ
كَمْ حِكْمَةٍ لَكَ فِي النُّفُوسِ خَفِيَّةٍ   خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا عَنِ الأَفْكَارِ
كَمْ مِنْ أَمِيرٍ أَمَّ بَابَكَ فَانْثَنَى   يُدْعَى الْخَلِيفَةَ دَعْوَةَ الإِكْبَارِ
أَعْطَيْتَ أَحْمَدَ رَايَةً مَنْصُورَةً   بَرَكَاتُهَا تَسْرِي مِنَ الأَنْصَارِ
أَرْكَبْتَهُ فِي الْمُنْشَئَاتِ كَأَنَّمَا   جَهَّزْتَهُ فِي وُجْهَةٍ لِمَزَارِ
مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الشِّرَاعِ مُصَفِّقٍ   مِنْهَا الْجَنَاحُ تَطِيرُ كُلَّ مَطَارِ
أَلْقَتْ بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضْلَ عَنَانِهَا   فَتَكَادُ تَسْبِقُ لَمْحَةَ الأَبْصَارِ

السلطان أبو فارس موسى بن أبي عنان المريني

ومما قاله صاحب الإستقصا عن السلطان موسى: {ولما استقر أمره بالحضرة وجه إليه ابن الأحمر أمه وعياله وكانوا عنده وهناه وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشيح يقول في مطلعه[450] :

قد نظم الشمل أتم انتظام	ولاحت الأقمار بعد المغيب
وضاحك الروض ثغور الغمام	عن مبسم الزهر البرود الشيب

...}

وهذه الموشحة كاملة[451] :

قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ انْتِظَامْ	وَلَاحَتْ الْأَقْمَارُ بَعْدَ المغَيِبْ
وَأَضْحَكَ الرَّوْضُ ثُغُورَ الْغَمَامْ	عَنْ مَبْسِمِ الزَّهْرِ الْبَرُودِ ٱلْشَنِيبْ
وَعَاوَدَ ٱلْغُصْنَ زَمَانُ الصِّبَا	وَأُشْرِبَ الْأُنْسَ جَمِيعُ النُّفُوسْ
وَعَمَّمَ ٱلنَّوْرُ رُؤُوسَ الرُّبَا	وَجَلَّلَ النُّورُ وُجُوهَ الشُّمُوسْ
وَأَطْرَبَ الْغُصْنَ نَسِيمُ الصَّبَا	فَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحُطُّ الرُّؤُوسْ
وَٱسْتَقْبَلَ البَدْرُ لَيَالِي التَّمَامْ	وَصَافَحَ الصُّبْحَ بِكَفٍّ خَضِيبْ
وَرَاجَعَ الْأَطْيَارُ سَجْعَ الْحَمَامْ	بِكُلِّ ذِي لَحْنٍ بَدِيعٍ غَرِيبْ
نَوَاسِمُ ٱلْوَادِي بِمِسْكٍ تَفُوحْ	وَنَفْحَةُ النَّدِّ بِهِ تَعْبَقُ
وَبَهْجَةُ السُّكَانِ مِنْهُ تَلُوحْ	وَجَوُّهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقُ
وَعَرْفُهُ بِٱلطِّيبِ مِنْهُمْ يَفُوحْ	كَأَنَّهُ عَنْ عَنْبَرٍ يُفْتَقُ
وَالنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كَمِثْلِ الحُسَامْ	حَبَابُهُ تَطْفُو وَطَوْرًا تَغِيبْ

وَثَغْـرُهُ قَـدْ رَاقَ مِنْـهُ ابْتِسَـامْ	يُهَنِّـئُ الأَحْبَـابَ قُـرْبَ ٱلْحَبِيـبْ
كَـوَاكِـبٌ أَبْـرَاجُهُـنَّ الْخُـدُورْ	يَلُـوحُ عَنْهَـا كُـلُّ بَـدْرٍ لِيَـاحْ
جَـوَاهِـرٌ أَصْـدَافُهُـنَّ القُصُـورْ	نَظَمَهَـا السَّعْـدُ كَنَظْـمِ الْـوِشَاحْ
يَا حَبَّذَا وَاللَّهِ رَكْبُ ٱلسُّرُورْ	يُبَشِّـرُ الْمَـوْلَـى لِنَيْـلِ اقْتِـرَاحْ
فَـٱبْتَهَـجَ ٱلْكَـوْنُ بِمُـوسَـى ٱلإِمَـامْ	وَٱخْتَـالَ فِـي بُـرْدِ الشَّبَـابِ القَشِيـبْ
وَعَـادَهُ يَخْـدُمُ مِثْـلَ الغُـلاَمْ	شَبَـابُـهُ قَـدْ عَـادَ بَعْـدَ الْمَشِيـبْ
أَكْـرِمْ بِـهِ وَٱللَّـهِ وَفْـدِ الْكَـرِيـمْ	مَـوْلاَتُنَـا الحُـرَّةُ فِـي مَقْـدَمِـهْ
مَـرْضَـاتُهَـا تُحْظِـي بِـدَارِ النَّعِيـمْ	وَتُـوجِـبُ التَـوْفِيـقَ مِـنْ مُنْعِمِـهْ
بَشَّـرَهُ نَصْـرٌ وَفَتْـحٌ جَسِيـمْ	وَخَيْـرُهُ أَجْمَـعُ فِـي مَقْـدَمِـهْ
لِقَـاؤُهَـا ٱلْمَبْـرُورُ مِسْـكُ ٱلْخِتَـامْ	بَشَّـرَكَ ٱللَّـهُ بِصُنْـعٍ عَجِيـبْ
وَقَصْـرُكَ الْمَيْمُـونُ قَصْـرُ السَّـلاَمْ	خُـطَّ بِحِفْـظٍ مِـنْ سَمِيـعٍ مُجِيـبْ
مَـوْلاَيَ يَهْنِيـكَ وَحُـقَّ الهَنَـا	قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودْ
قَـدْ فُـزْتَ بِـالفَخْـرِ وَنَيْلِ الْمُنَى	وَأَنْجَـزَ السَّعْـدُ جَمِيـعَ ٱلْـوُعُـودْ
وَقَـرَّتِ ٱلْعَيْـنُ وَزَالَ ٱلْعَنَـا	وَكُلَّمَـا مَـرَّ صَنِيـعٌ يَعُـودْ
وَلاَ يَـزَلْ مُلْكُـكَ حِلْـفَ الـدَّوَامْ	يَحُـوزُ فِـي التَّخْلِيـدِ أَوْفَـى نَصِيـبْ
يَتْلُـو عَلَيْـكَ الـدَّهْـرُ بَعْـدَ السَّـلاَمْ:	«نَصْـرٌ مِـنَ اللَّـهِ وَفَتْـحٌ قَـرِيـبْ»

وهذه قصيدة في التهنئة كذلك لإبن زمرك والتي كتبها للسلطان الغني بالله. وجاء فيها ذكر السلطان موسى بن أبي عنان، منها[452] :

فَأَمَّنْتَ مُوسَى مِنْ عَوَادِي سَمِيِّهِ ... وَلَوْلاَكَ لَمْ يَبْرَحْ بِخِيفَةِ مُوجِسِ

بَعَثْتَ بِمَيْمُونِ النَّقِيبَةِ، فِي اسْمِهِ ... خُلُودُ لِعِزٍّ ثَابِتٍ مُتَأَسِّسِ

فَجَاءَكَ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ هَدِيَّةً ... بِهَا الدِّينُ أَثْوَابَ الْمَسَرَّةِ يَكْتَسِي

وَشَفَّعَهَا بِالصَّافِنَاتِ كَأَنَّهَا ... وَقَدْ رَاقَ مَرْآهَا جَآذِرُ مَكْنِسِ

تَنُصُّ مِنَ الإِشْرَافِ جِيدَ غَزَالَةٍ ... وَتَرْنُو مِنَ الإِيجَاسِ عَنْ لَحْظِ أَشْوَسِ

لَكَ الْخَيْرُ، مُوسَى مِثْلُ مُوسَى كِلاَهُمَا ... بِغَيْرِ شِعَارِ الْوُدِّ لَمْ يَتَلَبَّسِ

فَلاَ زِلْتَ فِي ظِلِّ النَّعِيمِ وَكُلُّ مَنْ ... يُعَادِيكَ لا يَنْفَكُّ يَشْقَى بِأَبْؤُسِ

عَلَيْكَ سَلامٌ مِثْلُ حَمْدِكَ عَاطِرٌ ... تَنَفَّسَ وَجْهُ الصُّبْحِ عَنْهُ بِمِعْطَسِ

السلطان أبو فارس عبد العزيز الثاني بن أحمد

ومن النظم الذي ينسب للسلطان عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم، قوله وقد نزل المطر، يشكر الله عليه، قوله[453] :

الله يلطف بالعباد فواجب	أن يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه	من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

السلطان أبو سعيد عثمان الثالث بن أحمد

وفي مدح السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد يقول المؤرخ الأمير ابن الأحمر في روضته، هذه القصيدة[454] :

جهل الرقيب فؤادى المجروحا * فأراه خدى سطره المشروحا
وعواذلى عجبوا لما قد عاينوا * من جمعى التلويح والتصريحا
كتم الهوى صدرى وصرح مدمعى * فاستغربوا التقييد والتسريحا
ورضاى فى حكم الغرام صبابتى * ودمى الذي فيه غدا مسفوحا
يا من تملك مهجتى رفقاً بها * رفق التملك لم يزل ممدوحا
وهب الفؤاد لجسمه متطولا * وارحم فانك قد ملكت الروحا
ما ان أقول وهبتها لك منحة * لا بل أقول قبولك الممنوحا
واذا غضبت حكيت فينا مالكا * ملك العذاب وان رضيت مسيحا
صل بالذى أعطاك بهجة مصعب * وجماله وقضى لى التبريحا
وأتاح عثمان بن أحمد فى العلا * ما لم يكن لذوى العلاء أتيحا
وأنا له من كل فخر فاخر * وأتاه تجراً فى الثواب ربيحا
فترى له للشح باباً مغلقاً * أبداً وبابا للعطا مفتوحا
ملك قضى الملك المهيمن ملكه * ليعيد معتل الأمور صحيحا
يروى ضياء النجم عن عزماته * ويفوق يذبل فى الأناة رجوحا
يلوى اذا ما كر مركب قرنه * ليناً ويعرف قبل ذاك جموحا

ومنها:

واذا الخميس رآه ولى مدبراً * ليرى سبيلا للنجاة فسيحا

فكأنما قد أبصروا بيمينه * شخص المنية حاقداً مقروحا

عذبت بطيب ثنائه أفواهنا * حتى استعار المسك منها الريحا

ما شت شمل المال مثل بنانه * جوداً ولا جمع الثناء صريحا

ان قيل من فخر الملوك به فقل * عثمان من أبدى الجمال مليحا

من ألبس الأيام من احسانه * خلعاً وصير سعيها مربوحا

ما حل ذروة معقل كحسامه * نصراً ولا سد الثغور فتوحا

ساط بسيف الله دون حدوده * ماضي العزيمة لا تراه صفوحا

مستنصح في الامر الا أنه * لا يرتضي الا قناه نصيحا

خذ يا أمير المسلمين بديعة * منها لساني لا يزال فصيحا

يبدائع من صنعة الآداب قد * أصغى العدو لها فماد طليحا

تنسيك حسناً كلما رددتها * (هل كان ضمخ بالعبير الريحا)

ولتبق في نصر يرف ظلاله * :وحاً أقيم على ذاره صروحا

ولما مرض السلطان أبو سعيد في شعبان سنة 807 هـ وصح من مرضه، كان من جملة الشعراء اللذين هنئوه بقصائد كثيرة، الكاتب أبو الحسن علي بن عبد الرحمن فقال[455] :

هـنـيـئـاً لـنـا ولـكـل الأنـام ... بـراحـة فـخـر الـمـلـوك الـهـمـام
إمـام أقـام رسـوم الـعـلا ... وحـل مـن الـمـجـد أعـلـى الـسـنـام
بـه قـرت الـعـيـن لـمـا بـدا ... صـحـيـحـاً ومـا إن بـه مـن سـقـام
وهـل هـو إلا كـبـدر الـدجـا ... يـواري قـلـيـلاً وراء الـغـمـام
ويـظـهـر طـوراً فـيـجـلـو بـه ... عـن الـنـاس يـا صـاح سـاجـي الـظـلام
أو الـلـيـث يـعـكـف فـي غـيـلـه ... فـتـحـذر مـنـه الـسـبـاع اهـتـجـام
أمـولاي عـثـمـان بـحـر الـنـدى ... ومـردي الـعـداة ونـجـل الـكـرام
لـقـد رفـع الله مـقـداركـم ... فـنـفـسـي الـفـداء لـكـم مـن إمـام
أمـولاي عـبـدك قـد ضـره ... أفـول رضـاكـم وبـعـد الـمـرام
وأضـحـى كـئـيـبـاً لإبـعـادكـم ... مـشـوقـاً لـتـقـبـيـل ذاك الـمـقـام
فـكـن راحـمـاً يـا إمـام الـورى ... عـطـوفـاً بـمـمـلـوكـك الـمـسـتـهـام
لـعـل الـذي نـالـه يـنـقـضـي ... وتـشـمـل مـنـك هـبـات جـسـام
فـأيـدك الله بـالـنـصـر مـا ... تـرنـم فـوق الـغـصـون حـمـام

السلطان عبد الحق الثاني بن عثمان بن أحمد

ومما ذكره صاحب التاريخ الدبلوماسي فيما يتعلق باحتلال مدينة سبتة المغربية أعادها الله، قوله رحمه الله[456]:

{و قد عثر على رسالة في مجموع خطي تتعلق باحتلال سبتة – وهي رسالة من أهل سبتة إلى السلطان عبد الحق بن عثمان، إذ كانوا قد مثلوا إليه برجالهم ونسائهم وبناتهم وولدانهم وهم يرتدون المسوح والشعر والوبر منتعلين الأحذية السود رمزا للحداد -كان من جملة ما أمكن تبينه منها:

الحمد لله، هذه رسالة أهل رباط سبتة التي اختطها سبت بن بسام بن نوح عليه السلام، على يد كبيرهم محمد بن سعيد العزفي لما دخل الصبانيون رباط سبتة حيظ (أي بحساب الحمل عام 1415/818) لبس سكانها مسوح العهن والوبر والشعر، وقبلوا القلانس البوالي والنعال السود وهم أول من لبسها لهذا السبب، وتوجوا نساءهم بثمارير (القبعة في اللغة العامية المغربية) اللبد وسعف الدوم مع قبائل الهبط، ثم ورد الكل على عبد الحق المريني رجالا ونسوانا وبنات وولدانا إلى أن وردوا عليه بفاس الجديد على هذه الهيأة التي تذيب الجلاميد، وتزبر الحديد مستصرخين له وبه لدفع هذه المعرة القاذفة بهم في حضرم المضرة... وفي عقب مسطور... هذه الأبيات:

يا ملكاً قد صان بيضة مغرب	بضوارم وصوارم وجنود
هتك النصارى علينا حرمة سبتة	غدراً بنقض مواثق وعهود
غدرونا فجر عروبة بصنادق	حطت صناديق صرعة كقرود

ألفــــان في ألفين من أبطـــــالهم عظمــاء أجســام طــوال قـــدود !
فقصدنـا بـابـك ضـارعين لبؤسنـا أخمـــار من شعر **ونعــل ســود**
فعســاك تجبر صـــدع قـوم خـــانهم دهر كســا للكـل ثـوب يهـود !!

وتضيف الرسالة المذكورة أن العاهل آذن لنديمه عبد الرحمن بن عبد العزيز البجائي فأجابهم نظما وكان منه هذه الأبيات:

فلقـد عجـزت عن الـدِّفـاع كمن مضى من غر آبـــــاء وأسمى جــــــدود
هل صيت صولة من تـأخر في المـدى كـالســابـق الســامي لأنهى جـــدود
لكنكم لا تخلعـــوا حــــــال الأسى واستمطروا غيثــــاً من أغنى رعـــود
لكن علم الغيب في حكم الـــــذي ينفي العيـــان ويـــأتي بـــالمفقـود

{...

الباب الثاني:

أمراء الدولة المرينية

الأمير أبو مالك عبد الواحد المريني

ومما قاله الأمير عبد الواحد[457] :

فَرَّقْتُ فِي المَيْدَانِ كُلَّ مَلِيكِ   وجمَعْتُ بين جَراءَةٍ ونُسُوكِ
وجعَلْتُ للإِسْلَامِ حدًّا مالِكًا   كي لَا يُغَيِّرَه العِدَا بِسُلُوكِ

وقوله كذلك[458] :

اجود بمالى لكل العفاة   واقتحم الهول فى المعضلات
اقود الجيوش واصلا الحروب   واقتطف الهام بالمرهفات
واحمى ثغورى من أن تنال   واغزو وانهب أرض العداة

و من قول شاعر الدولة المرينية عبد العزيز الملزوزي، قوله مخبرا عن الأمير أبي مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبي يوسف[459] :

دعانى يوماوالسماقدارتدت بالسحايب   والغيث يبكى بالدموع السَّواكب
كأنه عاشقٌ صُدَّ عنه حبيبه   ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبُه
ولم يُرَق له مدمع   كأنه لم يبق له فيه مطمع
فكان الوعدُ حَسْرتَه   والبرق لَوْعَتَه وزَفْرَتَه
فقال لى ما أحسن هذا اليوم   لو كان فى غير شهر ا لصوم
فاقتَرح غاية الاقتراح علىّ   وقال قلْ فيه شعرا بين يدىّ

ومما أنشده هذه الأبيات:

اليوم يوم نزهة وعُقــــار ... وتقرُّب الآمال والأوطـــار
أوما ترى شمسَ النهار قد اختفت ... وتستَّرت عن أعين النُظّــار
والغيث سَح غمامه فكأنه ... دَنِفٌ بكى من شدّة التذكار
والبرق لاح من السماء كأنه ... سيف تألّق فى سماءِ غبــار
لا شيء أحسن فيه من نيل المُنا ... بمُدامته تبدو كشعلة نــار
لولا صيام عاقنى عن شربها ... لخلعتُ فى هذا النهار عِذار
لو كان يمكن أن يُعَار أعرته ... وأصوم شهراً فى مكان نهار
لكن تركت سروره ومُدامه حتى ... أكــون لديه ذا أفــكار
وندِيرها فى الكأس بين نواهد ... تجلو الهمُوم بنغمة الأوتـار
فجفونها تغْنيك عن أكواسها ... وخدودها تغنيك عن أزهار

فشكره الأمير لما سمعه غاية الشكر، وقال أسكرتنا بشعرك من غير سكر. وأتاه بعد ذلك هذه الأبيات :

أعلمتَ بعدك زَفَرتى وأنِينى ... وصَبابتى يوم النَّوى وشجونِ
أودعتُ إذ ودَّعتَ وَجْداً فى الحشا ... ما إن تزال سهامه تُصمينِ
ورَقيبُ شوقك حاضرٌ مترقِّبٌ ... إن رمتُ صبراً بالأسى يُغرينِ
من بَعد بُعْدك ما رَكَنت لراحة ... يوما ولا غاضَتْ عَليك شؤون
قد كنت أبكى الدمع أبيضَ ناصعا ... فاليوم تبكى بالدِّماء جفونِ
قل للذين قد ادَّعوا فَرْط الهوى ... إن شِيتم عِلم الهوى فسَلونِ
إنى أخذتُ كثيرَه عن عُروة ... ورويتُ سايره عن المجنون

هذى روايتنا عن أشياخ الهوى	فإن ادّعيتم غيرها فأرون
يا ساكنى أكناف رَمْلة عالج	ظفِرَتْ بظَبْيكم الغَرِير يَمينِ
كم بات فى جَنح الظلام مُعانقى	ومَجَنتُ فى صُفرُوى إلى مجنون
فى روضة نمَّ النسيم بعَرفها	وكذاك عَرْفُ الرّوض غير مَصونِ
والوِرْق من فوق الغصون ترنمت	فتريك بالألحان أىَّ فنون
تصغى الغصون لما تقول فتنثنى	طرباً لها فاعْجَب لميل غصون
والأرض قد لبِست غَلايل سندس	قد كلِّلت باللؤلؤ المكنون
تاهت على زهر السماء بزهرها	وعلى البُدور بوجهها الميمون

ومن شعره في رثاء الأمير أبي مالك عبد الواحد[460] :

سَهْمُ المنيَّة أين منه فِـرار	من فى البريَّة مَن رجاه يُجار
حَكَم الزمان على الخلايق بالفنا	فالدار لا يبقى بها ديَّـار
عِش ما تشاءُ فإن غايتك الرَّدى	يَبْلى الزمان وتذهب الأعمار
فاحذر مُسالمة الزمان وأمْنَه	إن الزمان بأهله غدَّار
وانظر إلى الأُمراء قد سكنوا الثرى	وعليهم كأْسُ المُنون تُدار
تركوا القصور لغيرهم وترحَّلوا	ومن اللُّحود عليهم أستار
قد وُسِّدوا بعد الحرير جَنادلاً	ومن اللحود عليهم أستار
مُنعوا السُّرى للقباب وأسْكِنوا	بَطْن الثَّرى حَكَمَتْ بذاك عليهم الأقدار
لم تنفع الجُرْد الجياد ولا القنا	يوم الرَّدى والعسكر الجرَّار
فى موت عبدالواحد الملك الرِّضا	لجميع أمْلاك الوَرى إنـذار

أن ليس يبقى فى الملوك مُمَلَّك	إلا أتتـه منيّـة وبـوار
ناديته والحزن خامَر مهجتى	والقلب فيـه لوعة وأوار
يا مَنْ ببَطْن الأرض أصبح آفلاً	أتَغيبُ فى بطن الثّرى الأقمار
أين الذين عَهِدت صَفْو ودادهم	هل فيهم بعد الرّدى لك جار
تركوك فى بطن الثّرى وتشاغلوا	بعُلا سِواك فَهَجْرُهم إنكار
لما وقفتُ بقبـره مُتـرحّما	حان العزا وهاجنى استِعبار
فبكيتُ دمعا لو بَكَت بمثاله	غرُّ السّحاب لم تكن أمطار
يا زايريه استغفروا لمليككم	ملكُ الملوك فإنه غفّـار

ومما رفعه الشاعر الأديب الملزوزي للأمير أبو مالك عند خروجه مع أبيه السلطان يعقوب و أخيه أبي يعقوب لحرب يغمراسن صاحب تلمسان، هذه القصيدة يصف فيها الوقعة ويمدحه وهذا مطلع القصيدة[461] :

أشاقَتْك أطلالُ الديار الطواسمُ	فقلبك حيرانٌ ودمعك ساجِم
وقفتَ عليها بَعد بُعد أنيسها	وصبرُك قد ولّى ووجدك لازم
بعيداً عن الأوطان تسلى فإنها	تُهيّج أشواقَ المحب المعالم
تحنّ إلى سلْمى ومن سكن الحِمى	وأين من المشتاق تلك النواعم
إليك فإني لست ممن تشوقه	معاهدُ سلمى أو سَبَتْه المباسم
إذا هامت العشاق يوماً بكاعب	فقد بات في الأدلاج في البيد هائم
لألقى مليكَ الأرض وابنَ مليكها	أبا مالك، ليثُ الحروب الضّراغم
مُذِلّ الأعادي في سماء عَجاجةٍ	بها البيضُ برقٌ والدماء غمائم
رواعدُها صوتُ الكماة وشُهبها	دَراريك هند تشتهيها الصوارم

ومما ذكره صاحب الذخيرة السنية قوله[462] :

{... منهم الفقيه القاضي الزكي يوسف بن حكم، وكان من أهل الأدب البارع...، وولاه الأمير عبد الواحد قضاة فاس فجرا بينه وبين والي المدينة شنآن فاستطال عليه الوالي فكتب إلى الأمير عبد الواحد كتابا يشكو إليه فيه بالوالي وعدوانه عليه ويطلب منه أن يعفيه من خطة القضاة:

أيُسلمني للردا مالكي ... مليك الملوك أبو مالك
وتالله ما أسلمت عبدها ... لعدوان عاد يدا مالك
فياحضرةَ الجود لا تسخ بى ... هديت كفعلك فى مالك
علقت برضوان من عطفكم ... وها أناذا فى يدي مالك !

...}

الأمير أبو علي بن أبي سعيد المريني

ومما قاله الأمير المذكور[463] :

أُغالِبُ فيكَ الشَّوْقَ والشوقُ أَغْلَبُ ... وأَطْلُبُ منكَ الوصلَ والنجمُ أقرب
ويُطمِعُني قلبي بوَصْلٍ وإنَّني ... سأَعْلَمُ حقاً أنَّ قلبي يكذِب
حياتي وموْتي في يَدَيْك وإنَّني ... أموتُ وأحيا حينَ ترضى وتغْضَب
فلا الوَصْلُ يُحْيِيني ولا الهَجْرُ قاتِلي ... ولا مِنْكَ بُدٌّ، لا ولا عَنْكَ مَهْرَب

وله أيضا:

مِلْ يا نَسِيمُ على غُصونِ المَنْدَل   وانْعَمْ بتلك المَائِسَاتِ المُيَّـل

وإذا مرَرْتَ على الدِّيار فَسَلْ بِهَا   عن راحِلٍ عنْها ومَن لَمْ يَرْحَل

زَمُّوا المَطِيَّ وخلَّفُوني بَعْدَهُم   تَجْرِي دُموعِي في رُسوم المَنْزِل

الأمير عمر بن عثمان بن يعقوب

ومن شعر الأميرعمر ما خاطب به أخاه السلطان أبا الحسن علي أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره[464] :

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم   أباد من كان قبلي يا أبا الحسن

الدهر مذ كان لا يبقى على صفة   لا بد من فرح فيه ومن حزن

أين الملوك التي كانت تهابهم   أسد العرين ثووا في اللحد والكفن

بعد الأسرة والتيجان قد محيت   رسومها وعفت عن كل ذي حسن

فاعمل لأخرى وكنْ بالله مؤتمراً   واستغن بالله في سر وفي علن

واختر لنفسك أمراً أنت آمره   كأنني لم أكن يوماً ولم تكن

ومما قاله أيضا[465] :

أُغَـالِـبُ فِـيـكَ الـشَّـوْقَ وَالـشَّـوْقُ أَغْـلَـبُ
وَأَطْلُبُ مِنْكَ الوَصْلَ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ
وَيُـطْـمِـعُـنِـي قَـلْـبِي بِـوَصْـلِ وَأَنَّـنِـي
سَـأَعْـلَـم حَـقـاً أَنَّ قَـلْـبِي يَـكْـذِبُ
حَـيَـاتِـي وَمَـوْتـي فِـي يَـدَيـكَ وإنَّـنِـي
أَمُوْت وَأَحْيى حِينَ تَرْضَى وَتَغْضَبُ
فَلَا الوَصْلُ يُحْيِيني وَلَا الهَجْرُ قَاتِلي
وَلَا لِـي بَـدَلاً وَلَا عَـنْـكَ مَـهْـرَبُ

وله كذلك:

مِلْ يَا نَسِيم عَلَى غُصُون المَنْدَلِ ... وَانْعَم بِتِلكَ المَائسَاتِ المُيَّلِ
وَإِذَا مَررتَ عَلَى الدِّيَارِ فَسَلْ بِهَا ... عَن رَاحِلٍ عَنْها وَمَن لَم يَرْحَلِ
زَمُّوا المُطِيَّ وَخَلَّفُونِي بَعْدَهُم ... تَجْرِي دُمُوعِي فِي رُسُوم المَنْزِلِ

الأمير منصور بن عمر بن عثمان المريني

ومما ذكره المؤرخ ابن الأحمر في نثير جمانه، قوله[466]:

{أخبرني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو الحسن علي بن محمد ابن معاود البلوي، قال خرجت يوما مع الأمير أبي علي منصور لمتنزه بخارج بلدنا غرناطة فلقينا وسيما، فقال فيه بديهة:

لو اطلعت على قلبي رأيت به ... من لحظ عينيك أو من ثغرك الأثرا

وهذا صاحب الإحاطة، يذكر بأن الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قطبة أنشده من شعر الأمير المذكور، إذ كان صاحبه في الرحلة، ومزامله في أسطول المنحسة، وذلك قوله[467] :

سوف ننال المُنى ونَرقى مَراقى العزِّ والمَعال
إذا حططْنا بأرض فاس وحُكِّمت فى العِدَى العوال
فأنت عندى لها حَقِيقٌ يا حايز الفَضْل والكمال

الأمير عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني

ومما قاله صاحب الإحاطة[468] :

{... فنفروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة و ستين و سبعماية، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجهت إليه وجوههم اتفاقا، وانثالوا عليه اضطرارا، ونازل البلد الجديد، دار الملك من مدينة فاس....وخرج إليه أهل المدينة القدمى، فأخذ بيعتهم، وخاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، ووصلت إليه مخاطباتها.

ومن ذلك ما خوطب به من مدينة سلا، وأنا يومئذ بها:

يا إمام الهدى وأىّ إمام أوْضِح الحق بعد إخفاء رسمه
أنت عبد الحليم حِلمُك نَرْ جو فالمسَمّى له نصيبٌ من اسمه

الأمير أبو الحسن علي بن بدر الدين

ومما قاله الأمير أبو الحسن ملغزا في مملوك له وسيم من أبناء الروم يسمى فارحا[469] :

اسم فلان هيّن … يُصبي النُّهى تقريبُهُ
حروفها ثلاثة … ثلثها مقلوبه

وله أيضا:

أرقتُ وقد نام الخليُّ المسلّم … وبي من أليم الشوق ما ليس أكتمُ
شُهودي نجومٌ راكداتٌ كأنّما … عدت عن طريق القصد والليل مظلم
تذكّرني من قد بُليت بحبه … وفي القلب والأحشاء نار تضرّمُ
قضيب من الريحان غصن منعَّمٌ … ولكنه بالوصل لي ليس يُنعم
وضعتُ له خدّي وقلتُ لِعَبرتي … همي فوق خدّي عله لي يرحمُ
لزمتُ البكا والشوق بعد فراقه … وقلت لذي بثٍّ ودمعي يسجمُ
له مقلةٌ ترمي إذا اللحظُ نالها … وثغرٌ كمثل الدرّ حين ينظّمُ
مريضٌ عليلُ الطرف من غير علةٍ … فما أحدٌ من سحر عينيه يسلمُ !
نهيتُ فؤادي عنه فازداد لوعةً … وهل يستطيعُ الصبرَ صبٌّ متيَّمُ ؟
يسرّك يامولاي إن متُّ بالهوى … وحسبُك ما ألقاه والله أعلمُ
حكمت على قلبي فعذّبت مهجتي … وللحبّ سلطانٌ على الصبّ يحكم
بعينيك ما ألقاهُ فيك من الأسى … وإني في حبي إليك مُصمّمُ
كتبتُ فخُذ من كلّ بيتي أوّلا … ودبّره أحيانا لعلك تفهم !

القسم الخامس:

الدولة الوطاسية

الباب الأول:

سلاطين الدولة الوطاسية

السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرى الوطاسي

وهذا قول مؤرخ الدولة الوطاسية أبي عبد الله محمد الكراسي وذلك في ذكر دولة السلطان الأول من بني وطاس وهو أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي[470] :

أولهم من حازه مبايعة ... محمد الشيخ بلا منازعة
ابن ابى زكرى الجليل الماجد ... وزير دار الملك ذى المحامد
وهو الامام الفاضل المعظم ... شيخ بنى وطاس المفخم
قام بامر الله عن مشورة ... على اتفاق من ذوى المشورة
فعاش فى عز رفيع عال ... ودولة سعيدة توالى
والغرب كان خاليا من الرجال ... ومن اليه نظر فى كل حال

والشرفاء قبل كانوا فيه ... ما ان لهم فى الفحص من وجيه
وكانت الشاوية الاعراب ... لاينج من شخص بها الاسراب
كان لهم فى السكك المدارة ... لمن يريد الوقد او انفاره
حتى اتى شيخ العلى الوطاسي ... لاذو بفحص غيران النحاس
ونال منهم اكمل المقاصد ... فى يوم صدينا المليك الوارد
ابادهم بالضرب والطعان ... ذاقوا به كأس الهوان الفانى
وصار باقيهم الى تامسنا ... كالنمل فى العشاء اذ يلمسنا
يراقبوه فى البكور والمسا ... فيه ابا والهرب من دون كسا

وفي حركة السلطان محمد الشيخ بن أبي زكرى إلى شفشاون قال مؤرخ دولتهم[471] :

وثار في شفشاون وصالا   ذاك الشريف العادم المثالا
دعا لنفسه وجاءه الطمع   ان يدخل الحضرة من حيث طلع
على بلاد مغرب سلطانا   خاف وخاب رأيه ماكانا
تحركت لداره الجنود   فاس ومكناس لهم بنود
دخل فاسا تحت حكم الطاعة   اذ عيبت افعاله الجماعة
حتى الى سبتة كرها قدما   ولده يحيى الوزير المكرما
وبقي السلطان في محلته   ورحل الوزير في حميته
نزل في شفشاون تحت الديار   وظهر الغلب باخراب القرار
مر وخلى داره ومرفقه   واحرق الدار فصارت محرقة
فانحصر ابن راشد في الجبل   بالانقطاع وتمام الحيل
فطلع السادات للشريف   لاموه عما كان من تحريف
دخل في الطاعة والجماعة   وتبعت شفشاون بالطاعة
واقلع الوزير عنه النزلا   ومر راحلا ووفى العملا
وبلغ السلطان في محلته   ساق ابنه رهنا . . . رحلته
ومعه علامه المعروف له   عاهده من عنده لا بد له

ودخلوا الى ديار فاس   في ظل امن الملك الوطاسي
وجاء بعد ذلك ابن راشد   لدار مولانا الكبير الماجد
قابله بالصفح والاغضاء   عما جناه في الخلاف . . .
اجرى عليه الرزق والانعاما   وما يخص داره دواما
وبعد ذاك يوم ميز العيد   جا طبله بعلم ج . . . .
وعادت البلاد كيف كانت   كانها من يده ما بانت
وبقيت بينهما المحبة   حتى قضى الشريف فيها نحبه
وكان ذا اوائل المحرم   من بعد تسعمائة . . . . .
هذي عوائد الكرام السادة   من ال . . . .

وبعد سقوط غرناطة واستسلام آخر سلاطينها أبي عبد الله محمد بن علي، صحبه في رحلته عدد كبير من الوزراء والقادة والأكابر ممن آثروا الرحيل مع الملك المخلوع صوب المغرب الأقصى ونزل أولًا في مدينة مليلية المغربية - فك الله أسرها وأختها سبتة وأعادهما إلينا إنه سميع مجيب - ثم قصد فاس واستقر بها، وتقدم إلى ملكها السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ الوطاسي برسالة، مستجيرًا به، معتذرًا عما أصاب الإسلام في الأندلس على يده، متبرئًا مما نسب إليه من إثم وتفريط في حق الوطن والدين وفي الرسالة المذكورة قال صاحب النفح[472] :

{وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور إلى سلطان فاس الشيخ الوطاسي، وهي من إنشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها ب "الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس" ونصها بعد الافتتاح:

مولى الملوكِ ملوكِ العُربِ والعجمِ   رَعْياً لما مثلُهُ يُرْعى من الذِّمَمِ

بكَ استجرنا ونعم الجار أنت لمن   جار الزَّمانُ عَلَيْهِ جَوْرَ منتقمِ

حتّى غَدا ملكهُ بالرغمِ مستلباً   وأفظعُ الخطبِ ما يأتي على الرغمِ

حكمٌ منَ اللهِ حتمٌ لا مردَّ لهُ   وهَلْ مردٌّ لحكمٍ منهُ منحتِمِ

وهي الليالي وقاكَ اللهُ صولتَها   تصولُ حتّى على الآسادِ في الأجَمِ

كنّا ملوكاً لنا في أرضنا دولٌ   نمنا بها تحت أفنانٍ من النعمِ

فأيْقَظَتْنا سهامٌ للردى صُيُبٌ   يُرمى بأفجعِ حتْفٍ مَنْ بهنَّ رُمي

فلا تنم تحت ظلَّ الملكِ نومتنا   وأيّ ملكٍ بظلَّ الملكِ لم ينمِ

يبكي عليهِ الذي قد كان يعرفهُ   بأدمعٍ مُزِجَتْ أمواهُها بدَمِ

كذلكَ الدَّهْر لم يَبرحْ كما زعَموا   يُشمُّ بوَّ الصِّغارِ الأنفَ ذا الشَّممِ

وصِلْ أواصر قد كانت لنا اشتبكت ... فالملكُ بين ملوكِ الأرضِ كالرحمِ

وابسط لنا الخُلقَ المرجوّ باسطُهُ ... واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلمِ

لا تأخـــذنّا بأقوال الوشـــاةِ ولم ... نُذنب ولو كثُرت أقوال ذي الوخمِ

فما أطقنا دفاعاً للقضاء ، ولا ... أرادَتَ أنفُسُنا ما حلّ من نِقَمِ

ولا ركوباً بإزعاجٍ لسابحَةٍ ... في زاخر بأكفِّ الموج ملتطمِ

والمرء ما لم يُعِنْهُ الله أضيعُ من ... طفلٍ تشكّى بفقدِ الأم في اليتمِ

وكلّ ما كان غير الله يحرسهُ ... فإنَّ محروسَهُ لحمٌ على وضَمِ

كن كالسموألِ إذ سار الهمام له ... في جَحْفَلٍ كسوادِ الليلِ مرتكمِ

فلم يبع أدْرُعَ الكندي وهو يرى ... أنّ ابنهُ البر قد أشفى على الرجمِ

أو كالمعلّى مع الضلّيلِ الاروعِ إذ ... أجـارهُ من أعاريب ومن عَجَمِ

وصارَ يشكرهُ شكراً يكافىء مـــا ... أسدى إليهِ من الآلاء والنِّعَمِ

ولا تعاتب على أشياء قد قُدرت ... وخُطَّ مسطورها في اللوحِ بالقلمِ

{...

السلطان أبو عبد الله محمد البرتقالي بن محمد الشيخ الوطاسي

وفي دولة السلطان محمد البرتقالي بن محمد الشيخ قال مؤرخ دولتهم أبي عبد الله الكراسي[473] :

وقام من بعد ابنه المجاهد ... محمد السلطان ليث عاهد
اعطاه ربى النصر حيثما بدا ... اطلع فى المغرب بدرا وهدى
زانت به الارجاء والقصور ... وعمرت فى وقته الثغور
زاد على ما كان فيها من عمل ... بعد ابيه وبه السعد اكتمل
كمثل تطاون والعرائش ... ولم يكن فى قوله بفاحش

وفي حركة السلطان محمد البرتقالي إلى سوس قال مؤرخ دولتهم أيضا:

وقد غزا السوس وارض حاحة ... وكل قطر ابتغى إصلاحه
اوقف فى مراكش الشريفا ... وسار والسعد له أليفا
فى عام واحد وعشرين سنة ... من بعد تسعمائة مبينة
وظهرت نيته فيمن وقف ... أو انه ارضاه فيما قد . . . .
لابد ما نرجع للقضاء ... ما السر الا فى اتـ . . . . . .
هذا قضاؤه وما شاء فعل ... كل ميسرا . . . .

وفي رجوع السلطان محمد البرتقالي من حركته من سوس قال المؤرخ أيضا[474] :

واذ اتى المولى محمد الامير من حركة السوس بأعلام النذير
نزلت المحلة العلالى وسار سير الخرد الغوالى
الى وادي سبو الى المعمورة وجدها خالية مغمورة
اتاه ذاك الاسد المهاصر حامى الحما الليث أخوه الناصر
ومعه الاسلاب والغنائم وكانت الايام كالمواسم
مهنئا بما اتاه الله مستبشرا به وما أولاه
يا من تولى وتلا حزب الجهاد اغتنم الفرص تملك الوهاد
لولا الجهاد لم تلاق مسلما وكل من تلقاه يلفى ظالما
هذى فعال ءال وطاس الكرام عليه ماتوا وثووا اعلى مقام

وفي أيام السلطان محمد البرتقالي، قال المؤرخ محمد الكراسي أيضا[475] :

فكم له من صولة على العدا وكم له من فتكة فيمن عدا
وكم رمى بالنفس فى المهالك وربه ينجيه نعم المالك
والذكر باق والاناس تحفظه وكل معمول فربى يلحظه
هذا وكل ينتهى الى اجل والروح واصل اذا تم الاجل
عاش سعيدا فى ظلال وافية وموته على سرير العافية
عام اثنتين وثلاثين ترى من بعد تسعمائة مسطرا
وملكه دام له ثلاثة من بعد عشرين على وراثة

ومما قاله محمد بن يحيى البهلولي، لامية يحث فيها على الجهاد، وفيها يخاطب السلطان أبا عبد الله البرتقالي بقوله[476] :

قل للامير محمد يا طلعة الهلال
لويلة فى السواحل من افضل الليال

السلطان أبو حسون علي بن محمد الشيخ الوطاسي

وفي دولة السلطان أبو حسون علي بن محمد الشيخ قال مؤرخ دولتهم أبي عبد الله الكراسي[477] :

ثم ولي عهده الميمون	اخوه ذا المولى ابو حسون
بقى اشهرا تعد قلة	وكان ذا مكانة مقلة
وكان فى البخل على امواله	ما لم يكن فى غيره من ءاله
. . . . . . ان المال قد ينجيه	من كل ضيق او لما يلجيه
. . . . بالاشهاد	والاتفاق من اولى السداد
. . . . . على العادات	فى كل مخلوع من الولاة
. . . . علي المالا	هذا قضاء ربنا تعلى
. . . . مؤلف	لغيره وصيرت فى التلف
. . . . مطاه	وما اراد الله ان يخطو خطاه

وفي الرسالة المذكورة التي كتب بها آخر سلاطين غرناطة أبي عبد الله إلى سلطان فاس الشيخ الوطاسي، والتي هي من إنشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي، ذِكر لأبي حسون علي بن محمد الشيخ[478] :

أحلامُ عــادٍ وأجسامٌ مطهَّرَةٌ   مِن لمَعَقّةِ والآفــاتِ والأثمِ

يرونَ حقّاً عليهم حفظ جــارهمِ   فلمْ يُضَرْ نازلٌ فيهم ولم يُضَمِ

فروعه بالدواهي لا يراع ، ولا   يغمٌ منها بما يعرو من الغممِ

هُمُ البحار سماحاً غير أنّ بهـا   ما قد أنافَ على الأطْوادِ من هممِ

وليس يسلم من حتفٍ محاربهمْ   حتى يكون إليهمْ مُلْقيَ السَّلَمِ

كمْ فيهمُ من أميرٍ أوحد نَدُسٍ   يُقَرطِسُ الغرض المقصود بالفَهَمِ

ولا كسبطِ أبي حسون من حَسُنَتَ   أمداحُهُ حُسنَ ما فيه من الشيمِ

هذاكم ابن أبي ذكرى الهمام فقلْ   في أصله المنتقى من مجده العممِ

خليفة اللهِ حقّاً في خليقتـهِ   كنائبٍ نابَ في حكمٍ عن الحكمِ

السلطان أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد الشيخ الوطاسي

وفي دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد البرتقالي قال مؤرخ دولتهم أبي عبد الله الكراسي[479] :

تولى الملك أبو العباس ... ابن محمد الرضا الوطاسي
فجاء تابع الملوك الأمرا ... يساير الزمان حيثما سرى
وهو امام طالب للعلم ... والأخذ بالثأر رئيس القوم
الخط كابن مقلة في وقته ... والعلم والحلم يرى من سمته
أبرع من ركب سرج فرس ... ومن بأبدع الحلي يكتسي
وسعدت بسعده الأيام ... ونصرت بملكه الأنام

وفي السلطان أبي العباس أحمد قال مؤرخ دولتهم أيضا[480] :

عادة مولانا الامام احمد ... الاخذ بالعفو وذا مسرمد
هذا مراد الله امر سابق ... من قلد الملك فلا يسابق
من سخر البلاد والعبادا ... ساق له مراده انقيادا
انظر لما كان من امر تادلا ... جاءت على رغم لامر حملا
اصيب ذا السعيد ذا فى داره ... ورجع الامر الى قراره
فالحمد لله على ما اولى ... للمسلمين ولهذا المولى
فالله يجزيه بحسن نيته ... وما له اضمر فى طويته

ومما جاء ذكره فيما يخص قنطرة ابن أبي برقوقة والتي تعرف اليوم بقنطرة الرصيف بمدينة فاس والتي جددها السلطان أحمد بن محمد البرتقالي، أبيات للعلامة السيد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي والتي كتبت في مربعة هناك[481] :

جسر الرصيف ابو العبّاس جدّده   فخر السلاطين من ابناء وطّاس

فجاء في غاية الاتقان مرتفعا   لمن يمرّ به من عدوتيْ فاس

وكان تاريخه في نصف عام غنى   من هجرة المصطفى المبعوث للناس

الباب الثاني:

أمراء الدولة الوطاسية

الأمير محمد بن السلطان أبي العباس أحمد بن محمد البرتقالي

وفي ذكر ولاية الأمير محمد الوزارة لأبيه السلطان أبي العباس أحمد قال مؤرخ دولتهم أبي عبد الله الكراسي[482] :

وعصب الدولة بالوزير   محمد ولده الامير
رمى به الناس لحكم البلد   ومن لبيب تابع للاصل
رمى به الناس لحكم البلد   والشبل فى المحتد مثل الاسد

إلى أن قال:

فجاء ذا المولى الوزير الماجد   وبجيوش الغرب والمحامد
وبالقبائل من البرابر   شرقا وغربا مثل بحر زاخر
فرجعت بطوية لطاعته   كذا بلاده انزوت عن خدمته
وجاءه جيش على تيزيران   كم اوقدوا فى قلبه من نيران
ما زال مولانا يهد ويثور   حتى الى ورائه دك النكور
وهو يعد منعة فى بادس   حتى اتى مولانا ناس بادس
كان يظن ان يموتوا بالعطش   لقلة الماء بها مما عطش
ادرها الله لمولاى كثير   والناس كلها روت حتى البعير
فانقطع الرجاء منها والطمع   بعد التضيق وبعد المنقطع
فطلب الامان منه مامن   وجاء بابنه اليه مرتهن
عاهده على دخول فاس   يحلق مولانا ابا العباس

القسم السادس:

الدولة السعدية

الباب الأول:

سلاطين الدولة السعدية

السلطان أبي العباس أحمد الأعرج بن أبي عبد الله القائم السعدي

وفي مدح هذا السلطان قال السيد مخلوف بن صالح المخلوفي البلوي[483] :

فلله هذا الهاشمي وفضله   فلولاه صال الكفر أعظم صولة

السلطان محمد الشيخ المهدي بن أبي عبد الله القائم

ومما ذكره العلامة محمد المختار السوسي في كتابه سوس العالمة قول الأديب البليغ النابغة محمد الهوزالي في السلطان محمد الشيخ، وفي جيشه العتيد الذي فتح به المغرب[484] :

ببيض السيوف وسمر العوال توطد اركان اس المعال

يرى الخائضون لغمرتها دماء الجروح كبنت الدوال

وعِثْيَر معترك قاتم خَلوقا ومسكا ودهن الغوال

الذ معانقة عندهم معانقة القرن عند النزال

وافضل الُعوبة بينهم تراشقهم فى الوغى بالنبال

فان يتمن اخو خوَر منادمة الشرب تحت الظلال

تمنوا منادمة الحرب فى الهـ ـواجر بين شداد الرجال

اذا الرعب خام به قزِع اذابوا الحديد بحر المِصال

يزيدون فى حربهم مِرة ، اذا ما تمادى اللقا واستطال

هم ما هم جند سيدنا الا مير مبيد فئات الضلال

امام الهدى . وسياج الحمى . ورب الحسام . والِف العوال

اغاث الانام وضيم العدو ينتف عثنونهم والسبال

لوى بالبلاد . ومال العباد . بحر الجلاد ، وراى ومال

فعاث عثوا عظيما فلا يزيد سوى جفوة ـ ودلال

ففي كل يوم له طفرة وفتك بمعمعة واغتيال

تبجبج هذي البلاد بما له من جنود ومكر مذال

تمكن فى الناس اجمعهم فيعرك عرك الرحى للثفال

ومنها:

واصبح سكانها فى ذهول   كأن لم يكن بينهم من رجال

وقد استبيحت بسائطهم   ودب العدو لصوب الجبال

هناك بدا منكم يابني الر   سول مداعسة والنزال

تماسون اهل الصليب كما   تفادونهم بالظبا والالال

فرد الى نحرهم كيدهم   بحرب زَبون وكيد مطال

وجند قوي . وباس شديد   وراي مطاع . ونسج احتيال

واس الحروب على خدع   تصيد الاسود بحوك السلال

فطهرت الارض من رجسهم   بعزم بني المصطفى خير آل

فنلنا الامان على ديننا   وابنائنا وخدور العيال

جزيتم بني المصطفى بالتي   يجازى بها من يقيم المُمَال

فلا زلتم فى ذرى عزة   تصون مهابتكم والجلال

ومما ذكره أيضا صاحب السوس العالمة قوله[485] :

{ولسعيد الحامدي بين القصائد التي وقفنا عليها، قصيدة طنانة يعتنى بها في سوس، فتشرح وتدرس، يقول في غزلها، وهي في محمد الشيخ:

اذا طيفها بالوجد ضافك لم تكن   لتقرى الا بالدموع السواجم

تبدت كلمح البرق ثم تبرقعت   واغرت دموعي بالشؤون الشوائم

فكم لوعة تنتابني وكأنما   يسامرني منها سمير الاراقم

الام على حبى سعاد وليتني   حشوت غضا صدري صدور اللوائم

رايت طريف الحب يقتل داؤه   فقل فى تليد ذقته متقادم

ومنها:

امـام امـام عـوّد الطعـن بالقنـا وعلم حد السيف حز الفلاصـم
اذا ما الكماة ملت الطعـن فى القفـا أمل عليهم ضربهـا بالصـوارم
بكل فتـى يعطي الشجاعـة حقهـا اذا اصطخب الاحشاء تحت الحيازم
وكل كَمِـيٍّ يحتمى القرن قرنـه يرى ضربة الاقران ضربـة لازم
فان خاف نِكْسٌ او تقاعس لم يخف ملال ملول أو سآمـة سـائـم
اخو العزم ان يعزم تلاشت همومـه وذو الحـزم لم تقرع له سن نـادم
فلست ترى فى الشرق والفرب مثله سلوبا لاسلاب الاسود الغـواشـم
اذا ما الرعاء اصدروا الشاء اصدروا صدور العوالي عن صدور الضراغم
عوارض موت لم تحم فوق بلـدة فتقلـع الا باصفـرار البراجـم
وذي نخـوة اخنت عليـه فعـادلت ولائـده ولـدانـه فى المقـاسـم
ملكت على الاعداء بالسّيف سيفهم، جهارا وكان السيف اعدل قاسم
فاى حمى لم تستبح عـرض غربنا فمَسّـة قد مست الى مستغانـم
واى حـزون لم تجس بقنـابـل واي عزيز لـم تـدس بالقوائـم
كأني بمَلْك الروم وافتك رسلـه تَعـوّذ منك ارضـه بالتمائـم
اذا عظمـاء الروم تعنـو فانمـا عنت لعظيـم فى عيـون العظـائـم
قصار الجدود والعصائب والخُطـا كم اطمعها طول العمى فى العمائـم
راى وعصا الاسلام شقت لشقـوة رؤى ذلة أضغاثها ، كل حالم
فاقـدم فى تعبيرهـا كـل مـرهف واحجم عن تعبيرهـا حدس عالـم
فاوطـاك السعـد المنيـر متونهـا وقد شكمت مرانها بالشكائـم

{...

وللشاعر سعيد بن علي الجزولي الحامدي قصيدة في محمد الشيخ السعدي بمناسبة انتصاره على العدو بالسواحل الجنوبية[486] :

لله ما غَضْبَةٌ هاجَتْ فما تركَتْ	للمسلمين بأرض الشرك من وَطر
فَعالُ مُنْتَقِم لله مُلْتَزِم	في الله مُعْتَصِم بالله مُقْتَــدِر
رُوح الخِلافةِ قُطْبٌ تَسْتَدِيرُ به	رَحى المكارم بين البَدْوِ والحَضَر
زانَ الزمانَ بأخلاق له شهِدَتْ	بأنَّ أيَّامَــه للدهر كالغُرَر
ناهِيكَ من شرَف يُنمَى الى حَسب	عُدُوله بَيِّناتُ الوَحْي والسُّور
يا بَهْجة الدِّين والدُّنيا التي بلغَتْ	به العِنايةُ شأْوَ السَّبْعَةِ الزُّهر
جمعتَ شَمْلَ المعالي بعد فُرقتِها	فباتَ ثَغْرُ الفَخار غيرَ مُنْثَغِر

ومما ذكره العلامة عبد الله كنون في كتابه "مشاهير رجال المغرب" قوله[487] :

{وحكى العلامة المنجور أنه كان يوما بمجلس السلطان محمد الشيخ هذا، وقد حضر عنده أولاده الصناديد محمد الحران وعبد الله وعبد القادر فدخل الشيخ أبو عبد الله اليسيتني فلما نظر إلى بنيه حواليه أنشد هذا البيت وهو من شعر الفرزدق:

فقلت عسى أن تبصريني كأنما
بني حوالي، الأسود الحوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده.}

ومما ذكره صاحب الروضة العلامة أحمد بن محمد المقري التلمساني، قوله في الشاعر البليغ عبد العزيز الفشتالي[488] :

{وأنشدني أبقاه الله قطعة اخترعها لتكتب على قبر أمير المومنين المهدي بالله رضي الله عنه، والد أمير المؤمنين المنصور بالله أيد الله أمره، وأطال لأهل الخافقين عمره، وقد رأيت هذه القطعة أيضا مكتوبة على الضريح المذكور وهي:

حى ضريحاً تغمدته رحمات … وظللت لحده منها غمامات

واستنشقن نفحة التقديس منه فقد … هبت من الخلد فيه منها نسمات

لحد به كورت شمس الهدا فكست … من أجلها السبعة الأرضين ظلمات

يا مهجة غالها غول الردا قنصاً … وأثبتت سهمها فيها المنيات

دكت لموتك أطواد العلا صعقاً … وارتج من نعيك السبع السماوات

وشيعت نعشك المزجا الى عدن … من الملائك ألحان وأصوات

كان الثريا صعيداً تعتليه وقد … أصبحت تحت الثرا تعلوك ذرات

يا رحمة الله عاطيه سلاف رضا … تدور منها عليه الدهر كأسات

قضى فوافق فى التاريخ منه جلا … دار أمام الهدا المهدى جنات

السلطان عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ

ومما ذكره صاحب نزهة الحادي المؤرخ محمد الصغير اليفراني، قوله مما نقش على الرخامة التي على قبر السلطان الغالب بالله[489] :

ايا زائري هب لي الدعاء تكرّما	فانّي الى فضل الدعاء فقير
وقد كان امرُ المؤمنين وملكهم	اليّ وصيتي في البلاد شهير
فها انا هذا صرت ملقى بحفرة	ولم يغن عنّي قائد ووزير
تزوّدت حسن الظنّ بالله راجي	وزادي بحسن الظنّ فيه كثير
ومن كان مثلي عالماً بحنانه	فذاك بنيل العفو منه جدير
وقد جاء انّ الله قال تفضّلا	الى ما يظنّ العبد بي سيصير

السلطان محمد المتوكل بن عبد الله الغالب بالله

ومما نظمه السلطان محمد المتوكل السعدي[490] :

خَليليَّ ما يَخفَى انحصاري عن الصَّبا   فَخلَّا عِقالي قد أضرَّ بي الرَّبطْ
ولا تَحْفِلا مَن لامَ أوْ تَتَلَوَّما   فانَّ بِحَار اللَّوْم ليْس لها شَطُّ

ومن شعر السلطان المذكور أيضا[491] :

فقم بنا نصطبح قهواء فانية   في وجهها عسجد في وجهه نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلقا   فانّ تاخير اوقات الصبا غلط

ومن شعره أيضا:

ساروا فسار فؤادي اثر ظعنهم   وخلّفوني نحيل الجسم حيرانا
لاافترّ ثغر الثرى من بعد بينهم   ولاسقى هاطلٌ ورداً وريحانا

السلطان أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ

ومن الشعر الذي نظمه السلطان أحمد المنصور الذهبي[492] :

مِن عنبر الشَّحْر أوْ من مِسْكِ دارينِ ... بَلى ومنه نُسَيْمات الرَّياحِينِ
مُهَفْهَف ان تَثنّى قُلْتَ مقتضَبٌ ... من قُضْب نَعْمان أو من كُثْب يَبْرِينِ
ذَنْبي إليْهِ - ولا ذَنْبٌ - محبَّتُه ... مِن أجلِها بِسهام اللَّحْظ يرْمِيني

وقال :

أقامَ بِقَلْبٍ في هَواه مُقَلَّبٍ ... وأنّى له بينَ الضُّلوع مُقامُ
فيا شادِناً مَرْعاه حَبَّةُ مُهْجَتي ... أمَا لِحَشاً أقمْتَ فيه ذِمامُ

ومن موشحات السلطان أحمد المنصور[493] :

ريّانُ من ماء الصِّبا ... أهْيَفْ وممتلي البردِ
كالغصنِ هزته الصَّبا ... فوقَ الرُّبى الشُّهبِ
قد قلتُ لمَّا أن سَبى ... بحُسْنِه يسبي
من عينه سَلَّ ظُبى ... وغمدها قلْبي

أسرَني ماضي الشَّبا ... أوْطفْ مرنّحُ القدّ
يا فاضحَ الروض سنا ... بل مخجلَ البدرِ
وقاطعي ظلماً عنا ... ومَنْ مقرُّهُ صدري
إن لم تكن شمسَ دُنَا ... فإنّها تجري

عُلّقْتُهُ مِنَ الظِّبا ... أسجفْ يسطو على الأسدِ
قلتُ لهُ وقد نَهَدْ ... وجَدَّ في حربي
وغَلَبَ الظبيُ الأسدْ ... فَفَازَ بالغلبِ
الشمس بُرْجُها الأسدْ ... فاسْعَ إلى قلبي

ومنها قوله يعارض لسان الدين وابن الصابوني[494] :

وليالي الشعور إذ تسري　　ما لنهرِ النهار من فجرِ

حبّذا الليلُ طال لي وحدي
لو تراني جعلتُه بُردي
فاطميّاً في خلعة الجعدي

هي ليلى أختُ بني بشرِ　　فأين أنْت يا أبا بدرِ

كم سقطنا ألطفَ من طلٍّ
واجتمعنا وما درى ظلّي
واسترحنا من كاشحٍ نذلِ

ربّ ليل ظفرت بالبدرِ　　ونجوم السماء لَمْ تدرِ

وبنفسي مهفهفٌ ألمى
ومطيع وغرّني لمّا
سألتـه وقانِعي ممّا

في رباط قسمتي صدري　　لحَنين وناظري بدرِ

وهلالٍ في حسنه اكتملا
هو شمسٌ وأضلعي الحملا
قام يشدو وينثني في ملا

قسماً بالهوى لذي حِجْرِ　　ما لليلِ المشوق من فجرِ

ومن المقطوعات التي نقلناها عن صاحب النفح والتي نسبها للسلطان أحمد المنصور الذهبي نجد:

قول السلطان رادا على من قال في ابن أبي الحديد[495] :

لقدْ أتى بارداً ثقيلاً ... ولم يزِرْ ذاكَ من بعيدِ
فهو كما قد علمتَ شيءٌ ... أشهرُ ما كان في الحديدِ

ومن نظم المنصور أيضا:

للهِ تمـــرٌ طيّبٌ ... وافى على البشرى انطوى
يا حُسْنَـــهُ مجتمعاً ... يحلُو لـنـا بلا نوى

وقوله معميا في "قمر" على طريقة الاكتفاء كما ذكر صاحب النفح:

مُعذبي أعجـــزني نيلُـهُ ... من لي بمن مسكنُهُ في السما
لَمْ أنسَ إذ قالَ ألا تـكتفي ... قلتُ بمن بالطرف قلبي رمى

وقوله:

تبدّى وزندُ الشوقِ تقدحُهُ النوى ... فتوقِدُ أنفاسي لظاه وتضرمُ
وهَشَّ لتوديعي فأعرضتُ مشفقا ... على كبدٍ حرّى وقلبٍ يقسمُ

ولولا ثواه بـالحشـا لأهنتهـا ... ولـكنّهـا تُعزى إليـــه فتكرمُ
فاعجبْ لآسادِ الشرى كيف أحجمتْ ... على أنّه ظبيُ الكناسِ ويقدمُ

وقال رحمه الله تعالى:

إنَّ يوماً لناظري قد تبدّى ... فتملّى من حُسْنِهِ تكحيلا
قالَ جفني لصنوه لا تلاقِ ... إنَّ بَيْنِي وبينَ لقياك ميلا

ومن نظم السلطان المذكور، وهو من أوليات شعره، قوله في وردة مقلوبة في يد:

وَوردةٍ شَفَعَتْ لي عند مرتهني راقتْ وقد سجدتْ لفاترِ الحدَقِ
كأنَّ خضرتَها من فوقِ حمرتِها خالٌ على خده من عنبرٍ عَبِقِ

وقال أيضا من أولياته:

شادن تَمَّ عليه عَرْفُهُ ما خلاصي من سهام كامنَهْ
أحَلالٌ فيه أنّي خائفٌ وغزالي بعدَ خوفي آمنَهْ

وقال في وصف رقيب ملازم :

رقيبي كأنَّ الأرضَ مرآةُ شخصِهِ فأين تَوَلّى الطرفُ مني يراه
مقيمٌ بوجهِ الوصلِ حتى كأنّما وصالي هلالٌ والسوادُ صداه

وقال :

أيا روضةً ضَنَّتْ عليَّ بزهرها ولَمْ يتلَقَّ ناظراي سواك
أبيحي لنَفسي من شَذاكِ بقاءها إذا فُتَّ طرفي علَّ الأنفَ يراك

وقال أيضاً :

على جَدْوَلٍ غطّتْ عليهِ بشعرها لئلا يرى الشمسَ الرقيبة لي طرَفْ
فبتُّ أرى في جدولٍ بدرَ وجهها غريقاً ونقطاتِ العبير بهِ كَلَفْ

وقال :

طرقتُ حِماهُ والأسودُ خوَادرٌ به فتولّى بالظُّبى وهو يبعدُ
فعلّمتُ آسادَ الشرى كيف تقدمُ وعلَّم غزلان النقا كيف تشردُ

وقال :

لمّا نأى المحبوبُ رقَّ ليَ الدُّجى وأتى يعلّلني برَعْي كواكبِهْ
أولَى غراب البينِ ردك يا حشا والبينُ مُزْنيُّ الصباحِ كواكبِهْ

وقال معمّياً باسم حظيته الشهيرة الحسن والإحسان « نسيم » :

يا هلالاً طلوعُهُ بينَ جفني　　　وغزالاً كناسُهُ بينَ جنبي
إنَّ سهماً رمَيْتَ غادر هَمّاً　　　لو تناهى ما شكَّ آخرُ قلبي

وقال في اسم « غزال » وقد جمع تعميتين ولغزاً :

وأملَدَ مطويّ الحشا زال ردفه　　　فلا خصر إلاّ إن تصورته وهما
بنصف اسمه يرمي القلوبَ وعكس ما　　　بقي أبداً أذنَ المحبّ به أصمى

وقال في اسم « سلاف » على منهاج ما تقدم :

وأحْوَرَ وَسْنانِ الجفونِ كأنّما　　　سقي لحظَه من ريقِ فيهِ بقرقفِ
نضا صارماً لا فُلَّ صارم لحظه　　　تزايد فيه منذ سل تلاه في

وقال في اسم « آمنة » من التعمية أيضاً :

من شقائي قنصته وهو خِشْفٌ　　　في رضاه عن الملوك ابتدلْتُ
أمْلدٌ منهُ مذ تحلّل خصرٌ　　　وتثنّي عن حبه ما عدلتُ

وقال وقد لبس منصورية من النوع الذي يقال له « قلب حجر » ، والمنصورية : نوع لبس معروف بالمغرب استخرجه السلطان المذكور وأضافه إلى اسمه :

وصَفُوا اشتياقي للحبيب وسَرَّهم　　　قولُ الحبيبِ أنا أنا فيهِ
فكَنّي له حجرٌ ، فقلت مغالطاً　　　للعاذلِ المؤذي أنا فيـهِ

وقال وقد قطف وردة من روض المسرة في زمن النرجس :

وافى بها البستانُ صنوكَ وردةً | يقضي بها لمَّا مَطَلْتَ وعودا
أهدى البَهار محاجراً وأتى بها | في وقته كيما تكونَ خدودا
فبعثتها مرتادةً بنسيمها | تثني من الروض النضيرِ قُدُودا

وقال :

لي حبيبٌ يأتي بكلِّ غريبٍ | هو عندي مُنَكَّر ومعرَّفْ
لستُ أشكو لصيرفيٍّ ونحوي | أنه بي نَحا وفيَّ تصرَّفْ
فعلهُ فيَّ لازمٌ متعدٍّ | ومزيدٌ مجرَّد ومضعَّفْ

وقال :

لا وطيفٍ علّم السيفَ فقد | في قوامٍ كقنا الخط نَهَدْ
ووميضٍ لاح لمَّا بسمتْ | فأرتْنا منهُ دُرّاً أو بَرَدْ
ما هلالُ الأفقِ إلاّ حاسدٌ | منهُ حسناً وعلاءً وغيَدْ
ولذا عاش قليلاً ناحلاً | كيف لا يَفنى نحولاً مَنْ حسدْ

وقال:

وكيفَ بقلبٍ في هواه مقلَّبٍ | وأنّى له بين الضلوعِ مقامُ
فيا شادناً يرعى الحشا أنتَ بالحشا | أما لمحلٍّ أنْتَ فيهِ ذِمامُ

وقال يخاطب رئيس كتّابه صاحبنا سيدي عبد العزيز الفشتالي السابق الذكر :

يا كاتباً ألفاظه | تغرس روضاً ذا فنن
إنَّ جوابي للذي | يشكو دناه اردد حزن

وقال مُورياً بمصانعهِ الثلاثة : البديعِ ، والمسرةِ ، والمشتهى :

بستانُ حسنك أبدعَتْ زهراته | ولكم نهيتُ القلبَ عنه فما انتهى
وقوامُ غُصنك بالمسرةِ يَنْثَني | يا حسنه رمانةً للمشتهى

وقال أيضا[496] :

تخالفت منه عيناه الى سبب	كان اتفاقهما به على عطب
فحدقة العين تقصيني وتويئسني	واللحظ يطمعني فيه ويسخر بي
أشكو نهاى وشوقى كيف يفترقا	فى أمره وكلا ذا زاد فى تعبى
فان أطع ذاك من لى فاتنى أربى	أو طعت هذا فمن لى فاتنى حسبى

ومن الأبيات المزدوجة قوله كذلك[497] :

هذا الحفيد الذى وافى على قدر	أقر عينى ولكن زاد فى فكرى
بشارة لو تلقى مثلها حجر	لبان تأثيرها فى ذلك الحجر

وذيل البيتين أيضا جماعة من أعلام حضرة المنصور، فمن ذلك قول أحدهم:

طوالع السعد لاحت وهى شاهدة	بما يفيد دليل العز والظفر
وأن دولة منصور اللواء لها	حكم البسيطة بين الناب والظفر

وقيل كذلك:

بشارة رفعت للمجد قبته	وآية تليت بألسن البشر
فهى تشير اشارة الحفيد الى	طى برود الصبا براحة النظر

وقال السلطان المنصور في نهر المسرة، وقد تعددت فيه التورية[498] :

نهر المسرة ان تسل	منه الرحيق الأطيب
الطير فيها تنتقل	والغصن فيها يشرب

وفي مدح النبي قال[499] :

يَا خَاتِمَ الإِرْسَالِ جِئْتُكَ مَادِحاً   فَاجْعَل كفَائِي مِنْكَ عَطْفَةَ رَاحِمِ

الأَنْــبِيَـاءُ وإِن أَتَـوا بِـمَـنَـاشِـر   لَكِنَّـهَا تَـحْتَـاجُ مِنْكَ لِخَاتِمِ

وفي قصة طريفة ذكرها صاحب النبوغ قوله[500] :

{كان ابن عمرو الشاوي قديم الصحبة للمنصور وأخيه المعتصم واغترب مع الأخير في الجزائر مدة مديدة ولما أفضت الخلافة للمنصور سوغه مغارم مسفيوة بحذافيرها مكافأة على الهجرة إلا أنه استثنى منها أعشار الزيت فكتب له ابن عمرو بأبيات ليشملها العطاء فأعطاها له أيضا فكان يبيع منها بالآلاف من العين وهذه الأبيات:

أَبحْرَ النَّدى خيْرَ الملوكِ سَجيّةً   وأفضَلَ سُلْطانٍ رَقى فوْقَ مِنْبَر

لقد سِرْتَ في الاسلام أحسنَ سِيرَةٍ   وخُصِّصْتَ بالنَّصْر العزيزِ المُؤَزَّر

أَموْلايَ لاحِظْني بِجُودِكَ إنــني   فَقيرُ نَوالٍ من لَدُنْك مُوَفَّر

فهذا زَمانُ الزَّيْتِ قد جاء مُقْبِلاً   ولي رَغبَــةٌ فيه بِغَير تَنكُّر

فمِنْها اشْتِعَالي في الدُّجـا وتَطيُّبي   ودُهْنُ طَعامِي ثُمَّ مِنها تعطُّري

لأنّي بَليدُ الطَّبعِ أشْتَاقُ رِيحَها   فَفي الزَّيتِ يا مولايَ مسكي وعَنبَري

...}

ومما قاله أيضا ابن عمر الشاوي مخاطبا المنصور، قوله[501] :

فخر ألخلائف ان عبدك واثـــق	بالنجح من علياكم ومحقـــــق
فنوالكم عم البسيطة كلهـــــا	لم يبق معه في البرية مملـــق
فالغرب يرفل في ثياب جمالكـــم	وجلالكم يرتج منه المشـــرق
امطر عليّ سحاب جودك ثـــروة	وانظر إليّ برحمة لا أغـــرق

ومما يذكر في كتب التاريخ أن السلطان أحمد المنصور السعدي كان قد انتظم في مجلسه يوما وفد عمدته ثلاثة أشخاص مكي ومدني ومقدسي؛ فقام المكي وقال يا أمير المؤمنين إن المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال قد شد أهلها إليك الرحلة وأنشد[502] :

إنَّ أَمِيرَ الْمُؤمنين أحمدُ	بحرُ النَّدى وفضلُه لا يُجْحَدُ
فَطَيْبَةٌ ومَكَّةٌ أهلُها	وَالمسجِدُ الأقصى بذاك تَشْهَدُ

وفي القبة الخمسينية من البديع وهي من مباني المنصور الذهبي قال الشاعر عبد العزيز الفشتالي مادحا المنصور على لسانها[503] :

جمـال بدائـعـــى سحــر العيونا	ورونـق منظـــرى بهـــر الجفونـا
وقـد حسنت نقوشى واستطـــارت	سنـــا يعشـــى عيون النـاظرينـا

ومنها:

هـو المنصور حــائـز خصل سبـق	وباني المجـد بنيانــا مكينـــا
وليث وغـــا اذا زار امتعـــاضـــا	يـروع زئيـــره هنـــدا وصينـــا
اذا أمت كتـــائبـه الأعـــــادي	بعثـن بـرعبـه جيشـا كمينـــا
يدير عليهــم مـن كـــل حــــرب	تدقهـم رحـــا أو منجنـــونـــا

امــــام بالمغـارب لاح شـمــسـاً بها الشـــرق اكتســـا نوراً مبينــا
بقيت كـــذى القصـور الغـر بـدراً تلـوح بأفقهـن مــدا السنيـــنـــا
تحف بكـم عواكف عنـــد بابـــي ملائكـــة كـــرام كـاتبـــونـــا
لــك البشـــرى أمـــير المومنـين اذ خـلـوهـا مـــع ســـلام امنينـــا

وله مما كتب ببهوها - القبة الخمسينية- بمرمر أسود في أبيض، وفي الأبيات الأخيرة يمدح المنصور الذهبي[504] :

لله بـهـــو عـــزمـنـــه نـظـــــير لمـــا زهـــا كالروض وهــــو نضير
رصفت نقـوش بنـــاه رصف قـلائد قـــد نـضدتـهـا فـــي النحور الحور
فكأنها والتبـر ســال خلالهــــــا وشى وفضـــــة تربهـــا كـــافـــور

ومنها:

ملك أنـاف عـلى الفـراقـد رتبـــه وأقلـه فـــوق السمـــاك سريــــر
قطب الخلافة تـاج مفرق دولـــــة رميت بجحفلهـــا اللهـــام الكـــور
وجـرا الى أقصا العـراق لرعبهـــا جيش على جســـر الفـرات عبـــور
نجل النبى ابن الوصى سليـل مــن حقن الدمـــاء وعف وهو قديـــــر
بـحـر الـنـدا لـكـنـه مـتـمـوج سيـــف العـــلا لكنـــه مطـــرور
طود يخف لحلمـــه ووقــــاره ولـجيشـه يـــوم الـنـزال ثـبـير
دامت معاليه ودام ومجـــــــده طـوق عـلى جيــد العـــلا مــزرور
وتعاهـدتـه مـن الفتوح بشائـــر يغــدو عليه بهـــا المسا وبكـور
ما دام منزل سعـــده يرتـــــاده نصر يـــرف لـــواؤه المنشـــور
ومشت بـه مـرحـاً جيـاد مسـرة وأدار كأس الأنس فيـــه سميــــر

وقال مما كتب خارج القبة حيث يمدح السلطان أحمد المنصور على لسانها، قوله[505] :

سموت فخر البدر دوني وانحطا وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وصغت من الاكليل تاجاً لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت بأطواقي الثريا كأنها نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لأنني جعلت على كيوان رحلي منحطا

ومنها:

ومسرح غزلان الصريم كناسها حنايا القباب لا الكثيب ولا السقطا
يلكن به ما طاب لا الأثل والخمطا ووسدن فيه الوشى لا السدر والارطا
تراه من المسك الفتيت مدبراً اذا ما زجته السحب عاد بها خلطا
وان باكرته نسمة لسرا بها الى كل أنف عرف عنبره قسطا
أقرت له الزهراء والخلد وانثنت أواوين كسرا الفرس تغبطه غبطا
جناب رواق المجد فيه مطنب على خير من يعزا لخير الورا سبطا
امام يسير الدهر تحت لوائه وترسى سفان للعلا حيثما حطا
وفتاح أقطار البلاد بفيلق يفلق هامات العدا بالظبا خبطا
تطلع من خرصانه الشهب فانثنت ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتائب نصر ان جرت لملمة جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا
اذا ما عقدن راية علوية جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
فما للسما تلك الأهلة انما سنابكها أبقت مثالا بها خطا
يطاوع أيدى المعلوات عنانها فيعتاد من قبض الزمان بها بسطا
يد لأمير المومنين بكفها زمام يقود الفرس والروم والقبطا
أدار جداراً للعلا وسرادقا يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

وفي أحد مآثر السلطان أحمد المنصور وهو بناء القبة العظيمة على الخصة بصحن جامع القرويين، قال العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي على لسانها[506] :

كهف الملوك أبو العباس أنشأني ... بحر المكارم من معد بن عدنـــــان

عين السلاطين من أبنــاء فاطمـــة ... انسان عين غـدا فى عين انســان

حزت المفاخر بالمنصـور أجمعهـا ... ومن عــلاه سنــام المجد أوطـانى

من جاء يشكو الظما يومـاً وقبلنــى ... أغناه ما قد هما من صوب أجفـانــى

لا تنكرن وجـود الدمـع من فــرح ... فالعين تدمـع من افـراط سلــوان

واشرب هنيئـاً من السلســال لاحرج ... معين دمـع جرا من بيض خلجـــان

فخر الخلائف والأقيــال من مضـر ... أشاع صيتى فــى أطـراف عمـــان

ومذ جرت مقلتى حكت سحائبهـــا ... كف الخليفة مــن أبنــاء زيـــدان

لا زال للدين والدنيـا يسوسهمـا ... ما هيجت عاشقـا ورق بأفنـــان

أنشأنى زمن التاريـخ وافـقـــه ... (للدين) والاجر بحر الجود أجـرانى

وكتب في خارجها الأديب الكاتب أحمد بن محمد الغرديس هذه الأبيات[507] :

حسن سنـا منظـرى يستوقف النظرا ... وفائق الصنع منى طـرز الطـــررا

حباب ماء من الدر النثير غــــدا ... وصوب وردى من ذوب اللجيـــن جرا

لا ينثنى راشف ثغـرى من ظمـــ ... الا ويحمد منى الـورد والصـــدرا

من أم قربى بفـرض أو بنــافلــة ... يجد معينى معينـاً للطهـــور سرا

ابن نبى الهـدى المنصـور أبدعنــى ... من فيض نعماه ما بين الورى انتشـرا

فعــال بره لا يحصـا تعـددهـــا ... وخبـر آثـاره يصـدق الـخبــرا

وفي تعيين المنصور لقائده الفقيه إبراهيم بن محمد الأيسي على أشغال بناء السد العظيم بمدينة فاس المحروسة، وبعد فراغ هذا القائد من أمر هذا السد أشار على فقهاء الحضرة الفاسية باختراع قطع في مدح السلطان أحمد المنصور السعدي؛ وفي ذلك قول أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي في قصيدة[508] :

وجب الثنا للقاطنين بفاس ... شكراً لمولانا أبى العباس

اذ سد سداً من سديد صنيعه ... كم مسجد أحيا وكم أغراس

كم منزل بالحال أضحى منشداً : ... الملك أصبح ثابت الآساس

اذ ساسه مولى الملوك وتاجهم ... نجل النبى الطاهر الأنفاس

لما تأسس جاء فى تاريخه ... سد مرى ؟ ما به من باس

وقال في ذلك الأديب المكثر، الفقيه محمد بن علي الوجدي[509] :

اذا قصر الأملاك عن دفع معضل ... وجلب صلاح ، وانطوى العزم والرشد

فللملك المنصور حزم ونجده ... يفل بها عضب الخطوب التى تبدو

امام له فى المعلوات مآثر ... مسلسلة عالى أسانيدها المجد

رواها عطاء عن مجاهد كفه ... وصحت عن السيد الذى ماله ند

وحين طغا ياجوج ماء على الثرا ... ولم يستطع ردع لذاك ولا رد

أقمت له السد الحصين وشدته ... فطاب لفاس بعد ما ظمئت ورد

جزاك اله العرش نصراً مؤبداً ... وملكاً عريضاً لا يرام له حد

ومذ تم منه الرصف قلت مؤرخا ... بسد متين لا يطاق له هد

وفي ذلك قال كذلك صاحب الروضة العلامة أحمد المقري التلمساني[510] :

سعد الزمان بدولة المنصور | وغدا الورا في غبطة وسرور
فخر الخلائف من ذؤابة هاشم | سبط الرسول فحسب كل فخور
أنشا وأتقن من ذؤابة هاشم | قصرت مرين عنه أي قصور
هذا وكم أبدا مآثر شادها | ضربت بها الأمثال في المعمور
لا زالت الأيام طوع يمينه | والنصر يخدمه ممر دهور

وفي السد قال أيضا العلامة المتفنن أبو القاسم الغساني[511] :

سد بفاس أبو العباس سدده | مولى الملوك ونجل خاتم الرسل
الفاطمي الرضا المنصور ذو أثر | الطاهر المرتضا في القول والعمل
فصار مستوثق الأرجاء في رصف | قد خلته صدفاً أو شاهق الجبل
جزيت خيرا أيا أندا الملوك يداً | وواضع الخير في حاف ومنتعل
في عام تسع وألف تم سائره | في مدة نزرت قريبة الأجل

وفي السد وصاحبه كذلك ما قاله السيد محمد بن رضوان النجاري[512] :

شتى مكارم لم تعد لقياس | حاز الفخار بها أبو العباس
شمس الخلافة قطبها وامامها | وجمال مفرقها وتاج الراس
سبط الرسول المصطفا وامامنا | ذو الفخر والآلاء ملك الناس
فأقلها تأسيسه وسداده | سداً تعاظم أمره من فاس
حتى غدا من عزمه متكملا | مستوعباً مستوثق الآساس

من بعد تعطيل المساجد جملة | من فاس أندلس على أجناس
وغدا الرياض لأجل ذاك مواحلا | من بعد غضتها وحسن كاس
لله هزته اذا ذكر الندا | فتسح أنمله على الجلاس
فتخالها وكاف مزن مسبل | كم معسر أغناه من افلاس

وفي السد وصاحبه قال أيضا الأديب النحوي علي السجلماسي[513] :

قل للامام جـزاه الله مكرمـــــــة حيث أعتنـا بانســداد الســد للأمم
كهف الأنـــام وغـوث المسلمين لقد أضحت ما ثره ناراً عـــلى علــــم
أعظم به من امام زانه شـــــرف ومـد ساعـده بالمجـد والكـــرم
وكيف لا ينقضى سد بفاس وقـــد توجه الأمـر من مولاى ذى الهمـم
لا زال يرفل فى ثوب الفخـــار اذن ويرتقى فى معالى المجـــد بالقـدم

وفي إحدى زيارات المنصور، قال جماعة من الأعلام، منهم سليمان بن إبراهيم التاملي[514] :

ومحلة ملأ البسيطـــة حسنهـــا وتشرفت بنزولهـــا أغمـــــات
أبدت جمالا فى الربا اذ خيمـــت فـكـأنما هـى حـولهـا مـــرآة
أم الامام بها الزيارة فاستـــوت فى نفعهـــا الاحياء والأمـــوات
ملك تباعد قدره عـــن أى تفـــى بـكـمـالـه ومـديحـه أبـيـات
فالله يبقـى مجــده وعـــلاءه مـا جـددت لـزيارة نيـــات

وهذه قصيدة النابغة الهوزالي في إبلال الخليفة المنصور الذهبي من مرضه[515] :

تردّى اذى من سُقمِك البَرُّ والبحر
وضجّتْ لشكوى جسْمك الشمس والبدر
وباتَ الهدى خوفاً عليك مُسهّداً وأصبح مَذعورَ الفؤادِ النّدى الغَمْر
فلمّا أعاذَ اللهُ صحّتَك التي أفاق بها من غمّه البَدْوُ والحضْر
تراءت لنا الدُّنيا بزينة حُسنها وعادَ الى إبّانه ذلك البِشْر

وصارَ بكَ الإسلامُ في كلِّ بَلْدة يُهَنَّا ويدعُو أن يَطول لكَ العمر
وصحَّت لنا الآمالُ بعد اعْتِلالِها وعادت الى الايناع اغصانُها الخُضْر
ولا غَرْو ان خافتْ على عَيْلَم النَّدى
اذا اغْبرَّ وجْه الأَرْض واحتَبس القَطْر
لِسَيْب ابي العباس أنضَتْ عِجافَهَا قَديماً فخافت أن يعاودَها الضر
لَئِن صَدِيَت بِيض المعالي لقد غدت
تَشاوى الكَماةُ البِيض واللُّدْنُ السُّمْر
بَقِيتَ لهذا الدين تحمي ذِمارَه ويَحْميك ربُّ الْعَرْش ما بقي الدهر

وقال فيه من قصيدة[516] :

فلولا نَفَاق الدُّرِّ كانت من الحصىٰ
كَوَاسِد هاتيك اللآلىء النَّفائسُ
تخطفها المنصور من مخلب الردى
ولِلنَّقْعِ والبارود ليل غُدامِسُ
دعته فلبَّاها وقد حال بينها
وقائع أضحكنَ الردىٰ وهو عابس
حروب طوت ذكر البعاث ومُلْهَم
ومات بها ذكر البسوس وداحس
بها قد وددنا أنه مع جده
بِصِفِّين يوم حاربته العنابس
لعمرك لا أنساه يوم شهدته
وقد سَفَرت سِنُّ الكماة المدَاعس
يُرَبِّسُ للأقدام كل كتيبة
كما رَجَّس المرجان في السلك رابِسُ
وحسبك في وادي المخازن وقعة
بها الشرك حتى آخر الدهر تاعس
بها عرفت أبناء عيص بأنهم
عبيد العصا مَا ناس في الأرض نائس

وله قصيدة أخرى في مدح المنصور بمناسبة فتح بلاد التوات وتيكورارين منها [517] :

جرىٰ بمناك الدهر ملء عنانها
وساعدت الأيام في عنفوانها
ولاحت لنا في أفق يمنك غرة
بلوغ مدىٰ آمالنا في ضمانها
بشائر تأتينا ولاء كأنما
لطائم دارين بدت من صوانها
فتوح جنى المنصور في عرصاتها
أزاهر نصر يانع من غصانها
ولا غصن إلا من قناة قويمة
ولا زهر إلا من شباة سنانها
ولا روض إلا من حماة كماتها
ولا سقي إلا ما جرى من طعانها
كتائب منصورية قذفت بها
موام نأت عن أرضها ومكانها
تهيم بها الأرواح حتى تخالها
تناغي عزيف الجن في دورانها
طويت بساط أرضها بقنابل
سنابكها أطوى لها من بنانها
سحائب من مراكش قد أثارها
صبا النصر يحدوها حداً عكنانها

وله فيه عند فتح السودان[518] :

ألمت وقد ألوى على وصلها الهجر

كما افتر أثر الليل عن ثغره الفجر

وجلى وقد لاحت دجى الليل وجهها

كما نضَّ سَجف الليل عن وجهه البدر

تُساقط لي دراً لقطت فريده

بأنمل سمح فيه عن غيره وقر

تحدث عن مسرى سوار ذمت بها

مرام تضل النهج في فيحها الزهر

تحامى هواها الطير من خشية الردى

قديماً وأعيى الريح مسلكها الوعر

ومنها:

لقد ذكر الحبشان من وقعها بِهِمْ

وقيعة يوم الفيل لو ينفع الذكر

هنيئاً أمير المؤمنين فقد قضى

على كل من ناواك أسيافك البُتْر

لئن أسلمت أرض الجنوب مقادها

فعن كثب تلقي مقاليدها مصر

وتزورُ زَوْراء العراق فتهتدي

إليكم وأعناق العِدا خُضَّع صُغر

وتخفق بالواد المقدس راية

عليك وتهوي فيه ألوية حُمر

فدم لفتوح يستحث لنيلها

إلى كل قطر منك ذو لَجَبٍ فَجْر

ولشاعرنا النابغة الهوزالي كذلك قصيدة بمناسبة المولد النبوي وكما جرت به العادة في احتفالات المغاربة بهذه المناسبة فإن الشعراء يمدحون النبي محمد في قصائدهم الطويلة، وفي الأبيات الأخيرة يمدحون السلطان وهذا مطلع قصيدته التي أداها بين يدي المنصور[519] :

يا حبذا ريح أتاك نسيمها
ولديه من أخبارهم مكتومها
ودعاه من سَلْعٍ بُرَيق لامع
فانصب من نثر الدموع نظيمها

وفي مدح السلطان أحمد المنصور الذهبي قال:

سهلية رحبية أخلاقها
جِبِلِّيَّة آناتها وحلومها
فِهْرِيَّة قُصَوِيَّةٌ مُرِّيَّةٌ
أسنى مناسب خِنْدِقٍ وحميمها
أقمار مجد في مطالع سؤددٍ
كشفت بِهِمْ بُهَمُ الخطوب وشيمها
أعلام فخر سوّدت هضباتها
علما نِزَارٍ قيسها وتميمها
لم تأبَ سؤدَدَهُم أُبَاة ربيعة
بكر وتغلب ذُهْلُها وجُشومها
فمِن يمن ابن قحطان عشت أذواؤها
أضواء خندف فاستنار بهيمها
نسب تهز به قصي عطفها
تِيهاً وهاشمها كذا مخزومها
وتفرّع النور المبين محمد
من هاشم أرِجُ الأصول كريمها

ونمى لها المنصور فهو سليلُه
وإمام أمته فنعم مُسيمُها
وأتى به المهديُّ فارع نبعة
ينبوع عذب المكرمات نديمها
تتفيّأ الأنسام وَارِفَ ظِلّها
وتفيض منهم بالمواهب ديمها

وافى أبو العباس فانتشرت به
أغصانها وظلالها وغيومها
حتى أعاد لنا خلافة هاشم
موطُودَةً أكنافها ورسومها
مخضرة عرصاتها قد فَوَّقَتْ
تَلَعَ المنى صمعاؤها وجميعها
لا زال منه للبرية سائس
يقظان في مهد الأمان ينيمها
وغدت معاصيم المواسم تزدهي
بحلى محاسنه ودام يقيمها

وله قصيدة أخرى في نفس الغاية وهذا مطلعها [520] :

سقى منحنى الوعساء من رَامَةِ قَطْرُ
وحيّت معاهِدَ اللُّوى الدِّيَم الغُرّ
وجادت ذرى تَيْماء وانهلَّ فوقها
نطاق الغوادي وهي هامية غُزْر

ومنها في مدح السلطان:

لِمجدك يا شمس المعالي رفعتها
فلا انثنى عن فضلكم ويدي صفرُ
إذا ازْدَلَفَ الراجون منكم بصالح
فإنما تأتي عندك الحمد والشكر
ولا بَرِح اليوم الذي طلعت به
علينا علاكم يَزدهي عِطْفُه الكبر
ودامت بأجياد المواسم زينة
على سبطك المنصور ما بقي الدهر
إمام الهدى حاز المعالي وراثه
ووجه الضحى من عابِر الدم محمر
رأى دونها بحر الردى فأجازه
به سابح لكن بساحته الحذر
أهابت به فاهتاج عزاً وغيرة
عليها حفاظ من خلائقه مر
جدير بأن مَتَّت بحبل ذمامها
إليه فلم يَطْرُق عُرى عهدها خَفر

وفي مثل هذه المناسبة أنشد مفتي الحضرة المراكشية الشيخ أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحسني هذه القصيدة والتي مطلعها[521] :

حلَت حديث أصيحابي وسماري	وجيرتي حالتي يسرى واعساري
القادحين بزند البين نار أسا	بين الجوانح من شوق وتذكار
ركب سرا وظلام الليل معتكر	يؤم بيداء لا يسرى بها الساري
بانوا فما زلت أبكيهم واندبهم	أكابد الوجد آصالي وأبكاري

ومنها في مدح السلطان:

انـي بكم وبآلكم لمغـتبـط	ومدحهم خيـر أورادي وأذكـاري
قوم عل غيرهـم بالأحمدين لهـم	فخر وأي فخار في الورا جـاري
ذاك رسول وهـذا مـن خلائـفـه	لله من شرف جـم ومقـدار
خير الخلائف في خلـق وفي خلـق	عديم شبـه وأمثـال وأنـظـار
جرى له لقب المنصـور منفـردا	فالنصـر عـادته من غير انصـار

ومن القصائد الميلادية أيضا، قصيدة الكاتب البليغ محمد بن علي الفشتالي والتي مطلعها[522] :

سرا ومنـام العـاشقـين حـرام	نسيم له بين الحجـون مقـام
وجر ذيولا بالكثيب عليلـة	وفض هناك عن شذاة ختـام
وماس قضيب البـان وهو كأنمـا	تمايل صب أثقلتـه مـدام
وكنت أرجي سلـوة بهبـوبـه	فـزاد فؤاداً نـال منه غـرام

ومنها في مدح السلطان:

ولا كان في أمر الخليفـة أحمـد	عل الخلـق فرض ليس فيـه خصـام
مقيم مواسـم النبوة غبطـة	وليست عل غير السـداد تقـام
ومعطى المعالي حقهـا والذي غـدت	ربـوع الفخـار له ؟ وهـو أمـام
حقيق الوراثـة التي عـز نيلهـا	لدعوتـه تقـدم وامـام
أيالتـه أمـن وظـل عـلى الـورا	مديد ، وفـي أنف العصى زمـام
تسليت بالفرع الـذى طاب أصلـه	فلي في ذاره خـدمـة ولـزام
ألست أمير المـومنـين	له بمنـاط الفـرقدين مقـام ؟
ألست الذى اضحى عل الشمس نعله	وتبنى له فـوق الـدرارى خيـام ؟

ومنها:

ألست الـذي . . . . وارغمـــــت	سيوفك أنفـاً كـان فيـه عرام ؟
ألست الذي سـاد الملـوك ولو علت	بـآل عـلـى ذروة وسـنـــام ؟
ألست الذي كالشمس مجدك في الورا	شهير وليس بـالجحـود يـــــرام
ألست الذي أحيـا الوفــاء واقبرت	ظباه صروف الدهـــر وهــي عظام ؟
ألست الذي قد صار عدله في الورا	خطيبـاً وعود الحـق فيـه قـــوام

وفي فتح السودان تقدم الشاعر عبد الله الملزوزي بقصيدة يمدح فيها المنصور الذهبي، وهذا مطلعا[523] :

هـنـيـئـاً لـسـلـطـان الـمـغـرب مـن أتـى
بـشـبـر تـوالـت بـالـسـرور بـشـائـره

وفي مدح المنصور بمناسبة فتح السودان كذلك قال قلم المغرب وأديب عهده الشاعر البليغ عبد العزيز الفشتالي[524] :

جيش الصباح على الدجى متدفق	فياض ذا لسـواد ذاك ممـحـق
وكانه رايات عسكرك التـي طلعت	علـى السـودان بيضـا تحقـق
لاحـت وافتهـم ليـال كله كعمـود صبـح	فـي الـدجـى يتـألـق
نشرت لتطـوى منه ليـلا دامسـا	اضحـى بسيفك ذى الفقـار يمـزق
ارسلتهـن جوانحـا وجـوارحا	فى كـل مخلبهـا غـراب ينعـق
وسـرت وكـان دليلهـن اليهـم	مشحـوذ عزمـك والسنـان الازرق
ولهـى الليالـى قـد جـلا احلاكهـا	نـور النبـوءة من جبينك يشـرق
ضعفت بهـن وعود نـارك صفقـة	رجـت لصيحتهـا العـراق وجلـق

وقوله من قصيدة في نفس الغرض[525] :

هكذا تحرز العلى والمعالى   وتدق الطلا بسمر طوال
وتقود السوابق الجرد أسد   هيج غابها وشيج العوالى
من كماة الهيجاء تحملها فو   ق متون الجياد صم الجبال
ورماة تشب نار تلظى   جعلوا وقدها جسوم الرجال
سير العزم منهم جيش نصر   غمر السهل والهضاب الاعالى

وغدا يعبر الفلاة سبوحا   فى بحار من السراب وآل
رعدت فى الجنوب منها رعود   فصببن النيران صب العزالى
صحبتها منها صواعق ضجت   لصداها أفلاك سبع ثقال
منها فادرك مصر والعراق ويمم   حرم الحى آلكم خير آل
ان شرق البلاد يرجوك شوقا   مثل ما يرتجى طلوع الهلال
للامام المنصور أحمد أضحت   كل أملاك الارض طرا موال
ملك زين الخلافة عدلا   مثل ما زان الجيد سلك اللآلى

منها فى المقطع

فهنيئا لكم بفتح جليل   طبق الارض صيته المتعالى
اطلع البشر والتهامى نجوما   لحن فى أفق العلى والمعالى

وله ميلادية أخرى والتي قالها عام 1005 هـ وكما جرت به العادة ففيها مدح للمنصور ومطلعها[526] :

انسان عينى هام ما ان يفيق   لما رأى بالعين سفح العقيق
يسبح فى بحر طما لجه   أضحا ينادى منه يالغريق
ماء ونار زج بينهما   يالك انسان غريق حريق
يهيم فى واد لديه التوا   صدغ الرياحين بخد الشقيق

ومنها في مدحه:

أهدى الى المنصور كهف الورا ... سبطك منه المسك وهو فتيق

هبت على الدنيا فنون الرضا ... منه فأهدتها العبير العبيق

من عرفه استعير عرف الشذا ... من خلقه قد ضاع طيب الخلوق

هو الامام ابن الامام الذى ... أسس ركن المجد وهو وثيق

أصبحت الايام من عدله ... تختال فى برد قشيب أنيق

أضحت ملوك الأرض تعنو له ... من أرض اسحاق الى الجاثليق

صفت على بابك تيجانها ... وهى سماطان بكل طريق

حضرتك العليا لهم قبلة ... قمت بها أمام كل فريق

وقام سيفك خطيباً لهم ... فأهطعوا من كل فج عميق

لواؤك المنصور مهما سما ... يلقاك وجه الفتح وهو طليق

حنت لكم أرض الحجاز كما ... أن العراق فى هواكم عريق

دمت عزيز الأمر فى غلظة ... على العدا بكل عضب رقيق

تجلو على الكفر كؤوس ردا ... من سكرها المثقل لا يستفيق.

ومن المولديات أيضا والتي قالها الفشتالي ومدح فيها المنصور ما ذكره صاحب الروضة وهذا مطلع القصيدة[527] :

زفرات حبك قد صدعن فؤادى ... وطيور شوقك قد صدحن بوادي

وشهود صدقي فيك وهي مدامعي ... خطت خطوطاً في الخدود بوادي

تسن في ميدان خدي حمرها ... فكأنها في الجري خيل طراد

والعين تنهر من شؤوني سائلا ... غدقاً وما نقعت غليل الصادي

ومنها في مدح السلطان:

فهم أماتوا حاتماً فـــي طيـــــىء	وهم أماتوا الدهـــر كعب ايـــــاد
وهم الحيا من قبل أن يحيـا الحيـــا	وعهـــاد مزن قبل مـــزن عهـــاد
قد جدد المنصور ما قد أسســـــوا	من كل مكرمـــــة وكـــل أيـــاد
وبنــا بنـــاء زائداً أربــــا عـــلى	ما كان شاد غطارف الأجـــــداد
ان كان أهل البيت أعمـــدة الـورا	فهو لاهل البيت خـيــــــر عماد

وهذا ما استطعنا نقله من القصائد المولدية والتي تمدح النبي محمد وفي آخرها مدح للسلطان أحمد المنصور الذهبي، وما زالت هناك قصائد عديدة في نفس الغرض تركناها خشية الإطالة ومن أراد الإطلاع عليها فهي موثقة في كتاب روضة الآس، فقد تركنا ثلاث قصائد للشاعر الفشتالي لم نذكرها وقصيدة للحسن بن أحمد المسفيوي وقصيدتين لابن القاضي وقصيدة لعبد الواحد الحسني. أما بخصوص كتاب مناهل الصفا فقد تركنا قصيدة مولدية لعبد الواحد الحسني وقصيدة لعلي بن منصور الشيظمي وقصيدة لعبد العزيز الفشتالي وقصيدة لمحمد بن علي الفشتالي وقصيدة للحسن بن أحمد المسفيوي. أما بخصوص كتاب الإستقصا فقد تركنا قصيدة مولدية لأبي القاسم بن علي الشاطبي وقصيدة لعبد الواحد بن أحمد الشريف الفيلالي وقصيدة لعلي بن منصور الشيظمي. هذا فيما يخص باب المولديات.

ومما ذكره العلامة أحمد بن محمد المقري التلمساني في كتابه الروضة، قوله في شاعرنا الفشتالي[528] :

{ومما قاله حفظه الله رياسته في غرض هناء أمير المومنين نصره الله بمقدم فاتح السودان جؤذر باشا أحد فتيان الخليفة نصره الله بذي القعدة من عام 1007:

علم انتصابك للعلا متمكن ... والفتح من حركاته متعين
والصعب طوعك فهو سهل كله ... والأشد عندك فهو أسلس ألين
فاذا تصمم كان عزمك ماضياً ... ما ان يرد سهام رأيك جوشن
هذى ممالك قادها لك عنوة ... وهى الشموس الشموس فتح بين
يسمو بها لك جؤذر بل ضيغم ... بدم الأعادى منه يدما البرثن
أرض غدت أم البلاد لأنها ... . أجمع محصن
ملكت مقاد الأرض كفك باسمها ... فملوكها لك أعبد تتطامن
من لم يدن لك بالخضوع حرمته ... فيبوء مضطراً اليك ويذعن
ان العباد كفلتهم فكفالكم ... أرزاق هذا الخلق منها المعدن
وافتك منه هضاب تبر أوقرت ... ظهر المطى به سفائن تشحن
وتراكمت أثقال كل ذخيرة ... غص الفضاء بها وضاق المعطن

وتسايلت لكم الأباطح بالتى ... منها استعار قوامهن الأغصن
من كل مسكية الأديم فجسمها ... خلعت عليه سوادهن الأعين
وصواهل يسمو الصهيل بها الى ... نسل الوجيه وعتقها المتبين
يمرحن من تيه فمن أجم القنا ... ومتونها لكل معقل متحصن
صقل الصبا أعرافهن ومسحت ... منها المتون من البوارق ألسن
هن الجياد قد اتعلت أجيادها ... صعداً لها ذات الذوائب أرسن
لم تدخر أرض الجنوب ذخيرة ... عنكم ، وما كانت لغيرك تذعن
أهدت اليك غرائباً يقتادها ... فيل يهول وآلة تستحسن
وأتتك أبناء الملوك ممالكاً ... قامت ببابك وهى دجن أدكن
من كل حامى النجار ، وبعضهم ... يسمو لتبع منه جد أمتن
سكنوا بعنوة عزمهم فاستنزلوا ... بالسيف سيفك ذى الفقار فأذعنوا
شغفت بملكك كل أرض فاغتدت ... يهوى بها عدل اليك ومأمن
فكأن بمصر وأرضها لك أهطعت ... فيقودها سعد لكم وتيمن
فتح أتاك يقود حسناً بعده ... فتح يؤمك بالتى هى أحسن
أو ما تراها بالصعيد تيممت ... والى المشول بشط نيلك تركن
قد طالما استسقت ليسقى محاها ... سلسال عدلك فهو محل مزمن
لتفوز بالملك العزيز وتغتدى ... بظباك قاهرة المعز فتحصن
قل للملوك تأهبوا هذا الذى ... فتح البلاد لعهده متحين

وقال أيضا يمدح السلطان أحمد المنصور السعدي ويستمنحه مالا[529] :

امام الأرض منصور اللواء … وفتاح البلاد على الولاء
اليك رفعت بالتأميل صوتي … لكي تبني على فتح ندائي
وأسندت الرجاء اليك كيما … أحدث في السماحة عن عطاء
وأرويها مسلسلة أحاكي … بها النعمان عن ماء السماء
فمن طين الندا سواك ربي … وصاغ كريم وجهك من حياء
فلا تسخو طباعي في سواكم … بوشي من مديح أو ثناء
ولا ألوى على أحد وأنوى … الا لله ثم لكم دعائي
فأنتم عند محل الأرض غيثي … وعند الفقر ان يلمم غنائي
ولائي بالكتابة لي شفيع … فدونكم عبيداً بالولاء
أصون مياه وجهي عن سواكم … تراق لو أنه بدر السماء
لأني للعزيز له مضاف … وللملك العزيز بك اعتزائي

ومما صدر عن الفشتالي ليكتب في المصرية - منزل صغير يبنى فوق بناء سفلي - المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور[530] :

باكر لدى من السرور كؤوسا … وارض النديم أهلة وشموسا
واعرج الى غرفي المنيف سماؤها … تلق الفراقد في حماي جلوسا
واذا طلعت بأوجها قمر العلا … لا ترتضي غير النجوم جليسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت … مني على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما … ورداً تخير من بديعي خيسا
ملك أرا كل الملوك ممالكا … لعلاه ، والدنيا عليه حبيسا
دامت وفود السعد وهي عواكف … تصل المقيل لدى والتعريسا
وهناك يا شرف الخلافة دولة … تلقى برايتها طلائع عيسى !

ومما قاله الفشتالي كذلك قوله مما كتب في خنجر السلطان المنصور[531] :

فكم فخار وكم عـز ظفـرت بـــــه   فصـرت من أجل ذا أعزا الى الكـــــم

فاعجب لكف امـــام جمعت أبـــــدا   منى لهيب لظـا لمعظـــم اليـــــم

وله قصيدة اخترعها لتكتب في بعض ستور المنصور أو تنقش في جدراته[532] :

ما طراز الربا بأيدى الحســــاب   واعتــلال النسيـم بين الهضـــاب

واحتفـال الـريـاض بالنور لمــــا   رفـع القطـر عنـه ثـوب السكــاب

وكعـاب تصمـى اذا لاح منـهــــا   بدر وجـه مستــر بنقـــــاب

وحبـاب كالأنجـم الـزهـر يعلـــو   قـرقفـــاً لونهـــا كلـــون الشهاب

خلـــع المـــزج ثـوب تبـر عليهـا   عندمـا قـد أبـان بـرد التهــــاب

بمثيـر الغـرام مثلـى اذا مـــــا   جـال طرف بسـاحتـــى وجنـــابى

ان تـأملت رونقـى وابتهاجــــــى   تتعـرف حقيقتـى وانتســـابـــى

وارث المجـد مـن على ومن قـــد   صير الكفـــر للـردا والتبـــــاب

مـا تغـالت نفـائس الحمـــــد الا   رامهـا حتـى نـال شهـداً بصـــاب

لوتصـورت سؤدداً نـاطقـاًقـــــا   ل انسـابى لغيـرهـم كالسـراب

مـا مـديحــــى وان تطـــاول الا   قطـرة شـاركت غـزيـر الحســاب

همـة المنصـــور الامــام الـــذى لا   ينثنــى عـزمــه لغيـر صـــواب

همـــة تجعـــل الفراقـد نعـــــلا   وتريـك السهـــا بوجـه التـــراب

دام فـــى مقـعـد من العـز يـــروى   من أمانيـــه كل فصـــل وبـــاب

ومما قاله الكاتب البارع الحسن بن أحمد المسفيوي مهنئا المنصور في فتحه لتيكورارين السودان[533] :

تجلى بسعد الجد مقتبل النصر ... كذا غاية العليا كذا غاية الفخر ★
فمن همم أضحى الثريا لها الثرى ... ومن عسكر يقتاده رائد النصر
فقام ملوك الارض من سطواته ... مقام بغات الطير من مخلب الصقر
فهم شاخصوا الابصار نحو جلاله ... يخرون للأذقان تحت يد القهر
فمن لم ينله بيلق من كماته ... أحل له من فيلق الدعر
فما دون أن يعطوا الانابة منزل ... لهم غير بطن الوحش أو قشع الطير
وتركهم صرعى بكل تنوفه سكارى ... بكاسات المنية لا الخمر
فكم سربل الابطال فيحومةالوغى ... مجاسد من نسخ المثقفة السمر
فناحت عليهم كل غبراء طفله ... تفيض عليهم واكف الادمع الحمر
كما فل غرب الروم سيف انتقامه ... وطاف عليهم طائف القتل والاسر
فهل خاب سعى السودا وفال رأيها ... وها قاومت فيزعمها عاصف القسر
رعوا حقبة مرعى الممنون واغفلوا عواقب ما يأتى به طارق الدهر

ومنها:

كذا خلق مهدية علوية توارثها ... الغر الكرام عن الغر
تقربك المهدى عينا وقبله الوصي بما اعقبت من طيب الذكر
بمن لو رمى صفين يوم جلاده ... لحلت بجيش الشام فاقرة الظهر
ليهنه ملك الارض موطوءة له ... سينتظم السوس القصى الى النهر
فما دون درب الشام الا التفاتة ... وما دون بغداد العراق سوى فتر
فان حاول الاعداء منه اعتصامها ... يبعد فقد راموا المحال من الامر
فلو انهم حلوا السماكين منزلا ... لبات الردىمنخلفهم دائبا يسرى★
ولو نازل البحر المحيط بعزمه ... لعادت يبابا حينها لجج البحر
عرك خير المسلمين ورثته ... فناهيك من ارث وناهيك من نجر
فلا زلت منصور اللواء مظفرا ... ودامت بك الايام واضحة البشر
فلا نعمة الا ومنك منالها ... ولا عرف الامن ندى كفكم يجرى

وقال الفقيه النبيه أحمد بن القاضي المكناسي من قصيدة في نفس المناسبة -فتح السودان- ومطلعها[534] :

بشراك بالنصر المتين المتاح قطفته بين القنا والصفاح

قد دوخ الارض واقطارها وعم بالصيت بسط البطاح

ومنها :

فليهنك النصر الذى حزته دون الملوك فى مغانى الكفاح

واسعد فقد دانت ملوك الورى لما رأت فى الانقياد النجاح

للملك المنصور طود العلى واسطة العقد وبحر السماح

رجب بلاد السود من جنده فافتتحت بالسيف اى افتتاح

ومنها فى تاريخ الفتح المبارك

فتح مبين هو تاريخه ينمو على الارض مديد النجاح *

وقال قصيدة أخرى في ذلك؛ وهي[535] :

حمداً من المسك المفتق أعطر عن غرة النصر المبارك يسفر

يا أيها المنصور أبشر بالمنى النصر حقاً من لوائك ينشر

عقدت يمين النصر منكم سنجقاً فبذاك أهل الأرض طراً تقهر

هكذا كذا فتح البلاد اذا سمت همم الملوك الى المآثر يذكر

جند رمت نحو الجنوب خيامها فارتح مصر والعراق وزنرر

قطعت رؤوس المعتدين سيوفهم من ما ت منهم فى الحـ . . ا . . ر يقبر

قادوا من الأبطال كل غضنفر أسد هصور فى الكريهة أكشر

ملئت بهم عين الزمان وقلبه واسود وجه الكفر فهو الأغبر

أيها الجنوب فان جندك لم يدع شخصاً بها ينوى الشقاق فيعذر

أجليتهم منها وجسمك قد ثوا مراكشاً ، هذا لعمرك أكبر

تركوا لك الأوطان دون منازع تالله ان الترك موت أحمر

لا زلت بالسيف المهند بانياً شرفاً به نحن الموالى نفخر !

وقال الفقيه الأصيل القائد أبي الحسن علي بن منصور الشيظمي من قصيدة مطلعها[536] :

وافى كما طلع الا صباح تأييد   لكن سرى ليله مع ذاك محمود
وكيف لا وهو في مسراه سار على هدى لأحمد لا يعدو تسديد
ملك شفا الدين من ادوائه   وكفى داء من الجوف فيه الكفر معبود

وقال الكاتب البارع أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي في نفس المناسبة[537] :

بشرى تزف من الزمن المقبل   لمنصة الجذل الذى لم يرحل
خطت يد السعد بمهرق يمنها   مهرابه منن الامام الاعدل
المالك المنصور من في سعده   لو شاء طاعن رامح بالاعزل
ذي همة منها مضاء السيف أو منها استعير صلابة للجندل
ومن الى استكبار كل عظيمة وهولها العذل ابن معذل
النجل فاطمة وكل مفاخر فهو يفاخر ذركم بالخردل
وابن الغطارفة الالى يتازرون من الثناء بالرداء المسبل
قوم اذا لبسوا الحديد الى العدا لا يسالون عن السواد المقبل
يصبون للحرب الزبون كما صبا   الضليل في يوم بدارة جلجل
قرعت طنابيب السواد بجحفل   جهزتموه في سحاب القسطل
فرماهم بصواهل ونواهل   وصواعق عن فعلها لا تسال
لولا ضياء المشرفية والقنا المجد ضل به بليل اليل
خطبت سيوفك في منابرها مهم خطبا تذيقهم نقيع الحنظل
بزت بني حام ثياب الابنوس اذ كستهم من ثياب الصندل
فولت الادبار مثل خنادس يزيحها نور الصباح المتجلى
من عثيم رمدت بعثير بعضه   عين الغزالة في الرعيل الاول
لولا المواقيت التي قد قدرت   ما طنت على الاقطار دورة مغزل
قولوا لملك السود اذ جمحت   به جهلا سوابق غيه في مجهل

ومما قاله بن علي الفشتالي أيضا مهنئا المنصور لما قفل من السفارة وهذا مطلع القصيدة[538] :

هذا اعتذاري في الصبابة لاح   لما تبدت طلعة كالصباح
يقدُّها قد يميس كما يميس   غصن بمروز الرياح

ومنها:

يفتدي بها - على خطر - من   بأس عزم الملك المستماح
رجا نسيئة ؛ لنسيانه   صوت المتأني بتواني النياح ؟
رأى الملوك والقوس وأقيال   الفروم وولاة السلاح
طاح على قرنهم بالمخازي   من المنصور وأبدى اجتياح
يا ابن الملوك والملوك لهم   عنهم قصور في ضروب التماح
هم أركبوا الملك النجوم ووشحوه   بالجوزاء أي اتشاح
من كل غطريف يباشر من   نار الحروب من شهامة اقتداح
كانت معالي الملك في صورة الحسناء   تحت ساتر ووضاح
تراقب الأكفاء حتى تراءت   فقالت : نعم كفئنا : النكاح
أمهرتها تسعين ألفا غدت   قتلى وأسرى في ثقال الجراح
بذات نفستها حرة - دأبها   رضى الإله مغتدى ومراح
ما زال سيفك يفاخر فيها الرمح   بالسبق لمثل الاحلاح
حتى تجلى عن غياهبها نصر   تلقاك بوجه وضاح
فأنت والفتح الهني تواصل اغتباق   أنسه باصطباح
هذي الفعال ، والأسود متى   صالت أرتنا بالصيال الصياح
كانت ترى الدهور وقدتنا   فتت فيك لفرط ارتياح

ومن موشحاته التي مدح بها المنصور[539] :

أخذوا عذري في طلعة كالصباح | في قضيب البان
قوس الحواجب وترها المزاح | قتال الهيمان

* * *

انظر إلى سيف العيون المراض | دون تحديد
زاد على فعل السيوف المواضي | حال توريد
للمبتلى مثلي بجفن البياض | ثم تسهيد

يا ليت شعري هل وصله بامتداح | يا بني زيدان
حضر الكتائب حمر القنى والصفاح | قاهري الصلبان

* * *

أهل المنن | بيت الملوك العظام | معشر النصر
بني الحسن | نجل الرسول التهامي | منبع الفخر
ملك الزمن | لأحمد بن الإمام | ملك العصر

* * *

لا زال يجرى ضرع المنى والنجاح | بيد السلوان
ما قائل قولا بفيض السماح | من يد السلطان

ومما قاله الحسن بن أحمد المسفيوي كذلك مخاطبا السلطان المنصور عند طلبه لتوقيع شريف[540] :

فكم علقت من أمل بدرج | تخط به سواداً في بياض
فخطك فيه أبها من سواد | يروق الطرف من حدق مراض

وفي مدح المنصور قال بعض المراكشيين[541] :

واختجلتا للصباح | والشمس إذ لاح جؤذر
ساق يدير الكؤوسا | تضيء خمراً وتزهر

تقادمت في الدنان | من عهد نوح تروّق
في لونها اليهرماني | تدار فينا وتعبق
قد أطلقت من عنان | من عن صبوح برقق

يسعى بها من ملاح | من كان باللحظ يسكر
بالحسن يصبي الجليسا | ويستخف الموقر

يثير كامن وجد | في قلب كل سقيم
يسطو علينا بقد | يزري بغصن قويم
أشقى بعشقي وودي | في جنة ونعيم

من ذي الوجوه الصباح | يا شادناً غن واذكر
وهات لحناً نفيسا | نرويه عنك ونأثر

في مدح من ساد طفلا | هذي البرايا وفاقا
من حاز مجداً وفضلا | بين الأنام وفاقا
في عدله قال قولا | يسري فيعدو العراقا

في أحمدِ ذي السماحِ في الشرقِ والغرب يُنصَر
أحيا الهدى والنفوسا وذلَّ ملَّةَ قيصر

تراه سلماً وحربا من رأيه في جنوده
يختالُ لم يبغِ عُجبا مِنْ عزّه في بروده
يهوى المعاليَ كسبا ويقتنيها بجوده

فخار أهل البطاحِ وعزّ من قد تمصّرْ
ثناهُ يملا الطروسا عن صورة المجدِ عبّرْ

ملكٌ بنى في البديعِ منازلاً كالدراري
فيا لهُ من صنيعِ الروض والماء جاري
فقُلْ بصوت رفيعِ إذ بانَ فجرُ النّهارِ

أهدى نسيمُ الصباحِ مسكاً شَميماً وعنبر
وجيء بها خندريسا من خدّ ساقيهِ تُعصر

وللإشارة فإن البيتين الأخيرين من هذه الموشحة هما لابن سهل الأندلسي وهما مطلع صنعة ننشدها في موسيقى الآلة وهي من قائم ونصف نوبة العشاق العجيبة ولربما شاعرنا المراكشي عارض في موشحته المذكورة تلك التي لابن سهل.

ومما ذكره الأديب البليغ عبد العزيز الفشتالي في كتابه مناهل الصفا قوله في المنصور[542] :

{دخل أمير المومنين في يوم الخميس منسلخ رجب أو مهل شعبان عام ستة وتسعين فوافق دخوله ورود رأس الشقي ابن قرقوش الثائر كان ببلاد الهبط

حسبما قدمنا فعظم سرور أمير المومنين بما أنفق له من ذلك وجاشت فكرتي حينئذ بأبيات صنعتها في معنى التهنئة فقلت:

انل فبكل كف منك ومر   فالدهر يفعل ما تقول

اطاعك فى عراك بكل ارض   لتعلم انه عبد مشيل

ومن يكن القضاء لديه جندا   تصان عن الدماء له النصول

ومن تنوى ولو عنقاء جوف   فسيفك ذو الفقار به كفيل

ومن سئم الحياة يسم نفاقا   يعاجله لكم أجل عجول

واشقى الناس من يعصى اماما   ولياه على والرسول

اذا زار استكان الاسد رعبا   وترهب منه ان هدر الفحول

بنى الهدى انتم للبرايا شموس   لا يعارضها أفول

وأقرب ما لكم فى ملك الى   عيسى بن مريم لا يزول

ومما جاء به كذلك في كتابه ذكره لبعض الأبيات من قصائد كان قد رفعها بعض الشعراء للسلطان أحمد المنصور الذهبي وهذا قوله : {...وكان ممن رفع إليه همته في ذلك صاحبنا وبلدينا الكاتب البارع أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي ببيتين زجر له منهما الفال بأنه يستولي على سبتة وينقاد له ما ورائها فاهتز لهما وحسن لديه موقعهما وهما:

هذه سبته تزف عروسا نحو ناديك فى شباب وشيب

وهى بشرى وأنت كفء اللواتى كلفت بعدها بفتح قريب

ورفع إليه ابن السائح من طلبة فاس قصيدة مطلعها:

اعرف الزهر ساح من الكمائم   أم البشرى أتتنا بالغنائم

ومما ذكره كذلك الفشتالي في تهنئة السلطان أحمد المنصور السعدي عندما فتح ثغر أصيلة عام 997 هـ وخلصه من قبضة الاحتلال الأجنبي، هذه القصيدة[543] :

بكر الفتوح لكم تهلل بشرها وافتر عن شنب المسرة ثغرها

وعقيلة الامصار وهي أصيلة انت العزيز أطاعك مصرها

وافى بها الفتح المبين يزفها لكم وليس سوى قبولك مهرها

شغفت ببدرك واستباك حنينها فتجمعت بكما حنين وبدرها

كانت ليالي الكفر بها فيها دملا وبعصرك الاقوى تبين فجرها

خضعت لكم بخضوعها الدنيا وقد لباك من بطحاء مكة صخرها

أوطىء جيوشك أرض أندلس فقد نذرت تطيعك كي يوفى نذرها

واحصد رءوس المشركين بها فقد ءان الحصاد لها وارطب بسرها

واملك جميع الارض وهن وارثة اليكم بالفتح يسند أمرها

وفي نفس المناسبة قال الفقيه أحمد بن القاضي مخاطبا السلطان المنصور السعدي[544] :

يا أيها المنصور ابشر بالعلا الله بلغ في العدا المأمولا

أنضاكم سيفاً لحتف عداته وبكم غدا سيف الردا مفلولا

وهزمتم الشرك المتين بعزمكم من غيرما سيف يرا مسلولا

وأذبتم كبد الخبيث مهابة وفتحتم آرامه آصيلا

وغدت من الناقوس صفراً بلقعاً يتلا بها فرقاننا ترتيلا

أبشر لواء الفتح معقود لكم فاشكر الاهك بكرة وأصيلا

أكرم به من مالك بل صالح أضحا لنيران العداة خليلا

لازال في أنف الهدا شمساً وفي عين العلاء يشاكل التكحيلا

وعندما عزم المنصور على الزحف بعساكره لصد خروج الناصر، قال الشاعر عبد العزيز الفشتالي[545] :

مغالب أمر الله لاشـك مغلـوب	وباغي استلاب ما تملكت مسلوب
ومن تنوه بالحرب من أجل بغيه	فعنك بأجناد المقاديـر محـروب
فلا تكترث بما يلـم فقد طـوى	لك الله في المكروه ما هو محبوب
عدوك كان البحر يلقـاك دونـه	فأملا كي تغتاله وهـو مجنـوب
تبرم من ذل الصليـب كان بـه	يرى وهو فوق الجدع في الجو مصلوب
تجرع من أيدي النوائب صابهـا	فان رام تصعيدا أتي وهو تصويب
يرى لك فضلا في اراحة نفسـه	ففي الموت للمحروم سهل وترحيب

وفي شجاعة وصبر المنصور وقوة جأشه في وقيعة اساطس قال الشاعر أبي الحسن علي بن منصور الشيظمي[546] :

أثخنتهم يوم وجل المـا فلم يجـدوا	من بأسـه نفقـا ينجـي ولا سببـا
لله اقـدامـه المشهور حيـن سطا	بهم وقد رجموا من ساطس شغبـا
وهال هول بغاة في الكد اصعـدت	اذ أرسل الجو من احجارهم سحبا
والجيش قد جاش وارتجت جوانبه	وهاله الخطب وشط الشعب فاضطربا
ثم تقـدم كالليث الهـزبـر وقـد	هاجـت حفيظتـه وأرعـدت غضبـا
فرد فردا صروف الدهـر مرغمـة	لحين ما صرفت انيابهـا نـوبـا

وفي مدح المنصور السعدي كذلك، له هذه القصيدة والتي كان قد نظمها على منوال قصيدته –السلطان أحمد المنصور- والتي مطلعها (تبدى وزند الشوق يقدحه النوى انفاسي لظاه وتضرم) وهذه أبيات منها[547]:

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة يميد بها أملود بان مقوم

غزال على الاقدام جرأه التوا بقلب جريء للهوى فيه معلم

يصول فيرضي الضد وهو مصمم وتثني المها منه العنان فيحجم

امام على كل الكمال قد احتوى فلا فضل الا وهو فيه متمم

لئن شغف الآرام حباً فقد سبا فواد المعالي وهو في الغيب مكتم

وشاق كذا بكر الخلافة فارتمت عليه جهاراً والمعاطس رغم

فعانقها بين الصوارم والقنا وكانت شهوداً والصداق التقدم

وحلا لها جيداً وساقاً ومعصماً بنصر عزيز يزدهيها ويعصم

تخطت اليه الخاطبين ولم تكن لتعدل بالمنصور والله يعلم

ومما خاطب به الشاعر عبد العزيز الفشتالي السلطان أحمد المنصور،هذه القصيدة[548] :

يا اماما شاد مجدا أقعسا وعلى هام الثريا عرسا

ما لريقي لم يجد بطحاءه عارض من راحتيك انبجسا

أمطر الخلق تخوتا وكسى مطرا جودا وعندى احتبسا

أفلا عبدك عبد جاءك من ثناه لعلاكم سندسا

فاذا ما اختال غيرى في ملا قد كسته الفخر ابهى ملبسا

فلدى المنصور ارجو نائلا يثقل الظهر ويثنى الارؤسا

وقال فيه[549] :

ان وجها يضيء بالعرفان ... نعمة قد زكت من الرحمان

نحمد الله اذ ارانا كمالا ... فيه عز للعلم من سلطان

دام في عزة وفاخر شأن ... وبعقباه نيل اعلى الجنان

وقوله متشرفا بالإقبال وداعيا بازدياد دولته وصولته وتمكنه في أرضه وبلاده، وهذه القصيدة[550] :

اجزت لمن تفضل واستجار ... او بادر لاقتنا خيرا وحازا

وبرز في سلوك العلم حالا ... به من فضل مولاه يجازى

امام كامل عون البرايا ... امير المومنين حوى مجازا

وذلك بعد تشريفي بامر ... وقصد للاجازة واستجازا

فبادرت امتثالا قدر وسعي ... ومقتفيا مناهج من اجازا

وقد ابديت حقا لا مجازا ... لما صار الامام به مجازا

بفاتحة وسنة خير هدى ... وسلسلة لمن حاز امتيازا

بدار الهجرة العليا امام ... بما ابداه من فضل مجازا *

وارجو منه يبذل لي دعاء ... بما ارجوه من خير مجازا

بخاتمة تبلغني مراما ... بجنات اراها لي مفازا

واشياخي تبلغهم رضاء ... ويوصلهم الى خير مجازا

وهذا الفقيه إمام الدين الخليلي الخزرجي الشافعي الأشعري والذي كان قد ورد على أبواب المنصور من البلاد المشرقية، وعند الوداع أنشد من نظمه بين يدي السلطان المنصور الذهبي هذه الأبيات[551] :

اسير عنك ولى فى كل جارحة — فم يحدث عن احسانكم عجبا
لا نلت قصدى اذا ما كان فى أملى — أكون فى خدمة المنصور ان رغبا
فان رضى بى فيا فخرى ويا شرفى — وان ابى الملك المنصور واحربا

فوقع له –المنصور-: رغبناك وأردناك ورضيناك. وله من قصيدة في مدحه أيضا، منها هذه الأبيات[552] :

جست الأراضى واختبرت ملوكها — ولقيت من فيها من الأمجاد
ما شاهدت عيناى مثلك فى الورا — تتبين الأشياء بالأضداد
بل جودكم عم الأنام وقدركم — أربا على المامون فى بغداد

وفي مدح المنصور قال العلامة أحمد بن القاضي المكناسي، هذه القصيدة وهذا مطلعها[553] :

فرع النبوءة أصل كل كريمة — يروى السيادة أشرفا عن أشرف
عضب حسام ماله من صيقل — غير المعالى للمعالم يصطفى
ما ان يساجل فى العلا تلك الحلا — ملك تمنع بالجناب الأكنف
كم أضحك الخيرات وسط يمينه — وأسال عبرة كل سيف مرهفُ
ليث الشرا غيث الورا لكنه — من نسل أحمد فضله لم يختف
ألمم به تلف البرية كلها — فى ذاته والعدل فى أسد وفى
تلفيه الا فى المحامد معرضاً — ولماله فى حكمه لم ينصف

مجد بخد الفرقدين نعـالـه	مصباح ذهنه نوره لـم ينطـف
من معشـر للمعتفـين زواخـر	فاذكر حلاهـم فى الأنـام وشنف
طفل اذا جاشت عليـه مـلاحـم	كهـل المحـافل قـوة المستضعف
بحر المكارم أصلهـا المنصور مـن	نادا به فى المعضلات لقد كفـى
ناديته بمصيبتـى فكأنـه	لشفائهـا أم الكتـاب لمشتـف
أخرجتنـى من ضيـق أسر نالنـى	ومنحتنى اسماع آى المصحـف
اذ كنت أسحب للحديد خـلاخـلا	وسلا سلا أغلالهـا لـم تـوصـف
لا زلت تكشف كـرب كـل مولـه	ما أصحب المحـزون باللطف الخفى

وفي مدحه أيضا قال[554] :

الملك أصبـح ثـابت الآسـاس	بابـن النبـى الطـاهر الأنفـاس
المالك المنـصور منصور اللـوا	مـن سـاد فـى الأنـواع والأجنـاس
الطاهـر ابـن الطاهـر ابن الطـاهر	ابن الطاهر المولى أبـو العبـاس
ابن الامـام محمد مهـدى الـورا	ابـن الامـام الـقائـم الآسـاس
يـروى أحـاديث العـلا عـن مـرسل	طهـرت خلائـقـه مـن الأدنـاس
صلى عليه الله مـا طلعـت ذكـا	وجـرت بـأفلاك لنفـع النـاس
فـرع نمـا فى دوحـة عـلـويـة	فـزكـا شـذا من عودهـا الميـاس
وألانـه ريـح النبـوة فـانـثـنـا	يهتـز مـن شرف عـلى الأفـراس
مـن معشـر ردوا الخطـوب اذا طمت	وبـهـم ليـالـى البـؤس كالأعراس
الخـالطيـن غنيهـم بفـقـيـرهـم	حتـى فقيرهـم غـدا ذا بـاس
مـاذا عليك اذا نـزلت بـحـيـهـم	أمنت من فقـر ومـن افـلاس

وفي محنة العلامة المذكور –أحمد بن القاضي المكناسي- قوله مكاتبا السلطان المنصور بأبيات وهي[555] :

تجلت عن العانـى الأسير المكبـــل ... هموم سرت فى الجسم فى كل مفصل

بذكر الامام الهاشمى الذى سمـــا ... بسيمة خير الخلـق فى كل محفـــل

امـام الـعـلا المنصور فخـر أئـمـة ... به قد تحـلا كل جيد معطـــــــل

به راق وجه الأرض وافتر ثغـــــره ... وحلـى جيد منه بـالدر والحـلـــى

امام همام همه طـــول همـــــــة ... ظبا ماله غيـــر المعالى بصيقـــل

فكم تضحك الخيرات فى بطن كفـــه ... ويبكـى دماء كل رمـــح ومنصـــل

وكم جاوز الغايات حتى لـــو أنـــه ... أراد الثريا أمهـا فى التنــــــزل

فغر الليالى من سنـــاه توقـــــدت ... ضياء بنور للخـــلافة مشعــــل

ومنها:

زكى زهى للسمـــــاح سمـــــاؤه ... جناح لنسـر النصر فى كل جحفل

امام الهدا بحر الندا قسور الـــردا ... الى المعتفى والفـــاجر المتضلـــل

بحق الذى أولاك ملكـــاً فنجنـــى ... من الملك ياقصد الأسير المكبـــل

وكن يا امام العدل فى عون حائـــر ... أسير كبير فى جناح مذلــــــــل

لقد قرفت أيدى الزمان وريــــده ... ودارت عليه الدائرات كجلجـــل

وأخنا عليه الدهر من كل وجهـــة ... وداست عليه النائبات بأرجـــــل

فعافاك رب العرش يا مالك العــــلا ... ودمت اماماً فى عـلاء مـزمـــل

ولا زلت حج المعتفيـــن وكعبـــة ... مطافـاً لأهل الفضـــل فى كل محفل

وفي مدح المنصور كذلك قال الفقيه أحمد بن القاضي المذكور بين يديه هذه القصيدة الطويلة والتي مطلعها[556] :

مـن العقيق عقيق العين هـتـان	سـل عنـه سلعاً فما يغنيك نعمان
كـأنـه عندم أوعـن دم قـد جـرا	مـاء المحاجـر اذ تجريـه أجـفـان
أظـل والحزن كـاس كاسر عـسـر	والقلـب منيتـه الـوعسا وعسفـان
والحسم فـي تلف والقلب فـي كلف	والنفسه فـي سـرف والقلب حـيران
لـم يولـم الطرف ان سحت سحـائبه	ولا الـفـؤاد اذا حـلـتـه أحـزان
من وحـد نجد وحزوا والقد يـد ومن	تـهـامـة والـى اللـحـى جـيران

ومن موشحات الفقيه أحمد بن القاضي التي ذكر فيها المنصور، قوله في مطلع هذه الموشحة [557] :

لاهتزاز البـان وقـت السحـر	هـامـت الأرواح
وقيـان الطيـر فـوق الشجـر	تـجلـب الأفـراح

ومنها في مدح النبي ومدح السلطان:

لا تلـم يـا عاذلـى فى حب مـن	فـاق بـدر الـداج
حبـه وسـط الفـؤاد قـد كمن	مـن سنـا وهـاج
مـا بصـدرى من هـواه مؤتمـن	صاحب المعـراج

* * *

دوحـة المجـد سمت مـن مضر	عـرفـه فـواح
مصطفـا من قـد دعـا للحجـر	فغـدا صيـاح

* * *

يا رســـول الله غـــوث ومـــــدد | يـا منيـــع الجـــار
أنت والله الكريـــم المعـتـمـــد | لنـــزيـح الــــدار
كن شفيعـى يا نبيــاً لا يـــــرد | انــك المختـــــار

* * *

بابنك « المنصور » فـرج غيـــرى | ذى السنا الوضـــاح
طـــاهر الأحســاب بـــاب الظفـــر | للغنــــا مفتـــــاح

ومما قاله صاحب الروضة مخبرا عن الأديب محمد الوجدي الغماد[558] :

{وقال وقد سأله أحد المسمعين بين يدي مولانا أمير المومنين المنصور أيده الله أن يخترع له ما يليق بالمقام السلطاني في غرض الهناء:

السعد أقبل والأيـام دانـيــــــة | واليمن أسفر عن وضاحـه الـحـسن
فالآن أنشد اذ طاب المقـام لـكــم | هنئت بالملك والأحباب والـوطــن

وقال الغماد أيضا على لسان المسمع المذكور وقد استحسنه المنصور:

اذا يمـم الحـــادى بديعك أوحـــدا | غدوت على حـكـــم الهوا فيك أوحدا
وان غردت فى دوحها الورق بالـحمـا | حكيت بسجعى فى مديحك معبـــــدا

...}

وفي مدح المنصور بمناسبة فتح السودان قال العلامة المتفنن أبو القاسم الوزير الغساني[559] :

هنيئـاً لك المنصور دانت لك الدنـا | وذلت لك الأمـــلاك ذل النـــرهـب
فضضت ختامـاً لـم يفض لسابـــق | بفتـح الـزنوج والكتــاب المعـــرب

وللأديب الغساني المذكور موشحات كثيرة في السلطان المنصور بالله، فمن ذلك قوله[560] :

راقــى الهيــام المدنــف الصــب مــن غيــر عتــب
يا بــدر يا جــؤذر عــلى عــطــفــا
كعطفــة المنصــور يومــاً رأى الــزحفــا
الهاشمــى المبرور الفــاطمــى عرفــا
حــامــى الأنــام يوم الــوغــا الصعب من غيــر تــعــب
عــالم يقظــان ذو الفهــم والدرس
قــامــع الطغيــان ذو الفضــل والبــأس
فــذاك يــا سلطــان أجــلا مــن الشمس
مــاضى الحســام ذو الصارم العضــب مــن غــير عيــب
بحــر بــلا ساحــل ليس لــه حــد
وجــودك الواصــل لكــل مــن يبــدو
صدقت يــا قــائــل ليس لــه نــد
ســامــى المــرام ذى المورد العــذب مــن غيــر ريــب

ومما أُنشد به المنصور عندما أتاه البشير بخبر قتل الناصر ابن أخيه أبي محمد عبد الله بن الشيخ والذي كان قد ثار ببعض النواحي، قول الفقيه أحمد بن القاضي المكناسي ارتجالا[561] :

هنيئــا فــى الصبــاح وفى المساء　　بنصر جــاء يــوم الأربعـــاء

ببشرا أفعمــت قلبــى ســرورا　　وان ذاب الفــؤاد مــن العنـــاء

فدم ملكاً وصل بالله والبـــس　　ثيــاب العــز يا عيــن السنــاء

وعــز الله جــاءك فــى جيــوش　　مــن الأمــلاك مــن أفــق السمــاء

ومــنــهــا :

فــلا زال الســرور لكــم رفيقــا　　ولا زالت سعــودك فــى ارتقــاء

ومما قاله الكاتب أبو عبد الله بن عمر الجراري في نفس اليوم وفي نفس الغرض قوله:

بشراك جاء الهنا والنصر والظفــر　　وساعدت قصــدك الأيــام والقــدر

وخاب سعى الذى رام الوصول الــى　　ملــك له العــالم العلــوى ينتصــر

وكيف يطمع في الملك الذى رضيت　　به الملائك والأحجــار والشجــر

من استظل بظـــل الكفــر وانتصرت　　لــه الشيــاطيــن فاغتــرت بــه الحمر

تعســاً لـــه من غــوى خــاب مقصده　　وخانـــه الثقتــان : السمــع والبصر

بقيت تحمـــى ذمـــاراً للحنفيــة ما　　تعــاقب النيــران : الشمس والقمــر

وفي نفس المناسبة قال الكاتب محمد بن عمر الشاوي[562] :

تهنّـا امير المؤمنين فقــد جرت　　لسطوتك الاقدار جرى السوابق

اضاءت بك الايّام واحلولكت على　　عدوّك وارتجّت رءوس الشواهق

وذاك الذي قــد خيّب الله سعده　　تردّى فلم تنفعــه نصرة مــارق

فكان كما قد قيــل لاكنّ راســه　　اتي سابقاً والرجل ليست بسابق

ومما ذكره صاحب نزهة الحادي المؤرخ محمد الصغير اليفراني في مدح السلطان المنصور، قوله[563] :

روى ابو داوود ثمّ الحـــاكم	ما صحّ عن بعث المجدّد اعلم
براس كلّ ماية وابن الرسول	شرّط في الحديث فالغير يزول
ولم تر ابناً جدّد الدين سوى	امامنــا المنصور فالكفر ثوى
بخيلـه وناره احيـا العلـوم	واهلهـا وكتبها على العموم
في كلّ يوم جوده على الشريف	مع الاسير والفقيه والضعيف
امّا المســاجــد فكالجنّــات	حسناً وتدريساً على الساعات
ابقـاه ربّنـا لاحيـا الدين	في قـوّة وغـلـب مـتـين

ومما ذكره صاحب المنتقى المقصور الفقيه أحمد بن القاضي المكناسي، قوله في السلطان أحمد المنصور الذهبي[564] :

{...وقد أمر -أيده الله- بنسخة من البخاري عملت لخزانته العلمية، وقد ضمن قائده أبو الحسن الشيظمي تاريخها في بيت من أبيات فقال:

للـــــه منهـــــا درة قد بدت	في غايـة الاحكـــام والاحتفـــال
نسخـة من فاق الـــورى همـــة	وخصهُ الله بارث المعـــــــال
واكــتسب المأثـــور فخـــرا به	والـــبس الـــرواة برد الجمـــال
للملك المــنصور محيــي الهــدى	ابـــن رسول الله وفـــر الكمـــال
جادت بها الأيـــــام في طالـــــع	افـــاد عين الديـــن أوفى اكتحـــال
متـــى تشا تاريـــخ اتحافــــه	بالملك قل : آل النبـــي خيـــر آل

...}

وفي المنصور ما قاله النابغة الهوزالي من قصيدة هذا مطلعها[565] :

هاجت لواعج الصبابة أدمعي ... لِبِلَى أحال عهود تلك الأربع
شُنَّتْ عليها للسحائب غارة ... صَرَعَتْ معالمهن أيَّ مُصَرَّع
لا تعجبوا مما تصبب من دم ... من مقلتي فصبيه من أضلعي
وأسائل الاطلال وهي جوامد ... وَأَرُمُّ رَجْعَ جواب من لم يسمع
عهدي به والأنس في عَرَصَاتها ... يجلو القلوب بكل روض مُمْرِع
وأوانسٌ يُمضين أحكام الهوى ... رغما على المتعبد المتورع

ومنها:

عصفت عليها للرشاد عواصف ... غادرن عرش الشرك اصفرَ بلقع
جالت عليها عصبة علوية ... وقعت باهل الشرك أفظع موقع
لم يال (بستيان) في استصراخه ... صُهْبَ الاعاجم من بلاد شُسَّع
فأتت بنو الاصفر مقتصابهم ... لحماية التثليث كل مهيع
فتجشموا البحر المحيط ومادروا ... بمحيط بحر من عوال شُرَّع
بحر أبي العباس عَبَّ عُبابُه ... بجنان ثَبْتٍ في الحروب مُشَيَّع
وكتائبٍ حفته منصوريةٍ ... تنقاد بالاسد الغِضابِ الجُوَّع
قد طال ما شهدوا الحروب وكافحت ... بهم الوقائع خل (كذا) كل مجمع
بعوازم وعواسل وصوارم ... لدجى النوائب والعجالة دُفَّع
قُدَّامَهَا سحبٌ حملن صواعقا ... حديث الى الشلك (كذا) الخصيب المرتع
متلوة بواعد انخت بها (كذا) ... للكفر قُنَاتِ الجبال الفُرَّع
لَقِمَتْ موارجَ من جحيم فاغتدت ... للروم ترجُمهم بشُهْبٍ سُطَّع
حتى اذا الجمعان عاين بعضهم ... بعضا وليس للردى من مَدْفَع
صبت على الكفار صبا عارضا ... هطِلا ولكن بالسموم النُّقَّع
فتركن عباد المسيح كأنهم ... أعجازُ نخل بالسيول مقلَّع

وللناظم أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأيسي المراكشي في مدح السلطان أحمد المنصور قصيدة مطلعها[566] :

حديثُ الركْبِ رَيْحانى ورَاحى   إلى ذكر الحِمَى سَكَنَ ارْتياحى

أدر لى من حديثِهِمُ كئوسًا   ففيها من شفا هذى الجراحِ

وأطنِبْ فى ادّكار عُهودِ ليلَى   تُعَاودُها المســاء مع الصباحِ

يحِنّ القلب إنْ ذُكِرتْ مغانٍ   كما حنّ الشّجَاعُ إلى الكفاحِ

سعيتَ لتبلغ الرّضوانَ منهَا   وقد وضح الصّدُودُ من الرماحِ

ومنها ختاما:

إذا اقترعَتْ بحضركم نِزَارٌ   فحظُّكمُ المعلّى من قِداحِ

وفي المنصور ما ذكره صاحب الإستقصا، حيث قال[567] :

{... وممن استجازه المنصور أيضا من علماء مصر: الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير ببدر الدين القرافي صاحب "ذيل الديباج" فأجازه إجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله:

أجزت لمن تفضل واستجازا   وبادر لاقتنا خير وحازا

وأبرز في سلوك العلم حالاً   به من فضل مولانا يجازى

إمام كامل غوث البرايا   أمير المؤمنين حوى مجازا

وذلك بعد تشريفي بأمر		وقصد للإجازة فاستجازا
فبادرت امتثالاً قدر وسعي		ومقتفياً مناهج من أجازا
وقد أبديت حقّاً لا محالا		بما صار الإمام به مجازا
بفاتحة وسنة خير هدى		وسلسلة لمن حاز امتيازا
بدار الهجرة العليا إمام		بما أبداه من فضل مجازا
وأرجو منه يهدي لي دعاء		لما أرجوه من خير مجازا
بخاتمة تبلغني مراماً		بجنات أراها لي مفازا
وأشياخي يبلغهم رضاء		ويواصلهم إلى خير يجازا

...}

ومما ذكره صاحب الإستقصا المؤرخ الشيخ أحمد بن خالد الناصري عن بعض سير السلطان أحمد المنصور، قوله[568] :

{...ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرقي فكان يكاتب به علماء المشرق كتابة كأحسن ما يوجد في خط المشارقة، ومما وقع له في ذلك: أنه بعث بطاقة بخط يده على طريقة أهل المشرق لكاتبه أبي عبد الله بن عيسى يستدعي منه كتابا، فبعثه ابن عيسى إليه وبعث معه بهذين البيتين:

سقتني كؤس السرور دهاقاً		خطوط أتتني في مهرق
رأت كف أحمد في الغرب بحراً		فجاءت إليه من المشرق

...}

ومما نقش على رخامة قبر السلطان أحمد المنصور الذهبي، ما ذكره صاحب الإستقصا المؤرخ الشيخ أحمد بن خالد الناصري حيث قال[569] :

{...ثم نقل المنصور رحمه الله بعد دفنه إلى مراكش فدفن بها في قبور الأشراف قبلي جامع المنصور من القصبة، وقبره هنالك شهير عليه بناء حفيل، ومما نقش على رخامة قبره هذه الأبيات:

هذا ضريح من غدت … به المعالي تفتخر

أحمد منصور اللوا … لكل مجد مبتكر

يا رحمة الله اسرعي … بكل نعمى تستمر

وباكري الرمس بما … ء من رضاه منهمر

وطيبي ثراه من … ندى كذكره العطر

وافق تاريخ الوفا … ة دون تفنيد ذكر

مقعد صدق داره … عند مليك مقتدر

...}

السلطان زيدان الناصر بن أحمد المنصور السعدي

ومما وقفنا عليه من أقوال السلطان أبو المعالي زيدان بن المنصور الذهبي[570] :

فتَنَتْنا سَوالفٌ وخُدود وعُيونٌ مُدعَّجات رُقُود

ووُجوهٌ تبارَكَ الله فيها وشُعورٌ على المَناكِب سود

أهلكَتْنا المِلاحُ وهي ظِبَاءٌ وخضَعْنا لها ونَحْنُ أُسود

وقال أيضاً :

مَررْتُ بقَبرٍ هامِدٍ وسْطَ روْضَةٍ عليه من النُّوّار مثل النَّمارِق

فقلتُ لِمَن هذا فقالوا بذِلَّةٍ ترَحَّمْ عليه إنه قبرُ عاشِق

وفي مدح زيدان بن المنصور ما قاله بعض الأعلام من أهل الحضرة، وهذا القول[571] :

لشخصك في سويدا قلبي ايــــوان وان شحطت بي عن ديارك أوطـــان

ذكرتك فاستعبرت حتى لقـد جـــرا على الخد من فيض المدامـــع طوفـان

سرت وكميت الليل مرخي جـــلالـه وأشهب من جود المجـــرة حيـــران

ومنها:

فبت أجارى النجم والنجم واقـــف ... وأرتاد هدى البدر والبدر حيـــران

وأرتاد فى روض النجوم لعلنــــى ... أراهـا كمـا ترعـا الخمائـل غزلان

فلاح لى البدر المنير كأنــــــه ... وقد لاح فى زهر الفوارس زيـــدان

همام له فى الغرب صيت مؤثــــل ... تهز له فى الشـرق مصـــر وبغدان

تخف الجبال الشم ان ووزنت بـــه ... وقد أحجمت عن مأزق الحرب شجعان

دعته المعالى وهو فى مهده لهــــا ... وحنت اليــه فى المنابــر عيـدان

أمولاى لا أحصى مديحك كلـــــه ... لقد عز فى أمداح عليـاك امكـــان

أمولاى هبنـى عنكـم متـوانيـــاً ... زمانـاً أما يمحو الاساءة غـفــران

لئن عاقنى شيخ تعيـــن بـــــره ... فلى فى كتاب الله عـــذر وبـرهـــان

أتغمـر بالنيـــل البريـــة كلهـــا ... وأمسى وحظى من جنـــابـك حرمان ؟

وتـرفـل فى أثواب نعماك كـلـهـــا ... وعبدك أضحى بينهـا وهو عريــــان

على أننـى العلق الثمين نفـاســـة ... فكم لى فى نيل الاجـــادة احســـان

فعطفاً فمـــا لى فى البريـــة موئـــل ... سواك وهل يأوى لغيـــرك انســـان

فلا زلت للمنصور نصراً مــــؤزرا ... يقر بكـم عين الخلافـــة رحمـــان

ومما جاء به العلامة عبد الله كنون في كتاب "رسائل سعدية"، قول شاعرنا النابغة عبد العزيز الفشتالي[572]:

{...ومما كتب به أيضا رحمه الله لمولانا الخليفة الناصر أبي المعالي... مهنيا بفتح حصن المنكب وبعيد الفطر أيضا وفي أواخر رمضان تسع وعشرين وألف هـ.

وردَ البشير بفتح حصن الفتح في   شهرٍ به حور الجنان تزينُ

فسكرت من طرب ببشراه التي   طرب الفؤاد بها وقرت أعين

فتح أتاك يقود حسناً بعده   فتح يؤمك بالتي هي أحسن

فيموت يحيى ثم يحيى جدكم   ويطيب للخلق الهنا والمأمن

{...

ومما ذكره صاحب الإستقصا قوله في وفاة السلطان زيدان الناصر[573] :

{...وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش ومما نقش على رخامة قبره قول القائل:

هذا ضريح من به   تفتخر المفاخر

حامي حمى الدين بكـ   ـل ذابل وباتر

لا زال صوب رحمة اللـ   ـه عليه ماطر

أرخ وفاة من غدا   جاراً لرب غافر

زيدان سبط أحمد   مبتكر المآثر

أجل من خاض الوغا   وللأعادي قاهر

ومن شذا رضوانه   نفحة كل عاطر

بمقعد الصدق علا   أبو المعالي الناصر

{...

السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ المامون بن أحمد

وفي ذكر إيقاع المولى الأمير أبي عبد الله محمد الشيخ، بالناصر الثائر، رفع الشعراء والكتاب إلى السلطان أحمد المنصور الذهبي قصائدهم يهنئونه بما صنع الله له من الفتح على يد ولي عهده –أبي عبد الله الشيخ المأمون- ومن هؤلاء الشعراء الذين رفعوا قصائدهم نجد شاعرنا الهوزالي، وهذه أبيات من القصيدة[574] :

هو النصر يجنى من ذوابل مران خياشمها يرعفن بالعلق القاني

وبيض صفاح بتريمينة ومقدرة شقر سواهم غران

عليهن من شعث اللوائب فتية نما هم الى العليا معد بن عدنان

تسامت بهم غاى المدى وتوقلوا ذرا النسب الوضاح من قيس عيلان*

آهاب بهم والجو بالنقع حالك يغطى دياجى ليله شهب حران

اغر رحيب الباع من سرها شم سليل الملوك الصيد من آل زيدان

فروى صوادى السمر من ثغر العدى ومطعم سيدان الفلا هام اقران

هو الملك المامون ميمون غرة تكنفها لليمن واضح عنوان

حمى بيضة الملك الاغر وقد غدا من الدم عريان الظبا غير عريان

خطى فوق اشباح المنايا ولم يبل وللطن فى الهبات ارزام ارنان

بيوم عبوس لو تقادم عهد لعهد مديد لم يصف يوم بسيان

اذا افتخرت بالشعب والجون عامر ولا عد فخرا يوم عبس وذبيان

ولا دثرت ذات الاصاد بفقدها لقتل بنى بدر لها ميم فتيان

الا سحبت ذيل ازدراء بقتلها بني جشم بالخوذ هل بن شيبان

لقد جرد المنصور منه مهندا فرى كل ليث من عناد وعدوان

ومن قصيدة الشاعر أبي علي الحسن بن أحمد المسفيوي والتي هي في نفس الغرض المذكور[575] :

وافاك فتح واضح الاقبال اربى على الماضي مدى استقبال
وتلوت آى النصر وهي كتائب ورويتها امرا وهن عوال
لله اية عزمه مصمية في خيث تنبو مصميات نبال
ما للتمام وهيبة الباس التى قصفت جنوبا بعد قصف شمال
كم ذا عزمك من عدو قبله فصدعته صدع الرداء البالى
واذا انتحاك الجمع منه فانه وقف على التكسير واستيصال
فجعلت من علق لحائمه الظبا وردا وسبيهم من الانفال
وادلت اشوس صاغرا فاعتاظ من شمم المعاطس موكس الاذلال
وتركت اربعهم نهابا للبلى درس المعالم سجد الاطلال
ما عاصم من دونهم هرب ولا ينجى سريع الوخد والارقال
ينقض جارح كيده في اثرهم اهدى اليهم من قطا ارسال
لو انهم سلكوا المجرة لم يكن مجرى النجوم اذن بعيد منال
وبعيد مطمح همة لا يقتنى الا دلاصا سابغ الاذيال
ويرى العلا ما يقتنى او يجتبى من صارم او ذابل عسال
طب بتلقيح الحروب مجرب شهم ابى مدرك الادخال
من زاغ عن رشد فان بكفه ماضى الشباب مقدم الضلال
كم صك سمع الخافقين بوقعة صارت بها مثلا من الامثال
ملكت مهابته القلوب وما زجت حبا كمزج الماء بالجريال
وله مآثر سائرات دونت سير الكيما تحتذى بمثال
وله المعالى النيرات الزاهرات الظاهرات الباهرات خلال
اغنيتنا عن نصب تمييز لها ودليل البات ووصف الحال
من ذا يساجل مجده بل اين من طامى العباب بلالة الاوشال
من ذا ينافس قدره وجلاله انفاس شمس ظهيرة بذبال

وللقائد أبي الحسن علي ابن منصور الشيظمي من قصيدة[576] :

هاكذا هاكـذا تكـون المعـالى مسندات عن العـلى والعـوال
وكذا تعـطى الفتـح أول شيء حركات المنصور وفق اقتبـال
هل يرام المنصور بالله مـن قد بطلت معـه حيلـة الابطـال
من اباد العدى وطهر منـهم في الجنوب البقاع او فى الشمـال
فسئل الركـن والمخازن عنه اذ جـد الخطب عند ضنك المجـال
ايـعانى عـزمـات ذى الملـك الشهم سوى نكسن اجهل الجهال
او يـدانـى عرينـه الا شـب الحمـى الا معـرض للوبـال
فلو ان السماك ذا الرمـح نـاواه لامسى عن رمحه فى اعتـزال
او نـوى النسر طائـرا عنـه منحى لغدى وافعاله فى جبـال
ضـل مـن ظـن أنـه منه نـاج فى فضا بعد حرب او تـلال
ولـو أن القـطا اعـارتـه ريشا أو اقلته أرجـل الاوعـال
اثكلـت أم الثائر المـتـسل بغـرور لحـربـه أو مـلال
لم يقم حتى اقعدته رماح للمـرضى الشيخ الليث طـود المعالى
غره بـرق خلب قـد اشـارت فى جهام بـه نـوى الامحـال
من بغـات تساقطـوا كفـراش فوق نار للحرب ذات اشتعال
اوقـدوهـا فاطفاتهـا دمـاهـم من سيوف للشيخ سمـر طـوال
غادرتهم وهم على الترب صرعـى بعراء مستوحش الربـع خـال
عبث الطير فيهم والسيـد والاسد باشلائهـم وبالاوصـال
وقضى بالشـق الالـه عليهـم وبنصـر المـامـون أفضـل وال
عمدة الامر عائـد الصلـة المـرفوع فى الابتدا وفى كل حال *
قمـر التـم مـن اتـاه كـمال قبل عشر او قبـل الاستهـلال
واتانـا منـه الـزمـان بفـرد متغـال فى فضلـه متعـال

ومما قيل في الغرض المذكور أيضا؛ قول صاحب المناهل شاعرنا عبد العزيز الفشتالي :

الفتح من حركات احمد واجب	كل العواهي في العداله طالب
يعنو الى السنون من اسيافـه	قلب المعاند وهو قلب واجب*
ايروم احزاب الضلال سفـاهة	غلبا لحزب الله وهو الغالـب
اودى بجمع مكسر جمع لـه	تعنو الجموع اعاجـم واعارب
جمع له في الحرب اى وقائع	اضحت على الاعداء وهي نوائب
ملات باشلاء النـفاق تنائفـا	اضحى الوهاد بهن وهي اهاضب
قد حلقت للنصر فوق سمائها	من كل فتحاء البنود عصائب
صبت على السودان منه صواعق	فهمت على اسحاق وهي مصائب
فهو الذى من جبره او جلبه	تلقـاه امـا جابـر او جالـب
يروى عن المنصور فيه محمـد	ما اسندته الى الوصي مناسب

اسـد هريث الشدق يفغر فكــه نحو العدى فكأنــه متثـاوب

يفرى الكتائب سيفه ولرعبـه	جند يغير على العدى وكتائب
سيف به جب السنام لخاسر	في صفقته وجب منه الغارب

وفي مدح أبي عبد الله المأمون قال محمد الوجدي الغماد[577] :

هلال الأفـق أم ظبي الفـــــلاة	أعلق قـــد سطـا بالمرهفـــــات ؟
نعم من قد سبـا الأرواح حسنـــــه	وفاق البدر في كل الصفـــــات
أزاح قـــنـاعـه عـن وجـه ظـبـــي	فأوضح وجنة سلبت حيـــاتـــي
فما للبدر ما في الوجـــه منـــــه	وما للظبــــي قــد كالقنـــــاة
ولا ردف يميــــل اذا تثنــــــا	يميل الصب ما بين الوشـــــاة

رنا فأصاب سهـم اللحظ قلبــــي فـويـحـي من سهـام مـصميـات

حكت سيف الامير بيوم حـــرب هو المأمون فوق الصافنــــات

امام سيبه عـــم البرايـــــا ودوّخ ملكه الست الجهـــات

له يـوم الطعـــان لواء نصـــر يؤيده بشـــارا صالحـــات

ويـوم السلم للأمـوال أضحـــا يبددهـا باعطـاء الصـــلات

فكم من معـدم أغنـــا وكـم مـــن طغـاة أعدمـوا سبـل النجـــاة

ومنها:

لك البشرى بعيدك عيد أضحـــى لبست له ثيـاب المكرمـــات

وبشرى بالأمان مـن الليـــالى وبشرى بالسعـــادة والنجــــاة

ودم لا زلـت فـى ملك مـنيـــع ولا زال الزمـــان لكـــم مـــوات

ولا زلتم بدوراً فى بـــــروج ولا زال الأعـــادى فى شتـــات

ولا زلتــم يقـــام الملـك منكـــم الى يـوم القيـــامة فى ثبـــات

مـدا ما عوينت فى الأفق شـهـب وما نودى بحـــى على الصـــلاة

وله أيضا يهنئ المأمون بهزيمته لابن عمه الناصر بن عبد الله الغالب بالله[578] :

بشـري فقد رفعت للنصـر رايـات وأعلنت بـدوام العـــز آيـــات

وأصبح الملك محفوظا جوانبـــه محروسة منه أرجـــاء وساحـــات

مستقبل السعد في ورد وفي صـدر معجل الظفر تحميـــه السعـــادات

يـا حـبذا أوبـة المأمون مـغتبطـاً بالنصر تخفـــق عن يمنـــاه رايات

من بعد ما عاين الأقوام منـــــه لـدا　　يـوم الطعـان هـزبراً لـه وثبـات

علا الأعادى بجيش لا يفـــــز ولا　　يهتــز ان وقعت للخيــــل كـــرات

كأنهم والأعـــادى لا ثيـــاب لهـــم　　أسد وبهـــم لها فيهـــن فتكـــات

ومنها:

وهاكها من بنات الفكـر قـد جليـت　　عـــلى منصة حسن منــــه أبيـــات

جاءتك تختال فى حلى وفى حلـــــل　　عذراء تزرى لها بالحـــور وجنـــات

تقبل الأرض اجـــلالا وتكرمـــــة　　ما قبلت ركب منكـم وراحـــــات

ترجو القبول ليمن من رضاك بهـــا　　ان الـقـبول من المأمـون نعـمـات

دامت علاكم ودام السعـــد يخدمكم　　ما هز غصن النقا فى الروض نسمات

وما تجلا صباح النصر عـن ظلـــم　　وما تبدت بوجه اليمـــن غــــرات

ومما ذكره العلامة أحمد المقري التلمساني في روضته قوله[579] :

{... وكتب لي أمير المومنين نصره الله –المنصور السعدي- الى ولي عهده يؤكد عليه الوصاة في شأني، كتب صاحبنا الكاتب المذكور –محمد الوجدي الغماد- الى ولي العهد مولانا المامون أمنه الله في ذلك ما نصه:

ملك الملوك السامى المقـــــــدار　　طود العـــلا ومشيد كـــل فخـــار

مولى الندا علم الهدا الشيخ الرضــا　　سبط النبى المصطفـــا المختـــــار

حامى حما الاسلام ان طرق الـــردا　　بسنــــانه وحســـامه البتــــــار

الله ملكك البسيطة وفوق ما ... نطقت بذلك ألسن الأجفار

ودعاك داعى النصر مسروراً وقد ... حنت لذكرك سائر الأقطار

ترجو لقاءك مصرها وعراقها ... وحجازها والشام دون تمار

وبنصركم قد أفصحت أدباؤها ... من سوس الأقصا الى الأنبار

أما تلمسان فقد كلفت بكم ... كلف الجذيب المحل بالأمطار

وافى اليك فقيهها وأديبها ... ونبيهها المعدود فى الأخيار

المقرى على مقامك وافدا ... ومؤملا ما عز من أوطار

ومقبلا هذا البساط وصادحاً ... بعلاك فى الاسرار والاجهار

لينال من جدواك كل غنيمة ... فى حالى الايراد والاصدار

واليكها يا ابن الرسول خريدة ... عذراء ترفل فى ازار وقار

جاءت تقبل من يمينك راحة ... وتكر آيبة بفضل يسار

وافى بها الوجدى عبدكم وقد ... فلت حجاه صوارم الاقتار

فاهنأ ودم للدين والدنيا فقد ... أمنت ذارك طوارق الأقدار

ما غنت الورقاء من طرب بها ... وترنمت بخمائل الأزهار

{...

ومما أنشده الغماد في المأمون أيضا قوله يستعين به ويستمنحه حين تزوج[580] :

ملك الملوك ومولى النعم التى ... جلت فأجلت ظلمة الاقتار

أنت الامام المرتضا الشيخ الرضا ... وابن الرسول المصطفا المختار

ومنها :

امنح عبيدك من نداك معونة ... فى نقد مهر عقيلة الأبكار

لا زلت منصور اللواء مظفراً ... ماضى العزائم سامق المقدار

ومما أنشده الكاتب الوجدي الغماد وكتب في مدفع بعد أن أمره بذلك الشيخ المأمون بن أحمد المنصور، قوله[581] :

بديع شكلي وفعلي فى الوغا رفعـــا   قدري على البيض والأقـواس والأسل
ولأعادي الامام الشيـخ صغت فـــلا   أنفك أرميهم بالحتـــف من عجـــل

ولـه فى ذلك أيضـاً :

انـى لحتف عـــدو لا يـقـيـه نـورا   مني وللملك الشيـــخ الرضـا واق
وقد فخرت على كل الســـلاح بـه   وما لمن كلمتـه ضربتـــــــى راق

وله فى ذلك :

وأنا التى فقت الســـلاح بأسرهـــا   تصمى عـدا الشيخ الامـام مضـاربى
مهما ربوت الى الكمــــاة بسطوتـــى   يلقـــــون منى الموت ضربة لازب

وفى مثله الا أنها مدفع الزناد :

انـا المصـــوغ لحتـــــــــف   مـهـمـا قـدحـت زنـــــــادى
من راحـــة الشيـخ مولـــى الـــ   ـملوك أصمى الأعـــــــــادى

وله فيه كذلك مما كتب في الخباء الماهوني المعروف ببيت الجماعة:

أنـا القبة الحسنـا التى راق منظرى   وكم فى من حسن بديع واحســـــان
فحيطـان من وشى الحـرير تـلألأت   وقد حاز بحر الجود والحلم جثمـــان
امام الهدا الشيخ الرضا قامع العـدا   به حسنت حالى وعظـم لى شـــــان

وقال أيضا وقد أمر المأمون بانشاء ما يكتب في قبة اسطبل الخيول الصافنات، وكلف أن يقول انها تقابل قبة النصر وقبة الريح، وأن خيلها بين الرياحين[582] :

أنا التى لسرور النفس مبدعـــــة	ومنظرى لجيـــاد حـــول ريحـــــان
لقبـــة الريـــح والأفراح ناظـــرة	تاج الملوك الامام الشيـــــخ أنشانى

وله فيه بعد أن أمره السلطان بصلة عند قائدين من قواده أحدهما اسمه الناصر والآخر منصور[583] :

يـا من لـعـــزة مـلـكــــــــــه	خـضـع الأكـاســر والقيـاصــر
ضـاعـت مـعـونـــة عـبـدكـــم	ما بين منصـــــور ونـــاصــــر !

وهذا قول شاعرنا علي الهوزالي في بعض الموالد الشريفة يمدح المأمون بعد مدح النبي محمد عليه السلام وهذا مطلع القصيدة[584] :

كف المـــلام عن الشجى الحيـــران	فاللـــوم يوثـــر كامن الأشجان
ودع المولـه يشتكى ما فى الـحشـا	من لوعـة أذكت لـظـا نـيـــــران
ويفوه عما فـــى الضمير بـــواكـــف	مغدودق مـــن دمعـه الـهـتـــــان
ويبـــوح بالمحبوب اعـلانـاً فـقــد	ضاق الفضا عن أوجـــه الكتمـــان

ومنها:

محمد الهادى الأمين ومن بـــوا   ســع فضله يستشفـع الثقـــلان

العاقب الماحي الزكـــي ومن بـــه   يلتـــاح نور ضوء ذي الأكـــوان

صلى عليه الله ما صدحت حمـــا   مة أيكة في يـــانـع الأغصـــان

وأدام نصر سليلـــه وسيمـــه الـ   ـمأمون ما هبت صبـا تهـــلان

ملك له الخلفـــاء تعنو هيبـــة   لجلاله ، وترى يـــد الأذعـــان

نجل الوصي ومن له فـي المعلـــوا   ت مناقب مشهورة الديـــوان

والمنتقا من دولة الحسب الـرفيـــ   ـع المحتذا المـوما لـه ببنـــان

من معشر طيب الأرومـة ان حللـــ   ـت حماهم تسلو عـن الأوطـــان

عن شأوهم قصرت ملـــوك قد مضت   وكذا الأساور من بنـى خـاقـــان

فهم الغيوث متى تواتـرت المحـــو   ل ، وهم ليوث غداة يــوم طعـــان

وهم هم والحرب تغـلي بالدمـــا   وجماجـم الأبطال والشجعـــان

وهم العيون لنا وأنت بينهـــم   في شكلها بمثابة الانســـان

تجلا بكم عنا غياهب حندس الـــ   ـهيجاء يوم تعانق الفرســـان

وتود أقطار الدنـــا أن لو بكـــم   نيطت كما نيط البها بجمـــان

ولدعوة وجبت لكم كتبت تخـــو   م المشرقين وما ورا قمـــران

ثقة بأنك وارث الأمـــر الـــذي   يرويـــه أهـل العلـم والحدثـــان

وبأن من في الغرب أو في الهنـــد أو   في مصر أو في الشـــام أو بغـدان

يعنو لسطوتكم ويظهـر ذلـــة   رغـمـا ويلقـى اليك طـوع عـنان

وللهوزالي أيضا يخاطب المأمون[585] :

أبلـغ المـــأمـون أنــــــــــى — قد كسانى الدهـــــر ضيمـــــــا
واعتـــرانى من خمـــــــــــول — ما يـــزيد القلب سقمـــــــــا
وامتنعت من عطـــــائــــــــى — منـــذ عاميــــــن ظلمـــــــا
وانتـهـــا حـــالـى الـــى حــــــا — ل زوا لـحـمــــاً وعـظـمــــــا
في بنيـن غـــــادروا مـــــــــن — فــرط مـــا يلقـــون نــــومـــــا
علـــه يسخـــــو بمـــــا مـــــن — دأبــــــه يســـديـــه حلمــــــا
لا يكـــل أمـــرى لمـــــــــــن لا — يتــقى عيبـــــاً وشتمـــــــــا
ان لى فى مدحـــه مـــــــــــا — يمـلأ الأسفـــــــار نظمـــــــا

وقــال أيضــا :

ألا هل الى صبـــــح الـوصـــال سبيل — وهل لى عن ليل الصـــــدود محيـــل
فيكشف غيـــم الهجــــر عنى قناعــــه — وألــــثم ثـغــراً ريقـــه سلسبيـــل

وقال يخاطبه أيضاً :

أنت الملاذ وأنت ركـــن أعظـــــم — أنت المزيـــل الجور عمن يهضـــم
أنت الغياث وأنت وهـــاب الألـــو — ف وبغيـــة وحمـــا لمـــن يستعصم

ومـنـهــا :

فلـئن عدمت اليك واسطـة تبـلـ — ـغ حاجتى فلســـان حـــالى يترجـم
سيف المهابة يمنعــن عبيدكـــم — من قربكـم ، فلذاك لا يتكلــــــم

ومـنـهــا :

فامنن على بقيمة فيمـــا بقــــــى — بك يبدأ الـذكـــر الجميـــل ويختم

وقال النابغة الهوزالي كذلك عندما أمره المأمون لما ماتت احدى حظاياه بما يكتب على قبرها[586]:

يا زائرى قف وقفة المستعبـــــــر وانظر بقلـب الخاشـع المستبصر
وابسط لأدعية أكف اجـــابــــــة تقضى لنا بالخير يـــوم المحشـــر
لأفوز يوما من دعـــاك برحمـــــة نزلت على أهـــل الصفـــا والمشعر
وأكـــون ممن يهتدى للحـــوض او يسقى بعذب معيـــــن مـــاء الكوثر

وله فى ذلك بأمره أيضاً :

درر الدموع نثـرن من آماقهـــــــا تحكى يد المأمـــون فى اغداقهـــا
ينـدبن من أضحت لطيب خـلالهـــا حور الجنان تعلهـــا بدهاقهـــــا
لما انتهت بحلول شمس كمـالـهـــا فـــى أوجها احتجبت عـلى رمـاقـهـا
لا زال روح الله فـــوق ضـريـحهـا يـغدو ويسـرى فى حـلا أطـواقهـا

وللشاعر البليغ عبد العزيز الفشتالي قصيدة في مدح المامون والتي أنشدها بمحرم من عام سبعة وألف[587] :

نضو تقسمه يـــد الأسـفـــــار يطوى اليـك مـــلاءة الاسحـــــار
كتمته فى أحشاشهـــا بيداؤهـــــا لمـــا دعـوه بكـــاتم الأســـرار !
خـاض المهـامه أبحـراً بسفـائــن رسبت بقعـــر الآل فـــى تيــــار
يصل السـرا حتى أناخ على الـذى بالبدن من بـدر صـوامت قـــــار

ملك الملوك محمد المأمـون مـــن تعنـــو الملـــوك لسيفـــه البتـــار

وتخوفتـه عـلى النفـوس فكلهـم يـرضا فـداء النفس بـالأقـطـار

وأجـل من تـحـدو الحـداة بـذكره عظماً فمـن فـاس الـى الأنـبـار

رحب الجنـاب فكـلـما لاقيـتـه يلقـاك بشـر سـاطـع الأنـوار

أسد هريت الشـدق مرهـوب الشبا شتـر البراثـن دامـى الأظـفـار

لله فيـكـم سـر غيب لـم يـزل متبلجـاً فى الـورد والاصـدار

ان رام كـيدك كـائـد متـحـيـر بـاء بصفـقـة شبـه مـازيـار

لازلت وارث مـلـك أحـمـد بـاقيا ذخـرا لأمـة أحمـد المـخـتـار

وقال فيه أيضا:

الـى الحرم المـأمون تطوى الفلا طيا لـتلـثـم كـفاً جادهـا بالندا سقيا

وتشـكـو جفاة حاولـوا هدم ما بنت يـد للعلا لا هـون فيهـا ولا وهيـا

يـد لو الـى الأفـلاك مدت لمـا عصت لـهـا السبعة الأفـلاك أمـراً ولا نهيا

وكـف لسـحـبان يجل تـأنـفـا عن النقـض مـا يبنيـه ديناً ولا دنيا

أحـاكمهم للعـدل فيك سجيـة وللحسب الـوضـاح شيمتك العليـا

لتـوسعهـم زجـرا يـذود سـوامهم فتحمى حمـاى أن تسـوم بـه رعيـا

وتفطمهـم عن رشف مـا كانت راضعا فحاشـاكـم أن ترضعـوهم معى ثديا

فانى بكـم ءال الوصـى لفى حـمـا يعـز عـلى الشعـرى تسنمـه رقيـا

وفيه كذلك:

قف بالمطـى على الحـمـا المـامـون واعكف على حـرم هنـاك أميـن

وانشـر لديه تحيـة أودعـتـهـا جيـب النسيـم بسـرهـا المكنون

حملته منهـا لطـائـم مسـكـهـا يـزرى بطيب المسك مـن داريـن

يسـرى الـى بلد عـهـدت بـأرضها ءارامـه تسطـو بـأسد عـريــن

وبـظـهر زاويـة جـئـاذر أتلـعـت فـوق الـربا أجيـاد حـور العيـن

هيف القدود جلبـن من بـان الحما علقت بـه الكثبـان من يبـريـن

تـروى الصبا عنـى وهـى بليلـة شـوقـى لظبـى كناسهـا وحنينى

ولعلهـا ان باكـرت ربـع الـعـلا تنبـىء عن أيـك بـه وغصـون

واذا تهـب علـى الـريـاض عشيـة أخـذت بمسـراهـا لـذات يـمـين

فتخـوض عنى البحـر يـزخر موجـه بـالعـرف عند محـمـد المـامـون

مـولى اذا ذكـر الملـوك فحبـه شـرعـى ومعتقدى الصحيـح ودينى

مـولـى اذا نصب العوامل للعـدا جاءت لـه بالفتـح والتـمـكـيـن

مـولـى اذا ما ابتعته بـذل الـرضـا بنفيس نفسـى ليس بـالـمـغـبون

يحكـى عن المنصـور فى عـزماتـه وعـن الوصـى أبيـه فـى صفين

ان زار أرض عـداه جيش واحـد وافـاهـم الرعب بـألـف كـمـين

كـالسيف ان لاقيته ألـفـيتـه للطف يـدمـج شـدة فـى اللـين

فببـابـه عكف العفاة كـأنـهـم وفـد الحجيـج بـأبطـح وحجـون

تجـلـو به الأعـراض وهـى مصـونة عن بـذلـهـا والمال غيـر مـصـون

يُـاب بـه لاذ الملـوك فـكـلـهـم يخشـا عواقب سيـفـه المسنـون

تترا الـى أعتاب مجدك رسـلـهـم من وافـد يسعـى لهـا وقـطـين

متـزاحمين على بسـاطك رغـبـة فـى لمح غـرتكم ولـثـم يـمـيـن

فمتـى تشـم برق الـرجاء بـبـابـه يلقـاك نـور البشـر فـوق جبـين

عـرض بذكـر وسـائلـى تلقـا بـه نعـم الكفيـل بـرعيهـا وضمـين

يحـدو الحداة بطيب ذكـركـم فمـن فـاس الـى الفسطـاط بل للصيـن

ومن نظم الكاتب الناثر أحمد بن الغرديس التغلبي ميلادية قالها في مدح النبي ومدح المامون وهذا مطلعها[588] :

أهدا النسيم تحية المشتاق ... وأذاع ذكر الشوق في الآفاق

في طيب مسراه ولين هبوبه ... سر يشب لواعج الأشواق

لما سرت للروح منه رويحة ... حيث فأبلت مبتلا بفراق

جاءت تخبر عن أهيل بالحما ... رحلوا فلم يطمع لهم بلحاق

ومنها:

سعد الأنام بليلة سطعت بها ... شمس النبوءة تامة الاشراق

وافتر ثغر الصبح عن ميلاد خيـ ... ـر العالمين الطيب الأعراق

أكرم بها وبيومها من ليلة ... منها انتشار الحق في الآفاق

وفا الامام المرتضا المأمون مـ ... ـن مقدارها بالبذل والانفاق

وأفاض اجلالا وتعظيما لها ... أصناف نعما جوده الدفاق

ملك أناف على الملوك بقدره ... واستوجب العليا بالاستحقاق

ملك يخيله العيان اذا بدا ... ملكا لحسن السمت والأخلاق

حاز الكمال سجية ووراثة ... وحثا الثرا في أوجه السباق

وقضت بعزته السعادة فانبرت ... طوعا لطاعته يد الاصفاق

ابن الخلائف والأولى ساد والورا ... فتمى ترقوا للعلا لا راق

ان الخلافة في ذؤابة هاشم ... لا تعدها للغير قول وفاق

لهم الأحق ومن عداهم معتد ... فلهم وراثتها بالاستحقاق

أصل رسا في المكرمات ونسبة ... علوية في منتهى الاعراق

وفي بعض الموالد الشريفة قال أيضا مادحا النبي ومادحا المامون كما جرى به التقليد والعادة[589] :

تبدت فأبدا الثغــر من لؤلؤ سمطـا ... وفوقت الألحــاظ سهماً فما أخطـــا

وجطت عــلى ورد الخـدود سوالفـــآ ... أجادت بخيلان لنونتهـــا النقطــــا

وحطت قناغ الحسن بعـد تمنــــع ... فمن أجله درع التجلـد قـد حطـــا

وصدت حيــاء عند ذا وتبسمــــــت ... وألقت على الخديــن أنلمها السبطــا

وصالت بدل وامتناع وعــــــزة ... ونخـــوة تيه جاوز القــدر والفرطـا

ومنــهــا :

تميل بردف يؤلــم الخصر خصبـــــه ... فذا يشتكى النعما وذا يشتكى القحطا

تدير رضاباً من لماهـا وظلمهـــــا ... ومن سحر عينيهـا سلافا واسفنطـا

ومنهـا تخلصاً :

بمولده السامى العوالــم بشـــــرب ... وشبت وقد كانت ذوائبهـا شمطـا

وسرت بــه الفردوس ثــم تزينـــت ... وأظهــرت الرســل الكـرام به غبطا

وأضحا به الاسلام والدين ظـاهــراً ... ووافـا ديـار النـصر والعز . . . ـطا

بموسمه المـولى اعتنا فأقـاه ـــه ... ووافـــاه اجـلالا وأعظمـه قسطـــا

امام الهدا مامــون ءال محمـــــد ... مليك أقـام العـدل واجتنب القسطا

له همة تعلـــو النـريـا نـــزاهـة ... وفخـر على متن السماكين قـد حطـا

وعزمة حـــزم فى الحوادث ان مضت ... تعـود وقد قطت رقـاب العـدا قطـا

وهمة عــز فى وقـــار سكينـــــة ... وفطرة حلـم تنكر الجهل والسخطـا

ففـى حالتى حـرب الزمـان وسلمه ... تريك بـوادى حاله القبـض والبسطا

ومنهـا ختـامـا :

فدام ودام النصر يعضـــد أمـــره ... وكان سنـام العز من بعض ما أمطـا

وتوج تاجــاً من سنا ومهـابـــــة ... وطوق من فخـر الثنـا درراً سمطـا

وفي مدح المامون قال القاضي عبد الوهاب الحميدي[590] :

هنيئاً فأعلام السعود بوادى … وفجر التهاني بالأماني مباد

خوافق بالبشرا نواطق بالهنا … طوارق أنباء بنيل مراد

تزف لك الآمال وهى خرائد … حوال بأنوار الجلال حواد

تسر بابلاغ المعاهد اذ سرت … مواد بتساۤد البعاد خواد

تعادى التواني اذ تعادى السرا … أتهدو وقد أمت لأشرف هاد

نبى هدا أربا على الخلق فضله … فكلهم منه بخير رفاد

رسول براه الله من صفو نوره … وألبسه برداً من النور باد

امام الورا قطب الخليقة كلها … تزكا بغايات له ومباد

يوافى الندا منه الورا غب ما سرا … عوائد من أفضاله وغواد

ويمحو ظلام الجو ساطع نوره … فيهدى به السارون والليل عاد

ووافق اذ فاق النبيئين كلهم … بأخبار ماض أو بذكر معاد

وأفضل خلق الله طراً وخير من … غدا حاضراً فى العالمين وباد

وأوفاهم حلماً وأزكا خلائقا … وأطيبهم خيماً وأكرم ناد

سما مولد فيه بدا نوره الذى … بطلعته تبدو والنجوم هواد

بمولده تزهو الموالد رفعة … لها السعد حاد بالعلاء وشاد

أهم ولم أملك أطير لو أنني … جعلت ثرا تلك المعاهد زادى

له الحل ان اذ يتنيه حميده … على طول تسئاد وطول سهاد

وما ان وها قصد عرته يد النوا ... ونجل رسول الله خير عماد

هو الملك الفتاك للمال والعدا ... على أنه أولى الورا برشاد

بحور الندا من راحتيه طوافح ... هوام بتسكاب السماح نواد

يحاكى نداه الجم اذ عم بالجدا ... سحائب قد أمت بسح عهاد

عناصر لم تسلك سوا مسلك الهدا ... ولم تنتظم الا بسلك سداد

يؤمن منه الحلم كل مروع ... ويرعب منه العزم كل مصاد

فللحم ما أسدا نداه وما انتحا ... سناه وما أبدا بباد وناد

وللعزم ما أروا ظباه وما اقتنا ... قناه وما أردا بحضر وباد

مؤزر عضد الدين باللجب الذى ... تساما به فوق الروادى مرادى

يعب بأمواج جلت عن هزابر ... عواد لاحماء الوطيس غواد

أسود هياج فى وشيج من القنا ... عوال لها مات الكماة عواد

سيوف اذا شبت بهن لظا الوغا ... صوال على أنهالهن صواد

سمت لك أعلام السعادة فارتق ... مطاها فما فوق البسيط مضاد

السلطان أبو فارس عبد الله الواثق بالله بن أحمد

ومما قاله صاحب الروضة العلامة أحمد بن محمد المقري التلمساني[591] :

{...وهذا المولى الواثق بالله الأمير مولاي أبو فارس مولع بالأدب وأهله واكرام العلماء جمع بعضهم مما قيل في مدحه مجلدا ضخما، فمما مدح به هذه الموشحة للفقيه الأديب محمد بن إبراهيم الفاسي الملقب ببديع الزمان رحمه الله وهي:

بــارق الــثـغـر لاح عـــن در   مـــن خـــلال العقيـــق
وعذيـب الريـــق غـــدا يجـــرى   مثـــل كـــأس الرحيـــق

* * * *

شـــاذن حسنـــه اراق دمـــى   ســاحـــر ســاخـــر
نـاظر لا يـرى ســوى عـدمـــى   فـــاتـــن فـــاتـــر
نـــام عـن منيتـــى وفى سقمـــى   ســـاهد ســاهـــر

* * * *

فـاضــح البـدر ....   ليـس يلـفـــى رفيـــق
....

* * * *

جمـــرة الحـب أحـرقـت خلـــدى   وقلبـــى المـــروع
يـا لـهـا حرقـة وهـا جسـدى   عنـــدهـــا والضلـــوع
من .... ـلا قـــود   لا يـــرجـى الـرجـــوع

* * * *

ظاعن الصبر في بحر للدموع غريق
وغدا من بعده لا يدري للسلو طريق

* * * *

ءان لي والهوا برا بدني أن أرى شاكيا
من خطوب .... عاديا
للذي ينتمي الى الحسن .... عاليا

* * * *

.... في .... ز وثيق
.... اتق في يسر بعد عسر وضيق

* * * *

لذ به في الخطوب ان طرقت فهو حامي الحما
تلفه صارماً اذا عظمت ليس يشكو الظما
فهو من دوحة ذكت وزكت فرعها في السما

* * * *

غارس البر مجتني الشكر روض جود أنيق
وتراه الدهر من البشر ....

* * * *

دمت للمجد مالكاً ملكاً محسناً لا تسي
انت مليك نراه أم ملكا بالرضا مكتسي
فابق فرداً وللعلا فلكا يا آبا فارس

* * * *

دائم النصر ما شدا القمري ....
.... عشيق

{...

وقال في ذلك الأديب المؤرخ الحافظ، أبو عبد الله محمد بن يعقوب رحمه الله:

بأبي غزال صادني بمــــزاح ... وسبا الفؤاد بطرفه الجراح
صبراً فؤادي ان سطا بك لحظـه ... فلقد أصبت بصارم السفاح
عاطيته من خندريس أكؤسـاً ... طلعت علينا كالنجوم براح
ساق سقاني من مدامة .... ممزوجة من كأسه بالراح
وغدا يعانقني وألثم ثغره ... عطر شذاه الطيب الأرواح
بتنا ونحن نديرها في مجلس ... أنواره تغني عن المصباح
شمس من الكاسات مطلع فجرها ... مترنح الأسفار والاصباح
تحيي النفوس اذا الأنوف تنسمت ... عرف الندا من طيبها الفواح
وسرا النسيم معطراً ما ينثني ... وتمايل الاغصان في الأدواح
والطير غني والحمام مغرد ... والروض يبسم عن ثغور أقاح
والعود يضرب والرباب يهزني ... والنفس تغنم منتدا الأفراح
والماء يجري في الجداول يلتوى ... كمقاييس الحسناء ذات وشاح
راحت على المهجات من ذا نفحة ... طارت لها طرباً بغير جناح
والورد يعبق في ......ال مدامنا ... . النسمات والارياح
وكانه في الطيب أخلاق الرضا ... بدر الندا الواثق الوضاح

وقال فيه أيضا ابن يعقوب المذكور :

عساه يدنــو فان القلب قـــد أيســا ... فيطفـــىء الجمـــر من خديه مقتبسا

تجلو على رياض الورد وجنتـــــه ... فيجتنـــى اللحظ منى كلمـــا غرســا

أهدا السهاد لعينــى من لواحظـــه ... وكـيــف . . . السهاد ناظر نعسـا

يا ليتـــه . . . . وافـــى بليلتـــه ... . . . أنشـــد . . . شعـــرى انبحسا

يا ليلة بـات فيها الوصـــل ثـالثنا ... وبت أرشف منـه الثغـــر واللعسـا

ومنها:

وليس مصباح بيتى غير بـارقــــه ... لا أعرف الجنح بالــلأ . . . . والغلسا

انقـاد طـوع يدى من بعد نفرتـــه ... . . . الغزال فيغـــدو وحشـه أنسا

أهـواه غصنـا وا . . . . وأه ..... في ....سا

أيا غـزالا غـزا نفســى ....ـه ... عمدا ..... الوجـد ....

جل التصبر .... لطيف خصرك ثـم ريقـك السلســا

ارحم فديتك منـــى عاشقـــاً ولهـاً ... ضل الفؤاد وأمسى نطقـه خـــرسـا

وليس خــاطـره الا متـى وعســـى ... . لجميل فداركنى تجد نفســا

كما تدورك هــذا المجـــد .... بالواثق بن الامام بعدما اندرســـا

يا ابن الاكارم من سارت منـاقبـــه ... فى كل قطـــر تر .... درسا

. . . . سـا

المعح ..... والاخـــلاق طـاهـرة ... فمـا تراه عبـوســا لاولا شكسـا

هو الكريم الذى طابت مغـارســـه ... يزكو النبات اذا ما طاب مغتـرسـا

...... قحط والامـطـار مخلـفـــة ... تـسعـــى فـتـــ . . . . . .

ومما قاله الأديب البليغ عبد العزيز الفشتالي مخاطبا الأمير الواثق، قوله[592] :

أيا واثقاً انى بجاهك واثق | وان وداد العبد فيك لصادق
تمسكت من علياك بالعروة التى | هى العروة الوثقا اذا عن طارق
على جسركم يسمو المؤمل للذى | يؤمل من دنيا ودين يساوق
وتنجح ءامال تؤم فناءكم | فترجع غب المحل وهى غوادق
فذكر بى المنصور تلق خليفة | لديه على العهد الوثيق وثائق
ومن هو أوفا بالذمام لمن غدا | يمت الى علياه منه سوابق
فما خاب سعى فى رضاه لخادم | ولا انقطعت للواطبين علائق
وانى عبد فى رضاه مصرف | شبابى حتى شاب منى المفارق

وقال مذيلا الخطاب ببيتين من الكامل وهما:

ما مال حسن الظن منى فيكم | لاكنها ذكرى لمن لم يغفل
مولى يفيض العرف قبل سؤاله | هذى المغارب والمشارق فاسال

ثم قال:

رحماك من دهر على بخيله | وبرجله من صرفه مستحود
وأنا الذى فهمى طغا شيطانه | فبغير مجدك منه لم أتعوذ
فامنن على موصول سعيى بالرضا | منكم بعائد بركم فأنا الذى
وقع لعبدك بالنوائب اننى | راض بهن يكون فيها مأخذى

وقال الفشتالي كذلك في تهنئة الأمير الواثق بالله وذلك عند ابلال من مرض[593]:

فرج أدالك شـــدة برخـــاء وسطا بعاصفهـــا هبـوب رخـاء

وبدا محيـا الدهر مصفـولا وقـد صـح المنـا واخضر عـود رجـاء

وحصلـت مـن ثـقـه الالاه بمـأمـن لما وثقـت بواثـق الأمـــراء

ومنها:

وعلـوت فى سندى لعالـى مجـده لما رويت لـه كـتاب شفـاء

وتباشـرت بحديثـه كـل الـورا فتنقلتـه تنقـل الصهبـاء

خرقت اليـه الشمس سجف سحابهـا شوقـاً لطلعـة وجهه الغـراء

وأتـتـكـم الأفـلاك تخدم أمـركـم فتمنطقـت بكواكب الجـوزاء

وجرت بجمعكم سعـود ءاذنـت بتجدد النعمـاء والسـراء

فقضـا قـران الأسعدين بنـضـرة وسـعـادة وسـلامـة وهـنـا

ولـك البشـائـر بالهنـاء وفودهـا تـتـرا مـع الاصبـاح والامسـاء

والـعـز دانيـة اليك قـطـوفـه بـالمشتـهـا ومسـرة غـضـاء

وبكـل نـوع من بـديـع فـنـونـه يلقـاك مـلء جـوانب الـخضـراء

وقال مما يكتب على درقة الأمير الواثق[594] :

بـظـل الظبـا جنـة عـاليـه ومـنـى لـكـم جـنـة واقـيـه

ومـا هـالـة البـدر فـى شكلهـا بـأحسن مـن دارتـى السـامـيـه

ومـن دون بـدرى بـدر الـدجـا سـمـواً على الأنـجـم الـزاهيـه

وصبـغ دمـاء الـعـداة بـدت على صفحتـى منـه خـيـلانـيـه

فمن بيض يمنـاه سـال الـنـضـا ـار على أبـحـر فوق ظـهـرانـيه

تـمـلا المسـرة والـمـشتـهـا قطوف الأمـانـى لـكـم دانـيـه

فـكـل السـلاح الـى عـنـا وكـل الـورا طـوع سلطـانيـه

أبـى فـارس سبـط خيـر الـورا وفـخـر قصـى وعـدنـانـيـه

ولـيـث تـوقـى أسـود الشـرا لـدا الحـرب أسيـافـه المـاضيه

شغفت الـبـلاد فـحنت الـيـك عـراقيـة الـنـجـر أو شـامـيـه

ومما مُدح به الواثق، قصيدة للكاتب الحسن بن عبد الكريم المراكشي لم أقف إلا على مطلعها[595] :

سروا وظلام الليـل فـي فوده وخط وحثوا المطايا فاستقـل بها الشحط

ومن القصائد التي مُدح بها الواثق، قصيدة للفقيه العدل علي المرواني المطاعي[596] :

قفوا واسألوا ربعاً تبـدت رسومه به سالمت سلمى وكم واصلت هند

ومنـهـا :

هم عذبوا القلب القريـح وأضرمـوا بجسمي لهيب الهجـر قـد شبه الصد

ومنـهـا :

حفظت لهـم عهـد الصبـا غيـر أنني شغفت بهـم حبـاً وما انصرم العهـد
نعمت بهم دهرا كما نعـم الـورا بسـيرة من في طبعه الحلم والـزهد
امام به رب العبـاد أغاثنـا فطابت بـه الدنيـا وظن بهـا الخلد

ومنـهـا :

أبو فـارس رب الفـوارس والقنـا به فاح رياها وقام بها الـوجـد
امـام ونجـل الأكرميـن ومن بـه غـدت ملـة الاسـلام حل لها الرشد

ومنـهـا :

وناظم عقـد الدين بعد انتشـاره فيالك من نظـم بـه حسـن العقـد
مبـدد شمـل الجاحديـن وجامـع لأشتـات ديـن الله فهـو لـه غمـد
بـجـد لـه لاذ الـورا بجميـعـهـم فيالك من جد بـه ظهـر الجـد

فسوس به قد حاز كل فضيلة
وما كان قبل اليوم يتلا به الورد

تبدت به للرائدين نضارة
وأخصب مرعاه وفاح به السورد

وأربت على التعداد نعماؤه ولو
تبوأته داراً لما حصل العد

به فاح نشر الطيب بعد سكونه
وصار عبيق المسك دهراً به يندو

وماذاك الا من تنسم ريحكم
فأعظم بها ريحاً بها عذب السورد

وما تربت أيدي العفاة ببابكم
فكم رجعت ملأى ، وفاض لها النهر

أمولاي يا كهف الملوك وذخرهم
اليك شكا الملهوف ما فعل الوخد

فكم قد طوا البيداء فوق نجيبة
أتت تشتكي عجفاً أضر بها البعد

لبحر نداكم يممت تبتغي المنا
بكم تم مغناها وتم لها القصد

فحقق لها مأمولها ورجاءها
فقد تم مسعاها وتم لها الرفد

وزفت لكم عذراء ياخير مالك
ريا سبط خير الخلق مدحي لكم شهد

وتلثم أطراف البساط مهابة
عليكم غدت تثني ومنها لكم حمد

وتقصر أوصاف القريض عليكم
وليست كمن أصباه عمرو ولا زيد

وأبدت من الثغر العجيب تحية
ختامه مسك ، والمديح به يبدو

ومما قاله الأديب السيد عبد الله بن عجال المزوري في مدح الواثق[597] :

بشراك فالبشر قد حيا على طرق
والنصر لبا بمجموع ومفترق

وألسن اليمن والاقبال قائلة
أنعم بمسك الدجا وزهرة الفلق

أماترا قبة الابريز قد برزت
تختال من خلع الأنوار فى سرق

تبرقعت حللا خضرا مجددة
وصب فيها غدير التبر من ودق

تخال من سندس خضر غلالتها
بغيد روض من الفردوس مسترق

مفوف الآس والنسرين فى شرف
مفيأ الظل عن برد وعن عرق

أصولها فوق برج الحمل راسخة
بطالع السعد والأضداد فى محق

ومنها :

قد كحلت نرجس الأحداق من حبر زرق تباهي العيون الكحل بالزرق
وقلدت عقد قلب الملك واثقها ونقبة فوق ورد الحسن بالسرق

ومنها :

لعنبر الشجر نفحات بمفرقها فيها لمنتشق رى بلا شرق
نارنجها ولجاج الماء من عجب بحر بلا غرق جمر بلا حرق
حسناء قد أصبحت يسليك منظرها والطيب حياك منه كل ذى عبق
تبديك ما شئته من عاطر ارج أو طائر هزج أو زاهر أنق
بالواثق المقتفى المنصور ناطقة أنا المصونة عن فقر وعن فرق

ومنها :

اذ كل صنع أتا الملك الامام به بالقصر ثانى بديع القصر فى غسق
حسن تواتر ميراثاً تؤيده آثار سابقة تتلا بملتحق
عجائب من بديع النصر أحكمها تقدير من خلق الانسان من علق
من كل رائقة رقت محاسنها فى حسنها كرقيق الطل فى الورق
لله منها عروس أقبلت فجلت خد الصباح بدا فى طرة الغسق
تزفها لك أيام الهناء التى قصر المسرة عن عزم وعن قلق
لم يكفه أن جنا ورد الخدود بها حتى أضاف اليها نرجس الحدق
زهر لمقتطف زهر لمعتسف ثغر لمرتشف مسك لمنتشق
تفرد الواثق الملك الشريف بها فى زمن لم يدع شأواً لمستبق
فمن يجاريك فى مضمارها أبداً والفضل يحرز خصل السبق بالعنق
أيقنت أنك سباق لغايتها لما رقيت العلا فى أول الطلق
للعقد فى كل حال رونق عجب ولا كرونقه فى صفحة العنق
يا واثق الملك قد حسنت لى صفة لو رمت شكرك طول الدهر لم أطق
نبا لسانى عما فيك من كرم كما نبا السيف عن مسرودة الحلق
نظمت آخر علياكم بأولها فصرت تجمع منها كل مفترق

ومما قاله العلامة أبو القاسم الغساني مخاطبا الواثق بالله[598] :

عهدت نوالا من كريـــم وماجـــد　　مليـك تحـلا بالعـــلا والمحـــامد

أبـا فارس مـولى الملـوك وصدرهم　　حنانيـك لا تحفل بقطـــع العوائـــد

وصلني بما عودتنـي منك دائـمـاً　　فما صلة الا بتكميـــل عـــائــد

وللكاتب عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي أبيات مما كتب تطريزا على نجاد الواثق بالله أبي فارس وهي[599] :

أتـيـه وأزرى بـكـل نـجـاد　　يـروق عـلـى حـلـة الـلابـس

إذا كنت يوم الوغى محملاً　　لعضب حكى شعلة القابس

على عاتق الملك المرتضى　　سليل الوصي أبي فارس

السلطان الوليد بن زيدان بن أحمد

ومما ذكر عن الوليد بن زيدان أنه كان قد بعث بهدية إلى بلاد الحرم، كما جرت به عادة سلاطين دول المغرب الأقصى وكانت عبارة عن حسكتين وزن كل منهما أربعة أرطال من الذهب وحسكتين من الفضة الخالصة وزن كل منهما عشرة أرطال، إضافة إلى صندوقين من شمع العنبر هدية إلى المسجد النبوي، وقد نقش في دائرة حسكة الذهب بيتان من الشعر وهما[600] :

متع لحاظك في محاسن منظـري   لترى عجـائب مثلها لم يعهــد
قمر على غصن الزبرجـد جاثـم   ينبيك عن حب الوليـد لاحمــد

السلطان محمد الشيخ الصغير بن زيدان بن أحمد

ومما ذكره صاحب الإستقصا وذلك فيما يخص المكاتبات التي دارت بين السلطان محمد الشيخ الصغير والأمير المولى محمد بن الشريف السجلماسي نجد[601] :

{...ومما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للأمير المذكور أيضا وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكها، فكتب السلطان المذكور يحذره من عائلة أهل الغرب وغدرهم برسالة من إنشاء وزيره القائد أبي عبد الله محمد بن يحي آجانا وفي آخرها قصيدة من إنشاء القائد المذكور وهي:

يا شبل مولانا الشريف محمداً ... شمس السعادة والهلال الأكمل

ملأت مهابتك الكبيرة مغرباً ... فزهت بمشرقه أصبهان وموصل

صقر الصياصي على الأعادي صائل ... طوراً يغير وفي الملاحم سيتل

أنيابه البيض الحداد صوارم ... وبكل ظفر منه أبتر مقصل

فجناحك الجرد العتاق وإن نظر ... ت إلى تلمسان يطيش الشمأل

هابتك ثوار الأقالم عنوة ... والوحش فهي يغص منها المنهل

قد طبت إن عرقت عروقك في الوغا ... خلت العنابر ديف فيها المندل

يا مالكاً سعدت به أوطانه ... فيما مضى وزها به المستقبل

نادى بك النصر العزيز لمغرب ... ولكم على فاس الجديد الكلكل

فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن ... كالبط يطفو عن مطاه القوقل

واعدل تفوز ولا تواخي طامعاً ... ترد العداة وتعم عنك العذل

لا تصد من جبل البرابر واصطبر ... حتى يهون على الجواسيس مدخل

لا تأمن الأعراب في أقوالها ... واقمع فضاضة من يجور ويختل

وعليك بالغارات في أوطانها ... بكتائب تسبي الإناث وتقتل

واغضض ولا تردي تجار مدائن ... يبقى عليك الستر دأباً يسبل

لا تتخذ من حصن فاس صاحباً   أو حاكماً يصل الأمور ويفصل
كالبغل عادته الفرار وإن غدا   في مربط فمتى استغرك يركل
لا تنقلن إلى الصحارى ذخائراً   فيقول أهل الغرب حتماً يرحل
واضرب لبيت الملك أوتاد الدها   تزداد صيتاً في القلوب وتقبل
الف وفود الغرب واعرف قدرها   وقروم كل قبيلة لا تجهل
وابسط يديك على العيال هنيئة   وإذا غرست عروق عدل تنقل
هذي وصايا قد أضعنا حقوقها   في آخر مما نحاه الأول
فمتى نشد إلى المعالي رحالنا   يأباه نصر والمقادير تخذل
فرضينا متبعين أحكام القضا   والله يحكم ما يريد ويعدل

فأجابه المولى محمد بن الشريف في سنة تسع وخمسين وألف بقصيدة ختم بها جوابه من إنشاء الفقيه أبي عبد الله محمد بن سودة الفاسي ونصها:

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضا   فخر الخلائف والهمام الأكمل
فلقد أجبتك عما قد كاتبتني   نظماً ونثراً كي ترى ما يمثل
إني أبث لكم وصايا جمة   إن أنت للنصح المصرح تقبل
فإلى متى طول الرقاد أما ترى   أضعان ملكك كل يوم ترحل
والدهر ينتف في رياش جناحكم   ويدنسن من الصفا ما تغسل
ما من مليك ذاق لذة راحة   إلا تجلى له الهوان فيسفل
أحرى الذي كثرت شقا ثواره   يعوي عليه لكل عاد معقل
تحتال تخدعه بكل حبالة   حتى يصاد كما يصاد النعثل
فاستيقظن من الخمار ومن رعى   في أرض آساد الشرى لا يغفل
وانفض غبار الذل واخلع ثوبه   يزداد وجهك بهجة ويهلل

ضيعت ملكك في الرخا وتركته ... للخزي في دار الهوان يذلل

وركنت للظل الوريف وغادة ... يزهو البديع بها إذا ما ترفل

وإذا أردت دوام هيبة همة ... وتدوم في ستر عليكم يسبل

دع عنك في الحمرا مروق سفرجل ... ومدريلاً بالزعفران يفلفل

واركب مطايا الصافنات إلى الوغا ... أما تحوز مزية أو تقتل

واقرع طبولاً للرعاة وفي الوغا ... يجبي إلى الحرب العوان الجحفل

وخض القفار وهز رمحاً وادرع ... واثن العنان وفي يمينك منصل

خاطر بنفسك في الفيافي جائلاً ... تردي العدو وكل ليل منزل

واصطد نهارك بالسلاق وبعدها ... عقبانها وكذاك صقر اجدل

وقد الجيوش كما الوحوش ولا تدع ... من يعص أمرك وازجرنه فيفعل

جنب آجانا الجبن في تدبيره ... واصحب شجاعاً للذخائر يبذل

لا تجمعن من العلوج بطانة ... فطباعها الغدر البليغ الأعجل

أما الشبانة فاحذرن من غيها ... لا بد تغدر بالأخير وتخذل

ترجو عواقب دولة لنفوسها ... وتود من وافى جنابك يجفل

يعطف عليك الدهر بعد نفوره ... فتعود أيام السعود وتقبل

ما ذاق زيدان أبوك حلاوة ... من ملكه حتى غذاه الحنظل

فإذا امتثلت صواب صدق وصيتي ... يصغي الزمان لكم ويصفو المنهل

{...

وفي وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان الناصر ما ذكره أيضا صاحب الإستقصا رحمهم الله جميعا[602] :

{كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله سنة أربع وستين وألف، وفي "نشر المثاني" أنه توفي قتيلا سنة ثلاث وستين وألف ودفن بقبور الأشراف من قصبة مراكش في روضة أبيه وعشيرته ومما نقش على رخامة قبره قول القائل:

لبدر سمٰوات المعالي أفول ... وفي ذا الضريح كان منه نزول

محمد الشيخ بن زيدان غاله ... حمام فحزن العالمين طويل

إمام الأنام ذو المآثر فعله ... له غرة في الصالحات جميل

حباه الٰه العرش رحمى تخصه ... بما هو في الفردوس منه كفيل

...}

الباب الثاني:

أمراء الدولة السعدية

الأمير محمد الحران بن محمد الشيخ السعدي

بعد وفاة المولى محمد الحران بن محمد الشيخ المهدي والذي كان يذكر بالشجاعة والعلم، قال الشيخ ابي عثمان سعيد بن علي الجزولي الحامدي[603] :

أتَرْوِي الاماني والاماني سَرابُ ... وتُغْني المغاني والمغاني خرابُ

إلى مَ التَّعامي والتعلُّل بالمُنَى ... وقد قُرِّبتْ للظاعنين رِكَاب

خليلي من سُودِ الليالي أساوِدٌ ... تَعضُّ بصَرْف والمنايا لُعَاب

فمَن تكُن الايامُ يوماً سَررْنَه ... فإنّي بأيامِ الزمـــان مُصَاب

نَعِيٌّ أتاني والنعيُّ محمد ... رَددت عليه والدموُع جَواب

بُكاءٌ لمن شدَّت عُرى الملك كَفُّه ... ومَن رأيُه في المُعضلات شِهابُ

مَهيباً تُلاقيه القبائلُ والقَنـــا ... فتُغْضي وأعمارُ الكُماة نِهاب

كريم غذَتْهُ المَكْرُمَاتُ وسيِّد ... نَمَتْه كِرامُ الناس طابَ وطابوا

أتَتْه المنايا خِلْسةً حيثُ أيقنت ... بأن اختلاسا في القلوب غِلاب

فتىً نِيطَ حُبُّ المأثُرات بلَحْمه ... فهُنَّ حُلاه والمديح ثِيـــاب

فياليتَ مَن نادي صَداه يُجيبُه ... كما كان مَن ناداه فهْوَ يُجاب

وإنَّ طلابَ الناسِ للْعُرْفِ بَعْده وقد غيَّبُوه في الثَّرى لَعُجاب

لقد بَثَّ بَثَّ الحُزْنِ في الارضِ هُلْكُه فكلُّ عميدٍ في البلادِ مُصاب

نَعتْه القوافي للعوافي فأعولَتْ بَنَاتُ القَيافي أنسُرٌ وذئَاب

أظنُّ صُروفَ الدهر تَحدُثُ بعده ستجْلو وإنَّ الحادثاتِ لَصابُ

كما حالَ حالُ الطّيّبات لفقْده عن العَهْد حولاً فالعذابُ عذابُ

عظيمٌ ألمَّ في عظيمٍ بمثْله وبين الشُّكُول في القياس نِسَاب

فيَا طيّباً طاب الثَّرى بعظامه قضيْتَ ولم يُلمِمْ بساحك عاب

سلامٌ ورضوانٌ عليكَ ورَحْمَةٌ يُوافيكَ منها في الضَّريح رِغاب

عليكَ أبا الحوْرانِ صبراً فذُقْ به دواءً لأدْواء الزمان يُشاب

رُزِئْتَ جليلاً فاحْتَسِبْهُ فإنه وإنْ جلَّ خطْبٌ فالعزاءِ عصاب

لعلَّ مِساسَ الرُّزْء يقدح ما به تُهدُّ صِلادٌ او تُفَتُّ صِلاب

فكُنْ هَضبةً تأوي اليها فإنَّما الخطوبُ سُيُولٌ والملوكُ هِضَابُ

على أنه التمحيصُ والمَيْزُ حاكمٌ بأنَّك تِبْرٌ والملوكُ تُرَاب.

فإن غاضَ منه جعْفَرُ البأْسِ والنَّدى ففي البَحْرِ والخُلْجِ العِظَامِ حِسَاب

وما ضَاعَ مجْدٌ قطُّ حفَّ بقُبَّةٍ فكيفَ وقد حفَّ القبابَ قِبابُ

رَعى اللهُ للإسلام فيها بُدُورَه وأخصَبَ منها للانام جَنابُ

الأمير محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ السعدي

وللأمير محمد بن عبد القادر والذي كان قد قدم من مراكش إلى فاس ومعه القاضي الحميدي فبدت له معالم فاس فقال ارتجالا[604] :

أَخِــلاَّي هَــذَا الــمُــسْــتَــقِــي وَرُبُــوعُــهُ
وَهَــاذِي نَــوَاعِــيــرُ الــبِلَادِ تَــنُــوحُ
وَذَاكَ الـمُـصَـلَّـى مَـطْـرَحُ الـشَّـوْق وَالأَسَـى
وَتِــلْــكَ مَــنَــازِل الــدِّيَــارِ تَــلُــوحُ

فقال القاضي:

وَتِلْكَ القِبابُ الخُضْر شِبْهُ زَبَرْجَدِ بِــهِــنَّ غَــوَانِ طَــرْفُــهُــنَّ جَــمُــوحُ
يَـمِـسْـنَ كَـأُمْـلُودِ مِنَ الرَّوْضِ يَـانِـعٌ شَـذَاهُـنَّ مِـن حَـوْلِ الـدِّيَـارِ يَـفُـوحُ

ومن شعره في بعض الأسفار وقد أرسلت السماء بغيثها المدرار وكان هو وكاتبه عبد الواحد الشريف فقال:

لــلَّــه أَشْــكُــو غَــدَاةَ الــسَّــفَــح إِذْ رَكَــضَــتْ
أَيْدِي المَطَايَا وَحَادِي الرِّيح يَحْدُونا

فقال الكاتب:

وَالغَيْمُ فِي الأُفْقِ قَدْ أَرْخَى ذَوَائِبَهُ بِـأَسْـهُـمِ الـوَدقِ لا يَـنْـفَـكُّ يَـرْمِـيـنَا

فقال الأمير:

حَتَّى اسْتَوى الـمَاءُ والآكَـامُ واسْتَتَرَت
مَعَالِمُ الرُّشْدِ لَا خِرِّيْت يَهْدِينَا
فَظَلَّت الخَيْـلَ فِـي الأَمْـوَاجِ سَابِحَةٌ
سَبْحَ السَّلاحِفِ نَحْو الأَرضِ يَهْوِينَا

فقال الكاتب:

والنَّفْسُ فِي قَلَقٍ لِبَيْنِ مَأْلَفِهَا وَالشَّوْقُ يَجْذِبُنَا وَالحَالُ يُقْصِيْنَا

فقال الأمير:

كَأَنَّنَا لَمْ نَبِت وَالوَصْلُ نَالِنُنَا حَتَّى غَدَا الطَّيْرُ فَوْقَ السَّرحِ يَبْكِينَا

أمراء من أبناء السلطان أحمد المنصور

نعرض هنا بعض القصائد التي مُدح بها بعض أمراء الدولة السعدية من أبناء المنصور، لكن الكُتاب الذين وثقوا تلك القصائد لم يقفوا على أسماء الأمراء المعنيين بالمدح، سوى ذكرهم كونهم من أبناء السلطان أحمد المنصور الذهبي وهذا ذكر صاحب الروضة، قوله في الشاعر الحسن المسفيوي والذي قال مرثية في بعض أولاد المنصور، وهذا قوله[605] :

هلال خر من أوج لتـرب فأغمد فيه اغماد النصـول
تناول شلوه رضوان كي ما يؤديه الى مهدى البتـول

ومما خاطب به الفقيه أحمد بن القاضي بعض أولاد السلطان المنصور، قوله[606] :

يـا مالكـاً حاز المفاخـر والثـنـــا   يـادرة فـي غـرة الأيـــــام
يـا نجل منصـور تملكـت الـعـــلا   فافخـر بمـا أوتيت مـن انعـام
ما أبصـرت عيناي جـوداً كـالـذى   أضحـا لكـم من جملـة الـخـدام

كـم بين من أضحـا لجودك مـالكـاً   أو بيـن من فى الجـود فى تـهيـام
عنـد الأنـام جوادهـم من جـوده   فـى طبعـه يحصـى مـن الاكـرام
قـد حـزتم أسنـا المحامد والعـلا   وخصصتـم بالمدح والاعـظـام
فـالبس من الحمـد المعطـر حلـة   تـبـقـا محاسنهـا مع الأيـام
ان الثيـاب جديـدهـا يـبـلا ولا   يبـلا الـثـنـا من ألسـن الأقـلام

الأمير عبد الله بن محمد الشيخ المامون بن أحمد

عندما عزم العلامة أحمد بن محمد المقري التلمساني على أداء مناسك الحج، استأذن في ذلك صاحب فاس عبد الله بن الشيخ وأنشده متمثلا بقول علي بن عبد العزيز الحضرمي[607] :

محبـتـي تقتضـي مقـامي   وحالتـي تقتضـى الرحيـلا
هـذان خصمـان لست أقضـى   بينهما خـوف أن أميـلا
فـلا يـزالان فـي خصـام   حتـى أرى رأيـك الجميـلا

فأجابه:

لا أوحش الله منـك قومـا   ـودوا صنعـك الجميـلا

ومما ذكره صاحب الروضة قوله في الشاعر النابعة عبد العزيز الفشتالي[608] :

{وقال أيضا أبقاه الله في تهنئة باعذار المولى عبد الله ابن ولي العهد الأمير الأسنا الأسما، مولانا محمد المأمون أمنه الله تعالى:

طير الهنا لك بالمسرة صادح ... وبمشتهاك الدهر غاد رائح

وبكل نوع من بديع صنيعكم ... يشدو الزمان مغرداً ويطارح

في كل يوم من زمانك للورا ... عيد يبارك بالمنى ويراوح

أيام عصرك وهي بيض كلها ... غرر تلوح وأنجم ومصابح

وأكفكم للخلق أنواء الندا ... وهي لأرزاق العباد مفاتح

طلعت بهذا المهرجان بشائر ... ماتت من الدنيا بهن جوانح

وأقمت للاعذار فيه معرسا ... هو جامع ولكل صدر شارح

هبت له الأمراء تحضر يومه ... لم ينأ دان منهم أو نازح

وسما لعبد الله نجل محمد ... شأن باحراز العلاء يفاتح

ذاق الحديد فما علته كزازة ... تعلو وجوه الصيد وهي كوالح

وعلاه بشر النور يشهد أنه ... نور النبوءة فهو نور واضح

وغمائم نشأت حوامل بالندا ... والند فهي طوافح ونوافح

تهفو الخوافز فوقه وتحفه ... صيد الملوك خوادم وكوادح

فعليكم طير السرور حوائم ... وعلى عدوكم تنوح نوائح

وببابكم تروى الفتوح صوارم ... هي باسمكم للأرضين فوالح

نطيت بجيد الدين فهي تمائم ... ولفتح مقفلة البلاد مفاتح

ان زان فخر معشراً فلأنتم ... في الخلق روح والأنام جوارح

أرضيتم حزب الاله ورضتم ... جدأ جياد الملك وهي جوامح

وورثتم عن هاشم البطحاء ما ... قد وطدته أئمة وجحاجح

وعرفتم بسماتهم فوجوههم ... بين الأنام تلوح وهي مصابح

أني لأنشيء في علاك بدائعا ... بلسانهن لحاسديك تكافح

وقف عليكم ما تروى فكرتي ... فيكم وما تلقى على قرائح

يغني مديح سواكم ، ومديحكم ... يبقا ، وتلك الباقيات صوالح

{...

القسم السابع:

الدولة العلوية

الباب الأول:

سلاطين وملوك الدولة العلوية

مولاي الشريف بن علي

ومما قاله الشريف هاشم بن أحمد العلوي في منظومته وذلك في حق المولى الشريف وبنيه[609] :

ثم الشريف وهو ذو القدر الشهير فاغفر له اللهم يا بر قدير
بنـــوه كالأسد وكالبيـــزان تخصيص ربنا العلي الرحمان
ضراغم في الحرب ثم في العطا أبحر ما كان على هذا غطا
إن لبسوا الدرع عوابس بدور إن لبسوا التاج وكلهم شكور
لربنا عليهم مدى الزمـــان سلام ربنا كذلك الأمـــان
مفرقون كالسباع في البـلاد آمرهم ذو المجد خالق العباد
أشد من قسورة هم اسمعـا ما ولد السبع قط ضبعـا
كذلك البازي فما قط ولدا حبـارة مـاكان هـذا أبـدا

ومما ذكره الإمام عبد السلام بن الطيب الحسني القادري في "الدر السني"، قوله في نسب مولاي الشريف[610] :

أبو ملوكنا الشريف بن علي محمـــد علي يـــوسف يلي
علي الشريـــف ثم الحسن محمد بن حسن المستوطـن
فقـــاسم محمـــد فالقـــاسم محمـد الحسن ذو المكـــارم
فعابـد اللـه أبـو محمـــد فعرفة فـحسن ذو السؤدد
ثم أبو بكـر علي فـحسن أحمد اسماعيل قـاسم ومـن
محمـد المهـدي فعبـد اللـه فالحسنـان فـرسول اللـه

وفي رثاء مولاي الشريف بن علي قال العلامة الصالح محمد بن المبارك[611] :

الله أكبر ما أودى به القدر ... من حادث عجزت عن دفعه القُدَرُ
وما أجل مصابا حل ساحتنا ... عم أذاه الورى فالكل منبهرُ
مصاب مِنْ فُجْعِ الإسلام فيه على ... رغم الأنوف وفاجأ الذي حذرُ
من موت سيدنا الأسمى وما لكنا ... الأحمى ومن بعلاه الدهر يفتخرُ
كهف المساكين مولانا الشريف بن مو ... لا نا علي علا صيتا له خبرُ
والله لولا الخليفة الهمام ومو ... لانا الإمام لكاد القلب ينفطرُ
سليله الشهم مولانا محمد من ... بوسمه واسمه نسمو وننتصرُ
ومن هو الطود والركن الوثيق لنا ... واليمن والأمن وهو السمع والبصرُ
ما مات من مثلكم يبقى له خلفا ... والفرع يربو على الأصل كما ذكروا

مولاي محمد بن الشريف

ومما ذكره الضعيف صاحب التاريخ قول في وفاة المولى محمد بن الشريف[612] :

«و إن الشريف بن الشريف محمدا لشهم الملوك لضاربين بانصل»

مولاي الرشيد بن الشريف

وفي دولة المولى الرشيد ما ذكره صاحب الحلل حيث قال[613] :

{وأولها محمد بن الشريف المتقدم ذكره، ويليه أخوه المولى الرشيد، وإليه أشار الناظم بقوله:

وَسَارَ وَأُعْطِيَ الْعِزُّ بَارِئَ قَوْسِهِ رَشِيداً لَهُم (فما) يُرَى فِي النَّوائِبِ

...}

وفي مدح مولاي الرشيد ما قاله بعض طلبة ثغر الجزائر عندما قصده[614] :

فاض بحر الفرات في كل قطر من ندى راحتيك عذباً فراتا

غرق الناس فيه والتمس الفقـ ـر خلاصاً فلم يجده فماتا

وفي إكمال السلطان المولى الرشيد لقنطرة سبو بالبناء نقشت فيها أبيات من نظم العلامة القاضي أبي محمد المجاصي ومنها[615] :

صاغ الخليفـــــة ذا المجـــــاز ملـــــك الحقيقـــــة لا المجـــــاز

ومما ذكره الضعيف صاحب التاريخ قول في المولى الرشيد[616] :

وأما الرشيد ابن الشريف إمامهم فشب له نصر بملـــك مكمـــل

ومما قاله الإمام أبو علي اليوسي مشيرا للتاريخ ومنوها بأعمال المولى الرشيد[617] :

واشادها حسناء ترفل في حلا ❀ ورق على در من الامواه
عاما (شفا ١٠٨١) فيه النفوس من العنا ❀ واجارها من جائر مجباه
من غير ما عجب فما تشييدها ❀ في جنب ما صنع الرشيد وما هي
ان الصنائع منه ينسي بعضها ❀ بعضا فهن على الحسود دواه

وقال أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفاسي[618] :

هاذه قنطرة قد بنيت ❀ عام (احدى وثمانين والف)
أكملتْ في سنة مع ربع ❀ ومدى الاعمال فيها نحو نصف
بدئت ثاني وعشرين لذي ❀ حجة قبل مضى فصل خرف
واتى فصل الشتا وهي على ❀ اسها حتى بدا الفصل الموف
فانبنت في فصلي الصيف معا ❀ وغدت في الحسن فوق كل وصف
شادها المولى (الرشيد) الحسني ❀ الذي قوى الورى من بعد ضعف
والذي أطعمهم من جوعهم ❀ والذي امنهم من بعدِ خوف
زاده الله علا فوق علا ❀ وسخاء للورى اغنى وكف

وقال في ذلك أيضا[619] :

برزت كالحق محمود اتصاف ❀ لائح الانوار ما فيه اختلاف
فغدت من حسنات ابن الالى ❀ شرفوا من حسن بين الشراف
شادها من شوهدت آياته ❀ للورى بينة غير خواف

خير من ألقى على القوم الهنا ✿ والذي مهد للسبل العواف

والذي أطعمهم من جوعهم ✿ والذي امنهم مما يخاف

ملك حاز الذي ما حازه ✿ ملك في الفخر من عبد مناف

بالرشيد بن الشريف شرفت ✿ وبدت بين سماح وعفاف

قدفشا ١٠٨١ تاريخهافهو شفا ١٠٨١ ✿ وهدى المومنين فهو شاف ١٠٨١

وفي تجديد المولى الرشيد لقنطرة ابن طاطوا نُقش في زليج أسود بأعلى قوسها[620] :

يا ناظرا حسني وما . . . . ته ✿ من حسن بنياني ومن تشييد

لاغرو اني غادة حسناء في ✿ كل الصفات افوق كل مشيد

لا كن فخري حيث كان تشيدي ✿ بالامر من تاج الملوك (رشيد)

ابدى الصنائع حصه مقدورة ✿ للخلق في صنعي وفي تجديد

في عام شاف ١٠٨١ قد شفيت بطبه ✿ في مطلع وافى يلوح سعيد

وفي إحدى القناطر التي أنشئت يقول أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفاسي[621] :

انظر الى فضة بيضاء قد بسطت ✿ جسرا على نهر يجري من الدرر

كغرة فوق اشكال الدما لمعت ✿ او بارق لامع في ليلة القمر

او لجة من لجين اذ بدت دررا ✿ بها يد البحر قد جادت على النهر

لا تعجبوا لنثير الدر كيف جرى ✿ فالبحر يجري بمنظوم ومنتثر

هاذي مئاثر مولانا الرشيد بدت ✿ عن سيرة سار فيها احسن السير

من رام تعريفه ينظر مئاثره ✿ فما العيان كمن قد جاء بالخبر

تاريخها (ظفر ١٠٨١) لما تلا ظفر ١٠٨١ ✿ جاءت تري شمها ١٠٨١ من ذلك الظفر

ابقاه رب العلا ذخرا يزيد علا ✿ لجلب منفعة او دفع ذي ضرر

وفي المنزه الذي أنشئه المولى الرشيد قال أبو زيد المذكور[622] :

انا في الحسن عادمة النظير ✿ أتيه على مزخرفة القصور

بديت تبرجا كالارض تزهى ✿ اذا حيت بانواع الزهور

وقد راض الربيع الروض منها ✿ فمد حلاه مرخي الستور

من اخضر او من اصفر او رياض ✿ مكوفر او معنبر او عبير

عَلَيَّ المنزه الاعلى رقيب ✿ كسا من سندس زهو البدور

يحاكي بانة قامت سكونا ✿ اذا ما اهتز ربات الخصور

وينسي درة الغواص تحكى ✿ بنات العشر ناهدة الصدور

ويطرب من رآه بحسن مرءى ✿ اذا أضحته فاعلة العصير

تبرج خير برج بين حسني ✿ تبرج ذات حسن للذكور

منصته صفاح الخد مني ✿ محاسنهن باسمة الثغور

مفضلة مكملة جمالا ✿ مكالة من الدر النشير

وما ادراك ما كرسي ملك ✿ اضاء سنى على الدنيا بنور

فاصبح مشرقا في الغرب يمحي ✿ ظلام المدلهم من الشرور

ويبتهج الزمان به ابتهاجا ✿ اضاء الخافقين لدا الظهور

بناني اشرف الاملاك حتى ✿ قصوري قصرت حوم العقور

قصرت جلية بين المباني ✿ اضاهي الحسن من بخت الشعور

فصرت جلية بين المباني ❀ اضاهي الحسن من بخت الشعور
وتحكي من حروف الحسن مني ❀ قويم الشكل مختلف السطور
وما حسني لذاتي بل لما لي ❀ من آثار الامير ابن الامير
(بمولاي الرشيد) اصول حتى ❀ كفاني شهرة شرف الشهير
فطلعته كست منه جمالا ❀ به ابتهجت عيون من حبور
تنزه ايها الراءي فحسني ❀ بدا لك منه مبتسم السفور
وفي تسع وسبعين والف ❀ اتى التاريخ شوال الشهور
كساني الله من مرءاه عزا ❀ ومكرمة من العيش النضير
ودام بخير من شاد المباني ❀ ثناء الملك في لهج العصور
ودم يا ايها الملك المفدى ❀ بخير ما بقيت على خيور

وفي بعض قببه يقول أيضا[623] :

هذي منازل اهل الفضل والجود ❀ يبدو عليهن احسان الاجاويد
فيها المحاسن فيها الجود واضحة ❀ آثاره من عظيم المجد مقصودي
تقلدت من يواقيت الجمال ومن ❀ معنى الكمال بحسن غير محدود
وابرزت في برود تشتهي نظرا ❀ كالطرس يبرز حسن الاحرف السود
واحمر مثل فقاح الورود وقد ❀ علا الزمرذ في القضبان من عود
واصفر تبرز الابريز بهجته ❀ مثل القلائد فوق الجيد من غيد
والازوردي حكى نور البنفسج او ❀ ريحانة او شمام الخد من خود
وكم خطوط عليهن الشحوب بدت ❀ في صفحها ماترى في خط تجويد
فانظر الى قبة تسمو بطلعتها ❀ على المنازل ما ريمت بتشييد
يزهو بها القصر زهو المسلمين بمن ❀ قد قام للدين والدنيا بتجديد
ولم يدع خطة الا وقام بها ❀ من عفو او صفح او انجاز موعود
من بعد ارث المزايا عن اب فاب ❀ وان علوا محرزا انواع تمجيد
ما كان للجود ذكر قبل مظهره ❀ حتى احاط برفد منه مرفود

لم يقتصر رفده عن سائل ابدا ❀ ان يعن غير بتقصير وتمديد
اكرم بنسبة (مولانا الرشيد) ومن ❀ لم يال في نفي تشريد لترشيد
بحر الشجاعة بحر الجود بحر ندى ❀ بحر السماحة رحبا خير مورود
باعظم البشر والافراح فابتهجى ❀ على البروج بسعد منه مسعود
تلك المباني التي شادت عنايته ❀ يد السماحة ابدتها بتاييد
قد يظهر الجود معنى من محاسنه ❀ قد طالما لم يكن الا لذي الجود
مولاي دامت لك الامال مسرعة ❀ بالقصد ان تدعها ليت بموجود
هاذي من اسعد آثار وابركها ❀ بعون رب الورى فاشكر بتحميد
وقد تجلت بتاريخ يبارك في ❀ تسع ١٠٧٩ وسبعين بعد الالف معدود
حسناء شماء من بيت بني حسن ❀ تنمى الى الدوحة الشماء ان نودي
لازال منزلها مأوى السعود على ❀ رغم الحسود ومأوى كل مجهود

وفي مدح السلطان المولى الرشيد قال أيضا الأديب أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفاسي المذكور[624] :

هنيئا بان من افق سعيد ❀ هلالٌ فاق في اوج الصعود
بانوار على الاقطار بانت ❀ ولاحت من سناه على الوجود
وعاد ظلام فتنتهم نهارا ❀ يضيء بنور (مولانا الرشيد)
امام طوق الناس امتنانا ❀ وعاد على القريب مع البعيد
ونافس في العلا من كل وجه ❀ نفائس كل ماض او عتيد
فلا محكي عنه سوى فخار ❀ وفضل ما جد وسخا وجود

واحسان وصفح عن مسيء ❀ ورفد شامل كل الوجود

ونفس لم تدع للبحر الا ❀ عجيبا حل فيها مع مزيد

ولا للشمس من شرف وعلو ❀ ولا للبدر من حسن فريد

ولا للسيف وصفا من مضاء ❀ زرت منه الشجاعة بالاسود

هو البحر المحيط بكل خير ❀ حلاوته تتم لدى الورود

هو الشمس التي طلعت فاعفت ❀ ظلام الظلم مشرقة الوقود

وسيف الله مسلولا بارض ❀ اراد بها السعادة للسعيد

وكهف المستغيث ومنتهاه ❀ ونفس الكيمياء لمستفيد

وبحر من نضار يوم جود ❀ ويوم البأس بحر من حديد

اذا وزنت به الدنيا وما في ❀ خزائنها اميلت من وحيد

ولو بيع الورى في العفو منه ❀ لما وفاه بالثمن الاكيد

عفا من بعد مقدرة واسدى ❀ من الخيرات والرأي السديد

واحيا الارض والناس جميعا ❀ وصيرهم الى العيش الحميد

فلولا كونه في الناس كانوا ❀ كلاماً دون معنى من مفيد

وقال كذلك في مدحه[625] :

حق المديح لبحر الجود والكرم ❀ ومن لديه ملوك الارض كالخدم

ما ذاك الا بتخصيص الاله له ❀ (فما يقال لفضل الله ذا بكم)

العدل سيرته والفضل شيمته ❀ (فالقسط من غيرها في الناس لم يقم)

والهجر للذة الدنيا يزيد على ✿ (ما فيه من كرم الاخلاق والشيم)

اذا قبل السعد من مرآه (وانبعثت ✿ الى المكارم نفس النكس والبرم)

له مئاثر ما بين الورى (ظهرت ✿ ظهور نار القرى ليلا على علم)

لولا سنى طلعة منه بدت فهدت ✿ (حتى حكت غرة في الاعصر الدهم)

لاسود لاحب نور الحق وانتبهت ✿ (قوم نيام تسلوا عنه بالحلم)

هو الامام (الرشيد) اسما ومتصفا ✿ (والحق يظهر من معنى ومن كلم)

نفي المظالم ردتها عنايته ✿ (رد الغيور يد الجاني عن الحرم)

وقد تكفل بالجدوى لوارده ✿ (سعيا وفوق متون الا ينق الرسم)

حيث الهبات (كموج البحر في مدد ✿ وفوق جوهره في الحسن والقيم)

قل للوفود اقصدوا من هو بحر ندى ✿ (ومن هو النعمة العظمى لمغتنم)

الشمس تخفى ولا يخفى على احد ✿ (فانما اتصلت من نوره بهم)

فخذ عن الدين يا نور البلاد (فقد ✿ ألحقت منفخا منها بمنفخم)

ابقى المدائح تتلى فيك خالقنا ✿ (ولا تسام على الاكثار بالسأم)

وفي مدحه أيضا قال قصيدة طويلة مطلعها[626] :

سل الدهر قبل اليوم هل ابصر البسطا ✿ او النعمة النضراء او العيشة السبطا

ومنها:

ومن اصفر كالزعفـران معصفر ❀ وابيض لم يعلم فـلاحته النبطا

فمن يبغ كافـات الشتاء نبيعهـا ❀ غناء براءات الربيـع لمـن اخطا

رياض وريحان وروح وراحة ❀ ورفد(ومولانا الرشيد)الذي اعطى

وان قلت شينات فتلك وانها ❀ لا شهر من نار عـلى علم ملطا

شمائل تسقينا الشمول وشيمة ❀ شفاء وشمع والشواء من الشيطا

وشمـس الورى (الشهـم الشريف وشبـله)

يزيح من الاحـزان والكرب ما اغتطا

وفي ضمنهـا السيـنـات تطـفئ لـوعـة

من الصب هـاجت منـه أو أوهجت نفطا

سنى وسناء مع سراج وسكر ❀ وسعد وسلوان وسلم ولا سخطا

وسلطاننا سامي الذرى سيد الورى ❀ سليل السراة السالكين العلا شبطا

وضمنها الصادات فضلا ورحمـة ❀ على الخلق فصلا بعد ان اظهر القسطا

صفاء وصحب والصدور وصحة ❀ وصفح صنوف الزهو تحسنه غبطا

على اثر ميات المراد لحاضر ❀ وباد ومن باهى ومن الف الضغطا

مقام كريم مستقر مديحه ❀ وماء ومحبوب منى اسعف المرطـا

ومما ذكره صاحب جيش العرمرم قوله في وفاة المولى الرشيد[627] :

{... فأقام –السلطان المولى الرشيد- بمراكش إلى أن عيد الأضحى، وفي ثاني العيد جمح به فرسه في بستان المسرة فأصابه غصن شجرة نارنج فكان فيه سبب موته رحمه الله تعالى، وفي ذلك أنشد بعض الأدباء:

وما شج ذات الغصن رأس إمامنا   لسوء له خدن المحبة جاحد

ولكنه قد غار من لين قده   وإن من الأشجار ما هو حاسد

ومما قيل كذلك في سبب وفاته قول الناظم[628] :

إِلَـى أَنْ رَأَى غُـصْـنَ الـرِّيَـاضِ قـوَامَـهُ   فَـغَـارَ وَشَـجَّ رَأْسَـهُ (بِـالمَخَـالِبِ)

السلطان المولى إسماعيل بن الشريف

ومما قاله الشريف هاشم بن أحمد العلوي في منظومته وذلك في مدح المولى إسماعيل قوله[629]:

ومنهمُ ذو المجد ثم الشرف   وهو أمير المؤمنين فاعرف

ذو العز اسماعيل والقدر العلي   والده الشريف والجد علي

المتواضع لرب العالمين   فشفع اللهم فيه الصادقين

معظم الحديث والكتاب   كتاب ربنا العلي الوهاب

رأيته وفي التراب يسجد   لله ربنا جزاه الصمد

خيرا على مر الليالي والشهور   وحفظ الملك له مر الدهور

اذا مساكن رأى تواضعا   وإن هم قد سألوه طاوعا

وان رأى ظلمة ارتفعا   ومستحق السيف فيه وقعا

حتف المحاربين والبغاة   ثم الجبابرة والطغاة

وقوله أيضا في مدحه:

منها أمير الأمَرا وفخرُهم   تاج الملوك ثم أيضا عزهم

ذو المجد اسماعيل فضله ظهر   وفي بلاد الله شاع وانتشر

بحر العطا شمس الضحى ليث الوغى   كهف المساكين وحتف من بغى

لو لم يكن فيها سواه لكفى   مجدا وفخرا وعلا وشرفا

غزا النصارى ومدائن فتح   ونشر الإسلام فيها فاتضح

فاق ملوك الأرض بالتواضع   لربنا أكرم به من طائع

وفاقهم فاعلم بأمنه السبل   أمنه الله العظيم بالرسل

معظما لآل طه المصطفى   فلو قبيحا فعلوا عنه عفا

وفي نسب العلويين الطاهر ما نظمه بعظهم وما ذكره صاحب المنزع اللطيف نقلا عن صاحب روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ولفظه[630] :

توسل الى الرحمن في السر والجهر تنل كل ماترجو من الفضل والخير
وناد باسماعيل نجل شريفهم سليل علي ذي المكانة والقدر
هو ابن الجواد الأريحي محمد سليل علي شمس ابنائه الغر
هو ابن الرضى بحر الفضائل يوسف هو ابن على ارغب الناس في الأجر

هو ابن رفيع القدر والحسن اسمه ووالده المولى محمد كالبـدر
سليل الرضى مصباحنا الحسن الذي أتانا من الينبوع بحر من السر
أبوه المفدى قاسم بن محمد وقاسم ياتي من محمد في الذكر
كذا حسن عبد الإلاه أب له سليل الفتى المولى محمد ذي الصبر
هو ابن الذي يدعونه عرفة وذا الى حسن ابن للمكنى أبي بكر
هو ابن علي الرضى الحسن الذي لأحمد اسماعيل أصل له فادر
كذا قاسم ابن الامام محمد ووالده عبد الإلاه بلا نكر
هو ابن المثنى واسمه حسن وذا من الحسن السبط استعار حلا الفخر
هو ابن علي ثم بنت محمد عليه صلاة الله في السر والجهر
إلاهي توسلنا إليك بجاههـم اغثنا، اغثنا، واكفنا كل ذي شر
ونور بنور الدين ليل قلوبنا ولاتخزنا يارب في موقف الحشر
واحبابنا والمسلمين وكن لنا وليا وأوزعنا نوالك بالشكـر

ومما كتب به بعض السادات البكريين للسلطان المولى إسماعيل وذلك في كتاب جواب صدقته التي كان يبعثها في كل عام لهم رحمهم الله[631] :

إني نظرت فما وجدت هدية تهدى اليك سوى الدعاء الناجح
فجعلته لك بعد كل فريضة وقرنتـه لك بالثنـاء الصالح

ومما رسم في لوح من خشب باب مقصورة المنبر بجامع باب البرادعيين، أبيات ذكر فيها السلطان إسماعيل[632] :

أنا منبر للذكر والوعظ أنصب دوائي لأمراض القلوب مجرب
ومولانا اسماعيل عز عن أمره تأنق في صنعي الوزير المهذب
علي بن يشوا راجيا فضل ربه وإن رمت تاريخي (شانك) يحسب

وفي الضريح الإدريسي بمدينة فاس قصيدة تشهد لتأسيسه وفيها أبيات في مدح المولى إسماعيل والتي ذكرها صاحب المنزع اللطيف ومطلع القصيدة[633] :

ألا أرفع ناظريك الّي حينا تجد حسنا يسر الناظرينا
ومتع في المشاهد منك لحظا وما رقمته أيدي المتقنينا

ومنها في مدح المولى إسماعيل:

فيا بشرى لأهل الغرب بشرى ومازالوا به مستبشرينا
وأسسني وشاد علا بنائي على التقوى أمير المؤمنينا
سليل المنتقى من نسل فهر شفيع الأولين والآخرينا
أبو النصر المؤيد في البرايا بإذن الله خير الناصرينا
خليفة ربنا فينا علينا عليه اسبل الستر المبينا
شريف طاهر ملك همام إمام الأولياء المرشدينا
أناله ربنا نصرا عزيزا وفتحا دائما أبدا مبينا
وجرد سيفه المنصور حقا على القوم العداة الكافرينا
لدى مولاي اسماعيل فضل كثير لمن يرى في السابقينا
أدام الله في العلا بقاه على مر الليالي والسنينا
بإذن الله شد حزام حزم وعزم واعتناء المعتنينا
خديم علا حماه ابو علي بني الروسي نصيح الناصحينا
الى أن صرت في أبهى كمال ورب الناس يجزي المحسنينا
فيا من قام لي ورءا مقامي من الداعين والمتعبدينا
قل اللهم عفوا عن مسيء غدا من قيد غفلته مهينا
واسعد جمعنا هذا بفضل واصلح حال كل المسلمينا
وتاريخي بدا في زي شوق بيمن الله هادي المهتدينا
وصل صلاة اكمال بخير على خير الخلائق اجمعينا

ومما ذكره كذلك صاحب المنزع اللطيف، بخصوص تجديد بناء ضريح المولى إدريس بمدينة فاس وذلك على يد الأمير زيدان ابن السلطان إسماعيل؛ هذه القصيدة والتي مطلعها[634] :

بحمد الله يبدأ كل أمر | له بال وبالحمد الختام
كذاك صلاة ربي كل وقت | على المختار ما انسكب الغمام

ومنها في مدح السلطان إسماعيل ونجله الأمير زيدان:

هو المنصور اسماعيل مولى | أتته خضعا سام وحام
إلاهي ملكه خلد بعز | ونصر دام ليس له انصرام
وكن عونا له في كل أمر | وحط واحفظه يا من لا ينام
بتجديد الضريح يروم أجرا | من الرحمن ان فخر الآنام
على يد نجله النجم المرقى | الى العلياء فهو لها سنام
فزد مولاي زيدانا فخارا | بما أولاك مولاك السلام
لقد حسنت بك الايام حتى | كأنك في فم الدنيا ابتسام
فبارك يا إلاه العرش فيه | وابغه في اعتزاز لا يسام
فذي آثاره سرح جفونا | ترى حسنا يزينه الوئام
كأزهار بروض أو كدُرٍّ | نفيس زاد منظره انتظام
أءال البيت إني لكم محب | ولي في مدحكم أبدا غرام
وأنتم عروتي الوثقى وسؤلي | لديكم حرمة ولكم ذمام
وعنكم اذهب الرحمن رجسا | وطهركم مآثركم ضخام
ولستم بالذي ينسى محبا | لكم وبكم له أضحى اعتصام
وتاريخ البنا في الغرب يبدوا | لشخص بالحساب له اهتمام
على الهادي صلاة الله تترى | كعرف المسك يعقبها السلام
وآل ثم أزواج وصحب | يفوح شذاها ما غنى الحمام

وفي ضريح الولي أحمد الشبلي، وجدنا بيتان، الأول ذُكر فيه الولي والثاني ذُكر فيه المولى إسماعيل[635] :

يا ناظرا حرم الولي أحمد الـ شبلي وحسن بنائه المتوقـد
مولاي اسماعيل أسسه وهو تاج الملوك ونجل آل محمد

ومن الأبيات المنقوشة بأعلى السقاية من المسجد الأعظم بمدينة مكناس والتي ذكرها صاحب المنزع اللطيف[636] :

تأمل بعد حمد الله حسني وصل على محمد الشفيـع
فما أبصرت في الدنيا كشكلي أذكـر زهـر أيـام الربيـع
وللـوراد أسقـي سلسبيـلا فلي فخر بذاك على الجميع
بجامعنا الكبير سموت فخرا عـلا شرفي بجانبها المنيـع
بأمر إمامنـا المنصور شادوا بنائي الرائـق الابهى الرفيـع
وتاريخي **إمعطـاش** هنيئـا وقاك الله من ظمإ وجوع

وما هو منقوش بخشب عنزته البديعة في الجهة الموالية للصحن[637] :

ذي عروس من المحاسن تجلى باليواقيت رشحت واللـلآلي
وسراج الملوك بالغرب اسما عيل من دأبه اكتساب المعالي
كان عن أمره المطاع وجودي كن له حافظا أيا خير والي

وما هو منقوش أيضا :

بحمـد الله يفتتـح الكـلام كذلك صلاة ربي والسلام
على المختار مع آل وصحب كعرف المسك ما انسكب الغمام
أدم يا رب عز الدين وانصر إمامـا لا يعـاد لـه إمـام

وفي المدرسة التي أسسها السلطان أبو يوسف المريني والتي قام بتجديدها السلطان المولى إسماعيل العلوي، ما نُقش على جدارها الشرقي في زليج أخضر على صورة محراب، وهذه القصيدة كما جاءت في كتاب المنزع اللطيف والتي مُدح فيها السلطان إسماعيل بن الشريف[638] :

بحمد الاهي أبتدي وصلاته على أحمد المختار طول المدا تترا
تأمل جمالي كي ترى الآية الكبرى أحاكي لزهر في السنا والعلا زهرا
تأنق في البنيان والوشي صانعي أنا منزل القراء حزت بذا فخرا
عن أمر أمير المؤمنين الذي سما بنسبته للمصطفى وعلا قدرا
أبي النصر اسماعيل كمل بهجتي بناظره السُّهلي قد سهل الأمرا
سليل العلا مزّاج عبد الرحيم من بإتقانه الأوقاف يلتمس الأجرا
وكملت عام الألف مع مائة وزد ثلاثين شهرا لمولد أحبب به شهرا

وفي مدح المولى إسماعيل ما ذكره صاحب المنزع اللطيف وهو من نظم قاضي الرباط السيد محمد بن محمد مورينو[639] :

فلله الكريم الحمد حقا على نعمائه حمدا وفاها
ومن أسنى الايادي في البرايا خليفته الموفق من حماها
أبان بنصل جده كل هزل وزان بعدله فيها حلاها
وأيد ملة الاسلام صدقا وملة غيره قهرا نفاها
فكم له من فتوحات وغزو مشاهد نصره أوفت غناها
كطنجة والعرائش في افتتاح ومهدية اجابت إذ دعاها
وها غير ذي المواطن مذعنات وإرهاب لسطوته عراها
بأبطال كأطواد رواس تبارك ربنا ظفرا حباها
جيوش أيدت بالنصر مما من الله العظيم لقد أتاها
تراع الروم والاتراك مما رأوا أن بلغوا حربا دهاها
ولا عجب لأن كانت جيوشا له وهدي أوائله اقتفاها

وكم أحيت عدالته نفوسا … بتهيئة العلوم له سناها
وكم أحيت مجادته بلادا … بإجراء المياه لها تراها
كما احيا الرباط رباط فتح … بماء عتيق جدول في ثراها
وخلل ماؤه الفياض عذبا … أزقته فجاد به وباها
يقول لسان حاله كنت ميتا … فأحياني الهمام وما تناها
رؤوف بالضعاف يحب رفقا … ويجزر قاسطات عن هواها
فلو أن المفاخر والمزايا … بحور مالها أو من سهاها
وكل جميلة أذنت بنجح … فحيث الناس باعوها اشتراها
وقال لسان حال عتيق انى … روى في الاقاول من وعاها
بان الصالحين دعوا لأبقى … رسين الموج يحميني حماها
فكم عانى الملوك وكم أرادوا … وما لبت مياهي من بناها
فلما أن توجه لي إمام … سما عند الالاه الحق جاها
قريشي مجيد هاشمي … مراتب من سما نبلا علاها
لهو الغيث جودا أي أرض … يحل بها لقد بلغت مناها
وإنه نجل طه خير خلق … وفي نيل المنا أقوى عراها
أجبت نداءه لما دعاني … ولبينا وأقبلنا وجاها
وجئت مهرولا في كل صوب … الى الأقواس قد حزنا بناها
مددت طويل جيدي رغم أنفي … الى ذاك السراج به يباها
فقال انظر الى قدري وحسني … وقد ملئت جوانبه مياها
ومنه جرى الى الأنبوب كلي … وأرغمت الذي بالمنع فاها
وأخرج منه عند الباب حلوا … ليركع من جداولنا ضماها
وكيف تخلفي لما دعاني … أمير المؤمنين وقد نواها
مزايا ترضي مولانا تعالى … عظاما لم يزل يثني ثناها
يزين مساجد الرحمان راقت … بتعظيم له من قد رءاها
كجامع ذا الرباط لقد زانته … سقاية تروق الذي يراها
عنابيب ستة للعين زهو … بأقواس ثلاث لا تضاهى
وقد راق السقاية نبع ماء … بخصته الرفيعة في سماها
فيكرع من ضما ظما زلالا … ويسبغ طهره وراد ماها
فذا فضل الامام إمام فخر … أمير المؤمنين له علاها

لحسن يقينه في الله صدقا فبلغه المقاصد واقتضاها
لقد ألفيت أمره دون ريب على من قبله أمرا تباهى
هو المنصور بالمولى تعالى وظيفي اسماعيل علا ذراها
سمت علياه فخرا وانتسابا وطاب أصالة من فرع طه
عليه صلاة ربي ما استقامت دنا الاشيا بأمره أو قصاها
وآله والصحابة مع سلام ومن نهج الهداة بهم تلاها
وأيد نصر ملكه في ظهور وأسعد من بحبه قد تباهى
قبول قصيدتي ورضاه قصدي ودعوته التي يشفى هداها

وفي دار الخلافة قيل[640] :

دار الخلافة لاح نور قبابها تختال بين رياضها وهضابها
فكأنما الانهار في جناتها يمنى الملك الفخم يوم عبابها
مولاي اسماعيل من جرثومة نقل الائمة جده اوصى بها
يا راصدا لطوالع من سعدها فنظام شملك في عضادة بابها

وفي قصر الجياد قال الكاتب أبو حفص عمر الحراق[641] :

أنا قصر العتاق من الجياد بناني الله في نحر الأعادي
على يد عبده المنصور حقا وصلت على القصور بكل نادي
وكيف لا أصول على المباني واسماعيل قد أسمى عمادي
وشيدني بتوفيق ويمن وعمرني بآلات الجهادي
وروع بي الصليب وعابديه فنال العز من رب العباد
أدام الله ملكه في هناء وأعقابه إلى يوم التنادي

ومن الأبيات التي نقشت في باب الخميس بمدينة مكناس[642] :

أنا الباب السعيد سموت فخرا سمو البدر في الفلك السعيد
سنا مولاي اسماعيل يبدوا على ذاتي المنوطة بالسعود
ففي وقت سعيد قد بناني وورخ نشأتي جود المشيد

وفي أبنية السلطان إسماعيل، نظم أحد الشعراء[643] :

لقد بنت الملوك بناء فخر به ذكرت على مر الدهور
وأبنية الامام أبي الفداء سليل المصطفى الليث المصور
أتم ضخامة وأجل قدرا وأجمل منظرا أبهى قصور
وفي كل البلاد له حصون لتأمين المسافر في المرور
ولو قيست مبانيه بما قد بناه من تقدم في عصور
لكان لها اعتزاز وافتخار ببهجة حسنها وبَنَا الأمير
فدونك فاستمع قولي مصيخا فإن مقالتي ليست بزور
وفي مكناسة الغرا دليل كمثل الشمس في صفة الظهور
فرحمة ربنا عدد الرمال على ملك تسامى عن نظير

وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن إدريس[644] :

قل للذين استعظموا من جهلهم إيوان كسرى أو بنا الأهرام
لم يبن ملك قد تقدم ما بنى مولاي اسماعيل في الاسلام

وفي بعض ما قيل من الأمداح في السلطان المولى إسماعيل بن الشريف، قول الأديب البليغ عبد الحق بن مخلوف الحسيني[645] :

سرا سحر ريح الصبا فتذكرا   وكان الهوى أمرا عليه مقدرا
أظن التي أصحته دون خبائها   إذا غضبت يمسي الوشيح مكسرا
هلالية في صهوة العز والغنا   لها منبت في فوقها نسائخ الذرا
تروح وتغدو بين ابيض ومخدم   واسمر عسال وأشعث أغبرا
تراوحها الارواح في كل تلعة   تفوت عليها من ربى الشيخ عنبرا
ويخلفها ريح الخزامى فتنثني   باضوع من مسك سحيق واعطرا
بما يعرف الوش المسهم حسمها   ولاتسأل الركبان عن بعض ما جرا
لما عزة ان يسيم ضيماجنا بها   بساع وضاها أو ترى الرح أحرا
يريد الضحى في سدفة الليل وجهها   إذا أسفرت عنها القناع المعصفرا
كأن ثناياها إذا إفتر ثغرهـا   بريق ريق لاح طورا فامطرا
وقد زاد حمر الدل منها ملاحة   بذوب لها قلب السجى تحسرا
وبين الفرود والغصون تنافس   يبينه من النسيم إذا سـرا
سقى ربعها نوء السماكين ديمة   وغيثا مصيبا صيب المزن ممطـرا
ونور في أرجائه النور صوبه   بتلك البطاح الناعمات ودثـرا
عدمنا جياد الخيل إن لم نُثِرْ بها   على جيهاليك من النفع أكدرا
يقدمها المنصور صدر كتائـب   تنال المنى أو تترك الجوعيتـرا
أخو الحرب لاينبـء عند لبوسها   تجرد منه الحرب للحرب فسـورا
طويل نجاد السيف مهما رأيته   ترى عسكرا مجرا وحيشا مظفـرا
بعيد المقر لاترى فوق وجهـه   لثامايقيه الحر والقَرَّ في المدا
طوته السرايا فس المصايف والشتا   واخمره أن يقطع الدرا قفـرا
و.......... في كـل حـــده   ترى في لعاب الشمس فيهن الجرا
لعوب بأطراف الرماح مجـرب   صموت اذا ما القوس منه توتـرا
تعوّد خوض الهول طفلا فما أنت   مشيبته تغيره حتـى تمهـــرا

تهاب ملوك الارض منه عزيمه تقُدُّ الحمام المشرفي المذكرا
اعز بني الدنيا جنابا وحوزة واسمى بني الايام قدرا ومفخرا
فاياه ما تلقاه والله حافظه يمد ثغورا أو يجهز عسكرا
فان زرته زرت المكارم والعلا وان مسبت الهزبر الغضنفرا
وان عظمت منه النفوس جلالة فأعظم منه ان تأملت مخبرا
فظاهر اسماعيل أحسن ظاهر وأحسن منه ما اسره واضمر
ولله نفس في حساه شريفة تناجيه اذا ناجيت فردا مطهرا
وتكبر الاملاك في كل بلدة ويأبي لخوف الله أن يتكبرا
من المعشر الغر الذين توارثوا جميل الثنا والمجد اكبر إكبرا
سراة وأبناء السراة بفضلهم يطبق من سمث الثرا الى الثرا
بَهَالِيل فاسئل من مكان جيادهم بلاد ندى كأنها لكسرى وقيصرا
ليوث لهم في الشرق والغرب وطأة يخبر عنها من رءا السيف ابترا
غيوث إذا ما الغيث عز مطاره في المعصرات تمطر الناس أبحرا
أناس لهم فضل على الناس كلهم فقربهم قرب وبعدهم مرا
فيا أطهر الاملاك قلبا ومحتدا ويا أشرف الأشراف أو نفسا وعنصرا
ويأأشجع الشجعان في حومة الوغى اذا انجبت جرد السوابق عنترا
ويا واجدا في العين وهو كتيبة تخوض به بحرا من الهند أخضرا
بقيت لدين الله تنصر جزبه وينصرك الرحمان نصرا مؤزرا

وفي مدحه كذلك ما ذكره صاحب المنزع اللطيف[646] :

بشراك ملك ثابت ممدود تعنو لتآمل دائما وتعود
واليمين والاقبال والعز الذي أعطاك من فضله معهود
يا سيد الاقبال يامن ملكه ظل بسيط وافر ومديد
لله درك من مليك فِكْرُه سَيُضِي اذا عنت خطوب سود
ولكم عز إذا أرجعت كل العدا لو أنهم يوم الطعان أسود
اجهدت خيلك في المهامد والفلا سنتين عن حرم الرجال تذوذ
فنعم لقد انجبت نفسك تبتغي راحاتنا يا ايها الصنديد

خضعت المعامع والقفار مدرعا ... بالصبر وهو على سواد شديد
يا غالبا بالله حرب عداته ... انت الهمام المالك الودود
اني لادعو الله دعوة صادق ... اشفاقه بخلوصه توكيد
لم آل جهدا من دعاء خالص ... عقب الاصلاة اذا الانام رقود
بسلامة وغنيمة مغبوطة ... ورياسة ببقائها التمهيد
الفت شملا طالما أودى به ... من قبلك التشتيت والتبديد
ونظمت در الملك في سلك المنى ... يبلى الزمان وانه لجديد
امنت قطر الغرب فاخضعت به ... كل البقاع وانبع الجلمود
لك نية حسنا وعزم صادق ... وتجلد يوم الجلاد شديد
الله قلدك الخلافة فارعها ... فهي الامانة حفظها مقصود
لكن بعون الله قمت بحقها ... فبدا بذاك الفتح والتأييد

وفي مدحه أيضا ما قاله السيد أحمد بن علي بن أحمد مصباح[647] :

أهاجتك دار باللوى أم ظباؤها ... فاضمرت أشواقا بعيدا شفاؤها
وأعملت نص العيس أدنى لها الوجى ... حثيث رسيم طال منه اشتكاؤها
إذا ما حدا الحادي أطارت خفافها ... حصى أجرع قد صبغته دماؤها
فرقت لشكواها الحواة واشفقت ... لما لقيت أظب الفلاة وشاؤها
قطعنا عليها فدفدا بعد فدفد ... شهيا لنا تأويها وسراؤها
وقد ضمرت حتى كان جسومها ... بسطر الفلا نون الحروف وراؤها
لئن شفها الأعياء أو مسها الظما ... فمكناسة راحاتها وارتواؤها
بلاد هي الدنيا بأجمعها التي ... أضاء على كل البلاد ضياؤها
فجناتها الزهراء والزهر أهلها ... وأربعها الزهرا ودجلة ماؤها
اذا ما رأت أعلامها نفس مدنف ... معنى تداعى للرحيل عناؤها
ونصر على أمنائها وقصورها ... مزايا جسام ليس يخشى فناؤها
فتانوتها مثل السما وقبابها ... بدر وأمير المؤمنين سناؤها
إمام الهدى بحر الندى جابة الندى ... ببيض الردى يردى العداة انتضاؤها
اذا عصمة الدنيا تراع فإنما ... بأرماح اسماعيل كان احتماؤها

فتى لاح في أفق الخلافة للورى كشمس الضحى لا حان يوما خفاؤها
فأحرزها قسرا غداة تقاصرت عن إدراك هاتيك الذرا كبراؤها
فساس رعاياها وأسس للعلا مآثر غرا ليس يخشى امحاؤها
تهاب بهاليل الملوك نزالـه وهل نازلت أسد الشراة ظباؤها
قد امتد فوق الشرق والغرب صيته ودانت من الدنيا له عظماؤها
له في الرعايا سيرة عمرية وبين يديه من لؤى لواؤها
هنيئا أمير المؤمنين فقد بدت مزاياك أقمارا وأنت سماؤها
ظفرتم بملك المنذرين وتبع وأكرم بدنيا أنتم خلفاؤهـا
وقد علمت عليا قريش بأنكم اذا نقض الطيشُ الحبا حلماؤها
وكم من قريض سار في الدهر جودة قوافيه في مدحكم علماؤها
وكم نعمة أولاكم الناس شكرها لأن كان منكم بدؤها وانتهاؤها

وفي نفس الغرض قال أحد الشعراء في المولى إسماعيل[648] :

إلى مدحه سيق الحديث وان جرت على غيره الأمداح ممن أطالها
إمام عنت شم الأنوف لأمره وغادر بالغارات ذلا جلالها
وصال فنالت كفه المجد كله ولم تدرك الأيدي السواقي مصالها
أحاطت يداه بالخلافة بعدما أراد رجال آخرون اغتيـالها
وماسلموها عنوة عن مودة ولكن بحد المشرفي استقالها
ومابرحت تدعوا بطول بقائه قلوب بأفعال الجميل استمالها

وللأديب السيد العربي بن عبد السلام الفيلالي من أرجوزة في نفس الغرض. هذه أبيات منها[649] :

فبعده قام حسام النصر ... وحاتم الجود وشمس العصر
المرتضى السامي الامام الاوحد ... الملك العدل الهمام الأسعد
الفاضل المعظم الكبير ... من ينتهي لرأيه التدبير
أسعد من حل سرير الملك ... الكامل المجد بغير افك
أبو الوفا المنصور اسماعيل ... الفارس المظفر الجليل
من لاح نور الشمس منه وأضا ... ولم يزل سيفا صقيلا منتضا
كالبدر فخرا وكبحر في كرم ... والزهر زهرا وكدهر في همم
مَن مَلك الغربَ وسوف يملِك ... شرقا وجُند الترك فيه يهلك
تهابُه العُرب وتخشاه العَجم ... والأسد إن مال إليها وهجم
هبت بعز نصره الرياح ... وسعد المساء والصباح
وانقادت الدنيا له انقيادا ... حتى غدت أيامه أعيادا
فهو غمام واكف السحاب ... يهمي على الوهاد والهضاب

وفي مدح المولى إسماعيل ما قاله صاحب الأنوار الحسنية[650] :

قد ضجت الأرض انجاد وأغوار ... وأسجمت من جفون الدهر أمطار
تبكي على فقدها الرشيد أكرم من ... حطت بناديه أقتاب واكوار
جَمُّ المواهب رَحب الفضل وافره ... قطب المعالي ونجمها ومدرار
يبكي عليلا عليه كل مختبط ... وكل مصطلم شطت به الدار
وكل بَاكٍ وشَاكٍ من ظلامته ... لظلمة الظلم في أحشائه نار
كم ذاد عنا خطوبا لو يصادمها ... طود لدكت له في الأرض أحجار
لايختشي في مقام الحق معدلة ... ولا يناله في نصح الورى عار
ياأرأف الناس بالمظلوم مهما عدا ... دهر عليه وفرت عنه أنصار
تهنيه في جنة الفردوس منزلة ... عمته من نعمة الالاه أستار
ومن طرائف رحماه ورافته ... مواهب لا لها حد وإحصار
بشرى لآل الرشيد في مصابهم ... قد صافحته بدار الخلد أبرار
واتحفت نزله بكل مكرمة ... وبشرته بأن الله غفار

دامت سحائب غفر الله واكفة على تراه شموسها وأقمار
لولا خليفته المنصور قد جاءنا من بعده درست للملك آثار
لكن تداركنا المولى ببيعته فرت كروب بها وسح مدوار
تنال عزا وجاها من مكانته ومن ندا كفه تسيل أنهار
فَاصرمْ أمولاي اسماعيل حبل عدا إذ قد طغى كفرهم والبغي والدار
وافتح قرى للنصارى واسْبِ سبيهُم وافن طاغيهم فالله قهار
بادر وزاحم عداة الدين في عدد لهم من الله أمداد وإظهار
واستعملَن جيشَكَ المنصور في ثغر خالية هاذي أزمان وأعصار
هذا هو العز والدين القويم الذي جاء الكتاب به وصح اخبار
إحم حمى الدين وامح من يعانده لقد سمى قدركم وعز آثار
ثم الصلاة على المختار من مضر ماغردت أيكة وغنى أطيار
وآله والصحاب الغر كلهم فهم حماة لهذا الدين أنصار

ومما قاله وزير السلطان المولى إسماعيل السيد عبد الحق السحيمي وهو في غرض المدح[651]:

فمن أرضهم ريح الصبا تتضوع ومن نورهم بدر الأسنة تلمع
وفي حيهم ثار الهياج عشية فبات زئير الأسد في الحي يسمع
إذا ارتحلوا ليلا فضوء رماحهم لهم فيه عن ضوء الكواكب مقنع
وبين أسود الغاب بيض أوانس وهل لأسود الغاب في الناس مطمع
وعيشك ما أدري وأين خيامهم نساء أم الغزلان في الحي رتع
وما انكرت عيني من الحسن مارأت وإن الشموس في الهوادج تسطع
وتحت رماح القوم كل مدجج ظلوم غشوم بالدماء مدرع
اذا نظرت عيني غزالا مبرقعا أشارت لليث في الحديد مقنع
وما ضربوا حمر القباب عليهم وفيهم جبان بالنزال يروع
وفي البلدة الحمراء شمس منيرة تراقبها عيناي آنة تطلع
لها في سواد القلب أشرف موضع وليس لها عند الأجانب موقع
فلله ماحملت قلبي من الهوى وفيه كناس للظباء ومرتع
ألم يان للحي الذين ترحلوا رجوع وهل عصر الشبيبة يرجع

سقى الله أرضا حلها نور شمسه | له في الحشا عند شفيع مشفع
ولا روع الرحمن سرب عقائل | نوازع آمالي اليهن نزع
لهن عهود لاتضيع حقوقها | ولست أرى عهد الكرام يُضيع
فيا أخت حامي الحي يوم نزاهم | و يابنت من يدري العفاة وينفع
ودادي محفوظ على ماعهدته | لديكم أم الود العميم مضيع
رعى الله أيام الشباب فإنها | مواسم فيها للنفوس تمتع
وحيا القصور الخضر صوب غمائم | مباركة تهمى عليها وتهمع
قصور بها المنصور يحمي حقائقا | من الرمي فيها الخير للخلق أجمع
يجمهر اسماعيل منها كتائبا | تكاد قلوب الشرك منها تصدع
فلله منه النفس والحرب ترتمي | بموج المنايا والأسنة شرع
وماافتر ثغر قبل تقبيل سيفه | ولله سر في الخلائق موذع
وكم ليلة باتت بها الخيل عوما | بحورا من الظلماء والناس هجع
وما سر منه النفس غير سرية | يخب إلى الأعداء فيها ويرفع
ولم تك أيام الرخى تستفزه | ولاكان يوما في الشدائد يضرع
فلله ماضمت ثياب أبي الفدا | من المجد والتقوى وماهو يصنع
يباشر في كل الأمور أموره | بقلب نقي للمكارم منبع
أعز الالاه الدين بابن نبيه | وما إن يُعز الدين الا سَمَيْذع

ومنها:

فيا ابن الأُلى سارت بمدح جدودكم | رفاق لها بين السباسب مهيع
ألستم سراة المسلمين وأسرة | محبتهم يوم القيامة تنفع
إذا أطعموا يوم الوليمة اشبعوا | وان طعنوا يوم الكريهة وقعوا
ألستم شموسا في الورى ووجودكم | أمان لهم من كل ما يتوقع
إذا سدتم الأملاك شرقا ومغربا | فما سادهم الا القبال الموقع
وان كان فيهم للخلافة زينة | فمنصبكم فيها أجلّ وأرفع
بقيت لهذا الدين تعلي منارَه | وقدرك من بين الملوك مرفع

وفي فتح مدينة العرائش قال العلامة مفتي فاس أبي محمد البوعناني قصيدة والتي هنأ بها المولى إسماعيل[652] :

الا ابشر فهذا الفتح نور ... قد انتظمت بعزكم الأمور
وطير السعد نادى حيث غنى ... قد انشرحت بفتحكم الصدور
وضوء النصر ساعده التداني ... ونور الفجر نحوكم بدور
وقد وافتكم الخيرات طرا ... وطاب العيش واتصل السرور
حميتم بيضة الاسلام لما ... بثغر الخلق قد حدث الثغور
فجاهدتم وقاتلتم فأنتم ... لدين الله أقمار بدور
وأطعمتم صوارمكم لحوما ... لذي الهيجاء صاحبها كفور
ففقتَ البدر يوم السلم حسنا ... وفي يوم الوغى الأسَد الهَصُور
وثغر للعرائش قد تبدى ... لقدركم على الشعرى الظهور
لقد كان الملوك يُساوموها ... وراموها وبان لها النفور
فلما جئتها نادت وقالت ... اليك يحق مولانا السرور
ملكت قياد ساكنها بذل ... فما اغنى الحصار ولا العبور
قهرتهم بابطال عظام ... على الهيجاء كلهم جسور
فكم رأس من الكفار أمسى ... قطيع الرأس مجرورا يخور
وكم نحر قلادته رماح ... وسن الرمح مركزه النحور
وكم قتلى وكم أسرى بأرض ... وكم جرحى دماؤهم تفور
تمر بها الطيور فتتقيها ... وبات الذيب وهو لها شكور
وأضحى الناس كلهم نشاوى ... على طرب وما شربت خمور
فبشراكم فهذا الفتح نور ... وبشراكم به من الغفور
به زادت مآثركم علوا ... وقد عظمت به لكم الاجور
الا يا اهل سبتة قد اتاكم ... بسيف الله سلطان ونور
إذا ما جا لسبتة في عشي ... تناديه اذا كان البكور
ووهران تنادي كل يوم ... متى ياتي الامام لنا يزور
متى ياتي ويفتحها سريعا ... ويلحق اهلها منه الثبور
ألا يا معشر الكفار هذا ... يبيدكم وليس له فتور
فيهزمكم ويقتلكم ويسبي ... وسيف الحق في يده ينور

أيا مولاي قم وانهض وبادر — لأنـــدلس وانت بها الأمير
وجاهدهم وحاربهم وفــرق — جموعهــم فربكــم الـــنصير
ولا يمنع بفضل الله منها — كما قد قيل بر أو بحور
لسان الحال ينشد كل يوم — ومعنى الحال تفهمه الصدور
بقرطبــة تنــال المجد طـــرا — وباقي العز والملك الكـبير
وذالكم بعون الله سهـل — ومـن بركاتكـم أمـر يسير
أيـا مـولاي اسماعيـل هــذا — عبيـدكم الضعيـف المستـجير
يناديكـم بناديكــم ويدعـــوا — دعـاء لا توهنــه الدهـــور
فيا رب البرية يا إلاهــي — يا راحمي ويـا نعـم المجير
أثب هذا الامير بكل خير — ولا تجعــل تجارتــه تبــور
وابق الملك فيه وفي بنيــه — ولو كرهت زيود أو عمور
ونحن رعية نرجــو هنـــاء — وبالسلطـان تنتظـم الامـــور
عليكم مـن عبيـــدكم سلام — مدى الدنيا يضمخه العبير
يؤم جنابكم ما قال حب — ألا ابشر فهذا الفتح نـور

وفي نفس المناسبة قال العلامة الأديب محمد بن الطيب العلمي[653] :

نصرت أمير الدين يامطلع النصر — فجا للردى ذا الطي والدين للنشر
وأوصلت حبل الدين بعد انصرامه — بصارمك الهندي والبيض والسمر
مليك يرى في الحرب بين كماته — كبدر وهاذي النجم تحنوا على البدر
يريك طغاة تحت حافر طرفه — وما هي الا الصيد في مخلب الظفر
عقول العدا طارت الى وكر سلمه — كما طار شوقا ذو فراخ الى الوكر
له راحة بيضاء تحمر بالدما — وءاونة تصفر من هبة التبر
إمام به في المغرب الكل يقتدي — وقد أمه كل العوالم في العصر
بنى كعبة الايمان في حرم الهدى — وأسسها من فوق قاعدة البر
فان يبن اسماعيل في البيت كعبة — يحج اليها الناس في موسم النحر
فقد شاد في الدين المتين سميه — بنا كعبة قامت على عمد الذكر
وابلغ دعوى الدين شرقا ومغربا — الى ان هدا السارين في البر والبحر
وشمر عن ساق القتال لمن بغى — وشد حزام الحزم والعزم في الخصر
واقبل في جند هو البحر هيبة — فمن هول ذاك الجند حدث عن البحر

اتاه رجال في الوغى فكانهم ... رجال اتوه من حنين ومن بدر
ففرَّق جمع الكافرين وهدهم ... واهلكهم بالطعن والقتل والاسر
وعوضهم ثوب الفخار بذلة ... وابد لهم سكنى العمارة بالقفر
فأذن فيهم للرشاد مـؤذن ... دعاهم الى الاسلام والطرق الغر
معاشر اهل الكفر كفوا نفوسكم ... وتوبوا الى المولى وتوبوا الى الخير
فهذا الذي يسقي بقطر دمائكم ... بطون الثرى لو كنتم عدد القطر
لئن لم تكونوا مهتدين لهديه ... فوالعصر ان الكافرين لفي خسر
همام يبيد الظالمين بجنـده ... وأبطاله كالليل والانجم الزهر
تصلي على راس العداة سيوفه ... وتضرب في الهامات بالشفع والوتر
فكم سجدة للسيف فوق ظهورهم ... وكم ركعة للعاليات على الصدر
تخامر قلبي غمرة من مديحه ... فاغدوا وبي منها خمار بلا خمر
ومن يرو آثارا له استعيده ... فيحسب بي وقرا وما بي من وقر
وأصبح إن أذكر جميل خصاله ... من الشوق سكرانا ولست بذي سكر
براحته الأنهار تجري من الندا ... ويوجد في الأنهار ما ليس في البحر
وليس يبالي إن خلا بيت ماله ... وقد ملأ الأقطار بالحمد والشكر
أيا ملكا ينهي ويأمر في الورى ... نصرت بأمر الله في النهي والأمر
ولازلت ملحوظا بعين رعاية ... من الله محفوظا من الميل والجور

وقال أيضا في مدح المولى إسماعيل[654] :

يا خير من ولي أمر العباد ... فاعدم الغي وأبقي الرشاد
أنت الذي أخرجت بيت الهدى ... والعدل من حي الردى والعناد
أيدت بالنصر العزيز وكم ... رعت العدا بالصافنات الجياد.
دانت لك الخلق فما أحد ... إلا له كرها إليك انقياد
لما أبى الكفار أن يهتدوا ... واستكبروا حتى طغوْا في البلاد
أذقتهم وسط بيوتهم ... صاعقة مثل ثمود وعاد
حتى غدوا قتلى دماؤهم ... أودية يجري بها كل واد
وألسن العدل تنادي بهم ... هذا جرى أهل الردى والفساد
جاءتك في الحرب ملائكة ... ناصرة الحق غلاظ شداد
فأصبح الكفار أوجههم ... مغبرة يعلو عليها اسوداد
وخرب الله ديارهم ... من بعد ما كانت كذات العماد
كانما ملكك بين الورى ... عام رخاء بعد سبع شداد

وفي فتح العرائش كذلك قال العلامة المؤرخ أبي محمد الشريف عبد السلام القادري الحسني مهنئا السلطان إسماعيل[655] :

علا عرش دين الله كل العرائش ... وهد بنصر الله قصر العرائش
وكل عريش منه ثلت عروشه ... ورجت به رجا صواعق نابش
واسلم للاسلام من بعد كفره ... بوقع سيوف لا برشوة رائش
اتاهم من الايمان جيش مؤيد ... فناجزهم ما بين رام ورائش
وثار عليهم كل سهم غشمشم ... وكل كمي سارع الضرب باطش
علوهم باسياف أسالت رءوسهم ... وساروا سريعا بين طاو وطائش
وحاشوهم حوز البزاة بغاثها ... وقد اثخنوهم فيه اثخان فانش
فما لبثوا ان طالبوا الأمن في الوغى ... وذلوا لدين الله ذلة داعش
وهان عليهم كل هول وهائل ... وربقة اسر بعد طول تهاوش
ترى كلهم في الارض بادي ذلة ... كئيبا كسيفا باله غير ناعش
يساق بأيدي الجيش سوق مهانة ... يهز حشاه الخوف هزة راعش
يعض يدا أو ينتف الرأس واللحى ... لان لم يمت من قبل موت الهوارش
كانهم الغربان قص جناحها ... وبلت بوبل من كواكب حافش
هنيئا بعز المومنين وجمعهم ... واذلال أهل الكفر أهل الفواحش
بهذا ليهن عيش كل موفق ... بهذا ليفرح دائما كل عائش

لنا النصر والبشرى لنا بامامنا ... هزبر الوغى غيظ العدو المنافش
أبو النصر اسماعيل ناصر ديننا ... وحامي الحمى بالمرهفات البواطش
زعيم سلاطين الورى وإمامهم ... وسيد أقيال الورى دور خادش
مليك له يمن به صار كلنا ... يروح ويغدوا في اجل معائش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى ... له الفتح في اوساطها والهوابش
اباد حصون الكفر بالسيف والقنا ... وما اذعنت من قبله لمباشش
فسل عامري معمورة عن فتوحه ... وسل طنجة من قبل هذا العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى به ... كذلك ما في الارض من كل هامش
به سعدت اهل المعارف كلها ... فأصبح من جرعاه لهفة عاطش
نعم انه من نبعة نبوية ... وفرع زكي طيب النشر عارش
لذاك ملوك الارض طرا تهابه ... فكلهم من بين مرمى وداهش
وما الترك الا في دواهٍ دهتهم ... صدورهم جاشت بأعظم جائش
لك الفتح محدود فجاهد عدونا ... وحشهم وما اوفى لهم كل حائش
فلا تخش حيا ما حييت فإنه ... لك النصر عند الملتقى والتهاوش
عليكم من الرحمان عين كلاءة ... تصاحبكم عند اشتداد المداهش
ودام لكل المسلمين ظلالكم ... ودمنا له في طيبات المداحش

ومما قيل في المولى إسماعيل، قول الأديب البليغ محمد بن زاكور؛ ومن موشحاته وشعره فيه[656] :

بقيت سنا الملك ... منيل الغرَر
تعلّ ذوي الود ... بكأس الهبات
أيا مركب السعد ... وعين الحيات
أمولاي اسماعيل ... أشمس الملوك
بمدحك صار القيل ... كدُر السلوك
وكاد من التسهيل ... على من يحوك
ينال بلا قصر ... رقيق السمات
كما فاح من نجد ... لطيف النبات
يزيد به ذوقا ... غرامُ اللبيب
وينعم من يشقى ... بهجر الحبيب
وراقمه يسرق ... على ابن الخطيب
فخذه كما الشهد ... مع الرشفات
حكى جار عن قصد ... هوى الغانجات

وقال أيضا من قصيدة:

املى الهنا والسعد ودد ... نصر لمولانا مؤبد
وسعادة معقودة ... ببنوده في كل مشهد
وسلامة تهدي له الـ ... ـثامال واضحة المقلد
وصرامة تجني له ... زهر المنى من كل مقصد
وعزائم تسبي له الـ ... أعداء من مثنى وموحد
وغنائم تجبى له ... ممن عن الاذعان عرد
مولاي اسماعيل من ... جُند الالاه به مؤيد
مولاي اسماعيل من ... جمع العداة به مبدد
ملك علا فوق العلا ... والعفو عن ذي الجرم يشهد
ملك تناهى حمده ... اذ ليس من في الناس يحمد
فالسعد من انصاره ... والحلم رائده المسدد
وله من الرعب الذي ... يفني العدا جند مجند
أو ليس من ابناء خيـ ... ـر الخلق مولانا محمد
صلى عليه الله ما ... دامت مواهبه تجدد

وقال:

الله أكرم آل دين محمد | بمليكهم نجل الشريف الأمجد
مولانا اسماعيل من نقماته | لم تقترب ونواله لم يبعد

وقال:

الله فضلنا على من قبلنا | بمليكنا مولاي اسماعيل
فالشهب من عزماته مذعورة | والقطر يحسد نيله والنيل

وقال:

زند سعد أورى | والهنا جاءنا سافر
وتوالت بشرى | بهمام لنا ظافر
بالذي قد أعرى | موج بحر الندا الوافر
ملك البريَّا | من عداه الردى نالوا
زاهر المحيا | ذو نوال له بالوا
من سناه أغنى | عن سنى ناله البدر
وشباه أفنى | كل من شأنه الغدر
ونراه أدنى | منه من داره مصر
واجب عليا | مدحه مابدا آل

وعلا الثريا | وتلى الصبح آصال
مستطاب مدحه | مستبين الكرامات
مستتم نصحه | عم حتى الجمادات
لايزال صبحه | مستنير العلامات
جاءنا وهيبا | له في المجد ارقال
لم يزل غنيا | عن نجوم إذا حالوا

وقال:

حـــدث عـــن منـــاقب مولانا الرفيع القدر الأكمل
حـــاصر الكتـــائب، ونار الوغى بالبيض تشعل
يخجـــل السحـــائب، بالجود الذي مازال ينهل
أيـــن جـــود حـــاتم، من جود الذي ساس البريا
نافـــذ العـــزائم، مُعيدُ السرور الميت حيا
ديمة النـــوال، ملاذ الورى شرقا وغربا
فـــلا زال حـــالي، بالعز الذي يعلو أو يرقا
أربَّ الجـــلال طوق ملكه بالنصر طوقا
أزيـــن المواسيـــم أيامن حوى ملكا عليا
لـــولا أنت غـــانم لكان الهنا عنا غنيا
أفخـــر الخلائـــق، أغوث الورى برا وبحرا
حـــويت اللطائـــف وأودعتها بالـــقسر قصرا
دمت فيـــه قاطـــف من نخل المنى والسعد تمرا
ثغـــر اليمـــن بـــاسم وطير المنى يشدوا هنيا
أزيـــن المواســـم أيا من حوى ملكا عليا

وقال:

حي الهناء والسرور مـــدى الدهـــور بمولـــد المختـــار
المصطفى بدر البدور شافي الصدور بالنـــور والأسرار
وبابنه بحر البحور در النحـــور معفـــر الأشرار
من قد حكى يوم الكفاح بين الرمـــاح ليث الثرى في الغيل

عين الرشاد والصلاح   قطب الفلاح   مولاي اسماعيل
شمس الملوك أجمعين   إذ لا قرين   واسطة العقد
لولا أمير المؤمنين   نور مبين   للقرب والبعد
حكى جميع المسلمين   في العالمين   كفا بلا زند
إذ هو عنوان النجاح   بحر السماح   يفيض فيض النيل
عين الرشاد والصلاح   قطب الفلاح   مولاي اسماعيل
أتاك مولد الرسول   ياابن البتول   فاصطد به الأفراح
في قصدك الذي يهول   كل العقول   بحسنه الوضاح
فالبس به برد القبول   ياكل سول   يارحمة الفتاح
فلو حبي طير الصباح   نطقا لصاح   باحسن الترتيل
عين الرشاد والصلاح   قطب الفلاح   مولاي اسماعيل

وقال العلامة عبد السلام جسوس مخاطبا المولى إسماعيل[657] :

رفعت منازل سبتة أصواتها   تشكو اليكم بالذي قد هالها
مع بادس وبريجة فتعطفوا   وتنبهوا كي تسمعوا تسئالها
يابن النبي الهاشمي محمد   قل ياأمير المؤمنين إنا لها
فلقد قضيتم للعرائس حاجة   مع طنجة فاقضوا لِذِي آمالها
عار عليكم أن تكون أسيرة   بجواركم وجنودكم تعزى لها
إن لم تكونوا آخذين بثارها   من ذا يفك من الوثاق حبالها
لاتسمعن من جاهل ومثبط   ومصعب من جهله أحوالها
إن الذين تقدموا قد جاهدوا   بنفوسهم وبمالهم أمثالها
فتملكوا أملاكها وديارها   وتقسموا أموالها ورجالها
فابعث لها أهل الشجاعة عاجلا   حتى تراهم نازلين جبالها
وأمدهم بمعونة وبقوة   كيما تقطع بالعدا أوصالها
وارفع لهذا الغرب رأسا أنه   في الضعف مادام العدا نزالها
أبقاك ربي للخلافة عُدة   تقفوا الشريعة مُؤثراً أفعالها
واقبل هدية من أتى بنصيحة   يبغي الثواب ولاتقل : من قالها

وفي المولى إسماعيل قال السيد محمد بن عبد الله الجزولي من قصيدة[658] :

مولاي اسماعيل ياشمس الورى يامن جميع الكائنات فدى له
ما أنت إلا سيف حق منتضى الله من دون الخليقة سله
من لا يرى لك طاعة فالله قد أعماه عن طرق الهدى وأضله

ومن أقوال بعض الكتاب في السلطان[659] :

ألا قل لمن شق العصا كان يبتغي ورام لهذا الملك بالهزل ينسخ
فمولاي اسماعيل باز محلق إذا صرصر البازي فلا ديك يصرخ

وفي أمداح السلطان المولى إسماعيل ما ذكره المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان في كتابه المنزع اللطيف حيث قال[660] :

{وفي أحسن ما قرأته لبعض المعاصرين في مدحه قول شاعر الدولة المطبوع مخلص ودنا الفقيه الأديب أحد كتاب الحضرة السلطانية السيد الحاج عبد الله القباج من قصيدة:

على أرض مكناس السعيد سلام كروض أريض قد سقاه غمام
على مائها العذب الزلال تحية يطيب بها فيها الهوى ويشام
على من بها من صالحين وسادة من الله رضوان حماه ذمام
على قبر اسماعيل فيها تحية وخير ثناء والثناء وِسام
أمير وأيمُ الله كان مهندا وليثاً وغيثاً للعلا وهمام
وكان يحب العلم والدين والهدى ويحمي حمى العلياء فيه قوام
وكان يهاب الحق والحق مرْغم وتخشاه هذي الأرض وهي رغام
وضاقت بها في كل صقع عبيده وحامت عليهم حين حام وحاموا
وأجناده كان البخاري أمامهم إذا سار ساروا أو أقام أقاموا
وأبراجه في كل شطر شواهد على أنه بين الملوك عصام
قوي شديد أبيض القلب أسمر عظيم وأبناء العظيم عظام
بلى إن اسماعيل أنفق عمره على أبلق طرف بفيه لجام
تضيق به البيداء عند امتطائه ويعروه في وقت المسير هيام

وكم مرة راموا لحوق قتامه فاعجزهم قبل اللحوق قتام
على ظهره للطائعين مغانم وفي غرتيه للعصاة حمام
فقل لجهول راح ينكر فضله مثلك بين الناس ليس يلام
أيبصر خفاش الضلال الضيا وهل يرى الشمس أعمى في حشاه ضرام
تعال بنا يا منكر الفضل بيننا إلى كتب التاريخ فهي ضخام
وسلها عن اسماعيل في كل صفحة تجده كريما والملوك كرام
نجد ممتدا في الملك أعرق خيمة ومجدا له فوق العلاء خيام
قضى الله أن يجري القضا بمراده وأن يغلب الأيام وهي طغام
وأن يملك الأقصى وأن يبلغ المنى وأن لا يجارى جاره ويضام
وأن ينظم الملك الذي كان شمله شتيتا وجمع الشمل فيه نظام
فأعوامه الستون بالأمن قد مضت كيوم وأيام الأمان منام
عجبت لإسماعيل وارته حفرة ووافاه من قبل الرحيل سقام
هنيئا لمكناس بروضته التي تزار وفيها للأريج مقام
وبالقصر والاسطبل والقصر بابه دليل على ما كان فيه ينام
لئن غاب اسماعيل عنا فهذه ضراغمه كالراسيات جسام

{...

وفي مدحه، قال أحدهم[661] :

حللت حمى الإمام فما أبالي بمن في الأرض من عات وعال
ولدت بظل عزته التي لم تزل تسمو بعزة ذي الجلال
مليك نالت الأملاك طرا به العليا فكان أبا المعالي
له قدر جليل الخطر باق مدى الدنيا على مر الليالي
تعد له الملوك بكل قطر مماليك البساط أو الموالي
إذا بزغوا نجوما في علاهم إذا فابوا الفدا شمس المعالي
نئا بمقامه السامي فكل يحاوله تعرض للمحال
لدى مولاي اسماعيل خرت جباههم الجميع على التوال
فألحق منهم الأدواء منه وسلطان المدائن بالنعال

وماعظمت بنو مروان إلا … بقومك خير أصحاب وآل
فأنت لسمط أملاك تحلت … به الايام واسطة الاثالي
لك التصدير بينهم فمن لم … ينل منك السيادة فهو خالي
ظهرت بكل مكرمة توالت … على الأكوان من سابق وتالي
وقمت بنصر دين الحق حتى … علا والكفر يأذن بالزوال
سحبت على العرائش ذيل قهر … غدت منه الأعاجم في وبال
فأصبح رهط أصفر في جديد … من الذل الملم بها وبالي
فما منعتهم منها حصون … ولا كور الصواعق من محال
وطنجة مذ عراها الرعب كادت … تملكك القياد بلا قتال

ومنها:

لما عانوا بمهدية قبيلا … فلاح بها الفلاح علي الضلال
وذل بها الصليب وآل عنه … العباة به إلى شر المئال
وفر حماته رغما فولت … كماتهم منكسة العوالي
فلم تنفعهم سمر ولا ما … أعدوا من ظبى بيض النصال
فآل الأمر أن لاذوا بلج … على فرق يذيب وسوء حال
فريح النصر حيث سرت سار … وصبح الفتح حيث حللت جال
إذا جندت ذا لجب عظيم … يضيق له الفضاحين المجال
بسود كالأسود على عراب … مسومة هياكل كالتلال
كأغوال تجول بهم وهم في … ذرا منها كأمثال الجبال
يودون الحمام إذا تلظى … لظى الهيجا وأفرط في اشتغال
فمن ماض وفي يمناه ماض … سرى كالبرق في هام الرجال
ومرات وسن الرمح نات … لديه في الطلا من كل قالي
كسوتهم السيادة فارتدوها … ورضتهم على غر الخلال
فجلوا عند ما حلوا الحمى من … مكين رضاك مبسوط الظلال
فهما جيد الرياسة في سناه … بسلكهم المنظم خير حالي
وسعدهم بأمرك في صعود … وضدهم بقهرك في انسفال
وخيرهم بفضلك في مزيد … وصرف الخطب عنهم في انخزال
فصاروا غالبا نسكا كراما … سراة للعلا صدق المقال
أطال الله عمرك للبرايا … وحاط بك البر   رمايوالي
وحصن بيضة الاسلام حفظا … بنصرك فالمهيمن خير كالي
وقربك العيون مدا طويلا … من الاسلام قاص أو موالي
وحفك بالمنى والنصر منه … جزاء عن مآثرك الجوالي
وقابلك الرضى منه فما أن … تشاهد غير آثار الجمال

ومما قاله عبد الله بن يوسف الوادتوني في المولى إسماعيل بعد رجوعه من الصحراء هذه القصيدة[662] :

هواى على تلك المهارى الرواسم   بتلك الخدور المائلات القوائم

صمدن الى نحر الفلا بدُجُنَّة   مجررة اذيالها بالقواتم

تبدت من آفاق الهضاب كانما   تسوق رياح عاكرات الغمائم

كأن اعاليَ الخدور نواصعا   بياضا ظهور الورق بين الحمائم

كأن بروق الجو يبرُقن فوقها   توالي ابتسامات الثغور البواسم

كأن سراب الدو يلمع بينها   وقد مد نور الشمس فوق الرواسم

رجاء خلال الجيشِ جيشٍ مظفر   تضم خوافيه خيارُ المقادم

تحوم امانئ الورى فوق جوه   كطير اذا ما سار سرن حوائم

يبين امير المومنين امامه   كساع بتبشير الاهالي بقادم

يصون طليعات الخميس ببأسه   كما صين ريش مختف بالقوادم

ومنها:

خميس تضيق الفيح من جنباته   كماامتددون السيف خضرُ الخضارم

حدائق ابطال سَنَوُّرها لها ،   بخضرته مثلُ الحقول النواعم

وشائعها عند الحدود مُسنُّور   من الاسَل العسال بين الصوارم

معودة شجعانه فى لقائهم   كلوم العدا بين القفا واللهازم

اذا ما نحا صوبا فمد جناحه   واكنافه فى صَلَبَات البِلادِم

وقد ماج بالسمر اللدان الطوال ، اذ   تصافح راحاتِ السما بالبراجم

تقدمه نحو الاعادي . وان هم   من العز والعلياء ابناءُ دارم

عرمرم جيش الروع يوقع بالعدا   ولما يلاقوا الحرب شر الهزائم

يقلقهم حتى يغادر هامهم   بما خامر الالباب ميل العمائم

فمن يحدُه منهم تجلّدُه فما   حمائله الا خيوط التمائم

يساق بخوف مزعج ولربما   يسوق حمارا خوفه للضراغم

فيغدو بنحس العضب يصدَى صقيله   ويمسى بسعد الطائرات الحوائم

الا ايها العربان ما ذا لقيتم   من اروعَ خواض الدجى والسمائم

حسبتم فساح البيد تفلت جمعكم ... وقد طاردتكم ضاريات القشاعم
أرْدتْ لكم تلك الفجاجُ كأنها ... سِمامُ خيّاط حين تغشى بعارم
يخامركم طوفانُ باس فلا يقي ... خيامكم من سيله اي عاصم
اذا حم امرٌ لاطواسينَ سُدّه ... ولا عاصمات منه ءاي الحوامم
سدمتم وقد نادى الردى في خيامكم ... وقرعتم مما عرا سن نادم
ولكن على الباغي تدور الرحى اذا ... تحرش بالوَرْد العبوس الطُخارم

* * *

هنيئا امير المومنين بأوبة ... من ارض المنايا والردى والملاحم
فضضت بها بكرا تساء بعضلها ، ... وجارتها بالزف وسطَ المراحم
فلم يك كفئا للغواني سوى فتى ... يقود لها مَهر العلا بالعظائم
عزمْتَ فنلت الفتح فذًا موفرا ... (على قدر أهل العزم نيل العزائم)
دعتني بنات السكر خامر بشره ... جوانح صدري بالكؤوس السواجم
لتهنئة أفضي بها لمسامع ... مشربة بالمبهجات الدوائم
لعلي ارى لي من يديه مُلاءَةً ... افوق بها اهلي وكل العوالم
على سيدي مني سلام كأنه ... احاديث ذاك الفتح من فم غانم

وفي نزول السلطان المولى إسماعيل على مدينة وهران قال الشيخ أبو رأس في قصيدته[663] :

وَبَعْدَ أَلْفٍ ومِائَةٍ فِي نَقْطِ يب ... جَهَّزَ إِسْمَاعِيلُ لَهَا (أَقَاصِي) سوسْ
وَأَهْلُ (تَامَسْنَا) مَعَ أَهْلِ مَلْوِيَّه ... وَوَجْدة وَمَغْقِل وَبَنِي (زَنَس)
فَحَطَّ كَلْكَلَهُ حَوْلَهَا مُعْتَزِماً ... عَلَى النِّزَالِ فَلَمْ (يَجِدْ) مَحَلَّ (سُوسْ)
قَامَ (بِهِيدِرِهَا يَوْما) يَحْتَالُ لَهَا ... قَدْ اسْتَعَانَ بِمَا حَوْلَهَا مِنْ مَخَس
أَعْيَتْهُ حِيلَتُهَا حَزْماً وَمِنْعَتُهَا ... عُقَابُ جَوٍّ قَد ارتَقَى عَنْ الحَرَس
فَقَالَ هَذِهِ أَفْعَى تَحْتَ صَخْرَتِهَا ... تَضُرُّ لاَ الضَّرُّ يَأْتِي لَهَا مِنْ إِنْس

وفي قبر السلطان المولى إسماعيل؛ قيل[664] :

أيا زائرا قبر الامام أبي النصر تأدب له واخضع وقل فزت بالبشر
سلام كنشر المسك والعنبر الشحر عليك انجل المصطفى الطيب الذكر
ورحمة مولانا وأزكى تحية ورضوانه الباقي إلى غابر الدهر
لمولانا اسماعيل من خضعت له رقاب عتاة العرب والعجم الصفر
توفاه مولاه عزيزا مكرما إلى الملا الأعلى الذي جاء في الذكر
وكنا نُرجى منه ماترتجي الرُّبا إذا ما عراها المحل من وابل القطر
وكان لواء النصر يخدم بابه ويحفظه الرحمن من كل ذي مَكر
له همم تسموا على كل همة وأقربها فوق السماك لمن يدري
ويحمي حمى الاسلام نصحا ورحمة ويُكسب معدوما ويجبر ذا كسر
وكان لدا الهيجا إماما مقدما إذا طاشت الأحلام من شدة الذعر
وكان صفت له الضمائر وانطوت على كرم الأخلاق والشيم الغر
إلاهي بالرضوان اكرمه والمنى وعامله ياذا الفضل بالعفو والغفر
لئن كان هذا الفضل غيبه الثرى فإن الثنا أبداه في كل ما قطر
مكارم لايحصى مدى الدهر عدُّها وهل لِنجوم الأُفقِ ياصاح من حَصر
مضى ومضت تلك الخصال وغيبت محاسنه مذ حل في روضة القبر
عن البحر حدث مابقيت بما تشا ولاحرج فيما يحدث عن بحر
وفي عام تسع والثلاثين قبله إلى مائة من بعد ألف من الدهر

ومما هو متوج به زليج قبة ضريح المولى إسماعيل على ما ذكره المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان[665] :

تاج الملوك إمامهم وضياؤهم سبط الرسول وبضعة المختار
مولاي اسماعيل خير بيوتنـا نجل الشريف وطلعة الأسرار
بيت المكارم والسيادة والندى قطب الجلالة معدن الاكبار
ورث المجادة كابر عن كابر والمجد مجدهم بـلا إنكـار
قد طالما عبد الالاه بليلـه ونهاره وسطـا على الفجـار
جبَر الكسير وكم أسير قد فدى بنفـائس الأمـوال والأحجـار
وبنى المساجد والمدارس طائعاً متواضعـاً لمليكـه الجبـار
كم عفر الوجه الكريم على الثرى بسجوده شكرا بلا استكبار

ومنها:

فتح المدائن والحصون بجُنْده وجهـاده وحسامـه البتـار
نشر العطا غفر الخطا ستر الغطا أغضى الحيا من حمله الستار
مد الامان على الأنام بظله وسقى الحيا من كفه المدرار
قل للمفاخر لاتفاخر واعترف لكمالـه بالعجـز والاقصار
ماذا تقول لفضل آل محمد وهم الغياث لكل خطب طاري
وهمُ الكرام إذا حللت بجاههم وهمُ الأمان لأرضهم والجار
من ذا يعدُّ عليَّ فضلا في الورى وانا طَويت المجد تحت جدار
في عام **لبى شرف** داع إلاهه قد صار في كرم مع الأبرار

السلطان مولاي أحمد بن إسماعيل

ومما هو مكتوب في ضريح المولى إسماعيل ما ذكره الضعيف صاحب التاريخ وهي قصيدة نظمها بعضهم، وفي بيتها الأخير ذكر للسلطان مولاي أحمد[666] :

لئن كان هذا الفخر قدغيبه الثرى ... فان الثنى أبداه في كلما قطر
مكارم لا يحصى مدى الدهر عدها ... وهل لنجوم الأفق يا صاح من حصر
مضى ومضت تلك الخصال وغيبت ... محاسنه مذ حل في روضة القبر
عن البحر حدث ما بقيت بما تشا ... ولا حرج فيما يحدث عن بحر
وفي عام تسع والثلاثين قبله ... إلى مائة من بعد الف من الدهر
بأمر ابنه المنصور مولاي أحمدا ... أمير الورى لا زال يذكر بالخير

السلطان عبد الملك بن اسماعيل

ومما قاله العلامة الأديب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي؛ قصيدة يمدح قبة المولى إسماعيل ويمدح المولى عبد الملك في آخرها وهذه القصيدة[667]:

يا طلعة القمر المنير السار ... متكلما متبسم الاسحار.
نثر الجمان على بساط سمائه ... كسا الدجى بملابس الانوار
إن كنت في شرف الكمال متوجا ... تاج الجمال على مدى الاعصار
وغدوت يا بدر الدياجر آية ... وقفت عليك نواظر الابصار
أو كان وجهك في الظلام بنوره ... يهدي السبيل لمدلج الاسفار

نعم لك الفضل الذي سك السما ... ولك الفخار وابن منك فخار
بيني وبينك فارق لو مزته ... لعلمت أن الحق شمس نهار
أنا بهجة الحسن التي بجمالها ... تخفي بدور التم يوم توار
مغنى الجمال مع الكمال وآيتي ... ومحاسني كالصبح في الاسفار
أنا قبة المجد الرفيع سماؤه ... وامامه قد حل وسط قرار
أنا مقعد الشرف الاثيل وجهته ... بيتي غدى ويداك عز جوار
أنا روضة العلم الشهير أمامنا ... قمر الملوك وواحد الاقمار
سمط الملوك وسيط عقد بنظامها ... سبط الرسول ونبعة المختار
مولاي اسماعيل خير بيوتها ... نجل الشريف وطلعة الاسرار
بيت المكارم والسيادة والندا ... قطب الجلالة معدن الاكبار
ورث المجادة كابر عن كابر ... والمجد مجدهم بلا انكار
قد طال عبد الاله وما أتى ... من فعل معروف وخير سار
في كل عام وافدات صلاته ... تغشى المدينة صحبة الزوار
اهدى لروضتها الدخائر قربة ... ونفائس الأموال والاحجار
وبنى المساجد والمنابر طابعا ... متخاضعا لمليكه الجبار
كم عفر الوجه الكريم على الثرى ... بسجوده شكرا بلا استكبار
وطوى الهواجر بالصيام متابعا ... حتى مضى لكرامة الغفار
قهر العدى وسقاهم كأس الردى ... وسبى رقاب طوائف الكفار
فتح المدائن والحصون بجده ... وجهاده وحسامه البتار

مد الامام على الانام بظله ... وسقى الحيا من كفه المدرار
قل للمفاخر لا تفاخر واعترف ... لكماله بالعجز والاقصار
ماذا تقول لفضل آل محمد ... وهم الغياث لكل خطب طار
وهم الكرام إذا حللت بجاههم ... وهم الأمان لأرضهم والجار
وهم هم من أمهم وأبيهم ... متوسلين بجاههم للبار
من ذا يعد علي فضلاء الورى ... وأنا طويت المجد تحت جدار
فلي الفخار على المباني كلها ... وآثاره تنبيک عن اخباري
قد شادني الباني ولله مانيا ... واطلاله تحكى السماء منار
وأنا لني شرفا أبو مروانها ... بالانتساب له على مقدار
خير الملوک من البرية كلها ... عبد المالک سلالة الأخيار
غيث البلاد إذا البلاد قد امحلت ... غوث الانام لكل هول عار
خير الاله هو إلى الأنام وصدعها ... وكسى به في الفضل من هو عار
ورث الخلافة عن أبيه وأنه ... أهل لها من سائر الاقطار
عقلا ودينا سؤددا وشجاعة ... حزما وجودا دائم الامطار
يغني إذا أعطى وإن هو قد سطى ... فتخاف فتكته جبال الطار
ما مات والده ليخلف مثله ... فكأنه ما غاب عن أبصار
حسب على حسب قد تكامل مجده ... وكذا ذوو الانساب والاقدار
أبقاک مولانا لنصرة دينه ... ظلا ظليلا في سماء الامصار
تغشاک ألطاف الاله ونصره ... يتلو عليک معالي الاظهار
وسواک مفضل وقدرک فاضل ... وعلاک فوق الكل في الاسطار
فعلى ضريح أبيک مولانا الرضا ... آلاف آلف سلامه المعطار
وسقاه مولانا شآبيب الرضا ... تغشاه بالآصال والابكار

السلطان عبد الله بن إسماعيل

ومما قيل في السلطان عبد الله لما بسط نفوذه على جميع أنحاء المغرب[668] :

لِمَوْلاَيَ عَبْدِ اللهِ حَطَّتْ رِحَالَهَا ... وَجَاءَتْ لَهُ تَسْعَى بِحَلْيَةِ رَاغِبِ

ومما مدح به السلطان عبد الله بن إسماعيل قول الكاتب السيد عبد القادر بن محمد العربي القادري الحسني[669] :

عليك سلام يا ضياء العوالم ... ويا بهجة الأشراف من آل هاشم
ويا من سما عضباً على كل جاهل ... وأصبح مسروراً به كل عالم
وأصبح ظل الله في الأرض ناظراً ... إلى كل مسكين بمقلة راحم
ويا من كساه الله منه مهابة ... تذل لها رغماً أنوف الأعاجم
ويامن له حزم وعزم وسطوة ... تفتت إرهاباً قلوب الضراغم
كفاك افتخاراً أن عزك ظاهر ... وجودك منسي به جود حاتم
وكون سجاياك التي فاح عرفها ... سجايا الملوك الشم أهل المكارم
لعمري لقد ألقت إليك زمامها ... ضروب العلا إذ كنت أحزم حازم
فقمت على الملك المشيد ركنه ... تذود لديه بالقنا والصوارم
وأغناك رب الناس عن جمع عسكر ... برأي مصيب للعساكر هازم
ونفس علت فوق السماكين همة ... وعقل غني عن هداية عالم
فجئت وسيل الغرب قد بلغ الزبى ... وأسواقه معمورة بالجرائم
ونار الشرور في الفجاج تأججت ... فطاب لأهل البغي هتك المحارم
فدوخته من بعدما استنسرت به ... بغاث وقد طالت رعاة البهائم
فأمنتنا من كل طار وطارق ... وحصنتنا من كل داه وداهم

ومما ذكره صاحب زهر الأكم قصيدة في مدح السلطان عبد الله والتي لم يعلم أيهم قائلها[670] :

أحيي مقاما لم يخب فيه قاصد … ولا ضاع إن أتى لبابه وارد

مقام إمام فاض بالخير فضله … فما الناس إلا وارد ثم وافد

ففرج عن مكروبهم وأسيرهم … ومعسرهم ومن عرته الشدائد

وكم من عفيف ليس يظهر حاله … الى الناس يخفي ما به ويكابد

حيي فلا يشكو بضر أصابه … ولو أنها ضاقت عليه الموارد

أعنته يا مولاي في صون عرضه … كما هي منك للكرام عوائد

وكم من كريم أنقدته الأيادي من … ديون لئام لا ترق جلامد

وكم من فقيه باع لولاك كتبه … أعنته فهو للعلوم يجاهد

وهنيت أهل الخير من كل ظالم … وفدا كهم لله يدعو وساجد

وكم مقرئ لولاك قد ضاع أهله … وقد أشغلته بالدروس المساجد

وفي الطرقات الأمن من كل طارق … به ابن السبيل حيثما شاء راقد

ومن حرمات الله عظمت أهلها … فما ناسك إلا عزيز وعابد

وحسبنا أهل البيت منك بسيد … يطيل رقابنا على من نعاند

أقام لنا ملكا وعزا مزخرفا … يطيب به المرعى وتصفى الموارد

ويكفي من المفضال حسن عهوده … اذا ضاع بين الناقصين التعاهد

وكم من كمال لا يعدوكم وكم … من المجد لم يبلغه في الناس ماجد

تجمع فيه ما تفرق قبله … وخصته من بين الملوك زوائد

له في السخا والعطاء مكانة … تسامت فلم يطمع بنيلها واحد

وساعده التوفيق في الامر كله … فلا تعب تدنو إليه المقاصد

فحتى القريض فيه يسهل نظمه … وأن القوافي مسرعات تساعد

وليس بكفء للمقام قصيدتي … ولو أنها تنسى أداها القصائد

ولكن شعري في علاه مودة … وتاج علي باهج وقلائد

فذكره لي أنس وعز وملبس … وأكل وشرب نعمة وموائد

فذاك الجزاء لا أراقب غيره … ولو كان غيري للمجازات قاصد

فمولانا عبد الله روحي وراحتي … فنعم المنى والخير والله شاهد

أدام لنا المولى الكريم وجوده … وقدس روحا طيب بها والد

ومما ذكره صاحب الدرر الفاخرة المؤرخ مولاي عبد الرحمن بن زيدان قوله في تابوت ضريح السلطان عبد الله بن إسماعيل[671] :

{قرأت في تابوت ضريحه بخط مشرقي كاد الدهر أن يمحو أثره ما لفظه:

الحمد لله هذا ❀ ضريح من طاب اصله
سليل خير البرايا ❀ سبط الرسول ونجله
عبد الاله ابن اسما ❀ عيل الذي شاع فضله
اعظم به من امام ❀ قد أخجل البحر بذله
اولاه مولاه عفوا ❀ اذ كان لله نقله
وفي المعاد بفضل ❀ عند الاله يظله
تاريخه منه معنى ❀ على رضى الله حمله
لم لا وفي اللفظ منه ❀ جنات عدن محله

...}

السلطان سيدي محمد بن عبد الله

ومما أشار له عنان بقوله لما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الحكم، قوله[672] :

فَمَهَّدَهَا حَتَّى تَمَلَّكَ رُوحَهَا   فَحَازَ عَنَانَ فَضْلِهِ بِالمَوَاجِبِ
خَلِيفَتُهُ المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ   هِلاَلٌ بَدَا مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الكَوَاكِبِ

وفي نسب السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومدحه ما ذكره الضعيف صاحب التاريخ[673] :

ياربنا بالمصطفى الكريم   و قربه من ربه العظيم
و بنته الزهراء و زوجها علي   و بابنها الحسن ذي الفضل الجلي
و بالمثني نجله الاواه   و بابنه الكامل عبد الله
بالرضى محمد المهتدي   و القاسم المعظم الزكي
ثم باسماعيل درة الشرف   و أحمد ابنه يتيمة الصدف
بحسن ثم علي ابنه   ثم أبي بكر الرضى في شأنه
عرف الارضى الكريم السؤدد   و نجله الفضل أبي محمد
و نجله يارب عبد الله   بالحسن الاسمى الرضي الأواه
محمد بنجله بلقاسم   و بالحسن البعل العظيم القادم
محمد بحسن الازكى المنيف   بابنه مولانا علي الشريف
يوسف ثم بنجله علي   و بابنه محمد الارضى علي
و بأبي ملوكنا الشريف   من لم نزل في ظله الوريف
مولانا اسماعيل تاج الدنيا   رتبته واحدة في العليا
ياربنا و بالعظيم الجاه   سيدنا مولانا عبد الله
ربي بنجله أمير المومنين   من أيد الله بفتحه المبين
سيدنا محمد شمس الزمان   و روح عالم الانام في الاوان
ظل الله هنا على العباد   و غايته فحاضر و باد
و رحمة الله على المسكين   و فضله لذا القوي الدين •
ربي بهذا النسب الطاهر   المقدس المعظم المنور
أدم لنا وجوده وحفظه   و هب لنا رضاك كل لحظة
و اجعل علينا حرمة النبي   بجاهه المعظم العلي
صلى عليه الله ما دام الدوام   في ماله ابتداء و ختام

وفي مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله ما نظمه الكاتب الأديب محمد سكيرج[674]:

و لما رأيت البحر في الجود آية	و من جوده الدرر النفيس المقلد
سألته من في الناس علمك الندى	فقال أمير المومنين محمد

ومما مدح به السلطان سيدي محمد بن عبد الله من الشعر؛ أرجوزة الأديب البليغ أبي العباس أحمد بن الونان الشهيرة بالشمقمقية والتي ذاع صيتها في المشرق والمغرب والتي تعددت أغراضها الشعرية بين النسيب والحماسة والفخر والغزل والمديح والحكم والوصايا وعدد أبياتها 275 بيت، ومطلعها[675]:

مَهْلاً على رِسْلِك حادي الأَيْنُق	رلا تُكلِّفْها بما لم تُطِق
فطالما كلفتَها وسُقتَها	سوْقَ فتى من حالها لم يُشفِق
ولم تزل تَرمِي بها يدُ النوى	بكل فجّ وفَلاةٍ سَمْلَق
وما اشْتَكتْ تذرَعُ كلَّ قَدْفَدٍ	أذرُعها وكلَّ قَاعٍ قَرِق
وكلَّ ابطَحَ وأجرَعٍ وجِزْعٍ	وصَريمة وكلَّ أبْرَق
مجاهلٌ تحارُ فيهنَّ القَطا	لا دِمْنَةٌ لا رَسْمُ دارٍ قد بَقي
ولم تَزلْ تقطَعُ جِلبابَ الدُّجى	بِجَلَم اليد وسَيف العُنق
فما استراحتْ من عُبور جَعْفَر	ومن صعُود بِصَعيد زَلَق
إلاَّ وفي خَضْخاض دمْعِ عينِها	خاضتْ وغابتْ بسرابٍ مُطبِق

ومما ذكره مؤرخ الدولة العلوية عبد الرحمن بن زيدان قوله [676]:

{... وقد نظمه أيضا حفيده النسابة المؤرخ الثبت أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد السلام القادري متوسلا به إلى الله تعالى لنيل مناه وسالكا طريق التدلي إلى إمام وقته سيدنا محمد بن عبد الله في قوله:

ياربنا بالمصطفى الكريم ... وقربه من ربه العظيم
وبنته الزهراء وزوجها علي ... وبابنها الحسن ذي الفضل الجلي
وبالمثنى نجله الأواه ... وبإبنه الكريم عبد الله
وبالرضى محمد المهدي ... والقاسم المعظم الزكي
ثم بإسماعيل درة الشرف ... وأحمد إبنه يتيمة الصدف
فحسن ثم علي إبنه ... ثم أبي بكر العلي في شأنه
عرفة الأرضي الكريم السؤدد ... ونجله الفضل أبي محمد
ونجله يارب — عبد الله ... بالحسن الأسمى الرضى الأواه
محمد فنجله فالقاسم ... فالحسن الأعظم وهو القادم
محمد فحسن الأزكى الحنيف ... فابنه مولاي علي الشريف
فيوسف ثم بنجله علي ... وبابنه محمد الأرضى العلي
وبأبي ملوكنا الشريف ... من لم نزل في ظله الوريق
مولاي اسماعيل تاج الدنيا ... رتبته واحدة في العليا
ياربنا وبالعظيم الجاه ... سيدنا مولاي عبد الله
رب ونجله أمير المؤمنين ... من أيد الله بفتحه المبين
سيدنا محمد شمس الزمان ... وروح عالم الأنام في الأوان
ظل الاهنا على العباد ... وغيثه لحاضر وباد
ورحمة الله على المسكين ... وفضله لذي القوى والدين
رب بهذا النسب المطهر الـ ... مقدس المعظم المنور
أدم لنا وجوده وحفظه ... وهب لنا رضاك كل لحظة
واجعل علينا حرمة النبي ... بجاهه المعظم العلي
صلى عليه الله مادام الدوام ... في كل ماله ابتداء واختتام

...}

ومما ذكره صاحب الحلل البهية قوله[677] :

{...وكما أن الباب المواجه لقبة الضريح الإدريسي الموالي لسوق المجادليين، من بناء سيدي محمد بن عبد الله، خامس هذه الدولة، وعليه مكتوب من إنشاء صاحب الشمقمقية:

بَدِيعُ (مَحَاسِنِي) زَانَ العُيُونَ	وَحُسْنُ شَمَائِلِي سِحْرُ الجُفُونِ
وَمَوْطِنِي السَّعِيدُ يَفُوحُ عِطْراً	بِذِكْرِ اللّهِ رَبِّ العَالَمِينَا
وَمَجْدِي ثَابِتٌ لا رَيْبَ فِيهِ	بِقُطْبِ الغَرْبِ كَهْفِ العَابِدِينَ
وَزِدْتُ مَجَادَةً لَمَّا كَسَانِي	وَطَرَّزَنِي أَمِيرُ المُؤمِنِينَ
مُحَمَّدُ (الإمَامُ) أَخُو المَزَايَا	وَبَانِي المَجْدِ بُنْيَاناً مَكِينَا
أَجَادَ أَمِينُهُ الصَّفَّارُ صُنْعِي	وَأَحْسَنَ إِذْ تَخَيَّرَهُ أَمِينَا
وَتَارِيخِي بِشَغْبَانَ جَلِيٌّ	يَدُومُ بِهِ هَنَاءُ المُسْلِمِين

وفي تجديد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لضريح الشيخ علي بن حرزهم، نُقش على زليج يمين الداخل للضريح المذكور ما لفظه بعد الحمدلة والصلاة[678] :

ان شئت اعلى مقام	حط الرحال امامي
واخضع لديّ لتشفى	من الم وسقام
وكيف لا وضريح ابن حرزهم في انتظام	
وشاد عزما بناءي	فخر الملوك العظام
محمد الحمد ملجا	وغوث كل الانام
نجل خلائف غر	سادات قوم كرام
على يد مرتضاه (الصفار) بدء ارتسام	
في عام (يشفيك طه ١١٧٧)	بالحب) حسن ختام

وبيساره بعد الحمدلة والصلاة[679]:

هذا المقام امير العصر شيده ❀ فخر السلاطين سر الله في الناس
محمد نجل اشراف الملوك ومن ❀ لا يحوينّ حلاه طي قرطاس
قد أحرز الخير بالشيخ ابن حرزهم ❀ اكرم بطود العلوم الشامخ الراس
على يد الماجد الصفار تاريخه ❀ (يبقى لك اليمن ١١٧٧ والاسعاد في فاس)

وفي تأسيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله لسقاية من حومة العيون، نُقش في زليج أخضر ما لفظه[680] :

شاد حسني وجمالي ❀ نزهة للناظرينا
. . . . . عبد السلام ❀ اشرف الحكام فينا
ماء واد من نداه ❀ به قد زان العيونا
نزه الالحاظ واشرب ❀ واغترف ماء معينا
وادع للاسمى (الجعيدي) ❀ وامير المومنينا
نقش تاريخي (ويغفر ١١٩٦) ❀ للذي قال آمينا

ومما ذكره صاحب الدرر الفاخرة مؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمن بن زيدان قوله في السلطان سيدي محمد بن عبد الله[681] :

{...كان يباسط العلماء والأدباء... كأنه واحد منهم وحسبك دليلا أن أبا الفيض حمدون ابن الحاج السلمي المتوفي عام 1232 كان يوما في مجلسه الشريف مع جماعة من العلماء الملازمين لحضرته سنة 1199... فأُديرت عليهم كؤوس من الاتاي وكان اسم الوصيف الذي يديرها ميمونا فناول أولا الكأس للسلطان وكان عن اليسار فقال له اذا يقول السيد حمدون:

صددت الكأس يا ميمون عنا ❀ وكان الكأس مجراها اليمينا

فقال السيد حمدون: نعم! وأزيد عليه:

ولم تعمل بحكم الشرع فينا ✿ كما جلاه خير المرسلينا
رسول الله فيما صح عنه ✿ منَ آنه قال ناولها يمينا
ويكفي في ارعوائك ما روينا ✿ عن الحبر ابن عباس مبينا
من انه كان وهو صغير سن ✿ يمين رسول رب العالمينا
وسيف الله كان على يسار ✿ وقد حضر الشراب له معينا
فناوله له بعد ارتواء ✿ وقال حقيق انت به يقينا
وان توثر سواك به ففضل ✿ تنال به ثواب الموثرينا
فأقسم لست أوثر من سواءي ✿ بحظ منك بر به يمينا
وأعجب منك يا ميمون اذ لم ✿ يكن هذا ببالك مستبينا
وانت بمجلس يزهو بعلم ✿ لمولانا امير المومنينا
محمد بن عبد الله من لم ✿ يزل يبدي لنا العلم المتينا
به طلعت شموس لاهل فاس ✿ باقصى مغرب للناظرينا
ولم يعرف لها من قبل ذكر ✿ ولا طرقت باذن السامعينا
وجامعه تضمن ما حوته ✿ وجمعه فيه سؤل الراغبينا
ونصر الله وقّع في سيوف ✿ له فيها حتوف الكافرينا:
ويُخزِهم وينصركم عليهم ✿ ويشف صدور قوم مومنينا
أدام الله نصره في ازدياد ✿ وأجز له ثواب المحسنينا

{...

وفي تجديد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لبعض حنايا قنطرة سبو، نُقش في زليج أسود بأعلى أحد أقواسها بعد الحمدلة والصلاة[682] :

شيّــدني معظم ودود ❀ امام غرب فضله معهود
محمد ابن من له صعود ❀ عبد الاله الملك السعيد
ونشأتي تاريخهــا المعدود ❀ تكــراره أدّت به شهود

وفي رثاء السلطان سيدي محمد بن عبد الله ما ذكره صاحب البستان الظريف وهما بيتان للفقيه والأديب سليمان الحوات[683] :

مـــات أمـــيـــر عـصـــرنـــا محمـــد وقـــد كـفـى اللــه الـيـزيـــد شـــره
وإن تـــرد تاريـــخـــه فـــإنـــــــه قـــد قـــدس اللــه الـعـزيـــز ســـره

السلطان اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله

وللإمام الشريف الحسيني محمد المرتضى المصري قصيدة يرثي بها السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل ويهئ ولده المولى اليزيد، وهذه القصيدة[684] :

وجدِي يجدُّ وَحَسْرَتِي تَتَجَدَّدُ ... وَسِهَامُ حُزْنِي نَافِذٌ لا يَنْفَذُ
وَمُصِيبَتِي ذَهَبَتْ بِكُلِّ جَلاَدَتِي ... وَذَهَبْتُ لا أَقْوَى وَلاَ أَتَجَلَّدُ
وَأَسَيَ أَقَامَ وَإِنَّنِي مِنْ قَبْلِهِ ... مَا كُنْتُ أَعْلَمُ مَا المُقِيمُ المُقْعِدُ
مَالِي أَرَى بَعْدَ النباهة وَ(التُّقَى) ... بَيْنَ المَعَالِمِ بَسَاحتهَا أَتَبَلَّدُ
سَيَّانِ عِنْدِي عَاذِرٌ ومُعَنِّقُ ... وَمُحَسِّنٌ وَمُقَبِّحٌ وَمُفَنِّدُ
لِلَّهِ غَرب (مَدَامع) شَقَقْتَهُ ... لَوْ كَانَ (يَنْفَعُ) عِلَّتِي وَيبرِدُ
يَاصَاحِ عُذراً إِنْ عَصَيْتُكَ فِي العَزَا ... مَالِي بِذَاكَ لاَ لِسَانٌ وَلاَ يَدُ
يُهْنِيكَ سَيْلُ الدَّمْعِ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى ... وَانْقَدَّ فِي الجَوْفِ القَوِي وَالأَكْبَدُ
* وَقَدْ الْتَقَتْ حِلَقُ البِطَانِ فَلاَ تَلُمْ ... لاَ أَمْسَ وَلاَ غَدَ عِنْدِي غَدُ
قَصَمَتْ عُرَى الصَّبْرِ الجَمِيلِ وَخَانَنِي ... مَا كُنْتَ تَعْلَمُ يَا فُلاَنُ وَتَعْهَدُ
كَبِدٌ مُفَتَّتَةٌ وَجِسْمٌ نَاحِلٌ ... وَمَدَامِعٌ تَجْرِي وَقَلْبٌ مُكْمَدُ
يَا دَهْرُ بِعْ رُتَبَ المَعَالِي كُلَّهَا ... مَاتَ الشَّرِيفُ بْنُ الشَّرِيفِ مُحَمَّدُ
مَلِكُ المُلُوكِ الصَّالِحِينَ وحرزُهُم ... بَيْتُ القَصِيدِ المُلْتَجَى وَالمَقْصَدُ
الصَّالِحُ البَرُّ التَّقِيُّ الأَرْوَعُ ... الوَرِعُ الوَلِيُّ العَابِدُ المُتَهَجِّدُ
الحَازِمُ اليَقِظُ الذَّكِيُّ اللَّيِّنُ ... الخَشِنُ الرَّضِيُّ المُتَنَمِّرُ المُتَأَسِّدُ
مَلِكُ المَغَارِبِ سَيِّدُ الصَّيْدِ الحجَا ... حجِ مَنْ قَضَى وَالكَرِيمُ الأَمْجَدُ
ابْنُ النُّبُوَّةِ وَالمُرُوءَةِ مَنْ نَمَى ... وَزَكَى وَطَابَ (غِرَاسُهُ) وَالمحتد

حلتْ عزائمُهَا (الغرَامُ) عَلَى ثَرى   فِيـه اسْتَقَلَّ ضَرِيحُه والملحَدُ
خرَجُوا بهِ (نقلُوا) المعَالِي خَلْفَه   اليَوْمَ جهدكُمْ فأَينَ المَوْعِدُ
وَبَكَتْ قُلُوبٌ كَالحدِيدِ لِفَقْدِهِ   فرَأَيْتُ كَيْفَ يَذوبُ ثُمَّ الجَلْمَدُ
لازالَتْ الرَّحَمَاتُ تَغْشَى رُوحَهُ   يَجْرِي بِهَا أبداً عَلَيْهَا سَرْمَدُ
(لِمَ) لاَ يَكُونُ لَهُ الرِّضَى مِنْ رَبِّهِ   وَمَقَامُ صِدْقٍ فِي النَّعِيمِ وَمَقْعَدُ
واللّهُ أكْرَمُ مَا اسْتعِيضَ فَعَاضَنَا   عِوَضاً وَحَقِّكَ كَيْفَ شِئْتَ وَأزْيَدُ
مَا غَابَ مَوْلاَنَا وَفَرْقَدُ سَعْدِهِ   حَتَّى بَدَا وَجْهُ اليَزِيدُ مَسْعَدُ
عَادَتْ لَنَا الحسْنَى وكَانَتْ فَارَقَتْ   وَالعُودُ مِنْ بَعْدِ التَّفَرُّقِ أحْمَدُ
قَرَّتْ عُيُونٌ كَانَتْ (اشْتحَهَا بِهِ)   بِالأمْسِ كُنْتُ كَأَنَّ عَيْنِي أرْمَدُ
يَا قُرْبَ مَا بَيْنَ الإِسَاءَةِ وَالهَنَا   أصْبَحْتُ ألْعَبُ ثُمَّ رُحْتُ أُغَرِّدُ
بَسَمَتْ لَكَ الأيَّامُ بَعْدَ عَبُوسِهَا   فَهُنَاكَ ثَغْرٌ بِالسُّرُورِ مُنَضَّدُ
وَبَدَتْ لَنَا الدُّنْيَا بِأحْسَنِ مَنْظَرٍ   غَيْدَاءُ يَصْحَبُهَا زَمَانٌ أغْيَدُ
يَا سَعْدُ ذَا رَوْضُ (الأنَامِ) مُثْمِرٌ   فَاقْطِفْ فَغُصْنُ العَيْشِ غَضٌّ أمْلَدُ
يَا آلَ مَوْلاَنَا الشَّرِيفِ وَيَا بَنِي   حَسَنٍ وَمَنْ لَهُمُ العُلاَ وَالسُّؤْدَدُ
*القَائِلِينَ الفَاعِلِينَ المُطْعِمِيـ   ـنَ المُصْطَلِينَ لَنَا حَرْبٌ تُوقَدُ
هَا ذِي الخِلاَفَةُ مَا تَعَدَّتْ (بُيُوتَكُم)   فَارْعَوْا المَعْرُوفَ المُهَيْمِنَ (وَاحْمَدُوا)
بَيْتُ زُرَارَةَ يَقْتَفِيهِ وَنَهْشَلٌ   وَ يَظَلُّ يَرْكَعُ فِي فِنَاهُ وَيَسْجُدُ
بَيْتٌ يَزِيدُ مَلِيكُهُ وَبَنُوا أبِيـ   ـهِ مُعَاضِدُوهُ مُوفَّقٌ وَمُسَدَّدُ
هَذَا أمِيرُ النَّحْلِ حُومُوا حَوْلَهُ   حَامُوا لَه تَلمُّوا عَلَيْهِ تَلَبَّدُ
"عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِدِ" وَاصْبِرُوا   وَاخْشَوْا شَنُوا مِنْ دُونِهِ وَتَمَعْدَدُوا
صُونُوا عَصَاكُمْ بِالتَّألُّفِ بَيْنَكُمْ   فَمَتَى تَشَظَّتْ رُبَّمَا شَمِتَ العَدُ
كَانَتْ عُدَاتُكُمْ تُرجِي خَلْفَكُم   وَ(يُؤْمِلُونَ) بِأنَّهُمْ مُتَمَرِّدُوا

فَقَطَعْتُمْ بِالرَّأْيِ مَارَجَتْ العِدَا — مِنْكُمْ وَمَاتَ بِغَيْضِهِ مَنْ يَحْسِدُ
وَخُذُوا وَصِيَّةَ جَدُّكُمْ وَمَوَدَّتِي — فِيكُمْ تُجَدِّدُهَا لَكُمْ وَتُؤَكِّدُ
وَذَوُوا العَشِيرَةِ لِلْعَشِيرَةِ مُصْلِحٌ — شَأْنَ العَشِيرَةِ وَالتَّبَاغُض يَفْسِدُ
لَمْ يَحْمَدْ العُقْبَى امْرُؤٌ (مُتَجَهِّمٌ) — كَلاً وَلاَ نَدَمَ امْرُؤٌ مُتَوَدِّدُ
مَا فِي ملايمة الصَّديق غَضَاضَةً — إِذْ لِلْجَمِيعِ صُدُورهَا والمَوْرِدُ
حِلْفُ الدُّرُوعِ تَشَابَكَتْ فِي بَعْضِهَا — فَتَعَنَّقَتْ وَلِعِزُّ مَا تَبَدَّدَ
وَمَتَى رَأَيْتُمْ (بَارقاً) مِنْ عَارِضٍ — يُبْدِي الشِّقَاقَ فَأَبْرِقُوا ثُمَّ أَرْعِدُوا
وَمُحَمَّدٌ مَوْلاَيَ مَا خَلاَ لَكُمْ — عُذْراً بَنَى دَارَ الفَخَارِ فَشَيِّدُوا
وَيَزِيدُ مَوْلاَنَا وَصَّى بَعْدَهُ — عَقْدُ خِلاَفَتِكُمْ بِهِ مُتَقَلِّدُ
بِرٌّ رَحِيمٌ مِنْ صَمِيمِ نُفُوسِكُمْ — عِزُّ الرِّفَاقَةِ مُصْلِحٌ وَ(مُمَهِّدُ)
لاَزِلْتُمُ تَتَوَارثُونَ سِيَادَةً — أَبْداً يَقُومُ بِهَا وَ(يَنْهَدُ) سَيِّدُ
وَإِلَيْكُمُوهَا فِي الهَنَاءِ وَفِي الرِّثَا — غَرَّاء يَنْشُدُهَا حَبِيبٌ وَمعبدُ
تَسْرِي بِهَا الرُّكْبَانُ مَا بَيْنَ الوَرَى — مثلاً وَتَتَّهِمُ فِي البِلاَدِ وتَنجِدُ
خَلَعَتْ ثِيَابَ الحُزْنِ عَنْهَا وَاكْتَسَتْ — ثَوْبَ السُّرُورِ وَأَقْبَلَتْ تَتَأَوَّدُ
اللهُ أَوْلَى مَنْ شَكرت صَنِيعَه — وَأَحَقُّ مَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَيُحْمَدُ
* أَصبَحْتَ مَسْرُورا لفُؤاد وَلَمْ أَقُلْ — هَمِّي يَجِدُّ وَحَسْرَتِي تَتَجَدَّدُ

وفي مدح المولى اليزيد قال الشريف قاسم بن عبد الله العابد الحسني[685]:

ولما رأيت الشمس قد عم نفعها — وابصارها بين الأنام مديد
فسألتها هل في جنة الخلد انشئت — ونور سناها من هناك يزيد
فقالت أما تدري بأنني خادم — لنجل إمام المسلمين يزيد

وفي إحداث السلطان المولى اليزيد للشباك، الذي هو بمزارة المولى إدريس، كُتب عليه من إنشاء العلامة الأديب سليمان الحوات[686] :

انْظُرْ لِشَكْلٍ بَدِيعِ — أَتَى عَنْ أَمْرِ اليَزِيدِ
أَرَّخْتُهُ فِي رَشَادٍ — فَقِفْ وَزُرْ مِنْ بَعِيدِ

السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله

لقد ألف الأديب أبو الربيع سليمان الحوات كتابا أسماه "الأمداح السليمانية" وهو يضم 91 قصيدة في مدح السلطان الحكيم المولى سليمان. وقد ألف كذلك الأديب حمدون بن الحاج كتابا جمع فيه قصائدا في مدحه رحمه الله تعالى وقد أسماه "النوافح الغالية في الأمداح السليمانية".

ومما وقفنا عليه من هذه القصائد، قصيدة للأديب سليمان الحوات وهي[687] :

إن هذا الزمان خير زمان، ... فضله الآن ظاهر للعيان

متجر رابح ومال كثير، ... وتوالي مسرة، وتهان

ورخاء، وطول عافية، في ... كل قطر، وعشية في أمان

وصلاح النتاج في كل نام، ... ونمو العمران في البلدان

ونجوم السعود في الأفق تهدي ... كل من ضل عن طريق الأماني

ورياض السلوان ينفي شذاها ... موجبات الأهوال والأحزان

ومياه التوفيق في الصدر تمحو ... باليقين رسم الهوى الشيطاني

ورياح العفاف تدفع أيضا ... عن كثير، بواعث العصيان

وبحار العلوم تلقي بموج ... في الصدور، حتى إلى الصبيان

وعيون الآداب تجري بشعر ... سلسبيل الألفاظ، عذب المعاني

واتساع بالحفظ في كل متن ... مع حسن التجويد للقرآن

كـل هـذا فـضـل من الله، لـما	أشـرقـت شمس الـمـليك في الأكوان
وتـجـلت آيـات نـصـر عـزيـز	لـسـلـيـمـان بـيـن قـاص ودان
مـلك قـام الآن بـالـقسط يدعو	بـدعـاء الـفاروق، أو عـثـمـان
حـيـث أفضت لـه الخلافة، أحيا	سـنـة الـعـدل، آخـر الأزمـان
لا يـراعـي في الله آلا وصحبا	فـالـوضـيـع والـمـعـتـلي سيـان
حـاز مـجد الجدود إرثا ومجدا	شـاد بـنـيـانـه عـلـى أركـان
أذهـب الله الـرجس عنهم قديما	وحـديـثـا فـي الـسـر والإعـلان
فـلـه الشيمة التي ليس يرضى	بـالأقـل مـنـهـا لـعـبـد الـمـدان
لم يدع للملوك في الأرض فضلا	فـهـو مـثـل الإنـسـان لـلـحـيوان
وهو فـي صفحة المكارم أصـل	وسـواه لـلأصـل كـالـعـنـوان
لـو أتـته الركاب في حـال روع	لـكـفـاهـا طـوارق الـحـدثـان

ومما قاله شاعر البلاط السليماني الأديب حمدون بن الحاج في السلطان سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله [688] :

أيـد اللـه هـمـامـا	بـه ثـغـر الـمـد بـاسـم
ويـطـيب الـمـدح فـيـه	طـيـب اللـه الـمـبـاسـم
انـجلـى فـي رمـضـان	مـخـجلا جـود الـنـواسـم

ومما ذكره كذلك حمدون بن الحاج، قوله عن مرافقته للسلطان المولى سليمان في بعض أسفاره إلى فاس، ولما أقبلا على فاس الجديد، وظهرت جدرانها، أنشد المولى سليمان من نظمه، وهو على صهوة جواده[689]:

مـا اكـنـت من الـمـلاح خـدور	كـالـمـهـاة فـي الحـسـن أو فـي البـدور

قال حمدون: فالتفت إلي وكأنه يعنيني فأجزته بقولي:

كالمهاة في جيدها والتفات ولحاظ لو لم تزد بفتور
كالبدور في طلعة وسناء ومثال لو لم تدم في ستور

ومما ذُكر عن السلطان سليمان، أنه كان يعقد مجالس علمية وذلك إسوة بأسلافه المنعمين من السلاطين العلويين، وكان يحضرها العلماء ورجال الفكر وكان يقود المناقشات بنفسه، ومما قيل أنه في يوم ما كان في مجلس درسه الحديثي وعطس والقارئ يقرأ قول النبي محمد: (يرحمك الله)، من حديث أبي هريرة {إذا عطس أخوكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه: يرحمك الله}، فقال في ذلك الأديب حمدون بن الحاج، يصف ذلك الموقف[690] :

عطست وقارئ الحديث يقول {يرحمك الله} قول الرسول
فكان الرسول المشمت إذ عطست وذلك أعظم سول

ومما ذكره صاحب الحلل البهية بيتان في مدح السلطان سليمان[691] :

* تَرَبَّى تَقِيًّا وَالشَّبِيبَةُ فِتْنَةٌ فَلَمْ يُرَ إلاَّ فِي اجْتِهَادِ المَذَاهِبِ
سُلَيْمَانُ ذُو عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَهَدْيٍ وَرُشْدٍ لِلظَّلُومِ المحَارِبِ

وفي ارتحال السلطان المولى سليمان إلى مكناسة قال في ذلك العلامة عبد القادر بن شقرون[692]:

مولاي أنت الذي صفت مشاربه إن تغز ناحية أوليتها جلدك
هذي البشائر وافت وهي قائلة أعوذ بالله من شر الذي حسدك
فاصعد على منبر الإقبال معتلياً فالسعد أنجز ما كان به وعدك

وانهض إلى غاية الآمال تدركها	فالآن قالت لك العلياء: هات يدك
ولا تخف أبداً من سوء عاقبة	فليس يفلح من بالسوء قد قصدك
ألبسك الملك العميم نائله	من الرضى حللاً قوى بها مددك
فضلاً من الحكم الترضي حكومته	جعلها كالشجا في حلق من جحدك
فاشكر صنيع الذي أولاك مكرمة	تنل رضاه وتبلغ بالرضى رشدك

وفي رجوع السلطان سليمان للرباط منصورا قال أيضا العلامة عبد القادر بن شقرون[693]:

مَـوْلاَيَ أَنْتَ الَّذِي صَفَتْ مَشَارِبُـهُ	إِنْ تَـغْـزُ نَـاحِيَـةً أَوْلَيْتَـهَـا جِلْـدَكْ
هَـذِي الـبَـشَـائِـرُ وَافَتْ وَهْـيَ قَـائِلَـةٌ	أَعُـوذُ بِـاللَّـهِ مِـنْ شَرِّ الَّذِي حَسَدَكْ
فَـاصْعَدْ عَلَى مِنْبَرِ الإِقْبَالِ مُعْتَلِياً	فَـالسَّعْدُ أَنْـجَزَ مَـا كَـانَ بِـهِ وَعْدَكْ
وَانْـهَضْ إِلَـى غَـايَـةِ الآمَـالِ تُدْرِكُـهَـا	فالآنَ قَـالَـتْ لَكَ الـعَلْيَـاءُ: هَـاتِ يَدَكْ
وَلاَ تَـخَـفْ أَبَـداً مِـنْ سُـوءِ عَـاقِـبَـةٍ	فَـلَيْسَ يُفْلِحُ مَنْ بِالسُّوءِ قَدْ قَصَدَكْ
أَلْبَسَكَ المَلِكُ (الـعـزيـز) نائِلَةً	مِـنَ الـرِّضَـى حُـلَـلاً قَـوَّى بِـهَـا مَدَدَكْ
فَضْـلاً مِنَ الحُكْمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ	جَعَلَهَا كَالشُّجَى فِي حَلْقِ مَنْ جَحَدَكْ
*فَـاشْكُرْ صَنِيعَ الَّذِي أَوْلاَكَ مَكْرُمَةً	تَـنَلْ رِضَـاهُ وَتَبْلُغْ بِالرِّضَى رُشْدَكْ

ومما ذكره صاحب الترجمانة المؤرخ أبو القاسم الزياني قوله[694] :

{ولما توفي أمير المومنين رحمه الله وتولى بعده ولده اليزيد ثم أخوه أميرنا الفاضل، العادل الكامل، مولانا سليمان أبقاه الله، ورفعت له التأليف نظمت أسماء ملوكهم في أبيات تكون لمن حفظها حرزا، وبركة وفوزا، من جدهم القادم من الينبوع مولاي الحسن الشريف، وحفيده مولاي علي الشريف، وثالثهم جد الملوك

مولاي الشريف، الى ملك وقتنا مولاي سليمان أبقاه الله حصنا حصينا لهذه الأمة، وبارك في أولاده البررة فقلت:

الشمس من مشرق تسعى لمغربنا   والبدر يتبعها بالغرب يكتمل
واهل بيت رسول الله منشاهم   بطيبة فاتوا للغرب فى حلل
من ينبع النخل حل النخل قادمهم   حسنهم بسجلماس انقضى وصل
ثم الشريف ابو الاملاك زادهدهم   فى الملك ليس بضعف منه او فشل
وابن الشريف محمد الذي سعدت   بسعيه دولة الاشراف آل عل
ثم الرشيد اقام الملك وانصدعت   بعزمه دول الثوار من وجل
ثم المسمى باسماعيل قام به   حدث عن البحر لا تخشى من الزلل
ثم ابنه احمد الذهبي يليه كذا   عبدا ضيف الى الملك اخاه يل
ثم اخاهم عبيد الله اكرمهم   وبعد خلعه جا الاخ المسمى عل
ثم اخاهم محمد الكبير الى   للملك يسعى بلا مهر ولا جمل
والمستضيء اخاه منصبه   والزين للعابدين لاخيه يل
وغلب الشبل عبد الله كلهم   وعاد للملك ثم حل فى الخبل
فسبعة اخوة وكلهم ملكوا   ولم يقع مثلها فى سائر الدول
ثم الامام ابن عبد الله محمد هم   فاق الملوك بما أصلح من خلل
ثم اليزيد ابنه اتاه عن عجل   فلم يمتع بما رجا ولم ينل
ثم الامام سليمان الذي افتخرت   به المغارب ذو العلم وذو العمل
خليفة الوقت ابقى الله دولته   حصنا حصينا لاهل السهل والجبل
بارك الله فى النجل الابر ابي   اسحاق مولاي ابراهيم ذا امل
والاخوة النجبا الغر الكرام فهم   مثل الدراري لدى الافلاك لا تفل
محمد السبط والحسن يتبعه   عبد السلام ونفح الطيب ثم عل
ادريس ثم ابو بكر ومع عمر   وعابد الله مع محمد ياتل
ومن يليهم ابناء الامام ومن   يزداد بعدهم لمنتهى الاجل
ثم الصلاة على المختار سيدنا   محمد اشرف الاملاك والرسل
والال والصحب من لهم تبع   ومن تلاهم بنشر العلم والعمل

{...

وفي مدح السلطان سليمان ما ذكره صاحب الاستقصا حيث قال[695] :

{وفي هذه المدة أو ما يقرب منها بعث صاحب تونس وهو الرئيس حمودة باشا ابن علي باي العالم الأديب الطائر الصيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي إلى السلطان المولى سليمان رحمه الله، فقدم عليه حضرة فاس ومعه هدية وكتاب يتضمن طلب الإمداد بالميرة لحدوث المسغبة بالبلاد التونسية، فأعظم السلطان رحمه الله مقدم هذا الشيخ واهتزت له فاس، وامتدح السلطان بقصيدة من جيد شعره يقول في أولها:

إن عز من خير الأنام مزار ... فلنا بزورة نجله استبشار

ومن جملتها قوله :

هذا الخليفة وابن أكرم مرسل ... وسليل من تمطى له الأكوار

وخلاصة الأشراف والخلفاء من ... بيت البتول وحبذا الأظهار

وأجل وارث ملك إسماعيل من ... بطل شذا أخباره معطار

وأعز سلطان وأشرف مالك ... شرقت بملك يمينه الأحرار

وأحق من تحت السماء بأن يرى ... ملك البسيطة والورى أنصار

لكن إذا كل القلوب تحبه ... فلغيره الأجسام وهي نفار

هذا سليمان الرضي ابن محمد ... من أشرقت لجبينه الأنوار

هذا الذي رد الخلافة غضة ... وسما به للمسلمين منار

وأعزّ دين الله فهو بشكره ... في أيكها تترنم الأطيار

...}

وفي مدح السلطان المولى سليمان ما قاله السيد أحمد الحبيب الرشدي في قصيدة غراء وهي[696]:

الخير كله في محبة أحمد ... غوث العوالم ذي المقام الأحمد
وسلوك سيرته لنيل مقامها ... سبب يحن اليه كل مسدد
وبه تمسك صحبه ومن اقتدى ... بهداهم من كل شيخ مرشد
فهم العدول تحملوه وابطلوا ... تحريف كل مخلط او ملحد
عضوا عليه بالنواجذ فاحتمى ... منهم بحصن لا يهد ممرد
ما زال ذلك دابهم حتى اتى ... قطب الخلائف في الزمان الاسعد
زين الخلافة بيت كل فضيلة ... اعظم به من احوذي اوحد
صل الاله على خليفته ومن ... اضحى لديه الله اعظم منجد
جمع المعارف والعوارف مفردا ... في فضله فاعجب لجمع مفرد
حبر الهدى بحر الندا بدر سما ... غيث هما للمعتفى والمجتد
علم العلوم ابو الربيع ربيعها ... وثمال كل مؤمل مسترفد
فأقام دين الله بعد اياسه ... بهجا والبسه لباس تجدد
واعاد روض العلم بعد دروسه ... نضرا يميس بزهره المتنضد
لله همته التي بلغت به ... امرا سما فوق الدراري الوقد
من ذا يدانيه من الخلفاء في ... علم وفي عمل ورفعة محتد
جلي مجاز الخصل في شأو العلى ... فهو المقدم وهو فرد السؤدد
وهو المعظم وهو نجل ايمة ... كانوا الغياث من الزمان الانكد
جمع المكارم لا نظير له وصر ... فه عنه ممتنع بدون تردد
نصر الشريعة ناصحا حتى غدا ... نهج الهداية واضحا للمقتد
وحبا الانام بخطبة غراء قد ... لانت لرقتها قساوة جلمد
تسجبت على سحبان ذيل بلادة ... بمحاسن تنسى عقودا الخرد
يا حسنها من خطبة احيا بها ... ما مات من سنن الشيوخ المجد
نصح الورى نصحا بليغا شرحه ... ينسى فحول العلم كل مجلد
هي نقطة من بحره بركاتها ... عمت وجاءت بالعلوم السرد

* * *

فيهـا دعا للـه قومـا اعلنـوا بالشطح والتصفيق والفعل الردي؟
جعلوا مواسـم ما لهـا فى سنـة اصل بأضرحة الفحول الزهـد
رفضوا علوم الشرع ايقالا كمـا جلسوا لتنقيص الشيوخ بمرصد
فهـم على دين النبي اضـر مـن متبوعهـم والكـل عـاد معتـد
حتـى رماهـم ربنـا بثواقـب من عدل سيدنا الهمام الاجـود
فأقامهـم واللـه راض عنـه فى سجـن المهانـة بالمقـام الابعـد
ان لـم يعالجهـم بنعمتـه التـي يعني بها اهل الهوى فكان قـد
تاللـه ان أمامنـا لموفـق للحـق والتحقيـق طالـع أنجـد
فزنا باكسير الهدى والسعـد اذ كنا رعيـة ذا المليـك الامجـد
يدعـو العبـاد لربهم ويدلهـم ابدا على نهج الصواب الارشـد
وكذاك شأنه ليس تحدث بدعـة الا محاهـا باللسـان وباليـد

ومنها:

من كان يلتمس السعادة راجيـا من ربنا نيـل النعيم السرمـد
فالفـوز كلـه فى لـزوم جماعـة وامامهم فخر الملـوك الرشـد
أبقـاه مولانـا لخلقـه رحمـة يهديهـم هـدى النبي محمـد
صلى عليـه الله ما هطل الحيـا يومـا فأحيـا كل روض اغيـد
وعلى الأماجـد آلـه ما انشـدوا الخيـر كلـه فى محبـة احمـد

ومما مدح به كذلك المولى سليمان ما ذكره صاحب الترجمانة[697]:

اللـه اتحفنـا بالخيـر للابـد لما سليمان حل الغرب لا تـزد
حبـر امـام همـام خير بطـل للحـب اثمـد والاعـداء كالبـرد
هو الهنا والمنى والفضل فى سعـة هـو الامـان بـلا عد ولا عـدد
الحلم يعلوه فى الاحكام من خلـق بلا اختلاف ولا صنع ولا حنـد

والنصر يعلوه اين حل وجهته … بلا انتصار ولا جيش ولا مدد
والعلم داع له بكل معركة … وكل حكم بلا ريب ولا فند
من جسمه ان بدا للحاسدين له … رعب كما غنم مرت على اسد
الله كافيه ما يبغي ويأمله … في عصمة حرسته المكر بالجلد
لم يخش ما يختشي وان رآسفها … سفاه من حينه ، بالقصد لا القصد
وباختصار بنعمه له حصلت … من الاله فلا تغتر بالجحد
عرج على باب سلمى تلقى مدحته … يحدو بها في ربى الاوطان كل حد
فما على البدر من نبح الكلاب وان … فاتت تناعقه بالرخو والجمد
منحنا الله منه بالرضى ابدا … وشد من فم كل واش بالقتد
جاءت خلافته بكل مصلحة … فدوخ العرب بالاغوار والنجد
كفى الامان به في كل ما سبل … من غير ما عدد له ولا مدد
ابقاه ربي لنا حفظا ومحرسة … للدين في ولد والنسل والحفد
ان ابا القاسم الزياني نسبته … منه حواري مثل الراس للجسد
يكفيك ما ابصرت عيني بدولته … مصنفا منه لم ينشه من احد
حق لنا من عظيم القدر نكتبه … بماء عين واقلامه من جسد
لكن سيدنا من حلمه ابدا … يظن مخبره العسل في زبد
وما درى الحاسد المريد من ضغن … ينشى ثيابا واشحاصا من الحسد
وشي فصادف قلبا خاليا عطرا … ربه صادقا لا يظن من نكد
فكان ما كان من حط لرتبته … ونكبة حصلت بالافك والفند
براي من قد بغا بأخذ بلدته … انكي بها كل حاضر وكل بد
فقلت من كمد والنار في كبدي … لما عراني ، من جور الباغي المرد !
اشكو لمن خلق الانسان من علق … بمن يدنس بيت الله بالكند !
وما الامير بخاف عنه ذاك ولا … عن علم غيره لكن احبل المسد
فاصبر لعل يكن عطفا ومرحمة … من الامام ويدني كل مبتعد
فحلمه رسع الخلق وعمهم … احرى الذي ضيع العمر في كبد
على الامير سلام الله ما طلعت … شمس وما نام منه العدل للابد

ومن القصائد التي مدح بها المولى سليمان قول الفقيه الخطيب عبد الواحد بن سودة[698] :

ابا القاسم الاسمى سلكت الهدى بشرى ... وهيأت للعليا ويسرت لليسرى
ابا الله الا ان يديم لك الصدرا ... ويطلع في آفاق ساحتك الفخرا
فثق بضمان الله ربك واغتنم ... ثناء كعقد الدر يبقى لك الذكرا
فقد كان مولانا الامير محمد ... أجل ملوك الارض توجك الامرا
وزفت الى علياك منه وزارة ... فكانت لكم شمسا وكنت لها البدرا
وذا نجله الاعلى اقتدى بفعاله ... فأسدى اليك العطف واللطف والبرا
حقيق بان تعفي وتحظى ببره ... وتترك خاملا لتكتسب الاجرا !
ولم لا وقد اسلفت ودا وخدمة ... وما زلت تفني في مدائحه العمرا
كفاك الذي اهديته لمقامه ... كتاب وعى الاخبار ممن مضى طرا
نشرت به من ءادم سالف الورى ... ليتعظ الراي ويستعمل الفكرا
الى دولة عربية حسنية ... انافت على الدنيا بنسبتها الغرا
لقد شنف الاسماع در حديثها ... كما عطرت أزهارها النجد والغورا
وهذا أمير المومنين جمالها ... ونعمتها العظمى وءايتها الكبرا
هو الملك العدل الذي في ظلاله ... نعمنا فلم نخش الهجير ولا الهجرا
أضاف الى الملك العلوم فاصبحت ... بحضرته ماسورة تظهر السرا
روى الجود عنه حاتم وبه اقتدى ... واخجل نهر النيل والقطر والبحرا
حباه له العرش ملك سميه ... سليمان من حاز الولاية والنصرا

وفي مدحه كذلك قال الكاتب الأديب عبد القادر السلاوي من قصيدة[699] :

واتحفت في حين به ملك الورى ... سليمان من يعطي الجزيل من البر
ادام اله العرش بدره طالعا ... بأقصى بلاد الشرق بالفتح والنصر
وصل الهي ثم سلم على النبي ... محمد المبعوث بالخير واليسر
وءاله والاصحاب طرا بجمعهم ... واتباعهم فى الدين من اي ما عصر

ولما أكمل مؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني كتابه الترجمان كتب ءاخره هذه القصيدة يخاطب بها السلطان ويمدحه فيها، وهي[700] :

اتي سليمان يوم العرض هدهده	بخبر من سبا أرضى به سيده
وقد اتيت بأخبار الورى جملة	شرقا وغربا سليمانا اكن هدهده
فترجماني يفي بما وعدت به	وبستان الملك فيه كلما شيده
فان رضي عنهما تلنا المنا والفنا	وان أعاب فلا عيب ولا موجده
لا يفني ما مدحوا كلا وما كتبوا	نظما ونثرا وما يدريك ان اخمده
اذ بحره زاخر تأتي زوارقه	من كل شط بأخبار الورى قاصده
فلا تسل عن خطوب حل مشكلها	ولا تسل عن ثمين الدر أن تقره
فمن يعارض ذا البحر المحيط سوى	رئيس فلكه من بجمعه استنجده
خديم اعتابه منشي رسائله	قاسم دولته اتى بما وجده
فقبله قدم العصفور قدوته	جرادة لسليمان فما أوجده
وقال فى العذر عن هدية لطفت	ان الهدايا على مقدار من انفده
لكنا نرجوا من الله القبول لما	جئنا به وبأنصاف ننل رشده
لم تعتمد بهما دفعا ولا طمعا	سوى محبة اهل البيت منفرده
فالرزق يأتي بلا سعى ولا سبب	لله ما اعطى عبده وما اخذه
أيمنع المرء والقهار يمنعه	ويوهب المرء والوهاب لم يسعده
كلا ولا وبلى نعم ونيل المنا	بالبحث والجد لا بالنبل والشعوذة
فاشدد بحبل امير المومنين وثق	بالله تعلو على الاعداء والحسده
شتان بين الذي يسعى لفانية	ومن لاخرى سعى دائمة ءاكدة
فان فضل رسول الله ليس له	حدوذا نجله يحمي لمن انجده
فالله يبقيه محروسا ويحفظه	ثم البنون ورحمة لمن ولده
بجاه جده خير الخلق كلهم	والآل والصحب ما القى السما برده

ولما رفع له تأليف "البستان" خاطبه بهذه الأبيات[701] :

عرج على روضنا واقطف حدائقه — واقطف جنا زهره واشرب تجد طربا
وسرح الطرف فى البستان يا سكنى — ترى النخيل على ادواحها الرطبا
فاجن الثمار التي ليست تقاس بما — قد كرسوه ، بنو الدنيا ونل اربا
وان بلغت الى اكنافه رمقت — منك العيون جوار حليها ذهبا
يسحرن ذ اللب حتى لا حراك له — وان نطقن أزلنا الهم والوصبا
وان نشدن مديحا او رقصن به — او بالمرات ندين قلت ذا عجبا
وان اصخت الى الاطيار اذ سجعت — بكل طبع ولحن آخذوك سبا
وان دخلت الى قصر بديع به — كرسي الخلافة منصوب لمن غلبا
به الجنود واهل الراي والامرا — والوزراء واهل العلم والادبا
تحالفوا ان ذا البستان ليس له — الا الامام الذي يعلوا على الخطبا
الكامل الفضل والدين الذي خمدت — بسعيه دولة الاسواء والحربا
من بعد شمل بنى عطا وقرهم — قتلا واسرى وللحصون قد خربا
اجلاهم عن امم كانت لهم خولا — وجورهم لحق البربر والعربا
نجم الملوك ومن جدد مجدهم — وحاز فضل علي وعليه ربا
ابو الربيع **سليمان** الرضى المرتضى — كهف المساكين والايتام والغربا
ابقاه ربه للاسلام مرحمة — يحوطهم من عد ويبتغي العطبا

ولما رفع له تأليف "ألفية السلوك في وفيات الملوك" وشرحها خاطبه بهذه الأبيات[702] :

يا سليمان فقت كل أمير — ووسعت علما وزدت اهتداء
ظهر الحق ما عليه غطاء — بك وزاد نائل وعطاء
وتجلت عن القلوب معان — عجزت عن ادراكها الفضلاء
وزهت حضرة بكونك فيها — فهي فى الارض روضة غناء
وازدهى الغرب بسطة وعلوما — فحكت فاس قرطبا الخضراء
ومحى عدلك لنا كل جور — واستنارت بنورك الارجاء
خضعت هيبة لك ووقارا — لعلاك الولاة والامراء
نحوى ما اعتنى به عن بني العصـ — ـر وما للانام عنه اعتناء
فاقصدن بابه تجد حكم عدله — ظاهرا لا يرى عليه خفاء

واحضرن درسه تجد بحر علم زاخر لا تكد رنه الدلاء
وله موكب بلا جبروت لا ترى وحشة به وجفاء
سيرة عمرية نبوية وكل رطتها علماء
خاب والله من يؤم سواكم سل مجربا قالت الحكماء
قد قطعت البلاد شرقا وغربا وشمالا وكلها ظلماء
لم يكن عدلكم بمصر وشام وعراق وكلها عمياء
ياخذ العشر كل قاض بمصر لا ترعه عقوبة او حياء
شاهدي ما ترى بارجوزة تا هت وبتيهها علاها البهاء
فتلقي زفافها بقبول ولا تمهلها انها حسناء
لست بالشاعر المجيد ولكن صرت ذاك اذ قلت الادباء
ان تكن لي اعش عزيز جناب وانال من جاهكم ما اشاء
وتذكر فانت للذكر اهل وتعطف فطال منك الجفاء
وعليك السلام يا اكرم النـ ـاس واعدلهم ومنك الوفاء

ومما ذكره صاحب الترجمانة وخاطب به السلطان المولى سليمان قوله في قصيدة[703]:

لم يبق من سالك يرجى ولا ملك الا الامام الذي طابت مكاسبه
اقام في الملك حكم العمرين وما اباحه الشرع فابيضت مذاهبه
اسقط ما سنه من قبله ورعا واذ سما عدله صفت مشاربه
بنى سليمان حصنا لا تحركه زعازع الشرك لو همت تحاربه
دانت لدعوته املاك مغربنا ولو يشا مشرقا حال سباسبه
سر عظيم من الصنع الجميل فلا بطش شديد والبغي كاسره ؟
تأتيه رسل ملوك الشرك صاغرة في لجة البحر قادتهم مراكبه
تهدي ذخائر من حلى ومن حلل ومنشئات لقمع من يغاضبه
فامتلا الحوض بالوفر الحلال ولم يشب بغصبه ولا جارت مطالبه
قضى وارضى وقام بالحقوق ولم يبخل واعطى لكل ما يناسبه
عم الجنود واكرم الوجود بما لم يعهدوه الى ان كل حاسبه
وفاض نيله في الاشراف ، وانبعثت كتائب العلم في الوقف تجاذبه
لم يكتفوا برواتب لهم عينت وبصلات لمن منهم يصاحبه
وللمساكين والايتام مرحمة منه اليهم لدى الاعياد غالبه
وللمدارس شيء لاعداد له في كل مقدمة رزق يواظبه
وللخصوص عوائد مرتبة من فيضه وكسى عمت سحائبه

وغير ذا من خفايا البر نعلمها ... ياتيها سرا فلا تخفى رغائبه
الا الذي سبقت للكل خدمته ... وقت الشباب وفى الشيب يعاقبه ؟
وامتد ذا البحر اعواما معددة ... فنا اليسار ورزق الله جالبه
ما ضر لو بجميل الصنع انعشه ... وسره بوعا تمر يخاطبه
كما يقول لجمع السائلين له ... اتانا حلى بذر يغني كاسبه
والله ما قلت ذا انكا ولا طمعا ... لكن لكثرة من يحصى مثالبه
اذ كل مكرمة منكم لنا سبقت ... تكفي فقد ذهب العمر ورافبه
ففي بوعد لمن جاءك امداحهم ... ولم يزل بعضهم سرا يطالبه
ثم عليكم سلام الله ما طلعت ... شمس بشرق وبالغرب تصاقبه

وهذه قصيدة الفقيه الأديب عبد الواحد بن أحمد بن سودة الغرناطي، والتي يذكر فيها السلطان سليمان ومنها[704] :

وشرفهم بالاخذ للعلم عنهم ... امام المعالي والامام المظفر
سليمان من ناداه نال كفاية ... وساعده سعد وفتح ميسر
سليل رسول الله فاز محبه ... وشانيه يلقي الردى وهو ابتر
مليك روى فى العدل اعلى رواية ... واسمعنا كيف العلوم تحرر
محاريبه تحيي باحياء ليلة ... محاربه يشقى ويهجى ويهجر
معارفه يشفي السماع صحيحها ... عوارفه انهارها ليست تنهر
سلاسله في علمه ذهبية ... فضائله في قولنا ليست تحصر
فلا زهر الا من بنانه يجتبي ... ولادر الا من بنانه ينثر
ولا عز الا من مقامه يقتني ... ولا حمد الا في صفاته يشهر
ولا زال في ملك السماء مخلدا ... اعوذه بالله والله اكبر
واهدي صلاة للنبي محمد ... تؤمننا مما نخاف ونحذر

وفي مدح السلطان سليمان أيضا ما قاله صاحب الترجمانة الكبرى من قصيدة وهي[705] :

اقســـم باللـــــه وءايــاتـــــه	وبيتـــــه المكـــي ومـــروتـــــه
والمقـــام الاسمـــى وزمزمـــــه	ومشعـــر الخيـف وميقـــاتـــــه
والحجـر العظمـى في طيبتــــه	والمسجـد الاقصـى وصخرتـــه
وبيتــه المعمـور فـي عرشـــه	وملكــوت اللـــه مـــع ذاتـــه
ان سليمـــان علـــى جـــــوده	اعـــدل اهـــل الملـك في وقتـــه
لا يعرف النـاس سنـا فضلـــه	حتى يشبـع الجـور مـع فوتـــه
يــا رب زد للنـــاس في عمــــره	وارحم به العاجز عن قوتـــه ؟؟؟

ومما خاطب به السلطان المذكور أيضا قوله في قصيدة نظمها بسبب قطع الفتوى ومنها [706]:

يا ملكا يقضـي بسنـة الاميـــن	مؤيـــدا بعــون رب العالميـــن
نصيحة ترضـي امير المومنيـــن	والعلمـاء وجميـع المسلميـــن
قطع الفتاوي لم يكن بمرتضـــى	ولم يقع في الزمن الذي مضـى
من زمن الرسول والصحب وثـم	من بعدهـم وبعدهم وبعدهـم
الى الخـوارج اذ قـام ملكهـــم	ساء فســاء صنعهم وفعلهـــم
خلفوا ءايات الكتاب والحديـــث	وكل ذي علـم قديم وحديـــث
وفي الحديـــث علمـاء امتـــي	كالانبيـــا تبليغهـــم بفتوتـــي
والله افتى النـاس في الكلالـــة	لما استفتوا لصاحب الرسالـــة
فيا لها من فتوة الــرب الكبيـــر	افادت الحض على الفتوى كثيـر
كـذاك قـد صــرح بالافتـــاء	من بعد الاستفتـاء في النســاء
واوعـد الله بلعـن مـن كتـم	الا بتوبـــة وتبييـــن ختـــم
لعنا اكيدا جـاء في ان الصفـــا	ومثله ايضا حديـث المصطفـــى
تفسيـــره ســؤال علـم يكتـــم	كاتمـــه لجـــام نــار بلجـــم

وفي حج الأمير إبراهيم بن السلطان المولى سليمان وعودته للمغرب، مدحه جماعة من أدباء مصر وغيرها بقصائد نفيسة، ومن جملة من مدحه؛ الشيخ أبا إسحاق

إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي، والذي بعث بقصيدة إلى والده السلطان سليمان يمدح نجله ويهنئه بالقدوم ويذكره فيها أيضا، ونصها[707] :

هذي المنى فأنعم بطيب وصال ... فلطالما أضناك طول مطال
ماذا وكم أوليتني يا مخبري ... بقدومه من منة ونوالي
بشرتني بحياتي العظمى التي ... قد كنت أحسبها حديث خيال
بشرتني بابن الرسول لو إنما ... روحي ملكت بذلتها في الحال
بشرتني بسلالة الخلفاء من ... أمداحهم تثنى بكل مقال
من حبهم فرض الكتاب أما ترى ... إلا المودة حين يتلو التالي
من ضمهم شمل العباء وأذهبوا ... رجساً فيالك من مقام عالي
من قوموا أود المكارم بعد ما ... شادوا الهدى بمعارف ونصال
لولاهم كان الورى في ظلمة ... مدت غياهبها بكل ضلال
آباءك الأطهار فاقصد يا أبا ... إسحاق يا نجل المليك العالي
يا حبه وصفيه من قومه ... وخياره من سائر الأنجال
لو لم تكن أهلاً لصفو وداده ... لم يستنبك لجدك المفضال
لكن توسم فيك كل فضيلة ... فحبى يمينك راية الإقبال
وأقام جودك بل وجودك زاد من ... يبغي ببيت الله حط رحال
أنت استطاعتهم فما عذر الذي ... ترك الزيارة خيفة الإقلال
وبك المشاعر أطربت طرب التي ... وجدت على وله فقيد فصال
ووصلتها رحماً هناك قطيعة ... دهراً ولم تبلل به ببلال

وتأنس الحرمان منك بطلعة ... أغنتهما عن وابل هطال
كرم لكم أدريه يوم أفاضه ... عني سليمان باي سجال
وهب الألوف وكان أكرم منزل ... يسلي الغريب ببره المتوال
يوم التشرف لي بلثم يمينه ... وتمتعي من وجهه بجمال
وتلذذي بخطابه المعسول إذ ... حفت به للدرس أي رجال
لم أنسه يوماً حسبت نعيمه ... بلذائذ الجنات ضرب مثال
عجباً له يحيي القلوب بعلمه ... ويميت جند الفقر منه بمال
وإذا تقلد للوغى فحسامه ... تعنو الرقاب له بدون قتال
تتلوه بالفتح المبين عساكر ... قد أرهفت بالنصر حد نصال
تخشى الملوك مقامه ولذكره ... رعباً تطير فرائص الأبطال
وينال آمله بخفض جناحه ... ما ليس يخطر قط منه ببال
حتى سعى لصفي منهله الذي ... يسعى لمروته ذوو الأثقال
وأتت لمغربه الشريف مشارق ... والشمس تغرب لاقتضاء كمال
لما تكدر صفوها بضلالة ... جاءته كيما ترتوي بزلال
ومتى تخلف عاجز فبقلبه ... يسعى لفعل شعائر الإجلال
أمنية وقعت أشرت لذكرها ... في مدحه قدماً بصدق مقال
تهوى المشارق أن تكون مغارباً ... لتنال من جدواه كل منال
يا فخر دين الله منه بناصر ... وسعادة الدنيا به من وال
لا تفتخر فاس ولا مراكش ... بولائه كل الأنام موال
أو ليس في كل البقاع ثناؤه ... ورد البكور وسحة الآصال
أو لم يشد للدين والعلماء والـ ... أشراف والصلحاء أي جلال
أو لم يعم بجوده أقطارها ... لا فرق بين جنوبها وشمال
أو لم يسر ركبانها بمحاسن ... ضاءت لها سرج بجنح ليال
أو ليس أحيا سنة العمرين في ... زمن إلى بدع الهوى ميال
شيم يهز الراسيات سماعها ... ويعجن في أنف الزمان غوال
أوصاف والدك الإمام المرتضى ... للدين والدنيا بحسن خلال

ذاك الربيع أبو الربيع ومن به … حيى الهدى وشرائع الأفضال

كل الكمال له وأنت مقره … والفرع عين الأصل عند مال

يا ابن المليك ابن المليك ابن المليـ … ـك ابن المليك سلالة الأقيال

أنسيتم ذكر العباسية الأولى … زالوا وما زالوا بعين جلال

لكم الفخار بذاته وسواكم … مستمسك من فخركم بظلال

ولي الفخار بأن نسجت مديحكم … حللاً تجد وكل شيء بال

أملى معانيها على ودادكم … فجرى به طبع كما السلسال

ولو أنني حاولت مدح سواكم … عقل القريحة عنه أي عقال

فكأنما طبعي شريف حيثما … لا يهتدي لسوى مديح الآل

أو قد درى أن المديح تعرض … وسواكم لا يرتضي لسؤال

أبقاكم كهفاً يلاذ بمجدكم … مختاركم لإنالة الآمال

وأدام للإسلام والدك الذي … هو رحمة وسعت بغير جدال

وعليكم وعلى الذي يهواكم … أزكى الرضى من حضرة المتعال

ما دام ذكركم بكل صحيفة … تبعاً لأحمد سيد الإرسال

صلى عليه مسلماً رب الورى … وعلى مقدم حزبه والتالي

وفي ذكر السلطان سليمان وذكر بعض الأخبار التي وقعت، قال الكاتب البارع محمد بن ادريس الفاسي هذه القصيدة الطويلة، منها هذه الأبيات[708] :

أعين العين للمحبين داء … والدوا في شفاهها والشفاء

فإذا ما رمين سهماً لصب … فالهوى قد هوى به والهواء

كيف يعدل نحو رأيي عذول … من رمته ظبي اللحاظ الظباء

سعد ساعد أخا الغرام بقرب … من سعاد فقد عناه العناء

زارني ضيف طيفها فشجاني	وسرى الطيف للمحب حباء
هب شوقي أذهب نشر كباها	وعرتني من ذكرها العرواء
فسقى عهدها العهاد وحيا	الملك العادل الحياء الحياء
ليس إلا أبا الربيع ربيع	خلقه الجود والجدي والوفاء
بسليمان قد سلمنا وسدنا	فالعلي منزل له والعلاء
ملك ملك العلا والمعالي	وسما فله الفخار سماء
غرة المجد درة العقد من قد	راق من فضله السنا والسناء
نجل خير الورى وأفضل من فذ	نبأت بظهوره الأنبياء

وفي النزاع الذي وقع بين قاضي فاس ومفتيها، بعث جماعة من المدرسين وطلبة العلم قصيدة الشكوى للسلطان سليمان، ونصها[709] :

يا أيها الملك الذي عدالته	أحيت مآثرها الصديق أو عمرا
يا أيها الملك الذي مناقبه	في غرة الدهر قد لاحت لنا قمرا
أنت الذي وضع الأشياء موضعها	وفي العلوم الذي أحيا الذي اندثرا
أنت الذي صير الدين القويم كما	أوصى به من سما الأملاك والبشرا
ولم يزل بك في عز وفي حرم	يجني ذوو العلم من رياضه ثمرا
تذب عنه بأسياف وآونة	بفكرة تحكم الأحكام والصورا
ومن يرم هدمه تأخذه صاعقة	من راحتيك فلا تبقى له أثرا
وقد شكا الدين من هضم ومن كمد	أصابه فهو يبكي الدمع منهمرا
سطت عليه يد القاضي الذي غمرت	أقضية الجور منه البدو والحضرا
أعفى مراسمه جوراً وأبدله	جهلاً بما يذهب الألباب والفكرا
جاء الولاية وهو من شبيبته	يرى القضا حرفة يجني بها وطرا
فلم يكن همه فيه سوى قنص	أو نخوة تترك الضعيف منكسرا
أما حقوق الورى فإنها عدم	مجهولة جعلت منبوذة بعرا

فاستنقذت ملة المختار جدك من	هذا الذي ما درى ورداً ولا صدرا
يأتي الحكومة عباساً ومنقبضاً	مما به من سقام يجلب الكدرا
فلا يرى أرسم الخصمين من ملل	لكن يحكم أوهاماً بها جهرا
ويستبد برأيه وحيث بدت	فتوى تبصره ألقى بها حجرا
ولا يمكن خصماً قد دعاه إلى	تسجيله ما رأى في الحكم معتبرا
ملت قلوب الورى منه وليس لهم	إلاك يا من به الإسلام قد نصرا
ضجوا لعزتكم يشكون سيرته	بعبرة تترك الفؤاد منفطرا
فأدركن يا عماد الدين صارمه	رعية ترتجي من حلمكم مطرا
فأنزلنه لقد طغى بعزته	ولم يخف في غد لظى ولا سقرا
واصرفه عنهم كصرفه ضعيفهم	واعزله عزلاً فإن الأمر قد أمرا
فأنت غيثهم إن أزمة أزمت	وأنت كهفهم إن حادث ظهرا

ومما ذكره الضعيف صاحب التاريخ قوله[710] :

{...وأما ضريح سيدي علي بوغالب فبنى فيه السلطان بنايق وعزل النساء عن الرجال وقال فيه بعض الشعراء ما نصه:

أبو غالب بناه من له في العلا	على القوم بالسداد وبالعقل
سليمان أبقى الله آية ملكه	ونفعه بأجره قرة النجل

...}

ومما هو منقوش في زليج أعلى سقاية الرصيف التي أسسها المولى سليمان[711] :

تأمل سبيلا فاق كل نهاية ❁	وأضحى به في غربنا يضرب المثل
وحاز فخاراً اذ تشيد للورى ❁	بدولة من ساد الملوك ومن عدل
سليمان أبقى الله راية ملكه ❁	فلولاه نجم الدين كان لنا افل

فان جئته ظمئان حر ونلت من ❀ زلال ألذ بل واحلى من العسل
فقل يرحم الرحمن ناظر عصرنا ❀ (محمداً الفندوشي) حبذا ما فعل
وتاريخه ما قد حواه (شرابه) ❀ فرِدْ مشربا تحظى بهغاية الامل

وما بدائرة قوس السقاية المذكورة في نقش زليج أسود أيضا ولفظه[712] :

نال كل المنى موافي سناءي ❀ بجنى ظاهر بغير انتهاء
لم يكن لعلا جمالي شبيه ❀ أصبح السعد حاملا للواء
حسبني في الفخار رمزي (شرخ) ❀ للصدور ومنبع للدواء
فاخضعن نحونا ترد سلسبيلا ❀ كافلا بالمنى جزيل عطاء
وسئلن البقا لماحي ضلال ❀ اسعد الخلفاء والامراء
حلية الملك نخبة الفضل حقا ❀ كامل المجد تاج اهل الثناء
ذي المعالي (ابي الربيع) امامي ❀ عالم فاضل سريع الحباء
وبنسبته توسل لربي ❀ في دوام العلا بكل فناء
مع نيل الرضى لمبدي بناءي ❀ له نصح ناظر لمن هو راء
سالك سبل الرشاد بحزم ❀ ماجد نال عزاً دون مراء هـ.

ومما نقش في زليج أسود بأعلى باب ضريح الشيخ أبي الارشاد التاودي ابن سودة على ما ذكره صاحب الدرر الفاخرة والذي أسسه المولى أبو الربيع سليمان[713] :

بشراك زائر هذا البيت بشراك ❀ فقد بلغت المنى والامن وافاك
فانت بين مصلاهم ودارهم ❀ فسل ومد الى مولاك يمناك
لا غرو ان فاق فضلا كل زاوية ❀ فقد بناه امير عز ادراكا

(ابو الربيع) فخار الملك عادته ❀ بذل المواهب ان سألت أغناك
لشيخه وامام الوقت سيدنا الـــــتاودي وعلاه ليس يخفاك
أبقاه ربه يهدي الخلق منفردا ❀ فاز به عله في الحشر يرعاك
والفندوشي امام ناظر واقف ❀ عامـله يارب ياربي برحماك
تاريخه وهو (شطر ١٢٠٩) من ملاحته ❀ يتم مستبشراً طلقا محيـاك

ومما ذكره أيضا المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان في كتابه الدرر الفاخرة قوله في إنشاءات السلطان المولى سليمان حيث قال[714] :

{...وهدم مسجد الديوان اذ كان صغيرا وزاد فيه املاكا ابتاعها من أربابها بمال لا شبهة فيه وصيره مسجدا جامعا للخطبة وذلك البناء هو القائم العين الآن كتب على باب هذا المسجد من انشاء العلامة الأديب الشيخ حمدون ابن الحاج ما لفظه طبق ما قرأته في ديوانه ومن خطه نقلت:

نظرت ما تشتهيه العين منك فقل ❀ الله ينصر مـولانا سـليمانا
باني قواعد دين المصطفى ولـكم ❀ قد هد مما بنى الضلال اركانا

وأسس مسجد الشطة بالطالعة عام 1213 يدل لذلك ما كان مرقوما في نقش الجبس على بابه حسبما قرأته في ديوان ابن الحاج المذكور ولفظه من خطه:

انا البيت المقدس في ارتفـاع ❀ وتاريخي يرى للنـاظـرينـا
بناني من له وَبـلِيٌّ جود ❀ (سليمان امير المومنينا)

...}

وللعلامة الطيب بن صالح الغماري الرزيني في السلطان مولاي سليمان العلوي[715] :

كَمْ بالصَّرِيمَةَ منْ جُذَيْلٍ عَبْقَرِي ... يَفْرِي فلا يُلْوى على مُتَعذِّرِ
قذَفتْ بهقذَفُ النَّوى قلْبَ ٱلْفلا ... مُتَعَجِّراً ثوبَ الظلام الأَعْجَرِ
فرْداً كسيف بل كسَنْهم قد هفَا ... ريشُ الزَّماع به الى مُسْتَنْفرِ
يُضحِي مع الكُدْرِي ويُمسِي تارةً ... ضَيْفاً لِسِرْحان ٱلْفَيَا في ٱلْمُقْفرِ
في الليلة الظلماءِ يعتَسِفُ ٱلْفضَا ... وكأَنَّما يَمْشِي بلَيْلٍ مُقْمِرِ
يرمِي بهمَّته مخَاطِرَ دُونَهـــا ... هِمَمُ الزَّمان لِغَيْرِه لم تَخْطُرِ
لِيَوُمَّ مولانا سليانَ الذي ... قالَ السماحُ عليه أَثْنِي خِنْصِري
هُو في ملوك الارض غيرَ مُدافَع ... فيهم بمَنْزِلِ مُقْلَةٍ من مِحْجَرِ
عِلْماً وحِلْماً في مقـــام تَحكُّم ... وشمَائِلاً تزكو بطيب ٱلْعُنْصُرِ
ما إن يُرَى إلاَّ بصَهْوةِ سابِح ... يمشي ٱلْعرَضْنَةَ أَو بصَهْوَةِ مِنْبرِ
لم يَخْلُ من ضربِ الجيوش ببعضها ... إلاَّ لدَقَّة مُصْحَف أَو دَفْتَرِ
وإذا ٱسْتَراحَ النَّاسُ في دَعةٍ لهم ... لم يَخْلُ منهم في الجهاد الأَكْبَرِ

وفي رثاء السلطان المولى سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله، قال الفقيه والكاتب محمد بن ادريس الفاسي[716] :

تبأ عرى أوهى عرى الإيمان ... وأبان حسن الصبر عن إمكان
شقت لموقعه القلوب وزلزلت ... أرض النفوس ورج كل مكان
فقد الإمام أبي الربيع المرتضى ... جزعت لعظم مصابه الثقلان
وبكت عيون الدين ماء جفونها ... وجداً عليه وكل ذي إيمان
لم نعى الناعون خير خليفة ... وعرا الفؤاد طوارق الأحزان
مزقت ثوب تجلدي من فقده ... ونثرت در الدمع من أجفاني
عجباً لموت غاله إذ لم يخف ... فتك الملوك وسطوة السلطان
وسما لمنصبه المنيف ولم يهب ... غضب الجنود وغيرة الأعوان

لو كان ينفع خاض فرسان الوغا ... حرصاً عليه مواقد النيران
وحموه بالنفس النفيسة إنما ... يحمون روح العدل والإحسان
لكن قضاء الله حم فلا يرى ... للمرء في دفع القضاء يدان
والموت مورد كل حي كأسه ... وسوى المهيمن في الحقيقة فان
إن غاب عنا شخصه فلقد ثوى ... فينا الثناء له بكل لسان
ومناقب ومفاخر ومآثر ... شاعت له في سائر الأوطان
ومعارف وعوارف ووسائل ... ومسائل قد أوضحت ومعاني
وبدور أولاد وآل قد قفوا ... آثاره في العلم والعرفان
تخذوا الديانة والصيانة شرعة ... وتقلدوا بصوارم الإيقان
أخلاقهم ووجوههم وأكفهم ... كالزهر والأزهار والأمزان
إن حاربوا أبدوا شجاعة جدهم ... أو خاطبوا أزروا على سحبان
من كل من جعل القران سميره ... وسما بوصف العلم والتبيان
كم آية ظهرت له وكرامة ... دامت دلائلها مدى الأزمان
قد كان أوحد دهره ولذاته ... في العدل والتمكين والإحسان
قد كان عالم عصره وفريده ... في الفهم والتحقيق والإتقان
قد كان فرداً في البلاغة إن جرت ... أقلامه بهرت بسحر بيان
من للعلى من بعده من للنهي ... من للتقى وتلاوة القرآن
يا رمسه ما ذا حويت من العلى ... وطويت من علم ومن عرفان

ومنها:

يا رمس كم واريت من كرم ومن — جود ومن فضل ومن إحسان

يا رمس كم حجبت عنا شمسه — وضياؤها في سائر البلدان

ووسعت بحر علومه وسخائه — فطمى بضيق بطنك البحران

فلو استطعت جعلت قلبي قبره — حبّاً وأحشائي من الأكفان

ولو أن عمري في يدي لوهبته — وفديته بالأهل والإخوان

لكن يخفف بعض أثقال الأسى — علمي به في جنة الرضوان

فسقى ثراه من المواهب ديمة — وهمت عليه سحائب الغفران

ورد الرسول بموت خير خليفة — وولاية العهد الرفيع الشان

فجزعت من حزن لما قد نابني — وطربت من فرح بما أولاني

ما مات من ترك الخليفة بعده — مثل المؤيد عابد الرحمٰن

ملك تسربل بالتقى حتى ارتقى — من نهجه الأتقى على كيوان

يا واحداً في الفضل غير مشارك — أقسمت ما لك في البرية ثان

لله بيعتك التي قد أشبهت — فيما تواتر بيعة الرضوان

قد أحكمتها يد الشريعة والتقى — بعرى النصوص وواضح البرهان

سعد الذي أضحى بها متمسكاً — وهوى العنيد بهوة الخسران

وجرى على التيسير أمرك فاستوى — ملك الورى لك في أقل زمان

وأتت لنصرتك المغارب كلها — فبعيدها لك في الحقيقة داني

عقدوا على النصح القلوب وإنما — عقدوا بنصرك راية الإيمان

لو شئت من أهل المشارق طاعة — لأتوك من يمن ومن بغدان

هابتك أصناف الطغاة بزعمهم — لما وثقت بنصرة الرحمٰن

وبسطت عدلك في الورى فكأنما — قد عاش في أيامك العمران

يا أهل بيت المصطفى أوصافكم — جلت عن الإحصاء والحسبان

طاب المديح مع الرثاء بذكركم — فنظمته كقلائد العقيان

السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام

ومما قاله العلامة الوزير محمد بن ادريس الفاسي في السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لما تمت له البيعة وعم الأمن والرفاهية في البلاد، قوله [717]:

مولاي بشراك بالتأييد بشراكا	قد أكمل الله بالتوفيق سراكا
الفتح والنصر قد وافاك جيشهما	والسعد واليمن قد حيا محياكا
الله ألبسك الإقبال تكرمة	وبالتقى والنهى والعلم حلاكا
فراسة الملك المرحوم قد صدقت	لما تفرس فيك حين ولاكا
أعدت للدين والدنيا جمالهما	فأصبحا في حلى من حسن مغناكا
وزادك الغيث غوثاً في سحائبه	فجاد بالقطر قطراً فيه مأواكا

وفي بيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام وردت عليه تهنئة عالم إفريقية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي بقصيدة يرثي في أولها السلطان سليمان رحمه الله وبعد ذلك يهنئ فيها السلطان عبد الرحمن [718]:

نصر من الرحمٰن جل لعبده	أيروم خلق نقض مبرم عقده
وعدت به الأقدار وهي نوافذ	لا تحسبن الله مخلف وعده
والله أعلم حيث يجعل نصره	في الشاكرين له سوابغ رفده
فلتبسم ثغر الهنا مستبشراً	فالوقت ينطق عن سعادة جده
أن يمض مولانا سليمان الرضا	وعليه تبكي الباكيات لفقده
العلم والتقوى وكل فضيلة	منشورة طويت به في لحده

فلقد أقام لنا أبا زيد هدى نوراً مبيناً يستضاء برشده
لو لم يكن كفئاً لما أوصى به وبنوه ترفل في ملابس مجده
سعدت به الأيام ثم أراد أن تبقى السعادة للورى من بعده
أعظم به نصراً يدوم سروره للخافقين سرى تضوع رنده
أهدى إلى الأعداء أقتل غصة والأوليا متنعمون بشهده
فاستبشروا باليمن من مرضاته واستمطروا نيل المنى من وده
ما هو إلا ابن الرسول وهل فتى في الناس يعدل عن مكارم جده
وتناسقت أسلافه كرماً كما راق النواظر لؤلؤ في عقده
لا غرو أن جمع المحاسن كلها منهم فإرث الجمع حق لفرده
لا يأفك الخراص حيث يقول قد ذهب الزمان بعمره وبزيده
فبسيف ما ننسخ يقد أديمه حتى ولو وفى العيان برده
فلكم وكم من آخر زمناً له فضل عظيم لا يحاط بسرده
يا أهل فاس والمغارب كلها والشرق من مصر لغاية حده
يهنيكم هذا الزمان فإن في أيامه للدين مطلع سعده
والعلم والتقوى وكل معظم عند الشريعة فهو بالغ قصده
النور أوقد منهم أتراهم يرضون إلا باستدامة وقده
الله يبقي نوره متوقداً يفنى الزمان ولا فناء لخلده
ويخص مولانا الأمير بنعمة لا تنقضي وعناية من عنده
ويديمه ظلاً وريفاً كلما حمي الورى هرعوا لجنة برده
وحسام فتح كلما نهضت به عزماته فالنصر شاحذ حده
وتمام بدر كلما اقتعد السرى لم يسر إلا في منازل سعده
وعليه تسليم تأرج نده لكنه في الفضل عادم نده
ثم الصلاة على النبي وآله والحمد في بدء الكلام وعوده

وفي السلطان عبد الرحمن بن هشام قال العلامة الأديب أبو عبد الله محمد بن سميه بن علال السودي[719] :

كل ملوك العــراق	❀	وملك مصر وشـام
فما لهم من مرام	❀	لو حضر (ابن هشام)
او فــاض بحر نداه	❀	يكفيك قطر الغمام
او قام للعدل يوما	❀	حل محل الامــام
امام فضل ولكن	❀	فاق ملوك الانام
فرد كل مُضِل	❀	عن الهدى بالحسام
يعز كل مــذل	❀	فيه جميــع المرام
ما سمح الدهر قط	❀	بمثله في الكرام
من اول الدهر تتلى	❀	آياتــه بــــــالدوام
طابق الاسم المسمى	❀	فـكان مسك الختام

وفي شروع السلطان عبد الرحمن في غرس أجدال بحضرة مراكش وما إلى ذلك من الأخبار، قال الوزير محمد بن ادريس[720] :

وردت وكان لها السعود مواجها	والحسن مقصوراً على مواجها
وبدت طلائع بشرها من قبلها	كالشمس طالعة لدى أبراجها
وتسير ما بين الأباطح والربى	ترمي فريد الدر من أمواجها
وتصوغ من صافي النضار سبائكا	حلت بها الأعطاف من أثباجها
هبطت إليك من الجبال وطالما	تعبت ملوك الأرض في إخراجها
وأتتك راغبة تجر ذيولها	وتفيض غمر النيل من أفواجها

تنساب مثل الأفعوان وتنثني كالغصن بين وهادها وفجاجها
خطب الملوك نكاحها فتمنعت وأتتك واهبة حلال زواجها
فلتهنك الخود الرفيع فخارها وليهنها أن صرت من أزواجها
حراء عباسية بدوية نشرت ذوائبها على ديباجها
وافتك وافدة وقد صبغ الحيا وجناتها وجرى على أدراجها
فكأنها بلقيس جاءت صرحها لكنه صرح بغير زجاجها
عرفت أناملك الشريفة أبحراً غرقت بحار الأرض في عجاجها
فأتتك طالبة الأمان لنفسها لتنال بعض الطيب من ثجاجها
لبتك إذ سمعت نداك وأقبلت مرهوبة تستن من إزعاجها
ونزعتها بالقهر من غصابها والسابقون رضوا ببعض خراجها

وفي فتح زاوية الشرادي قال الأديب أبو عبد الله أكنسوس في تهنئة السلطان[721] :

بشائر لا تحيط بها الشروح كأن سميعها فنن مروح
سقى ربع البشير بها غمام يباكرها هتون أو يروح
تفديه المحافل وهو يشدو فتوح في مضمنها فتوح
وتأمل أن تقبله الغواني تذيل له المباسم أو تبيح
بشائر كاد يسمعها دفين ويسري في الجماد بهن روح
شفى المولى المؤيد كل صدر به من قبل وقعتها جروح
وأدرك ثار عصبته وأضحى لعزة قدره شرف صريح
لقد حسم الفساد بكل أرض فساد به لنا الدين السميح
وزر على زرارة كل خزي تشق له المجاسد إذ تنوح
وقد كانت تصر على ازورار وكانت لا ينهنهها قبيح
ومن كانت مراكبه جماحا فسحقاً حين تصرعه الجموح
أتيح لهم لحينهم جهول غوى للضلال له جنوح

يقودهم إلى العصيان سراً ويظهر أنه البر النصوح
يحدثهم إذا ما حم خطب حديثاً كان مصدره سطيح
هو الدجال في سمت وفعل فمن يدعوه مهدياً وقوح
فأهلكه الإمام فكان عيسى كذا الدجال يهلكه المسيح
فصير دار منعته فلاتاً على أطلالها البوم السنيح
وفر عن الذمار على حمار عليل العرض جؤجؤه صحيح
فيالؤم الذليل فلا وهين فيعذر بالفرار ولا جريح
وخير من جباة في هوان يبوء به الفتى موت مريح
أيطمع في النجاة فلا نجاة سيدركه الهزيز المستبيح
إذا كان الشراب له بحاراً تخوض إليه سلهبة سبوح
ستدركه العزائم من إمام تدك له المعاقل والصروح
إمام قد أعاد لنا سروراً وجاد لنا به الزمن الشحيح
أعز الله ملك بني علي بصولته وتم له الوضوح
وجرد من جلالته حساماً يزيل به الضلالة أو يزيح
وقد كان الخلائق في ظلام فلاح على الخلائق منه بوح
وأصبحت الأباطح باسمات وكان على مناظرها كلوح
أعز معود للنصر ساع إلى العلياء مسعاه نجيح
يخاطر في منال العز دأباً برأي كل مدركه رجيح
فرايات السعود عليه نشر وساحات الفخار لديه جوح
أبا زيد فأنت لنا ملاذ وجاهك في المهم لنا فسيح
فقد زانت مآثرك الليالي ولاح لعدلك الوجه المليح
وهذا الدهر كالطوفان موجاً وطاعتك السفين وأنت نوح
وأنت خليفة الرحمٰن من لا تؤمنه فمشربه نشوح
كما أن الشبانة حين زاغت وهب لها من الطغيان ريح
عصفت عليهم باليأس تزجي كتائب كالسحاب إذا تلوح
فألقيت الجران على ذراهم بجيش كلهم بطل مشيح

فجاء العفو منك وهم ثلاث | أسير أو كسير أو ذبيح
وقد قسمت بلادهم بعدل | ودورهم كما قسم الوطيح
وقد نظمت مكايدهم قديماً | بني سعد وزيدان نطيح
فظنوا آل إسماعيل يرنو | لغير الحزم طرفهم الطموح
وما علموا بأنكم سيوف | لحدكم نجيعهم سفوح
أبا زيد إذا تبقى عليهم | بصفح ربما ندم الصفوح
فلا تحلم فإن الجرح يكوي | طريّاً بالمحاور أو يقيح
فلا زالت بك الدنيا عروساً | ومجدك من مفارقها يفوح

ومما قاله بعضهم في نفس المناسبة ولعله الفقيه أبو محمد عبد الله الديماني على ما ذكره صاحب الإستقصا:

بشرى تقر بأعين الإيمان | كالوصل ينسخ دولة الهجران
جاد الزمان بها على مقداركم | فتقاصرت عنها خطا الأذهان
أين المفر لمن عنا عن أمركم | أترى البغاث تفوت ما لعقبان
الأمر أمر الله غير منازع | لاح الصباح لمن له عينان
يا من يطالب أمرهم بدلائل | أتطالب البرهان بالبرهان
إن كنت تجهل فالحسام معلم | يشفي البريء به ويشقي الجاني
كم من غوي قد عتا عن أمرهم | كزرارة فمضى إلى الخسران
أين المفر لمن عتا عن أمركم | يوم الكفاح إذا التقى الجمعان
لم يمنع الأعداء منهم معقل | لو أنهم صعدوا إلى كيوان
لكنهم باؤوا بأخسر صفقة | فكأنهم غصبوا أبا غبشان
جيش تسد وفوده مسرى الصبا | وتهد وطأته ذرى ثهلان
يا مالكاً ملأ الوجود محاسناً | لا تختفي عن أعين العميان

أجريت بين المعتقين مكارماً	يسلو الغريب بها عن الأوطان
لو قيل للغيث اعترف لم يعترف	إلا بفضل نداكم الهتان
إنسان عين الدهر أنت وإنما	تكميل شكل العين بالإنسان
ذكراك بالأفواه تعذب كاللما	وتخف كالبشرى على الآذان
أيقظت جفن الحق من إغفائه	وأقمت ميلة عطفه الكسلان
ألقى لك الزمن العصى زمامه	وعنا لطاعة أمرك الثقلان
فالدهر دونك دافع ومدافع	وصروفه لكم من العبدان
فإذا أشرتم في الزمان لمقصد	كان القضاء لكم من الأعوان
أخلصت للرحمن في طاعاته	فلذا دعيت بعابد الرحمٰن
ألقيت رحلي في ذراك مخيماً	فجريت في الآمال طوع عنان
وتركت أوطاني وجئت وإنما	من فرط حبك غبت عن أوطاني
يا ليت قومي يعلمون بأنني	من جودكم أرد الفرات الثاني
لا زلتم في أسعد مبسوطة	مقبوضة عنها يد الحدثان

وهذه قصيدة ناب فيها صاحب جيش العرمرم عن السلطان المولى عبد الرحمن والذي أراد قصيدة في مدح الرسول يرسلها مع أولاده للحج وذلك لغرض التوسل، وهذه قصيدة العلامة محمد بن أحمد الكنسوسي في الغرض المذكور وهذا مطلعها[722] :

أركيا سرى إذ شام برقا يمانيا	ليهنكسم أنا بلغنا الأمانيا
تألق في ظلمائه فكأنه	مباسم تحكي في سناها اللآليا
زجرنا به الآمال فابتسمت لنا	وضاءت كما أضحى يضيء الدياجيا
وروع أحشاء تحن لمعهد	تقضت به عهد الشباب تقاضيا
وما زال هذا البين يوقد لوعة	أبت في فؤاد الصب إلا تماديا
فؤاد دعاه الحب من بعد كبرة	وما للهوى بعد المشيب وماليا

ومنها:

فقل بعد إهداء السلام تحية … تعم ضجيعيه الكرام المواليا
إليك رسول الله من أرض مغرب … عن المذنب الجاني أتيتك شاكيا
عن ابن هشام الاسير لنفسه … وأهوائه يبغي لديك التفاديا
عن ابن هشام الذي قد تقاعدت … به عنك أشغال أصارته غانيا
عن ابن هشام الذي ليس يرتجي … سواك فحقق فيك ما كان راجيا
يحاول إصلاحا لأمتك التي … رجوناك تنفي عن حماها الأعاديا
رجوناك تكفينا المخاوف كلها … فما زلت من كل المخاوف كافيا
رجونا لديك النصر في كل حالة … على من غدا بالغي في الناس باغيا
رجوناك ترعانا من الفتن التي … غدا أهلها فيها الأسود الضواريا
فليس لهذا السرح غيرك كالئ … فكن يا رسول الله للسرح كاليا
وليس لنا إلا بملة أحمد … دعاء إذا ما الغير أصبح داعيا
وحاشاك من ينمى إليك تمله … وتسلمه إن أصبح الهول داجيا

ومما أنشده رئيس الكتاب، وإمام خدمة أشرف الأعتاب، السيد محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس قصيدة مولدية طويلة في مدح الرسول وفيها أبيات في مدح السلطان عبد الرحمن وهذا مطلعها[723] :

أعد الحديث عن الحما وظبائه … فالسمع مشتاق الى أنبائه
وصل الحديث عن اللوى وعقيقه … والنازلين الجزع من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى … ومجال أفراس الهوى وظبائه
كم من صريع هوى بأفنية الحمى … فتكت عيون العين في أحشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه … لما سقاه الوجد من صهبائه
وأسير وجد في إسار جمالهم … قادته مرسلة العيون لدائه

ومنها:

وعلقت من آل النبي بذمة تدني القصي إلى كريم فنائه
من طهر المولى وخص المصطفى شرفا وجللهم كريم كسائه
وخدمت واسطة الأئمة منهم نجل النبي المهتدي بضيائه
مولى الخلائف عابد الرحمان من رحم الإله الخلق عند ولائه
أحيا به الدين الحنيف وزانه بسنائه وحيائه ووفائه
وأعاد أرض الغرب روضا ناضرا برخائه وسخائه ورقائه
ونفى عن الإسلام كل ضلالة وأضاء نور العلم في أرجائه
وأشاد مغنى الملك فاستعلى به وقضى حقوق الله في أعدائه
وأعاد في جسم الخلافة روحها وشبابها وكساها ثوب بهائه
من حاز مجموع المكارم مفردا وروى حديث الجود عن آبائه
الحلم من أوصافه والعلم من ألافه والفهم عبد ذكائه
والعدل من أحكامه والفضل من إنعامه والفصل من ندمائه
والنصر من أحزابه والشكر من أصحابه والبحر من أسمائه
والحسن من قسماته والأمن من حسناته واليمن من وزرائه
والجد من أترابه والمجد من أثوابه والسعد تحت لوائه
والسيف من عزماته والعيث من سطواته والغيث من نظرائه
والزهر من نفحاته والزهر مثـ ـل صفاته والفخر تحت ردائه
والحق في أفعاله والصدق في أقواله والحذق من عرفائه
والسر في كلماته والبر في جنباته والأجر في استرضائه

ومن القصائد المولدية كذلك التي وقفنا عليها في كتاب جيش العرمرم، قصائد نظمها العلامة محمد بن أحمد الكنسوسي وهي في نفس الغرض، إذ هي في مدح الرسول وأبيات منها في مدح السلطان عبد الرحمن ومنها هذه القصيدة اللامية التي مطلعها[724] :

عهدي لكم جيرة البطحاء موصول ... يا ناسي العهد إن العهد مسئول
أشيم برقا سرى من نحو ربعكم ... وفضل ذيلي بوبل الدمع مبلول
فيلهب الشوق أحشاء مروعة ... مني وللشوق ترويع وتهويل
يا ليت شعري والأيام شيمتها ... تمنع وضمير الغيب مجهول

ومنها:

يا واضع الإصر عنا في شريعته ... فضلا ومن قبلنا بالإصر مغلول
قد جئتنا بحنيف كله نزه ... ميسر واضح الأحكام معقول
فيه الخبائث بالأحرى محرمة ... وللأطايب ذات الحسن تحليل
تركتنا وسبيل الحق واضحة ... أعلامها ومحيا الدين مصقول
بآل بيتك والذكر الحكيم لنا ... كل اعتصام إذا ما اغتالت الغول
هذا حفيدك سلطان الملوك أبو ... زيد إمام بنصر الحق مشغول
سبط الخلائف باني العز في شرف ... عال على مجده للناس تعويل
قوم تداركت العليا سعادته ... لما غدا وإليه الأمر موكول
ما زال مجتهدا في الله منتصرا ... بالله والسيف في يمناه مسلول
حتى استنارت نجوم للهدى فلها ... والحمد لله تقويم وتعديل
فهو المؤهل للسمحا يجددها ... من بعد ما عز للتجديد تأهيل
وهو الذي سنة المختار قد حييت ... به وقد غالها نسي وتعطيل
هو المؤيد بالإسعاد همته ... لبنية العز تشييد وتطويل
ففضله روضة غناء دانية ... قطوفها وجنى كفيه معسول
وبأسه في ديار الكفر صاعقة ... فيها لحزب ذوي الأهواء تنكيل

ومنها:

يا خزي من حاد عن منهاج طاعته ... ويلمه إنه والله مثكول
إن سار يوما الى الهيجاء تتبعه ... أجناد جرد أبابيل أبابيل
من كل أروع في إقدامه بطر ... وسيفه من قراع الهام مفلول
يجرها كعديد الطيس عابسة ... وماله غير وجه الله مأمول
يعنى به النصر لا ينفك يلزمه ... كأنه علة والنصر معلول
وعزمه نافذ لا شئ يحجبه ... فكل ما يبتغي في الحين مفعول
وتلك سنة ربي في عزائمه ... وما لسنة رب الناس تحويل
وللسعادة أسباب مقدرة ... في سابق العلم لا كسب وتحصيل
من أسرة زين الأقطار ملكهم ... كأن ملكهم تاج وإكليل
تملكوا فأتت كالروض دولتهم ... ظلالها العدل والإحسان عثكول
بنو عليّ أدام الله عزهم ... فهم لمغربنا عز وتفضيل
وابن الإمام هشام نال بعدهم ... ما فاتهم ولأخرى البيت ترفيل
أتته واسطة بالطوع حين غدا ... للعقد واسطة وهم أكاليل
يا أيها الملك الأتقى المحيط به ... من الجلالة إجمال وتفصيل
بقيت للمولد المبرور تشهده ... وعزه بجلال منك مكفول

وهذه القصيدة المولدية الدالية والتي مطلعها[725]:

أرائح أنت نحو الحي أو غاد ... بالله فاستنجز الأظعان أو عادي
واذكر لأهل النقا عهدي القديم به ... وحي أهل النقا حييت يا حاد
واسأل مناخ المطايا عند كاظمة ... هل من معاد بها يوما لميعادي
واستخبر الدمنة الخضراء من إضم ... عمّن عهدت بها أيام اسعادي

ومنها:

والسعد يقدم أجنادا يقدمها — والرعب يردفها منه بأجناد
ما زال ينشر إحسانا ومرحمة — في الناس من غير إجحاف وإلهاد
حتى استلانت قلوب الناس سيرته — واستذعنت كل قاسي القلب معناد
نذاك مراكش الغراء حضرته — محسودة الفضل في مصر وبغداد
يا مالكا ورث العلياء عن سلف — عالى المجادة يرويها بإسناد
يا ابن الملوك الأولى كانت رعيتهم — يضحون من عزهم في ظل أطواد
لا زلت ترفل في عز وفي دول — موصولة أبدا من غير انفاد
تفيض أبحر جود في مواسمنا — فيضا تهين به أبناء عباد
ودم كما شئت مسرورا تقيم لنا — مجالسا ذات إنشاء وإنشاد
تهنيك ليلتنا هاذى ولا برحت — تأتيك في كل إقبال وإسعاد
هي ليلة المولد الباهي وبكرته — وليلة يومها عيد الأعياد
من ليلة شرف الله الوجود بها — وتلك خير ليال دون افناد
يا شاديا يجتلى مدح الحبيب لنا — ردد لنا مدحه يا أيها الشادي
وناده بلسان غير محتشم — نداء ذي وله في القلب مزداد
يا من على الرسل والأملاك كلهم — والإنس والجن طرا فضله باد
يا معجزا للبرايا في فصاحته — يا خير من مازبين الظاء والضاد
قم بابنك ابن هشام في الأمور كما — تقوم في الأمر آباء بأولاد
فإنه يورد الأشياء موردها — في نصر دينك دأبا خير إيراد
بجاه وجهك حقق ما يؤمله — من كل خير لأولاد وأحفاد
وكن له ناصرا وامدد عساكره — بالفتح في حال أرباب وإساد
ثم السلام كعرف الزهر ينضحه — صوب الغمام عليك طول آباد

وهذه القصيدة المولدية الحائية والتي مطلعها[726] :

راح الفؤاد بأثر الركب إذ راحا سكران لكنه لم يشرب الراحا
مالي وكنت كتوما للهوى زمنا أرى هواك وإن أخفيت براحا
كم ذا وقوفك بالأطلال تسألها ودمع عينك لا ينفك سفاحا

ومنها:

وخصنا بمثول في مجالسه ندير من خمرة الأفراح أقداحا
وزان موسمنا هذا بطلعته معاشرا لشفيع الخلق مداحا
يا من لعزته الملاك خاضعة بالعزم يأتي الذي يرضيه
هذا الفرنج يرجي أن تساعده على مهادنة للسلم جناحا
لو لم يكن لك بالإذعان معترفا لكان قد مسخ الخنزير تمساحا
حياك ربي أبا زيد وأفسح في ايامك الغر ذات الخير إفساحا
وأكمل الله ما ترجو وتأمله فإنه لم يزل بالسؤل سماحا
وحاط أبناءك الأمجاد كلهم أخص أبلج للأنصار فتاحا
محمدا أسعد الله الرعايا به من بز وهو ثني السن قراحا
إذا دعوت أمير المؤمنين به دعوت برا إلى الخيرات مجناحا
مرافق الرفق يطفي من لطافته نار الذي لم يزل للشر قداحا
محمد هو أهل أن تتوجه تاج الرضا منك إيثارا وإرجاحا
لا زال آل هشام ظل مجدكم ممددا في رياض العز نشاحا
ولم تزل صلوات الله عاطرة تهدى إلى المصطفى كالزهر فواحا
ما أنغمت هذه الأمداح سامعها وأعجزت في مجال الحسن وشاحا

ومما قاله الأديب أبو العباس الجشتيمي في المولى عبد الرحمن من قصيدة[727] :

احد النياق بذكرهم يا حادي فالذكر عنهم سلسبيل الصادى

يقول عند التخلص :

من لم يكن مستلئما متكميا انى يصاول فى مجال طراد
هذا الامام ابو البسالة ما ارتضى الا بحزم فل كل اعاد ،
راي كما جالت نوافذ بيضه فتقد كل الغلب اعلى الهادي
فكأنما سجف الغيوب مزحزح عنها فيبصر رائحا من غادي
ورث المجادة والسيادة والعلا عن ساسة ساسوا الورى امجاد
خلقوا من انوار النبوة ما هم الا الشموس سمت على الانداد
قد انجبتهم من بني عدنان امـ ـلاك عظام من صدور النادي
فشبابهم كالشيب فى آرائهم وضراوة الاشبال كالآساد
بخلاء بالاعراض لكن ان اتى زاد ، فما انداهم بالمزاد
من آل اسماعيل كانوا من خيا ر الناس لاقيناه بالاسناد

الى أن قال فى أواخرها :

مولاي يا خير الملوك ونخبة الا برار اهل الفضل والاسعاد
قد جل قدرك ما الذي سيقوله فيه ذوو الانشاء والانشاد
تعيي مناقبك العظيمة من هم أهل البلاغة من فصاح اياد
الرى انا وانا الفهيهة محصيا ، ما كان عندي غاية لمرادي
اقبل امير المومنين مقال من ، لم يدر كيف السرد للازراد
فلقد بذلت الجهد لكن عاقني حصرى العظيم على لسان الضاد
فعليك من ضيف يجوب بشوقه ، ليراك اطراف الفلا بالحادي
ازكى سلام طيب يشذى كما تشذى الحدائق من اريج الجادي

وفي تحديث السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام للعسكر قال الشيخ الأديب يوسف المديني قصيدة[728] :

أمِيرُ المؤْمِنِينَ لَهُ مَزَايَا ... يَضِيقُ النَّثْرُ عَنْهَا وَالنِّظَامُ
وَأعْظَمُهَا إذَا ذُكِرَتْ وَعُدَّت ... وَإنْ كَانَتْ بِأجْمَعِهَا عِظَامُ
نِظَامٌ عِقْدُهُ لِلدِّينِ عِقْدٌ ... نَفِيسٌ زَانَ جَوْهَرَهُ نِظَامُ
وَإنْ ذُكِرَتْ جُيُوشُ النَّصْرِ طَرّاً ... فَهُوَ لَهَا المُقَدَّمُ وَالإمَامُ
يُرِيكَ إذَا نَظَرْتَ لَهُ صُفُوفاً ... لَهَا بِالنَّصْرِ جِدٌّ وَاهْتِمَامُ
تَطِيرُ لَهَا قُلُوبُ الأُسْدِ خَوْفاً ... وَيَفْزَعُ عِنْدَ رُؤْيَتِهَا الحِمَامُ
فَعِنْدَ الرَّمْيِ تَصْلَى الجَوُّ نَاراً ... وَعِنْدَ الضَّرْبِ يَنْدَقُّ الحُسَامُ
وَإنْ صَفَتْ فَتَحْسِبُهَا بِنَاءً ... شَدِيدَ الرَّصِّ رَصَّصَهُ انتِظَامُ
وَإنْ نَطَقَتْ فَبَرْقٌ أو رُعُودٌ ... كَسَاهَا مِنْ مَلاَبِسِهِ الظَّلاَمُ
وَإنْ سَارَتْ لِحَرْبٍ فَالمَنَايَا ... تَسِيرُ وَ(طَبْعهَا) جثثٌ وَهَامُ
فَقُلْ لِلدِّينِ جَاءَ النَّصْرُ (فَاهْنَا) ... وَلا تَجْزَعْ فَقْدُ نَظْمِ النِّظَامْ.
وَقُلْ لابْنِ الرَّسُولِ وَمَنْ إلَيْهِ ... مُلُوكُ الأرْضِ تَفْزَعُ إذْ تُضَامُ
لِيَهْنَكَ إذْ شَدَدْتَ بِنَظْمِ جُنْدٍ ... عُرَى مَجْدٍ فَلَيْسَ لَهُ انْفِصَامُ
وَفَاقَ نِظَامُ جُنْدِكَ كُلَّ نَظْمٍ ... وَهَلْ تَحْكِي أُسُودَكُمْ الرِّئَامُ
* فَكَمْ جُنْدٌ تَقَدَّمَهُ بِجُبْنٍ ... وَطَالَ بِأرْضِهِ مِنْهُ المُقَامُ
وَسُدَّتْ دُونَهُمْ أبْوَابُ نَصْرٍ ... وَلَمْ (يكْمِلْ) لَهُمْ بِهِمْ مَرَامُ
فَلَمَّا إنْ مَنَنْتَ بِنَظْمِ جُنْدٍ ... تَوَلَّى الكُفْرُ وَانْقَطَعَ المَلاَمُ
وَتَمَّ (لَكُمْ بِهَذَا) الدِّينِ نَصْرٌ ... وَمَدَّتْكُمْ مَلاَئِكَةٌ كِرَامُ
فَعَنْ قُرْبٍ يُكَسِّرُ جَيْشُ كِسْرَى ... وَتَرْشُقُ فِي قَيَاصِرِهِ السِّهَامُ
فَطِبْ نَفْساً بِجُنْدِكَ فَهُوَ جُنْدٌ ... بِهِ الكُفَّارُ طَارَ لَهُمْ مَنَامُ
فَإنْ يَكُ غَيْرُكُمْ بِالبَدْءِ يَسْمُو ... سُمُوَّ البَدْرِ زَائِلُهُ الغَمَامُ
فَإنْ بِدَايَةَ الأشْيَاءِ سَهْلٌ ... وَلَكِنَّ الكَمَالَ هُوَ الخِتَامُ
وَهَلْ فَضْلُ الهِلاَلِ إذَا تَبَدَّى ... كَفَضْلِهِ إذْ يَتِمُّ لَهُ التَّمَامُ
قَدَمٌ فِي المُلْكِ بَذْراً لَسْتَ تَخْشَى ... مَدَى التَّأْيِيدِ نَقْصاً وَالسَّلاَمُ

وفي زيادة السلطان عبد الرحمن بن هشام في مسجد الضريح الإدريسي ما نقش في زليج أسود ولفظه[729] :

انظر بعينك شذور الذهب ❀ لابن هشام المنتقى المنتخب
مؤسس المجد شريف النسب ❀ (مبارك الاسم اغر اللقب)
من يديه زهر المنى يجتنى ❀ في وجهه بدر الهدى يرتقب
من سره هذا المقام الذي ❀ شيده على التقى للقرب
(شهر ١٢٤٠) لطاعة الإله به ❀ ومد للزوار كف الطلب
فهو الذي يعطي بلا منة ❀ امامنا المنصور سيف الغلب

ومما كتب بوسط المسجد الذي أنشأ حول الشباك المطل لداخل القبة ولفظه[730] :

هذا مزار ومقام الاحترام ❀ قبله بالشفاه وادع للامام
(ابن هشام) قطب من صلى وصام ❀ شيد من إحسانه هذا المقام
مؤسس الهناء طال واستقام ❀ من زاره نال المنى حاز المرام
وقفت في مزاره قصد استلام ❀ فراقني البناء في حسن انتظام
صنع كل صانع وشي التمام ❀ ما كان ذا البناء في مصر وشام
مبيناً لكل حين في ابتسام ❀ تاريخه (دوام ملك ابن هشام)

وما هو منقوش عن يمين وشمال الداخل لهذا المسجد من بابه الجديد ولفظه[731] :

لامثال هذا القدر تبنى المثاثر ❀ وترسم في وجه الزمان المفاخر
أقام (امير المومنين) قواعدي ❀ (سليل هشام)عام(جاء البشائر ١٢٤٠)
فلا زال ما بين السلاطين ناثراً ❀ كما أنني بين المساجد ناثر

وكذلك سقاية السبيل، التي هي تحت الشباك والتي هي من بناء السلطان عبد الرحمن، كُتب عليها من إنشاء الفقيه ابن قدور الشرقاوي[732] :

مِـنَ السَّـعَـادَةِ لاَحَـتْ ❀ عَـلَـى شُـمُـوسِ (سُـعُـودِ)
لِـمْ لاَ وَنَـجْـلُ هِـشَـامِ ❀ عَـلَـى يَـدَيْـهِ صُـعُـودِي
أجْـرَى لَـجَـيـنـاً زُلالاً ❀ فَـلَـذَّ مِـنْـهُ (وُرُودِي)
كَـسَـا بَـهَـائِـي جَـمَـالاً ❀ وَزَانَ وَشْـمُ (خُـدُودِ)
كَـسَـاهُ رَبِّـي سَـنَـاءً ❀ وَعِـزُّ ظِـلِّ الـبُـنُـودِ
يَـا نَـاظِـرَ الحُسْـنِ مِـنِّـي ❀ أَرِّخْ بِـوَشْـيِ (وُرُودِ)

وفي إنشاء سقاية السبيل كذلك بحومة النجارين ما هو منقوش في زليج أعلى قوسها ولفظه[733] :

خليلي مر بالسبيل لترتوي ❀ بعذب معين من رحيق معتق
وتحي نفوساً من زلال سقاية ❀ قد اربت بنشره على كل مرتق
هنيئاً مريئا بالفرات شربته ❀ بثغر عروس بالعقيق مطوق
وبالسري المفضال تاج ملوكنا ❀ ونجل (هشام) ذو الصنيع المرونق
حليف الندى والعدل والفضل والتقى ❀ وطود الهدى والحلم كنز الموفق
بطلعته طابت نفوس بطيب ❀ سليل حماة الدين من بيت متق
كريم عفيف فاضل ذي مهابة ❀ فعول لانواع الخيور مصدق
. . . . ❀ . . . . الاصيل المحقق

وفي تجديد السلطان عبد الرحمن للبرج الأثري العظيم نجد ما هو منقوش على بابه في زليج أخضر ولفظه بعد البسملة والصلاة[734] :

يا ناظراً في بديع صنعي	أجال طرفاً به ورَدَّدْ
مئاثر المجد في المعالي	مولى ملوك الزمان جدد
مولاي (عبد الرحمن) مولى	محاسني في الانام عدد
تاريخ مجدي علاه شاد	(فتح ونصر له تجدد ١٢٥٠)
أطال رب الورى بقاه	مؤيدا سالماً منسدد

وفي رثاء المولى عبد الرحمن بن هشام قال صاحب الإستقصا المؤرخ أحمد بن خالد الناصري قصيدة مطلعها[735] :

أمن طيف ذات الخال قلبك هائم	ودمعك هام واكتئابك دائم
وهل أذكرتك النائبات عشائراً	عفت منهم بعد المعالي معالم

ورثاه الفقيه أبو عبد الله أكنسوس بقوله[736] :

هذي الحياة شبيهة الأحلام	ما الناس إن حققت غير نيام
حسب الفتى إن كان يعقل أن يرى	منه لآدام رؤية استعلام
فيرى بداية كل حي تنتهي	أبداً وإن طال المدا لتمام
والنفس من حجب الهوى في غفلة	عما يراد بها من الأحكام
أوليس يكفي ما يرى متعاقباً	بين الورى من سطوة الأيام
من لم يصب في نفسه فمصابه	بحبيبه حكماً على إلزام
بعد الشبيبة شيبة يخشى لها	ذو صحة أن يبتلى بسقام
دار أريد بها العبور لغيرها	ويظنها المغرور دار مقام
منع البقاء بها تخالف حالها	وتكرر الإشراق والإظلام
لو كان ينجو من رداها مالك	في كثرة الأنصار والخدام

لنجا أمير المؤمنين ومن غدا أعلى ملوك الأرض نجل هشام
خير السلاطين الذين تقدموا في الغرب أو في الشرق أو في الشام
سر الإله ورحمة منشورة كانت سرادق ملة الإسلام
قصدته عادية الحمام فما عدت إن هددت علماً من الأعلام
لم تحجب الحجاب منها طارقاً كلا ولا دفعت يد الأقوام
والملك في عز مهيب شامخ وإمامه في جرأة الضرغام
عجباً لها لم تخش من فتكاته والأسد تزأر حوله وتحامي
عجباً لها لم تستح من وجهه والوجه أبهج من بدور تمام
عجباً لها لم ترع طول قيامه متهجداً لله خير قيام
تباً لها لم تدر من فجعت به من معتق وأرامل الأيتام
أسفاً على ذات الجلال وأنه لأجل من أسف وفرط هيام
يا مالكاً كانت لنا أيامه ظلاً ظليلاً دائم الإنعام
لا ضير أنك قد رحلت ميمماً دار الهناء وجنة الإكرام
في حضرة تغدو عليك بشائر من حورها بتحية وسلام
ضاجعت في تلك القصور كواعباً دريّة الألوان والأجسام
تسقيك صرف السلسبيل مروقاً وتدير كأساً من مدام مدام
فلك الرضى فانعم بما أعطيته ولك الهناء بنيل كل مرام

السلطان محمد الرابع بن عبد الرحمن

وفي مدح السلطان محمد بن عبد الرحمن ما ذكره صاحب الحلل البهية[737] :

وَشَرَّفَهَا مِنْ فَضْلِهِ بِمُحَمَّدٍ ... فَأَطْلَعَ شَمْساً بَيْنَ تِلْكَ الكَوَاكِبِ
فَزَادَ لَهُمْ حُسْناً ونَمَّقَ عِقْدَهُمْ ... بِدُرٍّ نَفِيسٍ مِنْ نَفِيسِ المَوَاهِبِ

وفي تهنئة السلطان محمد بن عبد الرحمن بالملك قال الأديب أبي عبد الله محمد الكنسوسي[738] :

وجوه الأماني حسنها متجدد ... ومنظرها يحكيه خد مورد
قضى الحب في كل القلوب بأنها ... مماليك أرباب الجمال وأعبد
وكم من عصي للهوى متعفف ... يفر من السود العيون ويبعد
تصيده ظبي على حين غفلة ... مهفهف مستن الوشاحين أغيد
فأصبح مفقود الفؤاد مخبلاً ... وأي فؤاد عاشق ليس يفقد
ولله في أسر الغرام ونهره ... نفوس ضعاف ليلهن مسهد
إذا الليل أضواها تكنفها الهوى ... وليس لها غير الكواعب منجد
وذي ظمأ بين الضلوع يجنه ... إلى رشفات للصبابة تبرد
تراءى له من منحنى الجزع برقه ... فظن بأن الجزع ثغر منضد
وتذكره تلك البروق مباسماً ... عليهن مرفض الجفان معقد
يراقب أسراب النجوم بمقلة ... تقسمها شطرين نسر وفرقد
ويهفو لأيام العقيق فتنثني ... مدامعه مثل العقيق تبدد
وهل يتناهى عهد من سكن اللوى ... إذا العيش غض والحبائب تسعد
وما زالت الأيام تغري بنا النوى ... وتنفي الذي نهواه عنا وتبعد
ولست أبالي للزمان صروفه ... وكهفي أمير المؤمنين محمد
خليفة رب العالمين بأرضه ... وصارمه الشاكي الشبات المهند
إمام تولى الله تشييد ملكه ... وناهيك ملكاً بالإله يشيد
وصفوة هذا الخلق من آل هاشم ... وأعلى ذوي التيجان فخراً وأمجد

وأرحبهم في العز باعاً وفي العلى	وأكثرهم في الفضل حظاً وأزيد
أتته عروس الملك عاشقة له	وكم عاشق عنها يذاد ويطرد
وألقت على شوق إليه زمامها	فطاب لها منه الجناب الممهد
فأصبحت الأيام تزهو بعدله	وتنعم في ظل الهناء وتسعد
ففي بابه مأوى المكارم والندى	وفي بابه الخيرات تولي وتوجد
ودولته للعز والنصر مألف	وحضرته للأمن واليمن موعد
تذل ملوك العالمين لبأسه	وتركع مهما أبصرته وتسجد
له راحة في الجود ما الغيث عندها	وما البحر والدر النفيس المقلد
له أنعم تأوي إلى ظلها المنى	وتسحب أذيال السماح وترفد
وعزم على الخيرات ليس بسامع	مقالة من في المكرمات يزهد
ورأي ينير الخطب عند اعتكاره	ويفسخ ما أيدي النوائب تعقد
ووجه إذا ما لاح أيقنت أنه	محيا له وقت السعادة مولد
حيي كثير الابتسام مبارك	يكبر ربي إن بدا ويوحد
أهز بهذا المدح منه معاطفاً	تجر ذيول الفخر إن هو يحمد
له العسكر الجرار تبرق في الوغا	صوارم منه والمدافع ترعد
يعد إلى الأعداء كل كتيبة	من الرعد يحدوها الوشيح المسدد
وكل كمي كالغضنفر مغضباً	وكل صقيل وهو ماض مجرد
يبذ العدا قبل اللقاء مهابة	فصارمه يفري الطلى وهو مغمد
هو الملك المشهور بالحلم والدها	وبالعلم والشهب الدراري تشهد
تشد لإدراك الغنى عند بابه	ركائب أنضاها الدؤب المشدد
يحدث عنه الوفد عند صدوره	أحاديث من بحر إذا البحر يزيد
إلى مجده آمالنا قد تطاولت	وليس لها إلا حماه المؤيد
فيا ملكاً يحمي الرعية بأسه	ويحييهم بالبذل والبذل أرغد
يدبر فيهم كل يوم مصالحاً	تعود بما يرضون والعود أحمد
ويشملهم بالعدل والفضل والندا	ويصلح بالصمصام من هو مفسد
هنيئاً لك الملك الجديد فإنه	يدوم بحمد الله وهو مسرمد

هنيئاً لنا نحن العبيد فإننا بسؤدد مولانا الإمام نسود

ودونك يا خير السلاطين كاعباً بديعة حسن للنهي تتودد

تدير كؤوس الراح دون تأثم إذا هي أثناء المحافل تنشد

فلا زلت ما بين الملوك مخيراً كما اختير ما بين المعادن عسجد

وفي مدح السلطان محمد بن عبد الرحمن قال أيضا العلامة الكنسوسي :

هذي لعمرك راية مرفوعة بيد السعود يقلها التوفيق

رفعت على خير الملوك محمد ملك إلى كل الكمال سبوق

خضل البنان بنائل من دونه وجه يجول البشر فيه طليق

ورث الإمامة كابرا عن كابر عالي المجادة بالعلاء خليق

أفضت إليه خلافة نبوية من دونها للمشرفي بريق

فرحت ببيعته القلوب فلم يمل منها إلى أحد سواه فريق

فاختال منبرها به وسريرها وكلاهما طرب إليه مشوق

فالآن قرت في معرسها الذي كانت على قلق إليه تتوق

شرف هشامي ومجد تالد يسمو به نسب أغر عتيق

ومناقب يزداد طولا عندها باع بتصريف الأمور لبيق

وشمائل رسخت بهن من العلى في منبت الشرف الأصيل عروق

ومما مدح به السلطان محمد بن عبد الرحمن، قصيدة لصاحب الإستقصا المؤرخ أحمد بن خالد الناصري ومطلعها[739] :

حوى العلويون المعالي كلها وما منهم إلا ذرى المجد صاعد

ولكن أمير المؤمنين محمد هو البدر في العلياء وهي الفراقد

وهذه قصيدة صاحب جيش العرمرم العلامة محمد بن أحمد الكنسوسي والذي خاطب بها المولى محمد بن عبد الرحمن وذكر فيها المصانع المراكشية تشويقا له واستدعاء وهي هذه[740] :

لك الخير تحدوه إليك البشائر ... هل اذكرت أحبابهن العشائر
أراهم على شحط المزار هواجعا ... وطرفي من طول التفرق ساهر
تحن إليهم كل حين ركائبي ... عشارا وتحكيها الجياد الضوامر
وترقص ما بين المرابط كلما ... سرى من حواليها الخليط المجاور
أما والذي لو شاء قرب دار من ... هويتهم والله ربي قادر
لقد نال منا البين ما لا تناله ... عداة بأيديها الصفاح البواتر
ولكن إذا ما الأمر بالغ وانتهى ... لغايته لاشك فالأمر قاصر
وقد آن من نور الصباح انصداعه ... فتنزاح بعد الانصداع الدياجر
إذا ما بدا وجه الإمام محمد ... فقد جاء نصر الله والفتح ظاهر
محمد نور الله في الأرض كلها ... محمد سيف الله للدين ناصر
سليل أمير المؤمنين وزيره ... ومن أهله يرضى الفتى من يوازر
وشبل ملوك من ذؤابة هاشم ... تراثهم ملك السورى والمفاخر
يجاذبه أنى تلفت سؤدد ... أوائله مشهورة والأواخر
فأعمامه مثل الشموس ضواحيا ... وأخواله مثل البذور زواهر
هو الملك الجحجاح ليس لمعتف ... سواه إذا دارت عليه الدوائر
هر السيد المرهوب يفلق بأسه ... رءوس الأعادي لا تقيها المغافر
يسير فتغشاه السعود مطيعة ... أماماً وخلفا حيث ما هو سائر
وتختفق الرايات فوق كتائب ... لها عزه ناه لهن وآمر
أسود على جُرْد إذا احتدم الوغى ... لها النقع غاب والسيوف أظافر
هو العالم البحر المحيط علومه ... تناقلها في الناس باد وحاضر
تضيء وراء الغيب أنوار رأيه ... فما هو راء فهو بالنجح سافر
به جبر الله المغاربَ فاغتدت ... صحاحا ونالت ما تروم المكاسر
أسيدنا يا كهفنا يا إمامنا ... دعاك اشتياق في الجوانح ثائر
دعاك إلى هذي المواطن أهلها ... فكلهم من فرط حبك سادر
دعاك الى أرض البديع منارة ... يزايل عنها الصبر من هو صابر
مبان كما شاء الجمال تكونت ... تحار بمرآها الأنيق النواظر
قباب على سمت السعادة شيدت ... تحف بها الأدواح وهي نواضر
فمنها التي في النيل تلعب حولها ... ظباء تجاريها المها والجآذر

وفي مدخل رضوان أخرى تصوبت ... قد ابتهجت في جانبيها المشاور
وأخرى على أرض المصلى مطلة ... قد اعتدلت أهواؤها والعناصر
وفي وسط الزهراء ذات مجالس ... مفتحة تفتر فيها الأزاهر
ودار الهنا حول الخليج مقاعد ... يلذ بها للسامعين المزاهر
وفي ابن عقيل للمقيل مسارح ... يردد فيها الطرف والطرف حائر
كذلك أگدال الصغير الذي له ... منارة عز ترتضيها المنائر
إذا انفجرت تلك المنارة أو جرت ... فليست تضاهيها البحار الزواخر
وليس لفاس مثلها برياضه ... وليس يحاكيها زرود وحاجر
ولكنها لا يستتم جمالها ... وبهجتها إلا بأنسك حاضر
فبادر أدام الله عزك وصلها ... فكم حاز إدراك المنى من يبادر

وهذه قصيدة مولدية لصاحب جيش العرمرم والتي نظمها في العيد النبوي وفيها يمدح السلطان محمد بن عبد الرحمن وهذه هي[741] :

بشراك قد حل ما ترجو وترضاه ... وكل ما يتوقى الناس تكفاه
فالدهر ممتثل أمرا تشير به ... فمر بما يقتضيه الرأي تعطاه
أضحت بك الملة الغراء ضاحكة ... والدين أظهر مفترا ثناياه
والملك قد أشرقت أرجاؤه فرحا ... بنور وجهك حيا الله مرآه
ورفرفت برياح النصر رايته ... وأنت في ظلها الميمون تغشاه
وأشرق العدل والأيام داجية ... لما جرى الحق من يمناك مجراه
بشرى فقد أنجز الأيام موعدها ... من ملكك الأمر أدناه وأقصاه
إن الكواكب في أفلاكها حكمت ... بما ظفرت به والحاكم الله
هذي المغارب قد ألقت أزمتها ... إليك فاحكم بما تبغي وترضاه
وللمشارق شوق لو مددت لها ... يمناك مد إليك اليمن يمناه
ولو رميت النجوم الساريات لما ... أخطأت منها الذي نويت مرماه
بشرى الزمان الذي أضحيت مالكه ... بالعز والعدل والإحسان بشراه
فأنت للدين والدنيا جمالهما ... وأنت تهدي الورى للحق إن تاهوا
سست الممالك للتوفيق مصطحبا ... ملازم الحزم لا تنفك ترعاه
جبرت منكسرا سترت مفتضحا ... نصرت مشتكيا أزلت شكواه
فالخير منتشر والعزم مجتمع ... والعز مقتبل قد لاح مبداه
أطفأت ما أوقد الخزيان من ضرم ... وخاب موقدها والله أخزاه
جنحت للصلح بالرأي السديد بما ... سيحمد الدين والإسلام عقباه
صلح تبلج نور من جوانبه ... حتى استبان الهدى من ضل معناه

صلح وحق مزاياك التي شهرت | ما كان يظهر وجه الرشد لولاه
أبرمته بيد بيضا مباركة | أكرم بمبرمه ما كان أزكاه
بنيته في يفاع العز عن ثقة | من أن يتم لك الرحمان مبناه
صلح الحديبية المتلوّ في صحف | فتح مبين بهذا الله سماه
قد أنكر البراءُ ما تضمن من | شبه الدنيّة والفاروق يأباه
وفيه سر وراء العقل محتجب | والسيد الأيّد الصديق أبداه
وصورة الحال في هذا مشابهة | وللحقائق أمثال وأشباه
يا خير آل هشام وابن سيدهم | ومن له في سماء المجد أعلاه
لو كان غيرك هذا الأمر فاجأه | لكان حيّره وكان أعياه
وأنت يا ناصر الإسلام منتصر | بالله لا ترتجي في الأمر إلاه
مظفر فتحت لك العلا كرما | أبوابها وكفت ما أنت تخشاه
مؤيد بجنود السعد مكتنف | بالرعب تنزل بالأعداء بلواه
يا من له برسول الله منتسب | عال له غاية التعظيم والجاه
يهنيك مولد خير المرسلين فما | أجل مولده فينا وأهناه
عيد تشرف بالتشريف مطلعه | إذ لاح للمصطفى فيه محياه
وأنت يا خير من يدعى خليفته | كفلت أمته نصرت دعواه
وَالَيْتَ في الله من والي وكنت له | ركنا وعاديت من في الناس عاداه
يابن الأجاود من أبناء فاطمة | ومن هم لبحور الجود أمواه
إنا رجوناك للجلّى وأنت لها | لا خيب الله فيك ما رجوناه
نداك أغنى وأقنى كل مقترب | ونحن أقرب من راعيت قرباه
وفاض فضلك فيض الغيث منبجسا | حتى الأباعد نالتهم عطاياه
ما بال عبدك هذا قد ألَظَّ به | ناب الزمان فعناه وأعناه
عبد مطيع طويل الباع مفصله | مهند شحذت بالطبع متناه
يهدي إلى قدرك العالي مدائحه | في كل عام لعل الفوز يلقاه
وأنت يا ابن رسول الله لو لحظت | رحماك حالته لفاز مسعاه
ولو رنوت بعين العطف جانبه | لاهتز فخرا على الأكفاء عطفاه
وقد دعاك أمين الله مُضْطَرِراً | حاشاك تهمله حاشاك تنساه
لا زلت في دولة ترخي ذوائبها | على خمائل عز طاب رياه

ومما ذكره كذلك صاحب جيش العرمرم قوله في قصيدة مولدية يمدح بها النبي محمد وفي آخرها يمدح السلطان. وهذا مطلعها[742] :

حنانيك إن الشوق قد بلغ المدا ... أما ترحم المضنى الكئيب المسهدا
ورحماك إن المستهام من النوى ... له حالة سوأى ترق لها العدا
فلا تسأل الولهان عما أصابه ... وسل حاله إن شئت عنه فتشهدا
تقاضته دينا كن حاكمة به ... لواحظ ظبي مر أحور أغيدا

ومنها:

خليفتك المأمون نجل خلائف ... أجل ملوك الأرض فخرا ومحتدا
من الذروة العلياء من آل هاشم ... وآل هشام ما أجل وأمجدا
هو الملك الحامي الذمار ومن له ... روينا حديثا في الأصالة مسندا
كسا دولة الأشراف عزا وزادها ... وأصلح ما أوهى الزمان وجددا
وجالد عباد الصليب فأذعنوا ... لعزته تحت الضراعة أعبدا
وعدد أمثال الأسود عساكرا ... تخر لها الأسد الضراغم سجدا
وتهتز منها الأرض عند ركوبها ... وترجف أطواد الجبال تميدا
وتحسب أن الجو نار تأججت ... يضج لها باغي الفساد مشردا
وتخفق ريح النصر بين بنودها ... على غرة المنصور أكرم من غدا
على الملك الجحجاح أبهى متوج ... تبختر واقتاد الخميس المجندا
وأعلى ملوك العالمين مآثرا ... وأطهرهم قلبا وأطولهم يدا
وأكثرهم رجحان عقل وحكمة ... وأعذبهم في مشرع العلم موردا
وأوضحهم برهان مجد ومفخر ... وأوثقهم بنيان عز ومصعدا
قضى الله تعنوا الناس طرا لأمره ... وتنقاد إجلالا له وتوددا
فما زال يوليهم عواطف بره ... ويصفح عن ذنب المسيء إذا بدا
وبالعدل والإحسان ما زال آمرا ... إيالته الغراء أمرا مؤكدا
به حييت أرض المغارب وازدهت ... وأضحت لهم أهل المشارق حسدا
هنيا لنا قد أسعد الله أرضنا ... بملك همام في العلا قد توحدا
بأبهر من بدر التمام جلالة ... وأسمح من فيض الغمام وأجودا
يقيم لنا في كل عام مواسما ... مباركة فطرا وأضحى ومولدا
يفيض علينا من سحائب جوده ... مواهب، لاتنفك نفسي لها الفدا
ونهدي له حر المدائح جوهرا ... فيمنحنا بالفضل تبرا منضدا
فلازال بالعمر الطويل ممتعا ... ولازال منصور اللواء مؤيدا
ولابرح الأعياد يشرق نورها ... بغرته إن راح يوما أو اغتدى

{...

وفي تهنئة السلطان محمد بن عبد الرحمن قال صاحب جيش العرمرم قصيدة طويلة هذا مطلعها[743] :

ألا حي آثار الحبيب وداره … ولا تله عن حال الرقيب وداره
وحدث عن الحي الحلول بعالج … يغاديهم وهنا شميم عراره
فلله، آثار أثارت غرامنا … وربع يذيب القلب عند اذكاره
تقاضته عهد الحب وهي سواكب … محاجر أدماها بسوء اندثاره
معطلة أطلاله لعبت بها … صروف زمان لا يقام بثاره
فيا صاحبي والصب ليس لدائه … دواء يقيه من وغول بحاره
يلذ له في الحب أن قيل إنه … صريع حمياه عقير عقاره
فلا تحسبن الحب عارا لمبتلى … فذاك الذي يرضى الغرام بعاره
ولاتحسبن الشوق مني لمربع … دريس يحار السفر بين قفاره
ولا أن تهيام الفؤاد لمنزل … وروض يسلي الشجو شدو هزاره

ومنها:

أيجعل للكفار من قلة الحيا … عليه سبيلا طائعا غير كاره
ولو أسرته الخيل وهو مقارع … لادرك فخرا طائلا بإساره
فتبا له في ذمة الخزي جاثيا … معنى يداني خطوه في حظاره
وتبا لمن يمشي فتضحك إن مشى … أصيبية الخزيان عند عثاره
جزى الله مولانا الأمير محمدا … بكل جميل قائما بانتصاره
كفى ملة الإسلام كل ملمة … وكل عدو يختشى من ضراره
وكل غوي هائم في ضلالة … وكل سفيه فاتن بحذاره
فيا أيها القرم الذي قد بنى لنا … من العز سورا عاليا باقتداره
لك الفخر لا ما تدعيه من العلا … قياصرة نالته دون احتقاره
لك الشرف المرفوع عند كنانة … وعند معد راسخا في نزاره
تركت بهذا الفتح كل مملك … قرين حياء لائذا باعتذاره
وأرضيت مولانا أباك بنيله … فأرضاك ما بين الورى باختياره
فأنت إذن أولى بكل فخامة … وكل العلا قد حزته بابتداره
ومجلسك العالي عروس مجالس … وهذا نظام الدر بعض انتشاره
فلا زلت مكلوء الجناب مهنئاً … ودهرك طوع خادم بائتماره
تقابلك الأعياد منه بمنظر … ومبتسم يبدى جميل افتراره

ومن القصائد المولدية التي رفعها صاحب جيش العرمرم العلامة محمد بن أحمد الكنسوسي للسلطان محمد بن عبد الرحمن، هذه القصيدة التي يمدحه فيها وهذا مطلعها[744] :

تذكر أزمان مضين وأحيان ... قضيت بها دين الشبيبة أحياني
زمانا حباني فيه شرخ شبيبتي ... مناي فأعطاني ففَيَّضَ أعطاني
أجر به ذيل الشباب وأرتدي ... بأسمح من فرع الذوائب فينان
وألبسني ريعانه كل ملبس ... بَهي وأوطاني مآلف أوطاني
إذا ذكرته النفس يوما ترنحت ... ترَنح مرتج المعاطف نشوان
سقى الله هاتيك الليالي وأهلها ... وبوأهم أفياء روح وريحان
رويدك إن القلب لج به الهوى ... وما في سراب من شراب للهفان

ومنها:

وخذ بيدي خير الملوك إمامنا ... سليلك أولى الناس منك بإحسان
ومد له أطناب عزك واحمه ... حماية آباء كرام لولدان
وتوجه تاج النصر وهو مكلل ... بكل قبول من علاك ورضوان
وأيده تأييدا مبينا وكن له ... معينا فلا يحتاج يوما لأعوان
فقد قام بالدين الحنيف مجاهدا ... عداك ومن يعزى لكفر وعدوان
وشتت شمل المفسدين من الورى ... فليس يرى كاسيهم غير عريان
ومزقهم في الأرض كل ممزق ... وغادر أرواحا لهم دون أبدان
بعز أمير المؤمنين محمد ... ينادي إذا ضاق الفضا كل لهفان
بعز أمير المؤمنين محمد ... نلوذ فلا نخشى إخافة خوان
بجود أمير المؤمنين محمد ... نقابل إمساك السماء لأمزان
فدولته كالروض طيبا ومنظرا ... تمايح دوح أو تفاوح ريحان
وأيامه تفتر عن ثغر باسم ... وتسفر عن وجه كأزهار بستان
لقد أينعت آمال كل مؤمل ... لديها ونال المبتغى كل إنسان
ودولته زادت بهاء وبهجة ... على ما عداها من ممالك عمران
بها رفعت للملك أقوى دعائم ... بها أظهر الإسلام غرة جذلان
بها أمن الله البلاد من الردى ... فلم يخش قاص من مخاف ولادان
هنيئا لنا أهل المغارب إننا ... نفاخر من يبغي الفخار بسلطان
فمالكنا سلطان كل متوج ... إذا ابتهجت يوما ملوك بتيجان
هو الملك المنصور لا شك أنه ... أجل ملوك الأرض عجم وعربان

وفي إبلال السلطان محمد بن عبد الرحمن، نظم أيضا صاحب جيش العرمرم قصيدة همزية وهي في التهنئة[745] :

جـاد الزمـان وجـاء بالسـراء ورمـى إسـاءتـه وراءَ وراء
وافى كتاب في يمين مبشر متضمن لمسرة غـراء
فلثمت وجه الأرض من فرح بما جاء البشير به من الأنباء
نبـأ شهي للنفـوس سماعـه متبلـج عـن مأمـن وهنـاء
لبست به الدنيا لباس جمالها وتبخترت في بهجة وبهاء
ونفى عن الأرواح كل كآبة كالصبح ينسخ سدفة الظلماء
ضاءت به الأرجاء وابتهجت به مهج النهى وجوانح الأحشاء
يا برد مورد ذلك النبأ الذي عم الوجود بسابغ النعماء
يا برده بين الجوانح مخبرا قد عم بالآلاء والآلاء
وازداد نورا في مطالع سعده قمر الدجا وكواكب الجوزاء
ورد البشير به فكان وُروده بردا على أحشائنا الحراء
ولذا فرحت فرحت أرقص مثلما لعب النسيم بسرحة غناء
أو كالذي سلبته ثوب وقاره كأس مروقة من الصهباء
قل للبشير فدتك يابن مكرم نفسي وأنفس سائر الكرماء
ويقل شكرك يا بشير وأنت قد وافيت للأموات بالأحياء
بشرتنا بشفاء من بشفائه ماء الحياة يسير في الأعضاء
بشفاء مولانا الإمام محمد ملك الممالك كعبة العلياء
ملك نمت في الأنبياء أصوله ورست به الأعراق في الخلفاء
وخطى الملوك الصيد تقصر دونه ويطول فيه المدح بالإطراء
لما اشتكى سارت إلى كل الورى شكواه حتى ارتجّ كل بناء
وتكدرت كل المشارب بعدما كانت مروقة ذوات صفاء

فاليوم قد جبر الإله بفضله ... صدع الوجود وزال كل عناء

واسترجع الأرواح من أشباحها ... ما كان منتسبا إلى الأصداء

وأضاء مصباح الخلافة آمنا ... لا يختشي أبداً من الإطفاء

هذا أمير المؤمنين مسلما ... ومبرأ من سائر الأدواء

والله ذو فضل عظيم قد حبا ... سلطانه بعد الضنى بشفاء

وأباحه صفو الحياة وطيبها ... فحياته متبوأ السراء

فله الهنا كل الهناء فذاته ... خلصت خلوص التبر بعد صلاء

وله البشارة أن تطول حياته ... في ملكه ذي العزة القعساء

حتى يشيد للفخار مبانيا ... لم يبنها أحد من العظماء

ويزاد في عمر الخلافة مثلما ... زادت مآثره على الأمراء

فالحمد لله الذي ألطافه ... معلومة بالكشف للضراء

والحمد لله الذي لم يبلنا ... بشماتة الحساد والأعداء

عكس الإله بفضله آمالهم ... وجزاهم بفجاءة البأساء

كذبت ظنونهم التي يرجونها ... وكذا الظنون كواذب الاملاء

واغبر منتجع العدا فرباحهم ... نكبت بإعصار بعيد رخاء

بينا هم يتضاحكون إذا هم ... في مأتم يا ويلهم وبكاء

فلنا الهناء معاشر القرباء قد ... فض القضاء معاشر البعداء

وضحت لنا الآمال تعبق مثلما ... عبق الأزاهر غب جرى الماء

لا زال مولانا تضاحكه المنى ... منصور رايات رفيع لواء

ومما ذكره أيضا صاحب جيش العرمرم قوله[746] :

{ومما رفعت لحضرته نصره الله في بعض أعياد الفطر عند ختمه للصحيح الجامع هذه الميمية الكاعب العذرا، التي هي بالتقدم أحرى، وهي:

حديث الحمى يهتاج منه غرامي ... ومن بان عند البان فيه مرامي

أعيدوا على سمعي محاسن ذكرهم ... وماذا عليكم في ارتداد كلامي

ولا تنكروا مني حنينا إليهم ... فإن حنين الصب غير حرام

ألا حظهم خلف النوى ثم أنثني ... بأربعة مثل الغمام سجام

سقى الله صوب الغيث أو بمدامعي، ... أباطح حلوها وراء آكام

وإن بخلوا حتى بطيف خيالهم ... يمر سرارا في ضمير ظلام

فكم ظمأ بين الضلوع اجنه ... إلى ظبيات في الصريم ظوامي

ولا أتناسى ما حييت معاهدا ... مخضلة يبتل منها أوامي

أقمت زمانا عندها بمسرة ... بنجد وقد ساء الغيور مقامي

وغالبت ريب الدهر فيها على المنى ... فلم تتكدر صبوتي بملام

وقضيت فيها العيش غضا كأنما ... أعير ازدهاء الروض غب رهام

هوى سلب الأيام غير ادكاره ... فتعلو له الأنفاس وهي حوام

وحق المعالي حلفة لا يبرها ... على لَغَب إلا نفوس كرام

لشد الذي نالته مني صبابتي ... ولذ لقلبي شقوتي وهيامي

رضيت بدين الحب لا أبتغي به ... بديلا وفي حبي فضضت لجامي

ولا أختشي كيد الليالي وأهلها ... ولا أتقي منهن رمية رام

فلي عدة للحادثات أعدها ... محمد نجل المالك بن هشام

سأنزل من عليائه كل حاجة ... إلى ماجد رحب الثناء همام

وأطفئ إن شب الخطوب ضرامها ... بنجل أمير المؤمنين ضرامي

وجيه مهيب كلما لاح وجهه ... تلفع رغما أوجه برغام

أغر المساعي توجته جلالة ... تغض لها الأبصار وهي سوام

محجب أفناء إذا ما ذكرته ... ذكرت ربيعا مستهل غمام

وإن تدع يوما باسمه لمهمة ... وجدت منال الرغب حول ثمام

يفيض الندا من راحتيه على الورى ... تفيض نائسي الحجزتين ركام

فتى لا يسير الدهر إلا بسيره ... يقادله طوعا بغير خطام

تشاهده بدرا تكامل حسنه ... إذا ادرع الفرسان ليل قتام

إذا ركب ارتجت له الأرض كلها ... بذي لجب جم الصهيل لُهَام

يجاذب أطراف الأعنة واطئا ... على جثث للمارقين وهام

إذا مال قوم للضلال وأوغلوا ... وأغراهم طغيان كل طغام

رماهم بعقبان عليها ضراغم ... سيوفهم فيها مدب حمام

وروى غليل المشرفية منهم ... وحكم في الأوصال كل حسام

وطهر دين الله من كل فاتن ... وأبرأه من علة وسقام

فما زال بالبيض الصفاح وبالقنا ... يدافع عنا دائما ويحامي

ويحيي من الآثار ما كان دارسا ... تعاظم عن إدراك كل امام

فأجرى من الأنهار ما روض الفضا ... وأبدت فيه الأدواح حسن قوام

وفجر في القفر المهامه أبحرا تموج بأحلى من كئوس مدام
تفيض فتغني الأرض عن واكف السما من المزن رجاف الرواعد هام
فهبت به الآمال بعد ضياعها لدى معشر عن رعيهن نيام
أيا سيدا لم يبق فخرا لسادة شيوخ وقد أضحى بسن غلام
فلله مجد أعجز النجم دركه أحلك أعلى ذورة وسنام
بقيت لنا ما لاح في الأفق كوكب وما جاء فطر بعد شهر صيام
تقيم لنا في كل عام مواسما ذوات وجوه للوفود وسام
وأعظمها قدرا وأحسن منظرا جلوسك للإقراء يوم ختام
ختام الصحيح الجامع الحجة الذي رميت إلى احكامه بزمام
تحكمه عند الحكومة مثلما تقوم بحكم الوحي خير قيام
فمن نوره الوضاح تقتبس الهدى وترمي به نحو العدا بسهام
فنورك نور الله ليس بمنطف وسيفك سيف الله غير كهام
وأهدي إلى مثواك مني بشائرا دواني قطاف في بديع نظام
على وجهك المحمود في كل موطن صلاة من المولى وأزكى سلام

ومما قيل في آثار وإنشاءات السلطان محمد بن عبد الرحمن[747] :

الا فانظر بديع الشكل صنعي ✿ بناني وارث العليا يقينا
(محمد الخليفة) ذو المزايا ✿ حباه بذاك رب العالمينا

وقيل كذلك:

لمن المفاخر بالعناية جاليه ✿ وبعين إنجاح المقاصد حاليه
يمضي ويبرم امرها (ملك) له ✿ همم بتخليد المعالي عاليه
فتلوح في اوج الحواضر مثل ما ✿ لاحت شموس سعوده متلاليه
ويزينها شرف المؤيد حيث لا ✿ شرف يداني قدره ويواليه
هاذي ذكا آثاره بشرى فقد ✿ طلعت بعز (محمد) متواليه

العادل المنصور سيدنا الذي ❀ في ربه أفنى البيوت المـاليه
وحمى حمى اهل الالاه وصانه ❀ بيـد باسرار الولاية كاليه
حتى أتيح له بصدق وداده ❀ في جنب احمد عطفة متواليه
العارف الشاوي وحسبك نسبة ❀ عربية في كل مجـد عاليه
وجلالة تعنو الاسود لبأسها ❀ وسيادة لصدا البواطن جاليه
قف وقفة الراجين حول ضريحه ❀ مستبشراً وانظر بديع جماليه
بطلائع الفتح الذي أملته ❀ تاريخ (شرح عد) يوم كماليه

وقيل أيضا:

هـذا الذي عظَّمَهُ ❀ إلاهُنا واحترَمه
نشر ما كان طوى ❀ من نوره وكـتَمه
بامر مولانا الذي ❀ نصرُ الالاه خدمـه
فصـار في سلطـانه ❀ مـؤيداً ما أكرمه
وصـار في سطـوته ❀ مقتـدراً مـا أرحمـه
امامنـا المنصور من ❀ هـذا البنـاء نظمـه
وفـاز بالاجـر الذي ❀ ما ان سـواه اغتنمه
أظهـره الله عـلى ❀ اعـدائه والظـلمـه
فبـأسه عن غرينـا ❀ يطـرد كل أزمـه
وسـيفـه مجـرَّد ❀ في المعتدين اختدمه
سليـل املاك بهم ❀ في الفخر قسْنا همه
من (عابد الرحمن) سر ❀ هم حوى والتـأمه
والده سيـــدنا ❀ من برضـاه عمّمـه
ورحمـة عليـه مـا ❀ برا الحكيمُ نسمه
وحفِظ الدين بـو ❀ لانا ابنـه وعصمـه
وجعـل السعـد له ❀ عبـداً وأعلى كلمـه

ومما كتب على رخامة قبر السلطان محمد بن عبد الرحمن أبيات من الشعر وهي[748] :

أمستعبراً حولي رويدك إنني ضريح سعيد حل فيه سعيد

هو العلوي الهاشمي محمد إمام له في الملك سعي حميد

أبوه أبو زيد وقدس ذكره فقد كان يبدي في العلى ويعيد

ترحم عليه واعتبر بمصابه فعقد نفيس قد أصيب فريد

ومن رام تاريخ الوفاة فقل له بشعرك أرخ ما عليه مزيد

السلطان الحسن الأول بن محمد الرابع[749]

ومما قيل في السلطان الحسن الأول عندما قبض على عامل فاس وابنه وآخرين من رؤوس الفتنة وغربهم إلى مراكش، قول الفقيه الأديب محمد بن ناصر حركات السلاوي في قصيدة طويلة منها هذه الأبيات [750] :

لله ياتلك التي تأوي الفنا   لا تنقضي ما كان صبري قد بنى
كلا وقد هيجت مني لوعة   قد أوشكت في مهجتي أن تهدنا
وأتيت موطن مصرع العشاق ثـ   ـم بكيت حتى كدت تبكي الموطنا
لو كانت الأجبال تعقل لانثنت   تبكي لما بك رأفة وتحننا
فبأي رأي يا حميمة قد غدا   منك البكا عوض الترنم والغنا
وبأي ذنب قد فجعت قلوبنا   وسقيتنا كأس الأسى بدل الهنا
أو ما كفاك من المتيم مهجة   ما شأنها إلا معاناة العنا
صب له في كل يوم عبرة   وتلهف يقتده قد القنا
كيف اصطباري والحبيب مصارمي   والدهر مغراً بالوشاية بيننا
دعني فعدلك للمتيم ضلة   شر عليه من مقاساة الضنا
تالله لارقأت لعيني عبرة   حتى ترى وجه المليك الأيمنا
اليد الشهم السري الأصيد الـ   ـفخم النهي الباهي الهمام الصيدنا
الأعظم المستعظم العذب الحلي الـ   ـمستعذب الحسن الثنا المستحسنا
قد حاز في الأشراف كل فضيلة   ملأ المسامع حسنها والأعينا
ومكارماً ومحاسناً ومفاخراً   لو ذاق لذتها الكفور لآمنا
فلذاك سيدنا المقدس خصه   بمآثر ما تنتهي فتدونا
ورث الخلافة كابراً عن كابر   لا كالذي يأتي إليها ضعيفنا
عشقته عشق ابن الملوح خذنه   وصبت إليه صبا العيون إلى الرنا
وله وقد لبته قبل دعائه   ألقت أزمتها وقالت: ها أنا
ملك به الملك الأغر تشيدت   أركانه في العز محكمة البنا
أضحى به يختال فخراً قائلاً   لسواك يا ركن الورى لن أركنا

وعند قدوم فلكي عصره الفقيه والأديب الشريف إدريس بن محمد الجعيدي السلاوي على حضرة السلطان الحسن الأول مدحه بقصيدة مطلعها[751] :

أسالم دهري في المرام وفي القصد ... فينقض ما أبرمت للصلح من عقد

وأسأله الرحمى فيبدي ازوراره ... ونفرته عني فيا عظم ما يبدي

وكم لي استرضيه وهو مغاضب ... ولا يرعوي عما جناه على عمد

ومنها في آخرها:

وهذي بنات الفكر مني هدية ... إلى الملك المنصور ذي الجود والرفد

فإن أهملت عدلاً فإني مهمل ... وإن صادفت وقت القبول فيا سعدي

وما كنت في باب القريض مبرزاً ... شهيراً ولكني تعاطيته جهدي

لأجل امتحاني لذت فيه بربنا ... فأصبحت ذا وجد وقد كنت ذا فقد

فها أنا ضيف زائر لحماكم ... وحسبي رضاكم فهو نفس المنى عندي

ويا ربنا أعط الأمير مرامه ... وظفره بالمطلوب منك وبالقصد

وفي مدح السلطان الحسن الأول أيضا قال صاحب الإستقصا:

قلب كواه من النوى مقباس ... فغدا به الوسواس والخناس

ونحول جسم يشتكي ألم الضنى ... وجوى به تتصاعد الأنفاس

والدمع في الوجنات محمراً غدا ... ولدى الوشاة به انتفى الإلباس

إن الألى يستعذبون ملامه ... ما أن لهم بعذابه إحساس

قدماً عذلت ذوي الغرام سفاهة ... حتى غدوت بمنسميه أداس

وحسبته حلو الجنى فأساغني ... من بأسه ما لا يسيغ الباس

إن الذين علقتهم قد انجدوا ... بمها الخدور ودونها الحراس

أبداً أؤمل في حياتي وصلهم ... واليوم قد غلب الرجاء الياس

ما كنت أحسب قبل إلمامي بهم ... إن الظباء لها البيوت كناس
تحكى بدور التم يخفي ضوءها ... ضوء الشموس إذا بهن تقاس
من كل خود كاعب يهدي لنا ... نشر الخزامي عطفها المياس
تسبي بقد السمهري وباسم ... يرمي الشعاع كأنها النبراس
وكأن هاتيك الخدود وفاحماً ... في ظلها ورد حواه الآس
لله ما عيش تقضي بيننا ... فكأنما أيامه الأعراس
طاب السرور لنا به وتأرجت ... آصاله وافترت الأغراس
أيام روض اللّهو غض نوره ... ومنادمي فيه المنى والكاس
بالله يا قلب استفق ودع الهوى ... إن الهوى غول النهى الفراس
أو ما رأيت المخلدين إلى المنا ... سكنوا الثرى وعراهم الإفلاس
واعمل ليوم لا تخس شعيرة ... فيه إذا ما ينصب القسطاس
وابك الذنوب بكاء خندف بعلها ... لما جلا عن ربعها الياس
وإذا حوت كفاك فابن مبادراً ... مجداً تخلده لك الأنقاس
من غير تبذير لمالك لا تكن ... حلو الجنا فتلوكك الأضراس
كم من فتى جاز الحضيض إلى الذرى ... وبنى على لم تبله الأرماس
وإذا وعدت فكن لوعدك منجزاً ... كيما ترى لك في الفخار غراس
فالمنع في جنب الوفاء صنيعة ... والتبر في جنب المطال نحاس
وإذا حصلت على الرياسة فاذكرن ... من كان يجمعه بك الإيناس
واحذر مناصبة الدنى فربما ... خان الحسام وطاشت الأقواس
كم يغن يوماً عن كليب مجده ... لما حشاه بالقنا جساس
وإذا تصاحب فاصحبن مهذب ... راز النهى وله بهن مراس
فالمرء ويحك إنما يذري به ... ويزينه الأصحاب والجلاس
وإذا البذي جفاك يوماً فاحتسب ... فالجهل بالطبع الكريم يساس
وإذا عرتك ملمة فاصبر ولا ... تكن الجزوع وهمك الإيجاس
واحفظ لسانك واله من عيب الورى ... كل امرئ بفعاله منقاس
وادأب على حفظ العلوم وكن بها ... ذا خبرة وملاذك الأطراس

فالعلم أنفع للفتى وأجله ما قد وعاه القلب لا القرطاس
وارو الحديث وكن به متأدباً والفقه حققه يطعك قياس
وأقم بعلم النحو لفظك ولتكن فيه المقدم إذ به الإيناس
كل العلوم إذا نظرت رأيتها والنحو مصباح لها وأساس
واكتب من الشعر المهذب نبذة فالشعر أفضل ما وعاه الراس
إن لم تقله فكن له مستحضراً إن رمت نطقاً يرتضيه الناس
كم من وضيع قد علا بقريضه رتباً تشرفه وحسبك شاس
إذ خلصته من الأسار وقده أبيات علقمة الفتى القنعاس
وإذا قصدت أخا النوال بمدحة فاقصد فتى له في الندى آراس
مثل الإمام أبي علي الرضي حسن الذي هو في العلى نبراس
الماجد الملك الهمام المرتضى فخر الملوك سنامها والراس
شملت بلاد الغرب رأفته وقد بهج الزمان وعمت الأرغاس
وحبا الورى من نيله حتى لقد طاب السرور وطابت الأنفاس
سعدت بمقدمه سلا وتقدست مراكش الحمراء منه وفاس
أبدا سيوف العزم منه على العدا برق وغيث نواله بجاس
شهم بصير بالأمور مجرب يقظان من داء الضلالة ياس
حلب الزمان شطوره فمتى اعتصى داء الخطوب فرأيه النسطاس
يلقى الوفود بحشمة وطلاقة لا يختشى منه أذى وشماس
في الجود كعب والبسالة عامر والحلم قيس والذكاء إياس
فالله يحفظه ويحفظ ملكه حتى يصيب عداه منه عماس
ويشيد للإسلام من عزماته عزاً تطأطيء دونه الأجناس
وينيله مجداً ينسى ذكره في عزة قعساء ليس نقاس
فليعل ملك بني علي وليدم ما خلدت مروان والعباس

وبمناسبة المولد النبوي وكما جرت به العادة في احتفالات المغاربة وسلاطينهم على مر العصور، فإن الشعراء يمدحون النبي محمد في قصائدهم الطويلة، وفي أبيات منها يمدحون السلطان؛ وهذه أبيات من قصيدة ميلادية للفقيه والأديب محمد بن ناصر حركات وفي أبيات منها يمدح السلطان الحسن الأول[752] :

أدر كؤوسك فالسراء في الكأس ... واشرب على طرب بروضك الكاسي
وقم لتنظر وجه الدهر مبتهجاً ... مستبشراً بعد تقطيب وتعباس
والأفق طلق وذا النسيم منطلق ... مسكي نشر خلال الجو جواس
والأرض تضحك من بكا الغمام كما ... يشكو الكئيب على مستهزئ قاسي
كأنها وهي بالربيع حالية ... عواطل قد تحلت يوم أعراس
والورق من ضحك الأزهار نائحة ... كنوح صب على أحبابه آسي
والدوح زاهية الأفنان زاهرة ... تهدي البهاء إلى البهار والآس
كأنما الزهر إذ تراه منتثراً ... على جداولها الحباب في الكاس
كأنما طيب نشره شمائل من ... قد ساد بالمكرمات سائر الناس
إمامنا الحسن المجلي بطلعته ... عن الورى كل أزمة وقسقاس
كسا الرعية أثواب المنى جدداً ... من بعد ما اشتملت بكل إدراس
سبط الرسول وفرع من سلالته ... طيب الفروع ترى بطيب أغراس
خليفة الله من دانت لعزته ... شم الملوك برغم كل دمناس
أنداهم في الندى كفاً وأشجعهم ... قلباً وأسطاهم بكل دعاس
من ذا ينازله عند الجلاد وهل ... يهول الليث يوماً صوب ولاس
قد عمه النصر في ورد وفي صدر ... وحفه اليمن من ساق إلى راس
مولى تردى رداء المكرمات فقل ... ما شئت في شيم له واتواس
لم يمض مشبهه على الحقيقة في ... بني أمية أو أبناء عباس
من ذا يدانيه في حلم وفي كرم ... ومن يضاهيه في الإقدام والباس
يا كم به قوي الضعيف وامتلأت ... كف الفقير وأثرى رب إفلاس
سلا كمثل سلا الغرا وضرتها ... أو مثل مراكش وحضرتي فاس
فكم بها من مآثر له كرمت ... ليست تعد بأقلام وأنقاس
بل كل مصر وقرية له ديم ... تهمي لأهلهما بكل أرغاس
فدا الأمير أدام الله عزته ... طول المدى كل أنفس وأنفاس
إليكها أيها الجحجاح مائسة ... أزرت طلاوتها بكل مياس
خريدة من بنات الفكر غانية ... لرقمها يتمنى كل قرطاس

وهذه قصيدة ميلادية أخرى للفقيه عبد الله بن خضراء كان قد بعث بها إلى حضرة السلطان الحسن الأول ويقول فيها[753] :

أو ما ترى علم البشارة لائحة — أو ما تشاهد نورها يتردد

هذا زمان ظهور طلعة أحمد — في عالم الأجساد هذا المولد

طوبى لمن يروي غريب حديثه — متأدباً ويعيده ويردد

طوبى لمن يقضي حقوق مديحه — ويجيده نظماً بديعاً ينشد

فمديح خير الخلق أعظم قربة — لكنه في ذا الأوان مؤكد

يا ليلة ما كان أعظم قدرها — مع فجرها طلع النبي محمد

فاسرد شمائله الحسان وما له — من معجزات بالنبوة تشهد

واذكر عجائب مولد قرت به — عين المحب وضاق منه الأحقد

واجعل دعاءك للإمام المرتضى — إن الدعاء له لحق أوكد

واملأ بدر مديحه أسماع من — حضروا لديه وضمهم ذا المشهد

ساس الرعية صادقاً فعنت له — أمم وقد كانت قديماً تشرد

من كفه فاضت مواهب جمة — فالكف منه للعفاة المورد

طود أتآد شامخ ذو همة — علياء يقصر عن علاها الفرقد

ما جود حاتم طيىء ما حلم أحـ — ـنف إن ذا لهو الحليم الأجود

أزكى الملوك أرومة وأجلهم — قدراً وأسبقهم لأمر يحمد

باهى به الغرب الممالك فاغتدى — منه يغار قريبها والأبعد

ومن آخرها:

مولاي يا تاج الملوك وفخرهم — فليهنك العيد الأغر الأسعد

لله موسم مولد لك عائد — بمسرة موصولة تتجدد

لا زلت ممنوحاً جلائل أنعم — ما اهتز في روض بهي أملد

لا زلت محروساً بعين عناية — ما رنم الحادي وحبر منشد

وفي غرض المدح قال العلامة عبد الله بن الهاشمي بن خضراء السلاوي قصيدة في السلطان الحسن الأول وهي[754] :

لبيك لبيك يا خير السلاطين	أدامك الله في عز وتمكين
دعوت عبدك فاستجاب مبتدراً	وقد أناخ على الطير الميامين
يهدي إليك تحية مباركة	أذكى وأطيب من مسك ونسرين
ممرغاً وجنتيه فارحاً جذلاً	إذا فاز منك بتخصيص وتعيين
مؤملاً راجياً بلوغ مقصده	مستبشراً برضى بالنجح مقرون
يا نجح سعيي ويا بشراي قد سعدت	حالي وفزت بتقريب وتأمين
من مبلغ معشري أني أويت إلى	ظل مديد يظللني ويؤويني
ظل الإله على عباده وكفى	به كفيلاً وذخراً للمساكين
رب السماح فما معن بن زائدة	وأين من راحتيه نهر سيحون
لله من ملك جلت مآثره	عن أن يحيط بها حصر بتدوين
دعا المعالي فانقادت ملبية	يضيق عن وصفها بطن الدواوين
له السعادة قد ألقت أزمتها	والفتح رائده في كل ما حين
وبشر طلعته يسر ذا حزن	وأين ما حل كان خير ميمون
حامي الشريعة والرحمٰن ناصره	ماضي العزيمة لا يرضى بتوهين
في كل قطر ثناء عنه منتشر	أي انتشار يفوق مسك دارين
ساس العباد بتدبير ومعدلة	وأحسن الأمر في الدنيا وفي الدين
وليس يعبأ بالدنيا وزينتها	لكنه بين مفروض ومسنون
وطبق الأرض عدله ونعمته	مجاله بين تسكين وتحسين
بسعده الغرب قد بدت محاسنه	فجر ذيلاً على بغداد والصين
وتاه مزدرياً بكل مملكة	يميس في حلل ذوات تلوين

نعم الإمام الهمام المرتضى حسن فخر الملوك سلالة السلاطين

السيد الملك ابن السيد الملك ابـ ـن السيد الملك المعروف باللين

بحر خضم مغيث سيد بطل بد الليوث وفرسان الميادين

دانت بطاعته العدا بأجمعها مذ ألبست ملبس الصغار والهون

وفاق من قبله حلماً ومكرمة وسطوة بهرت أهل الأواوين

لا غرو إن نال ما فات الألى غبروا وشاد ما عجزوا عنه بتحصين

قد يدرك الآخر الشأو الذي قصرت عنه الأوائل في ماضي الأحايين

تبارك الله ما أسمى مفاخره كسباً وارثاً من الشم العرانين

ولا ترى الغرس قد زكت أرومته إلا أتى الفرع منه في أفانين

يا خير من أمه الراجي وأكرم من يثني عليه بمعرب وملحون

ويا ابن خير الأنام من نبوته له وآدم بين الماء والطين

ويا ملاذ الورى يا من سما كرماً يا نعمة عظمت يا كنز مسكين

يا منبع الجود يا تاج الفخار ويا مأوى العفاة ويا سلوان محزون

يا من روى عن أبيه رفع سؤدده يا من أوامره إليه تدعوني

وفدت ملتمساً رضاك يا سندي وليس شيء سوى رضاك يرضيني

فأمنن عليّ بعطفة تصاحبني مدى الدهور وللعلى ترقيني

بقيت ما شئت في عز ومقدرة ودمت في نعم بحق جبرين

وفي نفس الغرض قال فلكي عصره الفقيه والأديب إدريس بن محمد الجعيدي السلاوي قصيدة في السلطان المذكور[755] :

لبيك يا منقذي من لجة العدم سعياً على الجفن لا مشياً على القدم
فذا أوان سعود كنت أرصده وذي مناي كما في سابق القدم
فهو المرام وكل العز يعقبه ولا يحال بأني أحقر الخدم
قصدت أعتاب ملك شامخ بهج يقري الضيوف ويغني صاحب العدم
أنزلت رحلي بها وعندها أملي وهل يخيب نزيل الجود والكرم
شمرت عن ساعدي والأذن واعية فهاب أهل الحسام سطوة القلم
أرضى بذاك الذي أضاء مغربنا بعدله فغدا يميس في نعم
أزكى الأئمة شيمة وأرفعهم قدراً وأسبقهم لكل مغتنم
أميرنا الحسن المحمود سيرته تروع صولته الأسود في الأجم
نجل السلاطين قد أحيا مآثرهم ونال ما عجزت عنه ذوو الهمم
قد شاد للدولة الغراء مفخرها فساد عند ملوك العرب والعجم
تاج الملوك وفخرهم وسيدهم وخيرمن قد مضى في غابر الأمم
قد لاحظته السعود وهي في شرف وكل نحس عداه وهو عنه عم
النصر سابقه والسعد قائده والفتح يخدمه من جملة الخدم
والجود سيرته والحلم حليته والجد عادته فاحذر من الندم
ليث إذا ما أحس الحي سطوته ألقوا سلاحهم مخافة النقم
غيث إذا الأرض يوماً مسها عطش غوث توسل به لبارئ النسم
مدير عالم مفكر فطن ومفحم باهر بأفصح الكلم
كل الفهوم له ألقت أزمتها ونوره يهتدى به لدى الظلم
بها يقاوم من بغى ويدمغه بها يدافع أهل الريب والتهم
كم دبر الروم من كر ومن حيل توجو النجاح بها والنجح في عقم
يرى بنور حجاه كل عاقبة وعين تدبيره للأمر لم تنم
فصل الخطاب حباه الله مكرمة وحكمة عظمت من أبدع الحكم
فاطلب رضاه ودم على محبته مدا الدهور وجانب داعي السأم

فهو المنى لذوي الحجا وبغيتهم وسيب يمناه مثل الزاخر العرم

يدني الأصول إلى نيل الوصول ويحـ يينا بنعمته كالأرض بالديم

ما زال يحيي بها بلاد مغربنا فاقرع بصدقك باب الجود تغتنم

واسلك سبيل الصفا تنل به شرفاً واقبل نصيحة من حباك واستقم

يا غاية القصد إني راغب طرب مستمسك بجوار منك لم يضم

مولاي يا من مزاياه وأنعمه في الناس أشهر من نار على علم

مولاي أنت الذي تغني الضعيف إذا ما الدهر أفضى به لقبضة الهرم

بشراك إن الفرنج سوف يدركها منكم صغار به تداس بالقدم

فأنت ذو مدد وهم ذوو نكد وأنت ذو جذل وهم ذوو غمم

مولاي جد برضاك لي وخذ بيدي واحرس جنابي به من سائر الألم

واجعل ثياب الرضى ستراً عليّ ولا يرى به حبل عروتي بمنفصم

فها أنا ذاك عند باب سيدنا أرجو قبولاً ووصلاً غير منصرم

أبقاك ربك في عز ومكرمة بالله أمرك نافذ على الأمم

أدامك الله منصور اللواء على كل الأعادي ولا برحت في نعم

وفي مدح السلطان الحسن الأول قال الفقيه عبد الله بن خضراء قصيدة وذلك عندما وفد على حضرته لكي يتولى خطة القضاء بحضرة مراكش[756] :

لبيك دمت مؤيداً ومظفراً ولك الكمال كما تشاء موفرا

وافى خديمك أمرك العالي الذي في ضمنه إسعاده بين الورى

إذ خص دونهم بأشرف دعوة يا سعد من أضحى بها مستبشرا

فأجاب مبتدراً إجابة صادق لم يلهه أهل ولا حب الذرى

وطوى المراحل كي يحل بحضرة يلقى بها وجه الأماني مسفرا

فبدت له الدار المنيفة يا لها ... داراً أعز حمى وأبهى منظرا
ونحا الجناب المستجار بظله ... وأناخ فيه خاضعاً ومعفرا
يهدي إليك تحية مختارة ... أذكى من المسك الذكي وأعطرا
ويمد كفيه بصدق داعياً ... لك بالبقاء مهنئاً ومبشرا
ويجيد شكر مواهب أوليتها ... كرماً وحق لمثلها أن يشكرا
ويعيد ذكر محاسن أوتيتها ... ويصوغ مدحك صوغ تبر أحمرا
ويروم إقبالاً عليه بالرضى ... يا فوزه إن بالرضى هو بشرا
إن ناله نجحت له آماله ... ودنت مناه وارتقى واستبشرا
يا من يؤمل رفعة وسعادة ... يمم حمى المولى الهمام لتظفرا
ملك عظيم القدر جل كماله ... عن أن تعد خصاله أو تحصرا
ملك كريم الطبع عز مثاله ... خلقاً كريماً لم يضاه ومفخرا
ملك جزيل الفضل عم نواله ... كل الأنام وفاق غيثاً ممطرا
ملك أفاض على الرعية خيره ... وأنامهم في ظله متبصرا
ملك جميل سياسة وسريرة ... ويدل ظاهره على ما أضمرا
ملك ترقى في سماء مكارم ... فغدا به أفق المكرم مقعرا
ملك رحيم خاشع متواضع ... ويرى اكتساب الحمد أربح متجرا
قرت به عين الخلافة واغتدى ... من سعده ذا القطر أنعم أزهرا
من أهل بيت المصطفى أكرم به ... نسباً شريفاً ما أجل وأطهرا
جمع المفاخر مكسباً ووراثة ... وحوى مآثر حقها أن تؤثرا
ماضي العزيمة في الأمور مسدد ... في رأيه الميمون ليس مقصرا
قل للمحاول شأوه في مجده ... أو رفده أو حلمه أطرق كرا
هذا همام لا يشق غباره ... هذا همام لن يجارى إن جرى
مولاي يا أزكى الأئمة شيمة ... وافيت بابك أبتغي منك القرا
لا أبتغي إلا الرضى وكفى به ... فأنلني الحظ الجزيل الأوفرا
مولاي ما عندي إليك هدية ... إلا مديحك هاك منه جوهرا
نظمته فكرة مخلص متودد ... خذه إليك منظماً ومحبرا

لا زلت في نعم تدوم ونصرة ... وسعادة لا زلت أنت الأكبرا
لا زلت في حلل العناية رافلاً ... لا زلت فى ملك كبير أبهرا

وفي مدح السلطان الحسن الأول قال الفقيه العربي بن علي المشرفي من قصيدة[757]:

فَحَزْمُكَ فَاقَ سَيِّدِي كُلَّ حَزْمٍ وَعَزْمُكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ آدَمِيٍّ
تُشِيرُ عَلَى الأَمِيرِ وكلُّ خَادِمٍ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ الخَفِيِّ
فَمُقْلَتُهُمْ جَفَانَا النَّوْمُ رَعْياً لِمَا تَرِدُ مِنْ فِعْلٍ رَدِيٍّ
وَكَمْ غَيَّرْتَ لِلْوُزَرَاءِ أَمْرَاً عَقِيماً عِنْدَهُمْ لِرَأْيٍ عَيِّ
وَكَمْ بَيَّضْتَ لِلْكُتَّابِ رِقَّاً خِطَاباً بِاخْتِصَارٍ أَعْرَبِيِّ
بِكَ اسْتَعَانَ كُلُّ فَصِيحِ لَفْظٍ فِي خُطْبَةٍ بِتَوْثِيقٍ جَلِيِّ
وَرَتَّبْتَ الرَّعَايَا بِكُلِّ قُطْرٍ كَذَاكَ جَيْشُ دَوْلَتِكَ السَّنِيِّ
وَقَبْلَكَ لَمْ يُرَتِّبْهَا مَلِيكٌ ذُو رَأْيٍ مُسْلِمٍ أَوْ كِسْرِيِّ

ومنها:

مُلُوكُ الأَرْضِ فُقْتَهُمْ بِعِزٍّ وَنَصْرٍ مِنْ رَحِيمٍ رَحْمَانِيِّ
وَمَا فَاقُوكَ فِي خَيْلٍ وَرِجْلٍ وَنُزْهَةِ الصَّبَاحِ مَعَ العَشِيِّ
وَلاَ فِي رَفَاهَةٍ وَعُلُوِّ قَدْرٍ وَلاَ فِي جُودِ حَاتِمِهَا الطَّائِيِّ
بَلْ فُقْتَهُمْ بِحُكْمِ العَدْلِ حَقّاً وَزِدْتَ عَلَيْهِمْ أَنْتَ مِنْ عَلِيِّ

إلى أن قال:

فَبِالإِقْدَامِ تَهْزِمُ كُلَّ جُنْدٍ وَلاَ تَحْسَبْ هُجُومَكَ غَيْرَ شَيِّ
فَكَمْ هَجَمْتَ ثُمَّ رَجَمْتَ قَوْماً أَقَامُوا عَلَى الضَّلاَلِ الحَسَنَوِيِّ
* هَجَمْتَ هُجُومَ مَنْ عَدَاهُ كَرْبٌ وَمِثْلُ هُجُومِ (عَمرو) الكُلْثُمِيِّ
وَمِثْلَ خَالِدِ البَطَلِ المُفَدَّى وَمَرْجُ دِيبَاجِكَ الغَرْبِ القَصِيِّ
وَمَا بَرَّتْ بَرَابِرٌ فِي رُبَاهَا حَتَّى أَهَنْتَهُمْ بِالمَشْرَفِيِّ
وَهُمْ قَتْلاَكَ فِي صِفِّينَ سُوسَ وَهُمْ قُفْرَاكَ فِي القَفْرِ الدَّوِيِّ
وَأَظْهَرُوا البُرُورَ بِطِيبِ نَفْسٍ بَعْدَ (العُقُوق) خَوْفَ السَّمْهَرِيِّ

ومنها:

شَرِيفٌ صَالِحٌ سَنِيٌّ وَبَرٌّ تَقِيٌّ مِنْ تَقِيٍّ مِنْ تَقِيِّ

ومن شعره أيضا في الغرض المذكور[758] :

هو الفارس المقدام في معرك الوغى هو العالم النحرير وابن الأكارم
سما فخره على الرشيد وصنوه أبي النصر إسماعيل بحر المكارم
وحاز علوم ابن الشريف وكل من تنسل منه عالم وابن عالم

وفي وقعة بني مكيلد أنشأ أدباء الديوان الشريف قصائد عديدة في السلطان الحسن الأول ومنها قصيدتان ذكرهما صاحب الحلل البهية وهما[759] :

نص الأولى:

هَذِي المَعَزَّةُ فِي دَلاَلِ غَوان هَذِي المَسَرَّةُ فِي سُرُورِ تَدَان
هَذِي النَّفَائِسُ فِي فَرَائِدَ عِزِّهَا هَذِي الجَوَاهِرُ فِي عُقُودِ جُمَان
حَطَّتْ رِحَالُ المَجْدِ تَحْتَ مِظَلِّهَا وَأَرَتْ لَنَا فَتْحاً كَفَتْحِ عُمَان
بِبَنِي مَكِيلْدٍ قَدْ تَبَرَّجَتْ زِينَةٌ وَبَدَتْ لَنَا فِي لَفْظِهَا بِمَعَان
قَدْ دَبَّرُوا أَنَّ (التَّمَانُعَ) بِالفَلاَ يُغْنِي وَإِنَّهُمْ كَطَيْرِ عِنَان
(وَمَتَى) رَأَوْا جَيْشَ العَسَاكِرِ بَيْنَهُمْ فِي (شُعَالَةِ) تَغْدُو بِكُلِّ سِنَان
* حَزَّتْ رُؤُوسَ البَغْيِ عِنْدَ قُصُورِهِم وَسَقَتْهُمُ حَتْفاً بِكَأْسِ دِنَان
قَدْ عَايَنُوا حَرْبَ (النُّفُوسِ) فَأَصْبَحُوا بَيْنَ المَدَافِعِ فِي حَرِيمِ أَمَان
إِذْ أَظْهَرُوا بَيْنَ القَبَائِلِ مَا بِهِمْ مِنْ ذِلَّةٍ وَمَعَزَّةٍ وَهَوَان
قَبِلُوا الشُّرُوطَ وَأَذْعَنُوا وَتَوَاعَدُوا أَلاَّ يَعُودُوا لِبَغْيِهِمْ بِأَوَان

ومنها:

هَذِي المَزِيَّةُ لاَ مَزِيَّةَ قَبْلَهَا *** فَلْتَحْرُسَنَّهَا بِأَحْرُفِ القُرْآن

يَا مَالِكاً شَاعَتْ مَآثِرُ عِزِّهِ *** بَيْنَ الوَرَى حَتَّى بَدَتْ كَكَيْوَان

يَا مَالِكاً فَاضَتْ يَنَابِعُ فَضْلِهِ *** حَتَّى رَوَى بِجَدَاوِلٍ وَسَوَان

يَا مَالِكاً مَلَكَ الخَلاَئِفَ نِعْمَةً *** بِلِسَانِهِ وَأَكُفِّهِ وَبَنَان

يَا مَالِكاً فُقْتَ المُلُوكَ عِنَايَةً *** حَاشَا يَكُونُ لِمُلْكِكُمْ مِنْ ثَان

فَلْيَهْنِكَ الفَتْحُ المُبِينُ فَإِنَّهُ *** فَتْحٌ بَدِيعٌ فِي (مَغَال) بَيَان

فَلِعُدَّةِ (القِرْطَاس) سِرٌّ ظَاهِرٌ *** إِنْ كُنْتَ لِلتَّدْبِيرِ سَيْفَ لِسَان

أَوْ كُنْتَ فِي قِرْطَاسِ كُتْبِهِ نَاثِراً *** أَوْ مُنْشِياً (بِفَوَاصِل) التِّبْيَان

اللَّهُ يَحْفَظُكُمْ وَيَحْفَظُ عِزَّكُمْ *** وَيَزِيدُكُمْ نَصْراً بِكُلِّ مَكَان

مَا غَرَّدَتْ طَيْرُ الحَمَامِ وَأَنْشَدَتْ *** هَذِي المَعَزَّةُ فِي دَلاَلِ غَوَان

ونص الثانية:

أَبَى النَّصْرُ إِلاَّ أَنْ يَرُدَّ الأَعَادِيَا *** وَإِنْ سَكَنُوا وَعْراً رَأَوْهُ فَيَافِيَا

وَيُلْبِسُهُمْ بَيْنَ القَبَائِلِ ذِلَّةً *** وَيُذْعِنُهُمْ وَالسَّيْفُ يَبْرِي المُنَافِيَا

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ العَسَاكِرَ دُونَهُمْ *** وَأَنَّهُمْ جَيْشٌ يَشُقُّ الدَّوَاهِيَا

إِذَا شَمَّرُوا (لِلْحَرْبِ) أَبْصَرْتَ خَالِداً *** لَهُ عَدَدٌ وَالفَضْلُ لاَزَالَ بَاقِيَا

وَإِنْ رَكِبُوا سَهْمَ القِتَالِ بِعُدَّةٍ *** تُقَرْطِسُهُمْ فَالرَّبْعُ (يُصْبِحُ) خَالِيَا

تَرَاهُمْ بِأَعْلاَ القَصْرِ فِي هَدْمِ سُورِهِ *** بُزَاةُ (بِأَغْشَاش) الجِبَالِ الرَّوَاسِيَا

تَشَتَّتَ أَفْرَاخُ الطُّيُورِ بِمَخْلَبٍ *** وَلَكِنَّهُ سَيْفٌ تَرَاهُ يَمَانِيَا

أَيَا ابْنَ مَكِيلٍ إِنْ نَصَبْتُمْ حَبَائِلاً *** فَهَا أَنْتُمْ فِيهَا خُيُولاً وَرَامِيَا

* تُؤَدُّونَ عَنْ قَهْرٍ عَلَى يَدِ عَامِلٍ *** تَوَلَّى عَلَيْكُمْ مَا تَرَوْهُ أَمَانِيَا

وَعِنْدَ قِيَامِ الصَّاعِ يَظْهَرُ مَا بِكُمْ *** هُيَاماً (وَ) حُزْناً أَوْ تَأَسُّفاً وَاهِيَا

أَطَعْتُمْ وَلَكِنْ بِالسُّيُوفِ لَدَى الوَغَى *** فَيَا لَيْتَكُمْ لَبَّيْتُمْ مَنْ كَانَ دَاعِيَا

وَلِلْحَقِّ فِي إِظْهَارِهِ كُلُّ صَوْلَةٍ *** وَ (بِأَصْلِكُمْ) رِيحٌ تَبَدَّتْ شَمَالِيَا

فَدُومُوا عَلَى هَذَا بِسَمْعٍ وَطَاعَةٍ *** وَإِلاَّ فَسَيْفُ اللَّهِ لاَزَالَ هَادِيَا

وَهَذا أَمِيرُ المُؤْمِنِين فَمَنْ طَغَى ... فَسَطْوَتُهُ قَهْراً تَرُدُّ الطَّوَاغِيَا
(أَسَيِّدَنَا) المَنْصُورَ (جِئْتَ) فَيَافِيا ... (يُقَاصِرُ) عَنْهَا مَنْ تَعَاظَمَ وَالِيَا
(نَصَبْتَ) سِهَاماً قَدْ أَصَابَتْ عِنَايَةً ... فَنَصَّتْ بِهَا طَيْراً غُراباً وَبَازِيَا
وَأَصْبَحْتَ فِي فَتْحِ (تَبَدَّى) بِعِزِّكُمْ ... فَيَا حَبَّذَا فَتْحٌ تَبَدَّى عَمَّانِيَا
فَيَا رَبُّ أَيِّدْهُ وَأَيِّدْ جُيُوشَهُ ... وَعَسْكَرَهُ نَصْراً عَزِيزاً جَمَالِيَا
بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ نُخْبَةِ هَاشِمِ ... عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهِ تَتْرَا (دُعَائِيَا)
وَآلِهِ والأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلٌ ... أَبَى النَّصْرُ إِلاَّ أَنْ يَرُدَّ الأَعَادِيَا

وفي رجوع السلطان الحسن الأول إلى مكناسة ثم فاس قال صاحب الحلل البهية[760] :

{... ثم بعده لفاس المحروسة، فقصده ووفد عليه بالتهنئة والهدايا الأعيان، وأما الشعراء فتهانيهم بالقصائد والأمداح... لا يحصى كثرة، وكل رجع بما يستحقه على قدر أدبه، ومن ذلك قول الناظم -أيضا- وهو:

دُمْ فِي السُّرُورِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا ... وَتَمَتَّعَنْ فَالمُلْكُ قَدْ وَاتَاكَا
وَانْهَضْ بِجَيْشِكَ نَحْوَ فَاسٍ تَجِدْ بِهَا ... (عِـزّاً) وَنَصْراً دَائِماً يَرْعَاكَا
فَرِيَاضُهَا وَقُصُورُهَا وَنَعِيمُهَا ... تَهْوَاكَ حَيْثُ بِهَا مَأْوَاكَا
لاَ سِيَّمَا وَإِذَا حَلَلْتَ بِرَاحَةٍ ... دَارُ الهَنَا فِيهَا المُنَى يَلْقَاكَا
فَالفَضْلُ فَضْلٌ والمَكَارِمُ (حُجَّةٌ) ... وَالمُلْكُ (مُلْكٌ) لاَ مَلِيكَ سِوَاكَا
فَمَتَى ظَهَرْتَ فَلِلْمَفَاخِرِ ظَاهِرٌ ... وَمَتَى حَجَبْتَ فَإِنَّهُ مَغْنَاكَا
إِنَّ الإِمَارَةَ قَدْ تَسَرْبَلَتْ (حُلَّةً) ... لَمَّا تَحَلَّتْ زِينَةً بِحُلاَكَا
إِذْ قَلَّدَتْ فِي جِيدِهَا سِلْكَ عِقْدِهَا ... بِفَرِيدَةٍ وَيَتِيمَةٍ لِعُلاَكَا
إِنَّ السِّيَاسَةَ فِي الرَّعِيَّةِ مَقْصَدٌ ... لَكِنَّهَا لِوَسِيلَةٍ تَرْضَاكَا
وَلِذَا تَوَافَقَتِ البَرِيَّةُ كُلُّهَا ... إِنَّ الهُدَى والهُدَى تَحْتَ لِوَاكَا

وَلِذَا تَوَافَقَتِ البَرِيَّةُ كُلُّهَا ... إنَّ الهُدَى والهُدْيَ تَحْتَ لِوَاكَا
فَمَشَارِقُ الأَقْطَارِ تُعْلِنُ بِالثَّنَا ... حَتَّى تَمَنَّتْ أَنْ تَرَى بِجِمَاكَا
وَلِمَغْرِبٍ حَمْدٌ وَشُكْرٌ وَاجِبٌ ... إذْ كُنْتَ فِيهِ مُؤَيَّداً بِهُدَاكَا
أَوْ مَا تَرَى فَاساً بِفَرْحَةِ أَهْلِهَا ... طَرِبَتْ فَكَانَتْ فِي سُرُورٍ بِهَاكَا
* وَرَوَتْ أَحَادِيثَ التَّفَاضُلِ فِي الوَرَى ... عَنْكُمْ فَكَانَتْ فِي كَرِيمِ نَدَاكَ
بِاللهِ يَا فَاسُ فَدُونَكِ والثَّرَى ... قَبِّلْ وَبَايِعْ هَا المَلِيكُ أَتَاكَا
يَا مَالِكاً وَالبَحْثُ فِي أَعْطَافِهِ ... فَاهْنَأْ فَإِنَّ (المُلْكَ) قَدْ هَنَّاكَا
لاَ زِلْتَ فِي عِقْدِ المُلُوكِ فَرِيدَةً ... مَنْظُومَةً فِي سِلْكِ نُورِ سَنَاكَا
مَا غَرَّدَ القُمْرِيُّ بِرَوْضِكَ قَائِلاً ... دُمْ فِي السُّرُورِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا

{...

ومما ذكره صاحب الدرر الفاخرة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان قوله في آثار السلطان الحسن الأول[761] :

{من آثاره العظيمة بهذه الحاضرة تجديد دار القيطون وهي التي كانت محل سكنى المولى ادريس التاج باني مدينة فاس... وفي أثناء العمل في هذا التجديد وقع اكتشاف محل هنالك كان المولى ادريس رحمه الله ورضي عنه يتعبد فيه ووجد به حصير متلاش وحجرة للتيمم وقد ضمن ذلك العلامة الأديب سيدي الفاطمي الصقلي رحمه الله في قوله:

قد فتح المعبد الشريف ✿ بسعد من قدره منيف
(الحسن) الوسم والمزايا ✿ الاروع الأورع العفيف
سلطان ذا المغرب المعلى ✿ من فضله وافر وريف
جدد دار القيطون . . . . . ✿ غرب به قد ثوى الخنيف
مولاي ادريس من حماه ✿ ياوي إلى بابه الضعيف
فلاح فيها لدا شروع ✿ معبده الأنور النظيف

أعظم به آية تبدى ❀ منّ بها المالك اللطيف

أظهره الله بعد حجب ❀ لعلة امرها ينيف

ظهوره والفتوح ساري ❀ إشارة رمزها لطيف

تلا ظهوراً فتح قريب ❀ لمالك للعلا حليف

دام له النصر والمعالي ❀ وتالد العز والطريف

ما أبرزت آية بفتح ❀ تاريخها (اوجه شريف) ١٣٠٥

{...

ومما قيل في تجديد السلطان الحسن الأول لباب السبع ونقش في زليج أعلا قوسه ما لفظه[762]:

تجديد سعدي بأيدي العز مرتفع ❀ وعند قوسي جنود النصر تجتمع

فانظر مشيد ضريح في العلا حسنا ❀ لاحت عليه بروق النصر تلتمع

حيث ابتُدعت بامر جل مصدره ❀ فخر الملوك الذي حزت به البدع

براعة السعد في رسم يتوجها ❀ (باب السباع أقام سعده سبع)

وفي تأسيسه للباب المقابل له من الجهة الغربية قيل[763] :

باب السعادة أشرقت انوارها ❀ لما ارتقت اوج العلا اسوارها

قامت بسعد مليكنا (الحسن) الرضى ❀ فعلا به فوق السها مقدارها

لا زال نصر الله منها داخلًا ❀ لجناب من عزت به أنصارها

والعز والتمكين يغشاه بها ❀ حتى تتم لنفسه اوطارُها

ما قال سعد تمامها تاريخها ❀ (كملت مبان بابُها آثارُها ١٣٠٣)

وفي مدح السلطان الحسن الأول قال أبو محمد عبد السلام بن محمد الشريف العلمي[764] :

بامـيرها الشهم الجواد ✿ فاس تفوق على البـلاد
ولهـا الاله به بـنى ✿ مجداً على اقوى عماد
مجـداً يكاد بناؤه ✿ يعلو على السبع الشداد
والعـلم فيهـا آخـذ ✿ في كل وقت في ازدياد
ربحت تجـارته فمـا ✿ يخشى عليه من كساد
(ملك) له انطوت القلـــــوب على المحبة والوداد
(حسن) الصفات ومذبدا ✿ ما حاد عن نهج السداد
كالغيث في يوم النـدى ✿ والليث في يوم الجـلاد
ورث الملـوك فخارهم ✿ وعليهـم أربى وزاد
لا زال فينـا حـكمـه ✿ يبـدي معـالم للرشـاد

ومما يستعمل في موسيقى الآلة المغربية هذه البرولة التي مازال أهل تطوان يرددونها ويحفظونها وهي تؤدى في قُدام نوبة غريبة الحسين والتي يُذكر في بيتها الأخير اسم السلطان الحسن الأول رحمه الله وهذا مطلعها [765] :

ضَحْكَتْ الْعَشُوبْ مَنْ بْكَا مُزْنِ الْغَيْثْ مْنِيـنْ زَامْ رَعْـــدُه
وَخْضَرَّتْ كُلّْ رَاوْيَة فِي دْوَاحِ الْبُـسْتَانِ

وبيتها الأخير:

أَنَا الْمَمْلُوكْ وَاللِّي مَالكْنِي عَـبْدُه عَـزِيزْ عَـنْــدُو
أَنَا وَاللَّهْ مَا نْدُوزْ الْحَسَنْ سُـلْطَانِـي

السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول

وفي مناسبة بناء المسجد الجديد بأبي الجنود عام 1329 هـ، أنشأ السيد عبد الله الفاسي مقطوعة وهي منقوشة به، وفيها يقول مادحا السلطان عبد الحفيظ[766] :

انظر مآثر من دانت له الأمم
هي المفاخر لا ما شاده هرم

ليس المعالي سوى ما شاده ملك
بدر الملوك ومن تسمو به الهمم

"عبد الحفيظ" به الأيام فاخرة
وكل من قد مضى من قبله وهم

أما ترى المسجد السامي دعائمه
على التقى أسست ما خطها قلم

فقصره بأبي الجنود زاد علا
وكان مسجده الباهي له علم

العز طالعه و اليمن خادمه
و السعد ساعده وكفه كرم

يا سيداً عظمت في الناس أنعمه
لك السلامة طول الدهر والنعم

وأرّخنه أمير العز أسسه
والنون حصن وسبع الآي مختتم

وفي مدح السلطان عبد الحفيظ قال الأديب اللبناني خليل مطران هذه القصيدة[767] :

مُمكَّـن أصلَهـا فـي عِـز منبِتهـا

وفي السـماء لها بالسـعد تفريع

الشـرق محتِدها والغرب معهدها

والفخر في بندها الخفَّاق موسوع

سُوَّاسـها أشرفُ الأسباط من قِدم

بنو الحسـين الملوكُ القادةُ الرُّوع

للمجـد مبتـدِع منهـم ومُتّبـع

و للمحامـد محمـولٌ وموضـوع

تداولـوا الملـك حتـى نابَـه حدَث

أصـمُّ خِيـل بـه لِلمُلـك تضييـع

فهبَّ يحفظه "عبد الحفيظ" بما

أقـرَّه والفـؤاد الثَّبْـت مخلـوع

وراضَ دولتَـه حتـى اسـتقرَّ بهـا

والعرش في حِصنه والحصنُ ممنوع

صِينت به من غُزاةٍ في الدُّجى انسربوا

إلى الحِمى والسبيل البِكر مفْروع

"عبد الحفيظ" حماك الله عش أبداً

وأمرُك المرتضَى والقول مسموع

وافــت هـديتُــك الجُلَّــى وآيَتُهــا

أن الـفـخــار بمــا أهـديــتَ مشــفـوع

فما يُحاكـي جمالٌ فضلَ نِســبتها

ولا ســذاجـتَها نقــشٌ وتـرصيـع

يــا حاميــاً للحِمى والــرأيُ حائطه

والســيـف منصلِت والرمح مشروع

ملكــتَ منا نفوســاً لســتَ واليَها

بصوُنك المُلــكَ أن يَدْهــاه تصديع

لو يُشـتري صوُن ذاك المُلك من خطر

لمَـا بخِلنـا ولــو أبناءُنـا بِيعـوا

مُلــك هــو العربــي الفذ ليس له

صِنو وفيه شـتيت الفخر مجموع

ومما وقفنا عليه من قصائد السلطان عبد الحفيظ، قصيدة بكائية قالها في طريقه إلى الحج، بعد أن اضطر إلى التنازل عن العرش ومنها[768] :

تــذكــرت الــديــار ديــار ليلى

فهــام الدمــع بيــن الوجنتيــن

وأحــنــو لــلـوصــال إذا بعيني

تــرى الأنــوار شــبه الظلمتيــن

يهيجنــي تباعــد كل خــل

و أحــرى نخبــة بالروضتيــن

متى رمت التلذذ بعد هذا

يهيم القلب وجداً كرتين

إذا ما رمت نأيا بعد هذا

وقلت الصبر عند الصدمتين

ينهنهني تذكر نجل أضحى

ضجيع الأرض بين الجدتين

وله قصيدة أخرى:

لا مرحبا بديار فوقها علم

أبان شرا وأفشى الفحش بينهم

لا بارك الله في أرض بها قطنوا

ولا سقى الغيث ربعاً فيه حكمهم

لا خير في العيش في الأصقاع قاطبة

إذا تآمر في العلياء منتقم

أنى تكون لهم في الأرض مكرمة

وبيت مجدهم في العز منهدم

أنى تكون لهم في الأرض مفخرة

وقد تحقق عند الناس كذبهم

أنى تكون لهم في الأرض منقبة

ولا مواعد ترجى بينها حرم

يظن كل سخيف العقل أنهم

في رتبة الفخر دون مجدها النجم

كلا وربك ما خط الكتاب لهم

فخراً ولا شهدت بفضلهم أمم

وله قصيدة أسماها الطامة الكبرى ومنها هذه الأبيات:

فـإن كنت قد أعطيت جاهاً فحاسـبن
نفـائـس أنفــاس تجدها علــى خـطا
وإن كنــت قــد أعطيــت علمــاً ولا أرى
لديك ســوى نــزر فما يكشــف الـغطا
وإن كنــت ذا ورد علــى فــرض أنــه
على المنهج المحمود فلتخش محبطا
أيرفـع حكــم الله أن قــال قـائــل
رأيــت خــلاف الحكــم كشــفاً مورطـا

وللسلطان عبد الحفيظ قصيدة طويلة في مدح النبي محمد ومنها هذه الأبيات[769] :

محمد خيــر المرســلين وجاهة
لــدي ربــه يــوم المواقــف جحفل
نبــي أميــن صــادق ومصــدق
رءوف رحــيــم خــاتــم و مبجل
كــريم عظيم شــافــع ومشــفع
ســري وفــي فــاضــل متفضــل
تكامــل خلقا ثــم خلقــا وإنــه
هو الليث والغيــث الروي والهبركل
تسترمنه الحسن بالحسن فوقه
فلولاه ســترا لم يســعهم تحمل
ولا علمــوا وحيــاً تقــادم عهــده
ولا مــا حـــوى ذاك الكتــاب المنزل

وله أبيات من قصيدة في شكوى الحال، ومنها:

إليــك رفعنــا الأمر يا مانــع الأذى

فقــد هالنا حــزب الغــواة بما أبدي

تمــالأ أهــل الكفــر عنــا بقــوة

ولــم يرقبــوا للظلــم إلاًّ ولا عهــدا

إذا علمــوا مــن ينتمــي لمحمــد

تراهم لفرط الغيظ في حربهم أسدا

ومثلها أبيات يتأسف على فراق المدينة المنورة، منها[770] :

لهف نفســي على ســعود رجال

تنظــر الجــود مــن ســماء الوجود

لهف نفســي علــى بقــاع رباها

مهبــط الوحــي للنبــي الــودود

أزفــت رحلــة النــوى فدعانــي

باعــث الشــوق مرشــداً للقعــود

وللإشارة فقد ذكر المؤرخ ابن زيدان أن للسلطان عبد الحفيظ بن الحسن مجموعة قصائد وأمداح طبعت في جزء بالمطبعة السلكية في فاس، وإذا قمنا بإحصاء الإنتاج الشعري المعرب للسلطان عبد الحفيظ فإنه يشكل قلة مقارنة بإنتاجه في قصائد الملحون ولعل ما يبرهن ذلك هو الكم الهائل من هذه القصائد التي ضمتها موسوعة الملحون -ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ- والتي قام بإعدادها وجمعها لجنة الملحون التابعة لأكاديمية المملكة المغربية تحت إشراف وتقديم الأستاذ عباس الجراري.

ومن قصائد السلطان عبد الحفيظ فيما يخص شعر الملحون، هذه القصيدة التي مطلعها[771] :

وَجْدِي بالشُّوقْ إينُوحْ　　　باقْوالُه من تَكْلاجِي

مالْ الدّمْعْ افْضَحْ ما اخْفى و كثيرْ التّنْواحْ

تايَهْ قَلْبِي في انْحى

طاشْ القَلْبْ المَجْروحْ　　　لا راقِي رادْ انْصاحِي

و ادْوا يا ناسِي ماخفى في اشْعاعْ الدّوّاحْ

لو تَمْنَحْنِي نَفْحَة

راجيه إيْكُونْ اسمُوحْ　　　يَلْقَحْ غُصْنُه بصْلاحِي

إينَعّمْ و يجُودْ و يعفُو و يراحَمْ الاشباح

صَدُّوا نارْ الجَرْحَة

عادْ البالْ المكروحْ　　　يَزْيَدْ بَحْرُه في اتراحي

يا سعد لو كانْ بانْ جيشُه يَحْمَلْ من طاحْ

و يسامَحْ في الكَفْحَة

لوْ انْسترْ مفضُوحْ　　　دَمْعِي يَشْهَدْ و الحاحي

ما حَوّزْ قَلْبِي و شاعْ خَبْري به في الابْطاحْ

تَبْكتْ نارُه لَفْحَة

وفي رثاء السلطان عبد الحفيظ قال الشاعر ماء العينين بن العتيق ومحمد البيضاوي الشنجيطي، في قصيدة مشتركة بينهما ومطلعها[772] :

تعالـى الله ذو العـرش المجيـدُ

هـو القهـار يفعـل مـا يـريـد

وفيها يقولان عن الفقيد وبعض خصاله:

فـإن أمســى بروضتـه وحيـداً

كما فـي العـلـم منصبُـه وحيد

فكـم قـاد الجـنـود إلـى جـنـود

ورفــرف فــوق هـامتـه البنــود

وكـم صعـد السـرير علـى اعتزاز

وطأطـأ تحـت أَخْمَـصـه العنيـد

ونِيطــت مــن يـواقيـت المزايـا

بأجيــاد الزمـــان لــه عقــود

وحِيكـت من سَـدى الأمـداح فيه

لِمـا يُســديه مــن هِبــة بُــرود

بنَـتُ هِمَّـاتـه مجـداً طـريفـاً

وشـيَّـد مـا لَـه بنـت الجـدود

فكانـا تـوأميـن براحَـتيـه

طريـفُ المجـد والمجـدُ التليد

السلطان المولى يوسف بن الحسن الأول

وفي هذا السلطان ألف مؤرخ الدولة العلوية عبد الرحمن بن زيدان كتابه الذي يحمل اسم "اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي". ومما وقفنا عليه من القصائد التي تمدح السلطان يوسف بن الحسن؛ قصيدة للشاعر عباس الشرفي وهذه أبيات منها[773] :

لولاك كان الذي فوق الثرى سربا ... يا من بطلعته اهتز العلى طربا

أصبحت بين ملوك الأرض مشتملا ... ثوب الفخامة بل أزكاهم نسبا

فالملك ملك، والأكوان خاضعة ... والعز عزك سبحان الذي وهبا

فما حللت بأرض أو مررت بها ... إلا وسايرك الإسعاد واصطحبا

شأن الملوك إذا قرت عيونهم ... بالملك أن يملكوا لأجسام والرتبا

في كل قلب من الإجلال نحوكم ... ما لا يحيط به من عد أو كتبا

وكل لفظ بديع لا يقارنه ... معناه إن حاد عن علياك وا عجبا

لا يعرف الفضل إلا في ربوعكم ... والغير إن عزه لم يستطع طلبا

أنتم حماة الورى من حطتموه نجا ... وفاز بالقرب من مغناكم وربا

لا يملأ العين إلا نور بشركم ... وما سواه – لعمر الله – محض هبا

لو قيل من ساد أهل العصر قاطبة؟ ... حلما وعلما ومن أعلاهم حسبا

لقلت ذاك أمير المؤمنين ومن ... صارت صفات العلا جزما له لقبا

مولاي يوسف نور العصر نخبته ... تاج الملوك وأعلى خيرهم أدبا

إن خاطبته خصال الخير قر بها ... عينا وإن سامه داعي الضلال أبى

بر بذمته يهوى تقدمها ... لذا نراه على إصلاحها دأبا

من فكره انبعثت روح التمدن في ... عصر بهمته إهماله ذهبا

وفي مدح السلطان المولى يوسف أيضا قال الشاعر الغالي بن عمرو الفاسي هذه القصيدة وهذا مطلعها[774] :

ترقب بدور السـعد إن كنت ذا وجد	وبح في حماها بالثنا تحظ بالمجد
وشنف سماعا من أحاديث فضلها	فما عن حلاها من غنى لا ولا بد

ومنها:

إمام الورى والمستضاء بنوره	جبين علاها في السهول وفي الوهد
عريق الصفا مولاي يوسف ذو الوفا	وذو الحسن حقا في الجوارح والقد
يعير اللآلي من صباحة وجهه	جمالا به نال الورى غاية القصد
محرك أنفاس المعالي من الكرى	ومحيي رسوم الفضل والفخر والحمد
تكفل بالإصلاح فضلا ويمنه	به طابت الدنيا وعادت إلى الرشد
ومغربنا عادت نضارته إلى	شبيبتها الأولى وفاق على نجد
إذا ما تشا مجدا فدونك فرعه	سليل رسول الله واسطة العقد
فكم نعمة من ظله نستديمها	وكم منة من شكره العيش ذو الرغد
فلذ بأبي يعقوب في كل معضل	تراه مقيلا بالبشاشة والود
له همة كبرى ومجد مؤصل	سوى أنه في ذاك يقفو خطى الجد
خليفته في كل خير وذو التقى	يزيد ارتقاء في المعالي بلا حد

وله قصيدة أخرى في نفس الغرض، منها:

قضى الله أن لا للمكارم هذه	سوى وارثيها عن أبيهم وعن جد
سليل المعالي ذو الفضائل ذو الندى	وذو الحلم ذو الإحسان حقا بلا جحد
فلذ بأبي يعقوب مولاي يوسف	ومن هو في الدنيا الجواد وذو الود
أمير حمى الإسلام بالعدل بعدما	بسيرته الحسنى استقام على الجد
أبو الخير بيت المجد دون جلاله	جلالة من صالوا ارتقاء كما الطود

صـــــنـــائـعــه علـم وحـزم ويـقـظـة	ســـوى أنـه في كلها غـايـة القصــــد
متى مر ذكر في الزمـان لمن مضـــى	فـذكره وجـه الـدهر كـالكوكـب الفرد
فراقـب صــــلاح المغربين ترى لـه	كما المشــرقين الوشـــي في أبدع النقد
لتهن بـهـذا الـعيـد والفتح مقبـل	وحولـك عز النصــــر يحفل كـالجند
كـذاك بـإســـعـاد الـقـدوم وعـزه	وإقبـال مـا قـد ترتجيـه من الرغـد
محوطـا بحفظ الله حيـث نشــيـدكم	خديم مديح المصــــطفى عج على نجد

وفي تهنئة السلطان يوسف بن الحسن بعيد الفطر قال الشاعر محمد البيضاوي الشنقيطي[775]:

شهرُ الصِيَامِ رَمَي خلفاً بِهِ الفَلَكُ

فَقَهقَهَ الفطرُواستهوَى بِهِ الضَّحِكُ

وإذ تراءَت جُيُوشُ العيدِ زاحِفَةً

تَقهقَرَ النَّومُ والإمسَاكُ والنُّسُكُ

واستنَّت الجنُّ بينَ النَّاسِ مُطلقَةً

فالخَلقُ أجمَعُ في اللَّذَّاتش مُشتَرِكُ

ما أحسَنَ المُسلِمِينَ الصَّائِمِينَ وَمَا

أبدَوهُ لمَّا انجَلَى عَن صُبحِهِ الحَلَكُ

قامُوا وصامُوا وبالعيدِ ازدَهَوا فرَحاً

لله لله ما جاؤُوا وما تَرَكُوا

تجَمهَرُوا للمصلَّى يشكُرونَ علَى

فَضلِ المهَيمِنِ والتَّكبِيرِ مُنسَفِكُ

أدَّوا صلاتَهم المُثْلَى كأنَّهُمُ
وَهُم صُفُوفٌ وراء القارِىءِ المَلَكُ

وهَلهَلَ الحَبرُ يُلقِي مِن مواعِظِهِ
فاستغرَقُوا فِي البُكا لله وانهَمَكُوا

و أقبَلُوا يتهادَونَ التَّهانِىءَ وال
وُجُوهُ تُشرِقُ والرَّاحاتُ تشتَبِكُ

والمِسكُ يعبَقُ مِن بيضِ الثِّيَابِ وَأي
نَ مِن سجَايَاهُمُ الرَّيحانُ والمِسَكُ

عيدٌ يعُودُ علَى البُلدَانِ رافِلَةً
يَحُوطُها فِي حِماهُ يُوسُفُ المِلِكُ

وللشاعر محمد البيضاوي الشنقيطي قصيدة أخرى في مدح المولى يوسف[776] :

تحلُّ حُلُولَ اليُمنِ في بلدِ البشرِ ... رِكابُ أبِي يعقُوبَ رأسِ بَنِي فِهرِ
وخَيرِ ملُوكِ الأرضِ شرقاً ومغرِباً ... صَميمِ البهاليلِ الغَطَارِفَةِ الغُرِّ
بَنِي الأَسَدِ الضِّرغامِ أشرَفِ أسرَةٍ ... وأهلِ النَّدَى الفيَّاضِ والنَّفعِ والضَّرِّ
ذَوِي النَّسَبِ الوَضَّاحِ والخَبَرِ الَّذِي ... يُضَمِّخُ آفاقَ العوالِمِ بالعِطرِ
سُلالَتُها الشَّهمُ الحُلاحِلُ يُوسُفُ ... تفوَّقَ بالإِحسانِ والحِلمِ والبِرِّ
لَهُ فِي شعوبِش العُربِ أعظَمُ رُتبَةٍ ... وَفِي الأُمَمِ الأُخرَى له طيِّبُ الذِّكرِ
وإِنَّ لَهُ خُلقاً كخِلقَةِ يُوسُفٍ ... وإِنَّ له خُلقاً كخُلقِ أبِي ذَرِّ

لَهُ مِـــن عــلِيِّ دِيــنُهُ ووقــارُهُ ... وَمِن نَدِّهِ الصَّفحُ الجميلُ عَنِ الوِزرِ

مَـلأتَ عُـيُونـاً مـن قـبـائِلِ تـادِلاَ ... وكـانَت ترَى السُّلطانَ بالنَّظَرِ الشَّزرِ

فـصـارَت تـراهُ اليومَ إثمدَ مُؤقِهَا ... وأقصَى مُناهَا أن يُبارَكَ في العُمرِ

وتَـرنـو بَنُـو سامٍ جلالَكَ خُـشَّعاً ... وتَحنُو الصَّياصِي من ذُرَى الأطلسِ الخضرِ

ومنها:

أضَـأتَ بَنِي مـلاّلَ حِـيـنَ نَـحَـوتَهَا ... بطلعَتِكَ الأسنَى مِن الشَّمسِ والبَدرِ

فـهـبَّتـ إلَى لُقْـيـاكَ تـمـرحُ نَـشـوَةً ... كـمـا هـبَّ نُـوَّامٌ لَدَى طـلعَـةِ الفَـجرِ

بـعامِلِها الأرضي أبي جُـمـعَـةَ الَّذي ... يُـحـبُّـكَ حُـبّـاً لا يُـكـيَّفُ بـالشِّعـرِ

وحـاكِـمِهـا المُـنـشِي نظامَ رُبُوعِها ... تَرَبَّتَ السَّبـنَـتَى في الحُروبِ بَلِ البَبرِ

مُـولِّيـي أمـامَ الهـاشـمِـيِّ مُـنـاجِياً ... أزَجِّـيـ إلَى الأعـتـابِ عاطِفَةَ الشُّكرِ

يـقـلِّدُنِـي بـيـنَ الوُفُـودِ قـلائِداً ... نـفـائِسَ تـزري بـاللآلِىءِ والتِّبـرِ

ومن القصائد التي مدح بها الشاعر عبد العزيز العراقي، السلطان المولى يوسف، هذه القصيدة وهذه أبيات منها[777] :

وآيات الرسول كمثل بحر ... بلى فاقت عليه بألف زاخر
كما جلت عن الإحصا مآثر ... لسلطان على الأمار آمر
أبو يعقوب من ملك البرايا ... بإحسان تتيه به الأكابر
أمير الغرب مفتاح العطايا ... وكنز العلم موصول الضمائر
أمير قد حوى كل المعالي ... وأحرز كل فضل بالمآثر
له في الخير آيات تبدت ... لنا كالشمس ترعاها النواظر
إذا خاض العلوم تراه بحرا ... عميقا موجه يرمي الجواهر
فليس له شبيه في البرايا ... يرى بمزية حازت مفاخر
وتاه على المشارق باختصاص ... بعز ما يقرر في الخواطر
ولاح السعد حين بدا هلالا ... تهيم به الأوائل والأواخر
أيا مولاي يوسف صرت فردا ... وحيد العصر منفرد الأوامر
فكم لك من مزايا لا تضاهى ... بدت مثل الشموس على الحواضر
وكم من آية لاحت كشمس ... وكم لك في الزمان من المآثر
وكم من آية لعلاك لاحت ... وكم لك في الوجود من المفاخر
ألا فافخر بسلطان تباهى ... وفاق على الملوك ذوي النظائر
أمولانا الإمام علاك نصر ... وفتح لا يزول مدى الدهارر
أمولانا تهان قد أتتكم ... تهنيكم بعيد لا يصادر
فلا زلتم بعز مستدام ... مدى الأزمان راق في المفاخر
بجاه المصطفى غوث البرايا ... وآله والصحاب ذوي السرائر

وله قصيدة أخرى في نفس الغرض ومنها[778] :

كمل السرور ولاح بدر زماني ... والسعد أقبل معلنا بتهاني
والشمس قد سجدت لحسن غزالة ... تسبي الورى بجمالها الفتان
لبست ثياب العز وافتخرت على ... أهل العلا وشدت على الأفنان
قامت تنبئ بالبشائر قد بدا ... من حبه فرض على الأعيان
العالم العلم الهمام المرتضى ... نجل الملوك وتاج أهل الشأن
هامت به أهل العلا لعلومه ... وبه سمت فاس على البلدان
ذاك الهمام البحر من أضحى له ... عقد الولاية دائم اللمعان
السيد الأوفى الذي أوصافه ... ظهرت ظهور الشمس للأعيان

دانت لسطوته الخلائق كلها ... وأتته طائعة بدون توان
إن رمت حصر خصاله الحسنى فقد ... رمت المحال وهمت بالبهتان
راق الزمان بمقدم الملك الذي ... آياته جلت عن الحسبان
مولاي يوسف من له في الفضل سا ... بقة على الأتراب والأخذان
كم من مآثر قد بدت لإمامنا ... كالشمس واضحة بلا بهتان
فبه تزول النائبات عن الورى ... وبه ينال العزة الثقلان
يا سيدا قد أصبحت آياته ... بين الورى تتلى بكل لسان
فاهنأ بمقدمك السعيد فإنه ... سر الورى قاصيهم والداني
أبقاكم المولى جبيرة ديننا ... وحباكم بالعز والإيمان

وللشاعر عباس الشرفي، قصيدة نظمها وهي مزيج من التهنئة للملك محمد الخامس، والرثاء لوالده المولى يوسف، ومطلعها[779] :

بسما الخلافة أنجم تتوقد

تبدو تباعا إن وافاها الموعد

ما غاب كوكب يوسف حتى بدا

بدر السعادة ذو الفخار محمد

الملك المجاهد محمد الخامس بن يوسف[780]

وفي كتاب الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة لمؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمن بن زيدان، تظهر في الصفحة الثالثة منه صورة الملك محمد الخامس رحمه الله تعالى وتحتها هذه الأبيات في مدحه[781] :

هذه صورة لاسمى مليك * ملك المغرب المفدى محمد
فانظر النبل والذكاء واخلا * ق نسيم تر الجميع مجسد
ناهض بالفنون والعلم والعد * ل لشعب بملكه الدهر يسعد
دام في منعة ونصر عزيز * وشفوف طول المدا يتجدد

وفي مدح وتهنئة الملك محمد الخامس رحمه الله قال المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان في كتابه الدرر الفاخرة وهي قصيدة طويلة[782] :

أولاك بالنصر والتاييد مولاكا * فنلت عزاً به تقر عيناكا
مؤيد العزم بالتوفيق في عمل * مروح القلب في جنات نعماكا
فالفخر يرفل في أثواب سودده * والدين يسعد والدنيا بعلياكا
تدعو الى الله إرثا عن أرومتكم * اكرم بهم سادة في الناس املاكا
حتى تطهر هذا الشعب من درن * وذدت عنه بنشر العلم أحلاكا
وزاد ملكك امناً تستقر به * دعائم قاربت لولاك إهلاكا
رفعت فينا بيوت الله فابتهجت * وأصبحت بجميل الذكر تلقاكا
اعظم بها من بيوت للهدى رفعت * يفوق منظرها زهراً وأفلاكا
تخالها كقصور الخلد يعمرها * من قد غدوا بين ايدي الله نساكا

هم الجواهر لب الكون خالصه ❀ لا ما يرى نظمه في الجيد أسلاكا

كم من فطاحلة فيها اهتدوا وهدوا ❀ قوما قد ارتفعوا حفظا وادراكا

وشأنهم نشر دين الله في حِلَق ❀ بهم غدا اهلها للفضل مُلّاكا

وأصَّلَتْ باصول الدين همتهم ❀ عقائداً دحضت من كان أفاكا

وبالتفاسير كم أبدت لنا نكتا ❀ غراء مبسمها لا زال ضحاكا

ومن حديث رسول الله قد أخذت ❀ حظا جزيلا حمدنا فيه مسعاكا

والفقه نال كما ترضون أبهة ❀ بها تبين أن الحق مرماكا

هذا هو الفخر لا الزهراء زاهرة ❀ او حلة دبجتها كف من حاكا

قد قمت ترعى الرعايا بالصلاح فما ❀ فيها لعمر الهدى من ليس يهواكا

جمعت شملهم من بعد فرقتهم ❀ لجمع اصناف خير في زواياكا

يا آخذاً بعرى التقوى تبارك من ❀ أنشا على شغف بها سجاياكا

سُدتَ الملوك وشدتَ كل مفخرة ❀ واليسر صافاك والتيسير وافاكا

سُستَ البلاد وأَسست التآلف في ❀ شعب العروبة فاعتزت رعاياكا

مولاي عزمكم فوق الطباق رسا ❀ سبحان من فوق هام المجد رقاكا

ياطاهر الذيل عالي الامر قد خضعت ❀ لك الرقاب فمن في الملك ضاهاكا

ألبست نخوة ملك انت بهجته ❀ حسن التواضع حتى جل معناكا

ملكت لب رعايا انت بينهم ❀ كالبدر في هالة والكل يرعاكا

نسجت يا تاج املاك الزمان لهم ❀ برود عز فمن لنسجها حاكا

وكم أبدت بسيف العدل من بدع ❀ وكم قصمت جهولا كان فتاكا

وكم وكم من معاهد أعاد لها ❀ شبابَها الغضَّ قسطٌ من عطاياكا

هيهات اين بنو مروان منك وما ❀ أشيد في جلق من حسن مبناكا

كل تسامى لدنيا كان يعشقها ❀ وانت صيرت دين الله مغزاكا

كفاك ما شدت فينا من معاهد قد ❀ رضيت من اجلها انفاق دنياك

كم من موارد قد أَصدرتها فرحا ❀ ترضي بها من لفعل البر أنشاكا

ناهيك بـ(المسجد الابهى) الذي عظمت ❀ آثاره الغر في ارجاء (بيضاكا)

أَعظم به شاهدا عدلا على همم ❀ قعساء في ظاهر وفي طواياكا

يضم كل بديع وهو ابدع ما ❀ يرى باحسانك الضافي وحسناكا

الحسن بعض صفات في مشاهده ❀ وانما شمته بالبشر حياكا

ترتاح افئدة العُبَّاد إن غشيت ❀ رحابه وترى مغناه مغناكا

بل كل راءٍ يناديه على شغف ❀ لله لله ما اعلى واحلاكا

ما شدت من شاهق البنيان دل على ❀ معنى يجدد طول الدهر ذكراكا

تنافست فيه ارباب الصنائع اذ ❀ أتاتهم من صنيع الفضل جدواكا

تخال فيه بديع النقش متسقا ❀ وشي الخرائد قد تاقت للقياكا

(ابوابه) عد ابواب الجنان غدت ❀ مفتوحة من يَلِجْها عُدَّ نساكا

وصبغه غنجٌ يزينه حور ❀ كطرف حوراء مدت منه أشراكا

تحكي الثريا (ثرياه) التي بهرت ❀ زهر الكواكب اذضاءت بمرءاكا

كأنها عند اسراج وقد لمعت ❀ نور البشائر تبديه ثنايا كا

يغني محياه أبقى الله بهجته ❀ وصان مهجتك الغرا وقوا كا

الى (ينابيع) عذب فاض منبجسا ❀ لكن عذوبته تجري بمجراكا

خريره في مجاري السمع ساجعة ❀ نشيدها : سيدي الله يرعاكا

أكملت من مسجد البيضاء حصته ❀ لما يمينك قد أولته يسراكا

ملأت مولاي بالذكر الحكيم به ❀ (خزائنا) سجلت بها هدايا كا

ملكت أجرا به انفردت منتفعا ❀ باجر قرائه في دار اخراكا

هاذي الصنائع قد أحييت دارسها ❀ فشكرها العاطر الفواح يغشاكا

لعصرك الفخر في علم وفي عمل ❀ فالمبتدي صار بالتفكير درّاكا

قد استنارت بك الافكار فهي لها ❀ شأو التقدم اذ ترقى بمرقاكا

اذ كان رأيك في فيض المعارف من ❀ تيار نيل به عمت مزايا كا

فصار اغبط شخص في الوجود فتى ❀ بالعلم زاحم عند العرش أملاكا

وأقبلت دولة الافراح منشدة ❀ أدام ربي لاهل الغرب محياكا

فانهض بنا العهود الانس منك ففي ❀ اسنى مقاماته الغرا عرفناكا

داعي السعادة قد حث المطي الى ❀ مغنىً بخدمته ما كان اغناكا

ياسعد زائره وفوز حاضره ❀ بطيب خاطره اذ هو لباكا

أكرم بـ(ليلتك) الزهراء تعمرها ❀ بمدح من نوره يعلو محيًّا كا
محمد جدك المختار افضل من ❀ به الالاه هدى وهدَّ اشرا كا
فاطرب وطب واغتنم ملكا تسر به ❀ والدهر فيما تروم طوع يمنا كا
قد وفق الله شعبا أنت سيده ❀ وليس من صنعك الجميل ينسا كا
لك البرية تدعو كل آونة ❀ والله من بينهم بالفضل اسما كا
قد احتللت السويدا من قلوبهم ❀ بنصر دين الهدى والحق والا كا
وفاخر المغرب الاقصا بملككم ❀ ممالك المشرقين لاعدمنا كا
نفديك بالنفس من شرور ذي حسد ❀ فأسعد الله من بالنفس فدا كا
وحاط انجالك الغر الكرام بما ❀ قد حاط ذكرا حكيما حل احشا كا
وهيأ الخير والفضل العظيم لهم ❀ فنلت في كلهم ما كان أرضا كا
ولي عهدك ميمون العلا (حسن) ❀ يحظى فينحو بافق المجد منحا كا
الشبل من اسد والبدر مقتبس ❀ من شمس حسن وما ندريه الا كا
ياسيدي جاد نظم انت باعثه ❀ فيمن عطفت عليه اذ ترجا كا
فكر (ابن زيدان) وقف في مدائحكم ❀ ولم يكن لمديح غيركم لا كا
فامدد عليه رضى يعلو به شرفا ❀ فانه بصميم الحب صافا كا
منك الوفاء وفى وما الكمال سوى ❀ ما فيك من شيم الله زكا كا
قالوا أطلت فقلت بل أطبت ولا ❀ أعد طول مديحي فيك إنها كا
قالوا تغاليت قلت ـ لا ابالهم ـ ❀ من بالمديح وقرض الشعر وفَّا كا

أكرم بـ(ـليلتك) الزهراء تعمرها ❀ بمدح من نوره يعلو محيّا كا
محمد جدك المختار افضل من ❀ به الالاه هدى وهدّ اشرا كا
فاطرب وطب واغتنم ملـكا تسر به ❀ والدهر فيا تروم طوع يمنـا كا
قد وفق الله شعبا أنت سيده ❀ وليس من صنعك الجميـل ينسا كا
لك البرية تدعو كل آونة ❀ والله من بينهم بالفضـل اسما كا
قد احتللت السويدا من قلوبهم ❀ بنصر دين الهـدى والحق والا كا
وفاخر المغرب الاقصا بملككم ❀ ممـالك المشرقـين لاعدمنـا كا
نفديك بالنفس من شرور ذي حسد ❀ فأسعد الله من بالنفس فـدا كا
وحاط انجالك الغر الكرام بما ❀ قد حاط ذكرا حكيما حل احشا كا
وهيأ الخير والفضل العظيم لهم ❀ فنلت في كلهم ما كان أرضا كا
ولي عهدك ميمون العلا (حسن) ❀ يحظى فينحو بافق المجد منحا كا
الشبل من اسد والبدر مقتبس ❀ من شمس حسن وما ندريه الا كا
ياسيدي جاد نظم انت باعثـه ❀ فيمن عطفت عليه اذ ترجا كا
فكر (ابن زيدان) وقف في مدائحكم ❀ ولم يكن لمديح غيركم لا كا
فامدد عليه رضى يعلو به شرفا ❀ فـانه بصميم الحب صـافا كا
منك الوفاء وفى وما الكمال سوى ❀ ما فيك من شيم الله زكا كا
قالوا أطلت فقلت بل أطبت ولا ❀ أعد طول مديحي فيك إنها كا
قالوا تغاليت قلت ـ لا اباهم ـ ❀ من بالمديح وقرض الشعر وفّا كا
أبقاك ربك في ظل الامان على ❀ عرش الخـلافة والامناح تعطا كا
وانت في فرح تزهو وفي مرح ❀ مظفر فوق هام العز مثوا كا
ما استعذب الناس إنشاداً بمطلعه ❀ أولاك بالنصر والتاييد مولا كا

وفي مدح الملك محمد الخامس أيضا ما ذكره صاحب الدرر[783] :

عصر به تزهى المعارف والعلا ❀ وتتيه ناشئة البلاد وتسعد
وتجر اذيال الفخار كأنها ❀ في عين مبصرها الحسان الخرد
لله يوم أعظمت منه الدنا ❀ قدراً فذكره عندها يتجدد
يوم تجلى عن خلال خلاله ❀ سعد به ترقى البلاد وتصعد
يوم له في قلب وامقه هنا ❀ وبقلب مبغضه المقيم المقعد
يوم به البشرى تجلى بشرها ❀ مترقرقا يعلي الحياة فينجد
يوم به الاقصا سما إصلاحه ❀ فهوت اليه من الاقاصي القصد
قالت سعوده أيها الغرب انتهض ❀ وانشط فإنك بالسعود معضد
قم وانشر الذكرى ليوم عناية ❀ لم تطو - ما نشر الالاه له - يد
تزدد بذلك عزة ونباهة ❀ وتقدما ميثاقه متوطد
ذا اليوم يوم أبصرت به اعين ❀ وجه الهنا وبدا السبيل الاحمد
وغدا لواء النصر منشوراً به ❀ اذ توج المولى المليك محمد
فغدوت روحاً للشعور تمدهم ❀ وأثرت رغبتهم فراق المشهد
وبثثت روح الاريحية بينهم ❀ فخلت ما كان التكاسل يعقد
ومشى بها عصر التقدم مسرعا ❀ فسما بها في كل سعي محتد
في كل آونة تزيد ترقيا ❀ وكذا الاديب من العلا يتزيد
ويزيد أوتار الشعور تحركا ❀ فيها فتغور في العلاء وتنجد
ويجر ذيل فخاره متجاوزا ❀ نهر المجرة بانجاح مؤيد
يوم عظيم راق وجهه اذ رقي الـــــعرش العظيم به الامام المفرد
حدث بما قد شئت عن اخلاقه ❀ فحديثه الحسن الصحيح المسند
أبقاه من أعطاه ملكا شامخا ❀ في عزة تنكي العداة وتكمد
لم لا يردد شكره من أخلصوا ❀ وبسعيه الميمون يصفو المورد
ملك له تدعو الممالك بالذي ❀ هو في مصالحها الاهم الاوكد
مما يزيد التابعين تقدما ❀ في كل منقبة تفيد وتسعد
فننال ما نرجو ونحيي فوق ما ❀ يهوى الرقي وذاك عيش ارغد
لا زال جانبك المؤيد طبق ما ❀ يرجوه من له وصلة وتودد

ومنها:

فليحي سلطان البلاد محمد ❀ من سيف عدله مصلت لا يغمد
وليهن رب الصولجان جلوسه ❀ بمنصة يعنو اليها الفرقد
وسموه في هيبة وجلالة ❀ في العرش يعلوه السنا المتصعد
وليحي عرش الملك عرش محمد ❀ فينا كما يرضى النبي محمد
سبط الملوك الصيد وارث ملكهم ❀ من جاء للدين القويم يجدد
وليحي مولانا الامام منعما ❀ محروس عين عناية لا ترقد
وهناء ملكه دائم متواصل ❀ وصعوده طول المدا متجدد
وليحي في حلل السعادة رافلا ❀ يدعو الى النجح الجلي ويرشد
لا بدع ان سر الزمان فإنه ❀ عين الزمان ونوره المتوقد
وليحي عرش المجد عرش جدوده ❀ محياً جميلا فائقا ما يعهد
وليحي فينا العلم وفق مراده ❀ بوجوده وليحي فينا السودد
وليحي ميت العز بعد بلائه ❀ فترى غصون رياضه تتأود
وليحي من تروي العطاش علومه ❀ وليحي من يروي الحديث ويسند
وليحي فخر المغرب الاقصا به ❀ ما جد في دعواته متهجد
وليحي يوم فيه أعطى حقه ❀ وليحي تاريخ له لا ينفد
هو للخلافة شمسها وبه انجلى ❀ زمن طلوعه بالكمال مخلد

ومنها:

ولا زال مولانا الامام محمد ❀ مليكا له من عون مالكه جند
ولا زال بدرا يستضاء بنوره ❀ يلوح باوج الفخر مظهره الفرد
ولا زال في ثوب المسرة رافلا ❀ وعيش رعاياه بإفضاله رغد
ولا زال في كل المقاصد ناجحا ❀ فيرتع في روض المنى الحر والعبد
ولا زال في عز يعز مناله ❀ لهيبته تعنو القساور والاسد
ولا زال في كل الشئون مسددا ❀ بصائب رأي لا ينهنهه رعد
ولا زال في كل المصالح ساعيا ❀ بأحسن تدبير به حزمه يبدو
ولا زال نصر الله يخدم بابه ❀ ويقصده من زهر أسعده وفد
ولا زال ملحوظا بعين عناية ❀ أتت بفتوحات بها انتظم المجد
ولا زال يرعى للرعية رشدها ❀ بتأليف آراء يفرقها الحقد
ولا زال للدين الحنيفيّ حاميا ❀ يشيد به صرح الهدى وبه يشدو
ولا زال للعلم الشريف مجددا ❀ نظام دروس دونه الجوهر الفرد
لينقذ من يم الضلالة جاهلا ❀ فينجو ومن أودى به الجزر والمد
ويصبح في روض المعارف راتعا ❀ ويجني ثمارا دون مطعمها الشهد
فيزداد منه الفكر خصبا وجدة ❀ بها ربوة العرفان تربو وتمتد
اذ العلم معراج الى كل نهضة ❀ ولولا سناه ما استبان لنا رشد
به ينصب القسطاس للعدل مثل ما ❀ يصح لمفروض ونافلة عقد
ويرشد للنقد الصحيح شبابنا ❀ فيصبو له من شعبنا السمع والود
وتخترع الافكار ما ترتقي به ❀ لتجديد ما يحلو بتجديده السهد
وليس لذا عن همة علوية ❀ وعزم امام العصر نأي ولا بعد
به الملك يزهو والممالك تزدهي ❀ وايامه الاعياد يحلو لها العود
ومن يكن الرحمن شائد ملكه ❀ يرافقه الاقبال واليمن والسعد
وتعنو له الاعيان ودا وهيبة ❀ وتسعفه حتى يتم له القصد

ومما مُدح به الملك محمد الخامس قول الأديب محمد البيضاوي الشنقيطي[784]:

ذَهَبَ الإِمَامُ أَبُو المَحَاسِنِ سَيِّدَا ... ومُحَمَّدٌ كُفءُ الإِمَامِ السَّيِّدِ

التَّاجُ أقسَمَ لاَ يُفَارِقُ هَامَكُم ... يـا آلَ حـيـدَرَةٍ وآلَ مُـحَـمَّدِ

أَمُحَمَّداً يَا ابنَ الحَلاحِلِ يوسُفٍ ... جـدِّد عُهُـودَ مُحَمَّدٍ ومُحَمدِ

وارعَ الإِمَامَةَ والرَّعيَّةَ مشفِقاً ... بـسـيـاسَـةٍ وَرَوِيَّةٍ وتـعَهُّدِ

وَاكشِف عنِ الأبصارِ كلَّ غشاوةٍ ... وغَبَاوَةٍ فالجَهلُ أعظم مُفسِدِ

وفي تهنئة الملك محمد الخامس بمناسبة المولد النبوي الشريف قال كذلك الأديب البيضاوي الشنقيطي في قصيدة[785] :

آهٍ لَهُ مِن عميدٍ طالمَا صَبَرا ... جمرُ الغضَا فِي حشاهُ يرتَمِي شَرَرَا

إذَا تألَّقَ برقٌ مِن بَشائرِهِ ... جاءَت زعازِعُهُ تزجِي لَهُ كَدَرَا

حسِبتُهُ عارضاً من رَحمَةٍ نُشِرَت ... أستغفِرُ اللهَ ما استَعجَلتُهُ ضَرَرَا

لَقَد تصبَّرتُ حتَّى كادَ يُقتُلُنِي ... صَبرِي فأشكُو كَفى خوفُ الرَّدَى عذُرَا

سلُوا النُّجوم سَلُو اللَّيلَ البَهِيمَ سَلُوا ال ... مُهلِّلِينَ عَنِ الأُمِّي سَلُوا السَّحَرَا

لو كانَ لِي كبِدٌ ينشقُّ ثُمَّ يَذُو
بُ كانَ عُسرِي فِي أمرِ الهَوَى يُسُرَا
لَكِن إذَا انشقَّ مِن هَذَا الجَوَى كَبِدٌ
نَمَى لَهُ كَبِدٌ فانشقَّ وانفطَرَا

ومنها:

يَا سيِّدِي يَا أميرَ المُؤمنِينَ وَيَا
سليلَ مَن تخضَعُ الأعناقُ إن ذُكِرَا
افخَر بفاطِمَةٍ وافخَر بِحَيدَرَةٍ
إذَا مليكٌ بآباءٍ لَهُ افتَخَرَا
أبوكَ يوسُفُ كانَ اللهُ ينصُرُهُ
إذ كانَ يَشكُرُهُ فاشكُر كما شَكَرَا
خصالُهُ الغرُّ لا تُحصَى إذَا حُسِبَت
فكَم تعبَّدَ كَم واسَى وكَم ستَرَا
يا ربِّ أيِّد لَنا هَذَا الأميرَ مُحمَّ
دًا وأصلِح بهِ وامدُد لَهُ العُمُرَا
يُقيمُ مولِدَ كهفِ العالَمِينَ وخَي
رِ الحامِدِينَ عَلَى وجهِ العُلَى غُررَا
يُعطِي ويسهَرُ فِي تعميرِ ليلَتِهِ
للهِ للهِ ما أعطَى ومَا سَهِرَا
يا أيُّها الملِكُ البانِي أوامِرَهُ
عَلَى أساسِ الهُدَى يا سيِّدَ الأُمَرَا

يَا وارثَ العرشِ فوقَ النَّجمِ قائِمَهُ
اللهُ يُصحِبُهُ التَّمكِينَ والظَّفَرا
عرشٌ حباهُ لاسماعيلَ فاطِرُه
وعزُّ وارثُ إسماعيلَ وانتَصَرا
هَذَا الخُويدِمُ فِي سُوسٍ تُضايقُهُ
أهلُ الجهالَةِ فيما جلَّ أو حَقُرا

ومنها:

وليسَ ثمّةَ من شيءٍ يُؤَلِّفُهُ
وأهلُهُ سئِمُوا فاستحسَنُوا السَّفَرا
قالُوا رُدانَةُ أقصَى ما يُرادُ بنا
ثمَّ القُفُولُ فقد ضِقنابِها عُصُرا
إذ كانَ ما كَانَ مِمَّا لَستُ أذكُرُهُ
فظُنَّ خَيراً وَلاَ تستَكنِهِ الخَبَرا
وامنُن عليَّ بِمَا أرجُوهُ منكَ فَمَا
أزالُ للعَطفِ مِن مولاَيَ مُنتَظِرا

وفي تهنئة الملك محمد الخامس أيضا قال الأديب محمد بن اليمني الناصري[786] :

حـز مـن صـفـاء الـعيش كل معطـر
ولـيـدك صـيـتـك مـثـل نـفـح الـمـقـرى
وألـق الـزمـان فقد أتـى لـك تـائـبا
مـن جوره الـقاسـي بـحـلـم الـمـنقري
إذ مـن مـحاسـنـه ومن إنـصـافـه
تـتـويـج مـثـلـك رغـم أنـف الـمـفـتـري

فلتحي يا ملك البلاد متوجا

بالعز والنصر العزيز الأبهر

وليعل شأن العلم في عهد به

أصبحت خير مؤيد ومظفر

وليحي أنصار الجلالة في هنا

وليحي صدر الدولتين المقري

وفي مدح الملك محمد الخامس وتهنئته بالمولد الشريف قال الشيخ ماء العينين بن العتيق في قصيدة طويلة[787]:

بِشر المُنى بكَ أشرقَتْ أعلامُها

يشدو على فنَنَ السُّرور حَمامُها

وحظائرُ الأفراح منكَ تنسمت

أزواحُها وتبسَّمت أكمامُها

زانتْ إمامتُك الزمانَ وكيفَ لا

تزدانُ أزمنة وأنتَ إمامُها

لم تبقَ من رُتبِ الكمالِ مَزيةٌ

إلا وأنتَ ملاكُها وقوامُها

لله درُّكَ يا ابن يوسفَ من فتىً

يُرعى به للمكرُمات ذمامُها

أنتَ المليكُ الكاملُ الكَرِم الذي

نَجلتْك من غُرِّ الملوك كرامُها

أجدادكَ الصيدُ الغطارفةُ الأُلى

غَبطتْ بها الغربَ العراقُ وشامُها

ومنها:

فمحلُّ إيطَانِ السَّماحةِ راحُها

ومَحَلُّ تيجَانِ الخلافَةِ هامُها

ترك العُلى لبنيه إسماعيلُها

إرثاً وأورثها بنيه هِشامُها

حتى جلَسْتَ على أريكةِ عرشها

مُلقى إليكَ عنَانُها وزمامُها

لَمْ تُحكَ في فخرِ الجدودِ ومَنْ يَرمْ

فخرَ النفوس فَمَا سواكَ عصَامُهَا

تَحنُوا لمنبركَ الرؤوسُ مَهَابةً

إنَّ الأسوَد مُهيبةٌ آجَامُهَا

أسهرتَ جفنكَ في تدابيرِ الأمُو

رِ فأصبحت بكَ متقناً إبرامُها

وكَفيت ما تشكُو الرعيةُ فانجلَتْ

لأواؤهَا بك وانتَفَتْ أسْقامُهَا

وتعلَّمتْ جهلاؤُها وتأدبت

أحلافُهَا وتيقَّظتْ نُوامُها

عنيتْ بسيْبك عن بعُولتِها أيَا

مَاهَا وعنْ آبائها أيْتَامُها

كمْ منْ مدارسَ للعلوم نشرْتها

نشَرَتْ ثناءَك في الورى أقلامُها

ومساجدِ شيَّدتهَا وعمَّرتها

أضحى بفَضلكَ حَاكما إحكامُها

وكَمِ اعْتصَمْتَ بسُنة الهَادي فما

ترضَى سوى ما تقتضي أحكامُهَا

ومن نظم الشيخ ماء العينين بن العتيق أيضا قوله في الإشادة بجيش التحرير والتغني ببطولاته[788]:

بزغت علينا أنجم التحرير
فتباشر الأوطان بالتطهير
من رجس الاستعمار بعد مبشر
في الغرب ، بل في سائر المعمور
لازال جيشهم المطهر ناصرا
أعلام عرش إمامنا المنصور

ومن ذلك أيضا قوله في تهنئة الملك محمد الخامس بالعودة من المنفى وعيد الاستقلال وعيد الفطر وهذه القصيدة:

تتابعت البشائر والحبور
بحمد الله واتصل السرور
وصبح السعد لاح له ضياء
وروض الفوز فاح له عبير
إمام العصر محمود السجايا
محمد ابن يوسف الشهير

ومنها:

ألا فاهنأ قرير العين أن لا
تفارقك المسرة والحبور
بأعياد ثلاثة استهلت
أهلتها بأفقك تستنير
بعيد الفطر شعبك مستقل
وعيد العود لله الشكور
وعصرك كله أيام عيد
بك اغتبطت سعادتها العصور

وفي مدح الملك محمد الخامس أيضا قال الشيخ محمد الإمام[789] :

حـــي الــــمـلـيـك الـــذي بـــمـجـده اشـتـهـر

مــحــمــد الخـــامــس الـــســامـــي عـــن الأمـــرا

ذاك الـــــمــلـــيـــك الـــذي مـــازال مـرتـقـــيا

إلـــى ســـمـــاء الـعـــلا يـــســمــو عـــن الـــنـظــرا

ومن القصائد التي مُدح بها الملك محمد الخامس قول الدكتور السيد محمد تقي الدين الهلالي من قصيدة طويلة منها هذه الأبيات[790] :

أَلَا إنَّ الإسْتعمارَ هاو وبائــــــرٌ ... ومِنْ مَطلَع الأقمَار لَاحتْ بشائـــر

أبى الضيمَ بأَرْض المغاربِ ضيغمٌ ... فأقبلَ من عرينهِ وهوَ زائــــــــرٌ

وقالَ للإستعمار زُلْ منْ بلادِنَـــا ... فأنَا عليكَ اليومَ قاض وقابـــــــرٌ

سأُسقيكَ سُمّاً لا بقَا لكَ بــــعدَهُ ... وشَعبِي من خَلفِي أُسودٌ هَواصــرٌ

عوَى ذِئبُ الإستعمار إذْ ذاكَ عُوةً ... وأقبَلَ يدعُو وَيلهُ وَهوَ حائـــــــرٌ

تهدّده بالخُلع بالنَّفي فِي الفَنـــا ... وأَوعدَ لَيثاً أنْجبتـــهُ غَــضَـافــــرُ

فَأَبْرقَ في جُبن وأَرْعَدَ طَائشــــاً ... وَصـــارَ يَجمعُ الخَائنينَ يُكَـاثـــــرُ

فصدقه في ذاك من ضل عقلـه ... ولــــم يدر أن الله للحـــق ناصـــرُ

تلقى الملك القرم كل وعيدهــم ... بحزم وقاسى أمرهم وهو ساخـــرُ

بــــثورته ردَّ الحياة لشـــــعبه ... وكان لهم فيها الهــدى والبصـائـــرُ

تجلى لهم كيد العدو وغـــــدره ... وحقاً علـــى الباغي تدور الـــدوائــرُ

لذا استرخصُوا الأرواح والمال دونه ... سواءٌ بهذا بدوُهــم والـــحواضـــــرُ

وقد كانت الأهواء شتى فوحـدت ... وزالت حزازات حوتها الضـــمـــائـــرُ

وعم الحماس العرب في كل موطن ... فكلهم أضحى بذلك يــفــاخـــــرُ

وعمهم حب الهمام ابن يوســـف ... فهامت به صبيانهم والأكابــــــــرُ

وللشاعر الجزائري مفدي زكرياء في الملك محمد الخامس، قوله في قصيدة منها[791] :

لمن السواجع ، ينطلقن هديلا ؟   والروض ، وضاح السمات ، بليلا ؟
ولم البراعم يرتعشن ، وقد سرى   فيهن مسحور النسيم عليلا ؟
وعلى من تحمر الورود ، من الندى   يهوى على وجناتها تقبيلا ؟
ولم الحناجر ، بالبشائر لعلعت   فتصاعدت نغماتها تهليلا ؟
ولم العذارى ، زغردت ، فعنا لها   سمع الزمان ، مرنحا ، مثمولا ؟
ولم البلاد ، ازينت ، وتبرجت   وتناهلت كاس الهنا معلولا ؟
والباسقات السمر من وحداتها   نشوى ، تدق مزامرا وطبولا
والارض تمعن فى النميمة بالسما   ولطالما حسد الجميل جميلا
الاجل عيد الشعب ..صفت نجومها   آذار ــ فوق جبينها اكليلا ؟
آذار .. ها اناذا .. بعيدك ماثل   ولكم أقمت على الوفاء دليلا
ولكم نزلت على رباط بموطني   ووجدت من اهلي الكرام قبيلا
أرباط ... هل بك مثل ما بي لوعة   ام كان حظي من هواك ضئيلا ؟
طارت بي الاشواق نحوك ، بعد ما   غالبتها .. حينا .. وكان طويلا
وهفا الفؤاد الى حماك.. وما انقضى   هذا الفؤاد بعدوتيك نزيلا
وسما بي الالهام فيك ... وانه   لولا التقى ... لحسبته تنزيلا
والشعر ، وحي من سمائك ..جئته   ممن يعلم فى سماك ... الجيلا
لا تعجبوا ... اما ذكرت محمدا   فى الخالدين ، ذكرت جبرائيلا
وكلاهما اقتعد الخلود ، فعبدا   للصاعدين الى الخلود سبيلا
وكلاهما صدق الرسالة .. فاغتدى   هذا لذاك .. خليفة وزميلا
ان كان تحرير الشعوب رسالة   فلم ابن يوسف لا يعد رسولا ؟
ومن الذى ينفى رسالة مصلح   ما انفك يصنع بالحفاظ عقولا ؟
ومن الذى لا ينحني لمعلم   فتح العيون وارشد الضليلا ؟
كلماته بالمعجزات نواطق   وحديثه ... لا يقبل التأويلا

وكفاحه للصامدين عنايـة ضمنت لركب الزاحفين وصولا
هزم المنية بالحياة ... فراعها وأراح من أزماته ... عزريلا
هو بيننا .. فتبينوا .. تجدوا له من صلبه — فى المهرجان — مثيلا
هو ذا ..هنا..فى شعبه ..فتأملوا تجدوا ابن يوسف ما استطاب رحيلا

***

ما ذا أرى ؟ .. امحمد فى عرشه يتلو البيان مفصلا تفصيلا ؟
آمنت ... لما ان سمعتك قائلا : « عهد ابن يوسف لم يزل موصولا»
انا ظله ... انا نفحة من روحه مهما بذلت ، رأيت ذاك قليلا
انا ذرة من طينه ، خلاقة تبني الحياة ، ولا تهاب جليلا
انا جذوة من نوره ... انا كوكب من افقه ... ما ان يريك أفولا
انا فكرة من روعه ... انا قصة من مجده ... لا تقبل التبديلا
انا نبتة من غرسه ... وخلاصة من درسه ، لا تبتغي التحويلا
انا صارم فى كفه ، يحمي الحمى وكما عهدتم ... لن يزال صقيلا
ودعامة كبرى ، لوحدة مغرب كم شاد مجدا للبقاء اثيلا
انا للجزائر ، لن أزال مقدسا عهد ابن يوسف ... لن احيد فتيلا
مهما طغى المستعمرون ، واجرموا فسليل مكة ... لا يخاف الفيلا..

ومما قاله فيه أيضا[792] :

— 1 —

اي عيد بارك التاريخ يومه فاذا الاكوان افراح وبسمه
واذا الانسام اوتار ونغمه واذا الاقدار الطاف ورحمه
لست أدري يامحمد : اي عيد يتجدد ؟ اي فجر يتولد؟
عيد ميلادك ، أم ميلاد امه ؟

— 2 —

موكب الاعياد ... ام تمجيد ذكرى؟   اى عيد غمر الآفاق بشـــــرى ؟

اى عرس ضمخ الارجـــاء عطـــرا   اى صبح فى الليالي المدلهمـــه ؟

اى عيد يتجدد ؟ اى فجر يتولد ؟ لست ادري يا محمد

عيد ميــلادك ، ام ميـــلاد امـــه ؟

— 3 —

ما الذي ايقظ احلام السكارى ؟   اى بدر لاح فى ليل الحيارى ؟

وبمن لوح فى دنيا السهـــارى   يتسامى شامخا يحمل رسمـــه ؟

اى عيد يتجدد ؟ اى فجر يتولد ؟ لست ادري يا محمد

عيد ميــلادك ، ام ميـــلاد امـــه ؟

اى صقر خطفـــوه من ذرانـــا   اى نسر قنصـــوه من حمانـــا

فسبحنا فوق نهـــر من دمانـــا   وحفظنا لبناة المجـــد ذمـــه

اى عيد يتجدد ؟ اى فجر يتمدد ؟ لست ادري يا محمد

عيد ميــلادك ، ام ميـــلاد امـــه ؟

ومنها:

اى صقر خطفـــوه من ذرانـــا   اى نسر قنصـــوه من حمانـــا

فسبحنا فوق نهـــر من دمانـــا   وحفظنا لبناة المجـــد ذمـــه

اى عيد يتجدد ؟ اى فجر يتمدد ؟ لست ادري يا محمد

عيد ميــلادك ، ام ميـــلاد امـــه ؟

— 5 —

يوم (عشرين) هزمنا الحدثانـــا   واردنا ... فتحدينـا الزمانـــا

وكسبنا ـ يوم صممنا ـ الرهانـــا   وبلغنا فى العلا ارفـــع قمـــه

اى عيد يتجدد ؟ اى فجر يتمدد ؟ لست ادري يا محمد

عيد ميــلادك ، ام ميـــلاد امـــه ؟

وفي رثاء الملك محمد الخامس رحمه الله قال الأستاذ محمد بن عمر العلوي في قصيدة منها هذه الأبيات[793] :

قضى الله فينا ما قضى وهو احكم … فصبرا لما قضى الاله المعظم

فجعنا وعم الحزن والكرب والاسى … وحل فينا خطب اليم مجسم

فافقدنا احساسنا وشعورنا … واذهلنا عما ندير ونعلم

واخرس منا السنا فتلجلجت … لم تدر حتى ما به تتكلم

مصاب الم كالصواعق فجأة … ورزء بدت من هوله الخلد تلطم

بكينا فما اجدى العويل ولا البكا … وما فاض من دمع يمازجه دم

فجعنا ولم يكد يدور بخلدنا … نزول منايا لا تجود وترحم

فتاتي على روح لاعظم مالك … وخير اب فى المكرمات مقدم

مليك له فى التضحيات مواقف … بها شهدت اعداؤنا وهم هم

وفى الراي والتدبير والعزم واللقا … مشاهد او تحصى لؤلف معجم

حمانا واولانا السعادة والهنا … وانقذنا والجو اسود مظلم

فدانا بروح لا تقاس شهامة … ونبلا واخلاصا وما هو اعظم

بهمته القعسا تحرر شعبنا … من الرق وانفك الحصار المقسم

باخلاصه الاسمى نجونا من الردى … وصرنا اباة لا نداس ونهضم

بفقدك يا قطب الملوك محمدا … فقدنا عظيما فى الشدائد ملهم

خسرنا حكيما عبقريا مجاهدا … يصول امام النائبات فتحجم

الا فليمت من شاء بعد محمد … فكل لذيذ بعده اليوم علقم

وفي رثائه أيضا قال الشاعر الجزائري مفدي زكرياء[794] :

مالـي اراكـم تنشـدون رثــاء ... وتجـددون مـآتمـا وعــزاء ؟
عجبـا لكم ... اتؤبنـون محمـدا ... ومحمـد مـن دوح الاحيــاء ؟
اتؤبنـون محمدا ... ؟ ومحمـد ... صنع البقـاء .. وعلـم الاسمـاء ؟
ايمـوت من وهب الحيـاة لجيلـه ... فمضى يشيد على الخلـود بنـاء ؟
ايموت .. ؟ والنفحات من انفاسه ... قد عطـرت في المغـرب الارجـاء ؟
ايموت ... ؟ والفلذات من اكبـاده ... تغـزو الحيـاة عزيمـة ومضـاء ؟
ايمـوت والوحـدات مـن ذراتـه ... درجت توحـد بيننـا الاهـواء ؟
ايمـوت والبركـات مـن صلواتـه ... تغشى الجزائـر غبطـة ورجـاء ؟
مامات ... يا من ابنوه ... وانما ... ضـاقت بـه الدنيـا فحـل سمـاء
اسرى الى الملكوت ينشر سفـره ... ويشـع حـول الصاعديـن سنـاء
وينـزل الآيـات نورانيـة ... يهـدي بهـا المتطلعيـن سـواء
ويبـارك الزحف المجيـد (بمغرب) ... ما انفـك يرفـع في ذراه لـواء
ويقـود للبشرى سفينـا ماردا ... نسجت يـداه شراعـه الحمـراء
فرض الجلا... فمضى يجند في السما ... شهبا تحقـق في البـلاد جـلاء
لاتندبوه ... فليس يطرب للبكـا ... من هز اعطـاف النجـوم غنـاء
ما كـل مـن سكـن التراب بميت ... ولـرب حـي يستحـق رثـاء
ولرب اصنـام تحـرق حـولهـا ... علب البخـور ضراعـة وولاء
والانهـزام يشـل مـن سرطانهـا ... قلب البـلاد يشيـع فيـه فنـاء
الفاس اجدر بالجذوع ... فحطموا ... هذي الجذوع ... وهشموا العملاء
واللحد اولى بالخوالف ... فاعصفوا ... بالخانعيـن وزلـزلـوا الجبنـاء
محمد هزم الخطـوب شجـاعـة ... وسمـا على خـدع الحيـاة ابـاء
ان تكبـروه ، فلا تقيموا مأتمـا ... او تكرموه ... فاصلحوا الاخطـاء
واستعرضـوا ذكـراه في ناديكـم ... واستبدلوا هذا الرثـاء ثنـاء
يا ملهـم الاجيال ... سعيك خالد ... ابـدا ... يبث بروعنـا الايحـاء
ومعلـم الاحـرار روحك لم تـزل ... ابـدا ... تواكب من يروم فـداء
ومقوم الاخلاق ... هديك لم يزل ... للعامليـن محجـة بيضـاء
ومفتح الابصار ... نهجك لم يزل ... للحـاكميـن مشاعـلا وضيـاء
وخليفـة المختار ... من اوليتـه ... لم يـال بعـدك في الكفـاح عنـاء
(حسن)..وماحسن سواك.. محمد ... فيه حللت .. وحل فيك صفـاء
والشعب شعبك .. انت قائد زحفه ... ناديت ... فاستصرخت فيه دماء
والمغرب العربـي كـم اسمعتـه ... للوحدة الكبرى ـ هناك ـ نـداء
والشعر شعرك منه صفت روائعـي ... اوليس وحيك يلهـم الشعـراء ؟
دم كالوجود ... وقل لمن قد ابنوا: ... انـا خالـد ... لاتندبوا الاحيـاء

ومما قاله الشاعر العراقي باقر سماكة في ضريح الملك محمد الخامس رحمه الله تعالى[795]:

وقفت وقفة إجلال وإكبـــــار ... وقد رجعت إلى الماضي بأفكـــاري

وقفت والذكريات الغر تغمرنــــي ... كأنما أنا منها وسط أنــــوار

وقفت وقفة من يسمو الخشوع بـــه ... لعالم من تراتيل وأذكــــار

قد كدت أنسى به نفسي، ببارقـــة ... قدسية أشرقت من هالة البـــاري

وكاد يغمرني فيض منابعــــه ... من كوثر الخلد يطويني بتيـــار

من لي بسابغة كي أستعين بهـــا ... بالشعر من شعر حسان وبشـــار

من مربد البصرة الفيحاء ترفدنــي ... نوابغ خلدتها غر أخبــــار

من الرصافي من فرسان حلبتــــه ... من الزهاوي فلا أرضى بأشعـــاري

لكي أحيي ضريحا قد سما شرفـــا ... على الذرا بمجرات وأقمـــار

به استقر عظيم ثائر بطـــــل ... كما استقر بغمد أي بتـــار

«محمد الخامس» المغوار رفعتــــه ... يعنو لها كل عملاق ومغـــوار

القائد اليعربي الفذ ثورتــــه ... في الكون نبراس جوالين ثـــوار

لازال نبراسه كالشمس منطلقـــا ... يذكو فيلمح منه هديه الســـاري

ما نال من عزمه نفي يؤرقــــه ... على العرين، كذاك الضيغم الضـــاري

أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني بن محمد الخامس

في مدح الملك الحسن الثاني رحمه الله تعالى ما لا يحصى من القصائد، فقد مدحه شعراء المغرب والمشرق. وقد جُمعت بعض القصائد التي مُدح بها في دواوين منها ديوان دعوة الحق "وفاء وولاء" وهو عبارة عن ديوان كبير جامع لباقات شعرية مهداة إليه. وقد جمع كذلك مؤرخ المملكة السيد عبد الحق المريني مجموعة من القصائد التي نظمت في مدحه رحمه الله وذلك في مؤلف كبير أسماه "الحسنيات وهو في ثلاثة أجزاء: 1975-1979-1983. وهذا ما اخترناه من القصائد التي مُدح بها رحمه الله:

قصيدة للشاعر محمد الحلوي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[796]:

عيد اظل سناه العرش والوطنا ... وبايع الدهر فيه العاهل الحسنا

اهل والدمع رطب فى محاجرنا ... والجرح دام فأجرى الدمع والشجنا

على الذي صنع التاريخ وامتلات ... منه القلوب واعيا سعيه الزمنا

وصابر البغي والاهوال كالحة ... فخاض لجتها ، واستعذب المحنا

تغفو الملوك وتلهو فى مباذلها ... وهو الملاك الذي لم يألف الوسنا

ابر من والد حان وارام من ... ام واطهر من صان الحمى وبنى

قضى صفوف العلا مستشهدا ومضت ... به لما نال من اعلاقها ثمنا

فكفكف الدمع لا تجزع فقد تركت ... لنا العناية بعد الخامس الحسنا

غـرس سقتـه يد ميمونـة فزكـا — وافعم الكون عطـرا منعشـا وسنى

وصارم مـن سيوف الله اصلتـه — والليل داج فجلى الخطب والحزنـا

وقادها لضفـاف الامن مجهـدة — والموج طـام فارساها ومـا وهنـا

وكان ملاحهـا الهـادي ورائدهـا — ومن وقاها الرزايا السود والفتنـا

سـل الخطابة من اعلى منابرهـا — وبـذ فرسانهـا بالنثـر متزنـا

قصيدة للشاعر عبد الرحمن الدكالي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[797]:

لك مهجتـي وقصائـدي وبيـانـي — يا ايهـا الحسن العظيـم الثانـي

فـرض علي لكـل حفـل وقفـة — تقضي حقـوق العـرش والاوطـان

؟ أأكـون شاعـر امـة مفلـوبـة — فاذا استقلت لـم اكـن بمكانـي

كـم قلت فى اعيـاد عـرش محمـد — يا شعب لـذ بالعـرش والسلطـان

يا شعب انـت محـرر بمحمـد — لا تخش مـن ظلـم ومـن طغيـان

ما ربـع قـرن فى الجهـاد بهيـن — احـداثـه اهـوالـه ديـوانـي

كـم من قصائـد صغتها ونظمتهـا — عقـدا مـن الآلام والاحـزان

هيهات ينسى ما مضى من محنة الـ — ـايـام رغـم تبـاعـد الازمـان

ما محنـة الماضـي سـوى اس لما — يبنيـه للاجيـال هـذا البانـي

هذا الذي عاش الخطوب وكـان فى — تلـك المعامـع سيـد الفتيـان

قصيدة للشاعر محمد الحمراوي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[798]:

الى ملك اعجزت آيه   عباقرة المجد والعزة
الى الحسن الاحسن المرتضى   معز العروبة والملة
الى وارث السر فى مهده   ونادرة الدهر فى الفطنة
الى ابن الرسول ونفحته   سليل الطهارة والعفة
اليك من القلب تهنئة   تحيط بها هالة الغبطة
بعيد جلوسك – فى هيبة –   على عرش آبائك الجلة
على عرش عز رفيع الذرى   عريق الدعائم فى الرفعة
فأنت – وحق السما – كفئه   بما نلت من رائع الحكمة
الست المليك الذي ابدعت   مواهبه باهر الخطة ؟
الست الحكيم الذي اخرست   شمائله ناعق الفتنة ؟
جعلت من الحكم شورى فلم   تسه – كفيرك – بالقوة
وشرعت دستور حق شفى   باحكامه غلة الامة
دعوت فقلت نعم قولة   محت باطل الافك والشبهة
تناقلها الشعب فى فرحة   وطار بها البرق فى لحظة
فسرت بها امة حرة   وساءت دعاة الى الفرقة
فيالك من مالك منصف   يقارع بالحق والحجة
ويالك من سيد ماجد   تذرع بالحلم والرحمة
وتلك لعمري احدوثة   قتلت بها ساسة القوة
تبلج عهدك فى افقنا   صباحا تهلل بالبهجة
فعاد به امل مشرق   واينع غرسك فى ضحوة
توالى نجاحك مسترسلا   فتم لك الفوز فى وثبة
« جلاء » و « تعبئة » اثره   وفوز الجزائر بالمنية

ودستورك الحر اعقبته ... بسعي حميد الى الوحدة

تلاقت وفود هنا جددت ... عهود الاقارب والاخوة

بفضلك تمت لها بغية ... بجمع القلوب على الالفة

فكان التصالح فى لحظة ... وعاد الوئام بلا كلفة

وتم الاساس على وحدة ... تضم المغارب فى زمرة

فابشر بشكرين : شكر الورى ... وشكر الاله على الخطة

وطب يا همام فؤادا فما ... راينا قريعك فى الحلبة

ويا قوم من مثلكم امة ... لها مالك فاز بالذروة ؟

كذا فليكن من اراد العلى ... لعرشه والعرب والامة

كذا يكسب الفخر بين الورى ... ويكتب في سيرة الدولة

ولكنها رتبة خصصت ... ببيت النبوة والامرة

فان افلح الحسن المرتضى ... فذاك ارث بلا كلفة

ومن كان آباءه جلة ... من الرسل يكمل فى لحظة

وهل يعرف النقص فى عترة ... لهم شرف القرب والحظوة

فيا حسن اسلم لشعب يرى ... حياته فيك بلا مرية

ومات بغيظه ذو احنة ... يجادل فى الحق بالفرية

اليك انتهى كل فخر اذا ... تفاخر قوم بلا حجة

عليك القلوب حنت كلها ... ولو قدرت كنت فى الحبة

فيا ابن الرسول عليك الرضى ... عليك السلام بلا منة

قصيدة للشاعر محمد بن محمد العلمي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، والتي مطلعها[799] :

انت بـــدر علـــى البـــلاد اطـــلا   فأضاء الوجـــود لمـــا تجلـــى ،

ومنها:

يا عظيم الاخلاق ، يـــا حامي الاســـ	ـــلام ، أنـــت المناقب الغر تتلـــى
كـــل مـــا فيك يـــا مليكي جليـــل	وأياديـــك تغمـــر الناس فضـــــلا
والقريض الجميـــل في (الحسن الثا	نـــي) بهي الرؤى ، وأغلى وأحلى !
فهـــو عنـــوان فطنـــــة ونبـــــوغ	منـــذ أن كـــان كالبراعـــم طفـــلا
كلمـــا غـــــرد الفـــؤاد بشعـــــر	صـــادق ، زادت الـــروح بـــــذلا
يصعـــد المخلصون للشـــرف العـــا	لـــي ، وقـــدر المليك في المجد أعلى
نحـــن في المغرب العريق نحب الـــ	ـــعرش حبا يروق روحـــا وشكـــلا
والمليـــك المحبوب نجعـــل منــــه	والـــدا أو أخـــا عطوفـــا وخـــــلا
قـــــد حملنـــا مسؤوليـــة الجيـــــ	ـــل ، ولكن قـــد كان أعظم حمـــــلا
نحـــن حرب على التخلـــف طـــرا ،	كيف نبقى بؤســـا وسقمـــا وجهلا ؟ !
ليس منـــا مـــن كـــان غرا جهولا !	ليس منـــا من كان عضوا اشـــلا !
ويـــد الالـــه في الجماعـــة ســـر ،	اكثـــر الفـــرد جهـــده ام اقـــلا
نحن عـــزم وهمـــة ومضـــــــاء ،	وعــــن الواجبـــات لا نتخلـــى
ليس منـــا مـــن لـــم يدن بوفـــاء	وولاء بـــــه الجميـــــع تخلـــى
وحـــد العـــرش شملنـــا حولـــه دو	مـــا ، فمرحى للعرش يجمع شملا !
تضحيـــات في اثرهـــا تضحيـــات ،	ونفوس لـــم تـــدر شحـــا وبخـــلا
قـــد عشقنـــا اوطاننـــا ، فحكينـــا	في خلايـــا الرضـــاب والشهد نحـــلا
انـــت يعسوبنا ، ونحن حواليـــ	ـــك اجتمعنا جندا امينـــا ، وثولا
حبنـــا راق في رقيـــق المعانـــي :	اين منا غرام (قيس) و (ليلى) !؟
دابنـــا في الغـــرام صدق ، وانـــا	مـــا خشينا في الحب لوما وعذلا

قـــد غزا الشعر روعة القمـــر العـــا ـــلـــى قديمـــا ، وبالخيـــال تسلـــى

ونرى الآن فيـــه معجـــزة العلـــــ ـــم ، فاسراره غـــدت تتجلــــــــى

انمـــا البـــدر فوقـــه ظهـــر البـــد ر ، فصارت آيـــاته الغـــر تتلى

رايـــة (المغرب) استقرت وحيت فوقـــه العاهـــل العظيم الاجلا

*
**

فى (الرباط) استقام (مؤتمر القـــ ـــمة) ، مرحى ! اذ يجمع الله شملا !

اضرموا النار فى (المسجد الاقـــ ـــصى) ، فيا ويلهم ! انسكت ؟ كلا !

وارى دولـــة العروبـــة والاســـــ ـــلام قامـــت للجـــد قولا وفعـــلا

تستجيب النـــداء (الحســـن الثـــا نـــى) الذى ازداد فى المحافل فضلا

وارى فى (منظمـــــة الوحـــــــــ ـــدة) (صهيون) ، استحـــال الأذلا

— * —

الف بشرى للرائد (الحسن الثـــا نـــى) ، فهذى محاسن منه تملى

سمعة فـــاح فى الوجود شذاهـــا ، وجـــلال بـــه الجمـــال تجلـــى

ووفـــود الاخـــوان فى الوطن الاكـــ ـــبر الفـــوا حبـــا صميمـــا واهـــلا

نحن احرى الورى بتوحيـــد صـــف وايماننـــا نكـــون بالفـــوز اولـــى

عرشنـــا فى نظامـــه يبهـــر العـــا لـــم ، اذ صار بالحصافة مولـــى

لـــو تجوب الاقطار طـــرا لما شـــا هدت قطعـــا للمغرب الحر مثـــلا !

اننـــا فى (مسيرة الفتح) قـــوم بكتـــاب وسنـــة لـــن نضـــلا

اننـــا امـــة علـــى العدل قامـــت تتحـــدى المستعمـــر المستغـــلا

وفلسطين قدسها ، المسجد الاقـــ ـــصى ، سيغدو محررا مستقـــلا !

انما المسلمون فى الديـــن والدنــــ ـــيـــا كيان ، وعزة لن تـــذلا !

ظهـــر الحـــق ، واقتـــرب الفتـــ ـــح ، وقلب الاعداء فى الهول زلا

وجنـــود الرحمان دابهـــم النصـــ ـــر ، فمهلا ، سيطلع الفجر ، مهلا !

يـــا مليكى ، انت المرجى لشعب ولانت الكريم ، تحـــمل كـــلا

ونبـــى السلام والخير ، قد كنــ ـــت لـــه ، باعث الفضائل ، نحـــلا

قصيدة أخرى للشاعر محمد بن محمد العلمي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[800]:

جلال ذكراك فوق الشعر والنغم ،	وفوق ما يصف الوصاف بالقلم
(ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها	عقود مدح ، فما ارضى لكم كلمي)
أن الغرام الذي في القلب جذوته	هو الذي جعل المحبوب شدو فمي
فالدفء في عصبي ، والعشق في كبدي	والحمد في عيدك الميمون ملء دمي
مفاخر (الحسن الثاني) وهمته	نزهو بأمجادها في موكب الامم
من سيد الخلق طه عنده قبس ،	والجوهر الفرد كل غير منقسم
قد وحد الوطن الغالي والهمه	ملاحم البعث والتشييد للهرم
فعرشنا العلوي الله ناصره ،	نظامه ثابت من احسن النظم
مناره قد هدى منا العقول الى	نيل المكارم والآلاء والنعم
احبه الشعب ، والرحمان أيده ،	وصانه دائما من أجمع النقم
وفى معية رب العالمين له	نور به تتنحى وحشة الظلم
من يعرف الله كان الله حافظه	من الشدائد والزلات والغمم
يا باني المجد ، يا نور اليقين لنا ،	أبشر بما نلت في العلياء من شيم
صحراؤنا أنت من تحيي اصالتها	نعاد تاريخها نارا على علم
مسيرة السلم عنوان انتصارك في	ركب الى وحدة الاوطان مزدحم
مواكب الفتح للقرآن حاملة	وصوت تكبيرها كالرعد في الاكم
تزهو وترتفع الرايات في يدها ،	وطبعها هيبة كالاسد في الاجم
يا قائد الزحف ، والامجاد تبعثها ،	والشعب لباك ، لم يحجم ولم يجم

قصيدة أخرى للشاعر محمد بن محمد العلمي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[801] :

تلك ذكرى المسيرة الحسنيه تتباهى بالامة المغربيه

حيث ارضى بها (الحسن) لشهم الها له وارضى نبيه

فهو اعطى لشعبه اروع الامثال في الملتقى وفي الاريحيه

وانطلاق المواكب الخضر صوت سمع العالمون طرا دويه

الف مرحى للقائد (الحسن الثاني) الذي هز كل نفس ابيه

حبه ملء قلبنا ، فهو شهد ، ورحيق يجري بكل خليه !

ورث الخامس العظيم ، فكانت منه فيه المفاخر الابويه

* * *

تلك ذكرى مسيرتنا الخضراء عادت بالمعجزات البهيه

فأعادت من الجهاد فصولا تتجلى في الوحدة الوطنيه

والفتوحات هاهنا تملأ الدهر وتحيي الروائع السندسيه

لبس المجد تاجه في حمانا ، وتناهى للدولة العلويه !

أنجبت للبلاد كل عظيم قد حباه الاله حب الرعيه

نحن بالعرش أمة قد اقامت مجدها ، فهي بالعهود وفيه

بيعة اثر بيعة ، وولاء ، واعتزاز بالحضرة والمولويه

والكرامات دائما عند آل البيت تترى في اللوحة الاحمديه!

لم يخب قط من جعل الله بصدق وكيله ووليه

قد كتبنا تاريخنا بنضال رصعته الملاحم الابديه

والمسيرات هاهنا في اتصال ، لنماء وعزة قوميه

نحن قبل التاريخ عرقا واصلا ، نرسم الخلد بالنفوس الرضيه

قصيدة للشاعر عبد الكريم التواتي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[802] :

مسرات الحياة اتتك عيدا ... وحفت عرشك الابقى سعودا
وعهدك افعمت ابدا سلاما ... وامنا خالدا ، ورخا اكيدا
وعهدك للبلاد ربيع عمر ... فما ذار له نشر البرودا
وما توجت في ءاذار عفوا ... ولكن الديان رءاك عيدا
رءاك لذي الحياة اجل معنى ... فحبب للحياة بك الوجودا
وللدنيا ربيعا طاب مغنى ... وراق مباهجا وزكا ورودا
فاضفى من بها الايام عطرا ... على اقداس عرشك لن يحيدا
واولاك المحامد خالدات ... وبوأ ملكك المجد الوطيدا

* * *

وكنت بما حباك من المزايا ... لكل المكرمات منى وعيدا
فعيدك للزمان شعار امن ... وبشرى ما يزال بها سعيدا
وللاوطان رمز سوف يبقى ... على مر العصور هدى رشيدا
وللاسلام في شرق وغرب ... امان قد رءاها له رصيدا
بك الدنيا زهت ، وبك الليالي ... تتيه وتشتهيك لها مريدا
يمر الدهر والايام تترى ... وما تنفك للاعياد عيدا
ولا عجب ففي مغزاك سحر ... يعيد الاشيب الاضوى وليدا
اليس بذكرك العطر المندى ... تغنى الشعب واحتضن البنودا
وردد في علا ذكراك لحنا ... له الاطيار رجعت النشيدا

قصيدة للشاعر الجزائري مفدي زكرياء في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[803] :

على نبضات الشعب ، رقعت الحاني ... ومن نشوة التحرير ، لحنت اوزاني

وانشدت في افراح شعبي ، وترحه ... روائع ، لم يصدع باعجازها ، ثاني

وخلدت من مجد العروبة صفحة ... رسمت على عنوانها وجه قحطان

وملء عروقي ، صارخ دم يعرب ... فالهمني ينبوع يعرب ، تبياني

وتيمني حب الجزائر ، فارتوى ... نشيدي في الساحات ، من دمها القاني

وفي المغرب الجبار ، ناشدت وحدة ... سبقت بها ـ في فجر عمري ـ اقراني

واحببت اوطاني رضيعا ، ولم ازل ... اغني مع الدنيا ، بامجاد اوطاني

وهمت بابناء العروبة ، يافعا ... ارى كل ابناء العروبة اخواني

ورضت القوافي الجامحات ، فاسلمت ... وناديت عملاق القريض فلباني

سهولتها ، تفري البسيط وانها ... من العمق ، تستعصي على كل (وزان)

وما ذاك : الا ان شعري من دم ... يفجره وعيي ، وحسي ، ووجداني

وشعرهم ، بدع من الخلق (مشكل) ... ولا رحم فيه لكعب ، وحسان ...

تعلقت بالفصحى ، فاشربت حبها ... وارغمت منها ، انف من يتحداني

اذا كان للشيطان فضل عليهم ... فشعري وحي ، لا وساوس شيطان

وقالوا : مدحت المالكيــن ... اجبتهـم: هل المـدح فى غير المناجيـد من شاني ؟
اذا ما استقـام المالكـون ، مـدحتهـم وصفت مديحـي مـن قواعد ايمانـي
ولـولا كفـاح ... ما مدحت (محمدا) ولا جئت بالآيـات ، فى (الحسن الثاني)
مــن العلـويين الاماجــد طهــرت ارومتهم فى الكـون ، اصلاب عدنـان...
همـا شرفـا ملكـا ، وما شرفـا بـه فيا سعد من يقفو خطى الملـك البانـي
ومن لم يـوف الحـر شكـرا ، مكابـر ومـن يجحـد الانسان ، ليس بانســان
همـا من صميم الشعب ، خاضا كفاحـه وكم شاطراه ، فى عــذاب وحـرمـان
ومـن يستهـن بالتاج ، من اجل شعبـه يعش خالدا ، فى شعبه طول ازمـان....

* * *

ورب ملـوك شيـدوا الملـك بالـدمـا على جثث المستضعف الكـادح العانـي
وناموا على حقـد الشعوب ، يصونهـم من الشعب ـ فى ابراجه ـ الف شيطـان
وفى الشعب بركـان ، اذا انشق صـدره تلقف ملكـا ، عرشـه فـوق بـركــان
هو العدل يحمي الملك ، (لا البيض والقنا) وفى عبـر التاريـخ اصـدق بـرهــان

* * *

بني المغـرب الاقصـى ، هنيئـا بموسـم بـه اعتز شعب ، وامحى ضل (مريان)...
هنيئـا (بني امـي) بعيـد خلاصنـا من الغاصب المستعمر ، الغادر ، الجانـي
ومرحـى ليوم ، صـاح فيـه (محمـد) على المنبـر الاعلـى ، باقـدس اعـلان
وحـل (ربـاط الفتـح) فتـح رباطـه واغلـق باستقـلالـه ، عهـد طغيـان
وقـام على الانقـاض يصنـع مغـربـا ويبعث فى ارجـائـه ، عصـر مـروان

وبجمع شملا ، حول عرش ، قوامه محبة شعب ، لا مهابة سلطان

ويخلق جيلا ، من نبيل كفاحه يشق به صدر العلا ، خير ربان

ويسمو به شطر البقا ، يسرع الخطى لمدرسة ، منهاجها هدي قرآن

ويدفع شعبا ، للبناء ، بهمة ترى عزة الاوطان ، في دعم اركان

فيصعد خلدا ، مستريحا ضميره وفي شعبه ـ من صنعه ـ الحسن الثاني

الى « الاسمر العملاق » اهدي تحيتي وما غير اخلاصي لشعبك اغراني

وفي صانع التاريخ ، تسمو قصائدي ويرجح في دنيا العروبة ، ميزاني

اقدس فيك العلم ، والفكر ، والحجى ورفعة انسان ، وخبرة يقظان

وعهدا صدوقا ، في الجلاء حفظته وطهرت ارضا ، من رواسب ادران

قصيدة أخرى للشاعر الجزائري مفدي زكرياء في أمير المومنين الملك الحسن الثاني[804]:

انا ـ لولا الفدا ـ وحق شبابك باعث الشعب ـ ما خشعت ببابك

ولو ان الرحاب ما كنت فيها تصنع المجد ... لم اصل برحابك

فيك قدست ـ مذ عرفتك ـ نبلا عربيا ... كم عز في اترابك

فيك خلدت عبقرا يلهم الفكـ ـر ، فيختط نهجه من صوابك

وضميرا يشع ملء حنايا ك ، وروحا تموج ملء اهابك

وشبابا موفقا يصدع الغيـ ـب ، فتجري الامور طوع طلابك

وحفاظا ، يصرف القدر العـ ـاتي ، فينساب عدله بانسيابك

وبـآل الرسـول شـرفـك اللـ ـه ، فشرفـت آلـه بانتسابـك

ذبت في الشعب فارتضاك وليـا ومضـى للحيـاة خلـف ركـابـك

مذ تناسـى الملـوك حرمـة شعب ضيعـوه ... لم تنسه من حسابك

ودعـا للفـدا ... فكنت المجلـي وتنـادي ، فصلت قبـل جوابـك

وابتغـى الحكـم في المصيـر فقـرر ت ـ وفـاء ـ مصيره بانتخـابـك

فيك كـم حقـق ابن يوسـف عهـدا يـوم حققت عهـده في انتـدابـك

فيـك آمنـت بالتنـاسـخ لـمـا ان تبينت روحـه في ثيـابـك

اعذروني ـ ان شئتم ـ او فلومـوا انـا الهمت حجتـي مـن خطابـك

انـا صدقت يـوم صدقت بالشعـ ـب ، وقدست وحيـه في كتابـك

انـا ايقنت يـوم ايقنت ان الـ ـحكم للشعب وحده ... فسما بك

ورايـت الملـوك تحتكـر الامـ ـر ، ففوضت امره ... فاحتمى بك

ملك الصاعدين ... ان جاد شعري فيك ـ مولاي ـ فهو مـن آدابـك

واذا قمـت في مغـانيـك اشـدو ان للقلـب شعبـة في شعـابـك

وطنـي مغربـي ... واهلي بنـوه ان ما بـي من حبه ... مثل ما بك

ذكـريات ملء الحشى ـ خالـدات عـابقـات ، نـديـة كتـرابـك

سوف القاك بعـد (عشر) بأرض شاقهـا الوجـد حرمـة لجنابـك

بلـد جـل في فـداك فـداه وتعـالـى غـلابـه مـن غـلابـك

اينما كنت ... انت في المغرب الحـ ـر ، وبيـن الاباة مـن اصلابـك

رضي الله عنك .. ما دمت تبنـي وحـدة عـزهـا كعـز شبـابـك

قصيدة أخرى للشاعر الجزائري مفدي زكرياء في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[805] :

جلال العرش ، والامل المطل ؟ ... ام البشرى ؟ ام النبأ الأجل ؟

أم الذكرى ؟ وكيف تقام ذكرى ؟ ... لعيد ، كل ثانية يهل ؟

ذروا عد السنين فكل يوم ... لعرش الراشدين ، يقام حفل

ومن سبق الزمان ... هل الليالي ... لضبط حسابه كفؤ واهل ؟

وما الحسن العظيم .. سوى امتداد ... لخلق ... فيه للخلاق ظل !

وما حسناته ، الا سطور ... محجلة ... يموج بها السجل

وما وثباته ، الا سفين ... به انطلق الشراع المستقل

وما هبواته ، الا سرايا ... يواكب زحفها دين وعقل

وما عرصاته ، الا منار ... اذا التبست لدرب المجد سبل

وما ضاقت الدنيا بحر ... ففي الحرم الامين له محل

ومن فقد الأحبة في بلاد ... فملء دروبها صحب واهل

ومن ثكل الشباب ، ففي حماها ... يعاوده الشباب المضمحل

(رباط) تبسم الدنيا لديها ... ويكرم نازل ، وينال سؤل

وتلتئم القلوب ، على صلاح ... كان هداتها للخير رسل

كأن الله صور انفراجا ... اذا انقطع الرجاء ، وآد حمل

فيا من تطلبون لها مثالا ... اما زعموا بأن الخلد مثل ؟

لئن صدقوا ... عدلت عن المعاصي ... وبت .. فلا ازيغ ولا أزل !

الهي .. ان ذكرتك في صلاتي ... فباسم بديع صنعك استهل

قصيدة للشاعر الأستاذ وجيه فهمي صلاح في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[806] :

الله أكبر جـــاء النصـــر والظفـــــر ... فاعزف لمن صنع الامجاد يا وتـــــــر

انا قفزنـــا الى العليـــاء يدفعنـــــــا ... عرش مجيـــد وملـــك كلـــه نظـــــر

والشعب خلفهمـا عـــزم وتضحيـــــة ... أركانه الحـــب والاخـــلاص والاطــــر

يبني ويعلي صروح المجد شامخـــــة ... وان يزعزعـــه جـــن ولا بشـــــــر

* * *

يا أيها الحســن المعتـــز جانبـــــــه ... بالله انـــك باســـم الله منتصـــــــر

انا بفضلـــك قـــد نلنا مطامحنـــــــا ... اذا رسمت يلبـــي الدهـــر والقـــــدر

لأنت فى هالة الاخـــلاص مؤتلـــــــق ... تنير درب الليالـــي السود يا قمـــــر

تساهـــر النجم كي تحيـــا مرابعنـــــا ... يا من لعزتنا يحلـــو لـــه السهـــــــر

* * *

أنت المثنى مقيـــم فى جوانحنـــــــا ... ونحن جنـــدك تدعونـــا فنأتمـــــــر

ثالوثنا من خيوط الحـــب ننسجـــــه ... أغلى شعـــار لـــه فى عزنا اثـــــــر

الله والوطـــن الغالـــي وسيدنـــــــا ... سبط الرسول وفى احكامه عمـــــــر

وعرشه الحـــر فى أذهاننـــا قـــبس ... من نور طـــه لنـــا فى عـــزه وطـــر

تسعى لرفعته فى دارنـــا زمـــــــــر ... هي الوفاء فنعم العـــرش والزمـــــر

الدين من حوله والنـــور يدعمـــــــه ... بالله معتصـــم بالعقـــل مقتـــــــدر

قصيدة أخرى للشاعر الأستاذ وجيه فهمي صلاح في أمير المومنين الملك الحسن الثاني[807]:

بلدي يا أغلى من ولدي
أفديك بروحي والجسد
وأعيذك من شر الحسد
بالله الحافظ والصمد

لتظل منيرا بالحسن

من خطط وثبتنا الكبرى
بمسيرة فتح للصحرا
من أحرز للمغرب نصرا
وأفاض على الرمل البشرى

سيف القانون أبي السنن

آفاق العلم تطالعنا
وتحيي قائدنا الحسنا
من شاد معالمها وبنا
أمجادا تذكي نهضتنا

لنظل مصابيح الزمن

من اشرقَ فى الافق العربي
شمسا تختال على الشهب
بسديد الراى وبالحسب
وبطول الباع وبالنسب

واضاء على هذا الوطن

مولاي أيا عالي الهمه
ومحقق آمال الامه
ومنير لقاءات القمه
بالعزم الصادق والبسمه

فى السر هواك وفى العلن

الله يبارك وحدتنا
ويسدد دوما خطوتنا
ما دام العاهل قدوتنا
وهداه ينير بصيرتنا

سنحقق آمال الحسن

بمياهك والعشب الاخضر
يا وطني والزهر الانضر
وصباحك بالعرش منور
ومليك يغدق كالكوثر

البشر يلون وادينا

فى عيدك يا ملكي الغالي
يا أول حب لا ثاني
بلساني انشد الحاني
وأمجد عهدك بجناني

يا حامي المجد وحامينا

أنا بمسيرتك الخضرا
حررنا الساقية الحمرا

واعدنا أمجاد الصحرا
لنتمم وحدتنا الكبرى

ونحقق حلو آمانينا

بهداك تعم ثقافتنا
وترود الافق شبيبتنا
وتعز بجهدك امتنا
فتهز الكون حضارتنا

فى حاضرنا أو ماضينا

يا ربي أطل عمر الغالى
وامدده بنصر متوال
يا ربي وفى كل مجال
كي نبلغ حلو الآمال

بالحسن الثاني راعينا

قصيدة للشاعر شهاب جنبكلي في أمير المومنين الملك الحسن الثاني[808] :

قـل للمـليـك الأشـهـب عظمـت شـأن المغـرب

وحملـت نفسـا حـرة وسحقـت كيـد الاجنبـي

فى يـوم عيـد اليمربـي

* * *

الشعـب يهـدي روحـه والحـر يحمـي أرضـه

والشـرق يرفـع راسـه فى يـوم نصـر المغـرب

* * *

الحـق نـادى أهلـه والمجـد يبنـي صرحـه

والقلـب يكشـف سـره حـب المليـك الأنجـب

* * *

عـادت ليالـي عـرسنـا والأرض تدعـو سعينـا

واللـه يحفـظ عرشنـا عنـد انتصـار الأهيـب

* * *

صحـراء قـد عـدت معـي خابـت أمانـي المدعـي

يا أرض هبـي واسمعـي صـوت الجليـل الارحـب

افنـــي حياتـــي جاهـــــــدا والعـــزم يفـــدي الحـاقــــدا
والعقــل يبغـــي ساعـــــدا سعيــا للدحــر الغاصــــب

* * *

تحـريــر ارضـي عـــزة أعيــت عـــدوا هـــزة
لا تثقـــــــي يا حـــــرة سمعــــا لشجــو مطـــرب

* * *

يا قائـــدا متســـامحـــا فيـــه تدعـــى مفلحـــا
ولســت تفـدو رابـحـــا نحـو الطريــق الأصـــوب

* * *

ربـح المليـك الطـاهـــرة للشعــب تمســي ظافـــرة
عظمــت بعيــن ساهـــــرة للــه فـــوز الصيهـــب

* * *

دار علاهــــا فارتقـــــى واعطـى فأوهـــب واتقـــى
فجـر جـديـد اشـــرق كـــان انتصـــار الاوهـــب

* * *

الحـــر يكفيـــه الـفـــدى والعـــرش قـــد أســـدى يـــدا
لا تسألــن عـــن الصـــدى دنيـــا تفــــي للاطيـــب

* * *

حلـم المليـك الاعـظـــم يـنـــدى بقلـــب أجهـــم
والحـــب للمتظلـــم يحيـــا لشعـــب كـــالأب

قصيدة للشاعر العراقي باقر سماكة في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[809]:

العاهل «الحسن الثاني» الذي ارتفعت ... علياؤه بين أوطان وأقطار

قد سار بالمغرب الميمون طالعه ... وحاز كأس العلا في كل مضمار

وفي مسيرته الخضراء ما وهنت ... خطاه، يمضي بتصميم وإصرار

عليه كل أماني العرب قد عقدت ... بعودة القدس من فاشية العار

وجمع كل شتات قد أضر به ... شعار «فرق تسد» بالأهل والجار

ومن يديه ترجي العرب قاطبة ... ضماد جرح شديد النزف نغار

يا سيدي جئت من بغداد أحملها ... عواطفا من هوى في القلب موار

للأهل في المغرب الحر الشقيق هم ... عون لنا عند أنواء وإعصار

ونحن عون لهم، شعبان ضمهما ... شمل الإخاء لدى يسر وإعسار

قد وحدت بيننا أهداف أمتنا ... للذود عن حرمات عند أخطار

وبيننا من صميم الود أعمقها ... وشائجا منحتنا خير أثمار

في كل بيت ببغداد يرن صدى ... من الرباط وفيه ألف تذكار

ولي بمغربكم بل لي بمغربنا ... من ذكرياتي التي مرت وآثاري

ما يملأ النفس تحنانا ويدفعني ... شوقا ويقدح مني زندي الواري

حتى كأني هنا والدار نائية ... عني، بموطني الثاني وفي داري

عواطف الحب كالأغصان ناشرة ... ظلالها غب هطال ومدرار

قصيدة للشاعر التونسي الطاهر القصار في أمير المومنين الملك الحسن الثاني، منها هذه الأبيات[810] :

اهنيك من بعد العزا مترحما ... لمن صان اوطان العلا وحمى الحمى

اهنيك بالملك الذي انت اهله ... وبالعرش مرفوع العماد مدعما

اهنيك بالرضوان من خير والد ... حدا بك للمثلى وانشاك مسلما

ولقنك العرفان والعقل والهدى ... واسدى بما اسدى اليك وانعما

فكنت بذا نعم الخليفة وارثا ... مناقب شهم بالمكارم قد سما

له المغرب الاقصى مدين بعزة ... وكم بذل التواق للعز من دما

ومن خطب العلياء هان عزيزه ... وضحى وفاء للعلا لا تكرما

اهنيك لكن ان سلكت طريقه ... وكنت لشعب الاطلس الفرد ضيغما

ترد العدا مستبسلا ومفاديا ... وتحرس من والى واولى وسلما

فما الملك فى مد اليمين لقبلة ... وما الملك فى لبس الشفوف تنعما

ولا فى عروش ساميات وثيرة ... ولا فى قصور شامخات الى السما

ولكن باسعاد الذين تسابقوا ... لبيعتك الفرا اماما مقدما

وحسب اصيل الراي ان يجعل الحجا ... الى قمة المجد المؤثل سلما

وما الشرف الموروث الا وقاية ... تقي المرء من امارة السوء كلما

لافريقيا يا وارث الملك عزة ... بها الارض غنت والزمان ترنما

فهب طروبا بالفخار (حبيبها) | وواعدها كي تستقل واقسما
فكن عند حسن الظن ياحسن الرضا | ولا تدع الشعب الشقيق مقسما
وخذ من بني الخضرا حبيبا مساندا | فللعزم والاقدام والحزم انتما
وكونا الى الاخت الجزائر عدة | تحررها من قيد رق تحكما
فويل الوغى غطى عليها بمده | فزلزل حبات القلوب واضرما
وما ذل جار الاكرمين ولا انتمى | لهم احد الا وبات مكرما

* * *

اليك التحيات الزكيات والهنا | بشعر زرى در العقود منظما
يرد عيون الناظمين حسيرة | ويطرب من اصفى له متفهما
يعارض نسجا قد تسامى طرازه | ختمت به شعري فقلت متمما
(هناء محا ذاك العزاء المقدما | فما عبس المحزون حتى تبسما)

قصيدة في أمير المومنين الملك الحسن الثاني من نظم شاعر موريتانيا ومؤرخها المختار بن حامد[811]:

اهلا وسهلا بعيد العرش من عيد | لطاقة الدين فيه أي توليد
عيد اذا عاد عاد البشر يشفعه | وان تجدد يشفعه بتجديد
عيد اعتلاء امير المومنين على | عرش الجدود السراة القادة الصيد
جلالة الحسن الثاني ابن سيدنا | محمد خامس الغر المحاميد
جئنا لنشهد من ذا العيد عيد هدى | فهو اول شيء عيد توحيد

عيد العنايـة بالقـرآن يقـرؤه ... مدبـروه بترتيـل وتجويـد

عيد يروج بـه ماصح مـن سنـن مرويـة بصحيحـات الأسانيـد

عيد (المدارك) من فقه (ممهـدة) سبل الوصـول اليـه أي (تمهيد)

عيد التقى والنقا والخير اجمعـه عيد الندى مطلقا مـن كـل تقييـد

دعا معالي سفيـر المغرب الجفلـى جمعـا تعادى لـه عـدو الخفاديد

جاءت جماهير من عـرب ومـن عجم مـن القـرى وزرافات من البيـد

يستبشرون بعيد جـاء موعـده يسابقـون لذكـرى ذائـه العيـد

غصت بجمعهم دار السفيـر فهـم حشـو الزرابي فيها والسجاجيـد

وثـم جاليـة شـم مغـاربـة كانـوا لنا زينـة كالعقـد للجيـد

فـي ليلة جذبت ضوء النهـار لنـا فكان في (منوي) منها الضوء في (ميد)

وكان ماكان من فضل ومـن كـرم يجـل عـن كـل تحديـد وتعديـد

فأنى السفيـر لنا ردح الجفان الـى قـرع القواريـر أفـواه البراريـد !

الى مفاكهة أشهى وأعـذب مـن ما في العراجين يجنى والعناقيـد

وللرجال مـن الاكـرام جانبهـم وجانـب للغوانـي الخـرد الغيـد

حتى اذا ما قضوا من ذاك نهمتهـم هـب الرجـال لترديد الأناشيـد

وللدعـاء لمولانـا الرضـى حسـن بكـل عـز واعـلاء وتصعيـد

والغيد تعمر من بشـر ومـن فـرح اوقاتنـا بزغاريـد وتغريـد

لله ما كان من نعـم السفيـر الـى تلك الجماهير مـن عطف وتوكيـد

واللـه نسـأل تعميـرا لسيدنـا في ظل نصر وتمكيـن وتأييـد

ان الدعاء له مـن لـب واجبنـا واعـرق العـاد فينـا والتقاليـد

إمام وقتنا أمير المؤمنين الملك المعظم محمد السادس بن أمير المؤمنين الحسن الثاني

في مدح الملك المعظم محمد السادس ما لا يحصى من القصائد، فقد مدحه شعراء المغرب والمشرق. وقد جمع مؤرخ المملكة السيد عبد الحق المريني مجموعة من هذه القصائد التي نُظمت في مدحه حفظه الله وذلك في مؤلف كبير أسماه "المحمديات". وهذا ما اخترناه من هذه القصائد:

<u>من قصيدة "عظيم ... بالبرهان ! " من نظم الشاعر علي الصقلي وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[812] :</u>

يا لَعيدِ الأنوارِ في العُنفوانِ ... رَمزَ أصْفَى مَحَبَّةٍ دُونَ شانِي!
تِلْكَ أنوارُكَ الجَزَاءُ لِشعبٍ ... ذاكرٍ مَا أنيلَ في كلِّ آن
أفينسَى بُردَ الكَرَامَةِ مَا منـ ... ـكَ غَدَا لُبْسَهُ بكلِ مَكانِ؟
إنْ يكنْ خَادماً لعَرشِكَ فَالخَا ... دِم، بالحُبِّ منك، طَوعُ البَنَانِ
مَا انثَنَى ضَارباً بكَ المَثَلَ الأعـ ... ـلَى لخُلْقٍ مُنوّرٍ في العَنانِ
وَلعَطْفٍ عَليْه منكَ جَليلٍ ... وبُرورٍ وَرأفةٍ وَحَنانِ
وقُصَارَاكَ أن تَرَاهُ يُجِدُّ الـ ... ـسَيْرَ نَحْوَ العُلى وَشُمّ المَغاني
وَلَعَمري لَذاكَ في عُمقِ أعْمَا ... قِكَ عَيْنُ الرّضَا وَرَأسُ الأمَاني

* * *

سيّدي، هَل عَلِمْتَ أنك أحْيَيْـ ... ـتَ مَوَاتاً، وَشانُ ذا أيُّ شانِ؟!
قَد أحلتَ البلادَ رَوْضاً كأن أُو ... ليتَ كَفّاً لمَاهرٍ بُستَاني!

في البَوَادي وفي الحواضر يَزهو يَالها من مُسَلسلات جِنان!
هَاهنَا، رَهنَ كلُّ طَرْف، جَمالٌ ليسَ يَنفَكُ سَاحراً لِلْعيَان
وهناكَ الفَريدُ من كلِّ حُسنٍ فاتنٍ، دونَه عقودُ جُمان!
تلكَ بُشرى للشّعب بالخيرِ يَاتيـ ـه كِفاءً ودونها نُقصَان
كُلّما جدَّ جِدُّهُ ضُوعِفَ الخيـ ـرُ، وَسَالَ الغِنَى عَلَى أزْمَان
وتَوارَى الشّقاءُ فَقراً فَلا أشـ ـقَى، وَلا أفقرَ، لا هَمّ نابَ للحرْمان

قصيدة "ملك القلوب " من نظم الدكتور عباس الجراري وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[813] :

وافتْ هديتُكم تَسرُّ وتُسعدُ وعلى مكارمكم تدلُّ وتَشْهَدُ
جاءت تُبشّر بالصيام وشهره تُذكي المشاعرَ للعبادة تُوقد
شهرٌ أتَى أعقابَ مَوْلد سيّدي فالتهنيآتُ لكم تُثَنّى تُفرَد
ماذا أقولُ مهنئاً أو شاكراً غيرَ الدعاءِ لكم بما قد يُحْمَد
عِز ونصرٌ والوفاءُ لعَرشكم وولاءُ شعبٍ للحبيب يُغَرّد
ونَشيدُهُ ماشِدْتُمون وإنه عمّا يُكنُّ لكم طَروباً يُنْشد
حُبٌّ وأدعيةٌ وما قدْ كُنتمُ عَبّأتموه له يَقومُ يُشَيّد
والكَفُّ يرفعها بِطول حياتكم والصّدقُ دوماً في حشَاه مُخلَّد
فَلأنتمُ مَلكُ القلوبِ بعطفِكم وبما الإلاهُ يُعينُكم ويُعضّد
ولْيحفظِ الحسنَ الرّضي وأختَه يَحدُوهما نهجُ الإلاه ويُرشد

من قصيدة "ذكرى المكرمات " من نظم الشاعر الصديقي سيدي فوزي وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[814] :

أذكرى العْرش جئت بكل عيد	وجئنا كي نبايع من جديد
أتينا بالتحايا بالورودِ	نحيي زين فخر للعهود
أتينا بالتّهاني بالأماني	نبارك للمليك بخير عيد
أمير المؤمنين من اعتلى في	ذرى الأمجاد نجما للسعود
وَبَوَّأ قُطْرَنَا أعلى مقام	وشرف شعبنا شرف العميد
محمدنا أسادس عقد مجد	وأفضل من قضى دين الوعود
أعز عروبة ورجاء قدس	ورمز خلافة وهدى وطيد
بعدلكم لسان الدهر يزهو	وأكرم بالمجادة من مجيد
لفضلكم الدنا تبدي وتحكي	فقلت من الفخار لها أعيدي
ومغربنا بكم أضحى كتاج	بمفرق أمة الهادي الحميد
حباكم ربكم بسني ملك	فأشرق عهدكم بسنا جديد
وأمسى أمركم أمرا رشيدا	وطاعتكم من الدين السديد
فإجلال لكم إجلال رب	رضاكم من رضاه على العبيد
وإن يك طب شعري من ثناء	وغرّد في مديح كالنشيد
فلم يمدح سوى خير البرايا	بما أطرى على أسمى حفيد
ومن أثنى على غصن لدوح	فقد أثنى على الأصل المديد
ألا دامت لك الأفراح تترى	فبشرى عرشكم برِضاً سعيد

من قصيدة "عيد السرور " من نظم الشاعر عبد الكريم بقاش وهي في تهنئة أمير المومنين الملك محمد السادس بعيد الأضحى [815]:

عيدُ السُّرورِ تلألأت أنوارُهُ ... وتفتقت بشذى الهنَا أزهارُهُ

وبدت كواكبُ سعده في أوجهَا ... وعلى غُصون الدَّوح يشدُو هَزارُه

قد أقبلَ الأضحى السعيدُ بيمنه ... وبهديه الأسمى يلوحُ وَقَارُهُ

هذي مواسمُهُ المجيدةُ قد زَهَتْ ... بجميلِ برٍّ فالفداءُ شعَارُهُ

أضحَى يُجَدِّدُ عهدَ رُشد فاتحاً ... بابَ القبولِ وقد فَشَتْ أسرارُهُ

عيدُ المسرة قد تناسقَ عقدُه ... فالبذلُ تَاجُهُ والسدَادُ سوَارُهُ

وتهللت بسنا مباهجه الدُّنَى ... والكل فضلاً عمهم آثارُهُ

وصفت نفوسٌ غبطةً بنسيمه ... وبه عن القلب انجلت أكدارُهُ

والروحُ تسمو في مَعارج أنسها ... إذ هزها من جُوده إيثارُهُ

حُييتَ يا عيداً أشاعَ مباهجاً ... طابَ الزمانُ وأورقت أشجارُهُ

والدينُ يرفلُ في مطارفِ حُسنه ... قد أيدَتْهُ بعزمها أنصارُهُ

لاسيما فخر الملوك ومن له الشـ ... ـرفُ المؤبد مَنْ علا مقدارُهُ

أعني أميرَ المومنين محمداً ... السادسَ المولى تسامى فخاره

ملكٌ به افتخر الزمانُ تباهياً ... وبكل مكرمة سرت أخبارُهُ

ملكٌ له عرش الخلافة قد غدا ... أمناً لربع قد زهت أقطارُهُ

قصيدة "يا سادس العرش المجيد " من نظم الشاعر عبد الكريم بقاش وهي في تهنئة أمير المومنين الملك محمد السادس بإحياء ليلة المولد النبوي الشريف[816]:

يَا «سَادسَ» العَرْشِ المَجيد وَوَارثاً — فَخْرَ المُلُوك السَّادَة الأعْلام

يَا مَن بِه الرَّحمَنُ أيَّدَ دينَهُ — فَغَدَا لِرُكْنِ حِمَى الشَّرِيعَة حَامِي

هُنِّئتَ يَا مَلِكَ البِلادِ بِلَيْلَة — تَسمُو بِعزَّتِهَا عَلَى الأيَّام

فِيهَا بَدَا نُورُ النُّبُوءَة مُشْرِقاً — يُجلي ضِيَاهُ دَيَاجِيَ الأوْهَام

أحيَيْتَ شَامِخَ مَجدهَا في مَحفَل — يَزهُو بِرَوْنَق حُسْنكَ البَسَّام

فَتَلألأتْ جَنبَاتُه بِسَنَا البَهَا — وَبِه تَأرَّجَ طِيبُ الأنْسَام

وَبكَفِّ مَيَّاد الغُصُون تَسَاجَلَتْ — مُدَّاحُكُم بِرَوَائع الأنْغَام

حَفِظَ الإلَهُ جَنَابَ عِزِّكَ نَاصراً — بسَديد عزمكَ شرعَة الإسْلام

وأقر عَيْنَكَ بالأمِير المُرتَضَى — «حَسَن» المَلاحَة ذي المَقَام السَّامي

وعلَيْكَ مِن سِرِّ العِنَايَة حلة — وَكَلاءَة مِن رَبِّنَا العَلاَّم

وَعَلَى فَقيد المَجْد وَاكِفُ رَحْمَة — تَروي ثَرَاهُ بِصَيِّب سَجَام

وَاسلَمْ وَدُمْ للشَّعْب يَا قمرَ العُلاَ — في العزِّ طُول تَعاقُب الأعْوام

لازِلْتَ في كَنَف الإلَه مُؤَيَّداً — بِسَوَابغ الإفْضَال وَالإنْعَام

من قصيدة "من سرت أنقل للرباط تحية " من نظم الأستاذ الشاعر الهادي محمد القماطي وهي في أمير المومنين الملك محمد السادس[817] :

ليبيا - للأستاذ الشاعر الهادي محمد القماطي

شدت إليك رحالها العلماء ... واستبشرت بلقائك الفضلاء

وأتوا إلى قصر (الرباط) ينوفهم ... مجد تنيه بفخره الجوزاء

في المغرب الأقصى وجدت عروبتي ... شعب علته شهامة وإباء

بلد يشيد مع الزمان حضارة ... حتى غدا في عصرنا طغراء

آباؤكم شادوا التليد وحق أن ... تبني الطريق بدورها الأبناء

** **

لما أطل على الوجود بنوره ... شهر الصيام وهلت الأضواء

تركوا بلادهم ولبوا دعوة ... لك أيها الملك المعظم جاءوا

من كل فج في البرية شامخ ... فيه لصوت المسلمين نداء

ركبوا مطايا الجو وهي عزيزة ... والعز ما سارت به الأجواء

الله أكرمني فجئت إليكموا ... ولسان حالي غبطة وثناء

من ليبيا البلد الشقيق يهزني ... شوق وحب صادق ووفاء

من ليبيا الشعب الوفي لشعبكم ... من بيت علم آله كرماء

من (سرت) أنقل (للرباط) محبة ... فيها وداد خالص وإخاء

قصيدة "أمير المغرب والمؤمنين " من نظم الشاعر التونسي محمد بن البشير المثلوثي وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[818] :

وفيت بكل عهد في الوجود	وجدت بدعوتي بعد الوعود
أجبنا دعوة الملك المفدى	ولبينا لنوفي بالعهود
وجئت إلى بلاط الملك أسعى	وزاد الشعر يُفْصِحُ بالجديد
لقد مرت من السنوات ست	ومولانا على العرش النضيد
فأصبح عيده عقدا نظيما	يناط به على جيد العهود
سأمدحه بشعري ما حييت	ليخلده ثنائي في الوجود
أمير المغرب والمؤمنين	به لُذْنَا من الدهر العنيد
وأقرب للصريخ وإن تناءى	لدى الأهوال من حبل الوريد
همام كل من آوى إليه	فقد آوى إلى ركن شديد
أخو الجود الذي جاءت إليه	عفاة البر من فج بعيد
وعم نداه أهل الأرض طرا	فروى الكلّ من فوق الصعيد
زكا أصلا فطاب الأصل فرعا	وأكرم بالطريف وبالتليد
كريم يستفيد الفضل منه	وليس سوى نداه بالمفيد
نبيل فاق في خلق وخلق	على المخلوق من بيض وسود
وحاز المجد من آباء صدق	نمتهم للعلا أزكى الجدود
كرام قلدت كرما وفضلا	قلائد جودهم جيد الوجود
مناقبهم سرت في كل فج	إلى شرقٍ، إلى غربٍ بعيد

مكارم طار طائرها بشأو | كما سارت كواكب بالسعود
مساع تترك الأوهام حسرى | ولم تترك سبيلا للصعود
ألا يا ابن الأُلى سادوا البرايا | وشادوا المكرمات بكل جود
«أشاكيكَ الزمان وسُوءَ حَظى» | ولي ربي وأشعاري شهودي
شكاية من له ظلما أضيعت | حقوق بين قال أو حسود
فدهر جاحد وزمان سوء | أشد علي من خصم لدود
وجسم قد أذابته الليالي | ويوشك أن يرى تحت اللحود
وشعر يملأ الأدراج عندي | ولم ينشر لفقدي للنقود
فجنبني مذلة كل سؤل | لكي أحيا لمدحك كل عيد
يجازيك «الإلاهُ» بكل خير | ويعفو عنك في يوم الوعيد
فلي من كل مكرمة دليل | على فضل به كثرت شهودي
وشعر فاق شعر «أبي نَواس» | وإن (قد) فاته عصر الرشيد
ونظم تقتفي الشعراء طرا | قوافيه فتأتي بالفريد
زففت إلى علاك عروس فكر | تردت بالجميل من البرود
وحيدة دهرها فاقت جمالا | فتاقت أن تزف إلى وحيد
فخذها من حسان النظم يلهو | بها الندمان عن فن وعود
ودم كدوام فضلك في رباطٍ | يبشرنا بقاؤك بالخلود

قصيدة "ذكرى السرور " من نظم الشاعرة الموريتانية خديجة بنت محمد اليدالي

وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[819] :

أذكرى الفخار وذكرى السرور ... هنيئا بيمن علينا يدور

أظلّك عيد لعرش مجيد ... فطاب الهناء وعم السرور

فعمراً طويلا لمغربنا ... ستبنى الشعوب بذك الجسور

ويبقى اتحاد لمغربنا ... قويا عزيزا ويحمي الثغور

فنبقى جميعا مغاربة ... بعزم قويم وقلب غيور

وإن الولاء نجدده ... بعمق المشاعر ملء الصدور

لمن في القلوب له رفعة ... وقاه الإله جميع الشرور

وإن المواطن في نشوة ... يحيي المليك بصوت جهير

محمد ألسادس المجتبى ... لأمن البلاد وخير الدهور

نباهي الشعوب جميعا به ... مضيء البلاد وبدر البدور

فنهدي السلام له جملة ... ونبدي النحور فداه النحور

ومولاي الحسن ابن له ... ولاية عهد المليك الوقور

نحييه شوقا وحبا له ... مدار السنين وكل الشهور

فيهنأ كثيرا ونهنأ به ... وألف سلام عليه يدور

سنلقى الصباح على فرحة ... ونحي المساء به في الحبور

سنعبر للنور ملء الخطا ... ونسقي التلال بماء الصخور

فتشدو الطيور لنا فرحة ... وتبدو الصحاري بلون الزهور

قصيدة "الملك المعظم " من نظم الشاعر العراقي عبد الحميد الشريف وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[820] :

المُلك في المَلك المعظم باق	أبدا يضيء كمطلع الإشراق
المُلك فيك موطد ومعزز	بك بين أعراق الكرام تلاقي
المُلك راح جلالة وسيادة	بك يا محمد حجة الميثاق
والمجد عندك من نتاج سلالة	شمخت بطهر الدين والأعراق
تلك السلالة للنبوة تنتمي	قامت بإذن الواحد الخلاق
عزّت بعزّ إمامة وكرامة	وتميّزت بالحق والإحقاقِ
أجْدادُكُمْ آباؤكُمْ أبناؤكم	بهدى السماء توشحت بنطاق
جئتم سلاماً دائما ومحبةً	وبكم تفوز محامد العشاق
يا سادسَ الأمجادِ باسمِك يعتلي	شرف البلاد بمطمح الأحداق
لمْعُ المكارم في جبينك بارقٌ	ومآثر الإيمان والأخلاق
ومنابعُ الإيثارِ منكم تستقي	ولها بمجموع القلوب سواقي
حيث الرعية من منابع لطفكم	شربت لذيذ نميرها الدفّاق
ومشت سماحتكم دليلا للورى	بعطائها وبنهجها المصداق
في كل أفئدة الرعية بيتكم	يسمو على الهامات والأعناق
وتنافس الحسنات في مضماركم	أقصى خيول تنافس وسباق
وصفاء فطرتكم وبهجة حسنها	كالسلسبيل ومائها الرقراق
والعدل راح مرافقا لطريقكم	ومصاحبا دوما لخير رفاق

قيم المحاسن في محاسن أصلكم كنت السياجَ لها وخير رواق

أهديك أشعاري بصدق مشاعري حبا تعالى عن رياء نفاق

وأهنئ الشعب الأبي بمغربي باسم العراق وإسْم كل عراقي

شعب الأماجد والغطارف والإبا تاريخه حتى القيامة باق

في المغرب العربي موطن مطمحي فعلاه يسطع كالسنا البرّاق

وأعيذه من مدعين محبة من كل مصطنع الهوى أفّاق

لولا علي ما بلغت سيادة لنراك منتميا لأصل راق

لولا أبو الحسنين ما اختَار العلا أصلابكم لتنال خير مراق

من قصيدة "معلقة المغرب " من نظم الشاعر السوري الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي وهي مكونة من 136 بيتا في بيان مآثر أمير المومنين الملك محمد السادس[821]:

إلى عَلياكَ تنتسبُ المعالي	وفي مَغناكَ تستبقُ الأماني
وفي فلكِ المحامدِ أنتَ بدرٌ	مصُونٌ عن خُسوفٍ أو زوالِ
وفي روضِ المكارمِ أنتَ زهرٌ	تفتّحَ باسماً فوقَ التّلالِ
وفي ساحِ المفاخرِ أنتَ مسكٌ	شذاهُ يفوحُ من طيبِ الغوالي
وفي نادي السّماحةِ أنتَ بحرٌ	خضمٌ تُجتنى منهُ اللآلي
وفي مضمارِ أهلِ الجودِ غيثٌ	نداهُ يجودُ كالمُزنِ الهطالِ

* * *

وبينَ كواكبِ الأمجادِ شمسٌ	يعيشُ الناسُ منها في الظلالِ
وإن يتسابقِ الحُكماءُ يوماً	أتيتَ مُجلّياً وسواكَ تالي
وإن ذُكرَ المُلوكُ فأنتَ طودٌ	عظيمٌ قد علا فوقَ الجبالِ
فأنتَ مُحمّدٌ إسماً ومعنًى	إذا ما رُمتُ مُختصرَ المقالِ
هو اسمُ المُصطفى المختارِ طه	رسولِ اللهِ جدِّكَ ذي الكمالِ
وأنتَ بهِ اقتديتَ فكُنتَ حقاً	مثالاً لاتّباعٍ وامتثالِ

قصيدة "ملك الحداثة " من نظم الشاعر الإماراتي الدكتور مانع سعيد العتيبة وهي في مدح أمير المومنين الملك محمد السادس[822] :

ملك الحداثة والشباب محمد — السادس الباني المُجدُّ العامل

آتي إليك وفي الفؤاد محبة — وأراك كلّ محبتي تساهل

فلك انتساب للنبي محمد — ولديك إرث المكرمات الفاضل

مذ ارتقيت العرش سرت أعين — شهدتك يا ابن الأكرمين تناضل

حضنتك أفئدة الجماهير التي — أحببتها فسعت إليك تبادل

هذا هو العرش الممجد قائم — في قلب شعب بالوفا يتواصل

وبكل ما في الحب من قيم الوفا — آتي إليك وفي الحروف رسائل

وأقول : أنت هو الرجاء لمغرب — بك أنت يا ملك المحبة آمل

يا أيها الملك الذي في خطوه — تخضر صحراء ويعشب قاحل

اجمع صفوف المخلصين وسِرْ بِهِمْ — للمجد إنك يا محمد واصل

قلبي يراك ودمع عيني راسم — لك صورة البدر الذي يتكامل

ضمت جروح الشعب في فقدانه — لأبيك واجتاح القلوب تفاؤل

فيك الشباب عزيمة وثابة — وبك التعقل مثل عزمك باسل

وأرى التقدم في يمينك صاقلا — سلمت يمين عز فيها الصاقل

هذا هو البعث الجديد لمغرب — مع قائد بهمومه يتفاعل

ويسير للقرن الجديد مسلحا — بالعلم والإيمان لا يتخاذل

لما رآك الشعب تفرش دربه — بالحب حتى لا تضل قوافل

أعطاك ما يعطي المحب حبيبه ... فلك المحاجر والقلوب منازل

لم تدخر جهدا ولا وقتا وذي ... أصداء فعلك يا مليك تناقل

الزرع هذا وقته وأوانه ... فازرع لتسعد بالحصاد مناجل

تحتاج هذي الأرض معول عادل ... يا أيها الملك الوفي العادل

وأراك خير مزارع في أنفس ... ترنو إليك وأنت غيث هاطل

أنت الذي لمس الجراح مداويا ... بمحبة فبك التسامح شامل

لما التقينا قلت لي بمودة : ... البيت بيتك ما لدينا عازل

فأبو ظبي أخت الرباط وكلنا ... عرب وفي شداتنا نتكافل

أمطرت عطفك فوق أحرف شاعر ... فتوهجت فوق السطور مشاعل

وانساب شعري رافعاً لك راية ... يرقى المحب بها ويشقى العاذل

ستؤكد الأيام صدق بيانها ... وسيستقي منها الجواب السائل

وستحتفي شمس الخلود بنورها ... فهي الحقيقة ما اعتراها الباطل

واسلم مليك الشعب نبضي شارح ... حبي إليك مع الحروف وقائل

الباب الثاني:

أمراء الدولة العلوية

الأميرة للا خناثة بنت بكار زوجة السلطان المولى إسماعيل

كانت الأميرة خناثة بنت بكار قد توجهت إلى الحج وذلك في أيام ولدها مولاي عبد الله، وصحبها حفيدها سيدي محمد بن عبد الله وحاشية كبيرة، فقوبلت بحفاوة عظيمة من أهل الحرمين الشريفين ووزعت هناك ما يزيد على مئة ألف دينار على المحتاجين وأكرمها العلماء ومدحها الشعراء. ومن جملة ما مُدحت به؛ قصيدة للشيخ محمد بن علي الحسيني الطبري إمام المقام الخليلي ونصها[823] :

غنى على عـود السعـود هزارى ... وشـــدا عـلى الأوتار بـالأوطار

والأنس طاب لنا بـأوقـات الهنا ... بســلامــة الحــجــاج والزوار

لا سيـمـا بسـلامـة الست التى ... حظيت بـبيت الـله والأستـــار

فلها المنى بوصال من قد جاورت ... والأكــرمــون يرون حق الجـــار

فـاحت بهـا أرجـاء مكة رغـبـة ... ومــحــبـــة من ســائر الأدوار

وهى الحقيـقة بالجلالة فى الورى ... فـجـلالة الأضـيـــاف ليس بعـار

والله قـــد ألقى عليـهـــا دائمـا ... حـسن القبـول كسيمـة الأخيـار

وهى الحليـمة والكريمـة ما لهـا ... فى الجـود ثان مـثل غـيث جـار

ولهـا كـمـال وافـــر فى عـفـة ... ولهـا حـيـاء فـاق فـى المقـدار

فـالله يحـملهـا بحـسن رعـاية ... مـنـه إلـى مكـنـاس بـالأوطـار

ويحـفـهـا بـسعـادة وسـيـادة ... من كل ســوء مـــاضى أوطارى

وعلى الـنبى وآله وصـــحـــابه ... صلى وسلـم ذو الجـلال البـــارى

ما غردت ورق الريـاض بدوحها ... وترنمت فـى سـائر الأســحـــار

الأمير محمد العالم بن السلطان المولى إسماعيل

ومن شعر ابن زكري على ما ذكره صاحب الترجمانة هذان البيتان اللذان خاطب بهما العلامة الأديب الأمير محمد بن السلطان المولى إسماعيل وهما[824] :

البدر ليس يلوح ساطع نـــوره والشمس واضحة السنا فى الحال
فاذا توارت بالحجاب فعند ذا يبـــدو بـدو تعـــزز وكمـــال

ومن نظم الأمير محمد بن السلطان المولى إسماعيل قصيدة يخاطب بها شيخه أبا عبد الله المسناوي، ويتشوف إلى فاس وهي[825] :

أَلا ليتَ شِعري هل أُنَزِّهُ ناظري وللِنَّفْسِ إِقْبَالٌ بِوَادِي الجوَاهر
أُمتِّع طرْفي في رِيَـــاضٍ أَنيقةٍ وأقطِف أزهاراً بها كالزَّواهر
بِحيثُ تُرَى أُسْدُ العَرِين صَرِيعةً وقد فتَكَتْ فيها ظِبَاءُ المَقَاصر
وحيث تُرَى غُلْبُ الحدائق سَلْسَلَتْ
حَديثاً صَحِيحاً عن نَسِيمِ الأَزَاهر
وقد نسَجت كفُّ النسيم عَشِيةً دُروعَ مِيَاه بين تلك النَّوَاعِر
وأَصبَحَتِ الأَطْيَارُ فَوْقَ غُصونِها فِصاحاً تَقُصُّ فوقَ خُضْرِ المنابر
سقَى اللهُ أَدْوَاحاً بفاسٍ عهِدتُها تُغَازِلُ أنوَاءَ الغُيوثِ الموَاطر
ولا برِحتْ عينٌ تَراها قَرِيرةً وان قَذَفَتْ بالقَلْب جَمْرَةَ حائر
لكَ اللهُ من إِلْفٍ بِدَرْعَةَ جِسْمُهُ وَقَلْبٌ بفَاسٍ في قُدَامَةَ طَائر
تُراوِحُه الأَشواقُ في كل ليلة فَما بَيْنَ مُزْوَرٍّ هَواه وزَائِر
ولو انَّهُ يُعْطَى على قدر مِثْلِه لَكَانَ له ما بَيْنَ يُسْرٍ ويَاسِر

ولعبد الله العلوي الشنقيطي قصيدة طويلة يمدح بها الأمير محمد العالم بن السلطان إسماعيل ومنها[826] :

دَع العِيسَ والبَيْداءَ تذْرَعُها شطْحا   وسُمْها بُحُورَ الآل تَسْبَحُها سَبْحا

ولا تُرْعِهــــا الا الذَّمِيلَ فطالمـــا   رَعتْ نَاضِر القَيْصُوم والشِّيح والطَّلحا

ولا تُصْغِ للناهــــين فيها نَوَيْتَه   وخَفْ حيثُ يُخفِي الغِشَّ مَن يُظهِر النُّصْحا

فكُن قمراً يَفْري الدُّجا كلَّ ليلـــة   ولا تكُ كالقُمْرِيِّ يَسْتَعْذِب الصَّدحا

وقارِضْ هُمومَ النفس بالسَّير والسُّرى   على ثِقَـــة بالله في نَيْلك الرِّبحـــا

وأمَّ بِسَـــاطَ ابن الشريف محمـــد   مُبِيد العِدا ذكرا ومُبْدي الهُدى صُبْحا

فتىً يسَعُ الدنيا كما هي صدرُه   فأمسى به صدرُ الديانة مُندَحّا

ومن هديه ساوى النهارَ ولَيلَه   فأمسى يُنير الخافقين كما أضْحى

ومما قاله الأديب ابن زاكور في مخاطبة المولى محمد العالم بن السلطان إسماعيل على لسان الشريف أبي عبد الله الصقلي[827] :

أَدامَ الله مـولانا العلِيّا يحاكى الزُّهْر والزَّهر الجَنيّا

ذكيَّ الخُلق زَيْنَ الخَلق يحيِ م النَّواظِر والخَواطر حيثُ حيَّا

وحيّاهُ الإِلاهُ بكُل فَضْل ولاَ زَالَ العَلاَءُ له نَجيَّا

أَمولانا الذى خفَض الثُّرَيَّا وَبَانَ به العُلاَ بشَراً سويًّا

لقَد أَضنَتْ مَحبَّتُك المَزَايا كما أَضْنَى الهوَى غيلاَنَ ميّا

بحَارُك لاَ تُكدِّرُها دِلاءٌ إِذا ما كدّرَتْ يوماً رَكيّا

أَمِيرُ المُؤمنين أَبُوكَ من قَد أَتَاهُ رَبه مُلْكاً عليًّا

وَجدُّك خيْرُ خلق الله طُرًّا بحَسْبِك أَن تَكُونَ لَه سمِيًّا

فكيفَ وقد عكفْتَ على عُلاَهُ وصِرْتَ بكَنْزِ سُنتِّهِ غنِيّا

وجنَّبْتَ المَثَالِبَ والمَثَانِى وصيَّرْتَ الهَوى يهْوِى هُويًّا

وبيْنَ يدَىْ خِطَابك يا ملاَذى أَبُوحُ بما غدَوْتُ به شَجيًّا

بعَادُك يا مُحمَّد وهْوَ سُمٌّ أَعان البَثَّ والشَّكْوَى عليًّا

ونَارُ الشَّوق وهى أَحرُّ نار رَأَتْ قَلْبِى بها أَوْلَى صُلِيّا

فِرَاقُك صيّر البيضاءَ سَوْدَا لأَنَّك كنْتَ كَوْكَبَها السَّنِيّا

أَما شَاقَتْكَ فَاسُ ؟ فَقَبْلُ شَاقَتْ لَيالى السَّفْحِ مولانا الرَّضِيا

لعَلَّ أَباكَ ينبُوعَ المعَـالى مُعِيدَ رَمِيم ميْت الفَخْر حيّا

يكُونُ بكُم على فاسٍ سَخِيًّا كما كان الزّمان به سخيّا

يرُدُّ لمَطْلَع الخُلفاءِ مِنكم هِلاَلَ الفَضْل مُلتاحاً بهِيّا

فيسرجُ منك غيهَبُنا فنلقى بكَ الآمالَ باهِـرة المُحَيَّا

مما ذكره العلامة عبد الله كنون في كتابه أمراؤنا الشعراء قوله[828] :

{...ومن اللطائف الأدبية أن الأمير الشريف أخا محمد العالم كتب إليه بقول سيف الدولة:

رَضِيتُ لَكَ العَلْيَا وَإِنْ كُنْتَ أَهْلَهَا
وَقُلْتُ لَهُم بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَرْقُ
أَمَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ أَكُونَ مصليا
إِذَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ السَّبْقُ

فاقترح المولى محمد العالم على الشيخ المسناوي الجواب عنه فقال:

بَلَى قَدْ رَضِيْتُ أَنْ تَكُونَ مُجَلِّيا   وَيَتْلُو نَدَاكُم فِي العُلَا مَنْ لَهُ السَّبْقُ
وَمَا لِي لَا أَرضَى لَكَ المَجْدَ كُلَّهُ   وَأَنْتَ شَقِيقُ النَّفْسِ إِنْ عُرِفَ الحَقُّ
وَلَكِن ذَوُو الضَّغْنِ انْتَحُوا ذَاتَ بَيْنِنَا   فَغَادَرَهَا إِفْسَادُهُم وَبِهَا رَتْقُ

...}

الأمير زيدان بن السلطان المولى إسماعيل

ومن نظم المولى محمد بن السلطان إسماعيل قوله يخاطب أخاه المولى زيدان[829] :

أَبْلِغِ الزَّيْدَانَ عَنِّي آيَةً (فَسُيُوفُ) العَذْلِ (تَشْفِي) ذَا (العِلَلْ) .
كَمْ لَنَا يَا ابْنَ العُلاَ مِنْ وَقْعَةٍ كَانَ مِنَّا الفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
حَصْحَصَ الحَقُّ وَلاَحَتْ شَمْسُهُ وَزَمَانُ الغَيِّ وَلَّى وَانْخَذَلْ
وَ(زَمَانُ) النَّصْرِ (قَدْ آنَ) وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ الجِدُّ قَوْلاً وَعَمَلْ

ومما قاله الأمير زيدان بن السلطان إسماعيل[830] :

لم أَنسَ يومَ زارني قمَري فَكَمُلَ الأُنْسُ به اذْ جلس
قبَّلتُ منه الخَدَّ مُخْتَلِساً وانَّما العَيشُ الشهيُّ خُلَس
ومِلْت للثَّغر على غِرَّة مِنْه فَما أَطْيَبَ ذاكَ اللَّعس
فجادَ لي بالرِّيق حيثُ دَرَى أَنِّي عليلٌ لا أُطِيقُ النَّفس
وبتُّ نَشْوَانَ بِعَافِيَةٍ أَغْتنِمُ الفُرْصَةَ عند الْغَلَسْ

الأمير الشريف بن السلطان المولى إسماعيل

ومما مدح به الأمير الشريف قول أبي عبد الله محمد العلمي المعروف بالحوات[831] :

سرُّ الإمامةِ قد أَبانَ النُّورَ   في وجهِ مولانا الشريفِ سُرورا

ومنها :

ومدحتُ أَقْواماً وذاك سفاهةٌ   مِنِّي فما مِنهُم جَبَيْتُ نَقِيرا
كم مِن مديحٍ قلتُ فيه قصيدةً   فِيمن يُعدُّ مِن الأَفاضِلِ خيرا
ويعدّه دار الكرام أخا النَّدَا   وله أصولاً في النَّوالِ ودُورَا
ولكَم فتىً يُدعَى جواداً ماجِداً   متهلِّلاً عند العَطَا مَبْشُورا
فبلوتُه مُستمْنِحاً مُستَنْجِداً   فوجدتُهُ في النَّائبات ضَجُورا
قِدْماً بعُدت ولم أَبِتْ مِن شقوتي   عنه مَلُوماً خائباً مَحسورا
وتَغُرُّنِي أَطْمَاعُ فَقْرِي غَيْرَةً   مِــنِّي بها وأحقَّهن غُرورا
مَا كنتُ أَحسِبُ والعقائد رُبَّمَا   تاتي بِعكسٍ كُنْ بِذَاكَ بَصِيرا
إِنِي أُقَلِّدُ دُرَّ نَظْمِي جِيدَه   كمقلِّدِ الدَّرَّ السَّنِي خِنزيرا

ومنها

فَتَحَ الكريمُ مصارعاً قَد فُجِّرتْ   مِنها عيونٌ بالندا تَفْجيرا
مَن نال دُنْيا لِلتَّرَفُّهِ بَعْدَمَا   عَضَّ الكلابُ عَصاهُ كان قَتورا
مَا الجودُ إِلَّا ما تَوَارَثَ أصله   فِي الأَكْرَمِينَ الطَّيِّبِين عُصُورَا

خُذْها إِليك خريدةً عَلَمُ الْحَيَا   مِن فَوْقِ حُلَّتِها غَدَا مَنْشُورَا
تُبكي وتُضحِكُ في الرفاق وقولُها   عَجباً لِمَنْ يُهدِي القَرِيضَ جَرِيرَا

ومنها

وعَلَيْكَ يا شَمْسَ الزَّمَانِ تَحِيَّةٌ   تَغْشَى حِمَاكَ عشِيَّةً وبُكُورا
مَازَال جودا عادةً دُرّاً صفا   في سِمْطِهِ إِذْ قَلَّدته نُحورا

الأمير الحسين بن سيدي محمد بن عبد الله

ومن شعر الأمير الحسين نجل السلطان سيدي محمد بن عبد الله [832]:

نحن الكماة فإن تهتز رايتنا ... جاءت تظللنا في الجو عقبان
حتى إذا ضحكت أسيافنا نزلت ... لأكل لحم العدا والأرض عقيان
كأنما دعيت إلى وليمتنا ... فالحرب عرس لنا والفتك سلوان

الأمير إبراهيم بن السلطان المولى سليمان

وفي حج الأمير إبراهيم بن السلطان المولى سليمان وعودته للمغرب، مدحه جماعة من أدباء مصر وغيرها بقصائد نفيسة، ومن جملة من مدحه؛ الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي، والذي بعث بقصيدة إلى والده السلطان سليمان يمدح نجله ويهنئه بالقدوم ويذكره فيها أيضا وهي التي ذكرناها عند جمعنا للقصائد التي نظمت في السلطان المولى سليمان، وفي نفس المناسبة ونفس الغرض قال الأديب الشيخ حمدون بن الحاج الفاسي قصيدة في تهنئة الأمير المذكور ووالده السلطان[833] :

بشراك إبراهيـم بالإقبـال … إقبال عز لم يكن فـي البال
أوتيت رشدا من لدنه ورحمة … أوتيت سؤلا لم ينل بسؤال
بشراك بالحج الذي كنت المقد … م صادقا فيه وكنت التالي
بانت نتيجته فذلك واجب … صدق لها في سائر الأحوال
أذنت في الناس بحج فانبـرت … من كل فج مقبل برحال

وطلعت شمس الغرب من عجب عجا … ب أن جليت مسكن الزلزال
والكل تحت لواك في ظل ظليـ … ل آمناً ماخيف من أهوال
وكذا أبوك بيوم زحف طالع … والكل تحت لوائـه بظلال
أنزلت بالمكي والمدني والشـا … مـي دار الوحـي والانزال
دار النبوءة والرسالة والسـ … ولكل قلب لم يكن بالسالي
دار لشرح الصدر من ضيق ووضـ … ـع (...) الذكر من إهمـال (34)
دار السيادة والرياسـة أطلعت … شمسا بهـا لم تتصف بزوال
لبيوت ارتفعت لذكر الله والتسـ … ـبيح بالغـدوات والآصال
بمقام إبراهيم نلت مثابـة … جلت وأمناً مذهب الأوجـال
وكذاك في مغنى أبي ابراهيم رو … ض المحاسن زهـرة الآمال
وكذا ببيت القدس دار الزهر من … دار لإبراهيـم أصـل الآل
فطلعت إبراهيم ذا كسر وذا … خفض جناحا طلعـة لهـلال
ورجعت إبراهيم ذا فتح وذا … رفع كمالا فوق بدر كمال
سر من الأسرار في كسر وفي … فتح جمال لائح بمجال
ما كان من بلغ المنازل سامعا … أهلا وسهلا يانزيـل نزال
ولمن أحلكها آحلـك مثلمـا … لك من سنا الأعمال والآمال

بشرى أمير المؤمنين بما اشتهى   في شبله صالح الأعمال
بشرى أمير المومنين بما انتهى   لـه طيره الميمون في الترحـال
لازال مطلع نجم نجل صالح   أنواره تمحـو ظـلام ضـلال
ابني علي مالكم إلا العلـ   و بكل دهر سافـل أو عـال
أبني أبي حسن بني الحسن الذي   قطب ابي الاقطاب والابدال
كأبيكم الحسن البهي أبي أبي   الحسن الشريف المنجلي بخـلال
بخلال اشتهرت بيوم نازل   تغني عن الآلاف من نزال
لأبيكم الأدنى علـي مثـل ما   لأبيكـم الأعلـى علـي وال
لهما بذي كفر وقائع كتبت   بصفيحة الأعناق من أبطال
أنتم ملوك ظاهرا أو باطنا   والباطن الملك النفيس العالي
ولكـم ملـوك سـادة بمناقـب   جرت لأرض المعتلي بعوالي

يا أيهـا الملـك الـذي آثـاره   تنبي عن أخبار له في الحال
يا أيها البحر الذي في الشرق ما   في الغرب من ذكر له بخصال
وافتك من خضراء تونس مدحة   تزري بشرب الصرف من جريال
خود تؤنس رائيا أو سامعا   بنقوش خط أو نقود مقال
جاءتك ترفل في لباس جليت   فيه وحليت عقـود لآل
وصدقت إبراهيم في أمداح ابـ   راهيم سبط الملك والإفضال
سبط النبوءة والخلافة لم يزل   بهم ترى في عزة ودلال
أطربت اذ أطنبت حتى كان   إيجازا ولكن جل عن إخلال
أعجزت إذ أوجزت حتى كان إطـ   نابا ولكن صين عن إملال

وأتيت بالسحر الحلال مؤلفا — من مدح شبل الى أبي الأشبال
ملك بغرب كاد من شوق به — شوق يجيء بنبل كل منال
ملك حلت أمداحه للسامعين — ختامها كبراعة استهلال
يا بن الرسول الهاشمي بن العـوا — تك من نسائم أشرف الأخوال
خذها بنيَّةَ ساعة لا كره في — حمل ولا وضع لها وفصال
بنت ابن خنساء. وعباس ابنها — من لام بحر الجود في اقلال
لكنه من وجد اعقب قاطعا — للسانه عنه بسبب نوال
ما إن رأت كفؤا يكمل حسنها — وبه تجر الذيل في الكمال
إلا ك ياشمس المعالي والمعا — ني والجمال مطرزا بجمال
‹الاك يابدر الفضائل والفوا — ضل والكمال معززا بكمال
إلاك يابحر الحقائق والدقا — ئق والجلال مؤزرا بجلال.
ياناثرا من فيه زهر خمائل — مزري بنثر من فم ابن هلال
يامن بذكره سار كل مشرق — ومغرب سيراً كسير شمال
وبه القماري فائح أو صائح — طيبا وصوتا مذهب البلبال
لازال ذكرك متلوا بمنابر — لازال حمدك مثل حمد التالي

الأمير علي بن السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام

وفي عودة الأمير علي بن السلطان المولى عبد الرحمن من الحج، وجه له صاحب جيش العرمرم قصيدة يهنئه بها بكمال حجته، وسلامة رجعته وهي هذه[834] :

نضت عن محياها المحجبة السترا ... وأبدت على خوط الأراك لنا بدرا
وقامت تجر الذيل من نشوة الصبا ... كما ريع ظبي عندما استشعرا الذعرا
وباحت بأسرار الغرام تهتكا ... وتلزمنا في الحب أن نكتم السرا
ومن فضحته في هواه دموعه ... وأرهقه التبريح من أمره عسرا
وأضرمت الأشواق بين ضلوعه ... ضراما فلم يسطع خلاصا ولا صبرا
تسابقه في جريها عبراته ... ومن ذا يرد السيل إن وجد المجرى
فكيف يواري بعد ذلك سره ... وقد عاد منه السر بين الورى جهرا
فذاك الذي لا يختشي لوم لائم ... وذاك الذي في الحب قد بلغ العذرا
يهيم به مستعذبا لعذابها ... فلا يرتجي وصلا ولا يشتكي هجرا
فتاة زهاها حسنها وجمالها ... فلم ترض سدلا للبراقع والخمرا
تميس كغصن البان رنّحه الصبا ... تخال بها سكرا وما شربت خمرا
وما هو إلا أن أتاها مبشر ... يقول لمن في الحي يهنيكم عشرا
هنيئا فنجم السعد قد لاح طالعا ... وأصبحت الآمال يانعة خضرا
فمن كان يرجو أن توافيه المنى ... فقد آن أن يرضى وحقت له البشرى
فقد عاد مولانا أبو الحسن الذي ... يقول أنا سعد السعود ولا فخرا
سليل أمير المؤمنين وشبله ... وصارمه إن حاول الفتكة البكرا
علي الذي قد شرقت ثم غربت ... علاه فلم تترك حجازا ولا مصرا
ومن كعلي في المكارم والندى ... إذا ما الغمام الجون قد منع القطرا
ومن كعلي في مصادمة العدا ... إذا اقتادها جردا محجلة غرا
{فتى ذخرت منه الليالي ذخيرة ... سيوسعها جبرا إذا صادفت كسرا}
له همم أعلى من النجم قدرها ... فما قيصر قد نالهن ولا كسرى
وقد عاد من أرض الحجاز مهنأ ... بأفضل سعي فيه قد ربح التجرا
وفاز بحج واعتمار وزورة ... لخير الورى أعظم بما ناله قدرا
تسنم أثباج البحار إجابة ... لداعي الهدى مستسهلا مركبا وعرا
ولما استقل البحر منه بمثله ... عجبنا لبحر حامل فوقه بحرا
وهبت له باليمن من كل جانب ... رياح من الإقبال دائمة المسرى

إلى أن أحلته السعادة منزلا   بمكة في مثواه قد وقع الإسرا

وطافت به بين المقام وزمزم   وقبل ما في الركن واحتجر الحجرا

وشاهد هاتيك المواقف كلها   ونال من الخيرات مرتبة كبرى

وقال له الإسعاد ها أنت والمنى   ودونك فالدنيا تجيبك والأخرى

ومن بعدما حاز الرغائب كلها   وودع بيت الله واستكمل الأمرا

دعاه اشتياق المستجن بطيبة   فصار يجوب البيد والمهمه القفرا

تلوح له الأنوار من نحو يثرب   وتهدي إليه الريح من أرضها العطرا

فود لو أن الريح كانت تقله   على منتها أو كان قد صاحب الطيرا

فما زالت الأكوار والعيس ترتمي   به ودواعي الشوق موقدة جمرا

فلما تبدت للحبيب دياره   جرى الدمع واهتاجت صبابته الحرى

وخرت وجوه العاشقين على الثرى   سجودا لمولانا الذي أوجب الشكرا

هنالك تعتز الملوك بذلها   ويترك فيه الكبر من ألف الكبرا

هنالك حيث الدين لاحت شموسه   وحيث بدا الإيمان واختزل الكفرا

منازل حن الجذع فيها لأحمد   وزلزلت الأحزاب إذ مكرت مكرا

منازل كان الوحي فيها منزلا   وكانت لها الأملاك زائرة تترى

مواطن كانت تحت باطن أخمص   به وطئ المختار فبالعرش إذ أسرى

ألم تك أهلا أن تداس بأوجه   وتجعل في الأجفان تربتها الغبرا

تراب يهين المسك نفح أريجه   ويرخص أثمان اليواقيت والتبرا

فلو ديف من ذاك التراب وضمخت   به عاهة كانت بتضميخها تبرا

أمولى الموالي يا علي بلغتك ما   رجوت من الفخرالذي جاوز الشعرى

دخلت على باب السلام مسلما   على سيد الأكوان خير الورى طرا

كذاك على الشيخين سلمت بعده   ضجيعي رسول الله في الروضة الغرا

وصليت بين القبر والمنبر الذي   لديه يحط الوزر إن أثقل الظهرا

شفيت غليلا واقتضيت مآربا   جلائل لكن لا تباع ولا تشرى

{وجاءك نصر الله والفتح فارتقب   لمطوى نصر الله أن يعقب النشرا}

وأعطيت كنزا من مواهب ربنا   فأعظم به كنزا وأكرم به فخرا

وألبسك المولى الكريم ملابسا   من العز لاتبلى ولاريبها يعرى

بعز أمير المؤمنين وسعده   وأيامه اللاتي عرفنا بها الخيرا

فنسأل ربي أن يمد ظلاله   ونسأل ربي أن يطيل له العمرا

الأمير مولاي عبد الرحمن بن زيدان

وفي مدح مؤرخ الدولة العلوية عبد الرحمن بن زيدان ومدح الملك محمد الخامس قال أديب القطر الشنجيطي العلامة السيد ماء العينين بن العتيق[835] :

امن خاض بحر العلم في فلكه الوسطى

الى شطه والغير ما جاوز الشطا

وما رام في أفق التآليف مرتق ❀ مساقتنا ته الا حرج واتحطا

فؤادك في الآداب جولت طرفه ❀ فما قصبات السبق الا له تعطى

وما لك فضلا يا (ابن زيدان) مشبه ❀ ولو شط في شأو للمفاخر ما شطا

وعترتك الأملاك أبقت مآثرا ❀ أظلت لها في كل مكتبة مرطا

هم نثروها في الأقاليم لؤلؤا ❀ واقلامكم في الصحف تنظمها سمطا

أقر بها الأماق منكم مؤلف ❀ وعلق في الآذان من سبكها قرطا

فما هو الا الدر لله دركم ❀ ومن ذا سواكم يودع (الدرر) الخطا

رآه امير المومنين (محمد) ❀ وفي ما اقتضاه عز مبلغه شحطا

أجل تواريخ السلاطين رتبة ❀ وأجزلها لفظا واجملها قسطا

وأرشدها هديا وأبعدها مدى ❀ وافضلها مغزى واكملها ضبطا

فـال جميـل الطبـع منـه لـ(طبعه)

وكان بذا الأسلوب يستحسن البسطا

وذاك اعتناء منه بالعلم والعـلى ❀ وما الله من فخر لأسلافه أعطى

مـآثر أبقاها (الرشيد) فصنوه ❀ فالابناء فالأسباط سبطا يلي سبطا

نجوم سماء و(ابنُ يوسف) شمسُها ❀ عقود جمان وهو عصماؤها الوسطى

مليك مسـاعيه الحميدة يافعـا ❀ تكلّ وما تاتي الملوكُ بها شُمْطا

يني الذلق عن مدح الامام ولو خدَت

نواجي النهى تنصاع في بيده خبطا

فمن يغترف ما اسطاع من بحره يصب

ومن يعترف بالعجز عنه فما أخطـا

فلا زال بدراً في السعادة كاملا ❀ وبحراً يزيل الجهل والعسر والقحطا

وفي مدحهم أيضا قال أديب سوس السيد الطاهر بن محمد اليفراني[836] :

وافتْ وقد جنّ الدّجا زائرةْ ❀ غـريرةٌ ساحرةٌ ساخـرة

ذكّرت العهد وشاقتْ الى ❀ نجـد وايام الحمى الغـابرة

ياربة الحسن اربعي فالصبـا ❀ بعد المشيب صفقةٌ خاسرة

لولا (ابنُ زيدان) وهمّته الـ...قعسـا وآلاءٌ له ظـاهرة

مـا جالت الفكرة ناظمةً ❀ في حلبة القول ولا ناثرة

ندب تساحى مجـده فسرت ❀ مسرى الصّبـا امثاله السائرة

خلق كما نمَّ النسيمُ على ❀ روض ذكت انفاسُه العاطرة

وهمـة تسمو السما فترى ❀ من تحتها انسُرُها الطائرة

به قضى المجد برغم الألى ❀ مضَوا بفضل الاعصر الحاضرة

علم ودين راسخ وتقى ❀ وكرم امواجه زاخرة

له التآليف التي بهرت ❀ اهلَ النهى اسرارُها الباهرة

مثل (العبير) نفَساً وشذىً ❀ و(منزع الطافه) وافرة

قد حكمتْ لفكره انه البحر الخِضَمُّ (الدررُ الفاخرة)

قضى بها حق العلا ووفى ❀ بالجد قدر العترة الطاهرة

أحيا بها رسم الملوك الالى ❀ ساسوا الورى بالهمم القاهرة

سلالة المجد ونسل التقى ❀ شُهب الهدى في الظُّلَم الثائرة

عترة مولانا (الشريف) وما ❀ أدراك ما هُمْ أُسُدٌ كاسرة

من في ملوك الدهر مثل (ابي الفداء) قطب الانجم الدائرة

ثم الملوك الصيد ابنائه ❀ سم العدا ذوي الجدى الوافرة

الى امام العصر بدر الدجا ❀ مبيد اجناس العدا الجائرة

سيدنا (محمد) بن (ابي الحسن) مديل الامنة الساترة

القائل الفصل اذا ضلتِ الثارا وكلّت الظُّبا الباترة

والقاتل المحل اذا أخلف النوء وشحّتْ سُحبه الماطرة

والناهض الهمة مهما ونت ❀ عن المعالي الهممُ الفاترة

أقسمت بالمجد وآياته ❀ ومقلةٍ في عزها ساهرة

ما خطت الاقلام في ورق ❀ في السعي للدنيا وللاخرة

مثل معالي عزه الجابرة ❀ ما كسرته الفتن الكاسرة

ولا بنت مثل علاه بنو ❁ مروان في (الزهراء) و (الزاهرة)

أدامه الله لأمته ❁ يحوطهم من فئة ماكرة

ومد في مدته كي ترى ❁ في ملكه (الفسطاط) و (القاهرة)

ووجه الهمة منه الى ❁ جامع هاذي (الدرر الفاخرة)

نادرة الدهر وواحده ❁ عالم اهل البدو والحاضرة

ذاك (ابن زيدان) الامام ابو ❁ زيد الذي اخلاقه طاهرة

فاعن بطبع كل ما وشحت ❁ فكرته الناظمة الناثرة

إعانة له على همة ❁ ليس لمبدا مدها آخرة

فهو لسان من مضى وأتى ❁ من عترة مشكورة شاكرة

وفرها الله وأيدها ❁ طول المدى منصورة ناصرة

ولا يزل مولاي يجني المنى ❁ اوجهها مسفرة سافرة

آمين آمين بلا منتهى ❁ حتى تدور الدورة الدائرة

يعلو به الدين ويهوي به ❁ اعداؤه اللئام في الحافرة

ثم سلام الله ما وخدت ❁ لبابه امداحه العاطرة

ثم على اسلافه الطاهرة ❁ سحائب الرضوان في الآخرة

ما رنحت عطف الكريم رقى ❁ اقلام هاذي الفئة الشاعرة

ثم صلاة الله دائمة ❁ وافية وافرة غامرة

على رسول الله ما نصرت ❁ اعلامه المنشورة الناشرة

ولا بنت مثل علاه بنو ❀ مروان في (الزهراء) و (الزاهرة)

أدامه الله لأمته ❀ يحوطهم من فئة ماكرة

ومَدَّ في مُدَّته كي ترى ❀ في ملكه (الفسطاط) و (القاهرة)

ووجه الهمة منه الى ❀ جامع هاذي (الدرر الفاخرة)

نادرة الدهر وواحده ❀ عالم اهل البدو والحاضرة

ذاك (ابن زيدان) الامام ابو ❀ زيد الذي اخلاقه طاهرة

فاعنَ بطبع كل ما وشَّحت ❀ فكرتُه الناظمةُ الناثرة

إعانة له على همة ❀ ليس لمبدا مَدِها آخرة

فهو لسان من مضى وأتى ❀ من عترة مشكورة شاكرة

وفرها الله وأيدها ❀ طول المدى منصورةً ناصرة

ولا يزل مولاي يجني المنى ❀ اوجهها مسفرة سافرة

آمين آمين بلا منتهى ❀ حتى تدور الدورة الدائرة

يعلو به الدين ويهوي به ❀ اعداؤه اللئام في الحافرة

ثم سلام الله ما وخدت ❀ لبابه امداحُهُ العاطرة

ثم على اسلافه الطاهرة ❀ سحائبُ الرضوان في الآخرة

ما رنَّحت عطفَ الكريم رُقى ❀ اقلام هاذي الفئة الشاعرة

ثم صلاة الله دائمة ❀ وافية وافرة غامرة

على رسول الله ما نُصرت ❀ اعلامه المنشورة الناشرة

وآله والصحب من هجروا ❀ في حبه والسادة الناصرة

الأميرة للا حسناء بنت أمير المؤمنين الحسن الثاني

وفي عرس الأميرة للا حسناء قال الشاعر محمد الحلوي[837] :

أيّ عُـــرسٍ ! لَمْ تَحْكِــهِ أعْـــرَاسُ ... عَـانَقْتَ فِيـهِ مَنْ رَعَـاهَـا فَـاسُ !

حَلّ فِيهَـــــا كَمَـــــا يَحِـلُّ رَبِيعٌ ... أيْنَعَت فِـي نَيْـــرُوزِهِ الأغْـــرَاسُ

فَـاضَ بِـالحُب وَالمَبَـــاهِجِ وَادِيـــ ... ـــهَا وَطَـــابَت كَمَـــائِهِ الأنفَـــاسُ

وَوُفُـــودُ الـــوَلاَء شَـــلاَّل حُبٍ ... مَـــا لِتيَّـــارِهِ المَهِيبِ انْحِبَـــاسُ

وَكَأنّ الفَضَـــا مَـــآذِنُ تَشْـــدُو ... خَجِلَت مِنْ تَكْبِيــرِهَـا الأجْــرَاسُ

وَإذَا فَـــاسُ بَيْنَنَـــا عَـــرَفَـــاتٌ ... طَـاف فِي سَاحِهَـا وَلَبّى النَّـاسُ !

وَتَغَنَّى مَـنْ لاَيُجِيـــدُ غِنَـــــاء ... وَانْتَشَى مَنْ لَمْ تَجْتَـذِبـهُ الكَـاسُ !

مَـا عَلَى الشَّيْخ إنْ تَـــرَاقَصَ فِيهَـا ... طَـرَبـاً أوْ شَـــدَا الأهَـازِيجَ بَـاسُ

يَسْرَحُ الطّـرْفُ فِي فَضَـاءَات نُورٍ ... لِنُجُـــوم السَّمَـاء مِنْهَـــا اقْتِبَـاسُ

قَدْ تَبَـاهَتْ خِيَامُهَـا البِيضُ فِي الوَا ... دِي قِبَـــابـــاً كَأنَّهَـــا حُـــرّاسُ !

وَكَأنّـي بِهَـا مَـــدَائِنُ شِيــدَت ... فِي فَضَـــاء سُكّـــانُـــهُ أجْنَـاسُ

بَهَـــرَتْهُم مَشَـاهِـــدٌ لَمْ تَصفهـــا ... شَهْـــرَزَادٌ أوْ يَـــرْوِهَـــا جُـــلاَّسُ

كُلّ شَيْء فِي فَـاسَ يَرْقُصُ زَهْـواً ... كُلّ غُصْنٍ فِـي دَوْحهَـــا مَيّـــاسُ !

عَمّتِ البُشْــرَيَـــاتُ كُلّ مَكَـــانٍ ... لَمْ يَكُـنْ فِيـــهِ قَبْـلَ ذَا إينَـــاسُ

❋ ❋

مَـا لِحسنَـا أمَـــامَ حَسْنَـاءَ حُسنٌ ... أيْنَ مِنْ رَوْعَـةِ الضُّحَى النبْـرَاسُ !

لَمْ تَـــزِدْهَـا قَـــلاَئِدُ الـدرّ إشْـــرَا ... قـاً وَلاَ زَادَ مِن سَنَـاهَـا المَـاسُ !

مِنْ أصُـــولٍ عَـرِيقَـــةِ الطهـــر لَمْ ... تَعلَقَ بِهَـــا وَصْمَـــةٌ وَلاَ أدْنَـــاسُ

وَمَلِيكٍ أرْسَى عَلَى الحُب عَـــرْشـاً ... لَمْ يَكُنْ مِثْـــلَـــهُ لِمُلْكٍ أسَـــاسُ !

خَيْرِ مَنْ عَـاشُوا لِلشُّعُـوب وَلِلسِّلْـ ـــمِ وَمَن أمّنُـوا البِـلاَدَ وَسَـاسُـوا
قَـدْ تَحــدى وَلَـمْ يُبَــالِ بِكَيْــدٍ مِن حَسُـــودٍ أَوْ يَثْنِـــهِ دَسّـــاسُ !
مَــا ارْتَقَى قِمَـــةً مِنَ المَجْــدَ إلاَّ كَـانَ فِيهَـا لِحَاسِـدِيـهِ انْتِكَـاسُ !

* *

وَتَهَـادَت عَـرَائِسُ الشّعْب بَـاقَـات وَلاَء تُظِلُّهَـــــا الأقْـــــوَاسُ
خَطِـرَاتٍ فِي مَـــوْشِيَـاتِ بُـــرُودٍ كَظِبَـــاء لَمْ يَحْتَضِنْهَــا كِنَـــاسُ
خَضَبَت بِــالحِنَّـا أنَـــامِلَ أنْــدَى من نَدَى الــرّوْض رَفَّ فِيهِ الآسُ !
غَمَـــرْتهَـــا مِــنْ عَطْفِـــهِ أرْيَحِيّـــا تٌ لَهَـــا كُلَّمَـــا أرَادَ انبِجَـــاسُ
لَمْ يَكُن مَـــالِكـــاً وَلَكِن أبـــاً بَـــراً بِشَعْبِ لَــــهُ بِـــهِ إحْسَـــاسُ !
يَـــا أبَـــا المَجْـــدِ ! دَامَ لَكَ العــــ ـــــزّ وَدَامَت لِشَعْبِكَ الأعْـــرَاسُ
وَرِضَـــاكَ العَمِيمُ يَغْمُـــرُ حَسْنَـــا ءَ لَهَـــا مِنْـــهُ زِينَـــةٌ وَلِبَـــاسُ
كُلّ شَيْءِ يُقَـاس إلاَّ هَوَى شَــعـ ـــبِكَ هَـذَا فَمَـا لَـهُ مِقَيَـاسُ !!

الأمير المولى الرشيد بن أمير المؤمنين الحسن الثاني

ومما وقفنا عليه من القصائد التي مُدح بها أمير المومنين الملك المعظم محمد السادس والتي جاء فيها ذكر لصنوه السعيد الأمير المولى الرشيد؛ نجد:

- قصيدة من قطوف ذكرى للشاعر الأستاذ محمد بنبين والتي مطلعها[838]:

الليل أقمر والنهار تبختر … والكون نور والزمان تنور

في عيد عرشك كل شيء في الدنا … أمسى وأصبح معربا ومعبر

مراكش الحمراء لا تستهتري … بمشاعر دبت دبيبا منكرا

إن شاب رأسي فالفؤاد متيم … بشبابه حتى أغار وأشعرا

ومنها:

يا آل بيت محمد لمحمد … ما ليس يوهب أو يباع ويشترى

خلق كريم من يباشر وصفه … إلا وخان به البيان وقصرا

دمتم إماما ملهما ومقدما … بين الملوك وكل أقطاب الورى

لتقر عينك بالرشيد إذا بدا … أبدى السداد مؤيدا ومظفرا

وارحم بفضلك يا إله الكون من … أكرمته بضيافة تحت الثرى

حسن الفعال أبا المغاربة الذي … صب الصبابة في القلوب وأثرا

فينا رجالا أو نساء بالذي … أسدى إلينا خادما ومحررا

- قصيدة واهنأ بعيدك في الحمى للأستاذ محمد البلغمي والتي مطلعها[839]:

أطلق جناحك فالبلابل حوم   واصدح بغصنك فالرياض تبسم !

واعزف نشيدك فالزمان مسامع   لحنا بوقعه الهوى، ويننغم

وانقل ثناءك للمليك محمد   باقات ورد بالمحبة تنسم

مرحى بعيد العرش عاد مذكرا   والذكر فيه مواعظ وتعلم !

ومنها:

هذا قصيدي من فؤادي صغته   مثل القلائد دره منتظم !

فاقبل بشعري - إن رضيت - عواطفا   عما أكن من الولاء تترجم

واهنأ بعيدك في الحمى، واسلم لنا   يرعاك للشعب الوفي المكرم

ويدوم مولاي الرشيد مؤازرا   لك في جميع المعضلات، ويسلم

ولأهل أسرتك المنيفة حبنا   ما نورت شهب، ولاحت أنجم !

- قصيدة ربوع الأمجاد للأستاذ الشاعر عبد الواحد أخريف والتي مطلعها[840]:

بين قومي والمجد عقد قديم   الوفا فيه ثابت ومقيم

(مغرب) ماجد وشعب مجيد   وعلو مدى الحياة صميم

أمة مجدها على الدهر باق   عقد آباته بديع نظيم

يسحب العز ذيله وهو زاه   بصنوف من العلا لا تغيم

شمسها لا تغيب عن أفق لم   يبد إلا والشأن فيه عظيم

(مغرب) مثلما يقال ولكن   (مشرق) للعظام سام كريم

ومنها:

مشرق الوجه كالضحى يتلالا ... نوره ساطعا عليه وسوم

حل بالسعد والمنى والتهاني ... هكذا بالسرور يأتي القدوم

فلنعش سيدي لأمثاله عمـ ... ـرا مديدا يرعاك رب كريم

وليشد الإله أزرك دوما ... بالأمير «الرشيد» حيث تقوم

وليعش في ظلالك الشعب مسرو ... را بما نصطفي له ونديم

- قصيدة يا بلادي يا موطن العز للأستاذ محمد البلغمي والتي مطلعها[841]:

ما نظمت القريض يوما عنادا ... لا ولا أبتغيه قولا معادا

إنما الشعر جذوة بلساني ... وشعور يحتل مني الفؤادا

كلما رمت نظمه في بلادي ... جاءني الشعر طائعا منقادا

أتغنى بمجدها في انتشاء ... فيزيد الهوى بنفسي اتقادا

يا بلادي، يا موطن العز عيشي ... للمعالي وللفخار مهادا

ومنها

يا إلاهي أطل لنا عمر ملك ... قد حمى ديننا، وصان البلادا

وارع بالذكر نجله ولي العهـ ... ـد، وهبه نجابة وسدادا

وأدم صنوه الرشيد وصنه ... له دوما في المعضلات عمادا

وهب الخلد من لأجلنا ماتوا ... شهداء، فأنت نعم المنادى

ولي العهد الأمير المولى الحسن بن أمير المؤمنين الملك المعظم محمد السادس

هذه قصيدة الشاعر أحمد السباعي الإدريسي والتي نظمها بمناسبة مولد الأمير المولى الحسن[842] :

موطني قد بلغت المنى   بازدياد سليل الكرام

نفحة آل خير الورى   عطرت كل قصر الهمام

إخوتي إنه قد أتى   نجل حامي عرين العظام

سارعوا قبل وقت الضحى   تنظروا وجه بدر التمام

نوره بالسنا قد غزا   جنح ليل شديد الظلام

واعلموا أن اسم الفتى   كاسم جد جليل المقام

فهو سبط الذي قد بنى   عرش شعب بروح النظام

باركوا واهتفوا مثلنا   طمئنوا قلب زوج الإمام

أرقصوا واطربوا مثلنا   إنه نسل خير الأنام

مرحبا مرحبا بالحسن   في الجبال وحضن الضغام

مرحبا مرحبا بالخلف   في البطاح ودور الوئام

فلتكن سيدي للحمى   نعم شهم لمسك الزمام

ترأس جيش أسد الشرى   تحمي الغصن غصن السلام

ولنقل بالقريض هنا   خير قول بعذب الكلام

والتهانيُ بدر الحجا   المقفى بعشق الهيام

والأماني بشذر النهى   الموشى بعهد التزام

والأغاني بنور الربى   المندى بطل الغمام

فاطلبوا حفظه من أذى   في خشوع كمسك الختام

وهذه قصيدة الشاعر محمد البلغمي والتي نظمها في تهنئة أمير المومنين الملك المعظم محمد السادس بميلاد ولي عهده المحبوب المولى الحسن[843]:

هنئت يامولاي بالمولود ... ونعمت بالبشرى من المعبود

ورزقت من رب الأنام بمنة ... غراء، تطفح بالمنى والجود

بدر تألق في سماء بلادنا ... وأطل مقترنا بشهر العيد

عيد النبي المصطفى من جاءنا ... بهداية القرآن والتوحيد

قد عمت البشرى به لما بدا ... في صبح يوم رائع وسعيد

واستقبلته جموع شعبك كلها ... بروائع الإنشاد والتغريد

لله من يوم تألق بالمنى ... فغدا لنا في الدهر يوم سعود

فيه حباك الإله بالمبتغى ... وحظيت منه بأعظم التأييد

أسميته «حسنا» وربك إنه ... لاسم حبيب خالد الترديد

حسن الفدى من لم يزل متجسما ... رغم النوى في نجله المحمود

يمضي بشعبه مثله نحو العلا ... ويقوده دوما لكل مفيد

ولقد تجدد في وليد محمد ... أكرم بذا من والد لحفيد

اليوم قرت في النعيم عيونه ... وأضاء تاجه في سماء خلود

شرف تسلسل من سلالة أحمد ... متلألئا من ماجد لمجيد

وتراث عرش لم يزل متواصلا ... من عهد آباء له وجدود

هذي عواطف مخلص .. قد صغتها ... لمحمد تزدان مثل عقود

وأتيت أرفعها إليه تهانيا ... تحكي برقتها عبير ورود

وهذه قصيدة الأستاذ حسن بن عزيز بوشو والتي نظمها في طهارة ولي العهد المحبوب المولى الحسن[844] :

ولي العهد أسماه الإله ... وطهره وبارك في خطاه

متى ما لاح في الشاشات ضاءت ... قلوب الناس يغمرها سناه

ملاك طاهر زكاه ربي ... أصولا واصطفاه لما اصطفاه

وخصه منذ نشأته بسعد ... وألبسه برودا من رضاه

وركز حبه في كل قلب ... بطه قد تعلق في هواه

فيا ربي أدمه لنا ضياء ... وأسعد بطلعته أباه

وزده به اقتدارا وانتصارا ... وسيرا في الذي الحق ارتضاه

وزد يارب حبهما ثباتا ... بمغربنا، فحبهما حماه

ومنه صلاحنا وبه نزكى ... لهذا الشعب في الدنيا مناه

وتشرق شمسنا في الأرض نورا ... به الوطن الحبيب يرى ضحاه

الأميرة للا خديجة بنت أمير المؤمنين الملك المعظم محمد السادس

وهذه قصيدة الأستاذة خديجة أولاد العربي والتي نظمتها في ميلاد الأميرة للا خديجة، وهذه القصيدة[845]:

أقبلت بالسعد والبشرى خديجة	تتهادى بين أنسام بهيجة
وردة فيحا أطلت بيننا	من أعالي الكون تختال وليجة
من دنا المجد أهلت نجمة	من بني هاشم كالغيث عجيبة
بالزغاريد تلقاها كل بيت	ووفود تلو أخرى تتغنى بخديجة
والأهازيج صداها يترامى	كل وفد ونداه وهزيجه
من سما العز أطلت كوكبا	اشرأبت نحوه الدنيا مجيبه
وحدت فرحة الشعب حبورا	لخصتها في هنيهات وجيزة
فرحة فاق مداها كل وصف	فلنغني لشدى الإسم خديجة
جدها المختار من فاق النهى	وبسدر المنتهى ضاء نسيجه
يا لسعد الأنثى منا يومها	كل أنثى قد تسمت بخديجة
يالحظ الأنثى منا يومها	كل أنثى من تسمت بخديجة
فلتدم إكليل ورد بيننا	عبقا بالمسك والعود خديجة
ولتدم للعرش نورا يتجلى	يملأ العين لألاء بهيجه.

وهذه قصيدة الشاعر أحمد عبد السلام البقالي والتي نظمها في تهنئة أمير المومنين الملك المعظم محمد السادس بميلاد الأميرة للا خديجة، وهذه القصيدة[846]:

هنيئا لسيدنا بالأميرة	خديجة صنو البدور المنيرة
بها ملأ الله قلبك نورا	وحقق آمال شعب كبيرة
وأكمل نعمته ورضاه	عليك بها وأتم سروره
ستغسل قلبك من كل هم	ببسمتها وتقوي البصيرة
وتعطيك من روحها قوة	بها تتحدى الظروف العسيرة
بها الشعب فاضت سعادته	ففجر بهجته وسروره
فبارك فيها لنا الله حتى	نراها بكل مقام جديرة

تم هذا الكتاب بعون القدير الوهاب وذلك في العاشر من ذي الحجة لعام 1442 هجرية الموافق ل 21 يوليوز 2021 م.

الهوامش

1-- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى. الجزء الثامن ص 208.

2-- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. ص11.

3-- مقاتل الطالبيين: أبي الفرج الأصفهاني. الناشر: انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الثانية. ص 408.

4-- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط. الجزء الثامن ص 208.

5-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 943.

6-- المنتخب من شعر بن زاكور: العلامة عبد الله كنون. ص 74.

7-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 639.

8-- الحلة السيراء: ابن الأبار، تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الجزء الأول ص 55.

9-- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية: الأستاذ محمد بن علي السنوسي. ص 8.

10-- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. الصفحة 14.

11-- علماء الأخلاق المشهورون في الإسلام .أقوال سيدي عبد الرحمن المجدوب: هنري ماري دي لا كروا دي كاستريس، الناشر إرنست ليرو، باريز . ص 78.

(Les Moralistes populaires de l'Islam. I. Les Gnomes de Sidi Abd er-Rahman el-Medjedoub: Henry Marie de La Croix de Castries, Ernest Leroux, Paris)

12-- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. الصفحة 48.

13-- من وحي الرباب: الحاج عبد الكريم الرايس. ص 326

14-- المنتخب من شعر بن زاكور: العلامة عبد الله كنون. ص 52.

15--جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: أحمد بن القاضي المكناسي. ص 41.

16-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 639.

17-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 82.

18-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 254 المجلد الأول.

19--الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. الجزء الأول. ص 26.

20-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 38 المجلد الأول.

21-- الحلة السيراء: ابن الأبار، تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الجزء الأول ص 227.

22-- الحلة السيراء: ابن الأبار، تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الجزء الأول ص 227.

23-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 48.

24-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 49.

25-- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال. ص 242.

26-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 43.

27-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 58.

28-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 944 المجلد الثاني. / الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 141.

29-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 245 القسم الثاني، المجلد الأول. / الإحاطة في أخبار

غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 111 المجلد الثاني.

30-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 245 القسم الثاني، المجلد الأول.

31-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 255 القسم الثاني، المجلد الأول.

32-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 594 القسم الثاني، المجلد الأول.

33-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 256 القسم الثاني، المجلد الأول. / أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال. ص 242.

34-- المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ: الدكتور عبد الوهاب عزام. ص 55.

35-- المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ: الدكتور عبد الوهاب عزام. ص 55. 56. 57.

36-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 416 الجزء الثاني.

37-- تاريخ الموسيقى الأندلسية : أصولها, تطورها, أثرها على الموسيقى الأوروبية: الأستاذ عبد الرحمن علي الحجي. ص 108.

38-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 353 المجلد 4 / الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 831 القسم الثاني، المجلد الأول / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 38 المجلد الثالث.

39-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 53.

40-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ص 77.

41-- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: الضبي. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ص 234 الجزء الأول.

42-- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم: عبد الهادي التازي. المجلد الخامس ص 133.

43-- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين: الدكتور حمدي عبد المنعم محمد حسين. ص 383.

44-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 53 المجلد الثالث.

45-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 742 القسم الثاني، المجلد الأول.

46-- المطرب من أشعار أهل المغرب: ابن دحية. تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوى. مراجعة الدكتور طه حسين. ص 135.

47-- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين: الدكتور حمدي عبد المنعم محمد حسين. ص 383. / المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف ص. 268 المجلد الثاني.

48-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف ص. 268 المجلد الثاني.

49-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 825 المجلد الأول.

50-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الثاني. ص477 / التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين: الدكتور حمدي عبد المنعم محمد حسين. ص 384.

51-- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم: عبد الهادي التازي. ص 120.

52-- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم: عبد الهادي التازي. ص 133.

53-- فهرس ابن عطية: عبد الحق بن عطية الأندلسي. تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي. ص 20.

54-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان، ص 216 المجلد الثالث.

55-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 723.

56-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 55.

57-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 408 القسم الثالث المجلد الأول.

58-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 67 المجلد الثالث.

59-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 71 المجلد الثالث.

60-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 74 المجلد الثالث.

61-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 124.

62-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 79 المجلد الثالث.

63-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 407 المجلد الرابع.

64-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان ص 411 المجلد الرابع.

65-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان ص 453 المجلد الأول.

66-- ديوان ابن خفاجة: ابن خفاجة. شرح وضبط وتقديم: الدكتور عمر فاروق الطباع .ص 143.

67-- ديوان ابن خفاجة: ابن خفاجة. شرح وضبط وتقديم: الدكتور عمر فاروق الطباع. ص 147.

68-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 387 المجلد الثاني.

69-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 253 المجلد الثاني.

70-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 418 المجلد الثاني.

71-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. ص 642 القسم الثالث المجلد الأول.

72-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 577. / جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: أحمد بن القاضي المكناسي. ص 173.

73-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 247 المجلد الأول.

74-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 723.

75-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 585.

76-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس ص 592 القسم الثالث المجلد الأول.

77-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس ص 631 القسم الثالث المجلد الأول.

78-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان المجلد الأول. الصفحة 408.

79-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس ص 621 القسم الثالث المجلد الأول.

80-- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: ابن خاقان. تحقيق: الدكتور حسين يوسف خريوش. ص 658.

81-- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق الدكتور إحسان عباس ص 404 القسم الثالث المجلد الأول.

82-- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: ابن خاقان. تحقيق: الدكتور حسين يوسف خريوش. ص 133.

83-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف المجلد الثاني. ص 127.

84-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 345 المجلد الثالث.

85-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 193. / النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 764. / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، الجزء الثاني ص 95.

86-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 184.

87-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. الجزء الثاني ص 100.

88-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 866.

89-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. الجزء الثاني ص 94.

90-- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 103. / حضارة الموحدين:

محمد المنوني ص 158. / زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 8.

91-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 53.

92-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 179. / أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين: أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنا بالبيذق. ص 42.

93-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 250 المجلد الثالث.

94-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 150. / الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 186. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 131 المجلد الثالث. / زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 59.

95-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 155. / الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 216-218 المجلد الأول.

96-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 95.

97-- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 157. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 105 المجلد الثالث.

98-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. الصفحة 157. / زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد ص 2.

99-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. الصفحة 158 / المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 102.

100-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. ص 159 / المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 99.

101-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. ص 159 / ديوان الرصافي البلنسي ابي عبد الله محمد بن غالب. جمع وتقديم: الدكتور احسان عباس. الصفحة 87.

102-- ديوان الرصافي البلنسي ابي عبد الله محمد بن غالب. جمع وتقديم: الدكتور احسان عباس. ص 80.

103-- ديوان الرصافي البلنسي ابي عبد الله محمد بن غالب. جمع وتقديم: الدكتور احسان عباس. ص 101.

104-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 105.

105-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. ص 166.

106-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. ص 168.

107-- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: الدكتور احسان عباس. ص 238 المجلد الثالث. / المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. ص 148.

108-- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط. ص 306 المجلد السادس.

109-- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ص 306 المجلد السادس.

110-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 196 / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس

أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 133 الجزء الثاني.

111-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 134 الجزء الثاني.

112-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي ص 204.

113-- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني. ص 34. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 171 المجلد الرابع.

114-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 608 المجلد الأول. / مجاني الأدب في حدائق العرب: الاب لويس شيخو اليسوعي. ص 173 الجزء الخامس.

115-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 181 المجلد الرابع. / المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. الصفحة 164 المجلد الثاني.

116-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 189 المجلد الرابع.

117-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 202 المجلد الرابع.

118-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 419. / المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 27 المجلد الثاني.

119-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 815.

120-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 808.

121-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 809 / زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 6.

122-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 70. / أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد. تحقيق: الدكتور التهامي نقرة والدكتور عبد الحليم عويس. ص 41.

123-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 73. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 155 المجلد الثالث.

124-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 108.

125-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 132 الجزء الثاني. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 148 المجلد الثالث. / الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 266 المجلد الأول.

126-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 144 المجلد الثالث.

127-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 135 المجلد الثالث.

128-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 162 المجلد الثالث.

129-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 157 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 153 المجلد الثالث.

130-- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 36.

131-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 222.

132-- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: محمد ابن مرزوق التلمساني. تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا. ص 456.

133-- حضارة الموحدين: محمد المنوني. ص 166.

134-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. الصفحة 141.

135-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 267

136-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 361 الجزء الثاني.

137-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 325 الجزء الثاني.

138-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 854.

139-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 238 المجلد الثالث.

140-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 477 المجلد الرابع.

141-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 233 المجلد الثالث.

142-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 810 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 233 المجلد الثالث.

143-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 810 النبوغ / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 254 المجلد الثالث.

144-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 811 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 255 المجلد الثالث.

145-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 76 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 156 المجلد الثالث.

146-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 143.

147-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 144.

148-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 171.

149-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 173.

150-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 175.

151-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي ص 188 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 182 المجلد الثالث.

152-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 189.

153-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي ص 192.

154-- الحلة السيراء: ابن الأبار، تحقيق الدكتور حسين مؤنس. ص 269 الجزء الثاني / شعر الجهاد في عصر الموحدين: شفيق محمد عبد الرحمن الرقب. ص 222.

155-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي ص 185 المن / البيان المغرب

في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 185 المجلد الثالث.

156-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 212.

157-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 247. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 192 المجلد الثالث.

158-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 251. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 194 المجلد الثالث.

159-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 255 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 194 المجلد الثالث.

160-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 267 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 196 المجلد الثالث.

161-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 270. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 198 المجلد الثالث.

162-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 299 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 200 المجلد الثالث.

163-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 304.

164-- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: محمد ابن مرزوق التلمساني. تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا. تقديم: محمود بوعياد. ص 457.

165-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 325. / تحفة القادم: أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي. تعليق: الدكتور احسان عباس. ص 98.

166-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 334.

167-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 364.

168-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 367 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 219 المجلد الثالث / تحفة القادم: أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي. تعليق: الدكتور احسان عباس. ص 86.

169-- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 450. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 244 المجلد الثالث.

170-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 158 الجزء الثاني.

171-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 146 المجلد الثالث.

172-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 139.

173-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 328 م الثاني.

174-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. الصفحة 191.

175-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 380 المجلد الرابع.

176-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 23.

177... صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين): علي محمد محمد الصلابي. ص 190 / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 444 المجلد الأول. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 284 المجلد الثالث.

178-- صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين): علي محمد محمد الصلابي. ص 192 / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 445 المجلد الأول

179-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. الصفحة 200.

180-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري. الصفحة 213.

181-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 225.

182-- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني. ص 35.

183-- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني. ص 138. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. المجلد الرابع. ص 380.

184-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 172 المجلد الرابع.

185-- المقتضب من كتاب تحفة القادم: ابن الأبار. تحقيق: إبراهيم الأبياري ص 67.

186-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 102. 103 المجلد الثالث.

187-- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق: الدكتور إحسان عباس ص 479 -568.

188-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 106المجلد الثالث. / تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري. ص 397 الجزء الثالث والأربعون.

189-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 108 المجلد الثالث.

190-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 238 المجلد الثالث. / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ

جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 197 الجزء الثاني / الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. المجلد الرابع.

191-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 239 المجلد الثالث. / الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة. ص 145/ رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة: أبي القاسم محمد الشريف السبتي. تحقيق: الأستاذ محمد الحجوي. ص 429.

192-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 240 المجلد الثالث.

193-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 607 المجلد الأول.

194-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 381 المجلد الرابع.

195-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 444 المجلد الأول / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 197 الجزء الثاني.

196-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 420.

197-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 812.

198-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: عبد الله كنون. ص 812 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 317 م الثالث.

199-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: عبد الله كنون. ص 813 / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 318 م الثالث.

200-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 183 الجزء الثاني.

201-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 273 المجلد الثالث.

202-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 281 المجلد الثالث.

203-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 294 المجلد الثالث.

204-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 295 المجلد الثالث / الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 102. / الروض المعطار في خبر

الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 201.

205-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 298 المجلد الثالث.

206-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 303 المجلد الثالث.

207-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 307 المجلد الثالث.

208-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 309 المجلد الثالث.

209-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 312 المجلد الثالث.

210-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 213 المجلد الثالث.

211-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 327 المجلد الثالث.

212-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 330 المجلد الثالث.

213-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 331 المجلد الثالث.

214-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 336 المجلد الثالث.

215-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 337 المجلد الثالث.

216-- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 47.

217-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 233.

218-- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 30.

219-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 485 م الثاني.

220-- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 96.

221-- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة: أبي القاسم محمد الشريف السبتي. تحقيق: الأستاذ محمد الحجوي. ص 1503. / شعر الجهاد في عصر الموحدين: شفيق محمد عبد الرحمن الرقب ص 196.

222-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 223 المجلد الثالث.

223-- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 153.

224-- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: محمد ابن مرزوق التلمساني. تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا. تقديم: محمود بوعياد. ص 344.

225-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 572.

226-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي ص 58.

227-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 172 المجلد الرابع / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 217 الجزء الثاني.

228-- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 336 الجزء السادس.

229-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 344 المجلد الثالث.

230-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 349 المجلد الثالث.

231-- حضارة الموحدين: محمد المنوني. ص 103.

232-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 358 المجلد الثالث.

233-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 361 المجلد الثالث.

234-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 363 المجلد الثالث.

235-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 368 المجلد الثالث.

236-- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد ص 41.

237-- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ص 47.

238-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 149.

239-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 59.

240 -- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 60.

241-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 362 المجلد الثاني.

242-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 60.

243-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 365 المجلد الثاني.

244-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 232 الجزء الثاني.

245-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 256 المجلد الثاني.

246-- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق: الدكتور إحسان عباس الصفحة 415. / شعر الجهاد في عصر الموحدين: شفيق محمد عبد الرحمن الرقب. ص 224.

247-- حضارة الموحدين: محمد المنوني. ص 165.

248-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 60.

249-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 382 الجزء الثاني.

250-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 406 المجلد الثاني.

251-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 400 المجلد الثالث.

252-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 60.

253-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 365 المجلد الثاني.

254-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 250.

255-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 250.

256-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 252. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 405 المجلد الثالث.

257-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 406 المجلد الثالث.

258-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 396 المجلد الثالث.

259-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 399 المجلد الثالث.

260-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 407 المجلد الثالث.

261-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 418 المجلد الثالث.

262-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 186. / الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي. السفر السادس من الكتاب. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 451 س 6

263-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 192.

264-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 62.

265-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 62.

266-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 63.

267-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 65.

268-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 587 المجلد الثالث.

269-- تحفة القادم: أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي. تعليق: الدكتور احسان عباس ص 65.

270-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 133 المجلد الثالث.

271-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 203. / البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 227 المجلد الثالث.

272-- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. ص 228 المجلد الثالث.

273-- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني ص 34. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 177 المجلد الرابع.

274-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 183 م الرابع.

275-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 181 م الرابع.

276-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 217 م الأول.

277-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 153 المجلد الثاني.

278-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 442 المجلد الأول.

279-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 253.

280-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 215 المجلد الثاني.

281-- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ص 264 المجلد الثاني.

282-- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 9.

283-- حضارة الموحدين: محمد المنوني. ص 166.

284-- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 81.

285-- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 86.

286-- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي. ص 262.

287-- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة: أبي القاسم محمد الشريف السبتي. تحقيق: الأستاذ محمد الحجوي. ص 194.

288-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 379 م 4.

289-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 399 م 3.

290-- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد. ص 40.

291-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري الصفحة 220.

292-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 108 م 3.

293-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 29.

294-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 29.

295-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 107 م 3.

296-- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري. ص 400 الجزء الثالث والأربعون.

297-- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري الصفحة 227. / تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري. ص 387 الجزء الثالث والأربعون.

298-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 275 م الثالث.

299-- حضارة الموحدين: محمد المنوني. ص 144.

300-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 110 م 3.

301-- حضارة الموحدين: محمد المنوني. ص 167.

302-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 360 م 4.

303-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 422 الجزء الثاني. / الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 23.

304-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 69.

305-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 70.

306-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 76.

307-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 71.

308-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 290.

309-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب ص 76.

310-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 360 م 4.

311-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 64.

312-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 73.

313-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 77.

314-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 87.

315-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 91.

316-- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 364.

317-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 119.

318-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 359 م الرابع.

319-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 361 م 4.

320-- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم: عبد الهادي التازي. ص 12 المجلد السابع.

321-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 975.

322-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 126.

323-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 141.

324-- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع

الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 263 الجزء السابع.

325-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1019.

326-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 13.

327-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 85.

328-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 131 / الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 310.

329-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 132.

330-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 139.

331-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 157 / الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 319.

332-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 77.

333-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 23 م 4.

334-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 338 م 3.

335-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 357 م 4.

336-- الرحلة المغربية: محمد العبدري البلنسي. تقديم: الأستاذ سعد بوفلاقة. ص 18.

337-- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي. ص 112.

338-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص80.

339-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص80.

340-- أعلام المغرب العربي: عبد الوهاب بن منصور. ص 300 الجزء الرابع.

341-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 419 الجزء الثاني.

342-- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني: الحسن الشاهدي. ص 559 الجزء الثاني.

343-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 76.

344-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 647 / نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق

وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 68. / روضة النسرين في دولة بني مرين: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر. ص 26.

345-- أعلام المغرب العربي: عبد الوهاب بن منصور. ص 302 الجزء الرابع.

346-- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون: أبي عبد الله بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي. دراسة وتحقيق: الدكتور عطا أبو رية والأستاذ سلطان بن مليح الأسمري. ص 90. / إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي. تحقيق: الدكتور علي عمر. الجزء الأول. ص 151.

347-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 201.

348-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 339 م 1.

349-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 931.

350-- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 358 الجزء السابع.

351-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 177 الجزء الثالث. / رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 81.

352-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 410 الجزء الثاني.

353-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 564 الجزء الثاني. / جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. ص 62.

354-- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. الصفحة 63.

355-- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني: الحسن الشاهدي. ص 558 الجزء الثاني.

356-- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: محمد ابن مرزوق التلمساني. تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا. تقديم: محمود بوعياد. ص 438.

357-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 18 الجزء الرابع. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 217 المجلد السادس. / نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني. ص 52 الجزء الثاني / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 295 الجزء الأول.

358-تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 443 الجزء السابع.

359-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 228.

360-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 410 الجزء الثاني.

361-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 70.

362-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 206 الجزء الثالث. / نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 70.

363-- روضة النسرين في دولة بني مرين: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر. ص 28.

364-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 532 المجلد الثالث.

365-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 529 المجلد الخامس. / ص 289 نثير الجمان

366-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 291.

367-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 294 / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 534 المجلد الخامس.

368-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 531 المجلد الخامس.

369-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 206 الجزء الثالث. / ص 52 جنى زهرة الآس

370-- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. الصفحة 52.

371-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 84.

372-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 582.

373-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 690.

374-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 327.

375-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 343.

376-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 730.

377-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 828.

378-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 317.

379-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 832. / نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 360.

380-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 832. / نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية.ص 444. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 292 الجزء الأول.

381-- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون. ص 134.

382-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 23 المجلد الأول / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 195 الجزء الثالث. / تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 441 الجزء السابع.

383-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 20 المجلد 2.

384-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 473 المجلد الرابع. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 455 المجلد السادس.

385-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 12 المجلد 3.

386-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 107 المجلد 3.

387-- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون: أبي عبد الله بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي. دراسة وتحقيق: الدكتور عطا أبو رية والأستاذ سلطان بن مليح الأسمري. ص 91.

388-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 108 المجلد السادس. / الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب. ص 257.

389-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 119 المجلد السابع. / ص 153 فيض العباب

390-- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون. ص 237.

391-- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون. ص 442.

392-- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون. ص 241 / أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني: الحسن الشاهدي. ص 571.

393-- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون. ص 320.

394-- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون. ص 376.

395-- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 539 الجزء السابع.

396-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 251.

397-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 271.

398-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 426.

399-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 40 الجزء الأول.

400-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 84.

401-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 84.

402-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 300 الجزء الأول.

403-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 84.

404-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 26 المجلد الأول. / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 9 الجزء الرابع. / تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار. ص 406 الجزء السابع.

405-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 32 المجلد الخامس. / الإحاطة في أخبار

غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 28 المجلد الأول. / نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. ص 94 الجزء الثاني.

406-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 295 المجلد الثاني. / نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. ص 383 الجزء الثاني. / الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 252.

407-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 508 م الثالث.

408-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 306 م الثاني/ ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 429. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 170 الجزء الثاني.

409-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 511 المجلد 3.

410-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 465 المجلد 4 / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. الصفحة 451 المجلد

السادس. / نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. ص 172 الجزء الثاني.

411-- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. الصفحة 85 الجزء الثاني. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 281 الجزء الأول.

412-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 276 الجزء الأول.

413-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 504 المجلد 4.

414-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 512 المجلد 4.

415-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 111 المجلد 3.

416-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 40 الجزء الرابع. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 109 المجلد السادس.

417-- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. الصفحة 123 الجزء الثاني.

418-- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 256 .

419-- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 275 الجزء الأول.

420-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 310 المجلد الأول. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 271 الجزء الأول.

421-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 85.

422-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 45 الجزء الرابع. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 382 المجلد السادس. / نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. ص 354 الجزء الثاني. / ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق وتقديم: محمد عبد الله عنان. ص 92 الجزء الثاني.

423-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 46

الجزء الرابع. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. الصفحة 8 المجلد السادس / نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: لسان الدين بن الخطيب. تقديم وتحقيق: الدكتورة السعدية فاغية. الصفحة 62 الجزء الثالث.

424-- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (الجزء الثالث): لسان الدين بن الخطيب. تقديم وتحقيق: الدكتورة السعدية فاغية. ص 86 الجزء الثالث. / ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق وتقديم: محمد عبد الله عنان. ص 224 الجزء الثاني.

425-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 86.

426-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 41 المجلد 2.

427-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 59 الجزء الرابع. / نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 71.

428-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 160.

429-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 162.

430-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 322.

431-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 236.

432-- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب. ص 86.

433-- درة الحجال في أسماء الرجال: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. الصفحة 53 الجزء الأول.

434-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 570.

435-- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني. ص 203 الجزء الثالث.

436-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 700 / سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني. ص 203 الجزء الثالث. / روضة النسرين في دولة بني مرين: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر. ص 35.

437-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 78

الجزء الرابع. / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 301 المجلد السابع.

438-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 52.

439-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 147.

440-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 158.

441-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 185.

442-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 331.

443-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 333.

444-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 370. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 174 الجزء الثاني.

445-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 391. / أزهار الرياض في أخبار عياض:

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 173 الجزء الثاني.

446-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 385. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 133 الجزء الثاني.

447-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 434 / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 133 الجزء الثاني.

448-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. ص 392. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 175 الجزء الثاني.

449-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 403.

450-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 70 الجزء الرابع.

451-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 263 المجلد السابع / ديوان ابن زمرك

الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 553. / أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ص 201 الجزء الثاني.

452-- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر. الصفحة 432.

453-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 80 الجزء الرابع. / روضة النسرين في دولة بني مرين: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر. ص 39.

454-- روضة النسرين في دولة بني مرين: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر. ص 41.

455-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 88 الجزء الرابع.

456-- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم: عبد الهادي التازي. ص 165 الجزء السابع.

457-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 647. / الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 123. / الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي. ص 308.

458-- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت. ص 410 الجزء الثاني. / الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 123.

459-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 21 م الرابع.

460-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 25 م الرابع.

461-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 962. / الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. الصفحة 133.

462-- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي. ص 123.

463-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 690.

464-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 121 الجزء الثالث.

465-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 40.

466-- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 73.

467-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 299 م الثالث.

468-- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان. ص 531 م الثالث.

469... نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية. ص 74.

470-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 13.

471-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 17.

472-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 529 المجلد الرابع.

473-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 22.

474-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 25.

475-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 26.

476-- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني. تحقيق: الأستاذ محمد حجي. ص 60.

477-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 27.

478-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 532 المجلد الرابع.

479-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 28.

480... عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 42.

481-- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. الصفحة 114.

482-- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي. ص 41.

483-- درة الحجال في أسماء الرجال: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، درة الحجال في أسماء الرجال: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. ص 298. / الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. الجزء الخامس الصفحة 14.

484-- سوس العالمة: محمد المختار السوسي. ص 68.

485-- سوس العالمة: محمد المختار السوسي. ص 69.

486-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 834.

487-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1505.

488-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 150.

489-- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار. تصحيح: السيد هوداس مدرس اللغة العربية بباريز. ص 56.

490-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 703.

491-- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار. تصحيح: السيد هوداس مدرس اللغة العربية بباريز. ص 58.

492-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 704.

493-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 74 المجلد السابع.

494-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 72 المجلد السابع.

495-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 74 المجلد السابع.

496-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 44.

497-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 45.

498-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 46.

499-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 51.

500-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 572.

501-- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش. مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور. الجزء الخامس ص 180.

502-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 261 / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 81 المجلد السابع. / روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. الصفحة 14.

503-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 135.

504-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 746 / روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 136.

505-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 138. / النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 744.

506-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 21.

507-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 22.

508-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 23.

509-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 24.

510-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 24.

511-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 218.

512-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 338.

513-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 340.

514-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 56.

515-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 835. / ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1199. / مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 54.

516-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1200.

517-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1203.

518-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1206. / مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 141.

519-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 1211. / 247 مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 247. / روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 10.

520-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 1216.

521-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. الصفحة 3.

522-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 7.

523-- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز. ص 991.

524-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. الصفحة 139.

525-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. الصفحة 156.

526-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 113.

527-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 115.

528-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 128.

529-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 131.

530-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 134.

531-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 149.

532-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 149.

533-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 158. / روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 165.

534-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 160.

535-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 33.

536-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم.ص 160.

537-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 140.

538-- درة الحجال في أسماء الرجال: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. ص 196.

539-- درة الحجال في أسماء الرجال: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. ص 201.

540-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. الصفحة 167.

541-- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. ص 70 المجلد السابع.

542-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 95.

543-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 115.

544-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. الصفحة 246.

545-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 173.

546-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 37.

547-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 221.

548-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 229.

549-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 273.

550-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 174.

551-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 299. / روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 17.

552-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 18.

553-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 67.

554-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 247.

555-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 68.

556-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 240.

557-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 263.

558-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 82.

559-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري.ص 218.

560-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 219.

561-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 258.

562-- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار. تصحيح: السيد هوداس مدرس اللغة العربية بباريز. ص 102.

563-- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار. تصحيح: السيد هوداس مدرس اللغة العربية بباريز. ص 5.

564-- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور: أحمد بن القاضي. دراسة وتحقيق: محمد رزوق. الجزء الأول ص 535.

565-- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور: أحمد بن القاضي. دراسة وتحقيق: محمد رزوق. الجزء الثاني ص 675.

566-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 115 الجزء الخامس.

567-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 115 الجزء الخامس.

568-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 188 الجزء الخامس.

569-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 187 الجزء الخامس.

570-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 704.

571-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 62.

572-- رسائل سعدية: عبد الله كنون. ص 227.

573-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 72 الجزء السادس.

574-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 180.

575-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 180.

576-- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم. ص 181.

577-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 72.

578-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 73.

579-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 73.

580-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 77.

581-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 78.

582-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 79.

583-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 89.

584-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 103.

585-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 103.

586-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 104.

587-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 139.

588-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 183.

589-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 186.

590-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 224.

591-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 59.

592-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 142.

593-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 142.

594-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 143.

595-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 191.

596-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 209.

597-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 215.

598-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 219.

599-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 17 الجزء السادس.

600-- أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب: السراج أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي بن مليح. تحقيق: محمد الفاسي. ص 103.

601-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 104 الجزء السادس.

602-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 107 الجزء السادس.

603-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 890.

604-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 46.

605-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 167.

606-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 245.

607-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 12.

608-- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري. ص 132.

609-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 30.

610-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 31. / البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف: أبو القاسم الزياني. تحقيق: الأستاذ رشيد الزاوية. ص 29.

611-- البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف: أبو القاسم الزياني. تحقيق: الأستاذ رشيد الزاوية. الصفحة 62.

612-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري. الصفحة 42.

613-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. الجزء الأول ص 266.

614-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 44 الجزء السابع.

615-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري الصفحة 57.

616-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري الصفحة 57.

617-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 15.

618-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 15.

619-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 16.

620-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 16.

621-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص17.

622-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 18.

623-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 20.

624-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 24.

625-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 25.

626-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 26.

627-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 43 الجزء السابع. / الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. الصفحة 116 الجزء الأول.

628-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 277 الحلل البهية الجزء الأول.

629-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 29.

630-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 35.

631-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 87.

632-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 306.

633-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 317.

634-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 318.

635-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 321.

636-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 326.

637-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 326.

638-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 328.

639-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 341.

640-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 359.

641-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 362.

642-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 383.

643-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 386.

644-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 386.

645-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 410.

646-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 412.

647-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 413.

648-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 314.

649-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 314.

650-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 417.

651-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 418.

652-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 419.

653-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 421.

654-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 422.

655-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 423.

656-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، من الصفحة 424 إلى الصفحة 429.

657-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 429.

658-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 429.

659-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 430.

660-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 430.

661-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 431.

662-- سوس العالمة: محمد المختار السوسي. ص 72.

663-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. الجزء الأول ص 296.

664-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 435.

665-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، ص 436.

666-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري الصفحة 103.

667-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري الصفحة 103.

668-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 9 الحلل البهية الجزء الثاني.

669-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 188 الجزء السابع. / نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: محمد بن الطيب القادري. تحقيق: الأستاذ محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق. ص 121 ج الرابع.

670-- زهر الأكم: عبد الكريم بن موسى الريفي. تحقيق: آسية بنعدادة. ص 234.

671-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 53.

672-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 16 الجزء الثاني.

673-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري. الصفحة 163.

674-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري. الصفحة 164.

675-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 792.

676-- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي. ص 32.

677-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 85 الجزء الثاني.

678-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان.ص 56.

679-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 57.

680-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 57.

681-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 63.

682-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 64.

683-- البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف: أبو القاسم الزياني. تحقيق: الأستاذ رشيد الزاوية الصفحة 484.

684-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 34 الجزء الثاني.

685-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري الصفحة 213.

686-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 85 الجزء الثاني.

687-- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

688-- دعوة الحق العددان 151 و152 {السلطان المولى سليمان صور من مجالسه الأدبية}.

689-- دعوة الحق العددان 151 و152 {السلطان المولى سليمان صور من مجالسه الأدبية}.

690-- دعوة الحق العددان 151 و152 {السلطان المولى سليمان صور من مجالسه الأدبية}.

691-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 39 الحلل البهية الجزء الثاني.

692-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 99 الجزء الثامن.

693-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 51 الجزء الثاني.

694-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 419.

695-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 118 الجزء الثامن.

696-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 471.

697-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 558.

698-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 568.

699-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 568.

700-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 570.

701-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 571.

702-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 572.

703-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 573.

704-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 576.

705-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 580.

706-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة 580.

707-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 125 الجزء الثامن.

708-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 144 الجزء الثامن.

709-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 147 الجزء الثامن.

710-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري الصفحة ص 268.

711-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 68.

712-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 69.

713-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 69.

714-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 70.

715-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. ص 855.

716-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 166 الجزء الثامن.

717-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 4 الجزء التاسع.

718-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 5 الجزء التاسع.

719-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 88.

720-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 14 الجزء التاسع.

721-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 21 الجزء التاسع.

722-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 30 الجزء الثاني.

723-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 44 الجزء الثاني.

724-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 48 الجزء الثاني.

725-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 50 الجزء الثاني.

726-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي ص 53 الجزء الثاني.

727-- سوس العالمة: محمد المختار السوسي. ص 104.

728-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 78 الجزء الثاني.

729-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 83.

730-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 83.

731-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 84.

732-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 85 الجزء الثاني.

733-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 84.

734-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 85.

735-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 77 الجزء التاسع.

736-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 77 الجزء التاسع.

737-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 91 الجزء الثاني.

738-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري.ص 81 الجزء التاسع.

739-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 83 الجزء التاسع.

740-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي ص 28 الجزء الثاني.

741-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي ص 88 الجزء الثاني.

742-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي ص 91 الجزء الثاني.

743-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي ص 96 الجزء الثاني.

744-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي ص 102 الجزء الثاني.

745-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 119 الجزء الثاني.

746-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 122 الجزء الثاني.

747-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. من الصفحة 90 إلى الصفحة 92.

748-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 125 الجزء التاسع.

749-- ومما ذكره مؤرخ المملكة السيد عبد الحق المريني قوله في تصدير كتابه "المحمديات" ص 12 وذلك بخصوص الأشعار التي قيلت في السلطان الحسن الأول: {...كما جمع عالم من سوس الأمداح التي قيلت في السلطان الحسن الأول لما كان خليفة بالجنوب سنة 1282 هـ 1865م، سماها: "الأمداح الحسنية" توجد نسخة مخطوطة منها في خزانة المختار السوسي. ولابن الحاج السلمي كتاب بعنوان: "الدرر الجوهرية، في مدح الخلافة الحسنية" يتضمن قصائد في مدح الحسن الأول (مخطوط بالخزانة الحسنية).}

750-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 139 الجزء التاسع.

751-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 151 الجزء التاسع.

752-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 155 الجزء التاسع.

753-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 169 الجزء التاسع.

754-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري. ص 166 الجزء التاسع.

755-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري ص 171 الجزء التاسع.

756-- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري ص 172 ج9 الإستقصا

757-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 138 الجزء الثاني.

758-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 139 الجزء الثاني.

759-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 170 الجزء الثاني.

760-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 175 الجزء الثاني.

761-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان.ص 98.

762-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان.ص 102.

763-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان.ص 103.

764-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 110.

765-- مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك تحقيق السيد عبد اللطيف بنمنصور. ص 136.

766-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 32.

767-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 32.

768-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 41.

769-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 45.

770-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 46.

771-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 367.

772-- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري الصفحة 30.

773-- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين - العباس بن عبد الرحمن بن محمد الشرفي الأندلسي(almoajam.org)

774-- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين -الغالي بن العربي بن عمرو الفاسي(almoajam.org)

775-- بوابة الشعراء - البيضاوي الجكني - شهر الصيام رمي خلفا به الفلك (poetsgate.com)

776-- https://www.arabehome.com/poetry/ تحل-حلول-اليمن-في-بلد-البشر

777-- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين -عبد العزيز بن محمد بن رشيد العراقي الحسني(almoajam.org)

778-- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين -عبد العزيز بن محمد بن رشيد العراقي الحسني(almoajam.org)

779-- مفهوم العرشيات العدد 342 ذو الحجة 1419/ أبريل 1999 مجلة دعوة الحق.

780-- ومما ذكره مؤرخ المملكة السيد عبد الحق المريني قوله في تصدير كتابه "المحمديات" ص 12 وذلك بخصوص الأشعار التي قيلت في الملك محمد الخامس: {...وفي عهد جلالة الملك محمد الخامس رضوان الله عليه، جمع العلامة عبد السلام الفاسي "العرشيات" في ديوان سماه: "ديوان العرش" (طبعت السلسلة الأولى منه سنة 1948). وقد جمع كتاب "فكر وعقيدة" (1961)، مراثي في وفاة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله مثواه، الذي كان يمثل جلالته في مسيرة حياته فكرة نصرة الوحدة، والحرية والكرامة، والعقيدة الوطنية الصادقة الصامدة...}.

781-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان.ص 3.

782-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 207.

783-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. من الصفحة 219 إلى الصفحة 225.

784-- مجلة دعوة الحق (العدد 342 ذو الحجة 1419/ أبريل 1999) مفهوم العرشيات.

785-- بوابة الشعراء - البيضاوي الجكني - آه له من عميد طالما صبرا (poetsgate.com) موقع بوابة الشعراء.

786-- مجلة دعوة الحق (العدد 342 ذو الحجة 1419/ أبريل 1999) مفهوم العرشيات.

787-- الرحلة المعينية: ماء العينين بن العتيق. تحقيق: الدكتور محمد الظريف. ص 262.

788-- الرحلة المعينية: ماء العينين بن العتيق. تحقيق: الدكتور محمد الظريف. ص 26.

789-- نماذج من أدب الصحراء وأدبائها (دعوة الحق العدد 157).

790-- [قصيدة] ملك المغرب الصالح محمد الخامس | موقع الدكتور تقي الدين الهلالي(alhilali.net) .

791-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 15 الجزء الأول.

792-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 16 الجزء الأول.

793-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 34 الجزء الأول.

794-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 25 الجزء الأول.

795-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 522 الجزء الثاني.

796-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 18 الجزء الأول.

797-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 40 الجزء الأول.

798-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 46 الجزء الأول.

799-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 377 الجزء الثاني.

800-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 390 الجزء الثاني.

801-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 438 الجزء الثاني.

802-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 63 الجزء الأول.

803-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 29 الجزء الأول.

804-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 48 الجزء الأول.
الجزء الأول.

805-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 216 الجزء الأول.

806-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 432 الجزء الثاني.

807-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء.ص 384 الجزء الثاني.

808-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 351 الجزء الأول.

809-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 523 الجزء الثاني.

810-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء. ص 36 الجزء الأول.

811-- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء، ص 263 الجزء الأول.

812-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 152.

813-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 160.

814-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 100.

815-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 138.

816-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 180.

817-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 341.

818-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 120.

819-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني.ص 134.

820-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 176.

821-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص .181.

822-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 190.

823-- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي. تحقيق: الدكتور علي عمر. ص 34 الجزء الثالث. / النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. الصفحة 281.

824-- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. الصفحة ص 419.

825-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 290 الجزء الأول. / النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. الصفحة 707.

826-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. الصفحة 847.

827-- المنتخب من شعر بن زاكور: العلامة عبد الله كنون. ص 72.

828-- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون. ص 56.

829-- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة. ص 290 الجزء الأول.

830-- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون. الصفحة 708.

831-- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: محمد بن الطيب القادري. تحقيق: الأستاذ محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق. ص 60 الجزء الرابع.

832-- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري. الصفحة 266.

833-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. الجزء الأول. ص 297.

834-- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي. ص 40 الجزء الثاني.

835-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 245.

836-- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان. ص 247.

837-- ديوان أوراق الخريف: الشاعر الأستاذ محمد الحلوي. ص 137.

838-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 319.

839-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 327.

840-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص 373.

841-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999.2015 م: عبد الحق المريني. ص437.

842-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 91.

843-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 94.

844-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 482.

845-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 536.

846-- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 2015.1999 م: عبد الحق المريني. ص 143.

المصادر والمراجع المعتمدة

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي. تحقيق: الدكتور علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين: أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنا بالبيذق، دار المنصور، الرباط.
- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد. تحقيق: الدكتور التهامي نقرة والدكتور عبد الحليم عويس، دار الصحوة.
- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني: الحسن الشاهدي، منشورات عكاظ.
- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. تحقيق: الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- أعلام المغرب العربي: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط.

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش. مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط.
- أعلام مالقة: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط-المغرب. دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان.
- أمراؤنا الشعراء: العلامة عبد الله كنون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب: السراج أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي بن مليح. تحقيق: محمد الفاسي، المملكة المغربية، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: ابن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.
- البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف: أبو القاسم الزياني. تحقيق: الأستاذ رشيد الزاوية، المملكة المغربية، وزارة الشؤون الثقافية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني (إقليم الرشيدية).

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: الضبي. تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. مراجعة: الدكتور سهيل الزكار، دار الفكر، بيروت-لبنان.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.
- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم: عبد الهادي التازي، مطابع فضالة، المحمدية.
- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين: الدكتور حمدي عبد المنعم محمد حسين، دار المعرفة الجامعية.
- تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة): محمد الضعيف الرباطي. تحقيق: الأستاذ أحمد العماري، الطبعة الأولى، دار المأثورات، الرباط.
- تاريخ الموسيقى الأندلسية: أصولها، تطورها، أثرها على الموسيقى الأوروبية: الأستاذ عبد الرحمن علي الحجي، بيروت-لبنان.

- تحفة القادم: أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي. تعليق: الدكتور احسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: أبو القاسم الزياني. تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، دار النشر المعرفة، الرباط.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: أحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.
- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس: علي الجزنائي. تحقيق: مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية 1411 هـ - 1991 م.
- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.
- حضارة الموحدين: محمد المنوني، الطبعة الأولى، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب.
- الحلة السيراء: ابن الأبار، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف-مصر.
- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. تحقيق: إدريس بوهليلة، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري. تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
- درة الحجال في أسماء الرجال: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة. المكتبة العتيقة، تونس.
- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية: الأستاذ محمد بن علي السنوسي، دار الشباب، مصر.
- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: المولى عبد الرحمن ابن زيدان، المطبعة الاقتصادية الرباط.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني. تحقيق: الأستاذ محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، الرباط.
- ديوان ابن خفاجة: ابن خفاجة. شرح وضبط وتقديم: الدكتور عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت-لبنان.
- ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد توفيق النيفر، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ديوان الرصافي البلنسي ابي عبد الله محمد بن غالب. جمع وتقديم: الدكتور احسان عباس، الطبعة الثانية، دار الشروق.
- ديوان أوراق الخريف: الشاعر الأستاذ محمد الحلوي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- ديوان دعوة الحق وفاء وولاء: مجموعة من الشعراء، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب.
- الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية: اسم المؤلف غير معروف. تحقيق ومراجعة: محمد بن أبي شنب الأستاذ بالمدرسة الثعالبية بالجزائر، مطبعة جول كربونل، الجزائر 1339هـ/ 1920م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: علي ابن أبي زرع الفاسي، دار المنصور، الرباط-المغرب 1392 هـ/ 1972 م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة: العلامة عبد الله كنون. تقديم وترتيب: الدكتور محمد بن عزوز، الطبعة الأولى، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء. دار ابن حزم، بيروت.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي. السفر السادس من الكتاب. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت-لبنان.
- الرحلة المعينية: ماء العينين بن العتيق. تحقيق: الدكتور محمد الظريف، الطبعة الأولى، دار السويدي، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان.
- الرحلة المغربية: محمد العبدري البلنسي. تقديم: الأستاذ سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر.

- رسائل سعدية: عبد الله كنون، معهد مولاي الحسن، دار الطباعة المغربية، محمد الطريس 17 تطوان، المغرب.
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة: أبي القاسم محمد الشريف السبتي. تحقيق: الأستاذ محمد الحجوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب.
- رقم الحلل في نظم الدول: ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب، المطبعة العمومية، تونس.
- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.
- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون: أبي عبد الله بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي. دراسة وتحقيق: الدكتور عطا أبو رية والأستاذ سلطان بن مليح الأسمري، الطبعة الأولى مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد بن محمد المقري، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط.
- روضة النسرين في دولة بني مرين: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، المطبعة الملكية، الرباط.
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق وتقديم: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر: أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي. تعليق الأستاذ عبد القادر محداد، بيروت.

- زهر الأكم: عبد الكريم بن موسى الريفي. تحقيق: آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة الدار البيضاء.
- سوس العالمة: محمد المختار السوسي، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير.
- شعر الجهاد في عصر الموحدين: شفيق محمد عبد الرحمن الرقب، مكتبة الأقصى، عمان-الأردن.
- صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين): علي محمد محمد الصلابي، دار البيارق.
- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل: أبي عبد الله محمد الكراسي، المطبعة الملكية، الرباط.
- علماء الأخلاق المشهورون في الإسلام .أقوال سيدي عبد الرحمن المجدوب: هنري ماري دي لا كروا دي كاستريس، الناشر إرنست ليرو، باريز . (Les Moralistes populaires de l'Islam. I. Les Gnomes de Sidi Abd er-Rahman el-Medjedoub: Henry Marie de La Croix de Castries, Ernest Leroux, Paris)
- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني، طبعة ثانية، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.

- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة: ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي. تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر.
- فهرس ابن عطية: عبد الحق بن عطية الأندلسي. تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: ابن الحاج النميري. دراسة واعداد: الدكتور محمد ابن شقرون، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: ابن خاقان. تحقيق: الدكتور حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى مكتبة المنار، الأردن.
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- مجاني الأدب في حدائق العرب: الاب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
- مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك: الحايك التطواني تحقيق: الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور، الطبعة الأولى، مطبعة الريف، الرباط.
- المحمديات قصائد في مدح صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 1999. 2015 م: عبد الحق المريني، منشورات القصر الملكي، المطبعة الملكية.
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: محمد ابن مرزوق التلمساني. تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا. تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- المطرب من أشعار أهل المغرب: ابن دحية. تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوى. مراجعة الدكتور طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت-لبنان.
- المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ: الدكتور عبد الوهاب عزام، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة.
- المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد بن علي المراكشي. شرح: الدكتور صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
- مقاتل الطالبيين: أبي الفرج الأصفهاني. الناشر: انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الثانية.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم: ابن الأبار. تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب المصري، القاهرة. دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين: عبد الملك بن صاحب الصلاة. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- من وحي الرباب: الحاج عبد الكريم الرايس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي. تحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.
- المنتخب من شعر بن زاكور: العلامة عبد الله كنون، دار المعارف-مصر.
- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور: أحمد بن القاضي. دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط.
- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف: المولى عبد الرحمن بن زيدان. تحقيق: الدكتور عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، مطبعة إديال، الدار البيضاء.
- موسوعة الملحون ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ: إشراف وتقديم: الأستاذ عباس الجراري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي: العلامة عبد الله كنون، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الثانية.
- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. تحقيق وتقديم: الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار. تصحيح: السيد هوداس مدرس اللغة العربية بباريز، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة انجي سنة 1888.

- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: محمد بن الطيب القادري. تحقيق: الأستاذ محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق، الطبعة الأولى، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب، الرباط.
- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك: أبو فارس عبد العزيز الملزوزي، المطبعة الملكية الرباط.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (الجزء الثالث): لسان الدين بن الخطيب. تقديم وتحقيق: الدكتورة السعدية فاغية. مطبعة النجاح الجديدة.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (الجزء الثاني): لسان الدين بن الخطيب. نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي. مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى: محمد بن تاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفى. دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت.

المجلات والدوريات والمو اقع الالكترونية

- بوابة الشعراء poetsgate.com (موقع إلكتروني).
- البيت العربي https://www.arabehome.com/poetry/ (موقع إلكتروني).
- دعوة الحق: مجلة مغربية تصدرها شهريًا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (موقع إلكتروني).
- موقع الدكتور تقي الدين الهلالي.(alhilali.net)

الفهرس

جامع هذا الكتاب: أحمد مراد

- **ولد بمدينة الدار البيضاء، بتاريخ 21 غشت 1995.**
- **حاصل على:**


- **الإجازة في علوم الاقتصاد والتدبير، جامعة الحسن الثاني بمدينة الدار البيضاء، سنة 2018-2017.**
- **الوسام الأول في الموسيقى الأندلسية المغربية (الآلة)، المعهد البلدي بمدينة الدار البيضاء، سنة 2021-2020.**

- **من مؤلفاته:**

- **المختصر المُعين، في تعلم صنعة الآليين (معين طلبة المعاهد الموسيقية في تعلم مادة الموسيقى الأندلسية المغربية "الآلة") سنة 2020.**

- **محرر في الموسوعة الحرة ويكيبيديا والتي أنشأ فيها أزيد من 115 مقالا، في ميادين عدة، منها:**

- **اللغة (أسلوب النداء، مفعول فيه، أسلوب استثناء...).**
- **أعلام السياسة (يحيى بن عمر اللمتوني، عبد الحق الأول، أبو العباس أحمد المريني، عبد العزيز الثاني المريني...).**
- **أعلام التأريخ (إسماعيل بن الأحمر، عبد الرحمن بن زيدان، محمد داود...).**
- **أبرز الشخصيات المغربية (آسية الوديع، رجاء ناجي المكاوي، أسماء المرابط...).**
- **أعلام الأدب (التهامي الوزاني، مليكة الفاسي، آمنة اللوه، زينب فهمي...).**



المغرب عظيم، لأنه دولة عريقة، تمتد لأكثر من إثني عشر قرنا،
فضلا عن تاريخها الأمازيغي الطويل...
مطبعة وراقة بلال
IMPRIMERIE PAPETERIE BILAL
Tél/Fax: 05 35 61 66 03
FES - www.imp-bilal.com
BILAL